


مجلد اول

تفہیم القرآن


مفتی محمد رفیع الرحمن صاحب
الذکر زکی بھاری

جلد اول

تفہیم القرآن



 Bibliotheca Alexandrina



 0159323

زَهْرُ الْأَعْيُنِ

زَهْرُ الْأَلْبَابِ

وثمر الألباب

بمهم بن علي الحصري، القيرواني، المتوفى في عام ٤٥٣ من الهجرة

مفصل ومضبوط ومشروح بقلم المرحوم
الدكتور زكي مبارك

حققه وزاد في تفصيله وضبطه وشرحه
محمد محي الدين عبد الحميد

الجزء الأول

دار الجيل

طبع في بيروت - لبنان

سنة ١٩٧٧

٨٧٤٧

الطبعة الرابعة

مقدمة الناشر

احياء التراث العربي ، بتحقيقه تحقيقاً علمياً دقيقاً وضبطه وشرح ما غمض من معانيه ومراجعة نصوصه الأصلية ؛ مهمة جليلة ومسؤولية بالغة تصدى لها العديد من أكفأ وأخلص رجالات الأدب في عصرنا الحاضر ، وفي طليعتهم الدكتور زكي مبارك .

.. إن تحقيق هذه الروائع الأدبية وشرحها رسالة سامية ... وكذلك نشرها وتقديمها إلى القارئ العربي بالصورة اللائقة ؛ رسالة يتصدى لملها الناشر الواعي لأهمية تراثنا العربي المقدر لقيمه ، الحريص على إغناء الثقافة العربية ، والباذل لكل جهد مهبا عظيم في سبيل تقديم روائع القديم في أيه وأحدث حلة تبويها وإخراجاً وطباعة .

بين روائع التراث العربي يتألق كتاب « زهر الآداب ، وثمر الألباب » كالدررة النادرة ، وقد زاد من قيمته جهد لا يقارن به جهد بذله الأديب العملاق ، الدكتور زكي مبارك في تحقيقه وضبطه وشرح نصوصه .

كتاب « جمع كل غريبة » . بل خزانة من خزائن الأدب العربي عامرة بأخبار الأدب والأدباء ، حاقة بألوان البلاغة والشعر والانشاء وبكل ما يصور بصدق العصر الذي عاش فيه مؤلفه أبو اسحاق ابراهيم بن علي المحصري القيرواني في القرن الخامس الهجري ، ويبين بوضوح العادات الاجتماعية التي كانت عمودة في عصره ؛ حتى أن دارس الآداب المهتم بذلك العصر ليكتفي بدراسة هذا الكتاب كمرجع رئيسي شامل .

لذلك العصر من حياة الأدب طابع خاص ، أظهر سماته إجادة الوصف ؛ وصف ما تقع عليه العين من مرئيات أو ما يجري في الخاطر من أفكار ، بل ووصف أهواء النفس ونزعاتها الوجدانية ، وصفاً مفصلاً مقصوداً ، حتى أصبح العصر غنياً إلى درجة بميزة بالتعبير الرائعة الناضجة في معظم أبواب الوصف . . يرافقها تنظيم كامل للأفكار ، مما يعود القارئ تذوق الأسلوب البديع ويحبب إليه النثر الجيد وأصوله الفنية .

اننا إذا قسنا أعمال أدباء ذلك العصر بالمقاييس العصرية لانطبق عليها مفهوم النظرية الحديثة « الفن للفن » . . فقد عرفوا اللغة معرفة جيدة حتى وقفوا على أسرارها وطرائق تعبيرها ، فجمعوا شتاتها لتصبح طوع أفكارهم وأقلامهم في نتاج منسّق متكامل .

وان دار الجيل التي تعتر بما قدمت من كتب التراث.. كتاب « العمدة » لابن رشيق تحقيق الامتاذ محيي الدين عبد الحميد ، ليزيدها اعتزازاً أن تقدم تباعاً مجموعة أعمال الدكتور زكي مبارك : النثر الفني ، الموازنة بين الشعراء ، التصوف الاسلامي ، المدائح النبوية ، الاخلاق عند الفزالي . . ودره هذه الأعمال هذا الكتاب الذي تقدمه دار اليوم : زهر الآداب . . إنه دائرة معارف أدبية ، لا غنى للقارئ الأديب الباحث عن المعرفة والمتطلع الى التزيد من بحور الفنون الأدبية ، عن اقتنائه .

، والله الموفق

دار الجيل

مقدمة الطبعة الأولى

الحُصْرِيُّ القِيْرَوَانِي ، أبو الحسن الحُصْرِيُّ ، طَرَفٌ من أخباره ، حياته الأدبية ،
داليتة ودالية شوقى ، أبو إسحاق الحُصْرِيُّ : شعره ونثره ، طريقته فى التأليف ،
التعريف بزهر الآداب ، إغفال المجلون ، تهذيب كتب المتقدمين ، رأى الدكتور
طه حسين ، تهذيب زهر الآداب ، تفصيله وضبطه وشرحه ، قيمته الأدبية .

الحصرى ، القيراوانى

الحصرى — بضم الحاء المهملة ، وسكون الصاد المهملة وبعدها راء مهملة —
نسبة إلى الحُصْرِ أو بيعها ، كما ذكر ابن خلكان — والقيراوانى : نسبة إلى
مدينة القيراوان .

ويَعْرِفُ تاريخُ الآدابِ رجلين بهذا الاسم ، أولهما :

أبو الحسن الحصرى

وأبو الحسن هذا هو : على بن عبد الغنى ، الفِوْرِيّ ، المقرئ ، الضرير ، القيراوانى ،
وقد كان — كما ذكر ابن بسام فى الذخيرة — بَحْرَ بَرّاعة ، ورأس صناعة ،
وزعيم جماعة .

طراً على الأندلس — كما قال ابن بسام أيضاً — فى منتصف المائة الخامسة من
الهجرة ، بعد خراب وطنه من القيراوان ، والأدبُ بأفق الأندلس يومئذٍ نافقُ
السوق ، معمر الطريق ، فتهداه ملوكُ الطوائف تهادى الرياض بالنسيم ،
وتنافسوا فيه تنافس الديار بالأنس المقيم .

ولكنه ، فيما نُقِلَ ، لم يطمئن هناك ، فاحتمل على مُضَضِّ بَيْنَ زمانه ،

وَبُعْدِ قَطْرِهِ ، ثُمَّ اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مَدِينَةُ طَنْجَةَ بَعْدَ خَلْعِ مَاوِكَ الطَّوَائِفِ ، وَتُوُفِيَ بِهَا
سَنَةَ ٤٨٨ هَجْرِيَّةً .

طرف من أخباره

ذُكِرَ أَنَّهُ لَمَّا كَانَ مَقِيمًا بِمَدِينَةِ طَنْجَةَ أَرْسَلَ غَلَامَهُ إِلَى الْمُعْتَمِدِ بْنِ عَبَّادٍ
صَاحِبِ إِشْبِيلِيَّةٍ ، وَاسْمِهَا فِي بِلَادِمْ حِمصَ ، فَأَبْطَأَ عَنْهُ ، وَبَلَّغَهُ أَنَّ الْمُعْتَمِدَ لَمْ
يَخْفَأْ بِهِ ، فَقَالَ :

نَبَّهَ الرَّكْبَ الْهَجُوعَا وَ لَمْ الدَّهْرَ الْفَجُوعَا^(١)
حِمصُ الْجَنَّةِ قَالَتْ لَغَلَامِي : لَا رُجُوعَا
رَحِمَ اللَّهُ غَلَامِي مَاتَ فِي الْجَنَّةِ جُوعَا

وهذه الأبيات غاية في خفة الروح .

وَحُكِيَ أَنَّ الْمُعْتَمِدَ بْنَ عَبَّادٍ بَعَثَ إِلَى أَبِي الْعَرَبِ الزَّيْنِدِيِّ خَمْسَمِائَةَ دِينَارٍ ،
وَأَمَرَهُ أَنْ يَتَجَهَّزَ بِهَا وَيَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ ، وَكَانَ بِحَزِينَةِ صِقْلِيَّةٍ وَهُوَ مِنْ أَهْلِهَا ، وَبَعَثَ
مَشِيًا إِلَى أَبِي الْخَسَنِ الْخُضْرِيِّ ، وَهُوَ بِالْقَيْرَوَانِ ، فَكَتَبَ أَبُو الْعَرَبِ :

لَا تَعْجَبَنَّ لِرَأْيِي كَيْفَ شَابَ أُمِّي وَأَعْجَبْ لِأَسْوَدِ عَيْنِي كَيْفَ لَمْ يَشِبْ
الْبَحْرُ الدَّرُوءُ لَا يَجْرِي السِّفِينُ بِهِ إِلَّا عَلَى غَرَرٍ وَالتَّبَرُّ لِلْعَرَبِ
وَكَتَبَ لَهُ الْخُضْرِيُّ :

أَمَرْتَنِي بِرُكُوبِ الْبَحْرِ أَقْطَعُهُ غَيْرِي ، لَكَ الْخَيْرُ ، فَاخْصُصْهُ بِذَا الدَّاءِ
مَا أَنْتَ نُوْحٌ فَتُنَجِّحْنِي سَفِينَتُهُ وَلَا الْمَسِيحُ أَنَا أَمْشِي عَلَى الْمَاءِ

حياته الأدبية

ذَكَرُوا أَنَّهُ كَانَ عَالِمًا بِالْقِرَاءَاتِ وَطُرُقِهَا ، وَأَنَّهُ أَقْرَأَ النَّاسَ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ

(١) فِي الطَّبْعَةِ السَّابِقَةِ « وَ لَمْ الدَّعْرُ » (م) .

بَسْبَتَةً وَغَيْرَهَا ، وَأَنْ لَهُ قَصِيدَةٌ نَظْمًا فِي قِرَاءَاتِ نَافِعٍ ، عَدَدُ أَيْبَاتِهَا ٢٠٩ ، وَأَنْ لَهُ دِيْوَانٌ شَعْرٌ ، وَهُوَ الْقَائِلُ :

أَقُولُ لَهُ وَقَدْ حَيًّا بِكَاسٍ لَهَا مِنْ مِسْكِ رَقَّتِ خِتَامُ :
 أَمِنْ خَدَّيْكَ يُعْصِرُ؟ قَالَ : كَلَّا مَتَى عَصِرْتَ مِنَ الْوَرْدِ الْمَدَامُ ؟
 وَأَشْهُرُ قَصَائِدِهِ تِلْكَ الدَّالِيَّةُ الَّتِي أَفْتَنَ فِي مَعَارِضَتِهَا الشُّعْرَاءُ ^(١) وَلنَذْكُرَهَا
 هُنَا لِقِيْمَتِهَا وَأَثْرَهَا فِي تَارِيخِ الْآدَابِ الْعَرَبِيَّةِ ، قَالَ :

يَالَيْلُ الصَّبِّ مَتَى غَدُهُ	أَقِيَامُ السَّاعَةِ مَوْعَدُهُ
رَقَدَ الشُّمَارُ وَأَرْقَهُ	أَسْفُ لِلْبَيْنِ يُرَدِّدُهُ
فَبَكَاهُ النَّجْمُ وَرَقَّ لَهُ	مِمَّا يَرْعَاهُ وَيَرْتَصِدُهُ
كَلِفٌ بَغْزَالٍ ذِي هَيْفٍ	خَوْفًا الْوَاشِينَ يُشْرِدُهُ
نَصَبْتُ عَيْنَايَ لَهُ شَرَكًا	فِي النَّوْمِ فَعَزَّ تَصِيدُهُ
وَكُنِّي عَجَبًا أَنِي قَنِصُ	لِلسُّرْبِ سَبَائِي أَغِيدُهُ
صَمٌّ لِلْفِتْنَةِ مُنْتَصِبٌ	أَهْوَاهُ وَلَا أَتَعْبِدُهُ
صَاحٍ وَالْخَمْرُ جَنَى فِهِ	سُكْرَانُ اللَّحْظِ مُعْرِبِدُهُ
يَنْضُو مِنْ مُقْلَتِهِ سَيْفًا	وَكَأَنَّ نَعَاسًا يُغْمِدُهُ
فِيرِيقُ دَمِ الْعِشَاقِ بِهِ	وَالْوَيْلُ لِمَنْ يَتَّقِدُهُ
كَلَّا لَا ذَنْبَ لِمَنْ قَتَلَتْ	عَيْنَاهُ وَهُوَ تَقْتُلُ يَدُهُ
يَا مَنْ جَعَدَتْ عَيْنَاهُ دَمِي	وَعَلَى خَدَّيْهِ تَوَرَّدُهُ
خَدَّكَ قَدْ اعْتَرَفَا بَدَمِي	فَعَلَاةَ جُفُونِكَ تَجْحَدُهُ
إِنِّي لِأَعِيدُكَ مِنْ قَتْلِي	وَأُظْنُكَ لَا تَعْمَدُهُ

(١) تجد هذه المعارضات في مجموعة صغيرة شعرها الأديب محي الدين افندي رضا

بالله هب المشتاق كرى ففعل خيالك يسبده
 ماضرك لو دوايت ضنى صب يدنيك وتبعده
 لم يبق هواك له رمقا فانسك عليه عوده
 وغدا يقضى أو بعد غد هل من نظري يزوده؟
 يا أهل الشوق لنا شرق بالدمع يفيض مورده
 يهوى المشتاق لقاءكم وضروف الدهر تبعده
 ما أحلى الوصل وأعذبه لولا الأيام تنكده
 بالبين وبالهجران فيا لفؤادي كيف تجلده

ومن عارض هذه القصيدة من المتقدمين نجم الدين القمراوى إذ يقول:

قد ما مريضك عوده ورثى لأسيرك حسده
 لم يبق جفاك سوى نفس زفراش الشوق تصده
 هاروت يعنين من السحر إلى عينيك ويسنده
 وإذا أغمدت اللحظ فتكت فكيف وأنت تجرده
 كم سهل خدك وجه رضا والحاجب منك يعقده
 ما أشرك فيك القلب فليم فى نار الهجر مخلده؟

وناصح الدين الأرجانى إذ يقول:

ها أنت بطولك مسنده بالليل فصبحك موعدة
 لا كان قصير الليل فتى ميعاد منيته غده
 فى صدرى من كلف بكلم جند للشوق يجنده
 أعنيل اللحظ وعلته منها المتألم عوده
 عينك لسفك دمي مجننا فالضدح علام تجده
 ودمى لا يحسن محله فى الناس فليم تتقلده
 لم أنس برامة موقفنا والشمل أظل تبدده

رَشَاءٌ قَدْ أَفَلَتَ مِنْ شَرِّكَى والبين غدا يتصيدُهُ
 مِرْبٌ قَدْ عَنَّ بَدَى سَلَمٍ وغدا بفؤادى أُغِيدُهُ
 وَتَطَاوُلُ يُتْبِعُهُمْ نَظْرًا صبُّ قَدْ طَالَ تَبَلْدُهُ
 حِرَانُ الْقَلْبِ مُتَيِّمَةٌ حيران الطرف مُسَهَّدَةٌ
 وَأَبْرَعُ مَنْ عَارِضَهَا مِنَ الْمَعَاصِرِينَ فَخَرُّ مِصْرَ وَالشَّرْقِ أَمِيرُ الشُّعْرَاءِ أَحْمَدُ
 شوقى (بك) إذ يقول :

مُضْنَاكَ جَفَاءُ مَرَقَدُهُ وبكاهُ ورحمَ عَوَدُهُ
 حِرَانُ الْقَلْبِ مُعَذِّبَةٌ مقروح الجفن مُسَهَّدُهُ
 أَوْدَى حُرْقًا إِلَّا رَمَقًا يُبْقِيهِ عَلَيْكَ وَتُنْفِدُهُ
 يَسْتَهْوَى الْوُرُقَ تَأْوُهُهُ ويذيب الصخر تَهْدُهُ (١)
 وَيُنَاجِي النُّجْمَ وَيَتَّبِعُهُ وَيُقِيمُ اللَّيْلَ وَيُقْعِدُهُ
 وَيُعَلِّمُ كُلَّ مَطْوِقَةٍ شَجَنًا فِي الدَّوْحِ تَرْدَدُهُ
 كَمْ مَدَّ لَطِيفِكَ مِنْ شَرِّكَى وَتَأْدَبَ لَا يَتَصِيدُهُ
 فَعَسَاكَ بَغْمُضٍ مُسْعِفُهُ وَلَعَلَّ خِيَالِكَ مُسْعِدُهُ
 الْحَسَنُ حَلَفْتُ « بِيُوسُفِهِ » وَ « السُّورَةِ » أَنْكَ مُفْرَدُهُ
 قَدْ وَدَّ جَمَالَكَ أَوْ جَسَدَهُ حورًا: أَخَذَ وَمِرْدَدُهُ
 وَتَمَنَّتْ كُلَّ مَقْطَعَةٍ يَدَهَا لَوْ تُبَعْتُ تُشْهِدُهُ
 جَعَدْتُ عَيْنَكَ زَكَى دَمِي أكَذَلِكَ خَدَاكَ يَجْحَدُهُ
 قَدْ عَزَّ شَهْرُودِي إِذْ رَمَتَا فَأَشْرَتْ لِحْدَكَ أَشْهِدُهُ
 وَهَمَمْتُ بِجِيدِكَ أَشْرِكُهُ فَأَبَى وَاسْتَكْبَرَ أَصِيدُهُ
 وَهَزَزْتُ قَوَامَكَ أَعْظِفُهُ فَبَا وَتَمَنَعُ أَمْلَدُهُ (٢)

(١) الورق : جمع ورقاء وهى الحمامة (٢) الأملد والأملود : العنن اللين الناعم

سببٌ لرضاك أمهدهُ ما بال الخصر يُمقدهُ
بيني في الحب وبينك ما لا يقدر واشٍ يُفسدهُ
ما بال العاذل يفتح لي باب السُلوان وأوصدهُ
ويقول : تكاد تُجنُّ به فأقول : وأوشك أعبدهُ
مولاي وروحي في يدهِ قد ضيَّعها ، سَلِمَتْ يدهُ !
ناقوسُ القلب يدقُّ له وحنايا الأضلعُ مَعْبَدُهُ
حُسادى فيه أعذرهم وأحقُّ بعذرى حُددُهُ
قَسماً بئنايا لؤلؤها قسم الياقوتَ مُنضدُهُ
ورُضابٍ يوعدُ كوثرَهُ مقتول العشق ومُشهدُهُ
وبخالٍ كاد يُتخجُّ له لو كان يُقبَل أسودُهُ
وقوامٍ يرَوى العفنُ نهُ نسباً والرمح يُفندُهُ
وبخضري أوهن من جلدِي وَعَوَادى الهجر نبددُهُ
ماخنت هواك ولاخطرتُ سلوى بالقلب تبردُهُ

وإنما ذكرت حياة أبي الحسن الخُصري ، وشيئاً من أخباره ، لأنى رأيت
أكثر الناس يحسبونه صاحب زهر الآداب ، ولأنى أحب دائماً أن أقدم للقارىء
ما يُمتنعُ عقله ووجدانه من المعارف الأدبية ، لأية مناسبة ؛ ولأن أبا الحسن
الخُصري ابن خالة أبي إسحاق الخُصري صاحب زهر الآداب ، وفي هذه القرابة
ما يدعو للتنبؤ به في هذا المقام ، والظفر للقارىء على أى حال (١) .

(١) في كتاب « الموازنة بين الشعراء » فنل مسهب في الموازنة بين الخُصري
وشوقى ؛ فليرجع إليه القارىء ، إن شاء .

أبو إسحاق الحصرى

أما أبو إسحاق الحصرى فهو إبراهيم بن علي بن تميم، المتوفى سنة ٤٥٣ هجرية وقد عُني به كثير من كتّاب التراجم : فتكلم عنه ابن رَشِيْقٍ في الأَنَمْوِجِ ، وابن بَسَّام في الذخيرة ، والرشيدين الزبير في الجنان ، وابن خلكان في وفيات الأعيان .

وقد كان شباب القيروان — فيما قالوا — يجتمعون عنده ، ويأخذون عنه ، وكان لديهم من المُكْرَمِينَ .

شعره ونثره

أورد ابن رَشِيْقٍ من شعره هذين البيتين :

إني أَحِبُّكَ حُبًّا لَيْسَ يَبْلُغُهُ فَمَهْمٌ ، وَلَا يَنْتَعِي وَصْفًا إِلَى صِفَتِهِ
أقصى نهاية علمي فيه معرفتي بالعجز مِنِّي عن إدراك مَعْرِفَتِهِ

وأورد له ابن بَسَّام هذين البيتين :

أوردَ قَلْبِي الردى لأم عِذَارٍ بَدَا
أسود كالكفر في أبيضَ مثل الهدى

واختار له ياقوت هذه المقطوعة :

يا هل بكيت كما بَكَتْ وُرُقُ الحمايم في الغُصُونِ
هتفت سُحَيْرًا ، والرَبِي للقطر رافعة الجفونِ
فكانها صاغت على شَجْوِي شَجَى تلك اللحونِ
ذَكَرَتْنِي عهداً مضى للأنس منقطع القرينِ
فتصرمت أيامها وكأنها رَجَعُ الجُفُونِ

واختار له أيضاً :

كتمتُ هواك حتى عيل صبرى وأدنتى مكاتمتى لرمى
ولم أقدر على إخفاء حال يحول بها الأسى دون التأسى
وحبك مالك لحظى ولفظى وإظهارى وإضمارى وحسى
فإن أنطقُ ففبك جميعُ نُطقى وإن أسكت ففبك حديث نفسى

ولو نقلت إلينا من شعره طائفة صالحة لاستطعنا أن نعين منزلته بين الشعراء .
أما اثره فمستلح ، ويغلب فيه السجعُ المقبول ، الخالص من شوائب الصنعة
والتكلف ، والسجع في الأصل حلية وزينة ، وإنما يعاب عند الغنوة والإغراق .
وإليكم أنموذجاً مما جاء من اثره في مقدمة كتابه ، قال :

« ولم أذهب في هذا الاختيار ، إلى مطولات الأخبار ، كأحاديث صعصة
ابن صوحان ، وخالد بن صفوان ، ونظائرها ؛ إذ كانت هذه (يريد الفقر الصغيرة)
أجمل لفظاً ، وأسهل حفظاً ، وهو كتاب يتصرف فيه الناظر من ثرد ، إلى شعره ،
ومطبوعه ، إلى مصنوعه ، ومحاورته ، إلى مفاخرته ، ومناقضته ، إلى مساجلته ،
وخطابه المبهت ، إلى جوابه المسكت ، وتشبيهاته المصيبة ، إلى اختراعاته العربية ،
وأوصافه الباهرة ، إلى أمثاله السائرة ، وجيده المعجب ، إلى هزله المطرب ، وجزله
الرائع ، إلى رقيقه البارع » .

وهذا كما ترى سجعٌ يجمع بين دقة الضنع ، ورقة الطبع ، فهو في دقته
مطبوع ، لا مصنوع .

طريقته في التأليف

الأدبُ لا موضوع له ، كما يقول أستاذنا الجليل الشيخ سيد المرصفي ،
وكذلك كان يفهمه أبو إسحاق الحضري ، فهو لا يحفل بترتيب المسائل ،
ولا بتبويب الموضوعات . وإنما يتصرف من الجدل إلى الهزل ، ومن الأوصاف

إلى التشبيهات ، ومن الشعر إلى النثر ، ومن المطبوع إلى المصنوع ، وهذه الطريقة من أهم الطُّرُق في التأليف ، وإن عابها مَنْ لا يفرق بين الموضوعات العلمية ، والموضوعات الأدبية .

ذكروا أنه ترك كتاباً اسمه « المصُون في سر الهوى المكنون » في مجلد واحد ، فيه مُلَح وآداب ، أما كتابه الخالد فهو « زهر الآداب ، وثمر الألباب » وإنه ليسجع حتى في تسمية كتبه ، وكذلك كان يفعل في عهده المؤلفون .

التعريف بزهر الآداب

كان المتقدمون لا يَصِفُونَ زهر الآداب إلا بأنه « جَمَع كلَّ غَرِيبَةٍ » وهو وصف صادق ، وإني إذا كررتُ هنا بعضَ صفات هذا الكتاب ، وعلى الأخص الصفات التي تعين منهج مؤلفه ، وتميز اتجاه بعض الأفكار في العصر الذي عاش فيه . وإنا لنجده :

أولاً : يهتم ببراعة المطلع ، وحسن الختام ، فيبدأ كتابه بهذه الجملة : « الحمد لله الذي اختص الإنسان بفضيلة البيان ، وصلى الله على محمد خاتم النبيين ، المرسلين بالنور المبين ، والكتاب المستبين ، الذي تحدى الخلق أن يأتوا بمثله ، فعجزوا عنه ، وأقروا بفضله ، وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً » ويختتمه بهذه العبارة :

« وقال ابن الأعرابي : أمدح بيتَ قاله المحدثون قول أبي نواس :
أخذت بجبلٍ من جبال محمدٍ أمنتُ به من طارقِ الخدَّانِ^(١) .
ثانياً : يُعنى عنايةً خاصةً بالكلام عن الصحابة والتابعين ، فينقل أخبارهم ، ويدون آثارهم ، وكانت هذه فيما يظهر عادةً إسلامية ، في ذلك الحين .

(١) في بعض النسخ الخطية فصل في صفات الله — عز وجل — ختم به الكتاب وذلك توفيق في حسن الختام — هكذا ، وفي نسخة أن ختام الكتاب فصل في ذكر النبي صلى الله عليه وسلم (م) .

ثالثاً : يجعل الكلام في المصيبة بأبناء النبوة باباً من أبواب الأدب ؛ فينقل هذه التعابير :

قد نُعِيَ سَلِيلٌ من سُلالة النبوة ، وفرع من شجرة الرسالة ، وعضو من أعضاء الرسول ، وجزء من أجزاء الوصيِّ والبتول .

تجدد في بيت الرسالة رُزءٌ جدد للمصائب ، واستعاد النوائب ..
إنها لمصيبة تحيَّفت جانب الوحي المنزل ، وذكَرت بموت النبي المرسل .
إلخ إلخ :

ويتصل بهذا عنايته بأوصاف الأشراف ، كنقله هذه العبارات :
« استقى عرقه من منبع النبوة ، ورضعت شجرته من ثدى الرسالة ، وتهدَّلت أغصانه عن تَبعة الإمامة ، وتبججت أطرافه في عَرَصَة الشرف والسيادة ، وَتَفَقَّات بيضته من سُلالة الطهارة ، قد جذب القرآن بضْبِعِهِ ، وشقَّ الوحي عن بصره وسمعه » إلخ إلخ .

وهذا الاتجاه يدل على وجهة سياسية خاصة ، فَصَّلْتُهَا بعضَ التفصيلِ في كتاب « الأخلاق عند الغزالي » وإلا فإن النبي يقول : « من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه » بل الله يقول : « فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ » .

رابعاً : يُبْدَى الحُضْرَى ويُعيد في الكلام عن البلاغة والبلغاء ، والشعر والشعراء ، والإنشاء والمنشئين ، وكذلك كان أهلُ عصره يهتمون بدر النثر والشعر ، ونحن مَدِينُونَ لهم بما يتصل بهذا الباب من المعارف الأدبية .

خامساً : يذكر كثيراً من الآداب الاجتماعية التي كان يحمدها الناس لعهدِهِ ، فيذكر ما يحمل في معاملة الملوك ، ويتحدث عن فضل الليل ، والحرص على الأدب ، وواجب النَّسَاح ، وما إلى ذلك مما يتصل بما على المرء من الواجبات . وما له من الحقوق .

إغفال المجون

وقد جرى أبو إسحاق الحصرى فى زهر الآداب على إغفال المُجُون ، فنحده
يقول عن راشد بن أرشد :

« وله مذهب استفرغ فيه أكثر شعره ، وصُنْتُ الكتاب عن ذكره .
وقد صرحت بإنكار هذا النهج فى « مدامع العشاق » وبينت هناك أن
حرص الحصرى على الأخلاق ضيِّع علينا ما أعرض عنه من الآثار الأدبية ،
وكنافى حاجة إلى أن نعرف كل مآرك الأولون !

وأحب أن يعلم القارىء أن المجون لون من ألوان الغذاء التى تحيا بها العقول ،
فكما أن الأجسام تحتاج فى تغذيتها إلى المواد المختلفة ، والعناصر المتنوعة : من
الملاح ، والخلو ، والمر ، كذلك العقولُ تحتاج فى تغذيتها إلى المعارف المتباينة :
من جدِّ القول وهزله ، وحلوه ومرّه ، ولكن أكثر الناس لا يفقهون !

على أن الحصرى لم يُخلِّ كتابه من المجون ، بل ومن فاحش المجون ،
وللقارىء أن يتتبع ما وقع من ذلك فى ألقاف الكتاب ليرى كيف غلب لمؤلف
على أمره ، فأباح ما لا يباح !

تهذيب كتب المتقدمين

يهتم كثير من علماء العصر بتهذيب كتب المتقدمين ، وهذا التهذيب ينحصر في حذف المجون وضم بعض الموضوعات إلى بعض ، وأنا أنكر هذا الأسلوب ، والعهد قريب بما كتبه أستاذنا الدكتور طه حسين في نقد مهذب الأغاني الذي أظهره الأستاذ الكبير محمد بك الخضري منذ أسابيع ، ويرجح أن يترك المعاصرون هذه الطريقة المنكرة ، بعد تلك الحملة التي أصابها صاحب حديث الأربعاء .

تهذيب زهر الآداب

ولقد رأيت أن أترك تلك الطريقة في تهذيب زهر الآداب ؛ لأن المؤلف لم يرد أن يكون كتابه ذا فصول وأبواب ، وإنما أراد أن يتصرف القارىء فيه من الشعر إلى النثر ، ومن الجدل إلى الهزل ، إلى آخر ما قال .

وقد ظلّ بين يديّ نحو تسعة أشهر ، وأنا معتقل في سنة ١٩٢٠ ، قرأته ، ثم قرأته ، وعُنيْتُ بضبطه ، وتصحيح ما وقع فيه من الأغلاط ؛ ثم رأيت أن أفصله ، والتفصيل فيما أريد سو أن أضع عنواناً لكل موضوع ، وما أكثر ما في الكتاب من الموضوعات ؛ لأن المؤلف وضع قليلاً من العناوين ، ثم أخذ يستطرد من معنى إلى معنى ، ومن غرض إلى غرض ، من غير أن يهتم بالترتيب والتبويب . وأرجو أن لا يجد القارىء في هذا الصنيع تشويهاً لعمل المؤلف فقد أبقيت الكتاب كما هو ، وأبقيت على عناوينه وأبوابه ، وفقره وفصوله ، ووضعت ما أبدعت من العناوين في بُنْط خاص ، فإذا شاء القارىء أن يعرف كيف وضع الكتاب مؤلفه فليرفع فقط ما جَدَّ من العناوين .

أهمية هذا التفصيل

على أننى مطمئن إلى ما صنعت ؛ فقد كان الكتاب متقاذف الأرجاء ، بسبب ما كثر فيه من الاستطراد ، فأصبح بفضل هذا التفصيل ، محدود الموضوعات ، بحيث يهتدى فيه القارئ إلى مئات المسائل الأدبية ، من غير أن يكلف نفسه عناء البحث والتنقيب .

ولم أحجم عن تكرار العنوان الواحد حين يقتضى المقام ذلك ، وربما أضفت كلمة يميز بها العنوان الجديد^(١) .

الضبط والشرح

كان زهر الآداب مطبوعاً على هامش العقد الفريد^(٢) ، من غير ضبط ولا شرح ، وكان يكفى أن يطبع الكتاب طبعة أزهرية ليصبح مثلاً فى الميخ والتشويه ، ولتتقذى فى قراءته العيون ، وتضل فى فهمه العقول ؛ فأنفقت من جهدى ومن وقتى ، فى تحقيق ما جناه مرث السنين وعبث الجاهلين ، ما لا أمّن به على القارئ إلا وأنا آسف محزون ؛ لأنى مدين لمن طبعوه أول مرة على أى حال ، أحسن الله جزاءهم ، وتجاوز عما رمانم به الزمن من ألوان الضعف والقصور .

فى الطبعة القديمة كثير من الأغلط ، ولا غرابة فى ذلك ، فقد كان الأدب بوم ظهرت قليل الأنصار ، وقد اعتمدت فى ضبط هذه الطبعة على مراجعة الأصول التى أخذ منها زهر الآداب ، وعلى ما أثق به من مختلف المعاجم والقواميس ، فإن استطاع القارئ أن يلفتنى إلى خطأ فاتنى إصلاحه ، فإنى بشكره خلىق .

(١) قد أخذنا خطة أخرى فى هذه الطبعة ستتحدث عنها بعد (م)

(٢) وطبع نصفه مستقلاً فى الطبعة الوهية ، بدون تأريخ (م)

أما الشرح فقد اجهدت في أن يكون غاية في الإيجاز ؛ لأن الإطناب في شرح الكتب الأدبية من جملة العيوب ، وقد تمر الصفحة بلا شرح ، حين تستغنى عن ذلك ؛ لأنى أمقت التكلف ، وأبغض المتكلفين .
وقد قسمت الكتاب إلى أربعة أجزاء ، وكان المؤلف قسمه إلى ثلاثة ، وهي مسألة اعتبارية ؛ لأن الكتاب في الأصل مبنى على التنقل والاستطراد .

قيمة زهر الآداب

كان المتقدمون يُمنون بدراسة الكامل للبرد ، والبيان والتبيين للجاحظ ، وأدب الكاتب لابن قتيبة ، والنوادر لأبي علي القالي ، وكانت هذه الكتب أصول الأدب عندهم كما ذكر ابن خلدون ، وعندى أن زهر الآداب أغزر مادة ، وأكبر قيمة من جميع تلك المصنفات ؛ لأن ذوق الحُصري ذوق أدبيٌّ صِرْفٌ ، أما أولئك فقد كانت أهواؤهم موزعةً بين اللغة ، والرواية ، والنحو ، والتصريف . إن زهر الآداب دائرة معارف أدبية ، شاء الله أن تسلم من جنابة الليالي والحمد لله على أن كنت الموفق إلى إحياء هذا الأثر النفيس .

محمد زكي عبد السلام مبارك

٢٢ فبراير سنة ١٩٢٥

مقدمة الطبعة الثانية

موضع زهر الآداب ، الوصف عن كتاب القرن الرابع ، نماذج من
التعابير الوصفية ، نظرية الفن للفن وقيمة الزخرف والصنعة ، المحصرات
الادبية في القرن الرابع

رأى القارىء في مقدمة الطبعة الأولى إشاراتٍ إلى الخصائص التي امتاز بها
زهر الآداب ، ونريد في هذه الكلمة أن ننص على أن هذا الكتاب أريد به أن
يكون صورة للعصر الذي عاش فيه مؤلفه رحمه الله ، وإنه ليذكر أن أبا الفضل
العباس بن سليمان رحل إلى المشرق في طلب الكتب « باذلا في ذلك ماله ،
مستعذبا فيه تعب ، إلى أن أورد من كلام بلغاء عصره ، وفصحاء دهره ، طرائف
طريفة ، وغرائب غريبة » ثم سأله أن يجمع له من مختارها كتابا يكتب به عن
جملتها ، وأن يضيف إلى ذلك من كلام المتقدمين ما قاربه وقارنه وشابهه ومائله إلخ
فغاية الكتاب إذا تخير ما طاب من ثمرات العقول في أواخر القرن الرابع وأوائل
القرن الخامس .

ولندكر أولا أن الحصرى توفى سنة ٤٥٣ ، ولكننا نرجح أنه وضع زهر
الآداب قبل وفاته بأكثر من عشرين عاما ، فقد حدثنا في أثناء كتابه أنه
يعاصر الثعالبي : إذ قال « وأبو منصور يعيش إلى وقتنا هذا » حين أشار إلى مختار
ما كتبه الميكالى إليه . والثعالبي توفى سنة ٤٢٩ ؛ وإنما عيّننا أواخر القرن الرابع
وأوائل القرن الخامس لأن الحصرى أشار إلى أن فيمن نقل عنهم من أدركه
بعمره ، أو لحقه أهل دهره . ولذلك العيد من حياة الأدب طابع خاص ، فصلت
خصائصه ومميزاته في كتابى الذى وضعته بالفرنسية عن النثر في القرن الرابع ،
وإني لمشير هنا إلى بعض الجوانب البارزة في أدب ذلك العصر ؛ ليكون القارىء

على بينة من الروح الذي استوحاه مؤلف زهر الآداب .

أظهر ميزة في ذلك العصر هي إجادة الوصف ، فقد اهتم كتّابه اهتماماً عظيماً بوصف ما وقعت عليه أعينهم أو جرى في خواطرهم ، ولم يكن الوصفُ عندهم ، ما يأتي عفواً عند المناسبات الطلّثة ، كما كان الحال في أوائل العصر الإسلامي ، لا ، بل عمدوا استقصاء الموضوعات الوصفية : فأطالوا الحديث عن الأزهار ، والرياض ، والنبات ، والنسيم ، والرياح ، والليل ، والنجوم ، والجداول ، والغدران ، والأنهار ، والبحار ، والأحواض ، والقصور ، ومنازل اللهو ، ومجالس الشراب ، والنساء ، والعلمان ، والجواري السود ، والقيان ، وآلات الطرب ، ومحاسن الشباب ، وأهوال المشيب ، والرعد والبرق ، والمطر والثلج ، والصحو ، والبلاغة والشعر والنثر ، والخيل ، والسيوف ، والنار ، والأفاعي ، والثعابين ، والطيور ، والأطعمة ، والنواكح ، والسكاكين ، والكؤوس ، والخواتم ، والحلى ، والقلائد ، والمحابر ، والأقلام ، والسفن ، والدواب ، والجيوش ، والأساطيل ، وأيام الصيف والشتاء والربيع .

وأطنبوا في وصف المعاني الوجدانية ، كما أطنبوا في وصف المراتب ، فتكلموا عن أهواء النفوس ونزعتها ، فوصفوا الحقد ، والبغض ، والكرم ، والنبيل ، وعرضوا لما يقع لأهل المهن وللرؤساء من المنآت والعورات . كل ذلك بطريقة مقصودة تدل على أنه كان لهم برنامج خاص لم يعرفه أسلافهم . وهذا المذهب له عيوبه ومزاياه : فعليه أنه حملهم على التكلف والإسراف ، وحسنه أنه حملهم على تنظيم أفكارهم ، وترتيب أغراضهم ، فإن القارىء يرى لهم قوة في تصوير المراتب والمعنويات لا يراها لمن سبقهم ، وذلك بفضل هذا الاتجاه الذي جعل في عصرهم مدرسة وصفية لا تراها في عصر الخلفاء ولا عهد بني أمية ولا أوائل أيام بني العباس .

ولا تنكر أن الكتّاب السابقين أجادوا الوصف في كثير من الموضوعات

ولكننا نقرر أن كتاب القرن الرابع عمدوا إلى كل ما يقع عليه الحس ،
أو يجري في الخاطر ، أو ينقده العقل ، فوصفوه وصفا منفصلا مقصوداً بطريقة
لم يفكر في مثلها المتقدمون .

وقد قدم لنا صاحب زهر الآداب شواهد كثيرة في مواطن متفرقة من كتابه
عن الأوصاف التي عني بها كتاب ذلك العصر . فلنثبت منها شيئا ليرى القارىء
صدق ما نراه من قصد رجال ذلك العهد إلى إجادة الوصف .

من ذلك قولهم في وصف الماء :

ماء كالزجاج الأزرق .

غدير كعين الشمس .

لغة كلسان الشمعة ، في صفاء الدمعة ، يسبح في الرضراض ، سبوح النضناض .

ماء أزرق كعين السُّنور ، صاف كقضيبي البلور .

غدير ترقرقت فيه دموع السحائب ، وتواترت عليه أنفاس الرياح الغرائب .

وقولهم في وصف سكين :

« سكين كأن القدر سائقها ، أو الأجل سابقها ، مُرهفة الصدر ، بمنطقة

الخضر ، يجول عليها فرند العتق ، ويموج فيها ماء الجواهر ، كأن المنية تبرق من

حدها ، والأجل يلعب من متنها ، رُكبت في نصاب آبنوس ، كأن الحدق نفضت

عليه صبغها ، وحب القلوب كستة لباسها ، أخذ لها حديدتها الناصع بحظ من الروم ،

وضرب لها نصابها الحالك بسهم من الزنج ، فكانها ليل من تحت نهار ، أو حجر

أبدى سنا نار ، ذات غرار ماض ، وذباب قاض .

سكين أحسن من التلاق ، وأقطع من الفراق ، تفعل فعل الأعداء ، وتنفع

نفع الأصدقاء . »

وقولهم في وصف متكبر :

« قد أسكرته خمر الكبر ، واستغرقته لذة التيه ، كأن كسرى حامل
غاشيته ، وقارون وكيل نفقته ، وبلقيس إحدى داباته ، وكان يوسف لم ينظر
إلا بطلعته ، وداود لم ينطق إلا بنغمته ، ولقمان لم يتكلم إلا بحكمته ، والشمس لم تطلع
إلا من جبينه ، والغمام لم يبدُ إلا من يمينه » .

وكان من أثر ذلك أن أصبح هذا العصر غنياً جداً بالتعابير الوصفية الرائعة
في أكثر أبواب الوصف . ومن ذا الذي يرتاب في جمال قولهم في وصف النثر
والنظم مما اختاره صاحب زهر الآداب :

نثر كثير الورد ، ونظم كمنظم العقد .

نثر كالسحر أو أدق ، ونظم كالماء أو أرق .

رسالة كالروضة الأنيقة ، وقصيدة كالخندرة الرشيقية .

نثر كما تفتح الزهر ، ونظم كما تنفس السحر .

وقولهم في أوصاف النساء :

هي روضة الحسن ، وضرة الشمس ، وبدر الأرض .

هي من وجهها في صباح شمس ، ومن شعرها في ليل دمس ، كأنها فلكة
فر على برج فضة .

بدر التم يضيء تحت نقابها ، وغصن البان يهتز تحت ثيابها .

لها عنق كإبريق اللجين ، وسرة كدهن العاج .

مطلع الشمس من وجهها ، ونبت الدر من فمها ، وملقط الورد من خدها ،

ومنبع السحر من طرفها ، ومبادئ الليل من شعرها ، ومغرس الفصن من قدها ،

ومهيل الرمل من ردفها . . . إلخ .

وقولهم في صفات الغلمان :

جاءنا في غلالة تنمّ على ما يسترد ، وتحنو مع رقبتها على ما يظهره .
الجنة مجتناة من قربه ، وماء الجمال يترقق في خده ، ومحاسن الربيع بين
سحره ونحره ، والقمر فضلة من حسنه .
له طرّة كالنسيق ، على غرة كالقلق .
الحسن ما فوق أزراره ، والطيب ما تحت إزاره .
هو قمر في التصوير ، وشمس في التأثير .

وجه بماء الحسن مغسول ، وطرف بمروّدي السحر مكحول
شادن فاطر طرفه ، ساحر لفظه ، تكاد القلوب تأكله ، والعيون تشربه .
السحر في الحاظه ، والشهد في ألفاظه . . الخ .
ولقد ظلت هذه التعابير الوصفية منبعاً يستقى منه الكتاب إلى العصر
الحديث والنقاد في مصر أعجبوا بقول حافظ إبراهيم في وصف الصبياء :

خمرة قيل إنهم عصروها من خدود الملاح في يوم عرس
وهو خيال سبق إليه كتاب القرن الرابع ، وردده ابن خفاجة إذ قال :
وشربتها عذراء تحسب أنها معصورة من وجنتي عذراء
وقد ظن أستاذنا الدكتور طه حسين أن حافظ إبراهيم أول من ألمّ بهذا^(١)
الخيال فنقده وسنّفه حين عرض لنقد ترجمة البؤساء . فليقل المعركة إذن إلى
ميدان القرن الرابع ، وإن كنت لا أدري كيف يعاف الشراب المعصور من
خدود الملاح .

وكذلك أعجب النقاد بقول السيد توفيق البكري في وصف النساء
« صدور كالإغريض ، أو صدور البزاة البيض »

(١) الذي أذكره أن أدباء مصر ذهبوا إلى أن حافظا ممتاز بذكر قيد « في
يوم عرس » فأما أصل التشبيه فما أحسب أنه غاب عنهم أن حافظا مسبوق به ، وإنما
خص يوم العرس لكثرة ما يغطي الحسان فيه وجوههن بالأصباغ وألوان التحاسين .
ولهذا مدخل في التشبيه (م) .

وهي عبارة مأخوذة من قول الثعالبى في وصف آثار السرى الرفاء :
« كأنها أطواق الحمام ، وصدور البزاة البيض ، وأجنحة الطواويس ، وسوالف
الغزلان ، ونبهود العذارى الحسنان ، وغمزات الحدق الملاح »
وكذلك يمكن رد أكثر التعابير الوصفية التي يُفرم بها كتابُ الصنعة في
العصر الحاضر من امثال الأساتذة : صادق عنبر ، ومحمد السباعى ، ومحمد هلال
وكان القرن الرابع يؤدي للقرون التي تلتها ما أخذه عن القرون التي سبقتة ،
فقد كان كتابه مولعين بحل الشعر لا يرون معنى بديعاً ، ولا حياً طريفاً إلا
اقتبسوه ، وأضافوه إلى ثروتهم النثرية
وقد أشاع كتاب القرن الرابع نظرية (الفن للفن) وإن لم يدركوا ما لهذه
النظرية من الأوضاع والتقاليد ؛ فقد عودوا القراء تذوق الكتابة البديعة ، وحببو
إليهم النثر المصنوع ، فأصبح المتأدبون يتأملون مواقع الألفاظ وقرار التراكيب ،
وصارت فنون البديع من تورية وجناس وطباق أصولاً فنية يجد القارئ لذة
ومُتعة حين يراها وقعت موقفاً حسناً وأصابته الغرض الذي وضعت له ، ولو كان
غرضاً لفظياً لا يتوقف عليه تمام المعنى المقصود

* * *

ونكن أليس لهذا الزخرف قيمة في فهم ذلك العصر؟ بلى ، إنه يدلنا على
أن أولئك الناس عرفوا لغتهم معرفة جيدة ، ووقفوا على أسرارها وطرائق تعبيرها ،
وكان مهمهم أن يرتبوا الألفاظ والمعاني والتعابير والأخيلة ، حتى استطاع كاتبهم أن
يحشر أرباب الصناعات في صعيد واحد ثم ينطقهم بأسرار البلاغة ، كل على
طريقته وبأسلوبه الذي يختاره في مفر مهنته ومهد عمله . وما نحسب كتاب
القرون الأولى مثلاً كانوا يفكرون في جمع شتات اللغة لتصبح طوع أفكارهم
وأقلامهم ، وإنما كانوا قوماً يكتبون في سبيل الوصول إلى أغراضهم بالعبارة

الواضحة الموجزة التي يفهمها عامة الناس وخاصتهم . أما كتاب هذا القرن فقد أصبحوا في حاجة إلى صفة تقرأ لهم وتفهم عنهم ؛ إذ أصبح خيالهم قويا ، ولغتهم غنية ، لا يدرك أسرارها الجمهور ؛ فليس كل قارئ ولا كل سامع بمستطيع أن يتذوق تشبيه الخط الجميل بأزهار الربيع ، والألفاظ بقلائد النحر ، والمعاني بلاليء ، ولا أن يدرك كيف تتمنى كل جارحة أن تكون أذنا تلتقط درر الكلام وجواهره ، أو عينا تجتلي مطالعه ومناظره ، أو لسانا يدرس محاسنه ومفاخره .

إذن فالصنعة التي عُرف بها كتاب القرن الرابع لها وجهان : وجه جميل يدل على حذقهم وبراعتهم ، ووجه آخر يدل على بعدهم من غاية البيان وهي الوضوح ، إذ كان الإغراق في الصنعة بابا من الغموض

ومن أهم الجوانب التي تمثل الحياة العقلية في ذلك العصر الخصومات العنيفة التي قامت بين الكتاب ؛ فقد كانت بينهم مناوشات ومجادلات نشأت عن أطماعهم في الحياة المادية ، وكانوا يمثلون غالبا طوائف من الأفكار الدينية والسياسية يقومون في الدفاع عنها بما تقوم به الجرائد المفرضة في العصر الحاضر ، وكان لهم من القوة ما كان للشعراء ؛ فلم يكن بد من أن يتنافس أصحاب الملك في تزيينهم ، ولم يكن بد كذلك من أن يتنافس هؤلاء في الاستئثار بالخطوة عند الوزراء والرؤساء والملوك

وفي الرسالة التي كتبها بديع الزمان إلى أبي نصر بن المرزبان فقرات مرة تمثل ما كان عليه كتاب ذلك العصر من الطمع في المناصب الرسمية ومن ضعف الخلق عند الغنى ، ومن التبل عند الفقر : « تنسيهم أيام اللدونة ، أوقات الخشونة ، وأزمان العذوبة ، ساعات الصعوبة » وقد كانوا كما قال : « ما اتسعت دورهم ، إلا ضاقت صدورهم ، ولا أوقدت نارهم إلا انطفأ نورهم ، ولا زاد ما لهم إلا »

معروفهم ، ولا وُرِمَتْ أكياسُهم إلا وُرِمَتْ أنوفهم ، ولا صلحت أحوالهم ، إلا فسدت أعمالهم ، ولا فاض جاههم ، إلا غاضت مياههم ، ولا لانت بُرودهم ، إلا صلبت خدودهم»^(١)

وفي تلك المنافسات الشديدة ، وتلك الدسائس الملعونة ، التي كانت تقع بين الكتاب ، دليلٌ على جَسَمهم في حب الحياة ، وفهمهم لها فيما ماديًا يتناسب مع تلك العبقريات الغنية التي ظهرت في قَرَمهم ورسائلهم وأبحاثهم ؛ فإنه من المؤلم أن تظل قوة الحقد ويقظة الأثرة ، وشدة العداوة ، في كل عصر من السَّماتِ الغالبة على كبار الكتاب ، ومن النادر أن تجد كاتبًا كريمًا يعطف على زميلاته ، ويجب لهم الخير ، ويتمنى لهم السَّداد . وقد بما أفرغت هذه الظاهرة عبد الحميد بن يحيى - وكان رجلاً نبيلًا - فكتب وصيته المعروفة يدعو بها الكتاب إلى التعاون ونبذ الأحقاد ، وفي أيامنا تُبعث تلك الشرائل من جديد ؛ فلا نجد كاتبًا في العالم العربي يحب لأخيه ما يجب لنفسه ، بحيث نظن أن شوب العبقرية يوحى بالطمع ، والاستبداد بالفضل ، والاستئثار بالجاه

وأهم الخصومات التي وقعت بين كتاب ذلك العصر خصومة الهمداني والحوارزى ، وخصومة التوحيدى والصاحب بن عباد

أما خصومة الهمداني والحوارزى فترجع إلى رغبة الهمداني في الظهور ، وطمعه في الانفراد بالشهرة ، وأهم مصدر لهذه الخصومة الرسالة المطولة التي كتبها الهمداني في وصف المناظرة التي قامت بينه وبين الحوارزى ، وهي رسالة مفرضة مملوءة بالتحامل والصَّغَرنة ، وليس فيها أفكار جديدة تجعل خصومة بين عقليين ، إنما هي محاورات لغوية تدل على غلبة الزخرف وتمكنه في السيطرة على عقول أهل

ذلك الجليل . ولو أن الخوارزمي دون بدوره تلك المناظرة لرأينا وجهين في بسط ذلك الحادث الأدبي ، واستطعنا أن نستخلص من مقابلة النصين نفس الرجلين ، ولكن الهمداني تكلم وحده ؛ فعرفنا فقط مبلغ زهوه وكبريائه وطمعه في كبت كاتب كان يومئذ على رأس الكاتبين .

أما خصومة التوحيدى لابن عباد فترجع فيما ذكر كتاب التراجم إلى سبب مادي ، وذلك أن التوحيدى رَغِبَ في مال ابن عباد وجاهه ، فضاق عنه صدره هذا ، فكتب التوحيدى كتابه « أخلاق الوزيرين » وهو كتاب جارح كشف به عورات ابن العميد وابن عباد . ثم عاد إليهما بالتجريح أيضا في كتابه « الإمتاع والمؤانسة » وأسلوبه في الهجاء أسلوب خطر فظيع ؛ إذ يخلق الحوادث والإشارات وينظفهما برسائل ومقطوعات تهوى بهما إلى الحضيض . ويعتبر التوحيدى من الوجهة الفنية رجلا خصب الذهن ، غنى اللغة ، وافر الحصول ، قوى الخيال .

وقد تنبه المتأدبون إلى تحامل التوحيدى وإسرافه في التعصب والتحامل وشاع الاعتقاد بأن كتابه « أخلاق الوزيرين » كتاب مشتم ، لا يملكه أحد إلا انعكست أحواله ، ويذكر ابن خلكان أنه جرب هذا وجرب به من يثق به^(١) فإذا صح هذا الوهم كان التوحيدى قد عوقب على بغيه وظله وبهتانه ؛ فقد أنظر الصحاح بن عباد بعبارات مخجلة يندى لها وجه القارى ، وينفر منها الطبع والدوق ، وإن كانت وضعت بأسلوب شائق خلاب .

(١) ارجع إلى « وفيات الأعيان » ج ٢ ص ٢٧٠

تلك ، أيها القارئ ، كلمة وحيزة أقدم بها الطبعة الثانية ، راجيا أن تكون
كافية في وصف الاتجاهات الفنية والعقلية التي عمل في ظلها مؤلف زهر الآداب ،
وإني لأمل أن يكون في هذه الطبعة من آثار الجهد والحرص على الصواب بعض
ما يجب في خدمة الأدب العربي الذي أصبح إحيائه ونشره من أظهر محامد مصر
في العصر الحديث ؟

زكي مبارك

مصر الجديدة في ١٥ نوفمبر سنة ١٩٢٩

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي اختصَّ الإنسانَ بفضيلةِ البيانِ ، وصلى الله على محمدٍ خاتمِ
النبیین ، المرسلِ بالنور المبین ، والكتابِ المستبین ، الذي محدَّى انْجَلِقَ أَنْ
يَأْتُوا بِمِثْلِهِ فَعَجَزُوا عَنْهُ ، وَأَقْرَبُوا بِفَضْلِهِ ، وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .
وبعد ؛ فهذا كتابٌ اخترتُ فيه قطعةً كاملةً من البلاغات ؛ في الشعر
والخبر ، والفصول والفقر^(١) ، مما حَسُنَ لفظُهُ ومعناه ، واستُبدِلَ بِفَحْوَاهُ عَلَى
مَغْزَاهُ^(٢) ، ولم يكن شاردًا حَوْشِيًّا^(٣) ، ولا ساقطًا سُوقِيًّا^(٤) ، بل كان جميع ما فيه ،
من ألفاظه ومعانيه ، كما قال البحترى^(٥) :

فِي نِظَامٍ مِنَ الْبَلَاغَةِ مَا شَكَّ أَمْرُؤُهُ أَنَّهُ نِظَامٌ فَرِيدٌ^(٦)
حُزْنَ مَسْتَعْمَلِ الْكَلَامِ اخْتِيَارًا وَتَجَنُّبِ ظُلْمَةِ التَّعْقِيدِ
وَرَكْبِنِ اللَّفْظِ الْقَرِيبِ فَأَدْرَكْنَ بِهِ غَايَةَ الْمَرَادِ الْبَعِيدِ

ولم أذهب في هذا الاختيار ، إلى مطولات الأخبار ، كأحاديث صَعَصَعَةٍ

-
- (١) الفقر : جمع قفيرة - بكسر الفاء وفتحها - وهي فصل أوبيت شعر ، وتقول :
ما أحسن قفر كلامه ، أي نكته ، وهي في الأصل حلى تصاغ على شكل قفر الظهر
(٢) مغزى الكلام : هو المراد منه ، وفحواه : هو ما يفهم منه ذلك المراد
(٣) الحوشى : الوحشى ، وقد وصف زهير بأنه كان لا يتبع حوشى الكلام .
(٤) السوقى : نسبة إلى السوق ، وهم عامة الناس
(٥) البحترى : شاعر مبدع من شعراء الدولة العباسية ، ولد في منبج - بين الفرات
وحلب - في سنة ٢٠٦ وتوفي في سنة ٢٦٤
(٦) الفريد : هو الدر الذي يفصل بين الذهب في القلادة المفصلة ، فالدر فيها فريد .
والذهب مفرد ، بتشديد الراء .

ابن صُوحان^(١) ، وخالد بن صَفْوَان^(٢) ، ونظائرهما ؛ إذ كانت هذه أجملَ
لفظاً ، وأسهلَ حفظاً .

وهو كتابٌ يتصرّف الناظرُ فيه من نثره إلى شعره ، ومطبوعه إلى
مصنوعه ، ومحاورته إلى مفاخرته ، ومناقلته^(٣) إلى مساجلته^(٤) ، وخطابه
للبهت^(٥) إلى جوابه المُسبكت ، وتشبيهاته المُصيبة إلى اختراعاته الغريبة ، وأوصافه
الباهرة إلى أمثاله السائرة ، وجدّه المعجب^(٦) إلى هزله المُطرب ، وجزله الرائع
إلى رقيقه البارِع .

وقد نَزَعْتُ فيما جمعت عن ترتيب البيوت^(٧) ، وعن إبعاد الشكل عن شكله ،
وإفراد الشيء من مثله ؛ فجعلتُ بعضه مُسلسلاً^(٨) ، وتركتُ بعضه مُرسلاً^(٩) ؛
ليحصل مُحرَّرَ النَقْدِ^(١٠) ، مُقدَّرَ السَّرْدِ^(١١) ؛ وقد أخذ بِطَرَفِي التَّأليفِ ، واشتمل
على حاشيتي التَّصنيفِ ؛ وقد نَعَيْتُ المعنى ، فألحق الشَّكْلَ بنظائره ، وأعلَّق
الأولَ بآخره ، وتبقى منه بقية أفرقتها في سائرهِ^(١٢) ليسلمَ من التطويل المملِّ ،
والتقصير المُخلِّ ، وتظهر في التجميع إفادةُ الاجتماع ؛ وفي التفريق لذادةُ

(١) صعصعة بن صوحان : خطيب بليغ من سادات عبد القيس . شهد صفين مع
علي ، ونفاه المغيرة من الكوفة إلى الجزيرة أو إلى البحرين بأمر معاوية ، فمات فيها
حوالي سنة ستين للهجرة (٢) خالد بن صفوان : كان من مشاهير الفصحاء وله أخبار
مع عمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك ، توفي نحو سنة ١١٥
(٣) ناقل الشاعر : ناقضه ، ورجل تقل بفتح فكسر وذو نقل بفتحتين ، إذا كان
جليلاً مناقلاً (٤) المساجلة : المفاخرة (٥) البهت : الحير (٦) المعجب : الذي يعجبك
جماله (٧) البيوت كالأبيات : جمع بيت (٨) مسلسل : من السلسلة بفتح السين وهي
وهي اتصال الشيء بالشيء (٩) مرسل : غير مسلسل (١٠) النقد : الوزن (١١) السرد :
النسج ، والتحرير ، ومثله التقدير : الضبط (١٢) سائرهِ : باقيهِ

الإمتاع ، فيكمل منه ما يُؤنقُ القلوبَ والأسماع^(١) ؛ إذ كان الخروجُ من جِدِّ إلى هَزَلٍ ، ومن حَزَنٍ إلى سَهْلٍ^(٢) أنفى للكَلَلِ^(٣) ، وأبعدَ من المَلَلِ ؛ وقد قال إسماعيل بن القاسم [هو أبو العتاهية]^(٤) :

لا يُصْلِحُ النفسَ إذ كانت مُدَابِرَةً إلا التَّنْقُلُ من حالٍ إلى حالٍ^(٥)

الداعي لتأليف
الكتاب

وكان السببُ الذي دعاني إلى تأليفه ، وندبني إلى تصنيفه ، ما رأيته من رغبة أبي الفضل العباس بن سليمان — أطل الله مُدَّتَه ، وأدام نعمته! — في الأدب^(٦) ، وإنفاقِ عمره في الطلب وماله في الكتب ؛ وأن اجتهاده في ذلك حمله على أن ارتحل إلى المشرق بسببها ، وأغمضَ في طلبها^(٧) ، باذلاً في ذلك ماله ، مستعذباً فيه تعبهُ ، إلى أن أورد من كلامٍ بلغاء عصره ، وفصحاء دهره ، طرائف طريفة ، وغرائب غريبة ، وسألني أن أجمعَ لها من مُختارها كتاباً يكتفى به عن جملتها ، وأضيفَ إلى ذلك من كلام المتقدمين بما قاربه وقارنه ، وشابهه ومائله ؛ فسارعتُ إلى مراده ، وأعنته على اجتهاده ، وألّفتُ له هذا الكتاب ، ليستغنى به عن جميع كتب الأدب ؛ إذ كان موشحاً من بدائع البديع^(٨) ، ولآلئ الميكالي ، وشعبي الخوارزمي ، وغرائب الصاحب ، ونفيس قابوس ، وشدور أبي منصور^(٩) بكلامٍ يمتزجُ بأجزاء النفس لطافة ، وبالهواء رقة ، وبالماء عذوبة .

(١) يؤنق : يهيج (٢) الحزن : ما غلظ من الأرض ، ويقابله السهل (٣) الكلال : الإعياء ، ومثله الكلال (٤) ديوان أبي العتاهية ٢٢٣ ، وفيه « لن يصلح النفس إذ كانت مدبرة » وفي نسخة « إن كانت مصرفة » (م)

(٥) مدابة : ذات سأم وملال ، والمدابة في الأصل : الهزيمة (٦) في الأدب :

متعلق بكلمة رغبة (٧) أغمض وغمض : ذهب ، وغمض السيف في اللحم : غاب

(٨) موشح : مرصع (٩) البديع والميكالي والخوارزمي والصاحب وقابوس وأبو

منصور : كل هؤلاء أعلام سيورد المؤلف طرفاً من مضمومهم ومشورهم ، وهم من رجال القرن الرابع ، وسندكر تراجمهم حين يعود المؤلف إلى الحديث عن آثارهم الأدبية

وليس لى فى تأليفه من الافتخار ، أكثر من حُسن الاختيار ؛ واختيارُ المرء
 بطة من عقله ، تدلُّ على تخلفه أو فضله ؛ ولا شك - إن شاء الله - فى استجادة
 باستجدت ، واستحسانٍ ما أوردت ؛ إذ كان معلوماً أنه ما انجذبت نفسٌ ،
 ولا اجتماع حسنٍ ، ولا مال سير ، ولا جال فكر ، فى أفضلٍ من معنى لطيفٍ ، ظهر
 فى لفظٍ شريفٍ ؛ فكسأه من حسن الموقع ، قبولاً لا يدفع ، وأبرزه يمتثالٌ من
 صفاء السبك [ونقاء التلك] وصحة الديباجة ، وكثرة المائبة ، فى أجمل
 حلة ، وأجلى حلية :

يستنبط الروح اللطيف نسيمةً أريجاً ، ويؤكل بالضمير ويشرب^(١)
 وقد رغبتُ فى التجافى عن المشهور ، فى جميع المذكور ، من الأسلوب الذى
 ذهبتُ إليه ، والنحو الذى عولتُ عليه ؛ لأن أول ما يقرع الآذان ، أذى إلى
 الاستحسان ، مما حجتُه^(٢) النفوسُ لطول تكراره ، ولفظته^(٣) العقولُ لكثرة استمراره ؛
 فوجدت ذلك يتعذر ولا يتيسر ، ويمتنع ولا يتسع^(٤) ؛ ويوجب ترك ما ندر إذا اشهر ؛
 وهذا يوجب فى التصنيف دخلاً^(٥) ، ويكسب التأليف خالاً ؛ فلم أعرض إلا عما
 أهانه الاستعمال ، وأذاله الابتدال^(٦) ؛ والمعنى إذا استدعى القلوب إلى حفظه ،
 ما ظهر من مستحسن لفظه ؛ من بارع عبارة^(٧) ، وناصر استعارة ، وعذوبة مورد ،
 وسهولة مقصد ، وحسن تفصيل ، وإصابة تمثيل ؛ وتطابق أنحاء ، وتجانس أجزاء ،
 وتمكّن ترتيب ، ولطافة تهذيب ، مع صحة طبع وجودة إيضاح ، يتقنه
 تثقيف القداح ، ويصوره أفضل تصوير ، ويقدره أكمل تقدير ؛ فهو مشرق

(١) يستنبط : يستخرج (٢) حجتة : مقصده (٣) لفظته : رمته (٤) يتسع : يسهل

(٥) الدخل والدخل : العيب ، ونخلة مدخولة : عفة الجوف (٦) أذاله : أهانه

(٧) من إضافة الصفة للموصوف ، أى عبارة بارعة ، وكذلك ما بعده

في جوانب السمع ، لا يُخْلِقُه عَوْدُه عَلَى المُسْتَعِيد^(١) :

وهو المُشَيِّعُ بِالمَسَامِعِ إِنْ مَضَى وهو المضعف حُسْنُه إِنْ كُرِّرَا .
وإن كنتُ قد استدركتُ على كثيرٍ من سبقني إلى مثل ما جريتُ إليه ،
واقصرتُ في هذا الكتاب عليه ، لِمَلَحِ أوردتها كَنَوَافِثِ السَّحْرِ^(٢) ؛ وَقَرَنَ نَظْمَتَهَا
كَالغِنَى بَعْدَ الفَقْرِ ، من أَلْفَاظِ أَهْلِ العَصْرِ ، في محلول النثر ، ومعقود الشعر ؛
وفيهم من أدركته بَعْمُرِي ، أو لحقه أَهْلُ دَهْرِي ؛ ولهم من لطائف الابتداء ،
وتوليدات الاختراع ، أَبْكَارٌ لَمْ تَفْتَرِعْهَا الأَسْمَاعُ^(٣) ، يُصْبُو إليها القلبُ وَالظَّرْفُ ،
ويَقْطُرُ منها ماء المَلَاةِ وَالظَّرْفِ ، وتمزجُ بِأجزاء النفس ، وتسترجع نَافِرَ الأَنْسِ ،
تَحَلَّاتٍ تَضَاعِيفَه ، ووشَّحتُ تَأْلِيفَه ، وطَرَّزْتُ دِيبَاجَه ، ورصَّعتُ تَاجَه ، ونظمت
عقوده ، ورقتُ بَرُودَه ؛ فنورُها يَرِفُ ، ونورُها يَشِفُ ، في روضٍ من الكلم
مُوثِقٍ ، ورَوِّقٍ من الحكم مشرق :

صفا ونقى عنه القذى فكانه إذا ما استشفته العيون مصقده^(٤)

فهو كما قلت :

بديعُ نثرٍ رِقِّ حَتَّى غَدَا يَجْرِي مع الرُّوحِ كما تجرى
من مُذْهَبِ الوَشْيِ على وجهِهِ دِيبَاجَةٌ لَيْسَتْ مِنِ الشَّعْرِ^(٥)
كزهرة الدنيا وقد أقبلت تَرُودُ في رَوْنَقِهَا النَّضْرِ^(٦)
أو كالنسيم الغض غِبَّ الحَيَا يَحْتَالُ في أَرْدِيَةِ الفَجْرِ^(٧)
ولعل في كثير مما تركتُ ، ما هو أجودُ من قليل مما أدركتُ ؛ إذ كان اقتصاراً
من كلِّ على بَعْضٍ ، ومن فيضٍ على بَرَضٍ^(٨) ؛ ولكنني اجتهدتُ في اختيار

(١) لا يخلقه : لا يذهب بجدته وروثه (٢) الملاح : جمع ملحة ، وهي الكلمة

المستملحة المستعذبة . والنوافث : جمع نافثة ، وهي الساحرة (٣) افترع البكر : فض بكارتها

(٤) تصعد : ارتفع (٥) وشى مذهب : مطرز بالذهب

(٦) ترود : تحتال (٧) غب الحيا : عقب المطر (٨) فيض : كثير ، وبرض : قليل

ما وجدت ؛ وقد تدخلُ اللفظةُ في جماعة اللفظات، ويمرُّ البيت في خلال الآيات، وتعرض الحكايةُ في عرض الحكايات ، يتمُّ بها المعنى المراد ، وليست مما يُستجداد، ويبعث عليها فرطُ الضرورة إليها [في إصلاح خَلَل] ؛ فهما تره من ذلك في هذا الاختيار ، فلا تُعرضُ عنه بطرفِ الإنكار ؛ وما أقل ذلك في جميع المسالك الجارية في هذا الكتاب ، الموسوم بـ «زهر الآداب ، وثمر الألباب» لكنني أردت أن أشارك من يخرج من ضيق الاغترار ، إلى فسحة الاعتذار :

ويسىء بالإحسان ظناً ، لا كمن يأتيك وهو بشعره مفتون^(١)

والله المؤيد والمسدد ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

[إنَّ من البيان لسِحراً]

روى عن عبد الله بن عباس - رضوان الله عليهما ! - قال :

وقد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبيرقان بن بدر وعمرو بن الأهم ؛

فقال الزبيرقان : يا رسول الله ! أنا سيدُ تميم ، والمطاعُ فيهم ، والمجابُ منهم ، أخذُ

لهم بحقهم ، وأمنعهم من الظلم ، وهذا يعلم ذلك - يعني عمراً .

فقال عمرو : أجل يا رسول الله ؛ إنه مانعٌ لِحَوْزَتِهِ^(٢) ، مُطَاعٌ في

عشيرته ، شديد العارضة فيهم^(٣) .

فقال الزبيرقان : أما إنه والله قد علم أكثر مما قال ، ولكنه حسدني شرفي !

فقال عمرو : أما لئن قال ما قال ؛ فوالله ما علمته إلا ضيق العطن^(٤) ، زمير

المروءة^(٥) ، أحق الأب ، لئيم الخلال ، حديث الغنى .

الزبيرقان بن
بدر وعمرو بن
الأهم بين يدي
رسول الله

(١) هكذا حور المؤلف البيت ، وهو لأبي تمام ، ونصه في الأصل :

ويسىء بالإحسان ظناً لا كمن هو بابنه وبشعره مفتون

(٢) حوزة الرجل : ما يحوزه ويملكه (٣) العارضة : البديهة وقوة الكلام

(٤) العطن : المناخ حول الورد ، وضيق العطن : كناية عن البخل

(٥) زمر المروءة - بالراء - أي قليلها ، وفي نسخة زمن : أي بالو

فراى الكراهة فى وَجْه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اختلف قوله ؛
 فقال : يا رسول الله ؛ رضيتُ فقلتُ أحسنَ ما علمت ، وغضبتُ فقلتُ أقبحَ
 ما علمت ، وما كذبتُ فى الأولى ، ولقد صدقتُ فى الثانية !

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن من البيان لسحرا ، وإن من
 الشرِّ لحكمة . ويروى مُحكما ، والأول أصح .

والذى روى أهل الثبوت ، من هذا الحديث أنه قدِمَ رجلان من أهل المشرق
 فخطبا ؛ فعجِبَ الناسُ لبيانهما ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن من
 البيان لسِحرا ، أو إن من بعض البيان لسحرا ^(١) .

ترجمة عمرو
 ابن الأَهم

وعمرو بن الأَهم هو : عمرو بن سِنان بن سُمَيّ [بن سِنان بن خالد]
 ابن منقَر ابن عُبَيد بن الحارث ، والحارث هو : مُقاعس بن عمرو بن كعب
 ابن سعد بن زيد مناة بن تميم . وُسُمى سِنان الأَهم لأن قيس بن عاصم المِنقَرى
 سيدَ أهلِ الوَبَرِ ضربه بقوسه فهتَمَ فاه . هذا قولُ أبى محمد عبد الله بن مسلم
 ابن قتيبة . وقال غيره : بل هُتِمَ فُوهُ يوم الكلاب الثانى ، وهو يومٌ كان
 لبني تميم على أهل اليمن . وكان عمرو يلقب المُكحَلَ لجماله ، وبنو الأَهم أهلُ
 بيتِ بلاغةٍ فى الجاهلية والإسلام . وعبد الله بن عمرو بن الأَهم هو جدُّ خالد
 ابن صَفْوَان وشيب بن شَيْبَةَ . وكان يقال : الخطابة فى آلِ عَمْرُو ، وكان شعره
 حُملاً منشرةً عند الملوك تأخذُ منه ما شاءت . وهو القائل :

ذرينى فإن البخلَ يا أمَّ مالكٍ لصالحِ أخلاقِ الرجالِ سرُوقُ

لعمركِ ما ضاقت بلادٌ بأهلها ولكن أخلاقَ الرجالِ تَضيقُ ^(٢)

ترجمة الزبرقان
 ابن بدر

والزبرقان : اسمه حُصَيْن بن بَدْر بن امرئ القيس [بن الحارث] بن

(١) أنظر القصة كما رواها أولاً فى مجمع الأمثال للميدانى (٦/١ بولاق) (م)

(٢) هذا البيت ورد أيضاً فى آيات بشار التى مطلعها :

خلى إن العسر سوف يفيق وإن يساراً فى غدٍ خلق

بِهَذَلَةَ بن عوف بن كعب بن سعيد . وسمى الزبرقان لجماله ؛ والزبرقان :
القمر [قبل تمامه] وقيل : لأنه كان يُزَبْرِقُ عمامته ، أي يصفرها في الحرب .

وكانوا يسمون الكلام الغريب « السحر الحلال » ، ويقولون : اللفظ الجميل
من إحدى التفنات في العقد^(١) .

وذكر بعض الرواة أنه لما استخلف عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه
قدم عليه وفود أهل كل بلد ؛ فتقدم إليه وفد أهل الحجاز ، فشرأب^(٢) منهم
غلام للكلام^(٣) ، فقال عمر : يا غلام ؛ ليتكلم من هو أسن منك ! فقال الغلام :
يا أمير المؤمنين ! إنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه ، فإذا منح الله عبده لساناً
لافظاً ، وقلباً حافظاً ، فقد أجاده الاختيار ؛ ولو أن الأمور بالسن لكان هاهنا
من هو أحق بمجلسك منك .

مر بن
العزير .
يم يتقدم
د قومه

فقال عمر : صدقت ، تكلم ؛ فهذا السحر الحلال ! فقال : يا أمير المؤمنين ،
نحن وفد التهينة لا وفد المرزئة^(٤) ، ولم تقدمنا إليك رغبة ولا رهبة ؛ لأننا
قد أمنا في أيامك ما خفنا ، وأدركنا ما طلبنا !

فسأل عمر عن سن الغلام ، فقيل : عشر سنين .

وقد روى أن محمد بن كعب القرظي كان حاضراً ، فنظر وجه عمر قد تهلل
عند ثناء الغلام عليه ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ؛ لا يغلبن جهل القوم بك معرفتك
بنفسك ؛ فإن قوماً خدعهم الثناء ، وغرهم الشكر ، فزلت أقدامهم ، فهووا في
النار^(٥) . أعاذك الله أن تكون منهم ، وألحقت بسالف هذه الأمة ؛ فبكي عمر حتى
خيف عليه ، وقال : اللهم لا تخلنا من واعظ !

(١) التفنات : جمع نفثة ، وهي أن تنفل الساحرة بريقها على ما تعقده ، وفي
نسخة « النفائات » جمع نفاة وهي الساحرة نفسها (م) (٢) شرأب : تطلع
(٣) المرزك : الاستجداء وطلب النوال (٤) هووا : سقطوا ، من هوى يهوى على
وزن ضرب يضرب ، بخلاف هوى يهوى على وزن علم فإنه بمعنى أحب

وقد روى أن عمر قال للغلام: عظمي، فقال هذا الكلام، وفيه زيادة بسيرة ونقص
 . أخذ قول عمر: « هذا السحر الحلال » أبو تمام فقال يعاتب أبا سعيد
 محمد بن يوسف الطائي:

إذا ما الحاجةُ انبعثتُ يداها جعلت المنع منك لها عقلاً
 فأين قصائدُ لي فيك تآبوا وتأنف أن أهان وأن أذالا
 هي السحرُ الحلالُ لمُجْتَلِيهِ ولم أرَ قبلها سِحراً حلالاً

وكتب أبو الفضل بن العميد^(١) إلى بعض إخوانه جواباً عن كتاب ورد إليه من ابن العميد
 لبعض إخوانه [فأحده]:

وَصَلَ ما واصلتني به ، جعلني الله فداك ، من كتابك ، بل نعمتك التامة ،
 ومُنتك العامة ؛ فقررت عيني بوروده ، وشفيت نفسي بوفوده ، ونشرتُه فحكى
 نسيمَ الرياضِ غبَّ المطر ، وتنفسَ الأنوارِ^(٢) في السحر ، وتأملتُ مُفتتحة ، وما
 اشتمل عليه من لطائفِ كَلِمِكَ ، وبدائعِ حِكْمِكَ ؛ فوجدته قد تحمّل من فنون
 البرِّ عنك ، وضروبِ الفضلِ منك ، جدًّا وهزلاً ، ملأ عيني ، وعمرَ قلبي ، وغلب
 فِكْرِي ، وبهر لُبِّي ؛ فبقيتُ لا أدري : أَسْمُوطُ ذرٍّ خصصتني بها ، أم عقود
 جواهر منخّتيها ؟ كما لا أدري أبكراً زفتها فيه ، أم روضةً جهزتها منه ؛
 ولا أدري أخذوداً ضرّجت حياءً ضمته ؛ أم نجومًا طلعت عشاءً أودعته ؛ ولا أدري
 أجْدُك أبلغ وأطف ، أم هزلك أرفع وأظرف ؛ وأنا أو كلُّ بتتبع ما انطوى
 عليه نفساً لا ترى الحظَّ إلا ما اقتنته منه ، ولا تعدُّ الفضل إلا فيما أخذته عنه ،
 وأمتع بتأمله عينا لا تقرُّ إلا بمثله ، مما يصدر عن يدك ، ويرد من عندك ،
 وأعطيه نظراً لا يمله ، وطرفاً لا يظرف دونه ، وأجعله مثالا أرسمه وأحتديه ،

(١) كان ابن العميد إمام الكتاب في عصره حتى قيل فيه « بدئت الكتابة بعد الحميد ،
 وختمت بابن العميد » . توفي سنة ٣٦٩ بعد أن تولى كثيرا من المناصب العالة

(٢) الأنوار : جمع نور - بفتح النون - وهو نوار الزهر

وأمتع خلقي بروؤنقه ، وأغذبي نفسي بيهجته ، وأمزج قريحتي برقته ، وأشرح صدرى بقراءته ، ولئن كنت عن تحصيل ما قلته عاجزاً ، وفي تعديد ما ذكرته متخلفاً ؛ لقد عرفت أنه ما سمعت به من السحر الحلال .

من وصف
الكلام بالسحر

وقال بعض المحدثين يمدح كاتباً :

وإذا جرى قلم له في مهرق
عجلان في رفلانه ووجيفه^(١)
نظمت مراشفه قلائد نظمت
بنفيس جوهر لفظه وشريفه
بدعاً من السحر الحلال تولدت
عن ذهن مصقول الذكاء مشوفه^(٢)
مثلاً لضاربه وزاد مسافر
جعلت وتحفة قادم لأليفه

وصف رجل
محبوب

وعلى ذكر قوله «وتحفة قادم» قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي : وصف رجل رجلاً فقال : كان والله سمحاً سهلاً ، كأنما بينه وبين القلوب نسب ، أو بينه وبين الحياة سبب ، إنما هو عيادة مريض ، وتحفة قادم ، وواسطة عقد .

عود إلى وصف
الكلام بالسحر

وأخذ بعض بني العباس رجلاً طالبياً ، فهمم بعقوبته ، فقال الطالبي : والله لولا أن أفسد ديني بفساد دنياك ملكت من لسانك أكثر مما ملكت من سوطك ، والله إن كلامي لفوق الشعر ، ودون السحر ، وإن أيسره ليثقب الخردل ، ويحط الجندل .

وقال علي بن العباس^(٣) يصف حديث امرأة :

وحديثها السحر الحلال أو أنه
لم يجن قتل المسلم المتحرز^(٤)
إن طال لم يملأ ، وإن هي أوجزت
ود الحديث أنها لم توجز
شرك العقول ، ونزهة ما مثلها
لنمطمئن ، وعقلة المستوفز^(٥)

(١) المهرق بفتح الراء : الصحيفة ، والجمع مهارق — مجلان : مسرع — الرفلان :

السير في تبخر — والوجيف : السير السريع (٢) الشوف : المجلو

(٣) هو ابن الرومي المتوفى سنة ٢٨٣ (٤) المتحرز : المتحفظ (٥) الشرك : الفخ — العقلة

العقال ، المستوفز : المستعجل — والشاعر يذكّر أن حديث هذه المرأة نزهة للمطمئن وعقال لمن يهمل بالانصراف .

ألم في بيته الآخر بقول الطائي :
 كَوَاعِبُ أتراب لغيداء أصبحت^(١) وليس لها في الحسن شكل ولا تراب^(٢)
 لها منظرٌ قيدُ النواظر لم يزال^(٣) يرُوح ويغدو في خفارتِه الحب^(٤)
 وأول من استثار هذا المعنى امرؤ القيس بن حجر الكندي في قوله :
 وقد أعتدي والطير في وكناتها^(٥) بمنجرد قيد الأوابد هيكل^(٦)
 وقالت عليّة بنت المهدي :

اشرب على ذكر الغزال الأغد الحلو الدلال
 اشرب عليه وقل له : يا غلّ ألباب الرجال^(٧)

وكانت عليّة لطيفة المعنى ، رقيقة الشعر ، حسنة مجاري الكلام ، ولها
 ألحان حسان ، وعلقت بسلام اسمه « رشاً » وفيه تقول :
 عليّة بنت
 المهدي أخت
 الرشيد

أضحى القواد بزينا عباً كثيراً متعباً
 فجعلت زينب سثرة وگتتُ أمراً مُعجبا
 [قولها : بزيب تريد برشاً] .

فسمى الأمر إلى أخيها الرشيد ، فأبعده ، وفيل : قتله ، وعلقت بعده بسلام
 اسمه « ظلّ » ، فقال لها الرشيد : والله لئن ذكرتي لأقتلنك ! فدخل عليها يوماً

(١) الكواعب : جمع كاعب ، وهي الفتاة تكعب ثديها : أي ، تتأ كالكعب ،
 أتراب : خديئات ، وتاربت الفتاة : خادتها ، قال كثير :

تارب بيضا إذا استلعت كأم الظباء ترف الكباشا

وقد يراد بالأتراب الشبهات في السن والحسن — والغيداء : الناعمة

(٢) قيد النواظر : هو للنواظر كالقيد — الحفارة : الحماية (٣) الوكنات : جمع
 وكنة ، وهي العش ، والمنجرد : الفرس سقط شعره من الضمور ، والأوابد : الوحوش
 النافرة ، والهيكل : الضخم (٤) الغل : هو الطوق يوضع في عنق الأسير

على حين غفلة وهي تقرأ : فإن لم يُصِبها وابلٌ فما نهى عنه أمير المؤمنين ، فضحك ،
وقال : ولا كلّ هذا ، وهي القائلة :

يا عاذلي قد كنتُ قبلك عاذلاً حتى ابتليتُ فصرتُ صباً ذاهلاً
الحب أول ما يكون مجانةً فإذا تحكّم صار شغلاً شاغلاً^(١)
[أرضى فيفضبُ قاتلي فتعجبوا يرضى القليلُ ولا يرضى القاتلاً]

وهي القائلة :

وَضَعِ الحَبَّ عَلَى الجُورِ ، فلو أنصف المشوق فيه لَسَمَّجُ^(٢)
[وقليلُ الحب صرفاً خالصاً لك خير من كثير قد مزج]
ليس يُستَحَسَنُ في نَعْتِ الهوى عاشق يُحسِنُ تأليفَ الحُجَجِ
وكانها ذهبت في الأول إلى قول العباس بن الأحنف :

أشبه لشعر عليّة
بنت المهدي

وأحسَنُ أيام الهوى يومك الذي تُروّع بالهجران فيه وبالعتبِ
إذالم يكن في الحب سُخْطٌ ولا رضاءً فأين حلاواتُ الرسائل والكُتُبِ
وقد زاد النيمري في هذا فقال :

رَاحَتِي فِي مَقَالَةِ العُذَالِ وشِفائي في قِيلِهِمْ بَعْدَ قال
لا يَطِيبُ الهوى ولا يَحسِنُ الحَبُّ لَصَبٍ إلا بِمُخَمَّسِ خِصالِ
بِسامِ الأذى ، وَعُذْلُ نَصيحِ ، وَعِتابِ ، وَهَجْرَةٍ ، وَتَقَالِ^(٣)
وقال بعض المحدثين :

لولا أطرادُ الصيد لم تكُ لذةٌ فتطاردي لي في الوصال قليلاً^(٤)
هذا الشراب أخو الحياة وماله من لذةٍ حتى يُصِيبَ غليلاً^(٥)

(١) المجانة : العبث (٢) سمج : قبح (٣) التقالي : التباض

(٤) اطراد الصيد : جريه (٥) الغليل : الظم الشديد

وقال آخر :

دَعِ الصَّبَّ يَصِلِي بِالْأَذَى مِنْ حَبِيْبِهِ فَإِنَّ الْأَذَى مِنْ تُحْبٍ سُرُورٌ^(١)
غُبَارُ قَطِيعِ الشَّاءِ فِي عَيْنِ ذَنْبِهَا إِذَا مَا تَلَا آثَارَهُنَّ ذُرُورٌ^(٢)
وَأَنْشَدَ الْأَصْمَعِيُّ [لَجِيْلُ بْنُ مَعْمَرِ الْعَدْرِيُّ]^(٣) :

لَا خَيْرَ فِي الْحَبِّ وَقَفًّا لَا تَحْرَكُهُ عَوَاضُ الْيَأْسِ أَوْ يَرْتَا حَهُ الطَّمَعُ
لَوْ كَانَ لِي صَبْرُهَا أَوْ عِنْدَهَا جَزَعِي لَكُنْتُ أَمْلِكُ مَا آتَى وَمَا أَدَعُ
إِذَا دَعَا بِاسْمِهَا دَاعٍ لِيَحْرَتَنِي كَادَتْ لَهُ شُعْبَةٌ مِنْ مُهْجَتِي تَقَعُ^(٤)

وهذا البيت كقول علي بن العباس الرومي :

لَا تُكْثِرَنَّ مَلَامَةَ الْعِشَاقِ فَكَفَاهُمْ بِالْوَجْدِ وَالْأَشْوَاقِ
إِنَّ الْبَلَاءَ يَطَاقُ غَيْرَ مُضَاعَفٍ فَإِذَا تَضَاعَفَ كَانَ غَيْرَ مُطَاقٍ
لَا تُطْفِئَنَّ جَوِّي بَلْوِيمٍ ؛ إِنَّهُ كَالرِّيحِ تُغْرِئِي النَّارَ بِالْإِحْرَاقِ
ويشبه بيت عليّ الآخر بيت أنشد في شعر روي لأبي نواس ، ورواه
قوم لعنان جارية الناطقي^(٥) وهو :

حَنُو الْعِتَابِ يَهِيْجُهُ الْإِدْلَالُ لَمْ يَحُلْ إِلَّا بِالْعِتَابِ وَصَالُ
لَمْ يَهْوَ قَطُّ وَلَمْ يُسَمِّ بِعَاشِقٍ مَنْ كَانَ يَصْرَفُ وَجْهَهُ التَّغْذَالُ^(٦)

(١) يصلى : يحترق (٢) الدرور : هو الملح يذر على اللحم والفلفل يوضع على الثريد وهو كذلك الدواء في العين . والمراد أن غبار الشاء في عين الذئب هو كالتوابل توضع على الطعام

(٣) الأصمعي هو عبد الملك بن قريب ، ونسب إلى جده أصمع ، نشأ بالبصرة ، وأخذ عن فصحاء البادية ، واتصل بالرشيد ، وتوفي سنة ٢١٦ (٤) شعبة : قطعة

(٥) الناطقي : رجل من أهل بغداد ، وعنان : شاعرة ماجنة سمع بها الرشيد فاشتراها بعد أن غالى بها سيدها ، ولها أخبار كثيرة مع أبي نواس توفيت في نحو سنة ٢٠٠

(٦) التغذال : اللوم ، ومثله العذل

وجميع أسباب الغرام يسيرة
تصف القضيب على الكثيب قناتها
ولرب لابس قناع ملاحه
كست الخدائة ظرفها وجمالها
وكانها والكأس فوق بنانها
حتى إذا ما استأنست بحديثها
قلنا لها : إن صدقت أقوالها
قولى فليس تراك عين نيمة
وضمير ما اشتملت عليه ضلوعنا

وقد أخذ أبو الطيب المتنبي معنى «قيد الأوابد» ، فقال يصف كلباً :

نيل النى وحكم نفس المرسل
كانه من علمه بالقتل
وعقلة الظبي وحتف التفل^(٣)
علم بقراط فصاد الأكل^(٤)

وقال في بنى حمدان :

متواضعين على عظيم الشأن^(٥)
أجل الظلم وربقة السرحان^(٦)
متصعلكين على كثافة ملكهم
يتقبلون ظلال كل مطهم

وقال أعرابي يصف فرساً : إنه لدرك الطالب ، ومنجى الهارب ،

وقيد الرهان ، وزين الفناء .

ما قيل في معنى
«قيد الأوابد»

(١) يختال : يترقق (٢) الجريال : الحمر ، يريد الشاعر أن يصف تلك الحسنة
بعدم التحرز في الحديث وقد لعبت برأسها الصبياء .

(٣) التفل : الثعلب ، وفي النسخ القديمة (المثقل) وهو تصحيف (٤) بقراط : من
كبار الأطباء القدماء ، والأكل : عرق في اليد (٥) متصعلك : متظاهر بالفقر ، والكثافة :
الضخامة (٦) مطهم : مضمردقيق الجسم ، والظلم : ذكر النعام ، والربقة : الرباط ،
والسرحان الذئب . والمعنى أنهم يتقبلون ظلال كل جواد في عدوه أجل الظلم وقيد الذئب

وقال بعضُ أهلِ العصرِ في وصفِ غلامٍ : وَجْهَهُ قَيْدُ الْأَبْصَارِ ، وَأَمَدُ
الْأَفْكَارِ ، وَنَهَايَةُ الْإِعْتِبَارِ .

وقال أبو القاسمِ إسماعيلُ بنُ عَبَّادٍ^(١) :

وَقَدْ أَغْتَدِي لِلصَّيْدِ غُدْوَةَ أَصِيدٍ أَعَاجِلُ فِيهَا الْوَحْشَ وَالْوَحْشُ هُجْدٌ^(٢)
فَعَنْتُ ظَبَاءً خَفِنَ تَحْتِي مَطْلَقَ الْأَيْدِينَ بِهِ أَيْدِي الْوَحْشِ تُقَيِّدُ^(٣)
فَأَدْرَكْتُهَا وَالسَيْفُ لَمَعَهُ بَارِقٌ وَلَمْ يُغْنِهَا إِحْضَارُهَا حِينَ تَجْهَدُ^(٤)
وَقَدْ رُغْتُهَا إِذْ كَانَ شَعْرِي رَائِعًا وَطَرَفُ مَشِيبي عِذَارِي أَرْمَدُ^(٥)
وَمَا بَلَغَتْ حَدَّ الثَّلَاثِينَ مُدَّتِي وَهَذَا طِرَازُ الشَّيْبِ فِيهِ يُمَدِّدُ^(٦)

وأبياتُ ابنِ الروميِّ من أجودِ ما قيلَ في حسنِ الحديثِ ، وقد توسَّعَ الشعراءُ
في هذا البابِ ، وكَثُرَ إحسانُهُمْ ، كما كَثُرَ افتتانُهُمْ ، وسأجرى شأواً في مختارِ
ما قيلَ في ذلكِ ، وأعودُ إلى ما بدأتُ به .

قال القطامي - واسمه عمير بن شيمم التغلبي^(٧) ، وسمى القطامي لقوله :

يَحْطُمْنَ جَانِبًا فَجَانِبًا حَطَّ الْقَطَامِيُّ الْقَطَا الْقَوَارِبَا^(٨)

وقال أبو عبيدة : ويقال للصقر قطامي وقطامي :

وَفِي الْخُدُورِ غَمَامَاتُ بَرَقْنَ لَنَا حَتَّى تَصَيِّدُنَا مِنْ كُلِّ مُصْطَادٍ
يَقْتُلُنَا بِحَدِيثٍ لَيْسَ يَعْلَمُهُ مَنْ يَتَّقِينِ وَلَا مَكْنُونُهُ بَادِي^(٩)

(١) هو صاحب بن عباد المشهور، المتوفى ٣٨٥ (٢) الأصيد : من يرفع رأسه كبرا

(٣) عنت : عرضت ، ومطلق اليدين : وصف للفرس بالسرعة

(٤) الإحضار : نوع من السير السريع ، وتجهد : تعب (٥) أرمد : كليل البصر،

يريد أن الشيب لم يسم ببصره إلى عذاره

(٦) الطراز : الموضع الذي تنسج فيه الثياب الجياد

(٧) في النسخ القديمة (التغليبي) وهو تحريف (٨) القوارب : طالبات الماء

(٩) يتقين : يخفن ، وباد : ظاهر .

فهنَّ يَنْبِذَنَ مِنْ قَوْلِ يَصْنِبْنَ بِهِ مَوَاقِعَ الْمَاءِ مِنْ ذِي الْغَلَّةِ الصَّادِي (١)
 وَقَالَ أَبُو حَيَّةَ الثَّمِيرِي ، وَاسْمُهُ الْهَيْثِمُ بْنُ الرَّبِيعِ :
 وَخَبَّرَكَ الْوَأَشُونَ أَنْ لَنْ أَحْبَبَّكُمْ بَلِي وَشَتُورَ اللَّهِ ذَاتِ الْمَحَارِمِ
 وَإِنْ دَمًا ، لَوْ تَعْلَمِينَ ، جَنِيَّتِهِ عَلَى الْحَيِّ جَانِي مِثْلِهِ غَيْرُ سَالِمٍ (٢)
 أَصْدُ وَمَا الصَّدُّ الَّذِي تَعْلَمِينَهُ عِزَاءَ بَكْمٍ إِلَّا ابْتِلَاعَ الْعَلَاقِمِ (٣)
 حَيَاءٌ وَتُقْيَا أَنْ تَشِيَعَ نَيْمَةٌ بِنَاوَبِكُمْ ، أَفَ لِأَهْلِ النَّعَامِ (٤)
 أَمَا إِنَّهُ لَوْ كَانَ غَيْرُكَ أَرْقَلْتَ إِلَيْهِ اتَّقْنَا بِالرَّاعِفَاتِ اللَّهَازِمِ (٥)
 وَلَكِنَّهُ وَاللَّهِ مَا طَلَّ مُسْلِمًا كَفَرًا الثَّنَايَا وَاضْحَاتِ الْمَلَاعِمِ (٦)
 إِذَا هُنَّ سَاقَطْنَ الْأَحَادِيثَ لِلْفَتَى سَقُوطَ حَصَى الْمَرْجَانِ مِنْ كَفِّ نَازِمٍ (٧)

(١) مَوَاقِعَ الْمَاءِ مِنَ الظَّمَانِ : كِنَايَةٌ عَنِ الْأَحْشَاءِ ، وَالْمُرَادُ أَنَّ حَدِيثَهُنَّ يَشْفِي الصَّبَّ الْمَغْرَمَ كَمَا يَطْفِئُ الْمَاءُ لَوْعَةَ الْعَلِيلِ !
 (٢) «لَوْ تَعْلَمِينَ» جُمْلَةٌ مَعْتَرِضَةٌ ، وَلَوْ هُنَا لَلْتَمَنَى (٣) الْعَلَاقِمُ : جَمْعُ عَلَقَمٍ ، وَهُوَ الْحَنْظَلُ وَكُلُّ شَيْءٍ مَرٍ . وَرَوَايَةُ الْمَبْرَدِ :
 أَصْدُ وَمَا الصَّدُّ الَّذِي تَعْلَمِينَهُ شَفَاءٌ لَنَا إِلَّا اجْتِرَاعَ الْعَلَاقِمِ
 وَالاجْتِرَاعُ : مَصْدَرُ اجْتَرَعَ الْمَاءُ أَيَّ ابْتَلَعَهُ
 (٤) تَقْيَا : خَوْفٌ ، وَرَوَايَةُ الْمَبْرَدِ بَقِيَا ، وَأَفَ لِأَهْلِ النَّعَامِ : تَبَاهُجٌ !
 (٥) أَرْقَلْتَ : أَسْرَعْتَ ، وَالرَّاعِفَاتُ وَالرَّوَاعِفُ : الرِّيحُ تَسِيلُ الرِّعَافَ - بَضْمُ الرِّاءِ - وَهُوَ الدَّمُ ، وَاللَّهَازِمُ : الْقَوَاطِعُ ، وَالْمَفْرَدُ لَهْذَمٌ عَلَى وَزْنِ جَعْفَرِ (٦) الْغَرِّ : الْبِيضُ ، وَالْمَلَاعِمُ : هِيَ طَرَفُ الْأَنْفِ وَمَا حَوْلَهُ إِلَى الشَّفَتَيْنِ ، وَالْوَضُوحُ : الْبِيضُ وَالْإِشْرَاقُ ، وَطَلَّ : مِنْ قَوْلِهِمْ دَمٌ مَطْلُولٌ إِذَا مَضَى هَدْرًا . وَأَثْبَتَ هَذَا الْبَيْتَ فِي النَّسْخِ الْقَدِيمَةِ هَكَذَا :

وَلَكِنَّهُ وَاللَّهِ مَا ظَلَّ مُسْلِمًا لَغَرَّ الثَّنَايَا وَاضْحَاتِ الْمَلَاعِمِ
 وَهُوَ تَحْرِيفٌ . هَذَا وَرَوَايَةُ الْمَبْرَدِ «وَلَكِنْ لَعَمْرُ اللَّهِ» إِخْجٌ ، وَالْكَافُ فَاعِلٌ «طَلَّ» فِي قَوْلِهِ «مَا ظَلَّ مُسْلِمًا كَفَرًا الثَّنَايَا» . (٧) وَقَعَ عَنِ الْمَبْرَدِ «سَقُوطَ حَصَى الْمَرْجَانِ» (م)

رَمَيْنَ فَأَنْفَذَنَ الْقُلُوبَ ، وَلَا تَرَى دَمًا مَائِرًا إِلَّا جَوَى فِي الْحِيَازِمِ ^(١)
وقال أيضاً :

حديثٌ - إذا لم تخشَ عيناً - كأنه إذا ساقطتهُ الشَّهْدُ أو هو أطيبُ
لو أنك تستشفى به بعد سكرةٍ من الموت كادت سكرةُ الموت تذهب
إلى هذا ينظر قولُ الآخرِ وإن لم يكن منه :

أقول لأصحابي وهم يعدُّونني ودمعُ جفوني دائمُ العَبَرَاتِ
بذكر مُنَى نفسي فبلوا ، إذا دنَا خروجي من الدنيا ، جُفُوفَ لهاثي ^(٢)

وقال سديف مولى بني هاشم يصفُ نساءً :

وإذا نطقنَ تخالهنَّ نواظماً دُرّاً يُفَصِّلُ لؤلؤاً مكنوناً
وإذا ابتسمنَ فإنهنَّ غمامةٌ أو أقحوان الرَّمْلِ بات مَعِيناً ^(٣)
وإذا طرفنَ طرفنَ عن حدقِ المَهَا وَفَضَلْنِهِنَّ حَاجِراً وَجُفُوناً ^(٤)
وكانَ أجيادَ الأطباءِ تمدّها وَخُصُورِهِنَّ لَطَافَةً وَلُدُوناً ^(٥)
وأصحُّ ما رأيتُ العيونُ حَاجِراً وَلَهْنٌ أمرضُ ما رأيتُ عيوناً ^(٦)

(١) أنفذن القلوب : من قولهم «رمىته فأنفذته» إذا أنفذت فيه السهم . ورواية المبرد «أفصدن القلوب» بمعنى أصبنا من قولهم أقصدت الرجل إذا طعنته فلم تخطيء مقاتله ، ومائر : سائل ، والحيازم : جمع حيزوم ، وهو ما اكتنف الحلقوم من جانب الصدر
(٢) اللهاة : اللحمة الشرفة على الحلق ، وهذا البيتان من الشعر الرائع
(٣) الأقحوان : زهر أبيض تشبه به الثغور الناصع البياض ، والمعين : المطور ، والمطر يزيد الزهر نضرة .

(٤) طرفن : حركن عيونهن ، والمها : الغزلان (٥) الأجياد : جمع جيد بكر الجيم - وهو العنق ، والدون والدونة - بضم اللام - الرقة

(٦) اللام في «لهن» لام الابتداء ، والمقصود بها التوكيد ، وفي هذا المعنى يقول جرير :
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به وهن أضغ خلق الله إنسانا (م)

وَأَنَّهُنَّ إِذَا نَهَضْنَ لِحَاجَةٍ يَنْهَضْنَ بِالْعَقَدَاتِ مِنْ يَبْرِينَا^(١)
وقال الطائي^(٢) :

تُعْطِيكَ مَنْطِقَهَا فَتَعْلَمُ أَنَّهُ لِحَنِي عُدُوبَتِهِ يَمُرُّ بِشَفْرِهَا
وَأُظْنُ حَبْلَ وَصَالِهَا لِمُحِبِّهَا أَوْهَى وَأَضْعَفَ قُوَّةً مِنْ خَصْرِهَا
أخذه أبو القاسم بن هاني^(٣) ، فقال يمدح جعفر بن علي ، إلا أنه قلبه فقال :
قَدْ طَيَّبَ الْأَفْوَاهَ طَيْبُ ثَنَانِهِ مِنْ أَجْلِ ذَا نَجْدِ الثُّغُورِ عِدَابَا
وَكَأَنَّمَا ضَرَبَ السَّمَاءَ مُرَادِقًا بِالزَّابِ ، أَوْ رَفَعَ النُّجُومَ قِيَابَا^(٤)
أَرْضًا وَطِثْتُ الدُّرَّ رَضْرَاضًا بِهَا وَالْمَسْكَ تُرْبًا وَالرِّيَاضَ جَنَابَا^(٥)

(١) العقدرات : جمع عقدة ، وهي السفع والكثيب ، ويبرين : اسم مكان من أصقاع البحرين ، يقول فيه أبو زياد الكلابي .

أراك إلى كئيبان يبرين صبة وهذا لعمرى لو قنعت كئيب
وإن الكئيب الفرد من أيمن الحمى إلى ، وإن لم آته ، لجيب

(٢) نسبة شاذة إلى طيء ، وكما ذكر « الطائي » فالمراد أبو تمام ، وهو شاعر فحل من شعراء الدولة العباسية . ولد في جاسم - وهي قرية قريبة من دمشق - في سنة ١٩٠ للهجرة ، ونقل صغيراً إلى مصر ، وأقام بهامدة يسقى الماء في جامع عمرو ، ثم رحل إلى مقر الخلافة بعد أن نبغ في الشعر والأدب ، فاتصل بالعتصم ووزيره محمد بن الزيات ، ثم ولاء الحسن بن وهب بريد الموصل فأقام بها إلى أن مات سنة ٢٣١ . وله ديوان
(٣) محمد بن هاني : من أكبر شعراء الأندلس وأشهرهم . وكان يسمى « متنبى الغرب » لجزالة شعره وقوة عارضته ، وهو صاحب الكافية المشهورة التي يقول في مطلعها :

فَنَكَاتَ لِحْظِكَ أُمَّ سَيْوْفِ أَيْكَ وَكُوُوسِ خَمْرِ أُمِّ مَرَاشِفِ فَيْكَ

توفي في سنة ٣٦٢ ، بعد أن جاب كثيراً من الأقطار واتصل بكثير من الرؤساء . أما جعفر بن علي ممدوحه فقد توفي سنة ٣٦٤ .

(٤) الزاب : من أعمال أفريقية (٥) الرضراض : صغار الحمى

وقال الطائي :

بَسَطَتْ إِلَيْكَ بِنَانَةً أُسْرُوعًا تَصِفُ الْفِرَاقَ وَمُقَلَّةً يَنْبُوعًا^(١)
كَادَتْ لِعِرْفَانَ النَّوَى أَلْفَاظُهَا مِنْ رِقَّةِ الشُّكْوَى تَكُونُ دُمُوعًا
ومن جيد هذا المعنى وقديمه قولُ النابغة الذبياني^(٢) :

لَوْ أَنَّهَا عَرَضَتْ لِأَشْمَطِ رَاهِبٍ عَبَدَ الْإِلَهَ صَرُورَةً مُتَعَبِدًا^(٣)
لَرْنَا لِلهَيْجَتِهَا وَطِيبَ حَدِيثِهَا وَنَحَالَهُ رَشْدًا وَإِنْ لَمْ يَرشُدْ
نَظَرْتُ إِلَيْكَ بِمَاجَةٍ لَمْ تَقْضِهَا نَظَرَوِ السَّلِيمِ إِلَى وَجْهِهِ الْعُودِ^(٤)
ومن مشهور الكلام قولُ الآخر :

وَكُنْتُ إِذَا مَا زُرْتُ سَعْدِي بِأَرْضِهَا أَرَى الْأَرْضَ تُطْوِي لِي وَيَدُّنُو بَعِيدُهَا
مِنْ الْخَفَرَاتِ الْبَيْضِ وَدَّ جَلِيسُهَا إِذَا مَا انْقَضَتْ أَحَدُوتهُ لَوْ تُعِيدُهَا^(٥)
تَحَلَّلُ أَحْقَادِي إِذَا مَا لَقِيتُهَا وَتُرْمِي بِهَا جُرْمِي عَلَى حَقُودِهَا^(٦)
وقال بشار :

وَكَأَنَّ رَجْعَ حَدِيثِهَا قَطَعَ الرِّيَاضَ كَسِينِ زَهْرًا
حَوْرَاءَ إِنْ نَظَرْتُ إِلَيْكَ سَقَتِكَ بِالْعَيْنِينَ خَمْرًا^(٧)
تُنْسِي النَّوَى مَعَادَهُ وَتَكُونُ لِلْحِكْمَاءِ ذِكْرًا
وَكَأَنَّهَا بَزْدُ الشَّرَا بِ صَفَاً وَوَافِقَ مِنْكَ فَطْرًا^(٨)

- (١) الأسروع : دود أحمر الرأس تشبه به الأنامل المخضبة (٢) النابغة : شاعر جاهلي صحب النعمان بن المنذر وأجاد القول في الاعتذار
(٣) الأشمط : من يخالط بياض شفره سواد ، وصرورة ، وصرورة ، وصرورة : لم يتزوج ، للواحد والجمع (٤) العود : جمع عائد ، والمراد أنها تنظر بتكسر وفطور كما ينظر السقيم إلى وجوه العواد - والمخزوظ «نظر السقيم» وهو نسخة، وكذلك هو في ديوانه (م) (٥) الخفرات : من الخمر - بفتحتين - وهو الحياء .
(٦) تحلل : تتحلل وتذوب ، والأحقاد والحقود : جمع حقد ، والجرم : الذنب
(٧) حوراء : من الحور - بفتحتين - وهو شدة بياض العين مع شدة سواد سوادها (٨) في الأصل «وافق فيه قطراً» والذي ائبتناه أوفق

وَكَانَ تَحْتَ لِسَانِهَا هَارُوتُ يُنْفُثُ فِيهِ سِحْرًا
وَتَحَالُ مَا جَمَعَتْ عَلَيْهِ ثِيَابَهَا ذَهَبًا وَعِطْرًا^(١)

وسمع بشارت قول كثير بن عبد الرحمن^(٢) :

أَلَا إِنَّمَا لِي عَصَا خَيْرَانَةٍ إِذَا نَعَزُوهَا بِالْأَكْفِ تَلِينُ
قَالَ : قَاتِلَ اللَّهِ أَبَا صَخْرٍ ! يُزَعَمُ أَنَّهَا عَصَا وَيَعْتَدِرُ بِأَنَّهَا خَيْرَانَةٌ ، وَلَوْ قَالَ :
عَصَا مُخٍّ ، أَوْ عَصَا زُبْدٍ ؛ لَكَانَ قَدْ هَجَّجْنَا مَعَ ذِكْرِ الْعَصَا ، هَلَا قَالَ كَمَا قُلْتَ :
وَدَعَجَاءَ الْمَحَاجِرِ مِنْ مَعَدِّ كَأَنَّ حَدِيثَهَا تَمْرُ الْجَنَانِ^(٣)
إِذَا قَامَتْ لِحَاجَتِهَا تَثَنَّتْ كَأَنَّ عِظَامَهَا مِنْ خَيْرَانِ

وبعد قول كثير : « ألا إنما ليلي عصا خيرانة » :

تَمَتَّعَ بِهَا مَا سَاعَفْتِكَ ، وَلَا يَكُنْ عَلَيْكَ شَجِيٌّ فِي الصَّدْرِ حِينَ تَبِينُ
وَإِنْ هِيَ أَعْطَتْكَ اللَّيَانَ فَإِنَّهَا لِأَخْرَجَ مِنْ خُلَائِقِهَا سَتَلِينَ
وَإِنْ حَلَفْتَ لَا يَنْقُضُ النَّأْيُ عَهْدَهَا فَلَيْسَ لِمُخْضَبِ الْبِنَانِ يَمِينُ
وقال البحري :

وَلَمَّا التَّقِينَا وَاللَّوِي مَوْعِدٌ لَنَا تَعَجَّبَ رَأَى الدُّرَّ حُسْنًا وَلَا قِطْعُهُ
فَمَنْ لَوْلُو تَجْنِيهِ عِنْدَ ابْتِسَامِهَا وَمَنْ لَوْلُو عِنْدَ الْحَدِيثِ تُسَاقِطُهُ
وقال المتنبي :

أُمْنَعَةٌ بِالْعُبُودَةِ الظُّبَيْةُ الَّتِي بَغِيرَ وُلِيِّ كَانَ نَائِلَهَا الوَسْمِيُّ^(٤)
تَرَشَّفْتُ فَأَهَا سُحْرَةَ فَكَأْتِي تَرَشَّفْتُ حَرًّا الْوَجْدِ مِنْ بَارِدِ الظُّمِّ^(٥)

(١) يصف جسمها بأنه قطعة من الذهب والعطر .

(٢) هو كثير عزة المتوفى في سنة ١٠٥ (٣) دعجاء : حوراء .

(٤) الوسمي : المطر الأول ، والولي : المطر الذي يليه .

(٥) الظلم بفتح الظاء : الثغر ، قال كعب بن زهير :

تَجْلُوعُ عَوَارِضِ ذِي ظَلَمٍ إِذَا ابْتَسَمَتْ كَأَنَّهُ مِنْهَلٌ بِالرَّاحِ مَعْلُولٌ

وفي أساس البلاغة : الظلم كأنه ظلمة تركب متون الأسنان من شدة الصفاه

فتاةٌ تساوى عقدها وكلامها ومبسمها الدررى في النثر والنظم.

تفسير حديث
وضبط لفظه

عاد الحديث الأول - قال أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي : حدثنا يوسف بن يعقوب قال : أخبرني جدِّي قراءة عليه ، عن أبي داود ، عن محمد بن عبيد الله ، عن أبي إسحاق ، عن البراء يرفعه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن من الشعر لحكماً ، وإن من البيان لسحراً » قال أبو القاسم : هكذا روينا الخبر ، وراجعت فيه الشيخ ، فقال : نعم ، هو : « إن من الشعر لحكماً » بضم الحاء وتسكين الكاف ، قال : ووجهه عندي إذا روى هكذا : إن من الشعر ما يلزم المقول فيه كلزوم الحكم للمحكوم عليه ؛ إصابة للمعنى ، وقصدًا للصواب وفي هذا يقول أبو تمام :

وَلَوْلَا سَبِيلٌ سَنَّهَا الشَّعْرُ مَا دَرَى
بُغَاةُ الْعُلَى مِنْ أَيْنَ تَوَقَّى الْمَكَارِمُ ^(١)
يُرَى حِكْمَةٌ مَا فِيهِ وَهُوَ فُكَاهَةٌ
وَيَرْضَى بِمَا يَقْضِي بِهِ وَهُوَ ظَالِمٌ
انتهى كلام أبي القاسم .

الخطيئة
وبنو أنف
الناقة

وقد وجدنا في الشعر أبياتاً يُجرى على رسمها ، ويُتصَّى على حكمها ؛ فقد كان بنو أنف الناقة إذا ذكروا أحداً عند أحد منهم أنف الناقة - فضلاً عن أن ينسبهم إليه - اشتدَّ غضبهم عليه ؛ فما هو إلا أن قال الخطيئة ^(٢) يمدحهم :

سِيرِي أُمَامَ فَإِنِ الْكَثْرِينَ حَصَى
وَالْأَطْيَبِينَ إِذَا مَا يُنْسَبُونَ أَبَا ^(٣)

(١) البغاة : الطلاب . وفي الأصل « بغاة الندى » وما أثبتناه أدق .

(٢) هو جرول بن أوس ، شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام . كان سليط اللسان لم يكديس من هجائه أحد ، وقد سجنه عمر بن الخطاب لذلك ، توفي نحو سنة ٣٠ .

(٣) سيرى : أمر من السير للمفردة المؤنثة ، وأمام - بضم الهمزة - مرخم أمامة وهو اسم امرأة ، والأكثرين حصى : أى أكثر الناس عدداً ، ومنه قول الأعشى :
ولست بالأكثر منهم حصى وإنما العزة للكثير (م)

قومٌ إذا عقدوا عقداً لجارهمُ شَدَّوا العِناجَ وشَدَّوا فَوْقَه الكَرَبَا (١)
 قومٌ همُ الأنفُ والأذنانُ غيرُهُمُ ومن يُسَوِّي بِأنفِ الناقةِ الذَّنْبَا
 فصار أحدهمُ إذا سئل عن اتسابه لم يَبْدَأْ إلا بهِ

وأنفُ الناقة: هو جعفر بن قريع بن عوف بن كعب بن زيد مناة بن تميم .
 وكان بنو العَجَلانَ يَفُخَّرُونَ بهذا الاسم ، ويتشرفون بهذا الوَسْمِ ؛ إذ كان
 عبدُ الله بن كعب جدَّهُمُ إنما سُمِّي العجلان لتعجيله القِرَى للضيَّفان ؛ وذلك أن
 حياً من طيء نزلوا به ، فبعث إليهم بقرامٍ عَبْداً له ، وقال له : اعْمَلْ عليهم ،
 ففعل العبدُ ، فأعتقه لعجلته ، فقال القوم : ما ينبغي أن يسمى إلا العجلان ؛ فسمى
 بذلك ؛ فكانت شرفاً لهم ، حتى قال النجاشي ، واسمه قيس بن عمرو بن حرن
 ابن الحارث بن كعب يهجوهم :

بنو العجلان
 والنجاشي
 الحارثي

أولئك أحوالُ اللَّعينِ وأسرَةُ الكَهَجينِ ورهطُ الواهِنِ المتذللِ (٢)
 وما سُمِّي العَجَلانُ إلا لقوله خذِ القَعْبَ وأحلب أيها العبدواً عَجَل

فصار الرجل منهم إذا سئل عن نسبه قال : كعبي ، ويكنى عن العجلان
 وزعمت الرواة أن بنى العجلان استعدوا (٣) على النجاشي - لما قال هذا الشعر - عمر
 ابن الخطاب رضى الله عنه ، وقالوا : هَجَانَا ، قال : وما قال فيكم ؟ فأنشدوه قوله :

إذا اللهُ عادَى أهلَ لؤمٍ ورِقَّةٍ فعادَى بنى العَجَلانِ رهطَ ابنِ مُقبِلِ
 فقال : إنَّ اللهُ لا يُعادَى مسلماً ، قالوا : فقد قال :

قُبَيْلَةَ لا يَقْدِرُونَ بِذِمَّةِ ولا يَظْلِمُونَ الناسَ حَبَّةَ خَرْدَلٍ (٤)

(١) العناج : جبل الدلو وزمام الناقة . والكرب أيضاً : من جبال الدلو ، والمراد
 أنهم إذا عقدوا عقداً ربطوه بجبل بعد جبل ، وهذا كناية عن وثاقة العهد
 (٢) الأسرة والرهط بمعنى القوم ، والهجين : غير الشريف ، والواهين : الضعيف
 (٣) استعانوا واستنصروا (٤) قبيلة تصغير : قبيلة ، وفي الأصل قبيلته وهو تحريف ؛
 والمعنى أنهم لا يقدرون لضعفهم على ظلم أحد .

قال : وددت أن آل الخطاب كانوا كذلك ! قالوا : فقد قال :
 تَعَاْفُ الْكِلَابُ الضَّارِيَاتُ لِحَوْمِهِمْ وَتَأْكُلُ مِنْ عَوْفِ بْنِ كَعْبِ بْنِ نَهْشَلٍ
 فقال : كفى ضياعاً من تأكل الكلابُ لحمه ! قالوا : فقد قال :
 وَلَا يَرِدُونَ الْمَاءَ إِلَّا عَشِيَّةً إِذَا صَدَرَ الْوَرَادُ عَنْ كُلِّ مَنَهْلٍ (١)
 فقال : ذلك أصفى للماء ، وأقل للزحام ! قالوا : فقد قال :
 وَمَا سُمِّيَ الْعَجْلَانُ إِلَّا لِقَوْلِهِ خُذِ الْقَعْبَ وَاخْلِبْ أَيُّهَا الْعَبْدُ وَاغْجَلِ
 فقال : سيد القوم خادِمُهُم ! .

وكان عمر رضى الله عنه أعلم بما فى هذا الشعر، ولكنه درأ الحدود بالشبهات (٢)
 وهؤلاء بنو نعيم بن عامر بن صعصعة من القوم أحدُ جمرات العرب بنو نعيم وجرير
 وأشرف بيوت قيس بن عيلان بن مضر . وجمرات العرب ثلاثة ؛ وإنما سُموا
 بذلك لأنهم متوافرون فى أنفسهم ، لم يَدْخِلُوا معهم غيرهم ؛ والتجدير فى كلام العرب :
 التجميع ، وهم : بنو نعيم بن عامر ، وبنو الحارث بن كعب ، وبنو ضبة بن أد . فطفت
 جمرتان ، وهما بنو ضبة لأنها حالفت الرباب ، وبنو الحارث لأنها حالفت مذحج ،
 وبقيت نعيم لم تحالف ؛ فهى على كثرتها ومنعتها . وكان الرجل منهم إذا قيل له :
 مَنْ أَنْتَ ؟ قال : نيمى كما ترى ! إِدْلَالاً بِنَسَبِهِ ، وافتخاراً بمنصبه ، حتى قال جرير
 ابن [عطية بن] الخَطَفَى لِعُبَيْدِ بْنِ حُصَيْنِ الرَّاعِي أَحَدِ بَنِي نَعِيمِ بْنِ عَامِرٍ :
 فغَضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نَعِيمٍ فَلَا كَفْبًا بَلَّغْتَ وَلَا كِلَابًا
 كعب و كلاب : ابنا ربيعة بن عامر بن صعصعة ؛ فصار الرجل منهم إذا قيل له :
 مَنْ أَنْتَ ؟ يقول : عامرى ، ويكنى عن نعيم .

ومرّت امرأة بقوم من بنى نعيم، فأحدّوا النظر إليها ، فقال منهم قائل : والله

(١) يريد أنهم لا يستطيعون ورود الماء إلا إذا انصرف عنه الناس — وذلك
 كناية عن ضعفهم وعدم قدرتهم على المزاومة للوصول إلى الماء (م)
 (٢) هذا الحديث رواه ابن رشيقي فى العمدة بشئ من التفصيل فليراجع هناك .

إنها لرشحاء^(١)، فقالت : يا بني نمير، والله ما امتلتم في واحدة من اثنتين، لا قول
الله عز وجل : (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ بَغُضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ) ولا قول الشاعر :

* فغض الطرف إنك من نمير *

وساير شريك بن عبدالله النميري يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري ، فبرزت
بغلة شريك^(٢) ، فقال له يزيد : غض من لجامها ، فقال : إنها مكتوبة أصلح الله
الأمير ! فضحك ، وقال : ما ذهبت حيث أردت

شريك بن
عبدالله النميري
وابن هبيرة
الفزاري

وإنما عرض بقوله : « غض من لجامها » بقول جرير :

* فغض الطرف إنك من نمير *

فعرض له شريك بقول ابن دارة :

لا تأمنن فزارياً خلوت به على قلوبك واكتبها بأسيار^(٣)

و بنو فزارة يرمون يأتيان الإبل ، ولذلك قال الفرزدق ليزيد بن عبد الملك
ابن هبيرة مسا ولي عمر بن هبيرة^(٤) العراق :

أمير المؤمنين لانت مرء أمين آنت بالطبع الحريص
أوليت العراق ورافديه فزارياً أخذ يد القميص^(٥)
وليك قبلها راعي مخاض ليأمنه على وركي قلوب^(٦)

(١) رشحاء : كثيرة العرق ، وذلك من عيوب النساء .

(٢) برزت : سبقت (٣) اكتبها : مأخوذ من الكتابة - بضم الكاف وسكون
التاء - وهو سير يكتب به حياء الناقة لثلا ينزى عليها . وكتب الناقة يكتبها - بكسر التاء
وضمها في المضارع - ختم حياءها .

(٤) عمر بن هبيرة الفزاري : أمير من الدهاة الشجعان ، ولاء عمر بن عبدالعزيز
الجزيرة ، فأقام فيها إلى أن كانت خلافة يزيد بن عبد الملك ، فولاه إمارة العراق
وخراسان ، توفي نحو سنة ١٩٠ (٥) أخذ : مقطوع ، ومقطوع يد القميص كناية
عن السارق (٦) القلوب : الناقة ، والحواف على وركي الناقة كناية عن الحواف عليها
من أن يأتيها الفزاري !

تَفَيْهَقَ بِالْعِرَاقِ أَبُو الْمُثَنَّى وَعَلَّمَ قَوْمَهُ أَكْلَ الْخَبِيصِ^(١)

الرافدان : دجلة والفرات .

نميرى يجيب
جريرا

وقال بعض النميريين يجيبُ جريراً عن شعره :

نميرٌ جَمْرَةُ الْعَرَبِ الَّتِي لَمْ تَزَلْ فِي الْحَرْبِ تَلْتَهِبُ التَّهَابَا

وَإِنِّي إِذْ أُسِبُّ بِهَا كَلِيبًا فَتَحَتْ عَلَيْهِمُ لِلْخَسْفِ بَابَا

وَلَوْلَا أَنْ يُقَالَ هَجَا نَمِيرًا وَلَمْ يَسْمَعْ لَشَاعِرِهِمْ جَوَابَا

رَغَبْنَا عَنْ هَجَاءِ بَنِي كَلِيبٍ وَكَيْفَ يُشَاتِمُ النَّاسُ الْكِلَابَا

فما نفع نميراً ، ولا ضرَّ جريراً ، بل كان كما قال الفرزدق :

مَا ضَرَّ تَغْلِبَ وَائِلٍ أَهَجَوْتَهَا أَمْ بُلَّتْ حَيْثُ تَنَاطَحَ الْبَحْرَانِ

وقال أبو جعفر محمد بن منذر مولى بني صبير بن ربوع في هجائه لثقيف :

وَسَوْفَ يَزِيدُكُمْ ضَعَةً هِجَاؤِي كَمَا وَضَعَ الْمُهْجَاءُ بَنِي نَمِيرِ

وسمع الراعي^(٢) منشداً ينشد :

زَعَاوِ عَوَى مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ رَمَيْتُهُ بِقَافِيَةٍ أَنْفَازُهَا تَقَطَّرُ الدَّمَا^(٣)

خَرُوجِ بَأْفَوَاهِ الرُّوَاةِ كَأَنَّهَا قَرَى هُنْدُوَانِي إِذَا هَزَّ صَمَّمَا^(٤)

له ، وقال : لمن هذا؟ قيل : لجرير ، قال : لعن الله من يلومني أن يغلبني مثل هذا!

قد بنى الشعرُ لقوم بيوتاً شريفة ، وهدم لآخرين أبنية منيفة :

فضل الشعر

مَا هُوَ إِلَّا الْقَوْلُ يَسْرِي فَتَغْتَدِي لَهُ غُرَّرٌ فِي أَوْجِهِ وَمَوَاسِمٌ^(٥)

ال أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي^(٦) : سمعت أبا عمرو بن العلاء ورجل يقول :

(تفهق : عاش عيشة الترف ، والخبيص : طعام يعمل من التمر والسمن .

(الراعي : هو عبيد بن حصين النميري ، شاعر فحل كان يفضل الفرزدق على

جاء جرير ، واستمر بينهما العدا . توفي نحو سنة ٩٠

(أنفاذ : جمع نفذ بفتحين ، وهو الشق تحذته الطعنة

(الهندواني : السيف ، والقري : الشق والصدع ، وصمم : أصاب المفصل وقطعه

(مواسم : جمع ميسم ، وأصله من الوسم ، وأراد به الكي (م)

(كان من أبصر الناس بعلوم اللغة العربية توفي سنة ٣٠٩

إنما الشعر كالميسم^(١). فقال: وكيف يكون ذلك كذلك؟ والميسم يذهب بذهاب الجلد ويُدْرُس مع طول العهد، والشعر يبقى على الأبناء بعد الآباء، ما بقيت الأرض والسماء!
وإلى هذا نحا الطائي في قوله:

وأني رأيتُ الوَسْمَ في خُلُقِ الفتى هو الوَسْمُ لا ما كان في الشعر والجلد
وقال عمر رحة الله عليه: تعلموا الشعر؛ فإن فيه محاسنٌ تبتغي، ومساويءٌ تُتقى.
وقال أبو تمام:

مثلَ النّظامِ إذا أصابَ فريدا	إنَّ القوافيَ والمساعيَ لم تَزَلْ
في الشعرِ كانَ قلائدًا وعُقودًا	هيَ جوهراً نثرًا فإن ألفتَهُ
يدعونَ هذا سُوددًا مجدودًا	من أجل ذلكَ كانت العربُ الألى
جُعِلَتْ لها مِررُ القصيدِ قيودًا ^(٢)	وتندُّ عندهمُ المَلأَ إلا إذا

وقال علي بن الرومي:

أرى الشعر يُحْيِي النَّاسَ وَالْمَجْدَ بِالَّذِي تَبْقِيهِ أَرْوَاحُ لَهُ عَطْرَاتُ
 وَمَا الْمَجْدُ لَوْلَا الشَّعْرُ إِلَّا مَعَاهِدٌ وَمَا النَّاسُ إِلَّا أَغْظَمُ نَخْرَاتٍ (٣)
 [شذور من كلام الرسول]

رجعت إلى ما قطعت ، مما هو أحق وأولى ، وأجل وأعلى ، وهو كلامُ رسول الله
 صلى الله عليه وسلم الكَرِيمِ النَّجْرِ (٤) ، العَظِيمِ القَدْرِ ، الذي هو النِّهَايَةُ فِي البَيَانِ ،
 وَالغَايَةُ فِي البَرهَانِ ، المُشْتَمِلِ عَلَى جَوَامِعِ الكَلِمِ ، وَبِدَائِعِ الحِكْمِ ، وَقَدْ قَالَ رَسولُ
 الله صلى الله عليه وسلم : أَنَا أَفْصَحُ العَرَبِ بِيَدِ أَنِّي مِنْ قَرِيشٍ ، وَاسْتَرْضَعْتُ فِي سَعْدِ
 ابنِ بَكْرٍ ! وَليس بَعْضُ كَلَامِهِ بِأَوْلَى مِنْ بَعْضِ البِاخْتِيَارِ ، وَلَا أَحَقُّ بِالتَّقْدِيمِ وَالإِثَارِ ؛
 وَلَكِنِّي أُورِدُ مَا تيسَّرَ مِنْهُ فِي أَوَّلِ هَذَا الكِتَابِ اسْتِفْتَاحًا ، وَتَيَمُّنًا بِذَلِكَ وَاسْتِنجَاحًا .

(١) الميسم : المكواة . (٢) المرر : جمع مرة - بكسر الميم - وهي إحكام القتل ،
 وتند : تنفر وتشرد . (٣) معاهد : أراد الأطلال الدارسة ، والمقصود أن المجد
 يفنى ويلى بلاء الأطلال ما لم يدعمه الشعر . (م) (٤) النجر : الأصل .

وهذه شذوْرٌ من قوله صلى الله عليه وسلم الصريح الفصيح ، العزيز الوجيه ،
المتضمن بقليلٍ من المباني كثير المعاني :

قوله للأَنْصار : إنكم لتَقْلُونَ عند الطمع ، وتَكْثُرُونَ عند الفَزَعِ .

وقوله عليه الصلاة والسلام : المسلمون تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم
أدناهم ، وهم يدٌ على مَنْ سِوَاهُمْ . الناسُ كإبلٍ مائةٌ لا تجدُ فيها راحلةً . إياكم وخَضْرَاءُ
الدِّمَنِ ^(١) . كلُّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا ^(٢) . قاله لأبي سفيان صخر بن حرب .
الناسُ معادن ، خيارُهُم في الجاهلية خيارُهُم في الإسلام إذا فقهوا . المؤمن للمؤمن
كالبنيان يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا . أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم . المتشعب بما
لم يُعْطَ كلابس ثوبي زورٍ . المرأة كالضلع إن رُميت قوامها كسرتها ^(٣) ، وإن
داريتها استمتعت بها . اليدُ العليا خيرٌ من اليد السفلى . مَطْلُ الْغَنِيِّ ظُلْمٌ .
يدُ الله مع الجماعة . الحياة شُعبَةٌ من الإيمان . مثلُ أبي بكر كالقطر ، أينما وقع
نفعٌ . لا تجعلوني في أعجازِ كتبكم كقدحِ الراكب ^(٤) . أربعةٌ من كنوز الجنة :
كتمان الصَّدَقَةِ والمرض والمصيبة والفاقة . جنة الرجل دارُهُ . الناس نيام فإذا
ماتوا انتَبَهُوا . كفى بالسلامة داءً . إنكم لن تَسْعُوا الناسَ بأموالكم ، فَسَعَوْهم
بأخلاقكم . ما قلَّ وكفى خيرٌ مما كثُرَ وألهى . كلُّ مُيَسَّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ .
اليمين حِنْثٌ أو مَنْدَمَةٌ ^(٥) . دَعَّ مَا يَرِيْبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيْبُكَ . أَنْصُرْ أَخَاكَ ظَلَمًا كَانَ

(١) الدمن : جمع دمنة ، وهي مربوط الإبل والحيل ينبت فيها النبات فيكون رائح
الحضرة لكثرة الماء والسماد ، وخضراء الدمن : كناية عن المرأة الوسيمة تدرج من
بيت السوء .

(٢) الفراء : حمار الوحش ، (كل الصيد في جوف الفراء) مثل ، ومعناه أن من
قال الأمر العظيم كان خليقا أن ينسى ما سواه مما ينال الناس .

(٣) القوام بالكسر : التقويم (٤) الأعجاز : الأواخر

(٥) الحنث بكسر الحاء : الذنب ، والمعنى أنك حين تقسم تقع بين الذنب والندم

أو مظلوماً . احترسوا من الناس بسوء الظن . الندم توبة . انتظار الفرج عبادة . نعم صومعة الرجل بيته . المستشار معان والمستشار مؤتمن . المره كثير بأخيه . إن للقلوب صدأ كصدأ الحديد وجلاؤها الاستغفار . اليوم الرهان وغداً السباق ، والجنة الغاية . كل من في الدنيا ضيف ، وما في يديه عارية ، والضيف مُرتحل ، والعارية مؤداة .

ومن جوامع كليمه عليه الصلاة والسلام مارواه أهل الصحيح عن علقمة بن وقاص الليثي عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها ، أو امرأة يتزوجها ، فهجرته إلى ما هاجر إليه . »

قال أبو القاسم حمزة بن محمد الكنانى : سمعت أهل العلم يقولون : هذا الحديث ثلث الإسلام ، والثلث الثانى مارواه النعمان بن بشير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الحلال بين ، والحرام بين ، وبينهما أمورٌ مشتبهات ، فمن تركها كان أوفى لدينه وعرضه ، ومن واقعها كان كالبراع حول الحمى ؛ ألا وإن لكل ملك حمى ، ألا وإن حمى الله محارمه »^(١) .

قال : و [الثلث] الثالث مارواه مالك [عن] ابن شهاب عن علي ابن حسين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من حُسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » .

(١) الحمى : الشيء المحمى المنوع ، والمحارم : جمع محرم بمعنى الحرام ، يعنى أن المحرمات التى نهى الله ورسوله عنها تشبه الحمى ، فكما أنه لا يجرؤ أحد على الاقتراب مما يحميه الملوك ينبغى ألا يقرب أحد شيئاً مما حرمه الله ، وفى رواية « فمن تركها فقد استوثق لدينه وعرضه » (م)

بوقد سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الشعرَ وأثابَ عليه ، وندب
 حسان بن ثابت إليه^(١)، وقال : إن الله ليؤيده بروح القدس مانافع عن نبيه^(٢) .
 ولما انتهى شعرُ أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب إلى النبي صلى الله
 عليه وسلم شقَّ عليه^(٣) فدعا عبد الله بن رَوَاحَةَ^(٤) فاستنشدَهُ فَأَنشَدَهُ فقال : أنتَ
 شاعرٌ كريمٌ ، ثم دعا كعب بن مالك فاستنشدَهُ فَأَنشَدَهُ ، فقال : أنتَ تُحَسِّنُ صِفَةَ
 الحرب ، ثم دعا بحسان بن ثابت فقال : أجب عني ، فأخرجَ لسانه فضرب به
 أرنبته^(٥) ؛ ثم قال : والذي بعثك بالحق ما أحبُّ أن لي به مقولاً في معدٍّ ؛
 ولو أن لسانا فرى الشعرَ لفرَّاه^(٦) . ثم سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن
 يمسَّ من أبي سفيان ، فقال : وكيف ، وبينى وبينه الرَّحِمِ التي قد علمت ؟ فقال :
 أسلُّك منه كما تُسلُّ الشَّعْرَةَ من العجين ! فقال : اذهب إلى أبي بكر ، وكان أعلمَ
 الناسَ بأنساب قريش ، وسائر العرب ، وعنه أخذ جُبَيْر بن مُطْعِمِ علم النسب ،
 فمضى حسانُ إليه فذكر له معايبه ، فقال حسان بن ثابت :

وإن سَنَامَ الْمَجْدِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ
 وَمَنْ وَلَدَتْ أَبْنَاءَ زُهْرَةَ مِنْهُمْ
 وَلَسْتَ كَعَبَّاسٍ وَلَا كَابْنَ أُمِّهِ
 وَإِنَّ امْرَأَةً كَانَتْ سُمِّيَةَ أُمَّهُ
 وَأَنْتَ زَيْنٌ نَيْطٌ فِي آلِ هَاشِمٍ
 بنو بنت مخزوم ووالدك العبدُ
 كرامٌ، ولم يقرب عَجَائِزَكَ الْمَجْدُ (٧)
 وَلَكِنْ نَيْمٌ لَا يَقُومُ لَهُ زَنْدٌ (٨)
 وَسَمْرَاءُ مَغْمُوزٌ إِذَا بَلَغَ الْجَهْدُ (٩)
 كَمَا نَيْطَ خَلْفَ الرَّكْبِ الْقَدْحُ الْفَرْدُ (١٠)

- (١) ندب : دعا (٢) نافع : دافع (٣) شق عليه : عظم عليه (٤) عبد الله بن رواحة : صحابي يعد في الأمراء والشعراء الراجزين ، كان يكتب في الجاهلية ، شهد العقبة وبدرًا وأحدا . واستخلفه النبي على المدينة في إحدى غزواته . توفي سنة ٨ .
- (٥) الأرنبة : طرف الأنف (٦) يفرى الشعر : يحوه ، ومحو الشعر : كناية عن غاية الإيذاء (٧) العجائز : جمع عجوز (٨) الزند : موصل طرف الذراع في الكف (٩) الجهد : التعب . وبلوغه : شدته ، وهذا كناية عن السعي للمجد ، والمغموز : الحامل (١٠) زعيم : دعى معلق بمن ليس منه ، ونيط بكسر النون : علق

فلما بلغ هذا الشعر أباسفيان قال : هذا كلامٌ لم يَنْبِ عنه ابنُ أبي قحافة^(١)
يعنى بنى بنت مخزوم عبد الله وأباطالب والزبير بنى عبد المطلب بن هاشم [بن
عبد مناف] ، أمُّهم فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم ، وأخواتهم
برّة وأميمة والبيضاء ، وهى أم حكيم ، والبيضاء جدّة عثمان بن عفان أم أمه .
وقوله : « ومن ولدت أبناء زهرة منهم كرام » يعنى أميمة وصفية أم الزبير بن
العوام أمها هالة بنت أهيب بن عبد مناف بن زهرة .
وقوله : « ولست كعباس ولا كإبن أمه » أمّ العباس : ثبيلة امرأة من النعمر
ابن قاسط ، وأخوه لأمه ضرار بن عبد المطلب
وقوله : « وإن امرأة كانت سمية أمه » سمية أم أبي سفيان ، وسمراء : أم أبيه ،
وليس هذا موضع إطناب فى رفع الأنساب .
وكان عبد الأعلى بن عبد الرحمن الأموى عتب على بعض ولد الحارث ،
فقال له مُعَرِّضاً بما قال حسان :

إِخَالٌ بِالْعَمِّ وَبِالْجَدِّ مَفْتَخِرًا بِالْقَدَحِ الْفَرْدِ^(٢)
الْهَجُّ بِحَسَّانٍ وَأَشْعَارِهِ فَإِنهَا أَدْعَى إِلَى الْمَجْدِ
لَوْلَا سَيْفُ الْأَزْدِ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَمْ تَقِيمُوا سُورَةَ الْحَمْدِ
فتوعّدوه ، فخافهم ، فقال :

بنى هاشم عفواً عفا الله عنكم^(٣) وإن كان ثوبى حشو ثنيه مجرم^(٣)
لكم حرّم الرحمن والبيت والصفاء وجمع وماضم الخطيم وزمزم
فإن قلتم بادھتنا بعظيمة فأحلامكم منها أجل وأعظم

(١) ابن أبي قحافة : هو أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه (م)
(٢) إخال - بكسر الهمزة - أظن ، والمعنى : أظنك مفتخراً بالقدر الفرد
(٣) حشو ثنيه : أراد لابس ثوبه ، كناية عن نفسه ، وهذا مثل قولهم «المجدين
نرديه ، والجود حشو ثوبيه » ونحو ذلك (م)

وأسلم أبو سفيان - رحمه الله ! - وشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم حُنين ،
 وكان ممسكا بقلته حين فرّ الناس ، وهو أحد الذين ثبتوا ، وهم - على ما ذكره
 أبو محمد عبد الملك بن هشام - أبو بكر ، وعمر ، وعلى ، والعباس ، وأبو سفيان
 ابن الحارث ، وابنه الفضل ، وربيعة بن الحارث ، وأسامة بن زيد ، وأيمن بن أم
 أيمن بن عبيد قتل يومئذ ، وبعض الناس يعدّ فيهم قُتم بن العباس ، ولا يعدّ
 أبا سفيان ، وكان أبو سفيان من أشعر قريش ، وهو القائل :

لَقَدْ عَلِمْتَ قُرَيْشٌ غَيْرَ فَخْرٍ بَأْنَا نَحْنُ أَجْوَدُهُمْ حِصَانًا
 وَأَكْثَرُهُمْ ذُرُوعًا سَابِغَاتٍ وَأَمْضَاهُمْ إِذَا طَعَنُوا سِنَانًا^(١)
 وَأَدْفَعُهُمْ عَنِ الضَّرَاءِ عَنْهُمْ وَأَبْيَنُهُمْ إِذَا نَطَقُوا لِسَانًا

ويروى أن ابن سيرين قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفره
 قد شق ناقته بزمامها حتى وضعت رأسها عند مقدمة الرجل إذ قال : يا كعب
 ابن مالك : اأخذ بنا ! فقال كعب :

قَضِينَا مِنْ تِهَامَةٍ كُلِّ حَقٍّ وَخَيْرٌ نَمُ أَجْمَعْنَا السُّيُوفَا^(٢)
 نَخَيْرُهَا وَلَوْ نَطَقَتْ لَقَالَتْ قَوَاطِعُنْ : دَوْسًا أَوْ تَقِيْفَا

فقال عليه السلام : والذي نفسي بيده لى أشدّ عليهم من رشق النبل !
 ويقال : إن دوساً أسلمت فرقاً^(٣) من كلمة كعب هذه^(٤) ، وقالوا : اذهبوا فخذوا
 لأنفسكم الأمان من قبل أن ينزل بكم ما نزل بغيركم !

وقتل النبي صلى الله عليه وسلم النضر بن الحارث ، وكان ممن أسير يوم بدر ،
 انضر
 ابن الحارث

(١) سابغات : طويلة ضافية (٢) أجمنا : أرحنا (٣) فرقاً : خوفاً (٤) كان
 كعب بن مالك جيد الشعر ، حق قال روح بن زنباع : أشجع بيت وصف به رجل
 ومه قول كعب :

نصل السيوف إذا قصرن بخطونا يوما ، ونلحظه إذا لم تلحق
 وكانت وفاته سنة ٥٥

وكان شديد العداوة لله ولرسوله ، وقتله علي بن أبي طالب رضي الله عنه صبراً^(١)
فرضت النبي صلى الله عليه وسلم أخته قتيلة بنت الحارث - وفي بعض الروايات
أن قتيلة أخته فأنشدته :

يا راكبا إن الأثيل مظنة	من صبح غادية وأنت موفق ^(٢)
أبلغ بها ميتا بأن تحية	ما إن تزال بها النجائب تغنق ^(٣)
مني إليه وعبرة مسفوحة	جادت بوا كفها وأخرى تخنق ^(٤)
هل يسمعي النضر إن ناديت	إن كان يسمع ميت لا ينطق
ظلت سيوف بني أبيه تنوشه	لله أرحام هناك تشنق ^(٥)
قسرا يقاد إلى المنية متعبا	رسف المقيد وهو عان موثق ^(٦)
أحمد ها أنت صنو كريمة	في قومها والفحل فحل معرق ^(٧)
ما كان ضرك لو منبت وربما	من الفتى وهو المفيظ المحنق ^(٨)
فالنضر أقرب من قتلت قرابة	وأحقهم إن كان عتيق يعنق
أو كنت قابل فدية فليفدين	بأعز ما يغلى به من ينفق

فذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رقى لها ودمعت عيناه ، وقال
لأبي بكر : لو كنت سمعت شجرها ما قتلتها .

والنضر هذا هو النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن
عبد الدار^(٩) . قال الزبير بن بكار^(١٠) : وسمعت بعض أهل العلم يغمز في أبيات
قتيلة بنت الحارث ويقول : إنها مصنوعة .

(١) صبرا : حبسا (٢) الأثيل : موضع بعينه قتل فيه النضر (م) (٣) تغنق : من
العنق ، بفتحين ، وهو السير الخيث (٤) الواكف : الدأم الجريان (٥) تنوشه : تناه
بالطعن (٦) قسرا : قهرا ، والرسف : مشى المقيد ، عان : أسير ، موثق : مقيد (٧) يروي
«ولأنت ضنء» وصنو : ابن ، معرق : أصيل (٨) من : صفع ، والمحنق : المملوء ، بالمعيط .
(٩) كان النضر حامل لواء المشركين يدر فأسره المسلمون وقتلوه بعد انصرافهم
من الواقعة (١٠) ولد الزبير بن بكار بالمدينة وولى قنصاء مكة فتوفى فيها سنة ٢٥٦

[من كلام أبي بكر رضى الله تعالى عنه]

رثاؤه
لرسول الله
صلى الله عليه
وسلم

ودخل أبو بكر الصديق رضوان الله عليه ، على النبي عليه الصلاة والسلام وهو مُسَجَّى بِثَوْبٍ^(١) ، فكشَفَ عنه الثوبَ وقال : يَا أَبَى أَنْتَ وَأُمَى ! طَبِيتَ حَيًّا وَمَيِّتًا ، وانقطع لموتك ما لم ينقطع لموت أحدٍ من الأنبياء من النبوة ، فعظمت عن الصفة ، وجلت عن البكاء ، وخصصت حتى صرت مسألة ، وعمت حتى صرنا فيك سواء . ولولا أن موتك كان اختياراً منك لجدنا لموتك بالنفوس

ولولا أنك نهيت عن البكاء لأنفدنا عليك ماء الشؤون^(٢) . فأما ما لا نستطيع نفيه عنا فكرد وإدناف^(٣) بتعالمان ولا يبرحان . اللهم فأبلغه عنا السلام ، أذكرنا يا محمد عند ربك ، ولتكن من بالك ؛ فلولا ما خلفت من السكينة لم تُقم ما خلفت من الوحشة ؛ اللهم أبلغ نبيك عنا واحفظه فينا ، ثم خرج .

قوله رضى الله عنه : « لولا أن موتك كان اختياراً منك » إنمَّا يريد قولَ النبي صلى الله عليه وسلم : لم يُقبَضْ نبيٌّ حتى يرى مقعده من الجنة ثم يُخَيَّرَ . قالت عائشة رضى الله عنها : فسمعتُه وقد شخص بصره وهو يقول : فى الرفيق الأعلى ! فعلت أنه خير ، فقلت : لا يختارنا إذن ، وقلت : هو الذى كان يحدثنا . وهو صحيح . وكان أبو بكر ماتوا فى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أرضه بالشَّح^(٤) فنواترت إليه الرسلُ ، فأتى وقد ذهل الناس ، فكأوا كأنخرس ، وتفرقت أحوالهم . واضطربت أمورهم ، فكذب بعضهم بموته ، وصممت آخرون فما تكلموا إلا بعد [التغير] . وخالط آخرون فلاثراً^(٥) الكلامَ بغير بيان ، وحق لهم ذلك للرزية

(١) مسجى : مغطى (٢) الشؤون : عروق الدمع (٣) الإدناف : المرض الثقيل

(٤) الشح - بضم السين وسكون النون - موضع قرب المدينة . وكان به منزل أبى بكر

رضى الله عنه .

(٥) لاثوا : خلطوا .

العظمى ، والمصيبة الكبرى ، التي هي بيضة العقر^(١) ، وبتيمة الدهر ، ومدى المصائب ، ومنتهى النوائب ، فكل مصيبة بعدها جَلَلٌ عندها^(٢) ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم : لَتُعَزَّزَ المسلمون في مصائبهم المصيبةُ بي .

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه ممن كذَّب بموته ، وقال : ما مات ، وليرجعته الله ، فليقطعنَّ أيدي المناقين وأرجاهم ، يتمنون لرسول الله صلى الله عليه وسلم الموت ؛ وإنما واعدته ربه كما واعد موسى ، وهو يأتاكم .
وأما عثمان رضى الله عنه فكان ممن أُخْرِس ؛ فجعل لا يكلم أحداً ، فيؤخذ بيده ويُجَاه به فينقاد .

حال الصحابة
عند ما بلغهم
موت الرسول

وأما على رضى الله عنه فَلَبِطَ بالأرض^(٣) فقد ولم يَبْرَحِ البيت حتى دخل أبو بكر ، وهو في ذلك جَلَدَ العقل والمقالة^(٤) ، فأكبَّ عليه ، وكشف عن وجهه ومسَّخه ، وقبَّل جبينه ، وبكى بكاء شديداً ، وقال الكلام الذى قدمته . ولما خرج إلى الناس وهم في شديد غمِّراتهم ، وعظيم سكراتهم ، قام فخطب خطبة جُلها الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، قال فيها : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، وأشهد أن الكتاب كما نزل وأن الدين كما شرع ، وأن الحديث كما حدث ، وأن القول كما قال ، وأن الله هو

خطبة أبي بكر
يوم موت
الرسول

(١) بيضة العقر : مثل للحادث الذى يندر أن يتكرر ، وهى فى الأصل بيضة الدجاجة التى لا تبيض بعدها ، والذى فى الأصل « بيضة العصر » وهو تحريف .
(٢) جَلَل : من أسماء الأضداد ، ويطلق على الأمر العظيم كما يطلق على الأمر الصغير . ومن أمثلة إطلاقه على الأمر الخطير قول الشاعر :

قوى هم قتلوا أميم أخى فإذا رميت يصيبني سهمى
فلئن عفوت لأخفون جلالاً ولئن ضربت لأوهن عظمى

ولم يرد هنا المعنى الثانى ، وهى الحقير من الأمور ؛ لأنه يقصد أن كل مصيبة تهون وتختقر بعد المصيبة الكبرى بموت الرسول (م) .

(٣) لبط بالأرض ، ولبط به : سقط من قيام كأنما صرع . والعبارة الثانية بصيغة تفعول (٤) جلد : ثابت .

الحق المبين . في كلام طويل ، ثم قال : أيها الناس ؛ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدَمَات ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوت ، وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ تَقَدَّمَ إِلَيْكُمْ فِي أَمْرِهِ ، فَلَا تَدْعُوهُ جَزَاءً ، وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ اخْتَارَ لِنَبِيِّهِ مَا عِنْدَهُ عَلَى مَا عِنْدَكُمْ ، وَقَبَضَهُ إِلَى ثَوَابِهِ ، وَخَلَّفَ فِيكُمْ كِتَابَهُ ، وَسَنَةَ نَبِيِّهِ ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِمَا عَرَفَ ، وَمَنْ فَرَّقَ بَيْنَهُمَا أَنْكَرَ ؛ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ ، وَلَا يَشْفَلَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ بِمَوْتِ نَبِيِّكُمْ ، وَيُفْتِنَنَّكُمْ عَنْ دِينِكُمْ ؛ فَعَاجِلُوهُ بِالَّذِي تَعْبُرُونَ ، وَلَا تَسْتَنْظِرُوهُ فَيَلْحَقَ بِكُمْ .

فَمَا فَرِحَ مِنْ خُطْبَتِهِ قَالَ : يَا عَمْرُؤُ! بَلِّغْنِي أَنْتَ تَقُولُ مَمَاتِ نَبِيِّ اللَّهِ ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ قَالَ فِي يَوْمِ كَذَا وَكَذَا ، وَفِي يَوْمٍ كَذَا وَكَذَا : قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ) ؟ فَقَالَ عُمَرُ : وَاللَّهِ لَكَأَنِّي لَمْ أَسْمَعْ بِهَا فِي كِتَابِ اللَّهِ قَبْلُ ؛ مَا نَزَلَ بِنَا . أَشْهَدُ أَنَّ الْكِتَابَ كَمَا نَزَلَ ، وَأَنَّ الْحَدِيثَ كَمَا حَدَّثَ ، وَأَنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوت ، وَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ ! ثُمَّ جَلَسَ إِلَى جَنْبِ أَبِي بَكْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ . فَكَانَتْ عَائِشَةُ رَضْوَانَ اللَّهِ عَلَيْهَا : لَمَّا قَبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَجْمَ الشَّرَافِ (١) . وَارْتَدَّتِ الْعَرَبُ ، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ كَالْفِغْمِ الشَّارِدَةِ ، فِي اللَّيْلَةِ الْمَاطِرَةِ ، فَحَسَّ أَبُو سَوْحَمَةَ الْجَبَالُ لَهَاضِهَا (٢) فَوَاللَّهِ إِنْ اخْتَلَفُوا فِي مَعْظَمٍ إِلَّا ذَهَبَ بِحُظِّهِ وَرَشَدِهِ . وَغَدَاثُهُ . وَكَانَتْ إِذَا نَظَرْتُ إِلَى عَمْرِو عَلِمْتُ أَنَّهُ إِنَّمَا خَلِقَ لِلْإِسْلَامِ ، فَكَانَ وَاتِّهُ أَحْوَذِيًّا . نَسِيجَ وَحَدِيدِ (٣) ، قَدْ أَعَدَّ لِلْأُمُورِ أَقْرَانَهَا .

رثاء فاطمة
الزهراء لأبيها
رسول الله

وَحَدَّثَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ دَرِيدٍ عَنْ عَبْدِ الْأُولَى بْنِ زَيْدٍ قَالَ : حَدَّثَنِي رَجُلٌ فِي مَجْسَاسِ يَزِيدَ بْنِ هَرُونَ (٤) بِالْبَصْرَةِ قَالَ : لَمَّا تُوُفِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) نجم : نشأ (٢) هاضها : دكها وحطمها (٣) أحوذى : حاذق قاهر للأُمور لا يشغبه شيء - ونسيج ووحده : لا نظيره ، كأنما نسج على نول لم ينسج عليه سواه (م)
(٤) يزيد بن هرون : من حفاظ الحديث الثقات ، كان يهاجبه المؤمنون توفى بواسط في سنة ٢٠٦

دُفِنَ ورجع المهاجرون والأنصار إلى رحلمهم ، ورجعت فاطمة إلى بيتها ؛ فاجتمع إليها نساؤها ، فقالت :

أَغْبَرَتْ آفَاقُ السَّمَاءِ ، وَكُوِّرَتْ شَمْسُ النَّهَارِ ، وَأَظْلَمَ الْعَصْرَانُ^(١)
فَالْأَرْضُ مِنْ بَعْدِ النَّبِيِّ كَثِيبَةٌ أَسْفًا عَلَيْهِ كَثِيرَةُ الرَّجْفَانِ^(٢)
فَلِيَبِكِهِ شَرْقُ الْبِلَادِ وَغَرْبُهَا وَلِيَبِكِهِ مُضَرٌّ وَكُلُّ يَمَانٍ
وَلِيَبِكِهِ الطُّورُ الْمُعْظَمُ جَوْهَةٌ وَالْبَيْتُ ذُو الْأَشْتَارِ وَالْأَرْكَانُ
يَا خَاتِمَ الرِّسْلِ الْمُبَارِكِ ضَوْءُهُ صَلَّى عَلَيْكَ مِنْزَلُ الْفُرْقَانِ^(٣)

وكان أبو بكر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ! - إذا أُثْنِيَ عَلَيْهِ يَقُولُ: اللَّهُمَّ أَنْتَ أَعْلَمُ بِي مِنْ

نَفْسِي ، وَأَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْهُمْ ، فَاجْعَلْنِي خَيْرًا مِمَّا يَحْتَسِبُونَ ، وَاشْفِرْ لِي بِرَحْمَتِكَ مَا لَا يَعْلَمُونَ ، وَلَا تَوَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ .

عود إلى المختار
من كلام أبي بكر

وقال رحمه الله في بعض خطبه : إِنَّكُمْ فِي مَهَلٍ ، مِنْ وِرَائِهِ أَجَلٌ . فَبَادِرُوا فِي مَهَلِ آجَالِكُمْ ، قَبْلَ أَنْ تَنْقَطَعَ آمَالِكُمْ ، فَتَرُدُّكُمْ إِلَى سُوءِ أَعْمَالِكُمْ .

وذكر أبو بكر الملوك فقال : إِنْ الْمَلِكُ إِذَا مَلَكَ زَهَّدَهُ اللهُ فِي مَالِهِ ، وَرَغَّبَهُ فِي مَالٍ غَيْرِهِ ، وَأَشْرَبَ قَلْبَهُ الْإِشْفَاقَ ؛ فَهُوَ يَسْخَطُ عَلَى الْكَثِيرِ ، وَيَحْسُدُ عَلَى الْقَلِيلِ ، جَدِلُ الظَّاهِرِ ، حَزِينُ الْبَاطِنِ ، حَتَّى إِذَا وَجِبَتْ نَفْسُهُ ، وَنَضَبَ عَمْرُهُ ، وَضَخَا ظِلُّهُ^(٤) حَاسِبَهُ فَأَشَدَّ حَسَابَهُ وَأَقْلَ عَفْوَهُ .

وذكر أنه وصل إلى أبي بكر مالاً من البحرين ، فسأوى فيه بين الناس . فغضبت الأنصار ، وقالوا له : فَخَلَّلْنَا ! فقال أبو بكر : صَدَقْتُمْ ، إِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ أَفْضَلَكُمْ صَارَ مَا عَمَلْتُمْ لَهُ لِلدُّنْيَا ؛ وَإِنْ صَبَرْتُمْ كَانَ ذَلِكَ لِلَّهِ عِزًّا وَجَلًّا ! فَقَالُوا : وَاللَّهِ مَا عَمَلْنَا إِلَّا لِلَّهِ تَعَالَى ، وَانصرفوا ؛ فَرَقِيَ أَبُو بَكْرٍ الْمَنْبِرَ . فَحَمِدَ اللَّهَ . وَأَثْنَى

(١) كورت : سقطت (٢) الرجفان : لإضطراب (٣) في نسخة « المبارك ضؤوه »

أى الذى بارك الله نسله (م) والظاهر أن هذه الأبيات مصنوعة (٤) وجبت نفسه : فاضت روحه ، ونضب : نفذ - وضحا ظله : كناية عن أنه مات (م)

عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ؛ ثم قال : يا معشر الأنصار ؛ إن شتمت أن تقولوا : إنا آويناكم في ظلالنا ، وشاطرناكم في أموالنا^(١) ، ونصرناكم بأنفسنا لقلتم ، وإن لكم من الفضل مالا يُحصيه العدد ، وإن طال به الأمد ، فنحن وأنتم كما قال طفيل الغنوي^(٢) :

جزى الله عنا جفراً حين أزلت بنا نعلنا في الواطين فزلت^(٣)
أبوا أن يملونا ولو أن أمنا تلاقى الذي يلقون منا أملت^(٤)
هم أسكنونا في ظلال بيوتهم ظلال بيوت أدفات وأظلت

فقر من كلامه رضي الله عنه : صنائع المعروف تقي مصارع السوء . الموت أهون مما بعدد ، وأشد مما قبله . ليست مع العزاء مصيبة ، ولا مع الجزع فائدة . ثلاث من كن فيه كن عليه : البغي ، والنكث ، والمكر . إن الله قرن وعده بعيده ؛ ليكون العبد راغباً وراهباً .

ولما توفي رضي الله عنه وقفت عائشة على قبره ؛ فقالت : نصر الله وجهك يا أبت . وشكر لك صالح سعيك ، فلقد كنت للدنيا مذلاً بإدبارك عنها ، وللآخرة معزاً بإقبالك عليها ، ولئن كان أجل الحوادث بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم رزواك . وأعظم المصائب بعده فقدك ، إن كتاب الله ليعيد بحسن الصبر عنك حسن العوض منك ، وأنا أستنجز موعود الله تعالى بالصبر فيك ، وأسترضيه بالاستغفار لك ، أما لئن كانوا قاموا بأمر الدنيا فلقد قمت بأمر الدين ما وهى شعبه^(٥) وتفاقم صدعه^(٦) ، ورجفت جوانبه^(٧) ؛ فعليك

رثاء عائشة
أم المؤمنين
لأبيها الصديق

(١) آويناكم في ظلالنا : جعلناها لكم مأوى ، وشاطرناكم أموالنا : قاسمناكم فيها فأعطيناكم شطرها : أي نصفها (م) (٢) شاعر جاهلي من الشجعان ، كان من أوصف الشعراء للخيال ، عاشر النابغة الجعدي وزهير بن أبي سلمى ، ومات نحو سنة ١٣ ق هـ (٣) زلت : سقطت (٤) هذا البيت غاية الغايات في وصف المواساة والبر الموصل (٥) وهى شعبه : تفرق شمله ، قال الطرماح * شت شعب الحى بعد التمام * (٦) تفاقم صدعه : اتسع كسره ، والصدع في الأصل : كسر الزجاج (٧) رجفت : اضطربت

سلام الله توديع غير قالية لحياتك ، ولا زارية على القضاء فيك^(١)
 وقال أبو بكر لبلال لما قُتل أمية بن خلف وقد كان يسومه سوء العذاب
 بمكة فيخرجه إلى الرمضاء^(٢) ، فيلقى عليه الصخرة العظيمة ليفارق دين الإسلام
 فيصمه الله من ذلك :

هنيئاً زادك الرحمنُ خبيراً قد أدركت ثارك يا بلالُ
 فلا نكسا وُجدت ولا جباناً غداة تنوشك الأسل الطوال^(٣)
 إذا هاب الرجال ثبت حتى تخبط أنت ما هاب الرجالُ
 على مضمض الكلوم بمشرفي جلاً أطراف متنيه الصقال^(٤)

[من كلام عمر]

وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه ! - إلى ابنه عبد الله :
 أما بعد ؛ فإنه من اتقى الله وقاه ، ومن توكل عليه كفاه ، ومن شكر له
 زاده ، ومن أقرضه جزاه ؛ فاجعل التقوى عماد قلبك ، وجلاء بصرك ، فإنه
 لا عمل لمن لا نية له ، ولا أجر لمن لا خشية له ، ولا جديد لمن لا خلق له .
 ودخل عدى بن حاتم على عمر ، فسلم وعمر مشغول ، فقال : يا أمير المؤمنين !
 أنا عدى بن حاتم ؛ فقال : ما أعرفني بك ! آمنت إذ كفروا ، ووفيت إذ غدرُوا ،
 وعرفت إذ أنكروا ، وأقبلت إذ أدبرُوا !

من عمر إلى
 ابنه عبد الله

بين عمرو وعدي
 ابن حاتم الطائي

وقال رجل لعمر : من السيد ؟ قال : الجواد حين يُسأل ، الحلِيم حين
 يُستجهل ، الكريم المجالس لمن جالسه . الحسن الخلق لمن جاوره .
 وقال رضي الله عنه : ما كانت الدنيا همَّ رجلٍ قطُّ إلا لزم قلبه أربع خصال :

عمر يصف
 السيد

(١) زارية : عابئة (٢) الرمضاء : هي الحجارة التي اشتد عليها وقع الشمس
 فحيت ، قال الشاعر :

المستجير بعمرو عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار

(٣) النكس : الرذل ، والأسل : الرماح (٤) الكلوم : الجروح ، والمشرفي : السيف

فقرٌ لا يدرك غناه ، وهمٌ لا ينقضي مداه ، وشغلٌ لا ينفد أولاه ، وأمل
لا يبلغ منتهاه .

فصول قصار من كلامه رضى الله عنه

من كتم سره كان الخيار في يده . أشقى الولاة من شقيت به رعيتُهُ .
أعقلُ الناس أَعذرُهُم للناس . ما الخمر صِرْفًا^(١) بأذهب لعقول الرجال من الطمع .
لا يكن حُبُّك كَلْفًا ، ولا بُفْضُك تَلْفًا . مرذوى القرايات أن يتزاوروا ، ولا
يتجاوروا . قلما أذبر شيئا فاقبل . أشكو إلى الله ضعف الأمين ، وخيانة القوى
تكثرُوا من العيال فإنكم لا تدرُونَ بمن تُرزقون . لو أن الشكر والصبر
بَعِيرَانِ ما باليت أيهما أركب . من لا يعرف الشر كان أجدر أن يقع فيه .

وقال معاوية بن أبي سفيان لصعصعة بن صوحان : صِف لي عُمرَ بن الخطاب ؛ وصف صعصعة
فقال : كان عالمًا برعيته ، عادلاً في قضيته ، عارياً من الكبر ، قبولاً للعذر ، سهل
الحجاب ، مَصُونَ الباب ، متحرراً للصواب ، رفيقاً بالضعيف ، غير مُحَابٍ
للقريب ، ولا جافٍ للغريب .

وروى أن عمرَ بن الخطاب رضى الله عنه حجَّ فلما كان بضعجان^(٢) قال :
لا إله إلا الله العليّ العظيم ، المعطى مَنْ شاء ما شاء ، كنتُ في هذا الوادى في
مِدْرَعَة صوف أرعى إبل الخطاب ، وكان فظاً يُتبعنى إذا عملت ، ويضربنى
إذا قصرت ، وقد أمسيت الليلة ليس بينى وبين الله أحد ، ثم تمثل :

لاشى ، مما ترى تبقى بشاشتهُ يبقى الإله ويودى المال والولد^(٣)
لم تُغن عن هُرْمُزٍ يوماً خزائنهُ وأخلد قد حاولتْءاذفاً خلدوا
ولا سليمان إذ تجرى الرياحُ لهُ والجن والإنس فيما بينها تردُّ

(١) الخمر للصرف : الخالصة (٢) ضعجان : جبل قرب مكة .

(٣) يودى : يذهب .

عمر
يدكر ماضيه
وحاضره

أين الملوك التي كانت نوافلها من كل صوب إليها وافدٌ يفد^(١)
حوض هنالك مورود بلا كدر لا بد من وزده يوماً كما وردوا

من شعر عمر
يوم فتح مكة

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه يوم فتح مكة :

ألم تر أن الله أظهر دينه على كل دين قبل ذلك حائد^(٢)

وأمكنه من أهل مكة بعدما تداعوا إلى أمر من النغي فاسد

غداة أجال الخيل في عرصاتهما مسومة بين الزبير وخالد^(٣)

فأمسى رسول الله قد عز نصره وأمسى عداه من قتيل وشارد

يريد الزبير بن العوام^(٤) حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخالد

ابن الوليد سيف الله تعالى في الأرض^(٥).

ولما قتله أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبه، قالت عائكة بنت زيد بن عمرو

زوج عمر ترثيه

ابن نفيل زوجته ترثيه :

عين جودي بعبرة ونحيب لا تمل على الأمين النحيب

فجعتني المنون بالفارس المعلم يوم الهياج والثويب^(٦)

عصمة الناس والمعين على الدهر وغيث المحروم والمحروب^(٧)

قل لأهل الضراء والبؤس موتوا قد سقته المنون كأس شعوب^(٨)

وقالت أيضاً ترثيه :

وفجعتني فيروز لا در درد بأبيض تال الكتاب منيب

(١) النوافل: العطايا، في نسخة «من كل أوب» والصوب: ومثله الأوب: الجهة

(٢) حائد: مائل (٣) مسومة: وضعت عليها العلامات

(٤) الزبير بن العوام: أحد المبشرين بالجنة، وأول من سل سيفه في الإسلام،

كان طويلاً جداً إذا ركب تخط رجلاه الأرض. توفي سنة ٣٦.

(٥) توفي خالد بن زيد سنة ٢١.

(٦) الفارس المعلم: هو الذي علق عليه صوف ملون في الحرب، والثويب: الدعاء،

(٧) المحروب: المسلوب (٨) شعوب: هي النية: لأنها تشعب الشمل وتبدده

رءوف على الأدنى غليظ على العداً أخى ثقة في النائبات نجيب
متى ما يقل لا يكذب القول فعله سريع إلى الخيرات غير قطوب

وغاتكة هذه : هي أخت سعيد بن زيد أحد العشرة الذين شهد لهم النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة ، وكانت تحت عبد الله بن أبي بكر ، فأصابه سهم في غزوة الطائف فمات منه ، فتزوجها عمر رضى الله عنه فقتل عنها ، فتزوجها الزبير ابن العوام فقتل عنها ؛ فكان على رضى الله عنه يقول : من أحب الشهادة الحاضرة فليزوج بعاتكة !

ترجمة عاتكة
بنت زيد بن
عمرو زوج
عمر

ومن كلام عثمان بن عفان رضى الله عنه :

ما يزرع الله بالشيطان ، أكثر مما يزرع بالقرآن^(١) . سيجعل الله بعد عسري يسراً ، وبعد عي بيانا ؛ وأنتم إلى إمام فعال ، أحوج منكم إلى إمام قوال ، قاله في أول خلافته وقد صعد المنبر وأرتج عليه^(٢) .

وكتب إلى على رضى الله عنه وهو محصور : أما بعد ، فقد بلغ السيل الزبي ، وجاوز الحزام الطيبين^(٣) ، وطمع في من كان لا يدفع عنه نفسه ، ولم يعجزك كلثيم ، ولم يغلبك كغلب^(٤) ؛ فأقبل إلى ، معى كنت أو على ، على أى أمرتك أحبيت . فإن كنت ما كولا فكن أنت آكلى وإلا فأدر كنى وإنما أمرق وهذا البيت للمزق العبدى ، و به سى المزق ، واسمه شاس ، وإتاتمته به عثمان رضى الله عنه ؛ وخذاق أهل النظر يدفعون هذا ، ويستشهدون على فساده بأحاديث تناقضه ليس هذا موضعها .

(١) يزع : يزرع ويردع (٢) أرتج عليه باب الكلام : أغلق .

(٣) الزبي : جمع زية وهي الراية لا يعلوها ماء ، وبلوغ السيل الزبي كناية

عن اشتداد الأمر ، والطبي - بالضم والكسر - حملات الضرع ، وبلوغ الحزام الطيبين كناية أيضاً عن الشدة (٤) مغلب : غلب كثيراً ، ولم يغلبك كغلب : يستعمل في المدح والذم .

قالوا : وكان عثمان رضى الله عنه أتقى لله أن يسعى فى أمره على ، وعلى أتقى لله أن يسعى فى أمر عثمان ، وهذا من قوله عليه السلام : أشقى الناس من قتله نبي أو قتل نبياً .

ومن كلام عثمان رضى الله عنه وأكرم نزهه ، وقد تنكر له الناس : أمرٌ هؤلاء القوم رعاى غير ، تطأطأت لهم تطأطأ الدلاء ، وتلدذت لهم تلدد المضطر ، رأيتهم ألحف إخواناً ، وأوهمني الباطل لهم شيطاناً . أجبرت المرسون رسنه ، وأبلغت الراجع مسعاته ، ففترقوا على فرقا ثلاثاً ، فصامت صمته أنفذ من صول غيره ، وشاهد أعطاني شاهده ومنعنى غائبه ، ومتهاقت فى فتنة زينت فى قلبه ، وأنا منهم بين السن لداد ، وقلوب شداد ، عذيرى الله منهم ، ألا ينهى عالم جاهلاً ، ولا ينذر حليم سفيهاً ؟ والله حسبي ومحسبهم يوم لا ينظّمون ، ولا يؤثّن لهم فيعندرون .

سئل الحكم بن هشام فقال : كان والله خيار الخيرة . أمير البردة ، قبيل الفجرة ، منصور النصر ، مخذول الخذلة ، مقبول الفلاة .

وظير البيت الذى أنشده فوان صخر الجعد :

فإن كنت ما كولا فكن أنت أكلى فإننا القوم أكرم من بعض

قال المتوكل : أتيت بأسارى ، فسمعت امرأة منهم تقول :

أمير المؤمنين سما إلينا نمو الليث أخرج العريف

فإن نسلم فعون الله نرجو وإن نقتل فقاتلنا شريف

وقد ذكر بعض أهل العلم أنه لا يعرف لعثمان شعر ، وأنشده بعضهم :

غنى النفس يُغنى النفس حتى يكفها وإن عَضَّها حتى يضرَّ بها الفقر

وما عُسرة - فاضبر لها إن تتابعت - بياقية إلا سيتبعها يسر

وقول عثمان رضى الله عنه فيما روى : « ولم يغلبك كغلب » من قول

امرى، القيس :

فإنك لم يَفخَرَ عليك كفاخر ضعيفٍ ولم يَغلبك مثل مغلبٍ .
وقال أبو تمام وذكر الخمر :

وضِعِيفَةٌ إِذَا أَصَابَتْ فُرْصَةً قَتَلَتْ ، كَذَلِكَ قُدْرَةُ الضُّعْفَاءِ

ومن كلام علي بن أبي طالب رضى الله عنه

لا تَكُنْ مِنْ يَرْجُو الآخِرَةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ ، وَيُوَخِّرُ التَّوْبَةَ لَطَوِيلِ الأَمَلِ . ويقولُ
في الدنيا بقول الزاهدين ، ويعملُ فيها بعملِ الراغبين ، إن أُعْطِيَ منها لم يشبع ، وإن
مُنِحَ لم يَقْنَعْ ، يعجز عن شُكْرِ ما أُوتِيَ ، ويتغنى الزيادة فيما بقي ، يَنْهَى ولا يَنْتَهَى ،
ويأمر بما لا يَأْتِي ، يحبُّ الصالحين ولا يعملُ أعمالهم ، ويُبغِضُ المسيئين وهو منهم ؛
يكره الموتَ لكثرة ذنوبه ، ويقبِهُ على ما يكره الموتَ له ، إن سقم ظلَّ نادماً ، وإن
صحَّ أمِنَ لاهياً ، يُعجَبُ بنفسه إذا عُوِفَ ، وَيَقْنَطُ إذا ابتلى ، تغلبه نفسه على ما يظنُّ ،
ولا يَغْلِبُهَا على ما يستيقن ، ولا يَثِقُ من الرزق بما ضَمِنَ له ، ولا يَقْمَلُ من العملِ
بما فَرَضَ عليه ، إن استغنى بَطِرَ وُقُفِنَ ، وإن افتقر قَنِطَ وحَزِنَ ، فهو من الذنوبِ
والنعمَةِ موقرٌ^(١) ، يتغنى الزيادة ولا يشكر ، ويتكلف من الناس ما لم يُؤْمَرُ ، ويضيع
من نفسه ما هو أكثر ، ويُبَالِغُ إذا سأل ، ويقصر إذا عمل ، يخشى الموتَ ،
ولا يبادر الفوتَ ، يستكثر من معصية غيره ما يستقلُّ أكثره من نفسه ؛ ويستكثرُ
من طاعته ما يستقله من غيره ، فهو على الناس طاعِنٌ ، ولنفسه مداهنٌ ، اللغو مع
الأغنياء أحبُّ إليه من الذكر مع الفقراء ، يحكم على غيره لنفسه ، ولا يحكمُ عليها
لغيره ، وهو بطاعٍ ويعصِي ، ويستوفى ولا يؤفَى .

وسُئِلَ رضى الله عنه عن مسألة فدخلَ مبادراً ، ثم خرج في حذاء ورداء ، وهو
يتبسم ، فقيل له : يا أمير المؤمنين ، إنك كنت إذا سُئِلتَ عن مسألة كنت فيها
كالسكة المحجاة^(٢) ! فقال : إني كنتُ حاقناً ولا رأيتُ لحاقن^(٣) ، ثم أنشأ يقول :

(١) موقر : مثقل (٢) السكة : الحديدية (٣) الحاقن : هو الذى احتبس بوله

إذا المشكلاتُ تصدَّينَ لي كشفتُ حقائقَها بالنَّظرِ
 وإن برقتُ في مخيلِ الصَّوَا بَعميَّاهُ لا تجتليها الذِّكْرُ^(١)
 بمقنعةً بأُمورِ الغيوبِ وضعتُ عليها صحیحَ الفِكرِ
 لساناً كثيثةً الأرحبيَّ أو كالحسامِ اليمانيِّ الذِّكْرُ^(٢)
 وقلباً إذا استنطقته العيون أمرٌ عليها بواهي الدررِ^(٣)
 ولستُ يأمعةً في الرجالِ أسائلُ عن ذَا وذَا ما الخبرِ^(٤)
 ولكنني ذربُ الأصغرينِ أبينُ معَ ما مضى ما غيرِ^(٥)

وقال معاوية رضي الله عنه لفرار الصَّدَائِي: يا ضرار، صِفْ لي علياً، فقال:

أَعْفِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ: لِصَفْنِهِ، فَقَالَ: أَمَا إِذَا أَذِنْتَ فَلَا بَدَّ مِنْ صَفْنِهِ: وصف ضرار
الصدائي لمعاوية
علياً

كَانَ وَاللَّهِ بَعِيدَ الْمَدَى، شَدِيدَ الْقُوَى، يَقُولُ فَضْلاً^(٦)، وَيَحْكُمُ عَدْلًا،
 يَتَفَجَّرُ الْعِلْمُ مِنْ جَوَانِبِهِ، وَتَنْطِقُ الْحِكْمَةُ مِنْ نَوَاحِيهِ، يَسْتَوْحِشُ مِنَ الدُّنْيَا
 وَزَهْرَتِهَا، وَيَسْتَأْنِسُ بِاللَّيْلِ وَظَلْمَتِهِ، كَانَ وَاللَّهِ غَزِيرَ الدَّمْعَةِ، طَوِيلَ الْفِكْرَةِ،
 يَقْلِبُ كَفَّهُ، وَيَخَاطِبُ نَفْسَهُ، يَعْجِبُهُ مِنَ اللَّبَاسِ مَا قَصُرَ، وَمِنَ الطَّعَامِ
 مَا خَسُنَ، وَكَانَ فِينَا كَأَحَدِنَا، يُجِيبُنَا إِذَا سَأَلْنَاهُ، وَيُنَبِّئُنَا إِذَا اسْتَنْبَأْنَاهُ،
 وَنَحْنُ - مَعَ تَقْرِيْبِهِ إِيَّانَا، وَقُرْبِهِ مِنَّا - لَأَنْكَادُ نَكْلَهُ لِهَيْبَتِهِ، وَلَا نَبْتَدِئُهُ
 لِعَظَمَتِهِ، يَعِظُمُ أَهْلَ الدِّينِ، وَيَحِبُّ الْمَسَاكِينَ، لَا يَطْمَعُ الْقَوِيُّ فِي بَاطِلِهِ،
 وَلَا يَيْئَسُ الضَّعِيفُ مِنْ عَدْلِهِ، وَأَشْهَدُ لِقَدْ رَأَيْتُهُ فِي بَعْضِ مَوَاقِفِهِ، وَقَدْ
 أَرَخَى اللَّيْلُ سُدُّوْلَهُ، وَغَارَتْ نَجْمُوْمُهُ، وَقَدْ مَثَلَ فِي مَحْرَابِهِ، قَابِضًا عَلَى لِحْيَتِهِ
 يَتَمَلَّمُ تَمَلَّمِ السَّلِيمِ^(٧)، وَيَبْكِي بُكَاءَ الْحَزِينِ، وَيَقُولُ: يَا دُنْيَا إِلَيْكَ

(١) مخيل: مذنون، وهو السحاب تخاله باطراً لرعدة وبرقه.

(٢) الأرحبي: الجمل، وشقشقته: هديره. (٣) نسخة «استنطقته العيوب» (م)

(٤) الإمعة: الرجل الذي لا خطر له - فهو يكون تابعا لغيره ولا يكون مستقلا (م)

(٥) ذرب الأصغرين: حديد القلب واللسان (٦) القول الفصل: هو الحق

(٧) السليم: المددوغ. سمي بذلك تفاؤلا.

عَنِّي ! غُرِّي غَيْرِي ، أَلِي تَعَرَّضْتُ ، أُمِّ إِلَى تَشَوَّفْتِ ؛ هِيَهَاتِ ! قَدْ بَايَدْتِكِ
ثَلَاثًا ، لَا رَجْعَةَ لِي عَلَيْكَ ؛ فَعَمْرُكَ قَصِيرٌ ، وَخَطْرُكَ حَقِيرٌ ، وَخَطْبُكَ
يَسِيرٌ ؛ آدٍ مِنْ قَلْبِ الزَّادِ ، وَبَعْدِ السَّفَرِ ، وَوَحْشَةِ الطَّرِيقِ !
فَبَكَى مَعَاوِيَةَ حَتَّى أَخْضَلَتْ دُمُوعُهُ لِحْيَتَهُ ؛ وَقَالَ : رَحِمَ اللَّهُ أَبَا الْحَسَنِ !
فَلَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ ، فَكَيْفَ حُزْنُكَ عَلَيْهِ يَا ضِرَّارُ ؟ قَالَ : حُزْنٌ مِنْ ذُبْحِ
وَاحِدِهَا فِي حَجْرِهَا !

وَقَالَ سَنَنْ رِضْوَانَ اللَّهِ عَلَيْهِ : رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا سَمِعَ فَوَعَى ، وَدُعِيَ إِلَى
الرِّشَادِ فَدَنَا ، وَأَخَذَ بِحُجْرَةِ هَادٍ فَنَجَا ^(١) . وَرَاقِبَ رَبَّهُ ، وَخَافَ ذَنْبَهُ ، وَقَدَّمَ
خَالصًا ، وَعَمَلَ صَالِحًا ، وَكَتَسَبَ مَذْخُورًا ، وَاجْتَنَبَ مَحْذُورًا ، وَرَمَى غَرَضًا ،
وَكَابَرَ هَوَاهُ ، وَكَذَّبَ مُنَاهُ ، وَحَذَرَ أَجَلًا ، وَدَأَبَ عَمَلًا ، وَجَعَلَ الصَّبْرَ
رَغْبَةً حَيَاتِهِ ، وَالتَّقَى عُدَّةَ وِفَاتِهِ ، يُظْهِرُ دُونَ مَا يَكْتُمُ ، وَيَكْتُمُ بِأَقْلٍ مِمَّا
يَعْلَمُ ، لَزِمَ الطَّرِيقَةَ الْغَرَاءَ ، وَالْحِجَّةَ الْبَيْضَاءَ ، وَاغْتَنَمَ الْمَهْلَ ، وَبَادَرَ الْأَجَلَ ،
وَتَزَوَّدَ مِنَ الْعَمَلِ .

وَمَارَجَعَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ صِفَيْنِ ، فَدَخَلَ أَوَائِلَ الْكُوفَةِ إِذَا قَبْرٌ ، عَلَى يَرْتِي خَبَابِ
فَقَالَ : قَبْرٌ مِنْ هَذَا ؟ فَقِيلَ : خَبَابُ بِنِ الْأَرْتِ ^(٢) ، فَوَقَفَ عَلَيْهِ ، وَقَالَ :
رَحِمَ اللَّهُ خَبَابًا ! أَسْلَمَ رَاغِبًا ، وَهَاجَرَ طَائِعًا ، وَعَاشَ مُجَاهِدًا ، وَابْتَلَى فِي
جِسْمِهِ أَحْوَالَ ، وَلَنْ يَضِيعَ اللَّهُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا .

وَمَضَى فَإِذَا هُوَ بِقُبُورِ ، فَوَقَفَ عَلَيْهَا ، وَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ عَلَى أَمَامِ الْقُبُورِ
الْمُوحِشَةِ ، وَالْمَحَالِّ الْمُقْفِرَةِ ، أَنْتُمْ لَنَا سَلَفٌ ، وَنَحْنُ لَكُمْ تَبَعٌ ، وَبِكُمْ - عَمَّا
قَلِيلٍ - لَاحِقُونَ ؛ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلَهُمْ ، وَتَجَاوَزْ عَنَّا وَعَنْهُمْ بِغَفْوِكَ ! طُوبَى

(١) الْحِجْرَةُ : الْحَضْنُ ، وَأَخَذَ بِحُجْرَةِ فَلَانٍ : اسْتَظْهَرَهُ وَاسْتَعَانَهُ (٢) خَبَابُ بِنِ
الْأَرْتِ : صَحَابِي جَلِيلٌ ، اسْتَضْعَفَهُ الْمَسْرُكُونَ فَعَذَّبُوهُ لِيَرْجِعَ عَنْ دِينِهِ فَصَبَرَ ، إِلَى أَنْ كَانَتْ
الْهَجْرَةَ . تُوُفِيَ سَنَةَ ٣٧ .

لمن ذكر المآد ، وعمل للحساب ، وقنع بالكفاف . ثم التفت رضى الله
عنه إلى أصحابه ، فقال : أما إنهم لو تكلموا لقالوا : وجدنا خيراً
الزادِ النّوى .

وذمَّ رجلٌ الدنيا بحضرةِ عليّ رضى الله عنه ، فقال : دارٌ صدق لمن
على يصف الدنيا صدقها ، ودارٌ بجاهٍ من فهم عنها ، ودارٌ غنى لمن تزود منها ، مهبطٌ وحي
الله ، ومُصَلَّى ملائكة ، ومسجدٌ أنبيائه ، ومتجرٌ أوليائه ، ربحوا فيها
الرحمة ، واكتسبوا فيها الجنة ، فمن ذا يذمها ، وقد آذنت بينهما ، ونادت
بفراقها ، وذكَّرت بسرورها السرور ، وببلائها البلاء ، ترغيباً وترهيباً ،
فيايتها اللدائم لها ، المعلن نفسه بفرورها ، متى خدعتك الدنيا ؟ أم بماذا
استدمنت إليك^(١) ، أ بمصرع آبائك في البلى ؟ أم بمضجع أمهاتك في الثرى ،
كم مررت بكفئك ، وكم علت يديك ، تطلب له الشفاء ، وتستوصف
الأطباء ، غداً لا ينفعه بكاؤك ، ولا يغنى دواؤك .

من قصار
كلام على
قرر من كلامه رضى الله عنه : [البشاشة فح المودة . والصبر قبر المغبون .
والغالب بالظلم مغلوب . والحجر المنصوب بالدار رهنٌ بخرابها . وما ظفرت بنظفرت
به الأيام . فسالم تسلم] . رأى الشيخ خيرٌ من مشهد الغلام^(٢) . الناس أعداء
ما جهلوا . بقية عمر المؤمن لا تمن لها ، يدرك بها ما أفات [ويحي ما أمات] .
نقل هذا الكلام بعض أهل العصر ، وهو أبو الفتح علي بن محمد البستي^(٣) .

(١) استدمنت إليك : فعلت ما تدمها عليه - وفي نسخة « استدنت إليك » (م)

(٢) مشهد الغلام : ما يشهد ويراه رأى العين (٣) علي بن محمد ، ويقال ابن أحمد كما

ذكر ياقوت في معجم الشعراء - شاعر ، كاتب مات في بخارى سنة ٤٠٠ هـ ، وفي أبي الفتح

البسقي يقول عمران بن موسى :

إذا قيل أى الأرض فى الناس زينة أجبنا وقلنا: أبهج الأرض بستها
فلو أننى أدركت يوماً عميدها نرمت يد البسقي دهرأ وبستها

بقية العمر عندى ما لها ثمن وإن غداً وهو محبوب من الثمن
 يستدرك المرء فيها ما أفات ويحسب ما مات ويمنحو السوء بالحسن
 الدنيا بالأموال ، والآخرة بالأعمال . لا تخافن إلا ذنبك ، ولا ترجون إلا
 ربك . وجهوا آمالكم إلى من تحبه قلوبكم . الناس من خوف الذل في الذل .
 من أيقن بالخلف جاد بالعطية . بقية السيف أنمى عدداً ، وأنجب ولداً - وقد
 تبينت صحة ما قال في بنه وبنى المهلب - إن من السكوت ما هو أبلغ من
 الجواب . الصبر مطية لا تكبو ، وسيف لا ينبو^(١) . خير المال ما أغناك ،
 وخير منه ما كفاك ، وخير إخوانك من واساك ، وخير منه من كفاك شره .
 وقال بعض أهل العصر ما يشاكل هذا وهو أبو الحسن محمد بن أنسك البصرى :

عدياً في زماننا عن حديث المكارم
 من كفى الناس شره فهو في جود حاتم

أبو الطيب :

إنما لفي زمن ترك القبيح به من أكثر الناس إحساناً وإجمالاً
 إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه . قيمة كل
 امرئ ما يحسن .

ذكر أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ هذه الكلمة في كتاب البيان فقال : تعقيب الجاحظ
 فلوم نقف من هذا الكتاب إلا على هذه الكلمة لوجدناها شافية ، كافية ،
 ومجزية مضمية ؛ بل لوجدناها فاضلة عن الكفاية ، غير مقصرة عن الغاية ؛
 وأفضل الكلام ما كان قليلاً يعنى عن كثير ، ومعناه ظاهراً في لفظه ، وكان
 الله قد ألبسه من ثياب الجلالة . وشاد من نور الحكمة ، على حسب رتبة
 صاحبه . وتقوى قائمه . فإذا كان المعنى شريفاً ، واللفظ بليغاً ، وكان صحيح الطبع ،

(١) الكبوة : السقية ، والنبوة : عدم الإصابة . ويقولون : لكل جواد كبوة ،
 ولكل سيف بوه .

بيداً من الاستكراه ، منزهاً عن الاختلال ، مَهْؤُوناً عن التكلف ؛ صَنَعَ في القلوب
صَنِيعَ النَّيِّبِ في التَّزْيِينِ الكَرِيمَةِ ، ومتى فَصَّلَتِ الكَلِمَةُ على هذه الشَّرِيطَةِ ،
وَنَهَّدَتْ من قَاتِلِهَا على هذه الصِّفَةِ ، أَحْبَبَهَا اللهُ عزوجل من التَّوْفِيقِ ، وَمَنْحَهَا
من التَّأْيِيدِ ، مَا لَا يَمْتَنِعُ من تَعْظِيمِهَا به صدورُ الجَبَابِرَةِ ، وَلَا يَذْهَلُ عن فَهْمِهَا
معه عَقُولُ الجُهَلَةِ (١) .

دعاء لعل
في الحروب

ومن دُعَايِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في حُرُوبِهِ : اللَّهُمَّ أَنْتَ أَرْضَى لِلرِّضَا ، وَأَسْخَطَ
لِللُّسْخَطِ ، وَأَقْدِرُ عَلَى أَنْ تَغْيِرَ مَا كَرِهْتَ ، وَأَعْلَمُ بِمَا تَقْدِرُ ، لَا تُغْلِبْ عَلَى بَاطِلٍ ،
وَلَا تَعْجِزْ عَنِ حَقِّ ، وَمَا أَنْتَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ .

وقال على رضى الله عنه :

من شعر على
رضى الله عنه

لَمِنْ رَايَةٍ سَوْدَاءٍ يَخْفِقُ ظِلُّهَا إِذَا قِيلَ قَدَمُهَا حُضَيْنٌ تَقَدَّمَا
فيموردها في الصَّفِّ حتى تردّها حياضُ المنايا تَقَطُرُ المَوْتَ وَالِدَمَا
جزى الله قوما قاتلوا في لقائهم لدى الروعِ قوماً ما أعزوا وأكرما
وأطيب أخباراً وأفضلَ شِيمةً إِذَا كَانَ أَصْوَاتُ الرِّجَالِ تَنَمَّغُمَا (٢)

حُضَيْنُ الَّذِي ذَكَرَهُ هُوَ : أَبُو سَاسَانَ الحُضَيْنِيُّ بْنُ المُنْذِرِ بْنِ الحَارِثِ بْنِ وَعَلَةَ
الرَّقَاشِيِّ وَكَانَ صَاحِبَ رَايَتِهِ يَوْمَ صِفِّينَ .

ويروى عنه أنه قال بعد وفاة فاطمة رضى الله عنها :

أرى عِلَلَ الدُّنْيَا على كَثِيرَةٍ وصاحِبِهَا حتى المماتِ عليلُ
لكلِّ اجْتِمَاعٍ من خَلِيلِينَ فُرْقَةٌ وإنَّ الَّذِي دُونَ المماتِ قَلِيلُ
وإنَّ افْتِقَادِي فاطمًا بعدَ أَحْمَدِ دَلِيلٌ عَلَى ألا يَدُومَ خَلِيلُ

(١) انتهى المؤلف من الاستطراد الذي مضى فيه بمناسبة «قيمة كل امرئ ما يحسن»

ثم عاد إلى الكلام عن علي بن أبي طالب .

(٢) التغمم : الصوت عند القتال .

ولما قَتَلَ عمرو بن عبد ود سقط فانكشفت عَوْرَتَهُ (١) ، فتنحَّى عنه وقال :
 آلى ابنُ عبد - حين شدَّ - أليَّةً وحلفتُ فاستمعوا من الكذاب (٢)
 ألا يفِرَّ ولا يملل فالتقى أسدَان يَضْطَرِّبان كلَّ ضِرَابٍ (٣)
 اليوم يَمْنَعنى الفرارَ حفيظتى ومُصَمِّمٌ فى الرَّأسِ ليس بنابٍ (٤)
 أعرضتُ حين رأيتُه متقطراً كالجذع بين دَكَادِكٍ وروابى (٥)
 وعفتُ عن أثوابه ولو أنى كنت المقطرَ بزنى أثوابى (٦)
 نصر الحجارة من سفاهة رأيه ونصرتُ دينَ محمد بصواب (٧)
 لا تحسبنَّ اللهَ خاذلَ دينه ونبيه يا مفسرَ الأحزاب

فى أبيات غير هذه ، وبعضُ الرواة يَنفِيها عن على رضى الله عنه .

وعمره هذا هو : ابن عبدود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى ،
 وكان قد جَزَعَ المذاد ، وهو موضع خِبرٍ فيه الخندقُ يومَ الأحزابِ ، وفى ذلك
 يقول الشاعر :

عمرو بن ود كان أولَ فارس جَزَعَ المذاد وكان فارسَ يَلِيلٍ (٨)
 وناصار مع المسلمين فى الخندقِ دعا [إلى] البراز ، وقال :
 ولقد بَحِثت من النداء بجمعهم هل من مُبارزٍ (٩)
 ووقفتُ إذ نكَل الشجبا ع بموقفِ البطلِ المناجزِ (١٠)

-
- (١) عمرو بن عبدود : فارس قريش وشجاعها ، قتله على سنة ٥ للهجرة
 (٢) آلى : أقسم ، والأليَّة : اليمين (٣) يملل : يتقلب ، والضراب : المطاردة
 (٤) الحفيظة : الحمية والغضب عند حفظ الحرمه ، والمصمم : السيف لا ينبو
 (٥) متقطر : صريع ، والدكادك : جمع دكدك وهو الرمل المتلبد بالأرض
 (٦) بز : سلب . (٧) نصر الحجارة : كناية عن عبادة الأوثان . (٨) جزع المذاد :
 اجتازه ، والمذاد : الموضع الذى يذاد فيه عن النفس ، أى موضع الحرب ، ويليل : اسم
 واد فى بدر (م) (٩) بجم صوته : ضعف من كثرة النداء (١٠) نكل : نكص ،
 والمناجز : البادر إلى القتال

إني كذلك لم أزل متسرِّعاً نحو المـزاهـر^(١)
 إنَّ السَّاحَةَ وَالشَّجَاعَةَ فِي الْفَتَى خَيْرُ الْفَرَائِزِ^(٢)

فبرز علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقال : يا عمرو ! إنك عاهدت الله
 لعريش ألا يدعوك أحدٌ إلى خلتين إلا أخذت إحداهما ، فقال : أجل ! قال :
 فإني أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام . قال : لا حاجة لي بذلك ، قال :
 فإني أدعوك إلى المبارزة ، فقال : يا ابن أخي ما أحبُّ أن أقتلك ! قال علي :
 لكنني والله أحبُّ أن أقتلك ، فحییَ عمرو ، فافتحم عن فرسه وعرقبه^(٣) ثم
 أقبل إلى علي :

فَجَاوَلَا كَغَمَامَتَيْنِ تَكَنَّفَتْ مَتْنِيهِمَا رِيحًا صَبًّا وَشَمَالِ^(٤)
 فِي مَوْقِفٍ كَادَتْ نَفُوسٌ كَمَايَهُ تُبْتَزُّ قَبْلَ تَوَرُّدِ الْآجَالِ^(٥)

وعلت بينهما غيرة سترتهما فلم يرع المسلمون إلا التكبير ؛ فعدوا أن علياً قتله .
 وما قتل عمرو جاءت أخته فقالت : من قتله ؟ فقيل : علي بن أبي طالب ،
 فقالت : كف ، كريم ! ثم انصرفت وهي تقول :

لَوْ كَانَتْ قَاتِلُ عَمْرٍو غَيْرَ قَاتِلِهِ لَكُنْتُ أَبْيَ عَلَيْهِ آخِرَ الْأَبْدِ
 لَكِنَّ قَاتِلَهُ مِنْ لَا يُعَابُ بِهِ وَكَانَ يُدْعَى قَدِيمًا بَيْضَةَ الْبَلَدِ
 مِنْ هَاشِمٍ فِي ذُرَاهَا وَهِيَ صَاعِدَةٌ إِلَى السَّمَاءِ تُنْمِتُ النَّاسَ بِالْحَسَدِ
 قَوِيَّةٌ أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَهُمْ مَكَارِمُ الدِّينِ وَالدُّنْيَا بِلَا أَمَدِ
 يَا أُمَّ كَلثُومَ بَكِّيهِ وَلَا تَدْعِي بَكَاءَ مُعْوَلَةٍ خَرَّتْ عَلَى وُلْدِ

أم كلثوم : بنت عمرو بن عبد ود . و « بيضة البلد » تمدحُ به العربُ

(١) المزاهر : الشدائد والحروب لأنها تهزهز الرجال (٢) الفرائز : الطباع ،
 واحدها غريزة . (٣) عرقبه : قطع عرقوبه (٤) تجاوزا : تصاولا (٥) الكفاة :
 الشجاعة ، وخدمه كفى ، وتبتر : تسلب ، وتورد الآجال : ورود حياض الموت ، يريد
 أن الكفاة يموتون من الهية (م)

وَتَذُمَّ ؛ فَمِنْ مَدَحٍ بِهِ جَعَلَهُ أَصْلًا ، كَمَا أَنَّ الْبَيْضَةَ أَصْلُ الطَّائِرِ . وَمَنْ ذَمَّ بِهِ أَرَادَ أَنَّ لَا أَصْلَ لَهُ . قَالَ الرَّاعِي يَهْجُو عَدِيَّ بْنَ الرَّقَاعِ الْعَامِلِيَّ (١) :

يَا مَنْ تَوَعَّدَنِي جَهْلًا بِكَثْرَتِهِ مَتَى تَهْدِنِي بِالْعَزِّ وَالْعَدْرِ
أَنْتَ أَمْرٌ نَالٌ مِنْ عِرْضِي وَعِزَّتِهِ كَعِزَّةِ الْعَيْرِ تَرَعَى تَلْعَةَ الْأَسَدِ (٢)
لَوْ كُنْتُ مِنْ أَحَدٍ يَهْجَى هَجْوَتَكُمْ يَا بْنَ الرَّقَاعِ وَلَكِنْ لَسْتُ مِنْ أَحَدٍ
تَأْتِي قُضَاعَةٌ أَنْ تَرْضَى لَكُمْ نَسَبًا وَابْنَا نَزَارٍ ؛ فَأَنْتُمْ بَيْضَةُ الْبَلَدِ

وقال أبو عبيدة : عاملة بن عدى بن الحارث بن مرة بن أد [بن زياد] عاملة قوم
ابن يشجب ، يُطْعَنُ فِي نَسَبِهِ مِنْ قِحْطَانَ ، وَيُقَالُ : هُوَ عَامِلَةٌ بِنِ مَعَاوِيَةَ بْنِ قَاسِطٍ عَدِيِّ بْنِ الرَّقَاعِ
ابن أهب ؛ فَذَلِكَ قَوْلُ الرَّاعِي هَذَا . وَيُقَالُ : إِنْ جُنْدَلُ بْنُ الرَّاعِي قَالَهَا وَقَدْ
قَالَ يَحْيَى بْنُ أَبِي حَفْصَةَ الْأُمَوِيُّ فِي عَامِلَةٍ :

وَإِنَّا نُبَالِي نَأْيَ عَامِلَةٍ الَّتِي أَجَدَّيْهَا مِنْ نَحْوِ بَصْرَى انْحِدَارُهَا
تَدَافَعَهَا الْأَحْيَاءُ حَتَّى كَانَهَا ثِيَابٌ بَدَا لِلْمَشْتَرِينَ عَوَارُهَا
قَذَفْنَا بِهَا لَمَّا نَزَتْ قَذْفَ حَازِفٍ بِسُودٍ حَصَى خَفَّتْ عَلَيْهِ صِفَارُهَا

وَيُشَبَّهُ قَوْلُهُ عَلَى رِضَى اللَّهِ عَنْهُ « وَعَفَفْتُ عَنْ أَثْوَابِهِ » قَوْلَ عَنْتَرَةَ بْنِ شَدَادِ
الْعَبْسِيِّ :

هَلَّا سَأَلْتُ أَخِيَّ يَابِتَةَ مَا نِكَ إِنْ كُنْتُ جَاهِلَةً بِمَا لَمْ تَعْلَمِي
يُخْبِرُكَ مَنْ شَهِدَ أَوْ قَبِعَهُ أَنْ نِي أَغْشَى الْوَعْيَى وَأَعَفَتْ عِنْدَ الْمَغْمِ
وَقَالَ حَبِيبُ بْنُ أَوْسٍ الطَّائِي :
إِنَّ الْأَسْوَدَ أَسْوَدَ الْغَابِ هَمَّتْهَا يَوْمَ الْكُرَيْهَةِ فِي الْمَسْلُوبِ لَا السَّلْبِ (٣)

(١) عدى بن الرقاع : شاعر كبير ، كان مقبلا عند بني أمية ، توفي سنة ٩٥ .
(٢) العير : الخمار ، وتلعة الأسد : الراية التي يحمها ، وليس للحمار عزة في تلعة
الأسد ، وإنما هو مثال الهوان (٣) السلب : الغنيمة ، ويجمع على أسلاب

عزم المؤلف
على ضرور
من الاختيار

قد عقلت بذيل ما أوردته ، وألحقت بطرف ماجردته ، من كلام سيد
الأولين والآخرين ، ورسول رب العالمين ، صلى الله عليه وسلم وعلى آله الأخيار
الطيبين الطاهرين ، قطعةً من كلام الخلفاء الراشدين ، قدمتها أمام كل كلام ،
لتقدمهم على الخلق ، وأخذهم بقصب السبق^(١) ، وهم كما قال بعض المتكلمين
يصف قوما من الزهاد الواعظين . جَلَّوْا بكلامهم الأبصار العلية ، وشحدوا
بمواظمتهم الأذهان السكيلة ، ونَبَّهوا القلوب من رَقْدَتِهَا ، ونَقَلَوْهَا عن سوء
عَادَتِهَا ، فشفَّوْا من داء القسوة ، وغبَّوْا الغفلة ، ودَاوَوْا من العمى الفاضح ،
ونَهَجُوا لنا الطريقَ الواضح . وآثَرَتْ أن أُلْحِقَ بعد ذلك جملةً من سليم كلام
سائر الصحابة والتابعين ، رضى الله عنهم أجمعين ، وأدرج في درج كلامهم
وأثناء نثرهم ونظمهم ، ما انفَّ عليه والتفت إليه ، وتعلَّق بأغصانه ،
وتشبَّت بأفنانِهِ ، كما تقدَّم ، وأخرج إلى صفات البلاغات ، وأخذ بعد ذلك في
نظم عقود الآداب ، ورقم برود الأبواب .

من كل معنى يكاد الميث يفهمه حُسنًا ويعبده القرطاس والقلم

[من كلام الصحابة والتابعين .]

من كلام معاوية قال معاوية بن أبي سفيان رحمه الله : أفضل ما أُعطيَ الرجلُ العقلُ والحلمُ ؛
فإذا ذكَّرَ ذَكَرَ ، وإذا أساء استغفر ، وإذا وعد أنجز .

وصف معاوية الوليد بن عتبة فقال : إنه لبعيد الغور ، ساكن القور^(٢) ،
وإن العود من لحائه^(٣) ، والولد من آبائه ، والله إنه لنبات أصل لا يخلف ، ونجل

(١) السبق : هو السباق ، وأخذ قصب السبق : كناية عن الفوز

(٢) الغور : القمر من كل شيء ، وبعد الغور : كناية عن أصالة الرأي وعمق
التفكير ، والقور : الغضب ، ويقال : فلان ثار ثائرة ، وفار فأره ، إذا اشتد
غضبه . وبنو فلان تفور علينا قدرهم ، قال الشاعر :

تفور علينا قدرهم فندعها ونفتوها عنا إذا حميها غلا

وسكون القور : كناية عن الحلم (٣) اللحاء : القشر ، ومنه قولهم (لحاء الله)
أي قشره ، وإذا قشر الإنسان هلك !

فَحَلَّ لَا يَقْرَفُ^(١) .

بين معاوية
ومصقلة بن
هيرة

ومرض معاوية مرضاً شديداً فأرَجَفَ^(٢) به مصقلة بن هيرة وساعده قومٌ على ذلك ، ثم تماثل وهم في إرجافهم^(٣) ، فحمل زياد مصقلة إلى معاوية وكتب إليه : « إنه يجتمعُ مرَّاقاً من مرَّاقِ العِراقِ^(٤) فيُرْجِفُونَ بأمير المؤمنين ، وقد حملتهُ إليه ليرى رأيه فيه . »

فقدم مصقلة وجلس معاوية للناس ؛ فلما دخل عليه قال : اذنُ مني ! فدنا منه ، فأخذهُ بيده فجذبه فسقط مصقلة ؛ فقال معاوية :

أبقى الحوادثُ من خيلكٍ مثلَ جندلةِ المِراجِمِ^(٥) .

صُلباً إذا خارَ الرجا لُ أبلاً ممتنعِ الشكائمِ^(٥)

قد رامني الأعداءُ قبلكِ فامتنتُ عن المظالمِ

قال مصقلة : يا أمير المؤمنين ؛ قد أبقى الله منك ما هو أعظمُ من ذلك [بطشاً] و[حِلماً] [راجحاً] وكلاً ومرعى لأوليائك ، وسمًا ناقعاً لأعدائك ، كانت الجاهلية فكان أبوك سيدَ المشركين ، وأصبح الناس مسلمين ؛ وأنت أميرُ المؤمنين ، وقام .

فوصله معاوية ، وأذن له في الانصراف إلى الكوفة . فقيل له : كيف ترَكْتَ معاوية ؟ فقال : زعمتُ أنه لما به^(٦) ، والله لقد غمزني غمزة كاد يخططنني ، وجذبتني جذبة كاد يكسر عَضُواً مني !

(١) لا يقرف : من القراف بالكسر وهو داء يقتل البعير ، يريد أنه قوى مرتين لا تقربه الأدواء .

(٢) الإرجاف : الخوض في أخبار الفتن ، ومنه (والمرجفون في المدينة)

(٣) مرّاق : جمع مارق ، وهو الخارج على الجماعة

(٤) الجندلة : الصخرة (٥) الشكائم : جمع شكيمة ، وهي الحديدة المعترضة في فم

الفرس ، وفلان شديد الشكيمة : أنف أبي لاينقاد

(٦) زعمتُ أنه لما به : يريد زعمتُ أنه ضعف لما به من السقم

ودخل الأحنفُ بن قيسٍ على معاوية وافداً لأهل البصرة ، ودخل معه النمر بن قُطبة ، وعلى النمر عبادة قَطَوَانِيَّةٌ ^(١) ، وعلى الأحنف مِدْرَعَةٌ صوف وشملة ، فلما مثلا بين يدي معاوية اقتحمتها عينه ^(٢) ؛ فقال النمر : يا أمير المؤمنين ! إنَّ العبادة لا تكلمك ، وإنما يكلمك مَنْ فيها ! فأوماً إليه فجلس ، ثم أقبل على الأحنف فقال : ثم مه ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ؛ أهلُ البصرة عدد يسير ، وعظْمٌ كبير ، مع تتابع من المُحُول ^(٣) ، واتصال من الذُّحُول ^(٤) فالكثيرُ فيها قد أطرق ، والمقلُّ قد أذاق ^(٥) ، وبلغ منه المَخْتَق ؛ فإن رأى أمير المؤمنين أن ينعشَ الفقير ، وَيَجْبُرَ الكسير ، وَيَسْتَهْلَ العسير ، وَيَصْفَحَ عَن الذُّحُول ، وَيُدَاوِي المُحُول ، وَيَأْمُرُ بِالْعَطَاءِ ؛ لِيَكْشِفَ البلاءَ ، وَيُزِيلَ اللَّأْوَاءَ ^(٦) . وإنَّ السيدَ من يعم ولا يَحْصُ وَمَنْ يَدْعُو الجفلى ، ولا يَدْعُو النَّقْرَى ^(٧) إنَّ أحسنَ إليه شكر ، وإنَّ أسوأَ إليه غفَر ، ثم يكون وراء ذلك لرعيته عماداً يَدْفَعُ عنها الملمات ، ويكشفُ عنهم العضلات .

بين معاوية
والأحنف بن
قيس

قال له معاوية : ها هنا يا أبا بحر ! ثم تلا : (وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ لَقْمُولٍ) .

ومن جميل المحاورات ما رواه المدائني ، قال : وفدَّ أهل العراق على معاوية رحمه الله ، ومعهم زيادٌ ، وفيهم الأحنف ، فقال زياد : يا أمير المؤمنين ؛ اشْخَصْتُ إليك أقواماً الرغبة ، وأقعدَ عنك آخرين العذر ، فقد جعل الله تعالى في سعة فضلك ما يُجْبِرُ به المتخلف ، ويكافأُ به الشاخص . فقال معاوية :

محاورة بين
معاوية وأهل
العراق

(١) نسبة إلى قطوان وهو موضع بالكوفة

(٢) اقتحم : احتقر (٣) المحول : جمع محل ، وهو الضيق (٤) الذحول : جمع

ذحل ، وهو الثأر (٥) أملق : من الإملاق ، وهو الفقر (٦) اللأواء : الشدة

(٧) يدعو الجفلى : يدعو الجماعة ، والنقري : دعوة الفرد . قال طرفة :

نحن في اللأواء ندعو الجفلى لا ترى الأدب منا ينتقر

مرحباً بكم يا معشر العرب ، أما والله لئن فرقت بينكم الدعوة ، لقد جمعتكم
الرحيم ؛ إن الله اختاركم من الناس ليختارنا منكم ، ثم حفظ عليكم نسبكم
بأن تخير لكم بلاداً تجتاز عليها المنازل ، حتى صفاكم من الأمم كما تصفى الفضة
البيضاء من خبيثها ؛ فصونوا أخلاقكم ، ولا تدنسوا أنسابكم وأعراضكم ،
فإن الحسن منكم أحسن لقرابكم منه ، والتبيح منكم أقبح لبعدم عنه .
فقال الأحنف : والله يا أمير المؤمنين ، ما نعدم منكم قائلاً جزيلاً^(١)
ورأياً أصيلاً ، ووعداً جميلاً ؛ وإن أخاك زياداً لمتببع آثارك فينا ، فنستمع الله
بالأمير والمأمور ، فإنكم كما قال زهير ، فإنه ألقى على المداحين فصول القول :

وما يك من خير أتوة فأتما توارثه آباء آبائهم قبل
وهل ينبت الخطى إلا وشيجه^(٢) وتفرس إلا في منابتها النخل^(٣)

وهذان البيتان لزهير بن أبي سلمى المزني في قصيدة يقول فيها :

وفيهم مقامات حسان وجوهها وأندية ينتأبها القول والفعل
على مكثريهم رزق من يعترهم وعند المقلين الساحة والبذل
سعى بعدهم قوم لكنى يدر كوههم فلم يفعلوا ولم يليموا ولم يألوا^(٣)

قال بعض أهل العلم بالمعاني : أعجيب بقوله : « ولم يألوا » ؛ لأنه لما
ذكر السعى بعدهم ، والتخلف عن بلوغ مساعيهم ، جاز أن يتوهم السامع أن
ذلك لتقصير الطالبين في طلبهم ؛ فأخبر أنهم لم يألوا ، وأنهم كانوا غير مقصرين
وأنهم — مع الاجتهاد — في المتأخرين ؛ ثم لم يرض بأن يجعل مجدهم طارفاً

(١) القائل الجزيل : الذي يقول جزل الكلام ، وهو العاقل الأصيل الرأي ،
وفي نسخة « نائلاً جزيلاً » (م)

(٢) الخطى : نسبة إلى الخط وهو مرفأ السفن بالبحرين وتنسب إليه الرماح ،
لأنها تباع به لأنه منبتها — والشيج : عروق القصب (٣) لم يألوا : لم يقصروا .

فيهم ، ولا جديداً لديهم ، حتى جعله إرثاً عن الآباء ، يتوارثه سائرُ الأبناء ، ثم لم يَرْضَ أن يكونَ في الآباء حتى جعله موروثاً عن آبائهم ، وهذا لو تكلفه متكلف في المنثور دون الموزون لما كان له هذا الاقتدار مع هذا الاختصار .

مترلة شعر زهير
ابن أبي سلى
وكانت قريشٌ معجبةً بشعر زهير ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : إنا قد سمعنا كلامَ الخطباء والبلغاء ، وكلامَ ابن أبي سلى ، فما سمعنا مثلاً كلامه من أحد ؛ فجعلا ابنَ أبي سلى نهايةً في التجويد ، كما ترى .

وذكرَ أن عمرَ بن الخطاب رضى الله عنه قال : إن من أشعر شعرائكم زهيراً ، كان لا يُعَاطَلُ بين الكلام^(١) ، ولا يتبع حوشيه ، ولا يمدح الرجلَ إلا بما يكون في الرجال .

وأخذ معنى قولِ زهير : * سعى بعدهم قومٌ لكي يدركوهم *
طُريحُ بن إسماعيل الثمقي^(٢) ، فقال لأبي العباس عبد الله بن محمد بن علي السفاح :

قَدْ طَلَبَ النَّاسُ مَا بِنَعْتِ وَلَمَّا
يَبْتُوا فَمَا قَارَبُوا وَقَدْ جَهَدُوا^(٣)
فَبِهِمْ مَنُونٌ مَا لَمْ يَرَوْنَهُ ، فَإِنْ
لَا حَ لَهِمْ مِنْكَ بَارِقٌ تَخَدُّوا
تَعْرُوهُمْ رِعْدَةٌ لَدَيْكَ كَمَا
قُرُقِفَ عَلَى تَحْتِ الدَّجْنَةِ الصَّرْدُ^(٤)
لَا خَوْفَ ظَلْمٍ وَلَا قَلِي خُلُقٍ
لَكِنْ جَلَالًا كَمَا كَهُ الصَّمَدُ^(٥)
مَا يُبْقِيكَ اللَّهُ لِلْأَنَامِ فَمَا
يُفْقَدُ مِنَ الْعَالَمِينَ مُفْتَقِدُ^(٦)

معاوية بين
النبيل والمروءة
وقال معاوية رحمه الله : المروءة : احتمال الجريرة^(٧) ، وإصلاحُ أمر العشيرة ؛
والنبيلُ : الحلم عند الغضب ، والعفو عند المقدرة .

(١) يعاظم : يكرر ويردد . وفي الأصل « يفاضل » وهو تحريف

(٢) شاعر مجيد توفي نحو سنة ١٧٠ (٣) جهدوا : تعبوا

(٤) قرُقِفَ على صيغة المفعول : أرعد ، والدجنة : الظلمة ، والصدرد : الذي

يشكو قسوة البرد (٥) القلي : البغض (٦) ما في هذا البيت شرطية (٧) الجريرة :

الجنابة ، واحتمال الجريرة : كناية عن دفع الدية لئلا يؤخذ الجاني بجنايته

فَقَرَّ مِنْ كَلَامِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مَا رَأَيْتُ تَبْذِيرًا قَطُّ إِلَّا وَإِلَى جَنْبِهِ حَقٌّ مُضَيِّعٌ . أَنْقَصُ النَّاسِ عَقْلًا مَنْ ظَلَمَ مَنْ هُوَ دُونَهُ . أَوْلَى النَّاسِ بِالْعَفْوِ أَقْدَرُهُمْ عَلَى الْعُقُوبَةِ . التَّسَلُّطُ عَلَى الْمَمَالِكِ مِنْ لُؤْمِ الْمَقْدَرَةِ وَسُوءِ الْمَمْلَكَةِ .

وقال يحيى بن خالد : مَا حَسُنَ أَدَبُ رَجُلٍ إِلَّا سَاءَ أَدَبُ غِلْمَانِهِ (١) .

وقال معاوية : إِصْلَاحُ مَا فِي يَدِكَ أَسْلَمَ مِنْ طَلْبِ مَا فِي أَيْدِي النَّاسِ . غَضَبِي عَلَى مَنْ أَمْلِكُ ، وَمَا غَضَبِي عَلَى مَنْ لَا أَمْلِكُ ؟ .

ولما توفى معاوية رحمه الله واستخلف يزيد ابنه اجتمع الناس على بابه ، ولم يقدروا على الجمع بين تهنئة وتمزية ، حتى أتى عبد الله بن همام السلولي ، فدخل عليه فقال : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، آجَرَكَ اللَّهُ عَلَى الرَّزِيَةِ ، وَبَارَكَ لَكَ فِي الْعَطِيَّةِ ، وَأَعَانَكَ عَلَى الرَّعِيَّةِ ، فَقَدْ رُزِيتَ عَظِيمًا ، وَأُعْطِيتَ جَسِيمًا ، فَاشْكُرْ اللَّهَ عَلَى مَا أُعْطِيتَ ، وَاصْبِرْ لَهُ عَلَى مَا رُزِيتَ ؛ فَقَدْ فَتَدْتَ خَلِيفَةَ اللَّهِ ، وَمُنِحْتَ خِلَافَةَ اللَّهِ ؛ فَفَارَقْتَ جَلِيلًا ، وَوَهَبْتَ جَزِيلًا ؛ إِذْ قَضَى مُعَاوِيَةُ نَحْبَهُ ، فَغَفَرَ اللَّهُ ذَنْبَهُ ؛ وَوَأَيْتَ الرِّيَاسَةِ ، فَأُعْطِيتَ السِّيَاسَةَ ؛ فَأَوْرَدَكَ اللَّهُ مَوَارِدَ السَّرُورِ ، وَوَفَّقَكَ لِصَالِحِ الْأُمُورِ ، وَأَنْشَدَهُ :

اصْبِرْ يَزِيدُ فَقَدْ فَارَقْتَ ذَا ثِقَةٍ وَاشْكُرْ حِبَاءَ الَّذِي بِالْمَلِكِ أَضْفَاكَ (٢)
لَارُزَاءَ أَصْبَحَ فِي الْأَقْوَامِ تَعَلَّمَهُ كَمَا رُزِيتَ وَلَا عُنُقِي كَعُقْبَاكَ
أَصْبَحْتَ وَإِيَّيَّيْ أَمْرِ النَّاسِ كُلِّهِمْ فَأَنْتَ تَرُءَاهُمْ وَاللَّهُ يَرُءَاكَ
وَفِي مُعَاوِيَةَ الْبَاقِي لِنَا خَلْفٌ إِذَا نُعِيتَ وَلَا نَسْمَعُ بِمَنْعَاكَ (٣)

يريد أبا ليلي معاوية بن يزيد ، ووُلِّيَ بعد أبيه شهوراً ، ثم انخلع عن الأمر ، فقال القائل :

(١) يظهر أن هذه الكلمة وقعت استطرادا من المؤلف ، وإذ كان الغرض ذكر

فقر من كلام معاوية

(٢) الحباء : العطاء (٣) «لا» حرف دعاء ، ولذلك جزم بها الفعل إلحاقاً به. الناهية

• والملك بعد أبي ليلي لمن غلبا •

الجمع بين التهنئة والتعزية
 وأول مَنْ فَتَحَ الباب في الجمع بين تهنئة وتعزية عبد الله بن همام ، فَوَلَّجَهُ الناس ، ومن جيّد ما قيل في ذلك قصيدة أبي تمام الطائي يمدح الواصل ويرثي المنعم يقول فيها :

إن أُضْبِغَتْ هَضْبَاتُ قَدَسٍ أَزَالَهَا قَدَرًا فَمَا زَالَتْ هِضَابُ شَمَامٍ^(١)
 أَوْ بِنَقْدِ ذُو النُّونِ فِي الْهَيْجَا فَقَدْ دَفَعَ الْإِلَهُ لَنَا عَنِ الصَّمَامِ
 أَوْ كُنْتُ مَنَا غَارِبًا غَدَا فَقَدْ رُحْنَا بِأَسْمَى غَارِبٍ وَسَنَامٍ^(٢)
 تَلَّكَ الرِّزِيَّةُ لَا رِزِيَّةَ مِثْلَهَا وَالْقَسْمُ لَيْسَ كَسَائِرِ الْأَقْسَامِ^(٣)

وهذا المعنى كثير.

وكان معاوية رحمه الله قد ترك قول الشعر في آخر عمره ، فنظر يوماً إلى جارية في داره ذات خلق رائع ، فدعاها فوجدها بكرأ فافترعها ، وأنشأ يقول :

سَمْتُ غَوَايَتِي فَأَرَحْتُ حُلْمِي وَفِيَّ عَلَيَّ تَحْمَلِي اعْتِرَاضُ
 عَلَيَّ أَنِّي أُجِيبُ إِذَا دَعَتْنِي ذَوَاتُ الدَّلِّ وَالْحَدَقِ الْمِرَاضُ

فقر لجماعة الصحابة والتابعين رضي الله عنهم

ابن عباس : الرخصة من الله صدقة ، فلا تردوا صدقته^(٤) . لكل داخل هية فابدهوه بالتحية ، ولكل طاعم حشمة فابدهوه باليمين .

ابن مسعود رحمه الله : الدنيا كلها هموم ، فما كان منها في سرور فهو ربح . عمرو بن العاص : مَنْ كَثُرَ إِخْوَانُهُ كَثُرَ غُرْمَاؤُهُ . وقال : أَكْرِمُوا سَفَهَاءَكُمْ ، فَإِنَّهُمْ يَكْفُونَكُمْ الْعَارَ وَالنَّارَ .

المغيرة بن شعبة : العيش في بقاء الحشمة . في كل شيء سرف إلا في المعروف .

(١) شمام : اسم جبل لباهلة (٢) الغارب : الكاهل (٣) القسم : النصيب
 (٤) الرخصة : تسهيل الله للعبد فيما يخففه عليه كتصريح الصلاة ، وإباحة الفطر للمسافر

هذا كقول الحسن بن سهل^(١) — وقد أنفقَ في دخول ابنته بُورانَ على
المأمون أموالاً عظيمة — قيل له : لا خيرَ في السَّرَفِ . قال : لا سَرَفَ في
الخير . فرد اللفظَ واستوفى المعنى :

معاذ بن جبل : الدَّينَ هَدَمَ الدَّينَ .

زياد : أرضَ من أخيك إذا وُلِّيَ ولايةً بعُشرٍ وُدَّه قبلها .

مصعب بن الزبير^(٢) : التَّوَّاضَعُ من مصايد الشرف .

الأحنف بن قيس : من لم يَضْبِرْ على كلمة تَمِيعَ كلماتٍ ! وقيل له : من السيد ؟

قال : الذي إذا أُقبلَ هابوه ، وإذا أُدبرَ عابوه . وله : سرُّك من دَمِكَ^(٣) . وله : مَنْ
تَسَرَّعَ إلى الناسِ بما يَكْرَهُونَ قالوا فيه ما لا يَعْلَمُونَ . وله : الكاملُ مَنْ عُدَّتْ هفواته .
وقال يزيد بن محمد المهلبى^(٤) :

ومن ذا الذي تُرضى سَجَاياهُ كُلُّها كفى المرءُ نُبلاً أن تُعدَّ مَعَايبُهُ

الحسن البصرى : أَلَا تَسْتَحْيُونَ من طولِ مالا تستحيون ! ابنُ آدمَ راحِلُ
إلى الآخرة كل يومٍ مرحلة . ما أنصَفَكَ مَنْ كلفَكَ إجلالَهُ ، ومنعَكَ مآلَهُ . بدن
لا يشكى مثل مالٍ لا يزكى . إن امرءاً ليس بينه وبين آدمَ أبٌ حتى لمُعْرِقٍ في الموتى .
قال الطائي :

تأمل رويداً هل تمدنَ سالماً إلى آدمٍ أو هل تعدُّ ابنَ سالمٍ
وقال أبو نواس :

وما الناسُ إلا هالكٌ وابنُ هالكٍ وذو نسبٍ في الهالكين عريقٍ

(١) كان وزير المأمون ، ومن أعلام زمانه ، توفي سنة ٢٣٦ بعد أن تغير عقله بعرض
السوداء (٢) أحد الأبطال المشاهير ، وله مواقف معروفة في التاريخ ، توفي سنة ٧١
(٣) تصحفت هذه العبارة على كل من نشر هذا الكتاب من أدباء هذا العصر
قروها « سرُّك من دمك » وضبطوها على أن أولها فعل ماضٍ من السرور وآخرها
فعل ماضٍ من الدم ، وأى سرور يدخل على من يسمع ذمه ؟ وإنما هي كاضطناها
والمراد الوصية بكتمان السر (م)
(٤) كان يزيد بن محمد شاعر المتوكل وقدرته بعد وفاته أبلغ رثاء . توفي بغداد سنة ٢٥٩

إذا أمتحن الدنيا ليبت تكشفت له عن عدوِّ في ثياب صديق
 وكان المأمون يقول : لو قيل للدنيا : صفي نفسك ما عدت هذا البيت ؛
 وهو مأخوذ من قول مزارح العقيلي :

قضين الهوى ثم ارتمى قلوبنا بأشهم أعداء وهنَّ صديق
 عمر بن عبد العزيز رحمه الله : ما الجزع مما لا بد منه؟ وما الطمع فيما لا يرغى؟
 لا تكن ممن يلعن إبليس في العلانية ويؤاليه في السر .

الشعبي : إني لأستحي من الحق إذا عرفته ألا أرجع إليه .

قطعة من كلام لبني علي بن أبي طالب أهل البيت رضي الله عنهم : [أهل
 الفضل والإحسان ، وتلاوة القرآن ، ونبعة الإيمان ، وصوام شهر رمضان] ولهم
 كلام يعرض في حلى البيان ، وينقش في فص الزمان ، ويحفظ على وجه الدهر ،
 ويفضح قلائد الدر ، ويخجل نور الشمس والبدر ، ولم لا يطنون ذبول
 البلاغة ، ويحترقون فضول البراعة ، وأبوم الرسول ، وأشهم البتول^(١) ، وكلهم
 قد غذى بدر الحكم^(٢) ، وربني في حجر العلم :

ما منهم إلا مربني بالحجبي أو مبشر بالأخوذية مؤدم^(٣)

آخر :

نمته المرانين من هاشم إلى النسب الأوضح^(٤)

(١) البتول : لقب مريم عليها السلام لأنها انقطعت عن الزواج وظلت عذراء، ثم
 قيل لفاطمة البتول تشبيها بها في المنزلة عند الله
 (٢) الحكم : بضم الحاء هو الحكمة ، ومنه (وآتينا الحكم صبيا)
 (٣) الأخوذية : الحذق والخفة ، وهو مبشر بالأخوذية ومؤدم : يعني أن بشرته
 وأدمه أي جلده حش بالمهارة والنشاط (٤) المرانين : الأوائل

وصف أهل
 البيت

إلى نَبْعَةٍ فرُعُها في السماء وَمَنْرُسُها في ذُرَى الأَبْطَحِ (١)

وَم كما قال مسلم بن بلال العبدى — وقد قيل له : خطب جعفر بن سليمان خطبةً لم يُرَ أحسن منها ، فلا يُدرى أوجه أحسن أم خطبته ؛ فقال : أولئك قوم بنور الخلافة يُشْرِقون ، وبلسان النبوة ينطقون ، وفيهم يقول القائل :

لو كان يُوجدُ عَرَفٌ مَجْدٌ قَبْلَهُمْ لو جدتُه منهم على أميالٍ (٢)
إن جنتهم أَبْصَرْتَ بين بيوتهم كَرَمًا يَقيقُكَ مَوَاقِفَ التَّنْأَلِ
نورُ النبوةِ والمكارمِ فيهمُ متوقِّدٌ في الشَّيبِ والأَطْفالِ (٣)

وسُئِلَ سعيد بن المسيب : مَنْ أبلغُ الناسِ ؟ فقال : رسولُ الله صلى الله عليه وسلم . فقال السائل : إنما أعنى مَنْ دونه . فقال : معاوية وابنه ، وسعيد وابنه ، وإنَّ ابنَ الزبير لحسنُ الكلام ، ولكن ليس على كلامه ملح . فقال له رجل : فإين أنتَ من عليّ وابنه ، وعباس وابنه ؟ فقال : إنما عَنيتُ من تقاربتِ أشكالهم ، وتدانَتِ أحوالهم ، وكانوا كسِهَامِ الجُمُعبَةِ (٤) ، وبنو هاشم أعلامُ الأنامِ ، وحُكَّامُ الإسلامِ (٥) .

فصل لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظِ

في ذكر قريش ، وبنى هاشم

قد علم الناسُ كيفَ كَرَمُ قريش وسخاؤها ، وكيف عقولها ودهاؤها ، وكيف رأيتها وذكاؤها ، وكيف سياستها وتديورها ، وكيف إنجازها وتحبيرها (٦)

(١) الأبطح : مسيل واسع فيه دقاق الحصى (٢) العرف بالفتح : الريح (٣) الشيب جمع أشيب (٤) الجمبة : الكنانة توضع فيها السهام والفتاب (٥) يلاحظ القارىء أن المؤلف لم يذكر ماسماه «قطعة من كلام لبنى على بن أبى طالب» وإهاتكلم عن أهل البيت وما قيل فيهم ، ثم انتقل إلى الكلام عن قريش . ولكن سزى كيف يعود إلى أبناء على بعد قليل (٦) في نسخة «وتحسيرها» والمراد ما يقابل الإيجاز ، وهو الإطاب والغرض وصف قريش بأنها تجيد إطالة القول حين تشاء .

وكيف رجاحة أحلامها إذا خف الخليم ، وحدة أذهانها إذا كَلَّ الحديد^(١)
 وكيف صبرها عند اللقاء ، وثباتها في اللاأواء^(٢) ، وكيف وقاؤها إذا استخسرت
 الغدر ، وكيف جودها إذا حُبَّ المال ، وكيف ذكربها لأحاديث غد
 وقلة صدودها عن جهة القصد^(٣) ، وكيف إقرارها بالحق ، وصبرها عليه ،
 وكيف وصفها له ، ودعاؤها إليه ، وكيف سماحة أخلاقها ، وصونها لأعراقها ،
 وكيف وصلوا قديمهم بحديثهم ، وطريفهم بتليدهم ، وكيف أشبه علانيتهم سرهم
 وقولهم قلوبهم . وهل سلاية صدر أحدهم إلا على قدر بُعد غوره^(٤) ؟ وهل
 غفلته إلا في وزن صدق ظنه ، وهل ظنه إلا كيقين غيره؟

وقال عمر : إنك لا تنتفع بعقله حتى تنتفع بظنه .

قال أوس بن حجر^(٥)

الألمعي الذي يظنُّ لك الظنَّ كأنَّ قد رأى وقد سمعاً

وقال آخر :

مليحٌ نبيحٌ أخو مازنٍ فصيحٌ يحدِّثُ بالغائب

وقال بلعاء بن قيس :

وأبغى صواب الرأي أعلمُ أنه إذا طاش ظنُّ المرء طاشت مقاديرُه

بل قد علم الناس كيف جاهلها وقوانمها ، وكيف نداولها وبيهاؤها ، وكيف

سروها ونجابتها^(٦) ، وكيف يباؤها وجهارتها ، وكيف تفكيرها وبداهتها ،

(١) الحديد : القوى الذهن (٢) اللاأواء : الشدة

(٣) القصد : الغرض (٤) الغور : القمر من كل شيء . وفلان جيد الغور : متعمق

النظر ، وهو بحر لا يدرك غوره ، وفي الأصل «بعد غدره» بالدال ، وأحسب أنه

تحريف (٥) أوس بن حجر : هو شاعر تميم في الجاهلية ، مات قبيل الإسلام ، وهو

صاحب العينية التي قيل في مطلعها إنه أشجى بيت ، وهو قوله :

أيتها النفس أجلى جزعا إن الذي تحذرين قد وقعا

(٦) السرو : الشرف . والنجابة : كرم الحسب

فالعرب كالبطن وقريش روحها ، وقريش روح وبنو هاشم سرورها ولبثها ،
وموضع غاية الدين والدينامها ، وبنو هاشم ملجح الأرض ، وزينة الدنيا ، وحلى
العالم ، والسنام الأسمم ، والكاهل الأعظم ، وأبواب كل جواهر كريم ، وسر
كل عنقبر شريف ، والطينة البيضاء ، والمفرس المبارك ، والنصاب الوثيق^(١) ،
ومعدن العيتم ، ونبوع العلم ، وشه لان ذو الهضاب في الجلم^(٢) ، والسيف الحسام
في العزم^(٣) مع الأناة والحزم ، والصفح عن الجرم ، والقصد عند المعرفة ،
والعفو بعد المقدرة ، وهم الأنف المقدم ، والسنام الأكرم ، وكلماء الذي
لا ينجسه شيء ، وكاشم التي لا تخفى بكل مكان ، وكالذهب لا يعرف
بالنقصان ، وكالنجم للحيران ، والبارد للظمان ، ومنهم الثقلان ، والشهيدان ،
والأطيان ، والسبطان ، وأسد الله ، وذو الجناحين ، وذو قرنيها ، وسيد
الوادي ، وساق الحجاج ، وحام البطحاء ، والبحر ، والحبر^(٤) ، والأنصار
أنصارهم ، والمهاجرون من هاجر إليهم أو معهم ، والصديق من صدقهم ،
والفاروق من فرّق بين الحق والباطل فيهم ، والحواري حواريهم ، وذو الشهادتين
لأنه شهد لهم ، ولا خير إلا لهم أو فيهم أو معهم ، أو يضاف إليهم ، وكيف
لا يكونون كذلك ومنهم رسول رب العالمين ، وإمام الأولين والآخرين ،
ونجيب المرسلين ، وخاتم النبيين ، الذي لم يمت لنبي نبوة إلا بعد التصديق
به ، والبشارة بمجيئه ، الذي عمّ برسالته ما بين الخافقين ، وأظهره الله على الدين
كله ولو كره المشركون؟

قال الحسن بن علي عليهما السلام لحبيب بن مسمة الفهري : ربّ مسير لك

بين الحسن بن

علي السبط

وحبيب بن

مسمة الفهري

(١) النصاب : الأصل (٢) شهلان : اسم جبل (٣) الحسام : القاطع

(٤) تلك ألقاب اختص بها فريق من أشرف قريش ، يرجع إليها من شاء في كتب

السيرة والغزوات

في غير طاعة الله ! قال : أمّا مسيرى إلى أيك فليس من ذلك ! قال : بلى !
أطعت فلانا على دنيا بسيرة ، ولعمري لئن كان قام بك في دنياك لقد قعد بك
في دينك ، فلو أنك إذ فعلت شراً قلت خيراً كنت كمن قال الله عز وجل :
(خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخِرَ سِيئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ) ولكنك كما قال :
(كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) .

صفة الحسن بن
على السبط
وكان الحسن عليه السلام جواداً ، كريماً ، لا يردُّ سائلاً ، ولا يقطع نائلاً ،
وأعطى شاعراً مالا كثيراً فقيل له : أتعطى شاعراً بعصي الرّحمن ، ا ويطيع
الشیطان ا ، ويقول البهتان ؟ فقال : إن خيراً ما بذلت من مالك ما وقّيت به
عرضك ، وإن من ابتغاء الخبر اتقاء الشر .

وقد روى مثل ذلك عن الحسن رضي الله عنه ، وقيل : إن شاعراً مدحه
فأجزل ثوابه ، فليم على ذلك ، فقال : أتراني خفت أن يقول : لست ابن فاطمة
الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ابن علي بن أبي طالب ! ولكني
خفت أن يقول : لست كرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا كعلي رضي الله عنه ؛
فيصدق ، ويحمل عنه ، ويبقى مخلداً في الكتب ، محفوظاً على السنة الرّواة . فقال
الشاعر : أنت والله يا بن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعرف بالمدح والذم مني .

ولما توفى الحسن أدخله قبره الحسين ومحمد بن الحنفية وعبد الله بن عباس
رضي الله عنهم ، ثم وقف محمد بن علي قبره وقد اغرورقت عيناه بالدموع ، وقال :
رَحِمَكَ اللهُ أبا محمد ! فلئن عزت حياتك ، لقد هدت وفاتك ، ولنعم الروح
روح تضمته بدنك ؛ ولنعم الجسد جسد تضمته كفنك ، ولنعم الكفن كفن
تضمته لحدك ، وكيف لا تكون كذلك وأنت سليل الهدى ، وخامس أصحاب
الكساء ، وخلف أهل التقى ؟ جدك النبي المصطفى ، وأبوك علي المرتضى ،
وأهلك فاطمة الزهراء ، وعمك جعفر الطيار في جنة المأوى ، وغذيتك أكف
الحق ، وربيت في حجر الإسلام ، ورضعت ثدي الإيمان ، فطبت حياً وميتاً ؛

فلئن كانت الأنفس غير طيبة لفراقك ؛ إنها غير شاكّة أن قد خير لك ، وإنك وأخاك لسيدا شباب أهل الجنة ، فطليك يا أبا محمد منا السلام .

وقام رجل من ولد أبي سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب على قبره ، فقال :
 إن أقدامكم قد نقلت ، وإن أعناقكم قد حملت إلى هذا القبر ولما من أولياء
 الله يبشّر نبي الله بمقدمه ، وتفتح أبواب السماء لروحه ، وتبهج الحور العين
 بلاقائه^(١) ، ويأنس به سادة أهل الجنة من أمته ، ويوحش أهل الحجا والدين
 فقده ، رحمة الله عليه ، وعنده تمتسب المصيبة به .

الفاظ لأهل العصر في ذكر المصيبة بأبناء النبوة

قد نعى سليل من سلالة النبوة ، وفرع من شجرة الرسالة ، وعضو من
 أعضاء الرسول ، وجزء من أجزاء الوصي والبتول^(٢) . كتبت وليتني ما كتبت وأنا
 ناعي الفضل من أقطاره ، وداعي المجد إلى شق ثوبه وصدره ، ونخبر أن شمس
 الكرم واجبة^(٣) والمآثر مودعة ، وبقايا النبوة مرتفعة ، وآمال الإمامة منقطعة ،
 والدين منخذي واجم^(٤) ، وللتقوى ذممان هام وساجم . كتابي وقد شلت يمين
 الدهر ، وفقت عين المجد ، وقصر باع الفضل ، وكفّت شمس المساعي ، وخيف
 فر المعالي ، وتجدد في بيت الرسالة رزء جدد المصائب ، واستعاد النوائب ؛ كل
 هذا لفقدي من حظ الكرم بربعه ، ثم أدرج في برده ، وامتزج المجد به ، فدفن
 بدفنه ، إنها لمصيبة عمّت بيت الرسالة ، وغضت طرف الإمامة ، وتحيفت
 جانب^(٥) الوحي المنزل ، وذكّرت بموت النبي المرسل . كتبت والدهر ينعي مخرجته

(١) الحور العين : لقب نساء أهل الجنة ، والحور : جمع حوراء ، من الحور
 بالتحريك وهو أن يشتد بياض بياض العين وسواد سوادها ، أو هو اسوداد العين
 كلها مثل عيون الأطباء ، والعين : جمع عينا ، وهي الحلوة العينين

(٢) الوصي : هو علي بن أبي طالب ، والبتول : لقب فاطمة الزهراء (م)

(٣) وجبت الشمس : غابت (٤) واجم : مطرق عبوس (٥) تحيفت : انتقصت (م)

والجدُّ يَنْدُبُ بِهَجَّتِهِ ، ومهبط الوَحْيِ والرسالة تمنحني ظهورَها أسفاً ، وما في الإمامة والوصية والرسالة تُذْرى دموعها لهفناً ؛ وذلك أن حادثَ قضاء الله استأثر بقرع النبوة ، وعنصر الدين والمروءة .

[رجع إلى كلام أهل البيت]

ووقع بين الحسنِ ومحمد بن الحنفية^(١) لِحَاءٌ ، ومثى الناسُ بينهما بالنمائمِ ، فكتب إليه محمد بن الحنفية : أمّا بعد فإن أبي وأباك علي بن أبي طالب ؛ لا تفضلني فيه ولا أفضلك ، وأمى امرأة من بني حنيفة ، وأمك فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلو ملئت الأرضُ بمثل أمى لكنت أمك خيراً منها ؛ فإذا قرأت كتابي هذا فأقدم حتى ترضاني ، فإنك أحقُّ بالفضل مني .

بين الحسن بن
علي وأخيه محمد
ابن الحنفية

وخطب الحسين بن علي رضوان الله عليهما غداة اليوم الذي استشهد فيه ، فحمد الله تعالى وأثنى عليه ؛ ثم قال : يا عباد الله ، اتقوا الله ، وكونوا من الدنيا على حذر ؛ فإن الدنيا لو بقيت على أحد [أو بقي عليها أحد] لكنت الأنبياء أحقَّ بالبقاء ، وأولى بالرضاء ، [وأرضى] بالقضاء ؛ غير أن الله تعالى خلق الدنيا للفناء ، فجديدها بال ، ونعيمها مضمحلٌ ، وسرورها مكفهر^(٢) ، منزلٌ تلمة ، ودارٌ قلعة^(٣) ؛ فزودوا فإن خير الزاد التقوى ، واتقوا الله لعلكم تفلحون .

خطبة للحسين
بن علي

(١) محمد بن الحنفية : هو محمد بن علي ، أخو الحسن والحسين ، وأمه خولة بنت جعفر الحنفية ينسب إليها تميزا له عن أخويه . ولد في المدينة سنة ٢١ وتوفي بها سنة ٨٠ .
(٢) مكفهر مغبر (٣) التلمة : ما ارتفع من الأرض ، وما انهبط منها ، فهي من الأضداد ، وهي كذلك مسيل الماء وماتسع من فوهة الوادي ، ومنازل التلاع لاثبات لها لأنها عرضة لهجمات السيل ، ودار قلعة : أي اتقوا وذهب . وفي الأصل « والمنزل تلمة والدار قلعة » وما أثبتناه أنسب .

وكان معاوية بن أبي سفيان عيَّن بالمدينة يكتبُ إليه بما يكونُ من أمور بين معاوية الناس وقريش ، فكتب إليه : إنَّ الحسين بن عليٍّ أعتقَ جاريةً له وتزوَّجها ؛ والحسين بن عليٍّ فكتب معاويةُ إلى الحسين : من أمير المؤمنين معاوية إلى الحسين بن عليٍّ .
 أمَّا بعد ، فإنه بلغني أنك تزوجتَ جاريتك ، وتركتَ أكفأك من قريش ،
 ممَّن تستنجبه للولد ، وتمجد به في الصَّهر ، فلا لنفسك نظرتَ ، ولا لولدك انتقت .

فكتب إليه الحسين بن عليٍّ : أمَّا بعد ، فقد بلغني كتابك ، وتغييرك يدي بأني تزوجتُ مولاتي ، وتركتُ أكفأ من قريش ، فليس فوق رسول الله منتهى في شرف ، ولا غاية في نسب ؛ وإنما كانت ملك يميني ، خرجتُ عن يدي بأمر التمت فيه ثواب الله تعالى ؛ ثم ارتجعتها على سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وقد رفع الله بالإسلام الحسيمة ، ووضع عناءه النقيصة ؛ فلا لومَ على امرئ مسلم إلا في أمر مائمه ، وإنما اللومُ لومُ الجاهلية .
 فقرأ معاوية كتابه نبذهُ إلى يزيد فقرأه ، وقال : لشدَّ ما فخرَ عليك الحسين ! قل . لا ، ولكنها السنة بنى هاشم الحداد التي تفلق الصَّخر ، وتغرف من البحر !

واخين - رضى الله عنه ! - هو القائل :

نعمرك إننى لأحبُّ داراً تحلُّ بها سُكينةُ والربابُ
 أحبهما وأبذل كلِّ مالى وليس للأثمِ عندي عتابُ

من شعر
 الحسين بن عليٍّ

سُكينة: ابنته، والرباب: أمها، وهى بنت امرئ القيس [بن الجرول] الكلبيَّة.
 وفي سُكينة يقول عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي كذباً عليها (١) :

(١) نغمة الثالثة من كتاب « حب ابن أبي ربيعة وشعره » فيه فصل مطوَّر عن نسيده سُكينة بنت الحسين وحياتها الأدبية والوجدانية وعلاقتها بعمر بن أبي ربيعة لرى أكان يكذب عليها كما يحدثنا صاحب زهر الآداب ؟

لابن أبي ربيعة
في سكينه بنت
الحسين

قالت سَكِينَةُ وَالدَّمْعُ ذَوَارِفٌ
لَيْتَ الْمُغِيرِيَّ الَّذِي لَمْ أَجْزِهِ
كَانَتْ تَرْدُ لَنَا أَلْمَنَى أَيَّامَنَا
خَبَّرْتُ مَا قَالَتْ فَبِتُّ كَأَنَّمَا
أُسْكِنَنَّ مَا مَاءَ الْفُرَاتِ وَطَيْبُهُ
بِأَلَدِّ مَنْكَ ، وَإِنْ نَأَيْتِ ، وَقَلَمًا
إِنْ تَبَدُّ لِي لِي نَائِلًا أَشْفَى بِهِ
وَعَصَيْتُ فَيْكَ أَقَارِبِي وَتَقَطَعْتُ
فَتَرَكْتَنِي لِأَبَالِوَصِ - أَلْ مُتَمَمًا
فَقَعَدْتُ كَالْمُهْرِيْقِ فَضْلَةَ مَائِهِ
تَجْرِي عَلَى الْخَدَّيْنِ وَالْجِلْبَابِ
فِيمَا أَطَالَ تَصَيُّدِي وَطِلَابِي
إِذْ لَا نُلَامُ عَلَى هَوَى وَتَصَابِ
يُرْمَى الْحَشَى بِنَوَافِذِ النَّشَابِ
مِنِّي عَلَى ظَلَمًا وَفَقْدِ شَرَابِ
تَرَعَى النِّسَاءَ أَمَانَةَ الْغِيَابِ
دَاءَ الْفَوَادِ فَقَدْ أَطَلَّتْ عَدَابِي
بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ عَرَى الْأَسَابِ
مِنْهُمْ ، وَلَا أَسْفَفْتَنِي بِشَوَابِ
فِي حَرِّ هَاجِرَةٍ لِلْمَعْرِ سَرَابِ

سكينة ترى - وكانت سكينة من أجمل نساء زمانها وأعقلهن ، وكان مصعب بن الزبير
مصعب بن الزبير قد جمعَ بينها وبين عائشة بنت طلحة بن عبيد الله ؛ فلما قُتِلَ مصعب
قالت سكينة :

فَإِنْ تَقْتُلُوهُ تَقْتُلُوا الْمَاجِدَ الَّذِي
وَقَبْلَكَ مَا خَاضَ الْحَسِينَ مَنِيَّةً
يَرَى الْمَوْتَ إِلَّا بِالسُّيُوفِ حَرَامًا
إِلَى الْقَوْمِ حَتَّى أَوْرَدُوهُ حِمَامًا

لعلى بن الحسين وقال على بن الحسين^(١) رحمه الله : لو كان الناس يعرفون جملة الخيل
في فضل الاستبانة ، وجملة الحال في فضل التبيين ، لأعربوا عن كل ما نندجج
في صدورهم ، ولو جدوا من برد اليقين ما يغنيهم عن المنازعة إلى كل حال سوى

(١) كان على بن الحسين مضرب المثل في الحلم والتقوى والسخاء . أحصى بعد
موته عدد من كان يقوتهم سرا فإذا هم نحو مائة بيت . قال محمد بن إسحاق : كان
ناس من أهل المدينة يعيشون لا يدرون من أين معاشهم وما آكلهم ، فلما مات على بن
الحسين فقدوا ما كانوا يؤتون به ليلًا إلى منازلهم . ولد أتابة الله بالمدينة سنة ٣٨
وتوفي سنة ٩٤ .

حالم ، على أن إدراك ذلك كان لا يعدمهم في الأيام القليلة العدة ،
والفكرة القصيرة المدة ، ولكنهم من بين مغمورين بالجهل ، ومفتونين
بالعُجب ، ومعدولين بالهوى عن باب الثبوت ، ومصروفين بسوء العادة عن
فضل التعلم .

وقال رضى الله عنه : المرء يُفسدُ الصداقة القديمة ، ويحلُّ العقدة الوثيقة ،
وأقل ما فيه أن تكون به المغالبة ، والمغالبة من أمتن أسباب القطيعة .

ومن دعائه : اللهم ارزقني خوف الوعيد ، وسرور رجاء الموعد ، حتى لأزجو
إلا ما رجيت ، ولا أخاف [إلا] ماخوت .

وحجَّ هشام بن عبد الملك ، أو الوليد أخوه ، فطاف بالبيت وأراد استلام
الحجر فلم يقدر ، فنُصِبَ له منبرٌ فجلس عليه ؛ فبينما هو كذلك إذ أقبلَ علي بن
الحسين بن علي بن أبي طالب رضى الله عنه في إزار ورداء ، وكان أحسن الناس
وجهاً ، وأعظم رائحة ، وأكثرم خشوعاً ، وبين عينيه سجادة^(١) ، كأنها رُكبة
عز ، وطاف بالبيت ، وأتى ليستلم الحجر ، فتنحى له الناس هيبة وإجلالا ،
فعاظ ذلك هشاماً ؛ فقال رجلٌ من أهل الشام : من الذى أكرمه الناس هذا
الإكرام ، وأعظموه هذا الإعظام ؟ فقال هشام : لأعرفه ، لئلا يعظم فى صدور
أهل الشام ؛ فقال الفرزدق وكان حاضراً :

هذا ابن خير عباد الله كلهم	هذا النقيُّ التقى الطاهرُ العلمُ
هذا الذى تعرفُ البطحاء وطأته	والبيتُ يعرفهُ والحِلُّ والحرمُ
إذا رآته قريشٌ قال قائلها	إلى مكارم هذا ينتهى الكرمُ
يكاد يُمنِّكه عرفان راحته	رُكنُ الحطيم إذا ما جاء يستلم ^(٢)

(١) المراد بالسجادة أثر السجود .

(٢) يريد أن ركن الحطيم يكاد يمسكه لعرفان راحته ويقينه بأنها من سلالة الرسول

الفرزدق يمدح
علياً زين
العابدين ابن
الحسين

في كفه خيزران ريحه عبقُّ
 يُنْفِضِي حَيَاءً وَيُنْفِضِي مِنْ مَهَابَتِهِ
 مُشْتَقَّةٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ تَبَعْتُهُ
 يُنْمَى إِلَى ذِرْوَةِ الْعِزِّ الَّتِي قَصُرَتْ
 يَنْجَابُ نُورُ الْهَدْيِ عَنْ نُورِ غُرَّتِهِ
 حَمَالُ أَثْقَالِ أَقْوَامٍ إِذَا اقْتَرَحُوا
 هَذَا ابْنَ فَاطِمَةَ إِنْ كُنْتَ جَاهِلَهُ
 اللَّهُ فَضْلُهُ قَدِيمًا وَشَرَفُهُ
 مَنْ جَدُّهُ دَانَ فَضْلُ الْأَنْبِيَاءِ لَهُ
 عَمَّ الْبَرِيَّةَ بِالْإِحْسَانِ فَانْقَشَعَتْ
 كِلْتَا يَدَيْهِ غِيَاثٌ عَمَّ نَفْعُهُمَا
 سَهْلُ الْخَلِيقَةِ لَا تُخْشَى بَوَادِرُهُ
 لَا يُخْلِفُ الْوَعْدَ مِيمُونَ بَغْرَتِهِ
 مَا قَالِ «لَا» قَطُّ إِلَّا فِي تَشْهُدِهِ
 مِنْ مَعْرِجَتِهِمْ دِينَ، وَبَغْضِهِمْ
 يُسْتَدْفَعُ السُّوءَ وَالْبَلْوَى بِجَبْهِمْ
 مَقْدَمٌ بَعْدَ ذِكْرِ اللَّهِ ذِكْرُهُمْ
 إِنْ عُدَّ أَهْلُ التَّعْيِ كَانُوا أَيْمَتَهُمْ
 لَا يَسْتَطِيعُ جَوَادُ بَعْدَ غَايَتِهِمْ

فِي كَفِّ أَرْوَعٍ فِي عِرْنَيْنِهِ شَمَمٌ^(١)
 فَمَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَنْتَسِمُ
 طَابَتْ عُنَاصِرُهُ وَالخَيْمُ وَالشَّمَمُ^(٢)
 عَنْ نَيْلِهَا عَرَبُ الْإِسْلَامِ وَالْعَجَمُ^(٣)
 كَالشَّمْسِ يَنْجَابُ عَنْ إِشْرَاقِهَا الْقَمُّ^(٤)
 حُلُوُ الشَّمَائِلِ تَحُلُوُ عِنْدَهُ نَعَمُ
 بِحُدَّةِ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ قَدْ خُتِمُوا
 جَرَى بِذَلِكَ لَهُ فِي لَوْحِ الْقَلَمِ
 وَفَضْلُ أُمَّتِهِ دَانَتْ لَهُ الْأُمَّمُ
 عَنْهَا الْغِيَابَةُ وَالْإِمْلَاقُ وَالظُّلْمُ^(٥)
 تَسْتَوَكْفَانُ وَلَا يَعْرُوهَا الْعَدَمُ^(٦)
 تَزِينُهُ الْأَيْتَانِ الْحَيْمُ وَالكَرَمُ
 رَحْبُ الْفَنَاءِ أَرِيْبٌ حِينَ يَعْتَزَمُ^(٧)
 لَوْلَا التَّشْهُدُ كَانَتْ لَاءَهُ نَعَمُ
 كَفَرٌ، وَقُرْبُهُمْ مَنْجَى وَمُعْتَصَمُ
 وَيَسْتَرْبُ بِهِ الْإِحْسَانُ وَالنَّعَمُ^(٨)
 فِي كُلِّ بَدءٍ وَمُخْتَوْمٌ بِهِ الْكَلِيمُ
 أَوْ قِيلَ مَنْ خَيْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ قِيلَهُمْ
 وَلَا يُدَانِيهِمْ قَوْمٌ وَإِنْ كَرُمُوا

(١) أروع: ذكي الروع، بضم الراء، وهو الفؤاد. والعرنين: الأنف، والشمم: الارتفاع
 (٢) الخيم: الأصل (٣) ينمي: ينسب (٤) القم والقمام: الغبار (٥) الغيبة: غيبة
 الرشد، والإملاق: الفقر (٦) تستوكفان: تجريان، والعدم بضم العين: الفقر.
 (٧) الأريب: وافر العقل (٨) يستر: يصلح.

همُ الغُيُوثُ إِذَا مَا أَزَمَتْ أَزَمَتْ الأُسْدُ أُسْدُ الشَّرَى وَالْبَأْسُ مُحْتَدِمٌ (١)
يَأْتِي لَمْ أَنْ يَحْمِلَ الذَّمُّ سَاحَتَهُمْ خِيمٌ كَرِيمٌ وَأَيْدٍ بِاللَّيْ هُضْمٌ (٢)
لَا يَنْقُصُ الْعَسْرُ بِنِطَامٍ أَكْفَهُمْ سَيِّانَ ذَلِكَ إِنْ أَثَرُوا وَإِنْ عَدَمُوا
أَيُّ الْخِلَاقِ لَيْسَتْ فِي رِقَابِهِمْ لِأَوْلِيَّةِ هَذَا أَوْ لَهٗ نِعْمٌ (٣)
مَنْ يَعْرِفُ اللَّهَ يَعْرِفُ أَوْلِيَّتَهُ فَالِدِينُ مِنْ بَيْتِ هَذَا نَالَهُ الْأُمُّ
وَلَيْسَ قَوْلِكَ مِنْ هَذَا بَضَائِرِهِ الْعُرْبُ تُعْرِفُ مِنْ أَنْكَرَتِ وَالْعَجَمُ
وَقَدْ رَوَى أَنَّ الْحَزِينَ الْكِنَانِي وَفَدَّ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ
وَهُوَ أَمِيرٌ عَلَى مِصْرَ فَأَنْشَدَهُ قَصِيدَةً مِنْهَا :

لَمَّا وَقَفْتُ عَلَيْهِ فِي الْجُمُوعِ ضُحَى وَقَدْ تَعَرَّضْتُ الْحُجَّابُ وَالْخُدَمُ
حِينَتُهُ بِسَلَامٍ وَهُوَ مُرْتَفِقٌ وَضَجَّةُ الْقَوْمِ عِنْدَ الْبَابِ تَزْدَحِمُ (٤)
فِي كَفِّهِ خَيْرَ زَانَ وَالْبَيْتُ الَّذِي يَلِيهِ .

وَيَقَالُ : إِنَّهَا لِدَاوُدَ بْنِ سَلَمٍ فِي قَتْمِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ
عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ الْأَخْطَلُ :

للأخطل في قتم
بن العباس

وَلَقَدْ غَدَوْتُ عَلَى التَّجَارِ بِمَسْمَحٍ هَرَّتْ عَوَاذِلُهُ هَرِيرَ الْأَكْلَبِ (٥)
لَذَّةً يُقَبَّلُهَا النِّعَمُ ، سَأَمَّا مُسِحَّتْ تَرَائِبُهُ بِمَاءِ مُذْهَبِ (٦)
لِبَأْسِ أَرْدِيَةِ الْمَلُوكِ تَرَوْقُهُ مِنْ كُلِّ مَرْتَقَبِ عَيْونِ الرَّبْرِبِ (٧)
يَنْظُرْنَ مِنْ خَلْلِ الشُّورِ إِذَا بَدَا نَظَرَ الْمُهْجَانِ إِلَى الْفَنِيقِ الْمَضْعَبِ (٨)

- (١) الأزمة : الشدة ، والشري : جيل بتهامة كثير السباع .
(٢) هضم : جمع هضم ، وهو كثير الإنفاق (٣) المراد بالأولية الآباء والأجداد
(٤) مرتفق : متكئ على مرفقه (٥) هرت : صاحت .
(٦) الترائب : موضع القلادة من الصدر ، والمذهب : المزوج بالذهب .
(٧) الربرب : الظباء ، والمراد بها النساء (٨) المضعب : الجمل الذي لم يركب .
والفنيق : المكرم . والمهجان : الثياب البيضاء .

ويقال : بل قالها في علي بن الحسين اللعين المنقري ، وسمى اللعين لأن عمر
سمعه يُنشد شعراً والناس يُصلُّون ، فقال : مَنْ هذا اللعين ؟ فعلق به هذا الاسم^(١)
وليقَّله مَنْ شاء ، فقد أحسن ما شاد وأجاد وزاد^(٢) .

.. وقال ذو الرمة في بلال بن أبي بُردة بن أبي موسى الأشعري :

مِنْ آلِ أَبِي مُوسَى تَرَى النَّاسَ حَوْلَهُ كَثَمَهُمُ الْكِرْوَانَ عَيْنٌ بَازِيَا^(٣)
فَمَا يَعْرِفُونَ الضَّخْكَ إِلَّا تَبَثْمًا وَلَا يَنْسُونَ الْقِسْمَانَ إِلَّا تَنَاجِيًا^(٤)
وَمَا الْفُحْشَ مِنْهُ يَرْهَبُونَ ، وَلَا الْخَنَاءَ عَيْبِهِ ، وَلَكِنَّ هَيْبَةً هِيَ مَا هِيََا
فَتَى السِّنِّ ، كَهَيْبَةِ الْحِلْمِ ، يَسْمَعُ قَوْلَهُ يُوَازِنُ أَدْنَاهُ الْجِبَالَ الرَّوَاسِيَا

ومن أجود ما للمحدثين في ذلك قول أبي عبادة البحرى في الفتح
ابن خاقان :

وَمَا حَضَرَ نَاسِدَةَ الْإِذْنِ أَخْرَتْ رَجُلًا عَنِ الْبَابِ الَّذِي أَدْخَلَتْهُ
فَفَضَيْتُ مِنْ قُرْبِ إِلَى ذِي مِهَابَةٍ أَقَابِلُ بَدْرِ التَّمِّ حَسِينَ أَقَابِلُهُ
بَدَا لِي مَحْمُودَ السَّجِيَّةِ تَمَرَّتْ سَرَائِيلُهُ عَنْهُ وَطَالَتْ خَمَائِلُهُ^(٥)
كَمَا انْتَصَبَ الرَّمْحُ الرُّذَيْنِي تَقَفَّتْ أَنْيَابُهُ وَاهْتَرَّتْ لَطْفُنِ عَامِلُهُ^(٦)
وَكَالْبَدْرِ وَافْتَتَهُ لَتَمَّ سَعُودُهُ وَتَمَّ سِنْدُهُ وَاسْتَهَبَتْ مَنَارِلُهُ
فَسَلَّمْتُ فَاعْتَاقَتْ جَنَانِي هَيْبَةً نَمَارِغِي الْقَوَى الَّذِي أَلْقَيْتُهُ^(٧)

لدى الرمة يمدح
بلال ابن أبي
بردة

للبحري يمدح
الفتح ابن
خاقان

(١) اللعين المنقري : هو أبو الأكيكر مبارك بن زمعة . وفي الأصل « اللعين
المنقري » وهو تحريف (٢) يريد أن الشعر جيد بغض نظر عمن ينسب إليه من
الشعراء (٣) الكروان بكسر الكاف جمع الكروان بفتحها ، مع كونه الزا.
وهو طائر مفرد ، والبازي : الصقر (٤) ينسون : ينطقون .
(٥) السرايل : الثياب . والحمدل : جمع حمالة بالكسر . وهي علاقة السيف
(٦) عامل الرمح : صدره
(٧) اعتاق وعناق : منع ، والجنان : القلب .

إلى مُشْرِفٍ في الجود لو أن حاتمًا
 فماتت أمّلتُ الطَّلَاقَةَ وانثني
 لدَيْهِ لأضحى حاتمٌ وهو عاذِلُهُ
 إلى يَبِشْرِ أَنْسَتِي مَخَايِلُهُ^(١)
 جميلٌ مَحْيَاةُ سَبَاطٍ أَنَامِلُهُ^(٢)
 ورقتُ كما رَقَّ النَّسِيمُ شَمَائِلُهُ

ووقعت حرب بالجزيرة بين بني تغلب، فتولى الإصلاح بينهم القتح بن خاقان فقال البحترى فيما تعلق بعضه بذكر الهيبة :

بني تغلبٍ أعزّزَ عليّ بأن أرى
 خلت دِمْنَةٌ من ساكنيها وأوحشتُ
 دياركم أمست وليس لها أهل^(٣)
 مرابعٌ من سنجارٍ يهمني بها الوبل^(٤)
 والموت فيما بينهم قسمةٌ عدلٌ
 ومثلٌ من الأقوام زاحفهٌ مثل^(٥)
 أخ لا يلبد في الطمان ولا وغل^(٦)
 عتاقٌ ، وأنسابٌ بها يدرك التبل^(٧)
 وضربٌ كما ترغو الخزّمة البزل^(٨)
 علمتم ، وللجانين في مثلها الشكل^(٩)
 إذا ما التقوا يوم الهياج تهاجروا
 كفى من الأحياء لاقى كفيه
 إذا ما أخ جرّ الرماح انتهى له
 تحوطهم البيض الرقاق ، وضمر^(٧)
 بطعن يكب الدارعين دراكه
 تجافى أمير المؤمنين عن التي

(١) الخايل : جمع مخيلة ، وهي الدلالة (٢) سباط : طوال ، كناية عن الكرم

(٣) هذه القطعة من قصيدة جيدة طويلة مطلعها :

ضمان على عينك أتى لا أسلو وأن فؤادي من جوى بك لا ينخلو

(٤) سنجار : مدينة في نواحي الجزيرة بينها وبين الموصل ثلاثة أيام ، والوبل :

المطر الشديد ، ويهمني : ينسكب (٥) كفى : نظير ، زاحفه : نازله ، من الزحف .

وفي الأصل « راجعه » وهو تحريف (٦) الوغل : الضعيف النذل (٧) البيض

الرقاق : السيوف المرهفة ، والضمير العتاق : الحيول الضامرة الكريمة ، والتبل : الثأر

(٨) الدارعون : لا بسو الدروع ، ودراكه : تابعه ، وترغو : تصيح ، والخزّمة :

التي وضع في شدقها الحرام ، والبزل : جمع بازل . وهو البعير يبلغ تسع سنين

(٩) الشكل : الفقد

وكانت يدُ الفتح بن خاقان عندكم
 ولولاهُ طَلَّتْ بِالْعُقُوقِ دِمَاؤَكُمْ
 تَلَا فَيَتَ يَا فَتَحُ الْأَرَاقِمِ بَعْدَ مَا
 وَهَبْتَ لَهُمْ بِالسَّلَامِ بَاقِي نَفُوسِهِمْ
 أَتَاكَ وَفُودُ الشُّكْرِ يُثْنُونَ بِالنَّذَى
 فَلَمْ أَرَ بَوْمًا كَانَ أَكْثَرَ سُودَدًا
 تَرَاءَوْكَ مِنْ أَقْصَى السَّمَاطِ فَتَصَرَّوْا
 وَإِنَّمَا قَضَوْا صَدْرَ السَّلَامِ تَهَانَتُوا
 إِذَا شَرَعُوا فِي خُطْبَةٍ قَطَعْتَهُمْ
 إِذَا نَكَسُوا أَبْصَارَهُمْ مِنْ قَهَابَةٍ
 نَصَبْتَ لَهُمْ طَرْفًا حَدِيدًا ، وَمَنْطِقًا
 وَسَلَّتْ سَخِيَّاتِ الصَّدُورِ فَعَتَاكَ الْكَرِيمِ ، وَأَبْرَأَ غَلْبًا قَوْلَكَ الْفُضْلُ
 بِكَ التَّمَامِ الشَّعْبِ الَّذِي كَانَ بِيَدِهِمْ
 عَلَى حِينِ بَعْدَ مِنْهُ ، وَاجْتَمَعَ الشَّمْلُ
 قَرَانِكَ ، فَلَا ضِعْفَ لَدَيْهِمْ وَلَا ذَخْلُ
 وَجَرَّوْا ذِيوَانَ الْعَصَبِ نَضْفُو ذِيوَانَهَا
 عَطَا ، كَرِيمِ مَا نَكَأ ، ذَهَبُ نَحْلُ

(١) المحل: الجذب (٢) طلت: هدرت ، والقود: التماس ، والعقل: الدية
 (٣) أوحى: أسرع ، والسم الوحي: السريع ، والأرقم الصل: الحية التي لا تنفع
 فيها الرقي (٤) شارفوا: قاربوا . وفي الأصل (اسرفوا) وهو تحريف (٥) السبل:
 جمع سبيل ، وهو الطريق ، والمراد به الحاجة (٦) عجل: جمع أمجل وهو المسرع
 (٧) طلق الوجه: وافر البسر (٨) قبل: جمع أقبل ، وهو الذي ينظر بانحراف
 كأنما ينظر إلى أنفه (٩) النصل: السيف (١٠) السخيات: جمع سخيمة ،
 وهي الحقا

(١١) التأم الشعب: اجتمع (١٢) القري بكسر القاف: ما يتناوله الضيفان ، والدحل:
 الغل (١٣) تكأده: منه وشة غله (١٤)

وما عمَّهم عمرو بن غنم بنسبةٍ كما عمَّهم بالأمس نائلك الجزل
فهما رأوا من غبطةٍ في اصطلاحهم فنك بها التعمى جرت ولك الفضل

عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل بن قاسط .

وللطائيين [أبي تمام والبحترى] في ذلك أشعار كثيرة مختارة ، منها قول
البحترى يحذر عاقبة الحرب (١) :

أما لربيعه الفرس انتباه
وكانوا رقعوا أيام سلم
إذا ما الجرح رم على فساد
رزية هالك جلبت رزايًا
يشق الجيب ثم يجي أمر
وقبر عن أيام برقعيد
بسح ترابه أبدأ عليها
فهل لابني عدي من رشيد
أخاف عليهما إمرار مرعى
وأعلم أن حربهما خبال
لعل أبا المعمر يتأبها

عن الزلزال فيها والخروب (٢)
على نك الضغائن والندوب (٣)
تبين فيه تفریط الطيب
وخطبات يكشف عن خطوب
يصغر فيه تشقيق الجيوب
إذا هي ناحرت أفق الجنوب (٤)
عباداً من مراق دم صيب (٥)
يرد شريد حلهما العزيب (٦)
من الكلاء الذي عقباه توبى (٧)
على الداعى إليها والمجيب
ببعدهم والصدور الرحيب (٨)

(١) اختار المؤلف هذه القطعة من بائية البحترى التي مطلعها :

أمنك ناوب الطيف الطروب حبيب جاء يهدى من حبيب

(٢) ربيعة الفرس : أبو قبيلة . وهو ابن نزار بن معد بن عدنان

(٣) في الأصل (وتعوا) والتصحيح عن الديوان والندوب : جمع ندب . وهو الجرح

(٤) برقعيد : بلدة الموصل ، وناحرت : قابلت ، وفي الأصل «ناخرت» وهو تحريف .

(٥) العهاد : أمطار الربيع ، واحدها عهدة . تقول : حديفة معبودة وبستان .

(٦) العزيب : من العزوب وهو الغيبة والذهاب ، وفي الأصل (العزيب) وهو تحريف .

(٧) توبى : تهلك . (٨) يتلها : يتبعها ، والهمها : تعنى المهمة

فكم من سوءٍ قد بات يُعطي عطيةً مُكثراً فيها مُطيب
 أهتيم يا بن عبد الله ، دعوى مشيرٍ بالنصيحةٍ أو مُهيبٍ^(١)
 تناس ذنوب قومك إن حفظ الذنوب إذا قد من من الذنوب^(٢)
 فلتسهم السديدُ أحبُّ غيباً إلى الراى من السهم المصيب^(٣)
 متى أحرزت نصر بنى عبيدٍ إلى إخلاص ود بنى حبيب
 فقد أصبحت أغلبت تغليتي على أيدي العشرة والقلوب
 يناسب قوله :

* إذا ما الجرحُ رمَّ على فسادٍ *

قولُ أبي الطيب المتنبي لعل بن إبراهيم التنوخي أحد بني القصيص :
 فلا تفرُّرك ألسنة موالٍ تقلبهن أفئدة أعادي^(٤)
 وكن كاللوت لا يرثي لباك بكى منه ، ويروى وهو صاد
 فإن الجرح ينفر بعد حين إذا كان البناء على فسادٍ^(٥)
 وفي هذه القصيدة :

كانَ الهامَ في الهيجا عيونٌ وقد طُبعت سيوفك من رقادٍ
 وقد صُفت الأسيئة من همومٍ فما يخطرُن إلا في فؤادٍ

كان البيت الأول من هذين ينظرُ إلى قولِ مسلم بن الوليد من

طرفٍ خفي

ولو أن قوماً يخلقون منيةً من بأسهم كانوا بنى جبريلاً
 قومٌ إذا احمرَّ الهجيرُ من الوغى جعلوا الجاجمَ للسيوف مقيلاً^(٦)

(١) مهيب: داعى (٢) في هذا البيت حكمة بالغة (٣) غبا : عاقبة

(٤) الموالى : جمع مولى وهو الصديق (٥) ينفر : يجيش بالدم

(٦) احمرار الهجير - وهو وقت الظهر - كناية عن سيل الدماء فيه

وإنما أخذته [أبو الطيب] من قول منصور النميري ، وذ كر سيفاً :
 ذَ كَرٌ ، بَرَوْتَقِهِ الدَّمَاءُ ، كَأَنَّمَا يَتَلَوُّ الرِّجَالَ بِأَرْجُوَانٍ نَاقِعٍ ^(١)
 وَتَرَى مَسَاقِطَ شَفَرَتَيْهِ كَأَنَّهَا مِلْحٌ تَبَدَّدَ مِنْ وَرَاءِ الدَّارِيعِ
 وَتَرَاهُ مُعْتَمًا إِذَا جَرَّدَتْهُ ^(٢) بَدَمِ الرِّجَالِ عَلَى الأَدِيمِ النَّاقِعِ ^(٣)
 وَكَأَنَّ وَقَعَتَهُ بِجَمِجَمَةِ النِّقَى خَدَرُ المَدَامَةِ أَوْ نَعَاسُ المَاجِعِ ^(٤)
 أردت هذا البيت ، وقول النميري :

* وَتَرَاهُ مُعْتَمًا إِذَا جَرَّدَتْهُ *

يشير إليه قول أبي الطيب ، وذ كر سيفاً :

يَبِيسُ النَّجِيعُ عَلَيْهِ فَهُوَ مُجَرَّدٌ مِنْ غَمْدِهِ وَكَأَنَّهَا هُوَ مُفْعَدٌ ^(٥)
 رِيَانٌ لَوْ قَذَفَ الَّذِي أَسْقَيْتَهُ لَجَرَى مِنَ المَهَجَاتِ بِمَحْرٍ مُزِيدٍ ^(٥)

وبنو عبيد ، وبنو حبيب - اللذان ذكروهما البحتری - هم : بنو عبيد
 ابن الحارث بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب ، وحيب بن الهجرس
 ابن تيم بن سعد بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب ، وفيهم
 حبيب بن حرقة بن تغلب بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب ، فلا
 أدري أيهما أراد !

(١) سيف ذكروا : من الذكرة بضم الدال وهي الحدة ، والأرجوان : صبغ أحمر ،
 وناقع : صفة تراد بها مبالغة . وكل ناصع اللون ناقع ، وأكثر ما يوصف به الأحمر والأصفر .
 (٢) معتم : جمد الدم عليه حتى صار له كالعمامة ، والناقع : الذي تروى بالدم .
 وفي الأصل (الناقع) وهو تحريف (٣) يصف إمالة السيف للرؤوس ويشه فعله بفعل
 المدام والنعاس (٤) النجيع : الدم يتجمد

(٥) ريان : ممتلئ بالري ، وقذف : ألقى وطرح ورمى ، وبحر مزبد : يرمي
 بالزبد ، وذلك كناية عن كثرة ما يجرى فيه وعن شدة موجه (م)

للبحترى أيضا

وقال البحترى :

أسيت لأخوالي ربيعة أن عفت
بكرهى أن بانت خلا ديارها
إذا افترقوا من وقعة جمعهم
تدم الفتة الزود شيمة بعها
حمية شعب جاهلي وعزة
وفرسان هيجاء تجيش صدورهم
تقتل من وتر أعز نفوسها
إذا اخترت يوما ففاضت دماؤها
شواجر أرماح تقطع بينها
فكنت أمين الله مولى حياتها

وقال أبو تمام الطائي :

مهلاً بني مالك لا تجدين إلى
لم يئسكم مالك صفحاً ومغفرة
أخر جمعوه بكره من سجيته
أو طامود على جمر العتوق ، و
حي الأراقم ذؤنون ابنة الرقم^(٧)
لو كان ينفخ قين الحي في فحج^(٨)
والنار قد تنتضي من ناخير السلم^(٩)
ليخرج الليث ليخرج من الأجم^(١٠)

لأبي تمام

(١) أسيت : حزنت ، والمصايف : جمع مصيف ، وفي الأصل «مصانعها» وهو تحريف ، والتصحيح عن الديوان ، وأقوت : خلت .

(٢) المغاني : جمع مغنى ، وهو المنزل الذي غنى به أهله : أى أقاموا .

(٣) يطل : يهدر (٤) الزود : الجميلة الوافرة الحياء (٥) الوتر : الثأر .

(٦) الشواجر : القواطع ، أو الروابط ، فعى من أسماء الأضداد .

(٧) الأراقم : حى من تغلب ، وابنة الرقم : الحية ، والدؤلول : السم ، يريد

لاتقدموا السم بأنفسكم إلى حى الأراقم ليقتلوكم به (٨) القين : الحداد .

(٩) تنتضي : تستخرج ، والسلم : اسم شجر (١٠) الأجم : مأوى الأسد

لولا مناشدةُ القرُبي لغادرَكم
لا تجملوا البغيَ ظهراً إنه جملٌ
وقال أيضاً :

مهلاً بنى عمرو بن غنم؛ إنكم
ما منكم إلا مردى بالحجى
عمرو بن كلثوم بن مالك بن
خلقت ربيعة من لدن خلقت يداً
تفرو فتغلب تغلب مثل اسمها
وستذكرون غداً صنائع مالك
مالي رأيتُ ثراكم يبسالةً
ما هذه القرُبي التي لا تصطفى
حسدُ القرابة للقرابة قرحة
تلكم قريش لم تكن آباؤها
حتى إذا بعث النبي عمداً
عزبت عقولهم، وما من معشرٍ
لما أقام الوخى بين ظهورهم

هَدَفُ الأَسِنَّةِ والقَنَا تَتَحَطَّمُ (١)
أَوْ مُبَشِّرٌ بالأحوذيةِ مُؤَدِمٌ (٢)
عَتَابُ بنِ سَعْدٍ سَهْمِكُمْ لَا يُسْتَهْمُ (٣)
جُثْمٌ بنُ بَكْرِ كَفْهًا والمِعْصَمُ (٤)
وتسبح غنم في البلاد فتغنم
إِنْ جَلَّ خَطْبٌ أَوْ تَدُوْفِعَ مَغْرَمٌ (٥)
مَالِي أَرَى أَطْوَادَ كُمْ تَهْدَمُ؟ (٦)
ما هذه الرحم التي لا تُرْحَمُ؟
أَعْيَتْ عَوَائِدُهَا وَجَرِحَ أَقْدَمُ (٧)
تَهْفُو وَلَا أَجْلَامُهَا تَقْسَمُ (٨)
فِيهِمْ غَدَّتْ شَحْنَاوُهُمْ تَتَضَرَّمُ (٩)
إِلَّا وَهُمْ مِنْهُ أَلْبٌ وَأَحْزَمُ (١٠)
ورأوا رسول الله أحمد منهم

- (١) الهدف : الغرض (٢) مردى بالحجا : يتخذنه رداء ، والأحوذية : الحفة والنشاط ، ومبشر بها ومؤدم : اتخذ منها بشرته وأدمه ، ولأدم : الجلد
(٣) لا يستهم : لا يغلب (٤) من لدن : من منذ (٥) الصنائع : جمع صنيع وهو المعروف (٦) من معاني البسالة لهلاك ، ورأيت ثراكم يبسالة : أي في بسالة - كذا ، والذي في الديوان « مالي رأيت ثراكم يبسالة » يريد جافاً لا يبلة ندى ؛ فليس يثبت شيئاً ، وهذا معنى جيد (م) .
(٧) يريد من العوائد النكبات التي تعود بها القروح (٨) لا تقسم أحلامها : لا تنفرك آراؤها (٩) الشحناء : البغضاء (١٠) عزبت : غابت ، ألب : أعقل
(٦ - زهر الآداب ١)

ومن الحزامة لو تكون حزاماً^(١) إلا تؤخر من به تتقدم^(١)
ومالك هو: ابن طوق^(٢) بن مالك بن عتاب بن زفر بن مرة بن شرح
ابن عبد الله بن عمرو بن كلثوم بن مالك [بن عتاب] بن سعد بن [زهير
ابن] جشم بن بكر [بن وائل] بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب ، وفيه
يقول دعبيل^(٣) يهجوهُ :

الناس كلهم يندو لحاجته من بين ذى فرج منها ومهموم
ومالك ظل مشغولاً بنسبته يرم منها بناء غير مرموم^(٤)
يبنى بيوتاً خراباً لا أنيس بها ما بين طوق إلى عمرو ابن كلثوم
والتكثير من المعنى المعترض ، يرمح عن ثغرة الغرض^(٥) ، لكنى أجرى
منه إلى حلبة الإجابة ، وأقصد قصد الإفادَةِ ، ثم أعود حيث أريد :

وقال ابن الخياط المكي - واسمه عبد الله بن سالم - في باب الهيبة ، في مالك
ابن أنس^(٦) الفقيه ، رحمة الله عليه ؛ وقيل : إن هذا من قول ابن المبارك :

لابن الخياط
يدح الإمام
مالك بن أنس

(١) الحزامة : الحزم

(٢) كان مالك بن طوق من الفرسان ، وهو الذى بنى « رجة مالك » على
شاطئ الفرات ، وله مع هرون الرشيد موقف مشهور ، وهو صاحب التائبة
لحق يقول فيها :

وما بى خوف أن أموت ، وإبنى لأعلم أن الموت شئ مؤقت
ولكن خلفى صبية قد تركتهم وأكبادهم من خشية تفتت

وتوفى سنة ٢٥٩

(٣) هو دعبيل بن علي ، الخزاعي ، المتوفى سنة ٢٤٦ ، كان دعبيل بذي اللسان
مولعاً بالهجو والحط من أقدار الناس ، وكان يتعرض للشر والموت ، ولكنه عمر
طويلاً مع تعرضه للخلفاء .

(٤) يرم : يصلح (٥) الثغرة : الطريق

(٦) هو الإمام مالك ، أحد الأئمة الأربعة ، المتوفى سنة ١٧٩

يَابِي الْجَوَابَ فَمَا يُرَاجِعُ هَيْبَةً والسائلون نَوَاكِسُ الْأَذْقَانِ^(١)
أدب الوقار، وعز حيطانِ التقي، فهو المهيبُ وليس ذَا سُلْطَانِ

•••

وقول الفرزدق :

• يكادُ يمسه عرفان راحته •

قد تجاذبه جماعة من الشعراء ؛ قال أشجع بن عمرو السلمي^(٢) لجعفر البرمكي : لأشجع السلمي
حَبْدًا أَنْتَ قَادِمًا تَرُدُّ الشَا مَ فَتَخْتَالُ بَيْنَ أَرْحُلِ عَيْرِكَ
إِنَّ أَرْضًا تَسْرِي إِلَيْهَا لَوَاسِطًا عت لسارت إليك من قبل سَيْرِكَ
وإليه أشار أبو تمام الطائي في قوله :

دِيمَةٌ تَمْتَحَةُ الْقِيَادِ مَكُوبٌ مُسْتَفِيثٌ بِهَا التَّرَى الْمَكْرُوبُ
لَوْ سَعَتْ بَقَعَةٌ لِإِعْظَامِ نَعْمَى لَسَعَى نَحْوَهَا الْمَكَانُ الْجَدِيبُ
وفي هذه القصيدة في وصف الدَّيْمَةِ ، ومدح محمد بن عبد الملك الزيات^(٣) :

(١) نواكس الأذقان : مطرقون إلى الأرض خشوعاً
(٢) كان أشجع السلمي شاعراً فحلاً يجيد المديح ، ولد في الجامة ، ونشأ في البصرة ،
ومدح البرامكة ، وانقطع إلى جعفر بن يحيى ، فمقربه من الرشيد .

ومن أبياته السائرة قوله :

وعلى عدوك يا ابن عم محمد رصدان ضوء الصبح والإظلام
فإذا تنبه رعته ، وإذا غفا سلت عليه سيفك الأحلام
وكانت وفاة أشجع نحو سنة ١٩٥

(٣) هو وزير المعتصم والواثق ، وأحد مشاهير الكتاب والشعراء ، عرف حلو
الحياة ومرها ، وهو القائل في سجنه :

من له عهد بنوم يرشد الصب إليه
رحم الله رحباً دل عيني عليه
سهرت عيني ونامت عين من هنت لديه

وكانت وفاته سنة ٢٣٣

لذَّ شُؤْبُوبُهَا وَطَابَ فلو تَسَطَّيْعُ قَامت فَعَانَقَتَهَا القلوب^(١)
 فَهَوَّ مَاءٌ يَجْرِي وَمَاءٌ يَلِيهِ وَعَزَّالٍ تَنشَأُ وَأُخْرَى نَصُوبٌ^(٢)
 أَيُّهَا النَيْثُ حَيٌّ أَهْلًا بِمَعْدَاكَ وَعِنْدَ الشَّرَى وَحِينَ تَوُوبٌ^(٣)
 لِأَبِي جَعْفَرٍ خَلَاقٍ تَحْكِيهِنَّ قَدْ يَشْبَهُ النَجِيبَ النَجِيبَ

بين أبي تمام وابن الزيات
 وأنشدها أبا جعفر بن الزيات ، فقال : يا أبا تمام ؛ والله إنك لتحلّي
 تمرّك من جواهر لفظك وبدائع معانيك ، ما يزيد حسناً على بهي الجواهر
 في أجياد الكواعب ؛ وما يدخر لك شيء من جزيل المكافأة إلاّ يقصر
 عن شعرك في الموازنة . وكان بحضرة رجل من الفلاسفة ، فقال : هذا الفتى
 يموت شاباً ! فقيل له : من أين حكمت عليه بهذا ؟ فقال : رأيت فيه من
 الحدّة والذكاء والفطنة مع لطافة الخس ما علمت به أن النفس الروحانية
 تأكل عمره كما يأكل السيف المهند غمده ! قال الصولي : مات وقد نيّف
 على الثلاثين .

لأبي تمام
 في أبي دلف
 وقال في أبي دلف العجلي القاسم بن محمد بن عيسى^(٤) :
 تَكَادُ عَطَايَاهُ يُجَنُّ جَنُونَهَا إِذَا لَمْ يَمُودْهَا بِنِعْمَةِ طَلَابِ
 تَكَادُ مَغَانِيهِ تَهَشُّ عِرَاصَهَا فَتَرْكَبُ مِنْ شَوْقٍ إِلَى كُلِّ رَاكِبٍ^(٥)

(١) الشؤبوب : الدفعة من المطر .

(٢) عزال : جمع عزلاء ، وهي مصب الماء ، والمراد بها السحابة ، وتصوب : تنسكب

(٣) تؤول : ترجع (٤) أبودلف : كان أمير الكرخ ، وسيد قومه ، وأحد قواد

الأمون الشجعان ، وللشعراء فيه مدائح كثيرة ، من أروعها هذا البيتان :

إنما الدنيا أبو دلف بين يديه ومحتضره

فإذا ولي أبو دلف ولت الدنيا على أثره

وكانت وفاته سنة ٢٢٦ (٥) العرامس : جمع عرصة ، وهي : ساحة الدار

وقال البُحْتَرى :

لو أنْ مُشْتاقاً تكلف فوقَ ما فى وَسْعِهِ لمشى إِلَيْكَ لِالنَّبْرِ

وقال أبو الطيب المتنبي لبدر بن عمار :

طَرِبْتُ مَرَّأِكُنَا فَخِلْنَا أَنهَا لولا حَيَاءُ عاقِهَا رَقَصْتُ بِنَا
لو تَعَلُّ الشَّجَرُ التى قابلتها مَدَّتْ مُحْيِيَةً إِلَيْكَ الأَغصَنَا

رجع ما انقطع

قال أعرابي لأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين^(١) رضى الله عنه : هل رأيت
الله حين عَبَدْتَهُ ؟ فقال : لَمْ أَكُنْ لِأَعْبُدْ مَنْ لَمْ أَرَهُ ، قال : فكيف رأيتَهُ ؟
قال : لم تره الأبصارُ بمشاهدة العيان ، ورأتهُ القلوبُ بمحاثق الإيمان ، لا يدركُ
بالحواسِّ ، ولا يُشَيِّه بالناس ، معروفٌ بالآيات ، منعوتٌ بالعلاماتِ ، لا يجورُ
فى القضيّات ، ذلك الله الذى لا إلهَ إلا هو . فقال الأعرابي : الله أعلمُ حيثُ
يجعلُ رسالته .

قال الجاحظ : قال محمد بن علي : صلاحُ شأنِ الدنيا بخذافيرها فى كلمتين ؛
لأنَّ صلاحَ شأنِ جميعِ الناسِ [فى التعايشِ و] التعاشر وهو ميلٌ ، مَكْيَالٌ : ثلثاه
فطنة ، وثلثه تَغَافُلٌ .

قال الجاحظ : لم يجعل لغيرِ الفِطْنَةِ نصيباً من الخير ، ولا حظاً من الصلاح ؛
لأن الإنسان لا يتغافلُ عن شيءٍ إلا وقد عرفه ووظن له ، قال الطائى :

ليس النبيُّ بسيدٍ فى قَوْمِهِ لكنَّ سيدَ قَوْمِهِ المُتَغَابِي

وقال ابن الرومى لأبي محمد بن وهب بن عبيد الله بن سليمان :

تظنّ إذا نامت عيونُ ذوى العمى وإن حدّوا زُرْقاً إِلَيْكَ جَوَاحِظاً^(٢)

(١) ولد محمد بن علي بالمدينة سنة ٥٧ ودفن بها سنة ١١٤ ، وكان مشهوراً بالعلم
والتقى ، وله آراء فى تفسير القرآن

(٢) جواخط : جمع جاحظة ، وهى : الناتئة الحدقة

تَفَاضَى لَهُمْ وَسَنَانَ ، بِلِ مَتَوَاسِنَا ، وَتَوَقَّفُهُمْ يَقْظَانِ بِلِ مَتِيَاظًا^(١)

[وأبو جعفر هذا هو الباقر] ، وكان أخوه زيد بن علي رضي الله عنه دينًا ،

شجاعًا ، ناسكًا ، من أحسن بني هاشم عبارةً ، وأجملهم شارةً .

زيد بن علي
ابن الحسين

وكانت ملوك بني أمية تكتب إلى صاحب العراق أن يمنع أهل الكوفة

من حضور زيد بن علي ؛ فإن له لسانًا أقطع من ظبة سيف وأحدًا من شبا

الأسنة^(٢) ، وأبلغ من السحر والكهانة^(٣) ، ومن كل نفث في عقدة .

وقيل لزيد بن علي : الصمت خير أم الكلام ؛ فقال : قبح الله المساكنة ،

ما أفسدها للبيان ، وأجلبها للعبي والخصر^(٤) ! والله المماراة أسرع في هدم العبي^(٥)

من النار في نس العرفج ، ومن السيل إلى الحدور^(٦) .

وقال له هشام بن عبد الملك : بلغني أنك تروم الخلافة وأنت لا تصلح لها

لأنك ابن أمة ؛ قال زيد : فقد كان إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ابن أمة ،

وإسحاق ابن حرة ؛ فأخرج الله من صلب إسماعيل خير ولد آدم ! فقال له : قم !

فقال : إذا والله لا تراني إلا حيث نكره ! فلما خرج من الدار قال : ما أحب

أحدًا الحياة قط إلا ذلًا ، فقال له سالم مولى هشام : لا يسمعن هذا الكلام منك

أحدًا ، وكان زيد كثيرًا ما ينشد :

شَرَدَهُ الخُوفُ وَأَزْرَى بِهِ كَذَاكَ مِنْ يَكْرَهُ حَرَّ الجِلَادِ^(٧)

مَنْخَرِقُ الخَفَيْنِ بِشَكْوِ الوَجَى تَنْكِبُهُ أَطْرَافُ مَرَوٍ حِدَادِ^(٨)

(١) متواسن : متناوم وليس بنائم ، ومتياقظ : متظاهر باليقظة (٢) ظبة السيف :

طرفه ، وكذلك شبا السنان (٣) الكهانة : نوع من فتنة الناس باسم البحث عن الغيب

(٤) الحصر : عسر الكلام (٥) في الأصل «هدم اتفق» وهو تحريف (٦) الحدور :

المنحدرات يجرى إليها الماء (٧) الجراد : الحرب .

(٨) المرو : الحجارة البيض الرقاق ، والحداد : جمع حديد .

قد كان في الموت له راحةً والموت حَمٌّ في رقاب العباد
وقد رُوِيَت هذه الأبيات لمحمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين ، وقد
رُوِيَت لأخيه موسى .

قال عبد الرحمن بن يحيى بن سعيد : حدثني رجل من بني هاشم قال : كنا
عند محمد بن علي بن الحسين ، وأخوه زيد جالس ، فدخل رجلٌ من أهل الكوفة
فقال له محمد بن علي : إنك لتروى طرائفَ من نوادر الشعر ، فكيف قال
الأنصاري لأخيه ؟ فأنشده :

لَعَمْرُكَ مَا إِنَّ أَبَا مَالِكٍ بِيَا نِ وَلَا بِضَعِيفِ قَوَاهُ
وَلَا بِالِدِّ لَهٗ نَازِعٌ يُعَادِي أَخَاهُ إِذَا مَا نَهَاهُ
وَلَكِنَّهُ غَيْرٌ مِّخْلَافَةٍ كَرِيمِ الطَّبَائِعِ حَلَوِ نَنَاهُ^(١)
وَإِنْ سُدَّتْهُ سُدَّتْ مَطْوَاعَةٌ وَمَهْمَا وَكَلَّتْ إِلَيْهِ كَفَاهُ

فوضع محمد يده على كتف زيد ، فقال : هذه صفتك يا أخي ؛ وأعيدك
بِالله أن تكون قتيل أهل العراق !

وكانت بين جعفر بن الحسن بن الحسين بن علي وبين زيد رضوان الله
عليهم منازعةً في وصية ، فكانا إذا تنازعا انشال الناسُ عليهما ليسمعوا
محاورةَهما ؛ فكان الرجلُ يحفظ على صاحبه اللفظة من كلام جعفر ، ويحفظُ
الآخرُ اللفظة من كلام زيد . فإذا انفصلا وتفرَّق الناسُ عنهما قال هذا
لصاحبه : قال في موضع كذا وكذا ، وقال الآخر : قال في موضع كذا وكذا ؛
فيكتبون ما قالوا ، ثم يتعلمونه كما يتعلم الواجب من الفرض ، والناذرُ من الشعر ،
والسائرُ من المثل ! وكانا أعجوبةَ دهرِهما وأحدُوثَ عصرهما .

ولما قتل زيدا يوسف بن عمر^(٢) وصلب جثته بالكُناسة^(٣) وبعث برأسه

(١) النشأ : الحديث عنه . يريد أنه لا يقال عنه غير الخير (م)

(٢) أحد الولاة في العصر الأموي ، كانت وفاته سنة ١٢٧ (٣) الكُناسة : محلة

بالكوفة يقول فيها الشاعر :

مع شَبَّة بن عقال ، وكأف آل أبي طالب البراءة من زيد ، وقام خطبائهم بذلك ؛ فكان أولَ مَنْ قام عبدُ الله بن الحسن بن الحسين بن علي رحمة الله عليه فأوَجَزَ في كلامه ثم جَلَسَ ، وقام عبدُ الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب فأُظْبِرَ - وكان شاعراً خطيباً لِسِنًا ناسباً - فانصرف الناسُ وهم يقولون : ابن الطيارِ مِنْ أخطبِ الناسِ ، فقيل لعبد الله بن الحسن في ذلك : فقل : لو شئت أن أقولَ لقلت ، ولكن لا يمكن مقامَ سرور ، وإنما كان مقامَ مصيبة !

وعبدُ الله هذا هو : أبو محمد وإبراهيم الخارِجِيْنِ علي أبي جعفر المنصور ، وهو القائل لابنه محمد أو إبراهيم : أي بُنِيَّ ! إني مُؤَدِّ حَقِّ اللهِ في تَأْدِيَتِكَ ، ودَّ إِلَى حَقِّ اللهِ في الاستماعِ مِنِّي ؛ أي بُنِيَّ ! كُنْتَ الأذَى ، وارفضِ البَدَى (١) واستعنْ على الكلامِ بطولِ الفِكرِ في المواطنِ التي تُدشُّوكَ فيها فَمُتْ إلى الكلامِ ، فإنَّ القَوْلَ ساعاتٌ يضرُّ فيها الخَطُّ ، ولا يَنْفَعُ فيها الصَّوابُ ، واحذرْ شِوْرَةَ الجاهِلِ وإنْ كانَ ناصِحاً ، كما تُحذِرُ مشورةَ العاقلِ إذا كانَ ناشئاً ؛ لأنه يُرَدِّبُكَ بِمَشُورَتِهِ ؛ واعلمْ يا بُنِيَّ أن رأيتُك إذا احتجبتَ إليه وجدته ناشئاً ، ووجدتَ هواك يَظُنُّن ، فإياك أن تستبدَّ بِرَأْيِكَ ؛ فإنه حينئذٍ هواك ؛ ولا تفعلْ فِعْلاً إلا وأنتَ على يقينٍ أن عاقبتَه لا تُرَدِّدُكَ ، وأن نتيجته لا تُجَنِّيَ عليك . وهو القائل : إياك ومُعَاداةَ الرجالِ فإنك لن تُعَدِمَ مَكْرَ حَلِيمٍ ، أو مُعَاداةَ لُثَيْمٍ . وكتبَ إلى صديقٍ له : أوصيك بتموى الله تعالى ، فإنَّ اللهَ تعالى جعلَ من اتَّقاهُ المَخْرَجَ من حيثَ يَكْرَهُ . والرزقُ من حيثَ لا يَحْتَسِبُ .

وعبدُ الله هو القائل :

ت. بأبيها الراكب الغادي لطيته يؤم بالقوم أهل البلمة الحرم
أبلغ قبائل عمرو إن أتيتهم أو كنت من دارهم يوماً على أم
إنا وجدنا قمروا في دياركم أهل الكناسه أهل اللؤم والعدم
(١) البدي : مقصور بالبدا ، وهو جنس القوم . ومن حقه أن يكتب بالألف (م)

من كلام عبد الله
ابن الحسن بن
الحسين

أُنْسٌ حَرَاثٌ مَا هَمَّنَ بَرِيئَةً كَطَبَاءِ مَكَّةَ صَيْدُهُنَّ حَرَامٌ^(١)
يُحْسِنُ مِنَ لَيْلِنِ الْحَدِيثِ دَوَانِيَا وَيَصْدَهُنَّ عَنِ الْخَنَاءِ الْإِسْلَامِ^(٢)

قال : وهذا كما روى أن عبد الملك بن مروان استقبل عمر بن عبد الله بن
أبي ربيعة الخزومي، فقال له : قد علمت قريش أنك أطولها صبوة ، وأبعدها
توبة ، ويحك ! أمالك في نساء قريش ما يكفيك من نساء بني عبد مناف^(٣) ؟ ربيعة
ألت القائل :

نظرتُ إليهما بالمحصب من ميني ولي نظرتُ لولا التحرشُ عارم^(٤)
قلت : أصبغ أم مصايح راهبٍ بدتلك خلف السجف أم أنت حالم^(٥)
بيدة مهوى القرطِ إمّا لنوفلٍ أبوها وإمّا عبدُ شمسٍ وهاشم^(٦)
قال : يا أمير المؤمنين ، فإنَّ بعدَ هذا :

طلبن الهوى حتى إذا ما وجدته صدرن وهن المسلمات الكرائم^(٧)
فاستحيا منه عبدُ الملك ، وقضى خواجه ووصاه .

وقال آخر في هذا المعنى :

تَعَطَّلْنَ إِلَّا مِنْ مَحَاسِنِ أَوْجِهِ فِهِنَّ حَوَالٍ فِي الصِّفَاتِ عَوَاطِلُ^(٨)
كُوَاسٍ عَوَارٍ صَامِتَاتٍ نَوَاطِقُ بَعْفُ الْكَلَامِ بِاخِلَاتٍ بَوَازِلُ^(٩)
بَرَزْنَ عَفَافًا وَاحْتَجَبْنَ تَسْتُرًا وَشَيْبَ بِحَقِّ الْقَوْلِ مِنْهِنَّ بَاطِلُ^(١٠)

(١) أنس : آنسات (٢) الخنا : الفحش ، وفي نسخة « زوانيا »
(٣) كذا ، وأعتقد أن صوابه « ما يكفك عن نساء بني عبد مناف » (م)
(٤) عارم بالراء المهملة : طامع شرس وفي الأصل « عازم » بالزاي المعجمة ،
وأرجح أنه تحريف (٥) السحف بفتح السين أو كسرهما : الستر (٦) القرط : حلى
بعلق في الأذن . وبعد مهوى القرط : كناية عن طول العنق (٧) صدرن : رجعن
(٨) حوال : جمع حالية ، والعواطل : جمع عاقل ، وهي التي تعطلت من الحلى .
(٩) كوأس : جمع كاسية ، والبعف : الضيف (١٠) شيب : مزج

فدو الحلم مرتادٌ وذو الجمل طامعٌ وهن عن الفحشاء حيدٌ نواكل^(١)

وقال العديلي بن الفرخ فيما يتطرف طرفا من هذا المعنى :

لعب النعيم بهن في أطلاله حتى لبس زمان عيش غافل^(٢)

ياخذن زينتهن أحسن ما ترى فإذا عطيان فهن غير عواطل

وإذا خبان خدودهن أرينني حدق ألما وأخذن نبل القاتل^(٣)

يرميننا لا يستترن بجنة إلا الصبا وعلن أين مقاتلي^(٤)

يلبسن أردية الشباب لأهلها ويجر باطلهن ذيل الباطل

وتعرض لعبد الله بن الحسن رجلا بما يكره، فقال فيما أنشده ثعلب :

أظنت سفاها من سفاهة رأيها أن أقجوها لما هجنتي محارب^(٥)

فلا وأبيها إني بعشيرتي ونفسي عن ذلك المقام لراغب^(٦)

وأنشد هذين البيتين أبو العباس المبرد لرجل لم يسمه في رجل يعرف ببرز

البعير، وقبلهما :

يقولون أبناء البعير وما لهم سنام ولا في ذروة المجد غارب^(٧)

وساير عبد الله بن الحسن أبا العباس السفاح بظهر مدينة الأنبار وهو

ينظر إلى بناء قد بناه أبو العباس ويدور به ، فأنشد عبد الله :

ألم تر جوشنا ما تبني بناء نفعه لبي بقبيله

يؤمل أن يعمر عمر نوح وأمر الله يحدث كل ليله

وكان أبو العباس له مكرما ، ولحقه معظما ؛ فتبسم مغضبا ، وقال : لو علمنا

(١) حيد : جمع حيداء ، وهي التي تحيد عن مواطن التهم ، والنواكل : جمع

ناكلة ، وهي النافرة من الفحش .

(٢) الأطلال : جمع طلل ، وهو الدار ؛ والمراد أنهم نشأن في مدارج النعيم :

وفي نسخة « في أطلاله » (م) (٣) ألما : واحدها ألما ، وهي الظبية

(٤) الجنة : ما يتقى به المرء السهام (٥) محارب : اسم قبيلة (٦) رغبت

عن الشيء : زهدت فيه (٧) الغارب : الكاهل ، وذروة الشيء : أعلاه .

للعديلي
ابن الفرخ

بين عبد الله بن
الحسن ورجل
تعرض له بما
يكره

بين السفاح
وعبد الله بن
الحسن

لا شترطنا حقَّ المُسَايَرَةِ ! فقال عبدُ الله : بوادِرُ الخواطر ، وأغفال المسامح ؛ والله ماقلتها عن رَوِيَّة ، ولا عارضني فيها فكر ؛ وأنتَ أجلُّ من أقال ، وأولى من صَفَح ، قال : صدقت ؛ خذ في غير هذا .

المنصور
وعبد الله
ابن الحسن

ولما قتل المنصورُ ابنه محمداً - وكان عبدُ الله في السجن - بعث برأسه إليه مع الربيع حاجبه ؛ فوضع بين يديه ، فقال : رحمتك الله أبا القاسم فقد كنت من « الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ، وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ ، وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ » ! ثم تمثل :

فَتَى كَانَ يَحْمِيهِ مِنَ الذَّلِّ سَيْفُهُ وَيَكْفِيهِ - وَهَاتِ الْأُمُورِ اجْتِنَابَهَا
ثم التفت إلى الربيع فقال له : قل لصاحبك قد مضى من بوئسنا مدة ، ومن نعيمك مثلها ؛ والموعدُ الله تعالى ! قال الربيع : فما رأيت المنصور قطُّ أكثر انكساراً منه حين أبلغته الرسالة^(١) .

أخذ العباس بن الأحنف^(٢) هذا المعنى ، وقيل : عمارة بن عقيل بن بلال ابن جرير^(٣) فقال :

فَبِن تَلَحَّظِي حَالِي وَحَالِكَ مَرَّةً بِنظرة عين عن هوى النفس تُحجَبُ
تَجِدُ كُلَّ يَوْمٍ مَرَّةً مِنْ بُوئْسِ عَيْشَتِي يَمُرُّ يَوْمٌ مِنْ نَعِيمِكَ يُحَسَّبُ

وساقت المنصورُ محمد بن عبد الله اعترضته امرأة معها صبيان ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، أنا امرأة محمد بن عبد الله ، وهذان ابناؤه ، أيتمهما سيفك ، وأضرعهما خوفك^(٤) . فناشدتك الله يا أمير المؤمنين أن تُصعِّرَ لهما خدك ،

بين المنصور
وامرأة محمد
ابن عبد الله
ابن الحسن

(١) كانت وفاة عبد الله بن الحسن في سجن المنصور سنة ١٤٥ .

(٢) العباس بن الأحنف : شاعر غزل رقيق الإحساس ، توفي سنة ١٩٢ .

(٣) عمارة بن عقيل : شاعر فصيح ، كان النحويون في البصرة يأخذون عنه اللغة ،

توفي سنة ٢٣٩ . (٤) أضرعه : أذله

أَوْ يَنَازِي عَنْهُمَا رِفْدُكَ^(١)؛ وَلَتَعَطِفَنَّكَ عَلَيْهِمَا شَوَابِكُ النَّسَبِ، وَأَوَاصِرُ الرَّحِمِ^(٢)
فَالْتَفَتَ إِلَى الرَّبِيعِ، فَقَالَ: ارْدُدْ عَلَيْهِمَا ضِيَاعَ أَبِيهِمَا، ثُمَّ قَالَ: كَذَا وَاللَّهِ أَحَبُّ
أَنْ تَكُونَ نِسَاءَ بَنِي هَاشِمٍ.

بين المنصور وجعفر الصادق
وكان أهل المدينة لما ظهر محمد أجمعوا على حرب المنصور، ونصر محمد؛ -
فلما ظهر المنصور أحضر جعفر بن محمد بن علي بن الحسين الصادق، فقال له:

قَدْ رَأَيْتَ إِطْبَاقَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ عَلَى حَرْبِي، وَقَدْ رَأَيْتُ أَنْ أُبْعَثَ إِلَيْهِمْ مِنْ يُغَوِّرُ
عِيُونَهُمْ^(٣)، وَيَجْمَرُ نَجَلَهُمْ^(٤). فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؛ إِنْ سَلِمَانَ
أُعْطِيَ فَشَكَرَ، وَإِنْ أَيُّوبَ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ، وَإِنْ يُوسُفَ قَدَرَ فَفَقَرَ؛ فَاقْتَدِ بِأَيِّهِمْ
شِئْتَ، وَقَدْ جَعَلَكَ اللَّهُ مِنْ نَسْلِ الَّذِينَ يَعْفُونَ وَيَصْفَحُونَ، فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ:
إِنَّ أَحَدًا لَا يُعَلِّمُنَا الْحِلْمَ، وَلَا يَعْرِفُنَا الْعِلْمَ، وَإِنَّمَا قَلْتُ تَهَمَّتْ، وَلَمْ تَرْنِي فَعَلْتَ؛
وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ أَنَّ قَدْرَتِي عَلَيْهِمْ تَمْنَعُنِي مِنَ الْإِسَاءَةِ إِلَيْهِمْ.

وعزى جعفر بن محمد رجلاً، فقال: أَعْظَمُ بِنِعْمَةٍ فِي مَصِيبَةٍ جَلَبَتْ أَجْرًا

تعزية
لجعفر الصادق وَأَفْطَحُ بِمَصِيبَةٍ فِي نِعْمَةٍ أَكْبَتَ كُفْرًا
هذا كقول الطائي:

قَدْ يُنْعِمُ اللَّهُ بِالْبَلَوَى وَإِنْ عَظُمَتْ وَيُدْبَتُ لِي بِاللَّهِ بَعْضَ الْقَوْمِ بِالنِّعَمِ
وَكَانَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ يَقُولُ: إِنِّي لِأَمْلِقُ أَحْيَانًا فَأُتَاجِرُ اللَّهَ بِالصَّدَقَةِ فَيُرْبِحُنِي.

وقال جعفر رضى الله عنه: مَنْ تَخَلَّقَ بِالْخُلُقِ الْجَمِيلِ وَلَهُ خُلُقٌ سَوْءٌ أَصِيلٌ
فَتَخَلَّقُهُ لَا مَحَالَةَ زَائِلٌ، وَهُوَ إِلَى خُلُقِهِ الْأَوَّلِ آيِلٌ، كَطَلَى الذَّهَبَ عَلَى النَّحَاسِ
يَنْسَحِقُ وَتَظْهَرُ صَفْرَتُهُ لِلنَّاسِ.

من كلام
جعفر الصادق

وهذا كقول العرجى:

يَا أَيُّهَا الْمُتَحَلِّيُّ غَيْرَ شَيْمَتِهِ وَمَنْ خَلَاتَهُ الْإِقْصَارُ وَالْمَلَقُ^(٥)

(١) الرد: العطاء (٢) الشوابك والأواصر: هي الروابط

(٣) يغور عيونهم: يطمسها ويذهب ماؤها بالعين المهملة أو بالعين المعجمة (م)،

وفي الأصل «ينور» وهو تحريف. (٤) جمر النخلة تجديرا قطع جبارها.

(٥) المراد من الإقصار القصور والضعف، والملق: إظهار الودذلة وخضوعا.

ارجع إلى خلقك المعروف وارض به إن التخلق يأتي دونه الخلق^(١)
 وكان يقول : ما توصل إلى أحد بوسيلة هي أقرب إلى من يد سبقت مني
 إليه أتبعها أختها لتحسن ربها وحفظها^(٢)؛ لأن منع الأواخر يقطع لسان الأوائل.
 وقيل لجعفر رحمه الله : إن أبا جعفر المنصور لا يلبس مذ صارت إليه
 الخلافة إلا الخشن ، ولا يأكل إلا الجشب^(٣) . فقال : يا ويح ! مع ما مكنت
 له من السلطان ، وجيبي إليه من الخراج ! قالوا : إنما يفعل ذلك بخلاً وجمعاً للمال .
 فقال : الحمد لله الذي حرّمه من دنياه ما ترك له من دينه . انتهى .

قال : ومن دعاء جعفر رضي الله عنه : اللهم إنك بما أنت أهل له من العفو
 أولى بما أنا أهل له من العقوبة .

وكان عبد الله [بن معاوية بن عبد الله] بن جعفر عالماً ، ناسباً ، وكان من عبد الله
 خطيباً مفوهاً ، وشاعراً مجيداً ، وكتب إلى بعض إخوانه :
 أما بعد ، فقد عاقني الشك في أمرك عن عزيمة الرأي فيك ، وذلك أنك
 ابتدأتني بلطف عن غير خبرة ؛ ثم أعقبته جفاء عن غير جريرة ؛ فأطمعني أولك
 في إخائك ، وأيأسني آخرك عن وفائك ؛ فلا أنا في غير الرجاء مجمع لك
 أطراحاً ، ولا أنا في غد وانتظاره منك على ثقة ؛ فسبحان من لو شاء كشف
 بإيضاح الشك في أمرك عن عزيمة الرأي فيك ؛ فاجتمعنا على ائتلاف ، أو افترقنا
 على اختلاف ، والسلام .

وهو القائل :

رأيت فضيلاً كان شيئاً ملفعاً فكشفه التمحيص حتى بدا ليا^(٤)

(١) التخلق : تكلف المرء ما ليس فيه من حسن الخلق . (٢) رب الشيء : أصلحه

(٣) الجشب : هو الطعام القفار الذي لا إدام فيه (٤) ملفع : مغطى ، وتقول :

ذفع الشجر بالحضرة - واهل الأصل « ملفعا » بفاء بن (م) .

فانت أخى ما لم تكن لي حاجةُ فإن عرّضت أيقنتُ أن لا أخاليا
 كلانا غنى عن أخيه حياته ونحن إذا مُتْنَا أشدُّ تغانيا
 فلا زاد ما بيني وبينك بعد ما بلوتك في الحاجاتِ إلّا تباديا
 فعين الرضا عن كل عيبٍ كليلَةٌ كما أن عين السخط تُبدى المساويا
 والقائل أيضاً:

لسنا وإن أحسابنا كرمّت يوماً على الأحسابِ نتكلُّ
 نبيي كما كانت أوائلنا تبني ونفعلُ مثل ما فعلوا

وهذا كقول عامر بن الطفيل ، قال أبو الحسن علي بن سليمان الأخفش :
 أنشدني محمد الحسن بن الحرون لعامر بن الطفيل (١) :

تقول ابنةُ العمريّ : مالك بعد ما أراك صحيحاً كالسليم المذبّ (٢)
 فقلتُ لها : همى الذي تعرفينه من الثأرِ في حَيِّ زُبَيْدٍ وأرحبِ
 إن أغزُ زُبَيْداً أغزُ قوماً أعزّةً مرگبهم في الحى خير مركب
 وإن أغزُ حَيِّ خشم فدمائهم شفاءٌ وخيرٌ الثأر للتأوبِ (٣)
 فما أدرك الأوتارَ مثلُ محقّي بأجرَدٍ طاوٍ كالعسيبِ المُذبّ (٤)

عامر
 ابن الطفيل

(١) عامر بن الطفيل: أحد فتاك العرب وشعرائهم في الجاهلية ، ولد ونشأ بنجد وكان يامر منادياً ينادى في عكاظ : هل من راجل فتحمله ، أو جائع فنطعمه ، أو خائف فنؤمنه ؟ أدرك الإسلام وهو شيخ ، فوفد على الرسول وهو في المدينة بعد فتح مكة يريد الغدز به ، ولكنه لم يجرؤ عليه ، ودعاه الرسول إلى الإسلام ، فاشترط أن يجعل له نصف ثمار المدينة ، وأن يحمله ولى الأمر من بعده ، فردّه النبي ، فرجع مغيباً محنتاً ، وسمعه أحدهم يقول : لأملأنها خيلاً جرداً ، ورجالاً مرداً ، ولأربطن بكل نخلة فرساً ! فمات في طريقه قبل أن يبلغ قومه سنة ١١ (٢) السليم : اللدوغ .

(٣) أصل التأوب : الذى يطرق ليلاً ، وأراد الثأر (م)

(٤) الطاووى : الضامر ، والأجرد : الحصان سقط شعره من الضمور ، والعسيب :

جريدة من النخل مستقيمة دقيقة يكشط حوصها ، والمذب : القلم . . .

وَأَتَمَّرَ خَطِيئَةً وَأَيْضَ بَاتِرٍ وَزَعْفٍ دِلَاصٍ كَالغَدِيرِ الْمُثَوَّبِ (١)
 وَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ ابْنَ سَيِّدِ عَامِرٍ وَفِي السَّرِّ مِنْهَا وَالصَّرِيحِ الْمَهْدَبِ
 فَهِيَ وَوَدَّتْنِي عَامِرٌ عَنِ وِرَاثَةٍ أَبِي اللَّهِ أَنْ أَسْمُو بِأُمِّ وَلَا أَبِ
 وَلَكِنِّي أَحْمِي حَمَاهَا ، وَأَتَقِي أَذَاهَا ، وَأَرْمِي مَنْ رَمَاهَا بِمَنْكَبِ

وقال أيضاً يهني بعض الهاشميين بإملاك (٢) : زاد الله في نعمته ، وبارك
 في فوائضه ، وجعل نوافيله ؛ ونسأل الله - الذي قسم لكم ما تحببون من السرور -
 أن يحببكم ما تكرهون من المحذور ، ويجعل ما أحدثه لكم زينا ، ومتاعاً حسناً ،
 ورشداً ثابتاً ، ويجعل سبيل ما أصبحت عليه ، تماماً لصالح ما سموت إليه ؛ من
 اجتماع الشمل ، وحسن موافقة الأهل ؛ ألفت الله ذلك بالصلاح ، وتممه بالنجاح ،
 ومدد لك في ثروة العدد ، وطيب الولد ، مع الزيادة في المال ، وحسن السلامة في
 الحال ، وقرّة العين ، وصلاح ذات البين .

وهجا أبو عاصم محمد بن حمزة الأسلمي المدني الحسن بن زيد بن الحسين (٣) بن علي
 ابن أبي طالب رحمة الله عليه ، فقال :

بن أبي عاصم
 الألمي الشاعر
 والحسن بن زيد

لَهُ حَقٌّ وَلَيْسَ عَلَيْهِ حَقٌّ وَمَهْمَا قَالَ فَالْحَسَنُ الْجَمِيلُ
 وَقَدْ كَانَ الرَّسُولُ يُرَى حَقُوقًا عَلَيْهِ لَغَيْرِهِ وَهُوَ الرَّسُولُ

فلما ولي الحسن المدينة أتاه متنكراً في زى الأعراب ، فقال :

سَتَأْتِي مِدْحَتِي الْحَسَنَ بْنَ زَيْدٍ وَتَشْهَدُ لِي بِصِفِّينَ الْقَبُورِ (٤)
 قَبُورٌ لَمْ تَزَلْ مُذْ غَابَ عَنْهَا أَبُو حَسَنٍ تُعَادِيهَا الدَّهْورُ
 قَبُورٌ لَوْ بِأَحْمَدٍ أَوْ عَلِيٍّ يَلُودُ مُجْبِرُهَا حُمِيَّ الْمُجْبِرِ
 هَا أَبَوَاكَ مَنْ وَضَعَا فَضْفَعَهُ وَأَنْتَ بَرَفَعِ مَنْ رَفَعَا جَدِيرُ

(١) الأسمر الخطي : هو الرمح ، والأبيض الباتر : السيف القاطع ، والزغف ،
 الدروع ، والدلاص : اللينة اللساء ، والغدير للثوب : النهر الممتلئ (٢) الإملاك : الزواج
 (٣) في نسخة «الحسن بن زيد بن الحسن» والذي تولى المدينة هو الحسن بن زيد
 ابن علي بن أبي طالب ؛ فكلمة «بن الحسن» زائدة (م) (٤) صفيين : موضع واقعة مشهورة

قال : من أنت ؟ قال : أنا الأسلى . قال : ادنُ حياك الله ! وبسط له رداءه ، وأجلسه عليه ، وأمر له بعشرة آلاف درهم .

بين الحسن
ابن زيد وداود
ابن سلم التيمي
وكان الحسن بن زيد قد عوّد داود بن سلم مولى بني تميم أن يصله ، فلما مدح داود جعفر بن سليمان بن علي - وكان بينه وبين الحسن بن زيد تباعدت - أغضبه ذلك^(١) ، وقدم الحسن من حجج أوعمرة ، فدخل عليه داود بن سلم مهنتاً ، فقال : أنت القاتل في جعفر بن سليمان بن علي :

وكنا حديثاً قبل تأمير جعفرٍ وكان المنى في جعفر أن يؤمراً^(٢)
حوى المنبرين الطاهرين كليهما إذا ما خطا عن منبر أم منبرا^(٣)
كان بنى خوفاً صفواً أمامه فخيراً في أنسابهم فتخييراً

فقال داود : نعم ، جعلني الله فداك ، فكتم خيرة اختياره ! وأنا القاتل :
لعمرى لمن عاقبت أوجدت منعماً بعفو عن الجاني وإن كان مُعذراً^(٤)
لأنت بما قدمت أولى بمدحةٍ وأكرم فخراً إن فخرت وءنصرا
هو الغرة الزهراء من فرع هاشم ويدعو علياً ذا المعالي وجعفر^(٥)
وزيد الندى والسبط سبط محمدٍ وعمك بالطف الزكي المطهراً
وما نال منها جعفر غير مجلس إذا ما نفاه العزل عنه تأخراً^(٦)
بحقكم نالوا ذراها وأصبحوا يرون به عزاً عليكم ومظهراً

فعادله الحسن بن زيد إلى ما كان عليه ، ولم يزل يصله ويحسن إليه إلى أن مات .

(١) في الأصل «غصه ذلك» وهي عبارة جيدة (٢) يؤمر : يولى الإمارة
(٣) أم : قصد (٤) المعذر : ذوالعذر (٥) الغرة : في الجبين ، ولها جمال خاص
(٦) العزل : الضعف - وما أراه أراد غير العزل عن الولاية (م)

بين الحسن بن
زيد وابن
هرمة

وقوله : « وإن كان مُعذراً » ، لأن جعفرأ أعطاه على آياته الثلاثة ألفَ دينار .
ولما ولي الحسن بن زيد المدينة دخل عليه إبراهيم بن علي بن هرمة ، فقال
له الحسن : يا إبراهيم ؛ لستُ كمن باع لك دينه رجاء مدحك ، أو خوف ذمك ،
فقد رزقني الله تعالى بولادة نبيه صلى الله عليه وسلم المادح ، وجتنبني المقابح ،
وإن من حقه عليّ ألا أغضبي على تقصير في حقّ وجب ؛ وأنا أقسم لئن أتيتُ
بك سكران لأضربنك حداً للخمر ، وحداً للسكر ؛ ولأزيدنّ لموضع حُرمتك
بي ، فليكن تركك لها لله عز وجل تُعَنّ عليه ، ولا تدعها للناس فتوكل إليهم .
فنهض ابن هرمة ، وهو يقول :

نهاني ابنُ الرسولِ عن المُدامِ وأدبني بآداب الكرامِ
وقال ليّ أصطبر عنها ودعها لخوفِ الله لاخوفِ الأنامِ
وكيف تصبّري عنها وحبّي لها حبٌّ تمكّن في عظامي
أرى طيفَ الخيالِ عليّ خُبناً وطيب العيش في خبث الحرامِ
وكان إبراهيم منهوماً في الخمر ، وجلده خَيْمٌ بن عِرّاك^(١) صاحبُ شرطة
المدينة لرباح بن عبد الله الحارثي في ولاية أبي العباس .

بين أبي جعفر
النصور وابن
هرمة

ولما وفد على أبي جعفر المنصور ومدحه استحسن شعره ووصله ، وقال له :
سَلْ حاجتك ، قال : تكتب لي إلى عامل المدينة ألاّ يحدّني إذا أتيتُ بي سكران
فقال أبو جعفر : هذا حدٌّ من حدود الله تعالى لا يجوز أن أعطله ، قال : فاحتل
لي يا أمير المؤمنين ! فكتب إلى عامل المدينة : « مَنْ أتاك بابن هرمة سكران
فاجلده مائة ، واجلده ابن هرمة ثمانين » .
فكان الشرط يمرّون به مطروحاً في سِكَكِ المدينة ، فيقولون : مَنْ يشتري
مائة ثمانين !؟

وقال موسى بن عبد الله^(٢) بن علي بن أبي طالب :

(١) في نسخة « عثيم بن عراق » (م)

(٢) في نسخة « بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي » (م)

من شعر موسى
ابن عبد الله
الطالبي

إذا أنا لم أقبل من الدهر كل ما
إلى الله كل الأمر في الخلق كلهم
تعدت مس الضر حتى ألفت
ووسع صدري للأذى الأنس بالأذى
وصيرني يأمي من الناس راجياً
وموسى بن عبد الله هو القائل :

تولت بهجة الدنيا
وخان الناس كلهم
رأيت معالم الخير
فلا حسب ولا نسب
فلمست مصدق الأقوا
م في شيء وإن صدقوا

وكان المنصور حبه لخروجه عليه مع أخويه ، ثم ضربه بألف سوط ، فما
نطق بحرف واحد ؛ فقال الربيع : عذرت هؤلاء الفساق في صبرهم ؛ فما بال
هذا الفتى الذي نشأ في النعمة والدعة ؟ فقال :

بعض أخبار
موسى

إني من القويم الذين يريدون
وولدت هند بنت أبي عبيدة بن عبد الله بن زمة موسى ، ولها ستون سنة ،
ولا يعلم امرأة ولدت بنت ستين سنة إلا قرشية .

اجتاز علي بن محمد العلوي بالجسر بحمدان^(٢) قتل عمر بن يحيى بن عبد الله
ابن الحسين ، وقاتله الحسين بن إسماعيل هناك قد جرّد رجلاً للقتل ، فلما رأت
أم الرجل عليا سألته أن يشفع فيه ، فقال عليّ إلى الحسين فأنشده :

بين علي بن
محمد العلوي
والحسين بن
إسماعيل

(١) الخلق - بفتح الخاء - البالي .

(٢) حمدان الأمر : أوله ، وهو بكسر الحاء وسكون الدال - والباء بمعنى في (م)

قتلت أبراً من ركب المطايا وجئتك أستلينك بالكلام
وعز علي أن ألقاك إلا وفيما بيننا حد الحسام
ولكن الجناح إذا أصيبت قوادمه يرف على الإكام^(١)
قال له : وما حاجتك ؟ قال : العفو عن ابن هذه المرأة ا فتركه .

وسئل العباس بن الحسين عن رجلٍ ، فقال جليسه : أطرب من الإبل على
الخداء ، ومن المثل على الفناء .
العباس بن
الحسين
الهاشمي

وذكر العباس رجلاً فقال : ما الجمام على الأخرار ، وطول السقم في
الأسفار ، وعظم الدين على الإقتار ، بأشد من لقائه .

وقال العباس بن الحسين للأمون : يا أمير المؤمنين ؛ إن لسانى ينطلق
بمدحك غائباً ، وقد أحببت أن يتزّيدَ عندك حاضراً ، أفأذن لي يا أمير
المؤمنين في الكلام ؟ فقال له : قل ؛ فوالله إنك لتقول فتُحسِن ، وتُحضر
فتزبن ، وتغيب فتؤتمن ، فقال : ما بعد هذا كلام يا أمير المؤمنين ! أفأذن
بالسكوت ؟ قال : إذا شئت .

وذكر رجلاً بليغاً فقال : ما شبّهتُ كلامه إلا بشعبان ينهال بين رمال ،
وماء يتغلغل بين جبال .

وسمع المنتجع بن نبهان كلام العباس بن الحسين ، فقال : هذا كلامٌ
يلك سائرُه على غابره^(٢) وأوله على آخره .

وسأل المأمون العباس بن الحسين عن رجل ؟ فقال : رأيتُ له حِلماً وأناة ،
ولم أسمع لحناً ولا إحالة^(٣) ؛ يمدُّك الحديث على مطاويه^(٤) ، ويُنشدك الشعر
على مدارجه .

(١) القوادم : مقدم الريش ، ولا كذلك الخوافي ، والإكام : جمع أكمة .

(٢) سائرُه : باقيه ، وغابره : ماضيه (٣) الإحالة : التكلّم بالهال

(٤) على مطاويه : على خفاياه

وكان المأمون يقول : مَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْمَعَ لَهْوًا بِلَا حَرْجٍ فَلْيَسْمَعْ كَلَامَ الْعَبَّاسِ
وَالْعَبَّاسُ بْنُ الْحُسَيْنِ مِنْ أَشْعَرِ الْمَاشِمِيِّينَ ؛ وَهُوَ يُعَدُّ فِي طَبَقَةِ إِبْرَاهِيمِ
ابن المهدي ، وهو القائل :

أَتَاكَ لَكَ الْمَوَى بِيضٌ حِثَّانٌ^(١) سَيِّئَكَ بِالْعِيُونَ وَبِالشُّعُورِ^(١)
نَظَرْتُ إِلَى النَّحُورِ فَكَدَّتْ تَقْضِي وَأَوَّلَى لَوْ نَظَرْتُ إِلَى الْخُصُورِ^(٢)

وهو القائل أيضاً :

صَادَتْكَ مِنْ بَعْضِ الْقُصُورِ بِيضٌ نَوَاعِمٌ فِي الْخُدُورِ
حُورٌ تَحُورُ إِلَى صَبَا كَ بَاعَيْنِ مِنْهُنَّ حُورِ^(٣)
وَكَأَنَّمَا بَثَّـوْرُهُنَّ جَنَى الرُّضَابِ مِنْ الْخُورِ^(٤)
يَصْبُغْنَ تَفَاحَ الْخُدُورِ دِ بَاءِ رُمَانَ الصُّدُورِ

وهو : العباسُ بن الحسين بن عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب
رضي الله عنه ، وأم عبيد الله جدة بنت عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب عم
محمد بن علي أبي الخلفاء .

وكان الرشيدُ والمأمونُ يقرَّبَانِ الْعَبَّاسَ غَايَةَ التَّقْرِيبِ ؛ لِنَسَبِهِ وَأَدَبِهِ ؛
قَالَ أَبُو دَلْفٍ : دَخَلْتُ عَلَى الرَّشِيدِ وَهُوَ فِي طَارِمَةَ عَلَى طَنْفَسَةَ^(٥) وَمَعَهُ عَلَيْهَا شَيْخٌ
جَمِيلٌ الْمَنْظَرُ ؛ فَقَالَ لِي الرَّشِيدُ : يَا قَاسِمُ ؛ مَا خَبَرُ أَرْضِكَ ؟ فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،
خَرَابٌ يَبَّابٌ ، أَخْرَبَهَا الْأَكْرَادُ وَالْأَعْرَابُ . فَقَالَ قَائِلٌ : هَذَا آفَةُ الْجَبَلِ ،
وَهُوَ أَفْدَهُ ، فَقُلْتُ : أَنَا أَصْلَحُهُ ، قَالَ الرَّشِيدُ : وَكَيْفَ ذَلِكَ ؟ قُلْتُ : أَفْسَدَتْهُ
وَأَنْتَ عَلِيٌّ وَأَصْلَحُهُ وَأَنْتَ مَعِي ! قَالَ الشَّيْخُ : إِنْ هَمَّتْ لَتَرِي بِهِ مِنْ وِرَاءِ سَنَةٍ

(١) أتاك : هيا ، وسينك : أسرنك (م) (٢) تقضى : تهلك .

(٣) تحور : تميل (٤) الرضاب : الريق

(٥) الطارمة : بيت من خشب كالتبة

مَرَّمِي بَعِيداً ؛ فَسَأَلْتُ عَنِ الشَّيْخِ قَقِيلِ : الْعَبَّاسُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، وَكَانَ أَبُو دُلْفَةَ ذَلِكَ الْوَقْتِ صَغِيرَ السِّنِّ .

بين موسى بن
جعفر والفضل
بن الربيع

وَلَقِيَ مُوسَى بْنَ جَعْفَرٍ^(١) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مُحَمَّدَ بْنَ الرَّشِيدِ الْأَمِينِ بِالْمَدِينَةِ وَمُوسَى عَلِيَّ بْنَ أَبِي رَيْحَانَ ، فَقَالَ لِلْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ : عَاتِبْتُ هَذَا ، فَقَالَ لَهُ الْفَضْلُ : كَيْفَ لَقِيتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى هَذِهِ الدَّابَّةِ الَّتِي إِنْ طَلَبْتِ عَلَيْهَا لَمْ تَسْبِقِي ، وَإِنْ طُلِبْتَ عَلَيْهَا تَلْحَقِي ، فَقَالَ : لَسْتُ أَحْتَاجُ أَنْ أُطَلَّبَ ، وَلَا إِلَى أَنْ أُطَلَّبَ ؛ وَلَكِنَّهَا دَابَّةٌ تَنْحَطُّ عَنِ خَيْلَاءِ الْخَيْلِ ، وَتَرْتَفِعُ عَنِ ذِلَّةِ الْعَيْرِ^(٢) ، وَخَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَطُهَا .

علي بن موسى
الرضا

أَصِيبَ عَلِيَّ بْنَ مُوسَى بِمَصِيبَةٍ ، فَصَارَ إِلَيْهِ الْحَسَنُ بْنُ سَهْلٍ ، فَقَالَ : إِنْ لَمْ نَأْتِكَ مُعَزِّينَ ؛ بَلْ جَنَّاتِكَ مُقْتَدِينَ ؛ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ حَيَاتِكُمْ لِلنَّاسِ رَحْمَةً ، وَمَصَائِبَكُمْ لَهُمْ قَدُورَةً .

وَكَانَ عَلِيٌّ بْنُ مُوسَى الرَّضَا رَحِمَهُ اللَّهُ قَدْ وُلَّاهُ الْمَأْمُونُ عَهْدَهُ ، وَعَقَدَ لَهُ الْخِلَافَةَ بَعْدَهُ ، وَنَزَعَ السُّوَادَ عَنِ بَنِي الْعَبَّاسِ ، وَأَمَرَهُمْ بِلِبَاسِ الْخَضِرَةِ^(٣) ، وَمَاتَ عَلِيٌّ بْنُ مُوسَى فِي حَيَاةِ الْمَأْمُونِ بَطُوسَ ، فَشَقَّ [الْمَأْمُونُ] قَبْرَ الرَّشِيدِ وَدَفِنَ فِيهِ تَبْرًا كَمَا بِهِ ، وَكَانَ الرَّشِيدُ قَدْ مَاتَ بَطُوسَ فَدَفِنَ هُنَاكَ^(٤) ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ دَعْبَلُ بْنُ عَلِيٍّ الْخَزَاعِيُّ :
ارْبَعُ بَطُوسَ عَلَى قَبْرِ الزَّكِيِّ بِهَا . إِنْ كُنْتُ تَرْبَعُ مِنْ دِينِ عَلِيٍّ وَطَرٍ^(٥)
مَا يَنْفَعُ الرَّجْسَ مِنْ قُرْبِ الزَّكِيِّ ، وَلَا عَلَى الزَّكِيِّ بِقُرْبِ الرَّجْسِ مِنْ ضَرَرٍ
هِيَاتُ كُلِّ امْرَأَةٍ رَهْنٌ بِمَا كَسَبَتْ لَهُ يَدَاؤُهَا فَخُذْ مِنْ ذَلِكَ أَوْ فَذَرِ

(١) كان موسى بن جعفر سيدياً من سادات بني هاشم ، وإماماً مقدماً في العلم والدين ولد في الأبواء - قرب المدينة - سنة ١٢٨ وتوفي في بغداد سنة ١٨٣ (٨) العير: الحمار
(٢) وكان لباس الخضر شعار أهل البيت ، وكان من أثر نزع السواد عن بني العباس أن اضطرب العراق ، وثار أهل بغداد ، فخلعوا المأمون وهو بطوس وبايعوا عمه إبراهيم بن المهدي ، فقصدهم المأمون بجيشه ، فاخْتَبَأَ إبراهيم ثم استسلم وعفا عنه المأمون.
(٣) كانت وفاة علي بن موسى سنة ٢٠٣ (٥) ربيع : أقام ، والوטר : الحاجة

قبران في طوس : خَيْرُ الناسِ كلِّهم وقبر شَرِّهم ، هذا من العَبْرِ
وكان دعبل مداحاً لأهل البيت ، كثير التعصُّب لهم ، والغلوِّ فيهم . وله

المرثية المشهورة ، وهي من جيد شعره ، وأولها :

مَدَارِسِ آيَاتِ عَفَّتْ مِنْ تِلَاوَةِ
وَمَنْزِلِ وَحْيِ مُتَقَرِّبِ الْعَرَصَاتِ (١)
لَأَلِ رَسُولِ اللَّهِ بِالْخَيْفِ مِنْ مَنِي
وَبِالْبَيْتِ وَالتَّعْرِيفِ وَالجُمَرَاتِ
دِيَارُ عَلِيٍّ وَالحُسَيْنِ وَجَفَّ مَرِّ
وَحِمَزَةِ وَالسَّجَادِ ذِي النَّفِثَاتِ
قِفَا نَسْأَلِ الدَّارَ الَّتِي خَفَّ أَهْلُهَا
مَتَى عَمَدُهَا بِالصَّوْمِ وَالصَّلَوَاتِ
وَإِنَّ الْأُولَى شَطَّتْ بِهِمْ غُرْبَةَ النَّوَى
أَفَانِينَ فِي الْأَفَاقِ مُفْتَرَقَاتِ (٢)
أَحِبُّ قَصِي الدَّارِ مِنْ أَجْلِ حُبِّهِمْ
وَأَهْجُرُ فِيهِمْ أُسْرَتِي وَتِقَاتِي
وهي طويلة .

رثاء دعبل
لآل البيت

ولما دخل المأمون بغداد أخضر دعبلا بعد أن أعطاه الأمان ، وكان قد
هجاه وهجاً أباه ، فقال : يادعبل ، من الحضيض الأوهدي ! فقال : يا أمير المؤمنين ،
قد عفوت عن هو أشدُّ جرماً مني ! أراد المأمون قول دعبل يهجوهُ :

بين دعبل
والمأمون

إِنِّي مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ سَيُوفَهُمْ قَتَلَتْ أَخَاكَ وَشَرَفَتْكَ بِمَقْعَدِ
شَادُوا بِذِكْرِكَ بَعْدَ طَوْلِ خَمُولِهِ . وَاسْتَنْقَذوكَ مِنَ الْحَضِيضِ الْأَوْهَدِ
يَفْتَخِرُ عَلَيْهِ بِقَتْلِ طَاهِرِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ مَصْعَبِ ذِي الْيَمِينِ أَخَاهُ مُحَمَّدًا ،
وَطَاهِرِ مَوْلَى خُرَازْمِ ، فَاسْتَنْشَدَهُ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ التَّائِيَةَ (٣) ، فَاسْتَعْفَاهُ ، فَقَالَ : لَا بَأْسَ
عَلَيْكَ ، وَقَدْ رَوَيْتُهَا ، وَإِنَّمَا أَحْبَبْتُ أَنْ أَسْمَعَهَا مِنْكَ ، فَانْشُدْهَا دَعْبِلُ ؛ فَلَمَّا
انتهى إلى قوله :

أَلَمْ تَرَ أَنِي مَذْ ثَلَاثِينَ حِجَّةً أَرْوَحُ وَأَغْدُو دَائِمَ الْحَسَرَاتِ

(١) العرصات : الساحات (٢) غربة النوى : بعده

(٣) في المطبوعات كلها « الثانية » وهو تحريف ما أثبتناه (م) .

أرى فيهم في غيرهم مُتَقَسِّمًا وأيديهم من فيهم صفرات^(١)
 إذا وبروا مدوا إلى أهل وترم أكفأ عن الأوتار مُنْقَبَضَاتِ
 وآل رسول الله نُحِفُ جُسُومِهِمْ وآل زياد غُلُظُ القَصَرَاتِ^(٢)
 بنات زياد في القصورِ مَصُونَةٌ وبنات رسول الله في الفلواتِ
 بكى المأمون ، وجدد له الأمان ، وأحسن له الصلّة .

والشيء يستدعى ما قرع بابه ، وجذب أهدابه^(٣) ، قال سليمان بن قتيبة :
 برئ آل البيت
 مررت على أبيات آل محمد فلم أر ما عهدى بها يوم حلت^(٤)
 فلا يبعد الله الديار وأهلها وإن أصبحت من أهلها قد تخلت^(٥)
 وكانوا رجاء ثم عادوا رزية^(٦) ألا عظمت تلك الرزايا وجلت^(٦)
 وإن قتل الطف من آل هاشم أذل رقاب المسلمين فذلت^(٧)
 ويشبه قوله : « وكانوا رجاء ثم عادوا رزية » قول امرأة من العرب مرّت
 بالجسر بجثة جعفر بن يحيى البرمكي مصلوبا^(٨) ؛ فقالت : لئن أصبحت نهاية في
 البلاء ، لقد كنت غاية في الرجاء .

ألفاظ لأهل العصر في أوصاف الأشراف

لها في هذا الموضع موقع

فلان من شرفِ العنصرِ الكريم ، ومعدن الشرف الصميم . أصل راسخ ،

(١) صفرات : خاليات (٢) القصرات : أصول العنق ، جمع قصرة بفتحين
 (٣) هكذا وقع هذا الكلام في النسخ التي بأيدينا والظاهر أنه سقطت بعض عبارات
 يراد بها التمهيد للمضى في ذكر بعض الشواهد التي تتحدث عن بكاء أهل البيت .
 (٤) رواية الحماسة « فلم أرها أمثالها » (٥) رواية الحماسة « وإن أصبحت منهم برغمي
 تخلت » (٦) رواية الحماسة « وكانو غياثا » (٧) الطف : موضع قرب الكوفة ، ورواية
 الحماسة : « ألا إن قتل الطف من آل هاشم أذلت » (٨) جعفر بن يحيى : كان وزير
 الرشيد ، يرم وينقض في الدولة ماشاء ، إلى أن ثار الرشيد بالبرامكة قتلته فيمن قتل منهم ،
 وكان جعفر فصيح المنطق بليغ القول ، ولد في بغداد سنة ١٥٠ ، وتوفي سنة ١٨٧

وَفِرْعَ شَامِخٍ ، وَتَجْدُّ بِأَذِخٍ^(١) ، وَحَسَبٌ شَادِخٌ .

فَلَانَ كَرِيمُ الطَّرَفِينَ ، شَرِيفُ الْجَائِئِينَ ، قَدِ رَكَّبَ اللهُ دَوْحَتَهُ فِي قَرَارَةِ
الْمَجْدِ ، وَغَرَسَ نَبْعَتَهُ فِي مَحَلِّ الْفَضْلِ . أَصْلُ شَرِيفٍ ، وَعِرْقُ كَرِيمٍ ، وَمَغْرَسٌ
عَظِيمٌ ، وَهَفْرُزٌ صَمِيمٌ . الْمَجْدُ لِسَانُ أَوْصَافِهِ ، وَالشَّرْفُ نَسَبُ أُسْلَافِهِ . نَسَبٌ فَخْمٌ ،
وَشَرْفٌ ضَخْمٌ . يَسْتَوْفِي شَرَفَ الْأَرُومَةِ^(٢) بِكُرْمِ الْأَبْوَةِ وَالْأُمُومَةِ ، وَشَرَفَ
الْمُخَوَّلَةِ وَالْعُمُومَةِ . مَا أَتَتْهُ الْمَحَاسِنُ عَنْ كَلَالَةٍ^(٣) ، وَلَا ظَفَرَ بِالْهُدَى عَنْ ضَلَالَةٍ ،
بَلْ تَنَاولَ الْمَجْدَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ ، وَأَخَذَ الْفَخْرَ عَنْ أُسْرَةٍ وَمَنَابِرٍ :

شَرَفٌ تَنْقَلُ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ كَالرَّمْحِ أَنْبُوبًا عَلَى أَنْوَابٍ^(٤)

اسْتَقَى عِرْقَهُ مِنْ مَنبَعِ النُّبُوَّةِ ، وَرَضَعَتْ شَجَرَتُهُ مِنْ تَدْيِ الرِّسَالَةِ ، وَتَهَدَّلَتْ
أَغْصَانُهُ عَنْ نَبْعَةِ الْإِمَامَةِ ، وَتَبَجَّبَتْ أَطْرَافُهُ فِي عَرَصَةِ الشَّرَفِ وَالسِّيَادَةِ^(٥) ،
وَتَفَقَّاتْ بِبُضْتِهِ عَنْ سُلَالَةِ الطَّهَارَةِ^(٦) ، قَدْ جَذَبَ الْقُرْآنُ بِبُضْبِهِ^(٧) وَشَقَّ الْوَحْيُ عَنْ
بَصَرِهِ وَسَمِعِهِ ، مَخْتَارٌ مِنْ أَكْرَمِ الْمَنَاسِبِ ، مَمْتَخَبٌ مِنْ أَشْرَفِ الْعُنَاصِرِ ، مُرْتَضَى
مِنْ أَعْلَى الْمَحَادِّدِ^(٨) ، مُؤَثَّرٌ مِنْ أَعْظَمِ الْعِشَائِرِ ، قَدْ وَرِثَ الشَّرْفَ جَامِعًا عَنْ جَامِعٍ ،
وَشَهِدَ لَهُ نِدَاءُ الصَّوَامِعِ ، هُوَ مِنْ مَضَرٍ فِي سُوَيْدَاءَ قَلْبِهَا ، وَمِنْ هَاشِمٍ فِي سَوَادِ
طَرَفِهَا ، وَمِنْ الرِّسَالَةِ فِي مَهَبِطٍ وَخِيْبَاءَ ، وَمِنْ الْإِمَامَةِ فِي مَوْقِفٍ عَزَّاهَا ، يَنْزِعُ إِلَى
الْمَحَامِدِ بِنَفْسٍ وَعِرْقٍ ، وَيُنْحِنُ إِلَى الْمَكَارِمِ بِوَرَاةٍ وَخَلْقٍ ؛ يَتَنَاسَبُ أَصْلُهُ وَفِرْعُهُ ،
وَيَتَنَاصَفُ تَجْرُهُ وَطَبْعُهُ ، وَهُوَ الطَّيِّبُ أَصْلُهُ وَفِرْعُهُ ، الزَّاكِي بَذْرُهُ وَزَرْعُهُ ، يَجْمَعُ

(١) شامخ وباذخ وشاذخ : مترادفات بمعنى عال (٢) الأرومة : الأصل .

(٣) الكلاله : ماعدا الولد والوالد من الأقرباء ، (٤) الأنبوب : القصة

(٥) تبججت : تمكنت ، والعريصة : الساحة (٦) تفقات : تفتحت

(٧) جذب بضبعه : نوه به

(٨) المناسب : جمع منسب ، والعناصر : جمع عنصر ، والمحاند : جمع محند ،

وكلها بمعنى الأصل (م)

إلى عزّ النصاب، مزية الآداب، لاغرّو أن يجرى الجوادُ على عرقه، وتلوح مخايلُ
الليثِ في شبّله، ويكون النجيبُ فرعاً مشيداً لأصله. له مع نباهة شرفه، نزاهة
سلفه، ومع كرم أرومته وحزمه، مزية أدبه وعلمه، لن تخلف ثمرة غرس ارتيد
لها من المنابت أزكاه، ومن المغارس أطيبها وأغذاها وأنماها؛ قد جمع شرف
الأخلاق، إلى [شرف الأعراق، وكرم الآداب، إلى] كرم الأنساب؛ له في المجد
أولٌ وآخر، وفي الكرم تليدٌ وطارف، وفي الفضل حديثٌ وقديم؛ لاغرّو أن
يغمر فضله، وهو نجلُ الصيّد الأكارم، أو يغزر علمه وهو فيضُ البحور الخضارم^(١)
دوحةٌ رسب عرقها، وسمق فرعها^(٢)، وطاب عودها، واعتدل عمودها،
وتفتيات ظلالها، وتهدلت ثمارها، وتفرّعت أغصانها، وبرد مقلها. مجد
يلحظ الجوزاء من عال، ويطولُ النجم كلّ مطال. شرف تضع له الأفلاكُ
خودها وجباهها، وتلتئم النجوم أرضه بأفواها وشفاهها. نسبُ المجد به
عريق، وروضُ الشرف به أنيق. ولسانُ الثناء بفضله نطوق. فلكُ المجد عليه
يدور، ويدُ العلاء إليه تُشير. محله شاق، ومجده باسق.

(١) الخضارم: جمع خضرم بكسر الخاء والراء، وهو الواسع (٢) سمق: ارتفع

بدء الكتاب

قد تمَّ ما استفتحت به التأليف ، وجعلته مقدمة التصنيف ، مع ما اقترن به ،
وانضاف إليه ، والتفَّ به ، وانعطفَ عليه ، ورأيتُ أن أبتدىء مقدمات
البلاغات بفرر التحاميد وأوصافها^(١) ، وما يتعلق بأثنائها وأطرافها .

الكلام في
حمد الله

وقد قال سهل بن هارون في أول كتاب عمله : يجب على كل مبتدئ
مقالة أن يبتدىء بحمد الله قبل استفتاحها ، كما بَدِءَ بالنعمة قبل استحقاقها .
ولأهل العصر : أولى ما فخر به الناطقُ^(٢) فيه^(٣) وافتتح به كليمه ، حمدُ الله
جلَّ ثناؤه ، وتقدَّست أسماؤه . حمدُ الله خيرُ ما ابتدئ به القول وختم ،
وافتح به الخطابُ ونتم .

وقال أبو العباس عبد الله بن المعتز بالله : إنَّ الله جلَّ ثناؤه لا يُمثلُ بنظير ،
ولا يُغلبُ بظهير^(٤) ، جلَّ عن موقع تحصيل أدوات البشر ، ولطفَ عن الحافظ
خطرات الفكر ، لا يُعتمدُ إلا بتوفيقٍ منه يقتضى حمداً ، فمَن تَخَصَّى نعمائه ،
وتكافأ آلاؤه ؛ عجزَ أقصى الشكرِ عن أداء نعمته ، وتضائل ما خلق في
سعة قدرته ؛ قدرَ فقَدَّر ، وحكم فأحكم ؛ وجعل الدين جامعاً لشمل
عباده ، والشرائع مناراً على سبيل طاعته ؛ يتبَّعها أهل اليقين به ، ويحمِّدُ
عنها أهلُ الشك فيه .

أخذ أبو العباس قوله : « ولا يحمَدُ إلا بتوفيقٍ منه يقتضى حمداً » من قول

محمود بن الحسن الوراق :

إذا كان شكري نعمة الله نعمةً على له في مثلها يجبُ الشكرُ
فكيف بلوغُ الشكرِ إلا بفضلِهِ وإن طالت الأيام واتَّصلَ العمرُ

(١) كذا في المطبوعات كلها ، ولو كان « وأوصافها » لكان أطرف ، وإن لم

يتم به التسجيع على الشائع من طريقة المؤلف (م) (٢) فخر : فتح (٣) الظهير : المعين

إذا عمَّ بالسَّراء عمَّ سرورها وإنَّ مَسَّ بالضراء أعقبها الأجرُ
فما منها إلا له فيه نعمةٌ تضيِّقُ بها الأوهامُ والبرُّ والبَحْرُ
وإنما أخذهُ محمود من قول أبي العتاهية :

أحمد الله فهو ألهمني الحمدَ على الحمد والمزيدُ لَدَيْهِ
كم زمانٍ بكيتُ فيه فلما صرْتُ في غيره بكيتُ عليه
وقد اضطربت الروايةُ في هذين البيتين وقائلهما، وهذا البيت الثاني كثيرٌ (١)،
قال إبراهيم بن العباس :

كذلك أيامنا لاشكَّ نندُبها إذا تقضتْ ونحنُ اليومَ نشكروها
آخر :

وما مرَّ يومٌ أرتجى فيه راحةً فأقيدُهُ إلا بكيتُ على أمسِ
ومحمود هو القائل أيضاً :

تعبى الإلهَ وأنتَ تُظهرُ حبهُ هنذا محالٌ في القياسِ بديعُ
لو كان حبُّك صادقاً لأطعتهُ إنَّ الحبَّ لمن أحبَّ منطبعُ
وكان كثيراً ما ينقلُ أخبارَ الماضينَ ، وحِكَمَ المتقدمينَ ، فيحلى بها
نظامه ، ويُرِّينُ بها كلامه ، وهو القائل :

إني وهبتُ لظلمى ظلمي وشكرتُ ذاكَ له على علمي
ورأيتُهُ أشدَّي إلى يداً لَمَّا أبانَ بجَهلهِ حِلْمِي
رَجَعَتْ إِسَاءَتُهُ عَلَيهِ ، وَلِي فَضْلُ فِعَادِ مُضَاعَفِ الْجُرْمِ
فكأنما الإختانُ كان له وأنا المسمىءُ إليه في الزَّعمِ
ما زال يظلمني وأرحمه حتى رثيتُ له من الظالمِ

(١) يريد أن الشعراء رددوا هذا المعنى كثيراً . ومن جيد ما صور به هذا المعنى
قول سعيد بن حميد :

لم أبك من زمن ذممت صروفه إلا بكيت عليه حين يزول

وهو القائل :

أراني إذا ما ازددتُ مالاً وثرَوةً وخَيْراً إلى خَيْرٍ تَزِيدتُ في الشرِّ
فكيف بشُكرِ الله إن كنت إنما أقومُ مقامَ الشُّكرِ لله بالكُفْرِ
بأىِّ اعتذارٍ أو بأيةِ حُجَّةٍ يقولُ الذي يدري من الأمرِ ما أدري
إذا كان وجهُ العُذْرِ ليس ببيِّنٍ فإنَّ أطراحَ العُذْرِ خَيْرٌ من العُذْرِ

[البيان والبلاغة]

ولابن المعتز: البيان ترجمانُ القلوب ، وصيقلُ العقول ، ومجلى الشبهة ،
وموجب الحجة ، والحاكم عند اختصام الظنون ، والمفرِّق بين الشكِّ واليقين ،
وهو من سلطان الرُّسُل الذي انقاد به المصعب^(١) ، واستقام الأصيل^(٢) ،
وبهت الكافر ، وسلم المتنع ، حتى أشب الحقُّ بأنصاره^(٣) ، وخلا ربعُ الباطلِ
من عمارة ؛ وخيرُ البيان ما كان مصرحاً عن المعنى ؛ ليسرعَ إلى الفهم تلقية ،
وموجزاً ليخفَ على اللفظ تعاطيه .

لابن المعتز
في فضل البيان

وفضل القرآن على سائر الكلام معروفٌ غيرٌ مجهول ، وظاهرٌ غيرٌ خفي ؛
يشهدُ بذلك نمجزُ المتعاطين ، ووهنُ المتكلفين^(٤) ، وتمييزُ الكذابين ، وهو المبلغُ
الذي لا يُبل ، والجديد الذي لا يخلق^(٥) ، والحقُّ الصادع ، والنورُ الساطع ،
والماسحُ لظلم الضلال ، ولسانُ الصدق الناقى للكذب ، ونذيرُ قدمته الرحمةُ
قبل الهلاك ، وناعى الدنيا المنقولة ، وبشيرُ الآخرةِ الخالدة ، ومفتاحُ الخير ، ودليلُ
الجنة . إن أوجز كان كافياً ، وإن أكثر كان مذكراً ، وإن أومأ^(٦) كان
مُقنعاً ، وإن أطل كان مُفهِماً ، وإن أمر فناصحاً ، وإن حكم فعادلاً ، وإن أخبر
فصادقاً ، وإن بين فشافياً ، سهلٌ على الفهم ، صعبٌ على المتعاطي^(٧) ، قريبُ التآخذ ،

فضل القرآن
على سائر
الكلام

(١) المصعب : الفحل الصعب القيادة . وفي الأصل «المستصعب» وأرجع أنه تحريف
(٢) الأصيل : المائل العنق كبرا (٣) أشب : تجمع وقوى (٤) الوهن : الضعف (م)
(٥) لا يخلق : لا يبلى (٦) أومأ : أشار (٧) يريد بالمتعاطي المتكلف مجاراته (م)

بعيدُ المرام ، سِرَاجٌ تستضيء به القلوب ، حُلُوٌّ إذا تذوّقته العقول ، بَخْرٌ العوم ،
 وديوانُ الحُكْمِ ، وجَوْهَرُ الكَلِمِ ، ونُزْهَةٌ التوسُّمِينِ ، وروحُ قلوبِ المؤمنين ،
 نزل به الرُّوحُ الأَمِينُ على محمد خاتم النبيين : صلى الله عليه وعلى آله الطيبين ،
 فحضمَ الباطل ، وصدّعَ بالحق ، وتآلفَ من النفرة ، وأنقذَ من الهلكة . فوصل
 الله له النصر ، وأضرع به خدَّ الكفر^(١) .

قال علي بن عيسى الرماني^(٢) : البلاغة ما حُطَّ التكلفُ عنه^(٣) ، وبنى على التبيين ،
 تفسير الرماني
 للبلاغة

وكانت الفائدةُ أغلبُ عليه من القافية ، بأنَّ جَمَعَ مع ذلك سهولةَ المخرج ، مع قُرْبِ
 المتناول ؛ وعدوْبَةَ اللفظ ، مع رشاقةِ المعنى ؛ وأن يكون حُسْنُ الابتداءِ كحُسْنِ
 الانتهاء ، وحُسْنِ الوصلِ ، كحُسْنِ القطعِ ، في المعنى والسمع ، وكانت كلُّ كلمةٍ
 قد وقعتْ في حَقِّها ، وإلى جُنْبِ أُخْتِها ، حتى لا يقالَ : لو كان كذا في موضع
 كذا لكان أولى ! وحتى لا يكونَ فيه لفظٌ مختلفٌ ، ولا معنى مُستكرهٌ ؛
 ثم ألبسَ بهاءَ الحكمة ، ونورَ المعرفة ، وشرفَ المعنى ، وجَزالةَ اللفظ ، وكانت
 حلاوتهُ في الصدرِ وجلالتهُ في النفسِ تفتقُّ الفهم ، وتنثرُ دقائقَ الحكم ، وكان
 ظاهرَ النفعِ ، شريفَ القصدِ ، معتدلَ الوزنِ ، جميلَ المذهبِ ، كريمَ المطلبِ ،
 فصيحاً في معناه ، يَبِيناً في فحْوَاهِ ؛ وكلُّ هذه الشروطُ قد حوَّاهَا القرآن ، ولذلك
 عَجَزَ عن مَعَارَضَتِهِ جميعُ الأنامِ .

(١) أضرع : أذل

(٢) وكان يعرف أيضاً بالإخشيدي ، وبالوراق ، وهو بالرماني أشهر - كما ذكر

السيوطي في بغية الوعاة - كان إماماً في العربية علامة في الأدب في طبقة الفارسي والسيرافي
 وكان يمزج النحو بالمنطق حتى قال الفارسي : إن كان النحو ما يقوله الرماني فليس
 معنا منه شيء ، وإن كان النحو ما يقوله نحن فليس معه منه شيء . وكان معتزلياً بصيراً

بعلم الكلام . ولد سنة ٢٧٦ وتوفي في ١١ جمادى الأولى سنة ٣٨٤

(٣) الضمير عائد على الكلام البليغ المفهوم من البيان

ألفاظ لأهل العصر في ذكر القرآن

القرآن حَبْلُ اللَّهِ الممدود ، وَعَهْدُهُ المعبود ، وظلُّه العميم ، وصِرَاطُهُ المستقيم ، وَحُجَّتُهُ الكبرى ، ومحبته الوُسْطَى ، وهو الواضح سبيله ، الراشدُ دليله ، الذي مَن استضاء بمصاييحه أَبْصَرَ وَنَجَّى ، وَمَن أَعْرَضَ عَنْهُ ضَلَّ وَهَوَى ؛ فضائل القرآن لا تُستقصى في ألفِ قرْنٍ ، حجة الله وعَهْدُهُ ، ووَعِيدُهُ ووَعْدُهُ ، به يعلمُ الجاهلُ ، ويعملُ العايلُ ، ويتنبه السامعُ ، ويتذكَّرُ اللاهي ، بِشِيرِ الثوابِ ، وَنَذِيرِ العقابِ ، وشفاء الصدورِ ، وَجَلَاءِ الأمورِ ؛ من فضائله أنه يُقرأ دائماً ، وَيُكْتَبُ ، وَيُملَى ، ولا يَمَلُّ . ما أهون الدنيا على مَنْ جعل القرآن [إمامه ، وتصوَّر الموتَ أمامه ، طوبى لمن جعل القرآن] مصباحَ قلبه ، ومفتاحَ لبِّه . من حق القرآن حِفْظُ ترتيبه ، وحسنُ ترتيله .

قال بعض الحكماء : الحكمة مَوْقِفَةٌ للقلوب من سِنَّةٍ ^(١) الغفلة ، وَمُنْقِذَةٌ للبصائر من سَكْرَةِ الخَيْرَةِ ، وَمُحْيِيَةٌ لها من مَوْتِ الجهالة ، وَمُسْتَخْرِجَةٌ لها من ضيقِ الضلالة ؛ والعلمُ دواءٌ للقلوب العلية ، وَمِشْحَدٌ للأذهان الكلية ^(٢) ، ونورٌ في الظلمة ، وَأَنْسٌ في الوَحْشَةِ ، وصاحبٌ في الوَحْدَةِ ، وَسَمِيرٌ في الخُلُوةِ ، ووصلةٌ في المجلس ، ومادةٌ للعقل ، وتلقيحٌ للفهم ، ونافٍ للعنى المزرى بأهل الأخطابِ ، المقصرِ بذوى الأبواب ؛ أنطق الله سبحانه أهله بالبيان الذي جعله صفةً لكلامه في تنزيله ، وأيدَ به رُسُلَهُ إيضاحاً للمشكلات ، وفضلاً بين الشبهات ؛ شَرَّفَ به الوضيعَ ، وأعزَّ به الدليلَ ، وسوَّدَ به المسودَ ، من تحلَّى بغيره فهو معطلٌ ، ومن تعطلَّ منه فهو مغفلٌ ، لا تُبْلِيهِ الأيامُ ، ولا تُخْتَرِمُهُ الدهورُ ، يتجددُ على الابتذالِ ، وَيَزُكُّ على الإنفاقِ ؛ لله على مامنٍ به على عباده الحمدُ والشُّكْرُ .

(١) السنة - بكسر السين - أول النوم ، ومثله الوسن - بالتحريك (م)

(٢) الكلية : وصف من الكلال ، وهو الإعياء ، وأراد غير الماضية فيما تبحث ،

شبهها بالسكين التي لا تنفذ في ضريتها (م)

[أقوال في البلاغة]

قيل لعمر بن عبيد : ما البلاغة ؟ قال : ما بلغك الجنة ، وعدل بك عن النار ، وبصرك مواقع رشدك ، وعواقب غيبك . قال السائل : ليس هذا أريد ، قال : من لم يُحسِن أن يسكت لم يُحسِن أن يستمع ، ومن لم يُحسِن الاستماع لم يُحسِن القول ، قال : ليس هذا أريد ، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : «إنا معشر الأنبياء فينا بكء»^(١) أي قلة كلام^(١)؛ وكانوا يكرهون أن يزيد منطق الرجل على عقله ، قال السائل : ليس هذا أريد ، قال : كانوا يخافون من فتنة القول ومن سقطت الكلام مالا يخافون من فتنة السكوت ، وسقطت الصمت ، قال : ليس هذا أريد ، قال عمرو : يا هذا ؛ فكأنك تريد تخيير اللفظ^(٢) في حسن الإقحام ، قال : نعم ، قال : إنك إن أردت تقرير حجة الله عز وجل في عقول المكلفين ، وتخفيف المؤونة عن المستمعين ، وتزيين تلك المعاني في قلوب المرئيين ، بالألفاظ المستحسنة في الأذان ، المقبولة في الأذهان ، رغبة في سرعة إجابتهم ، ونفي الشواغل عن قلوبهم ، بالموعظة الحسنة على الكتاب والسنة - كنت قد أوتيت الحكمة وفصل الخطاب ، واستوجبت من الله جزيل الثواب ، فقيل لعبد الكريم بن روح الغفاري : من هذا الذي صبر له عمرو وهذا الصبر ؟ قال : سألت عن ذلك أبا حفص الشمري ، فقال : ومن يجترى عليه هذه الجرأة إلا حفص بن سالم ؟

من أخبار عمرو بن عبيد الخلق ، واعتزل مجلس الحسن البصري ، وهو أول المعتزلة .

(١) وفي الأصل «فينا تلكا» وهو تحريف

(٢) تخيير اللفظ : تحسينه ، قالوا : «وكان مهامل يجبر شعره» - وفي نسخة

« تخير » بمعنى الاختيار (م)

ودخل عمرو بن عبيد على أبي جعفر المنصور، فقال: عِظْنِي، فقال: يا أمير المؤمنين؛ إنَّ اللهَ أعطاك الدنيا بأسرها، فاشتر نفسك منه ببعضها؛ يا أمير المؤمنين؛ إن هذا الأمر لو كان باقياً لأحدٍ قبلك ما وصل إليك، ألم تر كيف فعل ربك بعادِ إرمَ ذاتِ العمادِ! قال: فبكي المنصور حتى بلب ثوبه. ثم قال: حاجتك يا أبا عثمان! وكان المنصور لَمَّا دخل عليه طرح عليه طيلساناً، فقال: يُرْفَعُ هذا الطيلسان عني! فرُفِعَ، فقال أبو جعفر: لا تدع إتياننا! قال: نعم، لا يضمني وإياك بلدٌ إلا دخلتُ إليك، ولا بدت لي حاجة إلا سألتك، ولكن لا تُعطيني حتى أسألك، ولا تدعني حتى آتيك، قال: إذا لاتنا أبداً! وقد روى مثل هذا لابن السماك مع الرشيد

وقوله «لو كان هذا الأمر باقياً لأحدٍ قبلك ما وصل إليك» كقول ابن الرومي:
 لعمرك ما الدنيا بدار إقامةٍ إذا زال عن عين البصير غطاؤها
 وكيف بقاء الناس فيها وإنما يُنال بأسباب الفناء بقاءها؟
 ووعظ شبيب بن شبة المنصور، فقال: يا أمير المؤمنين؛ إن الله لم يجعل فوقك أحداً، فلا تجعل فوق شكره شكراً.

ودخل عمرو بن عبيد على المنصور وعنده المهدي فقال له: هذا ابن أخيك المهدي، ولي عهد المسلمين، فقال: سميتَه اسماً لم يستحقَّ حمله، ويفضى إليك الأمر وأنت عنه مشغول^(١).

وكان عمرو بن عبيد يقول: اللهم أغنني بالافتقار إليك، ولا تُفقرني بالاستغناء عنك.

وقال له المنصور: يا أبا عثمان؛ أعيى بأصحابك: قال: يا أمير المؤمنين؛ أظهر الحقَّ يتبعك أهله.

وقال عمر الثمري: كان عمرو بن عبيد لا يكاد يتكلم، وإن تكلم لم يكذب

(١) كذا في الطبوعات كلها، ولعل أصل العبارة «ويفضى إليه الأمر وأنت عنه مشغول» يريد بالأمر الذي يصل إليه الخلافة، ولن تصل إليه إلا وقد مات أبوه (م)

يُطِيل ؛ وكان يقول : لا خيرَ في المتكلم إذا كان كلامه لمن يشهده دونَ قائله ،
وإذا طال الكلامُ عرضت للمتكلم أسبابُ التكلف ، ولا خيرَ في شيء يأتيك
به التكلف (١) .

قال معمر بن الأشعث : قلت لبهامة الهندي أيام اجتلب يحيى بن خالدٍ أطباء
الهند : ما البلاغةُ عند أهلِ الهند ؟ قال بهامة : عندما في ذلك صحيفةٌ مكتوبة ،
ولكنني لا أحسن ترجمتها ، ولم أعالج هذه الصناعة ، فأثق من نفسي بالقيام
بخصائصها ، ولطيف معانيها . قال ابنُ الأشعث : فليت بتلك الصحيفة الترجمة
فإذا فيها : أولُ البلاغة اجتماعُ آلة البلاغة ، وذلك أن يكونَ الخطيب رابطَ
الجأش (٢) ، ساكنَ الجوارح ، قليلَ اللَّحظِ ، متخيرَ اللفظ ، لا يكأم بيدَ الأمة
بكلامِ الأمة ، ولا الملوكَ بكلامِ الشوكة ، ويكون في قواه فضلُ التصرف في
كل طبقة ، ولا يدقق المعاني كلَّ التدقيق ، ولا يُنقح الألفاظ كلَّ التنقيح ،
ولا يصفئها كلَّ التصفية ، ولا يهذبها غايةً التهذيب ، ولا يفعل ذلك حتى
يصادفَ حكماً ، أو فيلسوفاً عليماً ، ومن قد تعودَ حذفَ فضولِ الكلامِ ،
وإسقاطَ مشتركات الألفاظ ؛ وقد نظر في صناعة المنطق على جهة الصناعة والمبالغة ،
لا على جهة التصفح والاعتراض (٣) ، ووجه النظرُ والاستظراف .

قال إسحاق بن حسان بن قوهي : لم يفسر أحد البلاغة تفسيرَ عبد الله
ابن المقفع إذ قال : البلاغةُ اسمٌ لمعانٍ تجرَى في وجوه كثيرة ، فمنها ما يكونُ
في الاستماع ، ومنها ما يكونُ في السكوت ، ومنها ما يكون في الإشارة ، ومنها
ما يكونُ في الحديث ، ومنها ما يكونُ في الاحتجاج ، ومنها ما يكون شعراً ،

(١) وكانت وفاة عمرو بن عبيد سنة ١٤٤

(٢) الجأش : الصدر ، ومثله الجؤشوش بضم الجيم

(٣) التصفح : قلب الصفحات .

ومنها ما يكون ابتداءً ، ومنها ما يكون جواباً ، ومنها ما يكون سجعاً ، ومنها ما يكون خطباً ، ومنها ما يكون رسائلَ ؛ فغايةُ هذه الأبواب الوحيُّ فيها والإشارةُ إلى المعنى ؛ والإيجازُ هو البلاغةُ ، فأما الخطبُ فيما بين السامعين^(١) وفي إصلاح ذات البين ، فالإكثارُ في غير خطب^(٢) ، والإطالةُ في غير إملال ، ولكن ليكن في صدرِ كلامك دليلٌ على حاجتك ، كما أن خيرَ أبياتِ الشعرِ البيتُ الذي إذا سمعتَ صدره عرفتَ قافيته (كأنه يقول فرَّق بين صدر خطبة النكاح وخطبة العيد وخطبة الصلح وخطبة التواهب ، حتى يكون لكل فنٍّ من ذلك صدرٌ يدل على عجزه^(٣)) فإنه لاخيرَ في كلام لا يدلُّ على معنك ، ولا يشيرُ إلى مفزأك ، وإلى العمود الذي إليه قصدت ، والغرض الذي إليه نزعْتَ .

ف قيل له : فإن ملَّ المستمعُ الإطالة التي ذكرت أنها أحقُّ بذلك الموضع ؟ قال : إذا أعطيت كلَّ مقامٍ حقَّه ، وقتَ بالذي يجب من سياسة الكلام ، وأرضيت مَنْ يعرف حقوقَ ذلك ، فلا تهتم لما فاتك من رضا الحاسد والعدو ؛ فإنهما لا يرَضيان بشيء ؛ فأما الجاهلُ فليستَ منه وليس منك ، ورضا جميع الناس شيءٌ لا يُنال .

[الإطالة والإيجاز]

وقد مدحوا الإطالةَ في مكانها ، كما مدحوا الإيجازَ في مكانه . قال أبو داود

[ابن جرير] في خطباء إباد :

يَرْمُونَ بِالخُطْبِ الطَّوَالِ ، وَتَارَةً وَحَى الْمَلَا حِظِ خَيْفَةَ الرِّقْبَاءِ^(٤)

قال أبو وجزة السعدي يصف كلام رجل :

(١) بين السامعين : الصغين . (٢) الخطل : السخف

(٣) ما وضعناه بين قوس أثبتته المؤلف توضيحاً لكلام ابن المقفع

(٤) المراد من وحى الملاحظ إشارة العيون .

يَكْفِي قَلِيلُ كَلَامِهِ ، وَكَثِيرُهُ ثَبَتٌ ، إِذَا طَالَ النَّضَالُ ، مُصِيبٌ^(١)
وَأَنشَدَ أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ الْمُبَرَّدُ^(٢) وَلَمْ يَسْمَعْ قَائِلَهُ ، وَهُوَ مَوْلِدٌ وَلَمْ يَنْقُصْهُ
تَوَلِيدُهُ مِنْ حِظِّ الْقَدِيمِ شَيْئًا :

طَبِيبٌ بَدَأَ فَنُوتَ الْكَلَامَ لَمْ يَمَعْ يَعْنى يَوْمًا وَلَمْ يَهْدِرْ
فَإِنْ هُوَ أَطْنَبَ فِي خُطْبَةٍ قَضَى لِلْمُطِيلِ عَلَى الْمُنْزَرِ^(٣)
وَإِنْ هُوَ أَوْجَزَ فِي خُطْبَةٍ قَضَى لِلْمَقْلِ عَلَى الْمَكْثَرِ
وَقَالَ آخِرُ يَصِفُ خَطِيبًا :

فَإِذَا تَكَلَّمَ خِلْتَهُ مَتَكَلَّمًا بِجَمِيعِ عِدَّةِ أَلْسِنِ الْخَطْبَاءِ
فَكَانَ آدَمُ كَانَ عَلَيْهِ الَّذِي قَدْ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْأَسْمَاءِ
وَكَانَ أَبُو دَاوُدَ يَقُولُ : تَلْخِصِ الْمَعَانِي رِفْقًا ، وَالِاسْتِعَانَةَ بِالْغَرِيبِ عَجْزًا ،
وَالْتَشَدُّقَ فِي الْإِعْرَابِ تَقْصُصًا ، وَالنَّظْرُ فِي عَيُونِ النَّاسِ عِيًّا ، وَمَسُّ اللَّحِيَةِ هُلْكَ ،
وَالخُرُوجُ عَمَّا بُنِيَ عَلَيْهِ الْكَلَامُ إِسْهَابًا .
وَقَالَ بَعْضُهُمْ يَهْجُو رَجُلًا بِالْعِي :

مَلِيٌّ يَبْهَرُ وَالتَّفَاتِ وَسَعَلَةٌ وَمَسْحَةٌ عَشْتُونَ وَفَتَلُ الْأَصَابِعِ^(٤)
وَوَصَفَ الْعَتَابِيَّ^(٥) رَجُلًا بَلِيغًا فَقَالَ : كَانَ يُظْهِرُ مَا تَغْمُضُ مِنَ الْحِجَّةِ ،
العتابي يصف
الرجل البليغ

(١) ثبت : مثبت (٢) كان المبرد إمام العربية ببغداد في زمانه ، وكان فصيحاً
بليغاً مفوهاً صاحب نواذر وظرف ، وكان جميلاً ، لاسياً في صباه ، ولما صنف المازني
كتاب الألف واللام سأل المبرد عن دقيقه وعويصه ، فأجابته بأحسن جواب ، فقال له :
قم فأنت المبرد ، بكسر الراء ، أي المثبت للحق ، فغيره الكوفيون وفتحوا الراء . ولد
في سنة ٢١٠ وتوفي سنة ٢٨٥ (٣) المنزر : المقل .

(٤) البهر : تابع النفس وانقطاعه من الإعياء . والعشون : اللحية .
(٥) العتابي : هو كلثوم بن عمرو . أصله من الشام من أرض قنسرين ، صحب
البرامكة ، ثم صحب طاهر بن الحسين وعلي بن هشام القائدين ، وكان حسن الاعتدال =

ويصور الباطل في صورة الحق ، ويُفهيك الحاجة من غير إعادة ولا استعانة .
 قيل له : وما الاستعانة ؟ قال : يقول عند مقاطع كلامه يا هناة ، واسمع ، وفهمت !
 وما أشبه ذلك . وهذا من أمارات العجز ، ودلائل الحصر ! وإنما ينقطع عليه
 كلامه فيحاولُ وصله بهذا ، فيكون أشدَّ لانتطاعه .

وكان أبو داود يقول : رأسُ الخطابة الطبع ، وعمودها الدُّربة ، وجناحها
 رِواية الكلام ، وحليها الإعراب ، وبهاؤها تخييرُ اللفظ ؛ والحجة مقرونة
 بقلة الاستكراه .

عدة الخطابة
 عند أبي داود

وقال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ : قال بعض جهابذة الألفاظ ، وتقاد
 المعاني : المعاني القائمة في صدور الناس ، المختلجة في نفوسهم ، والمتصورة في أذهانهم
 المتصلة بخواطرم ، والحادثة عن فكرهم ، مستورةٌ خفية ، وبعيدة وحشية ،
 ومحجوبة مكنونة ، وموجودة في معنى معدومة ، لا يعرف الإنسان ضميرَ صاحبه ،
 ولا حاجة أخيه وخليطه ، ولا معنى شريكه والمعاون له على أمره ، وعلى
 ما لا يبلغه من حاجات نفسه إلا بغيره ، وإنما يحيى تلك المعاني ذكركم لها ، وإخبارهم
 عنها ، واستعمالهم إياها .

منزلة اللفظ
 من المعنى عند
 الجاحظ

وهذه الخصالُ هي التي تقرِّبها من الفهم ، وتجلِّيها للعقل ، وتجعل الخفي منها
 ظاهراً ، والغائب شاهداً ، والبعيد قريباً . وهي التي تلخص الملتبس ، وتحل المنعقد ،
 وتجعل المهمل مقيّداً ، والمقيد مطلقاً ، والمجهول معروفاً ، والوَحْشِيَّ مألوقاً ،
 [والغفل موسوماً^(١) ، والموسوم معلوماً] ؛ وعلى قدرِ وضوح الدلالة ، وصواب

في رسائله وشعره ، يشبه في المحدثين بالنابغة في الجاهلية . ومن جيد شعره قوله في
 جعفر بن يحيى وقد كان بلغ الرشيد عنه ما أهدر به دمه فخلصه جعفر :

ما زلت في غمرات الموت مطرحة يضيق عنى فسيح الرأي من حيلي
 فلم تزل دائماً تسعى بلطفك لي حتى اختلست حياتي من يدي أجلى

وكانت وفاة العتابي سنة ٢٢٠

(١) الغفل : الذي لاعلامه له ، والموسوم : ذو العلامة ، من الوسم (م)

الإشارة ، وحُسن الاختصار ، ودقة المدخل ، يكون ظهورُ المعنى . وكلما كانت الدلالة أوضحَ وأفصحَ ، وكانت الإشارةُ أًبينَ وأنورَ ، كانت أنفعَ وأنجعَ في البيان . والدلالةُ الظاهرةُ على المعنى الخفي هو البيان الذي سمعت الله يمدحه ، ويدعو إليه ، ويحثُّ عليه ؛ بذلك نطق القرآن ، وبذلك تفاخرت العرب . وتفاضلت أصناف العجم .

والبيان : اسمٌ لكل شيءٍ كَشَفَ لك عن قناع المعنى ، وهَتَكَ لك الحُجُبَ دون الضمير ، حتى يُفِضِيَ السامعُ إلى حقيقته ، ويهجم على محصولة ، كأنما ما كان ذلك البيان ، ومن أي جنس كان ذلك الدليل ؛ لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائلُ والسامعُ إنما هو الفهم والإفهام ؛ فبأي شيءٍ بلغت الإفهامَ وأوضحتَ عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع .

ثم اعلمْ - حَفِظَكَ اللهُ ! - أن حُكْمَ المعاني خلافُ حُكْمِ الألفاظ ؛ لأنَّ المعاني مبسوطَةٌ إلى غير غاية ، وأسماء المعاني محصورةٌ معدودة ، ومحصلةٌ محدودة . وجميعُ أصنافِ الدلالات على المعاني من لفظٍ أو غيره خمسةُ أشياء لا تنقص ولا تزيد : أولها اللفظ ، ثم الإشارة ، ثم العقد ، ثم الخط ، ثم الحال التي تسمى نُصبة . والنُصبة هي الحالُ الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف ، ولا تقصُرُ عن تلك الدلالات .

ولكل واحدةٍ من هذه الدلائل الخمسة صورةٌ بائنة^(١) من صورةٍ صاحبها ، وحِلْيَةٌ مخالفةٌ لِحِلْيَةِ أُختها ؛ وهي التي تكشف لك عن أعيان المعاني في الجملة ، وعن حقائقها في التفسير ، وعن أجناسها وأقدارها ، وعن خاصها وعامها ، وعن طبقاتها في السارِّ والضارِّ ، وعمَّا يكبرُ منها لغواً بهرجاً^(٢) ، وساقطاً مُطَرَحاً .

(١) صورة بائنة : متميزة يظهر فرق ما بينها وبين صاحبها (م)

(٢) بهرج : ردى .

وفي نحو قول أبي عثمان « إنَّ المعاني غير مقصورة ولا محصورة » يقول أبو تمام الطائي لأبي دلف القاسم بن عيسى العجليّ :

ولو كان يفتي الشعرُ أفنته ما قرّت حياضك منه في العصور الذّواهب^(١)
ولكنه فيضُ العقولِ إذا انجلت سحابُ منه أُعقبت سحائبِ
كما أشار إلى قول أوس بن حجر الاسديّ :

أقول بما صبّت على غمامتي وجهدي في جبل العشيرة أحطب^(٢)

وقال بعضُ البلغاء : في اللسان عشرُ خصال^(٣) محمودة ، أداة يظهر بها البيان ، وشاهدٌ يخبر عن الضمير ، وحاكمٌ يفصل الخطاب ، وواعظٌ ينهى عن القبيح ، وناطقٌ يرّد الجواب ، وشافعٌ تدرك به الحاجة ، وواصفٌ تعرف به الأشياء ، ومُعربٌ يشكر به الإحسان ، ومُعزّزٌ تذهب به الأخران ، وحامدٌ يذهب الضغينة وموتقٌ يلهم الأسماع .

فضل اللسان

وقال أبو العباس بن المعتز : لحظة القلب أسرعُ خطرةً من لحظة العين ، وأبعدُ مجالاً ، وهي الفائضة في أعماق أودية الفكر ، والنائمة لوجود العواقب ، والجامعة بين ما غاب وحضر ، والميزانُ الشاهدُ على ما نفع وضرر ، والقلبُ كالمُتلى للكلام على اللسان إذا نطق ، واليد إذا كتبت ، والعاقِلُ يكسو المعاني وشيء الكلام في قلبه ، ثم يُبديها بالفاظ كواسٍ في أحسن زينة ، والجاهلُ يستعجلُ بإظهار المعاني قبل العناية بتزيين معارضها ، واستكمال محاسنها .

صلة اللفظ بالمعنى
عند ابن المعتز

وقيل لجعفر بن يحيى البرمكي : ما البيان ؟ قال : أن يكون الاسمُ يحيط بمعناك . ويكشف عن مغزأك ، ويخرجه من الشركة ، ولا يُستعان عليه

البيان
عند جعفر بن
يحيى البرمكي

(١) قرّت : أخذت (٢) يحطب في جبل العشيرة : أي يستعين بها كما يستعين الحاطب بالحبل . (٣) إذا عدت ما ذكره وجدته إحدى عشرة خصلة (م)

بالفكر ، ويكون سليماً من التكلف ، بعيداً من الصنعة ، بريئاً من التعقيد ، غنياً عن التأويل .

وذكر سهل بن هارون^(١) - وقيل ثمامة بن أشرس - جعفر بن يحيى فقال : قد جمع في كلامه وبلاغته الهدى والتمهل^(٢) والجزالة والحلاوة ، وكان يفهم إلهاماً يفنيه عن الإعادة للكلام . ولو كان يستغنى مستغنياً عن الإشارة بمنطقه لاستغنى عنها جعفر . كما استغنى عن الإعادة فإنه لا يتحسس^(٣) ولا يتوقف في منطقته ولا يتلجلج ، ولا يتسقل ، ولا يترقب لفظاً قد استدعاه من بعد ، ولا يتلمس معنى قد عصاه بعد طلبه له .

وقيل لبشار بن برود : بيم فقت أهل عمرك ، وسبقت أهل عصرك ، في حسن معاني الشعر ، وتهذيب ألفاظه ؟ فقال : لأنى لم أقبل كل ما تورده على قريحتي ، ويناجيني به طبعي ، ويبعثه فكري ، ونظرت إلى مغارس الفطن ، ومعادن الحقائق ، ولطائف التشبيهات ، فسيرت إليها بفهم جيد ، وغريزة قوية ، فأحكمت سبورها ، وانتقيت حُرّها ، وكشفت عن حقائقها ، واحترزت من متكلفتها ولا والله ما ملك قيادى قط الإعجاب بشيء مما آتني به .

وكان بشار بن برد خطيباً ، شاعراً ، راجزاً ، سجعاً ، صاحب منشور ومزدوج ، ويلقب بالمرعث لقوله :

(١) كان سهل بن هارون من الخطباء الشعراء الذين جمعوا الشعر والخطب والرسائل الطوال والقصار . وقعت آراؤه في الأدب وتدير الملك مفرقة في الكتب ، ولم يصل إلينا من مؤلفاته الكثيرة شيء يستحق الذكر . وقد أطلعني المسيو مارسيه في باريس على مذكرات مهمة قيد فيها ما عثر عليه من آثار ذلك الكاتب البليغ . وكانت وفاة سهل ابن هارون في سنة ١٧٣ (٢) الهد : السرعة (٣) في الأصل (يتحسن) وهو تحريف

مَنْ لِيْطْبِي مُرْعَثٍ سَاحِرِ الطَّرْفِ وَالنَّظَرِ^(١)
 قَالَ لِي لَنْ تَنَالَنِي قَلْتَ أَوْ يَنْغَلِبُ الْقَدْرُ

وليس هذا موضع استقصاء ذكره ، واختيار شعره ، وأسستقبل ذلك إن

شاء الله .

[وصية أبي تمام للبحترى]

وقال الوليد بن عبيد البحترى : كُنْتُ فِي حَدَاثَتِي أُرُومَ الشَّعْرِ ، وَكُنْتُ
 أَرْجِعُ فِيهِ إِلَى طَبْعِي ، وَلَمْ أَكُنْ أَقِفُ عَلَى تَسْهِيلِ مَأْخَذِهِ ، وَوَجْوهِ اقْتِضَابِهِ ،
 حَتَّى قَصَدْتُ أَبَاتِمَامَ ، وَانْقَطَعْتُ فِيهِ إِلَيْهِ ، وَاتَّكَلْتُ فِي تَعْرِيفِهِ عَلَيْهِ ؛ فَكَانَ
 أَوَّلَ مَا قَالَ لِي : يَا أَبَا عِبَادَةَ ؛ تَخَيَّرِ الْأَوْقَاتَ وَأَنْتَ قَلِيلُ الْهَمُومِ ، صِنْفُ
 مِنَ الْغَمُومِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْعَادَةَ جَرَتْ فِي الْأَوْقَاتِ أَنْ يَقْصِدَ الْإِنْسَانُ لِتَأْلِيفِ
 شَيْءٍ أَوْ حِفْظِهِ فِي وَقْتِ السَّحَرِ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ النَّفْسَ قَدْ أَخَذَتْ حِظَّهَا مِنَ
 الرَّاحَةِ ، وَقَسَطَهَا مِنَ النَّوْمِ ، وَإِنْ أَرَدْتَ التَّشْيِيبَ فَاجْعَلِ اللَّفْظَ رَشِيقًا ، وَالْمَعْنَى
 رَقِيقًا ، وَأَكْثِرْ فِيهِ مِنْ بَيَانِ الصَّبَابَةِ ، وَتَوَجَّعِ الْكِبَايَةَ ، وَقَلِّقِ الْأَشْوَاقَ ، وَلَوْعَةَ
 الْفِرَاقِ ، فَإِذَا أَخَذْتَ فِي مَدِيحِ سَيِّدِ ذِي أَيْدٍ فَأَشْهِرْ مَنَاقِبَهُ ، وَأَظْهِرْ مَنَاسِبَهُ ،
 وَأَبِنْ مَعَالِمَهُ ، وَشَرَفِ مَقَامَهُ ، وَنَضَّدِ الْمَعَانِي^(٢) ، وَاحْذَرِ الْمَجْهُولَ مِنْهَا ، وَإِيَّاكَ أَنْ
 تَشِينَ شِعْرَكَ بِالْأَلْفَاظِ الرَّدِيئَةِ ، وَلِتَكُنْ كَأَنَّكَ خِيَّاطٌ يَقْطَعُ الثِّيَابَ عَلَى مَقَادِيرِ
 الْأَجْسَادِ . وَإِذَا عَارَضَكَ الضَّجْرُ فَأَرِحْ نَفْسَكَ ، وَلَا تَعْمَلْ شِعْرَكَ إِلَّا وَأَنْتَ فَارِغُ
 الْقَلْبِ ، وَاجْعَلْ شَهْوَتَكَ لِقَوْلِ الشَّعْرِ الذَّرِيئَةَ^(٣) إِلَى حَسَنِ نَظْمِهِ ؛ فَإِنَّ الشَّهْوَةَ

(١) مرعث : يلبس الرعثة - بالضم - وهي القرط .

(٢) نضد : من التنضيد ، وهو ضم بعض الشيء إلى بعض .

(٣) الذريعة : الوسيلة .

زعم المعين . وجملةُ الحال أن تعتبر شعرك بما سلف من شعر الماضين ، فما استحسن العلماء قاصده ، وما تركوه فاجتنبه ، ترشد إن شاء الله .

قال : فأعملت نفسي فيما قال فوفقت على السياسة^(١) .

وقالوا : البليغ من يحوِّك الكلام على حسب الأمانى ، ويخيِّط الألفاظ على . وصف البليغ فدود المعاني .

ولذكر الطائى الليل ذكر بعض أهل العصر - وهو أبو على محمد بن الحسن ابن المظفر الحامى^(٢) - الليل فقال: فيه تجمُّ الأذهان^(٣) ، وتنقطع الأشغال ، ويصح النظر ، وتؤلف الحكمة ، وتدرّ الخواطر ، ويتسع مجالُ القلب ، والليل أضواءً فى مذاهب الفكر ، وأخفى لعمل البر ، وأعون على صدقة السر ، وأصح لتلاوة الذكر ، ومُدبرُّو الأمور يختارون الليلَ على النهار ، فيما لم تصف فيه الأناة لرياضة التدبيرِ وسياسة التقدير ، فى دَقْع الملم ، وإمضاء المهم ، وإنشاء الكتب ، وتصحيح المعانى ، وتقويم المباني ، وإظهار الحجج ، وإيضاح المنهج ، وإصابة نظم الكلام ، وتقريبه من الأفهام .

بعض
مزايال الليل
للحامى

وقال بعض رؤساء الكتاب : ليس الكتابُ فى كل وقتٍ على غير

(١) ارجع إلى تقد هذه الوصية فى كتاب (الموازنة بين الشعراء) .

(٢) كان الحامى حسن التصرف فى الشعر ، يجمع بين البلاغة فى النثر والبراعة فى

النظم ، وكان من خصوم المتنبى ، وله فى شعره عدة أبحاث . ومن جيد شعره قوله فى وصف الثريا :

وليل أقمنا فيه نعمل كأسنا إلى أن بدا للصبح فى الليل عسكر

ونجم الثريا فى السماء كأنه على حلة زرقاء جيب مدر

مات فى شهر ربيع الآخر سنة ٣٨٨ (٣) نجم : تترجى .

نسخة لم تُحرَّرَ بصواب ؛ لأنه ليس أحدٌ أولى بالأناة وبالروية من كاتب يعرض عقله ، وينشرُ بلاغته ؛ فينبغي له أن يعمل النسخ ويرويها ، ويقبل عفو القريحة ولا يستكرهها ، ويعمل على أن جميع الناس أعداء له ، عارفون بكتابه ، متقدون عليه ، متفرغون إليه .

فضل الروية
والأناة

وقال آخر : إن لا ابتداء الكلام فتنة تروق ، وجدة تعجب ، فإذا سكنت القريحة ، وعدل التأمل ، وصفت النفس ، فليعد النظر ، وليكن فرحُه بإحسانه ، مساوياً لغمّه بإساءته ؛ فقد قالت الخوارج لعبد الله بن وهب الراسبي : نبايعك الساعة فقد رأينا ذلك ، فقال : دَعُوا الرَّأْيَ حَتَّى يَبْلُغَ أُنَاتَهُ ، فإنه لا خيرَ في الرَّأْيِ الفَطِيرِ ، والكلام القضيبي^(١) .

وقال معاوية بن أبي سفيان رحمه الله لعبد الله بن جعفر : ما عندك في كذا وكذا ؟ فقال : أريد أن أصقلَ عقلي بنومة القائلة^(٢) ، ثم أروح فأقول بعد ما عدى قال الشاعر :

إن الحديث تفرُّ القومَ جَلَوْتُهُ حتى يغيَّرَه بِالوِزْنِ مَضْمَارُ^(٣)
فعد ذلك تستكفي بلاغته أو يستمرُّ به عِيٌّ وإِكْثَارُ
وقالوا : كلُّ مُجْرٍ بِالخَلَاءِ يُسْرُ^(٤) ، وقال أبو الطيب المتنبي :
وإذا ما خلا الجبانُ بأرضٍ طلبَ الطَّعْنَ وَحَدَه والنَّزَالَ

وكان قلم بن المقفع يقف كثيراً ، فقيل له في ذلك ، فقال : إن الكلام يزدد حِمُّ في صدري ، فيقف قلبي ايتخبر .

تخبر ابن المقفع
ما ورد عليه
من الكلام

(١) الرأي الفطير : الذي لم ينضج ، والكلام القضيبي : المرتجل (٢) نومة القائلة : نومة الظهيرة (٣) الجلوة : الزينة (٤) يريد أن الذي يجري فرسه بالخلاء يسر بظفره حيث لا مناضل ، وهو مثل في التهكم .

وقالوا: الكتابُ يُتصفح أكثر مما يتصفح الخطاب؛ لأن الكاتب متخير،
والمخاطب مضطر، ومن يزد عليه كتابك فليس يعلم أشرعت فيه أم أبطأت؛
وإنما ينظر الأخطاء أم أصبت؛ فإبطاؤك غير قادح في إصابتك، كما إن إسراعك
غير مُغَطِّ على غلطك.

يفتخر في
المخاطبة
ملا يفخر
في المكاتب

ووصف بعض الكتاب النسخ فقال: ينبغي أن يصحبها الفكر إلى استقرارها،
ثم تستبرأ بإعادة النظر فيها بعد اختيارها^(١)، ويوسع بين سُطورها، ثم تحرر على
ثقة بصحتها، وتأمل بعد التحرير حرفاً حرفاً إلى آخرها.

ما يجب
في النسخ

فقد كتب المأمون مُصحفاً اجتمع عليه؛ فكان أوله: بسم الله الرحيم، فأغفوا
الرحمن؛ لأن العين لا تعتبر ذلك؛ ثقة أنه لا يُغَطِّ فيه، حتى فطن المأمون له.
وقال محمد بن عبد الملك الزيات للحسن بن وهب: حرر هذه النسخة وبكر
بها، فتصيح الحسن^(٢) فقال له: لم تصبحت؟ قال: حتى تصفحت!

وقال أحمد بن إسماعيل بطاحه: كان بعض العلماء الأغبياء ينظر في نسخه
بعد نفوذ كتبه، فقال بعض الكتاب:

مُسْتَلَبُ اللَّبِّ غَوِيُّ الشَّبَابِ عَذْبُهُ الْمَجْرُ أَشَدُّ الْعَذَابِ
يُؤْمَلُ الصَّبْرُ وَأَتَى لَهُ بِهِ وَقَدْ مُكِّنَ مِنْهُ التَّصَابُ
كَنَاظِرٍ فِي نَسْخَةٍ يَبْتغَى إِصْلَاحَهَا بَعْدَ نَفْوذِ الْكِتَابِ

أوصاف بليغة في البلاغات

على السنة أفوام من أهل الصناعات

قال بعض من ولد عقائل هذا المنثور، وألف فواصل هذه الشذور: تجمّع

(١) تستبرأ: تجفف - كذا وليس مقصود، ولكن المراد معاودة النظر فيها ليتعرف

كاتبها ما فرط منه إن كان فيتداركه (م) (٢) تصيح: تأخر عن الحضور صباحاً.

قوم من أهل الصناعات ، فوصفوا بلاغاتهم ، من طريق صناعاتهم^(١) :
 فقال الجوهري : أحسنُ الكلامِ نظاماً ما تقبته يدُ الفكرة ، ونظمتها الفطنة ،
 ووُصِلَ جوهرُ معانيه في سموط^(٢) ألفاظه ، فاحتلمته محورُ الرواة .
 وقال العطار : أطيّبُ الكلامِ ما عَجِنَ عَنْبَرُ أَلْفَاظِهِ بِمَسْكِ مَعَانِيهِ ، ففاح
 نَسِيمُ نَشَقِهِ ، وسطمت رائحة عبقه ، فتعلقت به الرّواة ، وتعطّرت به السّراة .
 وقال الصائغ : خيرُ الكلامِ ما أحميته بكبير الفكر^(٣) ، وسبكته بمشاعل
 النّظر ، وخلصته من خبث الإطناب ، فبرز بروز الإبريز^(٤) ، في معنى وجيز .
 وقال الصيرفي^(٥) : خيرُ الكلامِ ما نقدته يدُ البصيرة ، وجلته عين الروية ،
 ووزنته بمقيار الفصاحة ، فلا نظريز يفة^(٦) ، ولا سماع يبهرجه^(٧) .
 وقال الحداد : أحسن الكلام ما نصبت عليه منفخة القريحة ، وأشعلت عليه
 نارَ البصيرة ، ثم أخرجته من فحم^(٨) الإلخام ، ورققته بقطيس الإفهام^(٩) .
 وقال النجار : خيرُ الكلامِ ما أحكمت نجرَ معناه بقدوم التقدير ، ونشّرتَه
 بمنشار التدبير ، فصار باباً لبيت البيان ، وعارضة لسقف اللسان .
 وقال النجاد : أحسنُ الكلامِ ما لطفت رَفَارِفُ أَلْفَاظِهِ^(١٠) ، وحسنت مطارح

(١) هذا نوع من فن المقامات الذي ذاع في القرن الرابع بفضل أبي بكر بن دريد
 وبديع الزمان ، وقد ترجمت هذا الحديث إلى اللغة الفرنسية في كتابي .

La prose arabe au IV^e siècle de l'hégire

(٢) السموط : جمع سمط - بالكسر - وهو خيط النظم

(٣) الكير بالكسر : هو منفخة الحداد (٤) الإبريز : هو الذهب الخالص

(٥) الصيرفي : صراف الدراهم ، والجمع صيارفة ، وجاء في الشعر صياريف

(٦) زاف الدراهم وزيفها : حكم برداءتها (٧) يبهرجه : يحكم بأنه بهرج ،

والبهرج : الباطل والردى . (٨) الإلخام : العجز عن البيان ، ومنه : شاعر

مفحم ، على صيغة المفعول (٩) القطيس : المطرقة

(١٠) الرفارف : الأطراف ، مفرد هارفر - وهي ثياب خضر تبسط (م)

معانيه، فنزهت في زرابي محاسنه عيون الناظرين^(١)، وأصاحت لثمارق^(٢) بهجته آذان السامعين .

وقال الماتح : أبين الكلام ما عقلت ودم أفاظه بيكرة معانيه^(٣) ، ثم أرسلته في قلب الفطن^(٤) فتحت به سقاء يكشِفُ الشهات ، واستنبطت به معنى يروى من ظما المشكلات .

وقال الخياط : البلاغة قيص ؛ فجرُّبانه البيان^(٥) ، وجيبه المعرفة ، وكماه الوجازة ، ودخارِيصه الإفهام^(٦) ، ودُرُوزُه الحلاوة^(٧) ، ولابسُ جسدُه اللفظ ، وروحُه المعنى .

وقال الصباغ : أحسن الكلام ما لم تنض بهجة إيجازه^(٨) ، ولم تكشف صبغة إعجازه ، قد صقلته يدُ الرويَّة من كمود الإشكال ، فراع كواعب الآداب ، وألف عذارى الألباب .

وقال الحايك : أحسنُ الكلام ما اتصَّلت حمة أفاظه بسدى معانيه^(٩) فخرج مُفوّفاً مُنيراً ، وموشى محبّراً .

وقال البراز^(١٠) : أحسن الكلام ما صدق رقم أفاظه ، وحسن نشر معانيه فلم يستعجم عنك نشر ، ولم يستبهم عليك طي .

وقال الرائض : خيرُ الكلام ما لم يخرج عن حدِّ التخليع^(١١) ، إلى منزلة

(١) الزرابي : واجدها زربي - بالكسر ويضم - وهو كل ما بسط واتكى ، عليه

(٢) الثمارق : واحدها الثمرقة - بالتثنية - وهي الوسادة الصغيرة

(٣) الودم : الدنو (٤) القلب : البئر

(٥) الجربان : الطوق (٦) الدخارِيص : فتحات الأزرار

(٧) الدرُوز : الأطراف الرقاق (٨) لم تنض : لم تمح

(٩) اللحمة والسدى : ما يسدى ويلحم به الثوب (١٠) البراز : بائع البر . بالفتح ،

وهو الثياب أو متاع البيت من الثياب (١١) التخليع : هز المنكبين في المنى (م)

التَّقْرِيبُ^(١) إلا بعد الرياضة ، وكان كالمُهْرِ الذي أطمع أولُ رياضته في تمام ثقافته .
وقال الجمال : البليغُ من أخذَ بِخِطَامِ كَلَامِهِ ، فَأَنَاخَهُ فِي مَبْرَكِ الْمَعْنَى ، ثُمَّ
جَلَّ الْاِخْتِصَارَ لَهُ عِقَالًا ، وَالْإِيجَازَ لَهُ تَجَالًا ، فَلَمْ يَنْدَ عَنِ الْآذَانِ ، وَلَمْ يَشُدَّ
عَنِ الْأَذْهَانِ .

وقال الخنث : خَيْرُ الْكَلَامِ مَا تَكَسَّرَتْ أَطْرَافُهُ ، وَتَشَتَّتْ أُعْطَافُهُ ، وَكَانَ
لَفْظُهُ حُلَّةً ، وَمَعْنَاهُ حِلْيَةً .

وقال الخمار : أَبْلَغُ الْكَلَامِ مَا طَبَخْتَهُ مَرَّاجِلُ الْعِلْمِ ، وَصَفَّاهُ زَاوُوقُ الْفَهْمِ ،
وَضَمَّتْهُ دِنَانُ الْحِكْمَةِ ، فَتَمَشَّتْ فِي الْمَفَاصِلِ عُدُوبَتُهُ ، وَفِي الْأَفْكَارِ رِقَّتُهُ ، وَفِي
الْعُنُونِ حَدَّتُهُ .

وقال الفقاعي : خَيْرُ الْكَلَامِ مَا زَوَّحَتْ أُنْفَاضُهُ غَبَاوَةَ الشُّبْكَ ، وَرَفَعَتْ
رِقَّتَهُ فِظَازَةَ الْجَهْلِ ، فَطَابَ حِسَابُ فِطْنَتِهِ ، وَعَذُوبٌ مَعْنَى جُرْعَتِهِ .
وقال الطيب : خَيْرُ الْكَلَامِ مَا إِذَا بَاشَرَ [دَوَاءً] بَيَانَهُ سَقَمَ الشُّبْهَةِ اسْتَطَلَّتْ
طَبِيعَةُ الْغَبَاوَةِ ؛ فَشَفِيَ مِنْ سُوءِ الْفَهْمِ ، وَأُورِثَ صِحَّةَ التَّوَهُّمِ .

وقال الكحَّال : كَمَا أَنَّ ارْمَدَ قَدَى الْأَبْصَارِ ، فَكَذَا الشُّبْهَةُ قَدَى الْبَصَائِرِ ،
فَاكْحَلْ عَيْنَ اللَّكْنَةِ بِمِيلِ الْبَلَاغَةِ ، وَاجْلُ رَمَصِ الْغَفْلَةِ^(٢) بِمَرُودِ الْيَقِظَةِ .
ثم قال : أَجْمَعُوا كَلِمَهُمْ عَلَى أَنْ أَبْلَغَ الْكَلَامِ مَا إِذَا أَشْرَقَتْ شَمْسُهُ ، انْكَشَفَ
لَبْسُهُ ، وَإِذَا صَدَقَتْ أَنْوَاؤُهُ^(٣) اخْضُرَّتْ أَحْمَاؤُهُ^(٤) .

فَقَرُّ فِي وَصْفِ الْبَلَاغَةِ لغير واحد

قال أعرابي : الْبَلَاغَةُ التَّقَرُّبُ مِنَ الْبَعِيدِ ، وَالتَّبَاعُدُ مِنَ الْكُلْفَةِ ، وَالِدَلَالَةُ
بِقَلِيلٍ عَلَى كَثِيرٍ .

(١) التَّقْرِيبُ : صَرْبٌ مِنَ الْعَدْوِ . أَوْ هُوَ أَنْ يَرْفَعَ الْجَوَادُ يَدَيْهِ مَعًا وَيَضَعُهُمَا مَعًا

(٢) الرَّمَصُ : وَسْخٌ أَيْضٌ يَجْتَمِعُ فِي مَوْقِ الْعَيْنِ

(٣) الْأَنْوَاءُ : جَمْعُ نَوْءٍ ، وَهُوَ النُّجُومُ مَالٌ لِلْغُرُوبِ ، وَالْمُرَادُ بِهِ هُنَا الْمَطَرُ

(٤) الْأَحْمَاءُ : جَمْعُ حَمَى ، وَهُوَ الْمَكَانُ يَحْمِيهِ الرَّجُلُ وَيَمْنَعُهُ

قال عبد الحميد بن يحيى : البلاغةُ تقريرُ المعنى في الأفهام ، من أقرب وجود الكلام .

ابن المعتز : البلاغةُ البلوغُ إلى المعنى ولم يطل سفرَ الكلام .

سهل بن هارون : البيان ترجمان العقول ، ورؤوس القلوب ، وقال : العقل رائدُ الروح ، والعلمُ رائدُ العقل ، والبيان ترجمان العلم .

إبراهيم بن الإمام : يكفى من البلاغة ألا يؤتَى السامع من سوء إفهام الناطق ، ولا يؤتَى الناطق من سوء فهم السامع .

العتابي : البلاغة مذهب الكلام بمعانيه إذا قصر ، وحسن التأليف إذا طال .

أعرابي : البلاغة إيجاز في غير عجز ، وإطناب في غير خطل .

[وكتب إبراهيم بن المهدي إلى كاتب له ورآه يتبع وحشيَّ الكلام : إياك وتتبع الوحشي طمعاً في نيلِ البلاغة ؛ فإن ذلك العيُّ الأكبر ، وعليك بما سهل مع تجنبك ألقاظ السفلى .

وقال الصولي : وصف يحيى بن خالد رجلاً فقال : أخذ بزمام الكلام ، فقادَه أسهل مقاد ، وساقه أجمل مساق ؛ فاسترجع به القلوبَ النافرة ، واستصرف به الأبصار الطامحة .

وسمع أعرابي كلامَ الحسن البصري رحمه الله ، فقال : والله إنه لفصيح إذا نطق ، نصيح إذا وعظ .

قال الجاحظ : ينبغي للكاتب أن يكون رقيقَ حواشي الكلام ، عذبَ ينابيع اللسان ؛ إذا حاور سدّد سهمَ الصواب إلى غرض المعنى ، لا يكلم الخاصة بكلام العامة ، ولا العامة بكلام الخاصة .

وقال أبو العباس المبرد : قال الحسن بن سهل لسالم الحراري : ما المنزلة التي إذا نزل بها الكاتب كان كاتباً في قوله وفعله واستحقاقه ؟ قال : أن يكون مطبوعاً على المعرفة ، مُحْتَنَكاً بالتجربة ، عارفاً بجلال الكتاب وحرامه ، وبالدهور في تصرفها

وأحكامها ، وبالمملوك في سِيرِهَا وأيامها ، وأجاس الخط ، وبادية الأقلام ، مع
تشاكل اللفظ وقرب المأخذ . قال الحسن : فليس في الدنيا إذاً كاتب [.
وقيل لليوناني : ما البلاغة ؟ قال : تصحيح الأقسام ، واختيار الكلام .
وقيل للرومي : ما البلاغة ؟ قال : حسنُ الاقتضاب عند البدأهه ، والغزارة
يومَ الإطالة .

وقيل للهندي : ما البلاغة ؟ قال : وضوح الدلالة ، وانتهاز الفرصة ،
وحسن الإشارة .

وقيل للفارسي : ما البلاغة ؟ قال : معرفةَ الفصل من الوصل .
وقال علي بن عيسى الرُّمَّاني : البلاغةُ إيصالُ المعنى إلى القلبِ في أحسن
صورةٍ من اللفظ .

ومن كلام أهل العصر ، في صفة البلاغة والبلغاء

[قال علي بن عيسى الرماني] : أبلغ الكلام ما حسنَ إيجازه ، وقلَّ مجازده ،
وكثرَ إعجازه ، وتناسبتْ صدوره وأعجازه .

أبلغُ الكلام ما يؤنسُ مُسمِعَه ، ويؤنسُ مضيقَه .

البلغ من يجتنى من الألفاظ أنوارها ^(١) ، ومن المعاني ثمارها .

ليست البلاغةُ أن يُطالَ عِنَانُ القلمِ أو سِنَانُه ، أو يُبَسِّطَ رِهَانُ القولِ
ومِيدَانُه ، بل هي أن يبلغَ أمدَ المرادِ بألفاظِ أَعْيَانِ ، ومعانِ أَفْرَادِ ، من حيث
لا تَزِيدُ على الحاجة ، ولا إخلالٌ يُفِضِي إلى الفاقة .

البلاغة ميدانٌ لا يُقَطَعُ إلا بسوابق الأذهان ، ولا يُسَلَّكُ إلا ببصائر البيان .
فلان يعبث بالكلام ، ويقوده بألين زمام ، حتى كأنَّ الألفاظَ تَتَحَاسَدُ
في التسابق إلى خواطره ، والمعاني تتفايرُ في الانثيال على أنامله .

هذا كقول أبي تمام الطائي :

تَغَايَرَ الشَّعْرُ فِيهِ إِذْ سَهَرَتْ لَهُ حَتَّى ظَنَنْتُ قَوَافِيهِ مَسْتَقْتَلِ

(١) الأنوار: جمع نور - بفتح النون وسكون الواو - وهو الزهر، أو الأيض منه (م)

فلان مشرفى المشرق ، وصَيْرَفَى المنطق . البيانُ أَصْفَرُ صفاته ، والبلاغةُ
عَفْوٌ خطرته . كأنما أوحى بالتوفيق إلى صَدْرِهِ ، وحسن الصواب بين
طَبْعِهِ وفكره .

فلان يَجْزَى مَفَاصِلَ الكلام ، ويسبق فيها إلى دَرَكِ المرام ، كأنما جمع الكلام
حولَه حتى انتقى منه وانتخب ، وتناول منه ما طاب ، وترك بعد ذلك أَذْنَابًا
لا رِيسًا ، وأجسادًا لا نفوسًا .

فلان يَرْضَى بعفو الطَّبَعِ ، ويقنع بما خفَّ على السمع ، ويُوْجِزُ فلا يُغْلِثُ ،
ويُطْنِبُ فلا يُمَلِّ ، لله فلان أخذ بِرِزْمَةِ القول يقودها كيف أراد ، وَيَجْذِبُهَا أَنَّى
شاء ، فلا تعصيه بين الصَّعْبِ والذَّلُولِ ، ولا تسلمه عند الحزونة والسهول ، كلامه
يشتدُّ مرَّةً حتى تقول الصَّخْرَ الأملس ، ويلين تارةً حتى تقول الماءَ أو أسلس ،
يقول فيصُولُ ، ويُجِيبُ فيصِيبُ ، وَيَكْتُبُ فيطبِقُ المَفْصِلُ ، أو يُنَسِّقُ الدرَّ
المفصَّلَ ، ويريدُ مَشَارِعَ الكلامِ وهي صَافِيَةٌ لم تُطْرَقْ ، وجامَّةٌ لم تُرَنَّوْ^(١) ،
خاطِرُهُ البرقُ أو أسرعُ لمعا ، والسَّيْفُ أو أَحَدُ قَطْعَا ، والماءُ أو أسلسُ جَرِيًّا ،
والفلكُ أو أقومُ هَدْيًا ؛ هو ممن يسهلُ الكلامَ على لفظه ، وتزاحمُ المعاني على
طَبْعِهِ ، فيتناول المرَمَى البعيدَ بقريب سَمِيهِ ، ويستنبطُ المَشْرَعَ العميقَ يسيرِ
جَرِيهِ ، لسانه يَفْلِقُ الصُّخُورَ ، ويغيضُ البحورَ ، وَيُسْمِعُ الضَّمَّ ، ويستنزلُ
العُصْمَ^(٢) ، خطيبٌ لا تناله حُبْسَةٌ ، ولا ترتنه لُكْنَةٌ ، ولا تمشى في خطابه
رنةٌ ، ولا تتحيفُ بيانه عُجْمَةٌ ، ولا تعترضُ لسانه عُقْدَةٌ .

فلان رقيقُ الأَسَلَةِ ، عذبُ العذبةِ^(٣) لوُضِعَ لسانه على الشعرِ حَلَقَهُ ، أو

(١) جامئة لم ترنق : ساكنة لم تعكر (٢) العصم : جمع أعصم ، وهو الوعل يعتم

بالجبال (٣) المراد من الأَسَلَةِ والعذبة طرف اللسان

على الصَّخْرَ قَلَقَهُ ، أو على [الجر أحرقه ، أو على] الصَّفَا خرقه ^(١) ؛ قد أحسن
السَّفارة ، واستوفى العبارة ، وأدَّى الألفاظ ، واستغرق الأغراض ، وأصاب
شواكلَ المراد ^(٢) ، وطَبَّقَ مَفَاصِلَ السَّدَادِ ، وبسط لسانَ الخطاب ، ومدَّ أظناب
الإظناب ^(٣) ، وطلب الأمدَ في الإسهاب ، قالَ حتى قال الكلامُ : لو أُعفيت !
وكتب حتى قالت الأقاليمُ : قد أُحفيت ، قد اتَّسع له مَشْرَعُ الإظناب ، وانفرجَ له
مَسَلَكُ الإسهاب ، أرسل لسانَه في مِيدَانِهِ ، وأرخى له من عنانه ، قال وأطال ،
وجالَ في بَسَطِ الكلامِ كلَّ مجال ، إذا اسْحَنَفَر في الكلامِ طَفَحَ آذِيَهُ ، وسال
أَتِيَهُ ^(٤) ، واثال عليه الكلامُ كاثيَّال الغمام ، واستجاب له الخطاب كصوب
الرَّباب ^(٥) . ألفاظٌ كغمزات الألفاظ ، ومعانٍ كأنها فكُّ عانٍ ^(٦) ! أنفاظ
كما نورَّت الأشجار ، ومعانٍ كما تنفست الأشجار . ألفاظٌ قد استعارت حلاوة
العِتَابِ بين الاحباب ، واستلانت كتشكى مشاق يوم الفراق . كلامٌ قريب
شاسِعٌ ^(٧) ومُطمع مانِع ، كالشمس تُقرب ضياء ، وتبعد علا ، أو كالماء
يَرُخص موجوداً ، ويغلو مفقوداً . كلامٌ لا تَمُجُّه الآذان ، ولا تُبليهِ الأزمان ،
كالبُشرى مسموعة ، أو أزاهير الرياض مجموعة ، ومعانٍ كأنفاس الرياح ،
تَعْبِقُ بِالرَّيْحَانِ والراح .

كلامٌ سهلٌ متسلسل ، كالمدام بماء الغمام ، يقرب إذنه على الأفهام .

كلامٌ كبرُّد الشَّرَابِ على الأكباد الحِرَّارِ ، وكبرُّد الشباب في خلع العِذار .

كلامٌ كثيرُ العيونِ ، سَلِسُ المتونِ ، رقيقُ الحواشي ، سهلُ النواحي .

(١) الصفا : الصخر (٢) الشواكل : جمع شاكلة ، وهي ما بين الأذن والصدغ

(٣) الأظناب : الجبال ، واحدها ظنب بضمين ، نظير عنق وأعناق (م)

(٤) الآذنى : الموج ، والآتى : السيل ، واسحنفر : اتسع - وأصل معناه مضى

مسرعاً (م) (٥) الرباب : السحاب . (٦) عان : أسير . (٧) شاسع : بعيد

كلامٌ هو السَّحْرُ الحلالُ ، والماء الزُّلالُ ، والبُرود والحَبْر ، والأمثال والعِبْر ،
والنعم الحاضر ، والشباب النَّاضِر .

نظرت منه إلى صورة الظرف بِحَتًّا ، وصورة للبلاغة سَبَّكَا ونَحْتًا ، ألفاظ
هي خُدَع الدهر ، وعُقَد السحر .

كلامٌ يسر المحزون ، ويسهل الحزون^(١) ، ويعطل الدر المحزون . كلامٌ بعيد
من الكلف ، نقيٌّ من الكدِّ^(٢)

كلامٌ كما تنفس السَّحْر عن نسيه ، وتبسم الدر عن نظيمه . ألفاظ تأنق
الخطر في تذهيبها ، ومعانٍ عني الفهمُ تهذيبها . ألفاظ حسبها من رقتها منسوخة
في صحيفة الصبا ، وظننتها من سلاستها مكتوبةً في نحر الهوى .

كلامٌ كالبُشرى بالولد الكريم ، قرع به سمعُ الشيخ العقيم .

كلامٌ قُرْب حتى أطمع ، وبعُد حتى امتنع ، وقُرْب حتى صار قاب قوسين
أو أدنى ، ثم [سما و] علا حتى صار بانئزل الأعلى . رقيق المزاج ، حلو السماع ،
نقى السَّبك ، مقبول اللفظ . قرأت لفظاً جلياً ، حوى معنى خفياً ، وكلاماً
قريباً ، رمى غرضاً بعيداً . لو أن كلاماً أُذيب به صخر ، أو أُطِنَّ به جمر ،
أو عُوفى به مريض ، أو جُبر به مهيب^(٣) لكان كلامه الذي يقود سامعيه إلى
السجود ، ويجرى في القلوب كجرى الماء في العود . ألفاظه أنوار ، ومعانيه
ثمار . كلامه أنسُ المقيم الحاضر ، وزادُ الراحل المسافر . كلامه يُضني إليه القبور ،
وينتفض له العصفور . كلامٌ يقضى حقَّ البيان ، ويملك رِقَّ الحُسن والإحسان ،
كلامٌ منه يجتنى الدر ، وبه يُعقدُ السَّحْر ، وعنده يُعْتَب الدهر^(٤) ، وله
ينشرح الصدر .

(١) الحزون : جمع حزن — بفتح الحاء — وهو ماغلظ من الأرض .

(٢) الكلف : نمش في الوجه ، لم تسلم منه بصفحة القمر ؛ (٣) مهيب : مكسور

(٤) يعتب : يصفو ، من أعتب إذا ترضى وأزال أسباب العتب

ومن ألفاظهم في وصف النظم والنثر والشعر والشعراء

نثر كثر الورد ، نَظْمٌ كَنَظْمِ العِقْدِ . نثر كالسحر أو أدقُّ ، ونظمٌ كالماء
 أو أرقُّ . رسالة كالرَّوْضَةُ الأنيقة ، وقصيدة كالخُدْرَةُ الرشيقة . رسالة تقطرُ ظَرْفًا ،
 وقصيدة تمزجُ بماء الرِّاحِ لطفًا . نثره سِحْرُ البَيانِ ، ونظمه قِطْعُ الجِمانِ . نثرٌ
 كما تفتِّحُ الزَّهرُ ، ونظمٌ كما تنفِّسُ السَّحَرُ . نثرٌ ترقُّ نواحيه وخواشيه ، ونظمٌ
 تروقُ ألفاظه ومعانيه . نثرٌ كالخديقة تفتِّحُ أهداقَ ورديها ، ونظمٌ كالخريذة
 تورَّدتْ أسرارُ خدِّها^(١) . رسالة تضحك عن غررِ وزهر ، وقصيدة تنطوي
 على حبرٍ ودُررٍ . لم ترضَ في برك ، بأخوات النثرة من نثرِك ، حتى وصلتِها
 بينات الشعري من شعرك^(٢) . كلامٌ كما هبَّ نسيمُ السحر ، على صفحات الزهر ،
 ولذَّ طعمُ الكرى بعد بريح السهر^(٣) . وشعرٌ في نفسه شاعر ، تؤسم به المواسم
 والمشاعر . كلامٌ أنسى حلاوة الأولاد بحلاوته ، وطلاوة الربيع بطلاوته ، وشعرٌ من
 حلَّةِ الشباب مسروق ، ومن طينة الوصال مخلوق . قصيدة ، في فنِّها فريدة ، هي
 عروسٌ كسوتها القوافي ، وحديثها المعاني . شعرٌ يترقُّ في ماء الطبع ، ويرتفع
 له حجابُ القلب والسمع . شعرٌ لا مزية الإيجازِ أخطأته ، ولا فضيلة الإيجازِ
 تحطَّته . شعرٌ رويته لما رأيته ، وحفظته لما لحظته . أبياتٌ لو جعلت خلعاً
 على الزمان لتحلَّى بها مكآثراً ، وتجلَّى فيها فناخيراً . شعرٌ راقني ، حتى شاقني ،
 فإنه مع قُربِ لفظه بعيدُ المرام ، مُمرُّ النظام^(٤) ، قويُّ الأثر^(٥) ، صافي البخر .
 نظمٌ قد ألبس من البداوة فصاحتها ، وغشى من الحضارة سجاجتها^(٦) ؛ فإن

(١) الخريذة : الفتاة المخدرة
 (٢) النثرة : اسم كوكب ؛ وكذلك الشعري
 (٣) بريح السهر : شدته
 (٤) ممر النظام : قويه محكمه (م)
 (٥) الأثر : إحكام الحلقة
 (٦) السجاجة : استواء الصورة

شئت قلت عبيد ولبيد، وإن شئت حبيب والوليد^(١). قصيدته روضة تجتنى
بالأفكار، ونقل يتناول بالأسماع والأبصار^(٢)، ونقل العلم والأدب، ألد من نقل
الماكل والمشرب، وفاكهة الكلام، أطيب من فاكهة الطعام. نظم كنظم
الجمان، وروض كالجمان، وأمن الفؤاد، وطيب الرقاد. قصيدة لم أر غيرها بكراً،
استوفت أقسام الحنكة، واستكملت أحكام الدرابة^(٣)؛ فليها رونق
شباب، ولها قوة المذكيات الصلاب^(٤)، روح الشعر، وتاج الدهر، ومقدمة
سائر السحر. كل بيت شعر خير من بيت تثر. شعر يحكمه بالإيجاز والتبريز،
ويشبهه في صفاء سبكه بالذهب الإبريز. شعر تاتلف القلوب على درره اثلافاً،
وتصير الأذان له أصدافاً. لله دره ما أحلى شعره! وأذنى دره، وأعلى قدره، وأعجب
أمره! قد أخذ برقاب القوافي، ومالك ريق المعاني، فضله برهان حق، وشعره
لسان صدق. فلان يغرب بما يجلب، ويبدع فيما يصنع، حسن السبك،
محكم الرصف، بديع الوصف، مرغوب في شعره، متنافس في سحره. هو
ضرب في قداح الشعر بأعلى السهام، أخذ في عيون الفضل بأوفى الأقسام، شعاره
أشعاره، ودابه آدابه، هو من يبتدئه فيبتدع، طبعه يملى عليه، مالا يمال الاستماع
إليه. قرينة غير قرينة، وطبع غير طبع^(٥)، وخيم غير وخيم، لبيد عنده بليد،
وعبيد لده من العبيد، والفرزدق عنده أقل من فرزدقة خمير^(٦)، وجريير يقاد
بنيه بجريير^(٧) قد نسج خللاً لا يُبلى جدتها الجديدان، ولا تزداد إلا حسناً على

(١) عبيد بن الأبرص: شاعر جاهلي وليد بن ربيعة العامري: شاعر مخضرم،
وحبيب هو أبو تمام بن أوس الطائي. والوليد هو أبو عبادة الوليد البحرى: شاعران
من شعراء العصر العباسي (م). (٢) النقل: ما ينتقل به من أنواع القواكه على الشراب
(٣) الحنكة: التجربة، والدرابة: التمرين
(٤) المذكيات والمذاكي: الخيول بلغت سن القوة
(٥) غير طبع: غير لثيم، وهي من طبع السيف، على وزن علم، إذا ركه
الصدأ الكثير (٦) الفرزدقة: القطعة من العجين (٧) الجريير: الحبل.

تردُّ الأزمان . نظمه قد نظم حاشيتي البرِّ والبحر ، وأدرك ناحيتي الشرق والغرب . أشعارُ قد وردت المياه ، وركبت الأفواه ، وسارت في البلاد ، ولم تسير بزاد ، وطارَتْ في الآفاق ، ولم تمش على ساق . شعره أسير من الأمثال ، وأسرى من الخيال ، سار مسير الرياح ، وطار بغير جناح . أشعاره سارت مسير الشمس ، وهبت هبوب الريح ، وطبقت تخوم الأرض ، وانتظمت الشرق إلى الغرب . قد كادت الأيام تنشدها ، والليالي تحفظها ، والجن تدرسها ، والطيور تتغنى بها . آيات أسفر عنها طبع المجد ، فعلت كيف يتكسر الزهر على صفحات الحدائق ، وكيف يفرس الدر في رياض المهارق^(١) . شعره قد أحسن خدمته بكمال فكره ، ووقف كيف شاء عند عالي أمره . شعره يُعلق في كعبة المجد ، ويتوج به مفرق الدهر . جاءت القصيدة ومعها عزة الملك ، وعليها زوايا الصدق ، وفيها أسياء العلم ، وعندها لسان المجد ، ولها صيال الحق ، لا غرو إذا قاض بحر العلم على لسان الشعر أن ينتج مالا عين وقعت على مثله ولا أذن سمعت بشبهه . شعر يكتب في غرة الدهر ، ويشرح في جبهة الشمس [والبدر] .

وهذه جملة من فصول أهل العصر تليق بهذا الموضوع

كتب أبو الفضل بن العميد إلى أبي محمد خلاد الرامهرمزي القاضي

«وصل كتابك الذي وصلت جناحه بفنون صلاتك وتفقدك ، وضروب برِّك وتعهدك ؛ فارتحت لكل ما أو لئت ، وابتهجت بجميع ما أهديت ، وأضفت إحسانك في كل فصل إلى نظائره التي وكلت بها ذكري ، ووقفت عليها شكري ، وتاملت النظم فلكني العجب به ، وبهرني التعجب منه ، وقد زمت أن أجرى على العادة في تشبيهه بمستحسن من زهر جنِّي ، وحلِّ وحلِّي ، وشذور الفرائد ، في نحو الفرائد .

من ابن العميد
إلى خلاد
الرامهرمزي

(١) المهارق: جمع مهرق - على صفة المفعول - وهو الصحيفة البيضاء يكتب فيها .

والعذارى غَدَوْنَ فِي الحلالِ اليه ضروقد رُحْنٍ فِي الخَطوطِ السُّودِ
فلم أرد لشيء عدلاً ، ولا أرضى ما عددته له مثلاً ؛ والله يزيدك من فضله
ولا يُخْلِكُ من إحسانه ، ويلهمك من برِّ إخوانك ما تتمم به صنيعك لديهم ،
ويُرَبِّ معاً إحسانك إليهم .

وكتب أبو القاسم إسماعيل بن عباد الصاحب إلى أبي سعيد الشيبى :

« قد رأى شيخُ الدولتين كيف الكَلَفُ بسادتي من أهل ميكال - أيدهم
الله ! - بين ودَّ أضمره على البعد ، وإيثارَ أظهره على تراخي المزار ، وتقرِيظٍ يمليه على
المَلَوَانِ^(١) ، ومدحٍ أنطقُ فيه بلسان الزمَانِ ، حتى إن ذِكْرَهُمْ إذا جرى على
لساني اهتزت له نفسي ، وفضلهم إذا جرى على سمعي انفرج له صدري ، فتلك
عصبةٌ خيرٌ فضلها باهر ، وشرفها على شرف النماء زاهر ، وشجرةٌ طيبة أصلها
ثابت وفرعها في السماء [ناظر] ، والله يتمم أعدادها ، ولا يعدمني ودادها .
وإذا كان كباري لهم هذا إلا كبار فكل منتسب إلى جنبهم أثيرٌ لدى^(٢) ، كثير في
يدي . وطراً على فلان منتسباً إلى جملتهم ، وحبذا الجملة ، ومعتزياً إلى
خدمتهم ، ونعمت الخدمة ، ففررنا عن طبعِ سَمْعِ^(٣) ، وألفظ عذب ، وصلة
نثرٍ بنظم ؛ فإن شاء قال : أنا الوليد ، وإن شاء قال : أنا عبد الجيد ؛ ولم أعظم بمن
خرَّجته تلك النعمة ونتجته تلك السُدَّة أن يأخذ من كلِّ حسنة بعروة ، ويقدم
في كل نارٍ بجدوة ؛ وآسنا بالمقام مُدَّة ، أگدتها شوايفِ عِدَّة ، إلى أن تذكر
معاهدَ رأى فيها الدهرَ طلقاً ، والزمان غلاماً ، والفضل رهناً ، والإفضال إزاماً ؛
فحنَّ حنينَ الرُّكَّابِ ، ورَكِبَ عَزِيمَ الإِيَابِ^(٤) .

فصل [من كتاب] كتبه الأمير أبو الفضل عبيد الله بن أحد الميکالی إلى

(١) للملوان : الليل والنهار (٢) أثير : عزيز (٣) فررناه : اخترناه ، والفر
في الأصل : اختبار أسنان الدابة ليعرف مبلغها من القوة (٤) العزيم : الجري الشديد

أبي القاسم الداوودي جواباً عن كتاب له ورد عليه . وأبو الفضل رئيس قيسابور وأعمالها في وقتنا هذا^(١) ، وسينر من كلامه وشعره ونظامه ما يفنى عن التنويه ، ويكفي عن التنيه ، ويجل عن التشبيه ، ويكون كما قال أبو الحسن الأخفش على بن سليمان : [استهدى إبراهيم بن المدبر] أبا العباس محمد بن يزيد جليساً يجمع إلى تاديب ولده الإمتاع يابنأسيه ؛ فندبني لذلك ، وكتب إليه معي :
قد أنفذت إليك - أعزك الله - فلانا ، وجلة أمره أنه كما قال الشاعر :

إذا زُرتَ الملوكَ فإن حسي شفيحاً عنهم أن يخبروني

وفصل أبي الفضل : وقتتُ على ما أتحنفني به الشيخ : من نظمه الرائق البديع ، وخطه المزري بزهر الربيع ، موشحاً بغير ألفاظه ، التي لو أُعيرت حسيها لعلت قلائد النحور ، وأبكار معانيه التي لو قُمت حلأوتها لأعذبت موارِد البحور ، فسرتحت طرقي منها في رياض جادتها سحائب العلوم والحكم ، وهب عينا نسيم الفضل والكرم ، وابتسمت عينا ثغور المعالي والهمم ، ولم أدر - وقد حيرتني أصنافها ، وبهرتني ثغورها - وأوصافها ، حتى كسنتني اهتزازاً وعجباً . وأنشأت بيني وبين التماسك سترأوحجاباً ، ولم أدر^(٢) أدهتني لها شوقاً راح ، أم أزدتني نعمة ارتياح ، وانتظم عندي منها عقد ثناء وقريرض^(٣) ، أم قرع سمعي منها غناء مقبدي وغريض ، وكيفما كان فقد حوى رتبة الإعجاز والإبداع ، وأصبح نزهة القلوب والأسماع ، فما من جارحة إلا وهي تؤذ لو كانت أذنا فلتلقط درر دوجواهره . أوعيت تجتني مطالعه ومناظره ، أولساناً يدرس محاسنه ومفاخره .

ونه فصل من كتاب إلى أبي منصور عبد الملك بن إسماعيل الثعالبي : « وصل كتاب مولاي وسيدى . أبداع الكتب هو ادى وأعجازا^(٤) ، وأبرعها بلاغة

من أبي الفضل
الميكالي إلى أبي
القاسم
الداوودي

ومنه
إلى الثعالبي

(١) نوى أبو اعصم انيكالي سنة ٤٣٦ هـ ، وقد توفي مؤلف هذا الكتاب في سنة ٤٥٣ هـ (م)

(٢) هكذا . وكامة « ولم أدر » تكرارها للتي سبقت (م) (٣) كذا ، ولعل

لأصل « عقد شر وفريض » (م) (٤) الهوادي والأعجاز : البدايات والنهايات

وإعجازاً ، فحسبت ألفاظه دَرَّ السحاب ، أو أصفى قطراً وديته ، ومعانبه دُرَّ السحاب^(١) ، بل أوفى قدرًا وقيمة . وتأملت الأبيات فوجدتها فائقة النظم والرصف ، عبقّة النسيم والعرّف ، فائزة بقداح الحسن والظرف ، مالكة لزيّام القلب والظرف ؛ ولا غرّوان يصدر مثلها عن ذلك الخاطر ، وهو هدّاف الفجر والنوادر ، وصدّاف الدرر والجواهر ، والله يُمتعه بما منحه من هذه الغرر والأوضاع ، كما أطلق فيه ألسنة الثناء والامتداح .

وأبو منصور هذا يعيش إلى وقتنا هذا [على طريق التخمين لا على حقيقة اليقين] وهو فريدُ دهره ، وقريع عصره ، ونسيجُ وُحدِه ، وله مصنفات في العلم والأدب ، تشهدُ له بأعلى الرتب ، وقد فرقت ما اخترته منها في هذا الكتاب ، مع ما تعلق بشاكلته من الخطاب^(٢) ؛ منها كتاب سماه « سحر البلاغة » قال في صدر هذا الكتاب : « أخرجتُ بعضه من غرر نجوم الأرض ، ونكّت أعيان الفضل ، من بُدْء العصر ، في النثر ، وجللت بعضه من نظم أمراء الشعر ، الذين أوردت مدح أشعارهم في كتابي المترجم بيتيمة الدهر ، فلفقت جميع ذلك وحررتّه ، وسقته ونسّقتّه ، وأنفقت عليه مارزقته ، وعملته بكد الناظر ، وجهد الخاطر ، وتعب اليمين ، وعرق الجبين ، وتعمّدتُ فيه لذّة الجلدة ، وروّنتُ الحداثة ، وحلاوة الطراوة ، ولم أشبهُ بشيء من كلام غير أهل العصر ، إلا في قلائل وقلائد من ألفاظ الجاحظ وابن المعتز ، تخلّلت أثناءه ، وتوشّحت تضاعيفه ، ولم أخل كلماته - التي هي وسائط الآداب ، وصياقل الألباب ، وما تستمتعه أنفس

(١) السحاب : قلادة من القرنفل

(٢) كان الثعالبي فراءً يخيّط جلود الثعالب ، فنسب إلى صناعته ، ثم أقبل على الأدب والتاريخ فنبغ ، وترك طائفة من المؤلفات القيمة أشهرها بيتيمة الدهر ، وكانت وفاته

الأدباء ، وتاذ أعين الكتاب - من لفظ صحيح ، أو معنى صريح ، أو تجنيس
 أنيس ، أو تشبيه بلاشبيه ، أو تمثيل بلا مثيل ولا عدل ، أو استعارة مُختارة ،
 أو طباق ، ذى روثق باق ؛ فمن رافق هذا الكتاب قُربَ تناوُلِهِ من الكتاب ،
 إذا وشوا ديباجة كلامهم بما يقتبسونه من نُورده ، وسماحة قيادِهِ لأفراد الشعراء
 إذا رصعوا عقودَ نظائهم بما يلتقطونه من شذُورهِ ، فأما المخاطبات والمحاورات ،
 فإنها تتبرج بغرّة من غرره ، وتتوّج بدرة من دُررهِ .

وقد ذكر جملة من أخرج معظم كتابه من نثرهم ونظمهم ، وهم : الصايبان^(١) ،
 والخالد يّان^(٢) ، و بديع الزمان ، وأبو نصر بن المرزبان [وعلى بن عبدالعزيز القاضي ،
 وأبو محمد القاضي ، وأبو القاسم الزعفراني ، وأبو فراس الحمداني] ، وابن أبي العلاء
 الأصبهاني ، وأبو الطيب المتنبي ، وأبو الفتح البستي ، وأبو الفضل الميكالي ،
 وشمس المعالي ، والصاحب بن عباد ، وجماعة يكثر بهم التعداد ، قد ذكرهم في
 كتابه ، فكل ما مرّ أو يمر من ذكر ألفاظ أهل العصر فمن كتابه نقلتُ ،
 وعليه عوّلت .

وفي أبي منصور يقول أبو الفتح علي بن محمد البستي :

قلبي زهينٌ بنيساورٍ عند أخٍ ما مثله حين تُستقرى البلادُ أخُ
 له صحائفُ أخلاقٍ مهذبةٍ من الحججِ والعلا والظرفِ تُنتسخُ

وأما الذين ذكر أسماءهم في كتابه فسأظهر من سرائر شعرهم الرصين ، وأجنو
 من جواهر نثرهم الثمين ، ما أخذ من البلاغة باليمين .

(١) هما إبراهيم بن هلال المتوفى سنة ٣٨٤ ، وهلال بن المحسن المتوفى سنة ٤٤٨

(٢) هما سعيد بن هاشم المتوفى سنة ٤٠٠ ومحمد بن هاشم المتوفى سنة ٣٨٠

وكان هذان الأخوان يعرفان بالخالدين ، وكانا يشتركان في نظم الأبيات أو القصيدة
 وتنسب إليهما معا ، أصلهما من الخالدية - من قرى الموصل - وكانا من خواص
 سيف الدولة بن حمدان ، ولهما مع أهل عصرهما أخبار كثيرة

فصل لأبي الفضل : وصل كتابُ الشيخِ المبشرِ من خبر سلامته التي هي غُرَّةُ
الزمانِ البهيم^(١) ، وعذر الدهرِ المليم^(٢) ، بما أشرقت له آفاقُ الفضلِ والكرمِ ،
وتمَّتْ به نفائسُ الآلاءِ والنعمِ ، فسرَّحتُ طرْفِي من محاسنِ ألفاظه ، في أنوارِ
ترُوقِ أزاهِرِها ، وقلائدِ ترُوعِ دُرُرِها وجواهرِها ، ومَبَارَ يَسْتَرِقُ الرِّقَابَ بِأَطْيَابِهَا
وظاهرِها^(٣)

من كتب
لأبي الفضل
الميكالي

وله إلى أبي سعيد بن خلف الهمداني :

وصل كتابك متحملاً من أخبار سلامتك ، وآثارِ نعمِ اللهِ بساحتك ، ما أدى
روحَ البرِّ ونسيمه ، وجمع فنونَ الفضلِ وتقاسيمه ، ومجدِّداً عندي من عمرِ موصلته ،
ومعسولِ كلامه ومحاورته ، ماترك غُصنَ المَقَّةِ غُضًّا ترُوقِ أوراقه^(٤) ، ووَجْهَ الثِّبَةِ
طَلْقًا يتهللُ إشراقه ، فكم جنيت عنه من ثمرِ مَسْرَةِ كانت عوائقُ الأيامِ تحاذِ بُنيته ،
وحويت به من عِلْقِ مِضْنَةِ قلما يجود الدهرُ بثله لبنيه^(٥) .

وله فصل إلى بعض الحكامِ بجوين^(٦) :

وصل كتابُ الحاكمِ وقد وشَّحه بمحاسنِ فقره ، ونتائجِ فكره ، من لفظِ
شهيِّ أعطته القلوبُ فضلَ المقاداة ، ومعنى سنيِّ جاده صوبُ الإصابة والإجادة ،
وبرِّ هنيِّ اتفقت على الاعترافِ بفضله السنةُ الثناء والشهادة ، فسرَّحتُ طرْفِي
فيما حواه من بدائعِ وطُرفِ ، قد جمعت في الحسنِ والإحسانِ بين واسطة
وطُرفِ ، حتى لم تبقَ في البلاغةِ يتيمة إلا جبرتها وتممتها .

وله إلى الأميرِ السيدِ أبيه يهنئه بالقدوم .

كتبت وأنا بمنزلة من ارتدَّ إليه شبابه بعد المشيب ، وارتدى برداءِ من العمرِ

(١) البهيم : المظلم

(٢) المليم : المذنب

(٣) مبار : جمع مبرة (٤) المقَّة : الحب (٥) العلق : الشيء النفيس

(٦) جوين : كورة كبيرة في خراسان

قَسِيْبٌ^(١) ، والحمد لله رب العالمين ، وصل كتاب مولاي مبشراً من خبر عَوْدِهِ
إلى مقرِّ عزّه وشرفه ، محروساً في حفظ الله وكفنه ، بما لم تزل الآمال تتشم
روائحه ، وتترقب غادي صنوع الله فيه ورائحه ، واثمةً بأنّ عادة الله الكريمة عنده
تسايده وترافقه ، وتلزم جنبه فلا تُفارقه ، حتى تخرجه من غمرة الغماء خروج
السيف من الغمد ، والبدر بعد السرار^(٢) إلى الانجلاء ، فعددت يوم وروده عيداً ،
أعاد عيد السرور جديداً ، وردّ طرف الحسود كليلاً وقد كان حديداً ،
ولم أشبهه في إهداء الروح والشفاء ، وتلافي الرّوح بعد أن أشفى على المكروه
كل الإشفاء^(٣) إلا بقميص يوسف حين تلقاه يعقوب عليه السلام من البشير ،
وألقاه على وجهه فنظر بعين البصير ، فكم أوسعته أشمًا واستلاماً ، والتقطت منه
برداً وسلاماً ، حتى لم تبق غلّة في الصدر إلا بردتها ، ولا نعمة في النفس
إلا طردتها ، ولا شريعة من الأنس إلا وردتها .

ونه فصل من رسالة :

وكان فرطُ التعجب مرّةً وعظّمُ الإعجاب تارة يقفُ بي عند أول فصل
من فصوله ، ويثبطني عن استيفاء غرره وحجوله ، ويوهمني أنّ المحاسن ما حوته
قلائد ، ونظمته فرائد ؛ فليس في قوس إحسان ورائها منزع^(٤) ، ولا لاقتراح
جنان فوقها متعنع ، حتى إذا جاوزته إلى نفقه وتزيينه ، وأجلتُ فكري
في نكته وعبونه ، رأيتُ ما يُحير الطرف ، ويُعجز الوصف ، ويعنوا على الأول
مخلاً ومكاناً ، ويفوقه حسناً وإحساناً ، فرتعتُ كيف شئتُ في رياضه وحدائقه ،
واقبست نور الحكيم من مطالعه ومشاركه ، وسامت لمعانيه وألفاظه فضيلة السبق

(١) قسيب: جديد (٢) السرار - بكر السين - آخر ليلة من الشهر ، ولا يظهر فيها القمر (م) (٣) أشفى على المكروه : أشرف عليه (٤) منزع - على وزن منبر - السير الذي ينزع به ، ويقولون : لم يبق في قوس الصبر منزع ، يريدون أن الصبر نفدت أسبابه .

والبراعة ، وتلقيتها بواجبها من النشر والإذاعة ؛ فإنها جمعت إلى حُسن الإيجاز
درجة الإعجاز ، وإلى فضيلة الإبداع جلالة الموقع في القلوب والأسماع .

وله من فصل :

وصل كتاب الشيخ فذشر عندي من حُلل إفضاله وإكرامه ، ومحاسن خطابه
وكلامه ، ما لم أشبهه إلا بأنوار النُّجُود^(١) ، وحَبْر البرود ، وقلائد العُقود .

أبو منصور
الثعالبي يصف
أبا الفضل
النيكالي

وذكر أبو منصور الثعالبي الأمير أبا الفضل في كتاب ألقه ، فقال في بعض
فصوله : مَنْ أراد أن يسمع سِرَّ النظم ، وسِحْرَ الشعر ، ورُقِيَةَ الدهر ،
ويرى صَوْبَ العقل ، وذَوْبَ الظرف ، ونتيجة الفضل ؛ فليستشده ما أسفر عنه
طبعُ مجده ، وأثره على فكره . من مُلِحٍ تترجُ بالنفوس لنفاستها ، وتشرب
بالقلوب لسلامتها :

قوافٍ إذا ما رَوَّاهَا المشو ق هزَّتْ لَهَا الغانيات القُدُودا
كسَوْنِ عبيدٍ ثيابَ العبيد وأضحى لبيدٍ لديها بليدا

وأيُّ الله ما مرَّ يومٌ أسعفني فيه الزمانُ بمواجهةٍ وُجْهه ، وأسعدني بالاعتباس
من نوره والاعتراف من بحرِه ، فشاهدت نَمَارَ المجدِ والسُودِ تَنْتَبِهُ من
شمائله ، ورأيت فضائلَ الدهرِ عيالاً على فضائله ، وقرأتُ نسخةَ الفضلِ والكرمِ
من أُلْحَافِهِ ، وانتهبتُ فضائلَ الفوائد من أُلْفَافِهِ ، إلاَّ تذكرت ما أنشدني
أدام الله تأييده لابن الرومي :

لولا عجائبُ صنْعِ الله ما ثبتت تلك الفضائلُ في لحمٍ ولا عصبٍ

وقول الطائي :

فلو صوّرتَ نفسك لم تزدْها على ما فيك من كرمِ الطَّبَاعِ

(١) النجود : جمع نجد ، وهو ما ارتفع من الأرض ، وفيه يوضع الزهر .

وقول كشافهم :

ما كان أحوج ذا الكمال إلى عيب يؤقيه من العين
وربعت بقول أبي الطيب :

فإن تفق الأنام وأنت منهم فإن منك بعض دم الغزال

ثم استعرت فيه بيان أبي إسحاق الصابي حيث يقول للصاحب « ورثته
الله أعمارها ، كما يلغنه في البلاغة أنوارها »

الله حسبي فيك من كل ما تعود العبد على المولى
فلا تزل ترزق في نعمة أنت بها من غيرك الأولى

وقال في فصل منه : وما أنس - لا أنس - أيامى عنده بفيروزاباد إحدى قرآه
برستاق جوين ، سقاها الله ما ينحكي أخلاق صاحبها من سبيل القطر ، فإنها
كادت - بطلعته البدرية ، وعشرته العطرية ، وآدابه العلوية ، وألفاظه اللؤلؤية
مع جلائل نعمه المذكورة ، ودقائق كرمه المشكورة ، وفوائد مجالسه المعمورة ،
ومحاسن أقواله وأفعاله التي يعيا بها الواصفون - أنموذجات من الجنة ، التي وعد
المقنون ، وإذا تذكرتها في المربع التي هي مربع التواضع ، والمصانع التي هي
مطالع العيش الناضر ، والبساتين التي إذا أخذت بدائع زخارفها ، ونشرت
طرائف مطارفها ، طوى لها الديباج الخشرواني ، ونفى معها الوثنى الصنعاني ،
فلم تشبه إلا بشيئه ، وآثار قده ، وأزهار كلمه ، تذكرت سحرا وسيا ، وخيرا
عميا ، وارتياحا مقبلا ، وروحا ورياحا وسما

عود إلى ذكر
فصول من كلام
الميكاني

وكثيراً ما أحكى للاخوان أنى استغرقت أربعة أشهر بخضرته ، وتوفرت
على خدمته ، ولازمت في أكثر أوقاني عالي مجاسه ، وتعطرت [عند ركوبه]
بغبار موكبه ؛ فبالله يمينا كنت غنيا عنها لو خفت حيناً فيها إني ما أنكرت
طرفاً من أخلاقه ؛ ولم أشاهد إلا مجدداً وشرفاً من أحواله . وما رأيتُهُ اغتَابَ

غائبًا ، أو سبَّ حاضرًا ، أو حرَّم سائلا ، أو خيَّب آملا ، أو أطاع سلطانَ
الغضبِ في الحضَر ، أو تسلَّى بنار الضَّجَر في السَّفر ، أو بطش بطشَ المتجبر ؛
ولا وجدت المآثرَ إلا ما يتعاطاه ، والمآثمَ إلا ما يتخطاه .

وقال في فصل منه يصفه : وأما فنونُ الأدب فهو ابن بجدتها^(١) ، وأخو
جملتها ، وأبو عذرتها^(٢) ، ومالك أزميتها ، وكأتما يوحى إليه في الاستئثار بمحاسنها ،
والتفرُّد ببدائعها ، والله هو إذا غرس الدرَّ في [أرض] القراطيس ، وطرزَ
بالظلامِ رداءَ النهار ، وألقت بحارُ خواطره جواهرَ البلاغة على أنامله ، فهناك
الحسنُ برُمته ، والحسنُ بكَيْته .

وذكر عمر بن علي المطوع في كتاب ألفه في^(٣) شعر أبي الفضل ومنشوره المطوعى يذكر
والشعراء ، فقال : رأيتُ أهل هذه الصناعة قد تشعبوا على طُرُق ، وانقسموا على
ثلاث فرق ، فمنهم من اكتسب كلامه شرف الاكتساب دون شرف الانتساب ثم يذكر البيهقي
كانكسبين من الشعراء بالمدائح ، المترشحين بها لأخذ الجوائز والمدائح ، وهم
الأكثر من أهل هذه الصناعة ؛ ومنهم من شرفت بنات فكره عند أهل
العقول ، وجلبت لديهم فضائل القبول ، لشرف قائلها ، لا لكثرة عقائلها ، وكرم
واشيها ، لالرقة حواشيها ، كالعدد الكثير ، والجمل الغفير ، من الخلفاء والأمراء
والجيلة والوزراء ؛ ومنهم من أخذ بجمل الجودة من طرفيه ، وجمع رداء الحُسن
من حاشيتيه ، كأمريء القيس ابن حُجر الكندي في المتقدمين ، وهو أمير الشعراء
غير مُنازع ، وسيدهم غير مخاذب ولا مدافع ، وعبد الله بن المعتز بالله أمير المؤمنين
في المولدين ، وهو أشعر أبناء الخلافة الهاشمية ، وأبرع أنشاء الدولة العباسية ، ومن

(١) ابن بجدتها : هو الحبير بها ، وتقول : فلان عالم يبجدة أمرك ، أى بحقيقته

(٢) أبو عذرتها . العذرة : البكارة ، وأبو عذرها : أول من اقتضاها ، كناية عن

التفوق في أمر من الأمور (٣) لعل كلمة « في » هذه مقحمة (م)

جلَّ كلامه في التشبيه ، عن أن يُمثَّلَ بنظير أوشبيه ، وعَلَّتْ أشعاره في الأوصاف .
 عن أن تتعاطاها ألسنة الوصَّاف ؛ والأمير أبي فراس بن محمدان فارس البلاغة .
 ورجل الفصاحة ، ومن حكمت له شعراء العصر قاطبةً بالسيادة ، واعترفت لكلامه
 بالإحسان والإجادة ، حتى قال أبو القاسم إسماعيل بن عباد الصاحب : بُدِيَ ،
 الشعرُ بملك وختم بملك ، يعني امرأ القيس وأبا فراس ؛ وهذه الطائفة أشهر
 الثلاثة تقدماً ، وأثبتها في مواطن الفخر ومواطن الشرف قدماً ، وأسبق الشعراء
 في ميدان البلاغة ، وأرجحهم في ميدان البراعة ؛ فإنَّ الكلام الصادر عن الأعيان
 والصدور ، أقرُّ للعيون وأشفي للصدور ، فشرف القلائد بمن قلدها ، كما أن شرف
 العقائل بمن ولدها :

وخيَّرُ الشعرِ أكرمُه رجالاتُ وشَرُّ الشعرِ ما قالَ العبيدُ

وإذا اتفق من اجتمعت فيه هذه الشرائط ، وانتظمت عنده هاتيك المحاسن .
 كان خليقاً بأن تُخلد في صحائف القلوب أشعاره ، وتُدوّن في ضمائر النفوس
 آثاره ، وتكتب على الأحداق والعيون أخباره ، وجديراً بأن يختصَّ بسرعة
 المجال في المجالس ، وخيفة المدار في المدارس ، كالأمير الجليل السيد مولانا :

أبي الفضل من نال السماء بفضله ومن وعدته نفسه بمزيد
 توذ عقود الدر لو كُنَّ لفظه فينظمها من توأم وفريد

وهذه مقطعات لأهل العصر في وصف البلاغة

قال أبو الفتح البستي :

مدحتك فالتامت قلائد لم يفز بأمثالها الصيْدُ الكرامُ الأعظمُ
 لأنك بحسرة والمعاني لآلي ؛ وفكري غواص وشعري ناظمُ
 وقال أيضاً :

ما إن سمعت بنواري له ثمرة في الوقت يمتع يمتع المرء والبصرا

لأبي الفتح
 البستي

حتى أتاني كتابٌ منك مبسّمٌ
فكان لفظك في لآلئه زهراً
تسابقاً فأصاباً القصد في طلقٍ
وقال أيضاً :

لَمَّا أتاني كتابٌ منك مبسّمٌ
حكّت معانيه في أثناء أسطره
كأنه ألمٌ بقول الطائي :

يرى أقبح الأشياء أوبةً أملٍ
وأحسن من نورٍ تفتحهُ الصبا
كسّتها يدُ المأمولِ حلةً خائبِ
بياضُ العطايا في سوادِ المطالبِ

وقال أبو الفتح البستي في أبي نصر أحمد بن علي الميكالي :

جمع الله في الأمير أبي نصرٍ خصالاً نعلوبها الأقدارُ
راحةً بزّةً وصدراً فضاءً ، وذكاً ، يبدو له الأسرارُ^(٢)
خطّه روضةً ، وأفاظه الأزهارِ يضحكن ، والمعاني ثمارُ
وقال عمر بن علي المطوعي يمدحُ أبا الفضل الميكالي من قصيدة :

وإلى الأمير ابن الأمير المعلى
وطئت بي الوجناء وجنة مهمة
كما ألاحظ منه في أفق العلاء
كالبدري غير دوامه متكاملاً
بفضلٍ يُكنى وهو فيه كامنٌ
يا من إذا خطَّ الكتابَ يمينه
بكمالٍ سُوددٍ على الأسماء
متقاذفٍ الأكنافِ والارجاء^(٣)
فدكاً يُدير كواكبَ العنقاءِ
كالبحرِ غيرِ عدوبةٍ وصفاءِ
كالرشي يَكمنُ في زلالِ الماءِ
أهدى إلينا الوشي من صنعاءِ

للمشروعى
تمدح الميكالي

(١) في نسخة «عن كل بروفضل» (م) (٢) في نسخة «راحة ثرة» والراحة : اليد ،
والثرة : التي تفيض بالعطاء (م) (٣) الوجناء : الناقة الصلبة ، من الوجين ، وهي
الأرض الغليظة ، والمهمة : الوادي القفر ، ومتقاذفٍ الأكناف : متباعد الأطراف
(١٠ - زهر الآداب ١)

لم تجر كفتك في البياض موقعا
قـرـمـm

وقال فيه أيضا :
كلام الأمد النذب في ثنى نظمه
يروى متى تروى بدائع نظمه
وكتب إليه أيضا :

أقول وقد جادت جفوني بدمع
وقد علفت بي للنزاع نوازخ
إلى سيد أوفى على الشمس قدره
أبي الفضل من راحت فواضل كنه
سقى الله أرضا حل فيها سحاب
سحاب يخذوها نسي كخالقه
ولا زال أفلاك السعود مطيفة
وقال أبو منصور الثعالبي للأمير أبي الفضل :

لك في الفضائل معجزات جمة
بحران بحر في البلاغة شابة
كانور أو كالسحر أو كالدرر أو
تسكرا فكم من فقرة لك كالغنى
أبدأ اغيرك في الوزى لم تجمع
شعر الوليد وحسن لفظ الأصمى
كالوشى في بردي عليه موشع
وافى الكريم بعيد فقر مدقع

للثعالبي يمدح
الميكالي

- (١) القرم : السيد ، والطائي في الكرم هو حاتم الطائي . وفي الظم أبو تمام
(٢) النذب : الشهم - وهو أيضا الخفيف في الحاجة ، والنجيب (م)
(٣) نربي : يزيد (٤) الصارم العضب : السيف القاطع (٥) الوليد : هو البحري
(٦) موشع : ذى رقوم وطرائق (٧) فقر مدقع : شديد ، نسق صاحبه بالدقما ،
وهى التراب .

وإذا تفتق نورُ شعركِ ناضراً فالحسنُ بينَ مرصعٍ ومصرعٍ
 أرجلتَ فرسانَ الكلامِ ورأيتَ أفراسَ البديعِ وأنتَ أمجدُ مبدعِ
 ونشئتَ في فصِّ الزمانِ بدائماً تزريَ بأثارِ الربيعِ الممرِجِ^(١)
 وقال في وصفِ فرسٍ أهداهُ إليه ممدوحه :

وللتعالي في
 وصف فرس

يا مهدى الطرفِ اجوادِ كأنها قد أعود بالرياح الأربيع^(٢)
 لاشي. أسرعُ منه إلا خاطري في شكرِ نائلِك اللطيفِ الموقِعِ
 وهأننى أنصفتُ في إكرامهِ جلالِ مُهدِيهِ الكريمةِ الأروعِ^(٣)
 أنظمته حبَّ القلوبِ ليحبهِ وجعلتَ مرطبه سوادِ المدامعِ
 وخلعتُ ثم قطعتم غيرِ مضيقِ بؤدِ الشبابِ لجله والبرقعِ

وكتب إليه في جوابِ كتابِ وردِ عليه :

للتعالي جواباً
 على الميكالي

أنسيمُ الرياضِ حوالَ الغديرِ ما زجته ريثَ الحبيبِ الأثيرِ^(٤)
 أم وُرودِ البشيرِ بالنجحِ من فكِّ أنيرِ أو يثرُ أمرِ عسيرِ
 في ملاءِ من الشبابِ جديدي تحتِ أيكِ من التصابي نصيرِ^(٥)
 أم كتابِ الأميرِ سيدنا الفراءِ : فياحبذا كتابُ الأميرِ
 وثمارِ الصدورِ ما أجتنيه من سطورِ فيها شفاءُ الصدورِ
 تمقَّها أناملٌ تفتقُ الأنوارَ والزهرِ في رياضِ السطورِ
 كلَّمنى وقد جيعنَ في النعمِ الفراءِ مع الأمنِ من صروفِ الدهورِ
 يا أبا الفضلِ وابنهِ وأخاهُ جانِ بَدريكِ من لطيفِ خيرِ
 شيمِ يرتضعنَ دُرَّ العاليِ ويعبرنَ عنِ نسيهِ العبيرِ

(١) الممرج : الملو. بالكلام والعشب (٢) الطرف : الحصان

(٣) الأروع : الذي لروع . بضم الراء . وهو القواد

(٤) الأثير : العزير (٥) الأيك : الشجر المثقف

وَسَجَايَا كَأَنَّهُنَّ لَدَى النُّشْرِ رُضَابُ الْحَيَا بِأَرْوَى مَشُورٍ^(١)
 وَمُحْيَا لَدَى الْمَلُوكِ مَحْيَا صَادِقِ الْبَشْرِ مُنْجِلِ الْبَدُورِ
 فَأَجَابَهُ أَبُو الْفَضْلِ بِأَيَاتٍ يَقُولُ فِيهَا فِي صِفَةِ أَيَاتِهِ :

جواب الميكالي
على آيات
التمالي

وَهَدِي زُفَّتْ إِلَى السَّمْعِ بِكَرٍ تَهَادَى فِي حَلِيَّةٍ وَشُدُورٍ^(٢)
 عَجِبَ النَّاسُ أَنْ بَدَتْ مِنْ سَوَادٍ فِي بِيَاضِ كَانِسِكَ فِي الْكَافُورِ
 نَظِمْتَ فِي بِلَاغَةٍ وَمَعَانٍ مِثْلَ نَظْمِ الْعُقُودِ فَوْقَ النَّحُورِ
 كَمْ تَذَكَّرْتَ عِنْدَهَا مِنْ عَهُودٍ لِلتَّلَاقِ فِي ظِلِّ عَيْشٍ نَضِيرِ
 فَذَمَّمْتَ الزَّمَانَ إِذْ ضَنَّ عَنَا بِاجْتِمَاعِ يَضْمٍ شَمَلِ السَّرُورِ
 وَلَمَّا رَاعَنَا الزَّمَانُ بَيِّنٍ أَلْبَسَ الْأَنْسَ ذِلَّةَ الْمُهْجُورِ
 فَحَسَى اللَّهُ أَنْ يُعِيدَ اجْتِمَاعًا فِي أَمَانٍ مِنْ حَادِثَاتِ الدُّهُورِ
 إِنَّهُ قَادِرٌ عَلَى رَدِّ مَا فَاتَ تَوْتِيرَ كُلِّ أَمْرٍ عَسِيرِ

وقال أبو إسحاق إبراهيم بن هلال الصابي في الوزير المهلبى :
 قَلَّ لِلْوَزِيرِ أَبِي مُحَمَّدٍ الَّذِي قَدْ أَعْجَزَتْ كُلَّ الْوَرَى أَوْصَافُهُ
 لَكَ فِي الْمَجَالِسِ مَنْطِقُ يَشْفِي الْجُوعَى وَيَسُوعُ فِي أُذُنِ الْأَدِيبِ سُلَافُهُ^(٣)
 وَكَأَنَّ لَفْظَكَ جَوْهَرَ مَتَنَخَّلَ وَكَأَنَّما آذَانُنَا أَصْدَافُهُ^(٤)

للصابي مدح
الوزير المهلبى

والمهلبى هذا هو أبو محمد الحسن بن هارون بن إبراهيم بن عبد الله بن يزيد
 ابن حاتم بن قبيصة بن المهلب ، وَزَرَ لِأَحْمَدَ بْنِ بُوَيْهِ الدَّيْلَمِي ، وَكَانَتْ وَزَارَتُهُ سَنَةَ تِسْعٍ
 وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِينَ ، وَكَانَ أَبُو مُحَمَّدٍ مِنْ سَرَواتِ النَّاسِ وَأَدْبَائِهِمْ وَأَجْوَادِهِمْ وَأَعْفَاءِهِمْ :
 وَفِيهِ يَقُولُ أَبُو إِسْحَاقَ الصَّابِي :

ترجمة الوزير
المهلبى

(١) الأرى : العسل ، والمشور : المسقى ، تقول : شار العسل واشتاره ، إذا عفاه
 من الأقراص (٢) الهدى - على وزن غنى - هي العروس ، والشذور : قطع الذهب -
 واحدها شذرة (م) (٣) السلاف - بضم السين - في الأصل : الحمر (م)
 (٤) متنخل - بالخاء المعجمة - مختار

نَعَمَ اللهُ كَالْوَحُوشِ فَمَا تَأْتِي إِلَّا الْأَخَايِرَ النَّسَاكَا
 نَفَرَتْهَا آثَمُ قَوْمٍ وَصَيَّرَتْ لَهَا الْبِرَّ وَالْتَقَى أَشْرَاكَا
 وكان قبل اتصاله بالسلطان سائحاً في البلاد ، على طريق الفقر والتصوف ،
 قال أبو علي الصوفي : كنت معه في بعض أوقاته ، أمشيته في إحدى طرقاته ،
 فضجرت لضيق الحال ، فقال :

أَلَا مَوْتُ يُبَاعُ فَأَشْتَرِيهِ فهذا العيشُ مالا خَيْرَ فِيهِ
 أَلَا رَحِمَ الْمَيِّمِ نَفْسَ جَرَّةٍ تصدَّقْ بِالْوَفَاةِ عَلَى أَخِيهِ

ثم تصرف بما يُرضيه الدهر ، وبلغ المهلبى مبلغه . قال أبو علي : دخلت البصرة
 فاجتزت بسرّاً من رأى ، وإذا أنا بناشيطات وحرقات وزيارب وطيارات في
 عُدَّةٍ وَعُدَدٍ ، فسألتُ : لِمَ هذا ؟ فقيل : للوزير المهلبى ، وبعثوا لى صاحبى ؛
 فوصلتُ إليه حتى رأيتُه ، فكتبتُ إليه رقعة ، وتوصلت حتى دخلتُ فالت ،
 وجلستُ حتى خلا مجلسه ، فدفتُ إليه الرقعة وفيها :

أَلَا قُلْتُ لِلْوَزِيرِ بَلَا اخْتِشَامٍ مقال مُذَكَّرٍ مَا قَد تَسِيهِ
 أَتَذَكَّرُ إِذْ تَقُولُ لَضِيقِ عَيْشٍ « أَلَا مَوْتُ يُبَاعُ فَأَشْتَرِيهِ »

فنظر إلى وقال : نعم ، ثم نهض وأنبهضنى معه إلى مجلس الأُنس ، وجعل
 يُبَدِّئُ كِرْفَى مَا مَضَى ، وَيَذَكِّرُ لى كَيْفَ تَرَقَّتْ حَالُهُ ، وَقَدَّمَ الطَّعَامَ فَطَعِمْنَا ،
 وَأَقْبَلَ ثَلَاثَةَ مِنْ الْعُلَمَاءِ عَلَى رَأْسِ أَحَدِهِمْ ثَلَاثُ بَدَرٍ^(١) ، وَمَعَ الْآخِرِ تَخَوُّتٌ
 وَثِيَابٌ ، وَمَعَ الْآخِرِ طِيبٌ وَبَخُورٌ ، وَأَقْبَلَتْ بَغْلَةٌ رَائِعَةٌ بِسَرِيحٍ ثَقِيلٍ ؛ فَقَالَ :
 يَا أَبَا عَلِيٍّ ؛ تَفَضَّلْ بِقَبُولِ هَذَا ، وَلَا تَتَخَلَّفْ عَنْ حَاجَةِ تَعْرِضِ لَكَ ، فَشَكَرْتَهُ
 وَانصرفت ، فلما هممتُ بالخروج من الباب استردتني وأنشدنى بديها :

رَقَّ الزَّمَانُ لِنَفَاقَتِي وَرَثَى لَطْوَالِ تَحْرِثِي

(١) البدر : جمع بادرة . وهى كيس الدنانير

وأنا لى ما أرتبى وأجارَ مما أتقى
فلا غفرنَ له الكثيرَ من الذنوبِ الشَّبَقِ
إلا جنائتَه التى فعلَ المشيبَ بفرقى^(١)

قال بعضُ العلماءِ : العقولُ لها صورٌ مثلُ صورِ الأجسامِ ، فإذا أنتَ لم تنلُكُ
بها سبيلَ الأدبِ حارتَ وضلتَ ، وإن بعثتها فى أوديتها كلتَ وملتَ ، فاسلكُ
بعقلك شِعَابَ المعانى^(٢) والفهمِ ، واستتبعه بِالْجَمَامِ لِلْعِلْمِ^(٣) ، وارْتَدَّ لعقلك أَفْضَلَ
طبقاتِ الأدبِ ، وتوقَّ عليه آفةَ العتابِ ؛ فإنَّ العقلَ شاهدك على الفضلِ ،
وحارسك من الجهلِ .

منزلة العقل
وطريق رياضته

واعلمَ أن مغارسَ العقولِ كمغارسِ الأشجارِ ؛ فإذا طابت بِقَاعُ الأرضِ
للشجرِ زكَا ثمرُها ، وإذا كَرُمَتِ النفوسُ للعقوانِ طابَ خيرُها ، فاغمرْ نفسك
بالكرمِ ، نَسَلْ من الآفةِ والسَّقمِ .

واعلمَ أنَّ العقلَ [الحسنَ] فى النفسِ اللثيمةِ ، بمنزلةِ الشجرةِ الكريمةِ فى
الأرضِ الذميمةِ ، ينتفع بثمرها على خُبثِ المغرسِ ؛ فاجتنِ ثمرَ العقولِ وإن أتاك
من لثامِ الأنفسِ . [وقال النبی عليه السلام : « ربَّ حاملٍ فقهٍ إلى من هو أوعى
له . » وقيل : رب حامل فقه غير فقيه ، ورب رمية من غير رام] .

وقيل : الحِكْمَةُ ضالَّةُ المؤمنِ ، أينما وجدها أخذها . وسمع الشعبُ الحجاجِ
ابن يوسف وهو على المنبر يقول : أما بعد ، فإنَّ الله كتب على الدنيا الفناء ، وعلى
الآخرةِ البقاء ، فلا فناءَ لما كُتِبَ عليه البقاءُ ، ولا بقاءَ لما كُتِبَ عليه الفناءُ ،
فلا يغرركم شاهد الدنيا عن غائبِ الآخرةِ ، وأقصرُ رَأْيِ من الأملِ ، لقصرِ الأجلِ .

اخفاة
وواجب العاقل
إزاءها

(١) وكانت وفاة الوزير الظاهر سنة ٣٥٢ (٢) الشعاب : جمع شعب - بكسر الشين -

وهو الطريق فى الجبل (٣) الجمام - بكسر الجيم - الراحة .

فقال : كلامٌ حكمةٍ خَرَجَ من قلبِ خَرَابٍ ! وأخرج أُوَاحَهُ فكتب
وقد روى ذلك عن سفين الثوري .

وقد سمع إبراهيم بن هشام وهو يخطب على المنبر ويقول : إن يوماً أشاب
الصغير ، وأشكر الكبير . ليومٌ شرٌّ مُسْتَطِير !
وصف الكتب

قال الجاحظ : الكذب وعاءٌ مليءٌ عَيْناً . وظرفٌ حشِيٌّ ضَرْفاً . وبُستَانٌ
يُحْمَلُ في رُدنٍ^(١) ، وروضةٌ تَقَلَّبُ في حِجْرٍ ، ينطق عن الموتى ، وَيَتَرَجِمُ كَلَامَ
الأحياء .

وقال : من صنَّف كتاباً فقد استهدف^(٢) ؛ فإن أحسن فقد استعطف ، وإن
أسوأ فقد استقذف^(٣) .

وقال : لا أعلم جارا أبتر ، ولا خليطاً أنصف ، ولا رفيقاً أطوع ، ولا معذماً
أخضع ، ولا صاحباً أظهر كفاية ، وأقل حناية ، ولا أقل إملالا وإبراما ، ولا
أقل خلائفاً وإجراما ، ولا أقل غيبة ، ولا أبعد من عضية^(٤) ، ولا أكثر أعجوبة
وتصرفاً ، ولا أقل صلفاً وتكلفاً ، ولا أبعد من مرآة ، ولا أترك إشغب ، ولا أزهد
في جدال ، ولا أكف عن قتال ، من كتاب . ولا أعلم قريناً أحسن مؤاناة . ولا
أسجل مكافأة ، ولا أحضر مَعُونَة ، ولا أقل مَعُونَة ، ولا شجرة أضواءٍ عمراً . ولا
أجمع أمراً . ولا أطيب ثمرة ، ولا أقرب مُجْتَنِي . ولا أسرع إدراكاً كافي كل أوانٍ ،
ولا أوجد في غير بيتن ، من كتاب . ولا أعلم تتج في حدائثه سنة . وقرب ميااده ،
ورخص ثمنه ، وإمكان وجوده ، يجمع من التداوير الحسنة ، والعلوم الغريبة . ومن
آثار العقول الصحيحة ، ومحمود الأخبار عن القرون الماضية ، والبلاد المترامية ،
والأمثال السائرة ، والأمم البائدة ما يجمع الكندر .

(١) الردن : الكم (٢) استهدف : حير نفسه هدفاً ليهام التقد

(٣) استقذف : عرض نفسه للتقذف (٤) عضية : الإفضاء وجمع الكندر

ودخل الرشيد على المأمون وهو ينظر في كتاب ، فقال : ما هذا ؟ فقال :
 كتاب يشهد الفكرة ، ويحسن العشرة . فقال : الحمد لله الذي رزقني من يرى
 بأمرين قلبه أكثر مما يرى بعين جسمه .

أمرين يصف
 كتاب لأبيه
 الرشيد

وقيل لبعض العلماء : ما بلغ من سرورك بأدبك وكتبك ؟ فقال : هي إن
 خلوت لذتي ، وإن اهتمت سلوتي ، وإن قلت : إن زهر البستان ، ونور
 الجان ، يجلوان الأبصار ، ويمتعان بحسهما الألفاظ ؛ فإن بستان الكتب
 يخلو العقل ، ويشهد الذهن ، ويحيي القلب ، ويقوى القريحة ، ويعين الطبيعة .
 ويثبت نتائج العقول ، ويستثير دقات القلوب ، ويمتدح في الخلوة ، ويؤنس في
 الوحشة ، ويضحك بنوادره ، ويسر بغرائبه ، ويقيد ولا يستفيد ، ويعطي ولا
 يأخذ ، وتصل لذته إلى القلب ، من غير سامة تدركك ، ولا مشقة
 تعرض لك .

مض العلماء
 ف سروره
 بالكتب

وقال أبو الطيب المتنبي :

وللشر مني موضع لا يناله
 وللخود مني ساعة ، ثم بيننا
 وما العشق إلا غيرة وطاعة
 وغير فؤادي للغواني رمية
 تركنا لأطراف القنا كل لذة
 نصرقه للطعن فوق سوانح
 أعز مكان في الدنيا سرج سابع
 نديم ، ولا يفضى إليه شراب
 فلاة إلى غير اللقاء تجاب^(١)
 يعرض قلبه فإصاب
 وغير بناني للرخاخ ركاب^(٢)
 فليس لنا إلا بهن لعاب^(٣)
 قد انقصت فيهن منه كعاب^(٤)
 وخير جليس في الزمان كتاب

لأبي الطيب
 المتنبي

(١) انحدود : الفتاة الجميلة . ونجاب : تقطع (٢) رمية : فريسة ، والرخاخ : جمع
 ربح . وهو من أدوات الشطرنج (٣) اللعاب : هو الملاعبة (٤) السوانح : العيول .
 والكتب : أطراف القنا

فقر في الكتب

إنفاق الفضة على كتب الآداب ، يُخلفك عليه ذهاب الألباب . إن هذه الآداب شوّارد ، فأجعلوا الكتب لها أزيمة . كتاب الرجل عنوان عقله ، ولسان فضله . ابن المعتز : من قرأ سطرًا من كتاب قد خطّ عليه قد خان كاتبه ؛ لأن الخطّ يُخرز ماتحته .

نزر جهر : الكتب أصداف الحكم ، تنشق عن جواهر الكلم
 بعض الكتاب : إعجاب الخطّ يمنع من استعجابه ، وشككه يؤمن من إشكاله .
 كأن هذا الكاتب نجًا إلى قول أبي تمام :
 ترى الحادث المستعجم الخطب معجمًا لديه ، ومشكولاً إذا كان مُشكلاً
 ما كتب قرء ، وما حفظ فرء . الخطوط المعجمة ، كالبرود الملمة .
 وقال ابن المعتز يصف كتاباً :

وذي نكت موشى نقتته وحاكته الأناملُ أي حوك
 بشكل يرفع الإشكال عنه كأن سطورَه أغصانُ شوك

جملة من الفاظ أهل العصر

في صفة الكتب وتهاديهها ، وما يتعلق بأسمائها ومعانيها

حضرة مولاي تجلّ عن أن يُهدى إليها غير الكتب ، التي لا يترفع عنها كبير ، ولا يمتنع منها خطير ، وقد فكرت فيما أنفذت به مقيا للرسم في جملة الخدم ، وحافظ الاسم في غمار الخشم ، فلم أجِد إلا الرقّ الذي سبق ملكه له ، والمال الذي منحه وخوّله ، فعدلت إلى الأدب الذي تنفق سوقه بياب سيدنا ولا تكند . وتهب ريحه بجانبه ولا تركد . وأنفذت كتابي هذا راجياً أن أشرف بقبوله ، ويوقع إلى بحصوله ؛ وأما وجب على ذوى الاختصاص لسيدنا إهداء ما جرت العادة بتسابق الأولياء إلى الاجتهاد في إهدائه^(١) ، وجب العدول في إقامة رسم الخدمة إلى اتباع

(١) في نسخة « بتسابق الأولياء إلى الاحتشاد في إهدائه » (م)

ما صدر عنه من الرخصة فيما تسهل كلفته ، وتجان عند ذوى الألباب قيمته ، وتعود
ثمرته : وهو عمُّ يُقْتَنَى ، وأزب يُجْتَنَى .

قال أبو الحسن بن طباطبا العموي :

لابن عدي

لا تُشْكِرَنَّ إهداءنا لك منطقاً منك استفدنا بحسنه ونظامه
فالله عز وجل يشكرُ فعلَ من يتو عليه وخبه وكلامه
وأهدى أحمد بن يوسف^(١) إلى المأمون في يوم مهرجان هدية قيمتها ألف
ألف درهم ، وكتب :

لأحمد بن
يوسف

على العبد حق فهو لا بد فاعله وإن عظم المولى وجلت فضائله
أما ترنا نهدي إلى الله بماه وإن كان عنه ذا غنى وهو قديبه
وقال أبو الفتح البستي :

لأبي النوح
النسي

لا تُشْكِرَنَّ إذا أهديت نحوك من عيوك الفر أو آدابك التفتا
فقيم الباغ قد يهدي لما نكر برسم خدمته من باغه التثجفا^(٢)

وكتب أبو إسحاق الصابي إلى عضد الدولة في هذا المعنى : العبيد تلاتف
ولا تُكاثِر الموالى في هداياها ، والموالى تقبل الميسور منها قبولاً هو محسوب في
عطائها . وما كان - أدام الله تعالى عزه - مبرزاً على منك الأرض في انخضر
الذى قصرُوا عنه شديداً ، والسعى الذى وقفوا منه بعيداً ، والآداب التى عجزوا عن
استعلام فضلها عن علمها ، والأدوات التى نيكوا^(٣) عن استمها منها فضلاً عن فهمها ،
وجب أن يُعدَّك عن اختياراتهم فيما تحظى به اجسوم البيئية ، إلى اختياره

لأبي إسحاق
الصابي

(١) أحمد بن يوسف : كاتب بايع كان يتولى ديوان الرضا للمأمون ، وله أخبار
كثيرة تدل على أن كان مع مركزه فى ديوانه كغير العيش واجيون . شتمه رجل بين
يدى المأمون فقال خائب مأمون : فدوا الله ، فمؤيد بن ربيعة يستعمل من : ديوانه
به . وسيعود صاحب ربح الآداب فى الكلام منه فى سنة ٢١٣ هـ .
(٢) الباغ : الطيب (٣) يكال عن شئ . - من بايعه شرب به . - من بايعه شرب به . (م)

فَمَا تَحْطَى بِهِ النَّفْسُ الْعَلِيَّةُ ، وَعَمَّا يَخْفِقُ فِي سَوَاقِيمِ الْغَامِيَةِ ، إِلَى مَا تَنْفَقُ فِي
سَوْقِهِ الْخَاصِيَةِ ، إِفْرَادًا لِتَرْتَبَتِهِ الْعُلْيَا ، وَغَايَتِهِ التَّصَوُّي ، وَتَمَيُّزًا لَهُ عَمَّنْ لَا يَخْدِي
مَعَهُ فِي هَذَا الْمَضَارِّ ، وَلَا يَتَعَلَّقُ مِنْهُ بِالْعَبَارِ : وَقَدْ حَمَلَتْ إِلَى الْخُرَازَانَةِ - عَمْرُهَا اللَّهُ ! -
شَيْئًا مِنَ الدَّفَائِرِ وَآلَةِ النُّجُومِ ، فَإِنَّ زَيْ مَوْلَانَا أَنْ يَتَطَوَّلَ ^(١) عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بِالْإِذْنِ
فِي عَرَضٍ ذَلِكَ عَلَيْهِ مُشْرِفًا لَهُ وَزَائِدًا فِي إِحْسَانِهِ إِلَيْهِ فَعَلَّ أَنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وَأَهْدَى أَبُو الْعَلِيبِ الْمُتَنَبِّي إِلَى أَبِي الْفَضْلِ بْنِ الْعَمِيدِ فِي يَوْمِ نَوْرُوزِ قَصِيرَةِ مَنْ أَبِي نَسِيبٍ
مَدَحَهُ فِيهَا ^(٢) يَقُولُ فِي آخِرِهَا :

كَثُرَ الْفِكْرُ كَيْفَ نَهْدِي كَمَا تَهْدِي إِلَى رَبِّهَا الرَّئِيسِ عَبْدُ
وَالَّذِي عِنْدَنَا مِنَ الْمَنْ وَالْخَيْلِ فَمِنْهُ هِبَةٌ وَوَيْدُ
فَبَعْضًا بِأَرْبَعِينَ مِهَارٍ كَمَا مَهْرٍ مِيدَانَهُ بِشَادُ
فَارْتَبِعْهَا فَإِنَّ قَلْبًا نَمَاهَا مَرَبُطٌ تَسْبِقُ الْجِيَادَ جِيَادُ

وَفِي هَذِهِ الْكَلِمَةِ يَقُولُ وَقَدْ احْتَفَلَ فِيهَا ، وَاجْتَهَدَ فِي تَجْوِيدِ الْفَاضِلِ وَمَعَانِيهَا .
فَعَقَّبَ عَلَيْهِ أَبُو الْفَضْلِ فِي مَوَاضِعَ وَقَفَ عَلَيْهَا فَقَالَ ^(٣) :

هَلْ تُعْذِرِي إِلَى الْهَمَاءِ أَبِي الْفَضْلِ قَبُولَ مَوَادِّ خِيْنِي . . .
أَنَا مِنْ شِدَّةِ الْخَيْلِ عَيْلٍ مَكْرُمَاتٍ تَمَعْنَهُ خِيْنِي . . .
مَا لَفَنِي تَقْصِيرًا ، أَلَقْتُ فِيهِ مِنْ خِلَادٍ حَتَّى نَسَى الْقَدْرَ . . .

(١) يتطول : يتفضل (م) (٢) مطلع هذه القصيدة :

حَاءُ نَبْرُوزْنَا وَأَنْتَ مِرَادُهُ وَوَرَبُّ الْمَدَى أَرَادَ زَيْنَادَهُ

(٣) نيس الأمر كما ذكر مؤلف . وبعده لاحظنا ابن العميد ما لاحظناه من . . .

...بينة الرائية التي سبقت فيها المؤلف بعد ذلك . فذهب محمد إلى . . .

في تصانيف الذالية التي قصدتها تهنئة ابن العميد يوم نوروز . . .

(٤) مطلع : من إضافة اسم الشاعر إلى مدحها . . .

ما تَعَوَّدْتُ أن أرى بكأبي الفضل ، وهذا الذي أتاهُ اعتيادُهُ
 غمَّرَتْني فوائدٌ شاءَ منها أن يكونَ الكلامُ ممَّا أفادُهُ
 ما سمِعْنَا مِن أَحَبِّ العطايا فاشتغى أن يكونَ مِنها فؤادُهُ
 وقد كان مدحه بقصيدته التي أولها :

بادِ هَوَاكَ صَبْرَتْ أُمٌ لَمْ تَضْبِرَا وَبُكَاءُكَ إِن لَمْ يَجْرَدْ مَعَكَ أَوْ جَرَى
 وفيها معانٍ مخترعة ، وأبيات مبتدعة ، يقول فيها :

من مُبْلِغِ الأعرابِ أتَى بَعْدَها جالَسْتُ رَسْطاليسَ والإسْكَندرا
 ومَلَّتْ نَحْرَ عِشَارِها فأضافني من يَنْحَرُ البِدرَ النُّضارَ لمن قَرَى ^(١)
 وسمعتُ بطلَيْموسَ دارسَ كُتُبِهِ مَمْلُوكًا متبدياً متحضراً ^(٢)
 ورأيت كلَّ الفاضلينَ كأنما رَدَّ الإلهُ نفوسَهُم والأعْصرا
 نُسِقوا لنا نسقَ الحسابِ مقدِّمًا وأتى فذلك إذ أتيت مؤخرًا

وفيها يقول :

فدعاكَ حُسْدُكَ الرئيسَ وأمسكوا ودعاكَ خالِقُكَ الرئيسَ الأَكْبَرَا
 خلفتُ صفاتِكَ في العيونِ كلامهُ كالخطِّ يملأُ مِسمَعِي مِن أبصرا
 أخذه من قول الطائي يصف قصائده :

بِقُرْبِ يَرَاهَا مِن يَرَاهَا بِسَمْعِهِ وَيَدُنُو إِلَيْها ذوالحِجَا وهو شاسِعٌ ^(٣)

[فقر في وصف الكتب]

كتاب كَتَبَ لي أماناً من الدهر ، وهنأني في أيام العمر . كتاب أوجب
 من الاعتداد فوق الأعداد ، وأودع بياض الوداد سواد الفؤاد . كتاب النظر فيه

(١) البدر : جمع بكرة ، وهي الكيس فيه عشرة آلاف دينار ، والنضار - بالضم -
 الذهب ، وقرى : أضاف (٢) متبدياً : في أخلاق أهل البداوة (٣) شاسع : جيد

نسيم مقيم ، والظفرُ به فتح عظيم . كتاب ارتحت لعيانه ، واهتززت لعنوانه .
 كتاب هو من الكتب الميامين^(١) ، التي تأتي من قبل اليمين . كتاب عدده
 من حُجول العيرِ وغرره^(٢) ، واعتدده من فُرص العيش وغرره^(٣) .
 كتاب هو أنفُس طالع ، وأكرم متطلع ، وأحسن واقع ، وأجلُّ
 متوقع . كتاب لو مُقِرَّ ، على الحجارة لانفجرت ، أو على الكواكب
 لانتثرت . كتاب كدتُ أُبليه طياً ونشراً ، وقبلة ألفا ، ويد حمله
 عشرًا . كتاب نيتُ لحسنه الرّوض والزهر ، وغفرتُ للزمان ما تقدم من
 ذنبه وما تأخر . كتاب أمّلية هزة المجد على بنانك ، ونطق به لسان الفضل
 عن لسانك . أنا ألتقطُ من كلِّ حرفٍ تديرُهُ أناملكُ تحفة ، وأخذُ
 من كل سطرٍ تتجشّمُ تخطيطه نزهة . إذا قرأت من خطك حرفاً ، وجدتُ
 على قلبي خفاً^(٤) ، وإذا تأملت من كلامك لفظاً ، ازددتُ من أنسي حظاً .
 كتاب كتب لي أماناً من الزمان ، وتوقيع وقع ميسي موقيع الماء من
 العطشان . كتاب هو تَعَلَّةُ المسافر^(٥) ، وأنة المستوحش ، وزبدة الوصال ،
 وعُقلة المستوفز^(٦) . كتاب هو رقية القلب السليم^(٧) ، وغرة العيش البهيم^(٨) .
 كتاب هو سمر بلا سهر ، وصفو بلا كدر . كتاب تمتعت منه بالنسيم
 الأبيض ، والعيش الأخضر ، واستلته استلام الحجر الأسود^(٩) ، ووكلتُ
 طرفي من سطورِه بوشى مهلل ، وتاج مُكَلَّل ، وأودعتُ سمعي من محاسنه

(١) الميامين: جمع ميمون (٢) الحجول: جمع حجل، وهو يبيض في القوائم بحمله
 الخيول ، والغرر: جمع غرة، وهي يبيض في الجهة (٣) غرر: جمع غرة بكسر الغين وهي
 الرزق ، وقد يخلو في الشباب (٤) الخف والخفة: الارتياح (٥) تعلقة المسافر:
 ما يتلوه به لقطع الوقت (٦) المستوفز: المتبهي، للوثوب (٧) السليم: المدوغ
 (٨) البهيم: المظلم (٩) يريد أنه استلمه متيحنا باستلامه كما يتقرب الحاج إلى
 الله باستلام الحجر الأسود

ما أساقى سماع الأغانى من مطربات الفوانى^(١) . نشأت سحابة من لفظك ،
غَيْمًا نِعْمَةً سَابِقَةً ، وَغَيْثًا حِكْمَةً بِالْفِئَةِ ، سَقَتْ رَوْضَةَ الْقَلْبِ ، وَهَدَتْ
جَهْدَهَا يَدَ الْجُدْبِ^(٢) ؛ فَاهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ ، وَاكْتَسَتْ مَا اكْتَسَبَتْ .
كتاب حسيته ساقطاً إلى من السماء ، اهتزازاً مطلقاً ، رابتهاجاً بحسن
موقعه ، تناولته كما يتناول الكتاب المرقوم ، وفضضته كما يفض الرحيق
المختوم^(٣) . كتاب كالمشترى شرف به السير ، وقميص يوسف جاء به
البشير . كتاب هو من الحسن ، روضة حزن ، بل جنة عدن ، وفي شرح
الفسى وبسط الأناجيد الأكلاد والقلوب ، وقميص يوسف في أجفان
يعقوب . قد أهديت إلى محسن الدنيا مجموعة في ورقة ، ومباهج الحلى والخلل
محصورة في طبقه . كتاب الصفة بالقلب والكبد ، وشمته شم الولد .
وَرَدَ مِنْكَ الْمِسْكُ ذِكْيَا ، وَانْزَهْرُ جَنِيًّا ، وَالْمَاءُ مَرِيًّا^(٤) ، وَالْعَيْشُ هَنِيًّا ،
وَالسَّحَرُ بَابِلِيًّا^(٥) . كتاب مقلعة أهلة الأعياد ، وموقعه موقع نيل المراد .
كتاب وجدته قصير العمر ، كليالي الوصال بعد الهجر ، لم أبدأ به حتى
استكمل . وقارب الآخر منه الأول . كتاب منتقى الأطراف ، منقطع
الأكتاف ، أبتز الجوارح ، مضطرب الجوانح ، كتاب كأنه توقيع
متحرز ، أو تعريض متبرز^(٦) . كاد يلتقى طرفاه ، ويتقارب مفتحه
ومنتهاده . كتاب التقت طرفاه صغراً ، واحتومت حاشيته قصرًا . ما أظنني

(١) الفوانى : جمع غانية ، وأصلها المرأة التي استغنت بحملها عن الزينة ، أو التي
استغنت بيت أبيها عن الأزواج ، وأراد هنا القيان (م)
(٢) أجهدتها : أشقتها ، والجذب : القمل (٣) الرحيق المختوم : الخمر المعتقة التي لم
يفس من دنائها الأختام (٤) مري : عني . . (٥) بابل : مدينه ينسب إليها السحر ،
وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم (م) (٦) متبرز : متعفف : ورجل برز ،
وامرأة برزة : عفيف وعفيفة : وكلامه سيكون لـ

ابتدأته حتى ختمته ، ولا استفتحته حتى أتمته ، ولا لحنه حتى استوفيته ،
ولا نشرته حتى طويته ، وأحسبني لو لم أجود ضبطه ، ولم ألزم يدي حفظه ،
نظار حتى يختلط بالجو ، فلا أرى منه إلا هباءً منثوراً ، وهو منشوراً .
كتاب حسبه يطير من يدي لحنه ، ويلطف عن حسي لقلته ، وعجبت
كيف لم تحمله الرياح قبل وصوله إلى ، وكيف لم يختلط بهوا ، عند وصوله لذي .
كتاب قص الاقتصار أجنحته ، فلم يدع له قوادم ولا خوافي ، وأخذ
الاختصار جثته ، فلم يبق أفاضلاً ولا معاني . طلع كتبتك كإيماء بطرف ،
أروحي بكف .

وقال أبو العباس عبد الله بن المعتز : استعرت من علي بن يحيى المنجم جزءاً فيه
أخبار مفيد بخط حماد بن إسحاق الموصلي ، وكان وعدني به ، فبعث إلى بست
ورقات لطاف ، فرددتها وكتبت إليه : « إن كنت أردت بقولك جزءاً الجزء
الذي لا يتجزأ فقد أصبت ، وإن كنت أردت جزءاً فيه فائدة للقارى ، وممتعة
للسامع ، فقد أحلت^(١) : وقد ردّدتك عليك بعد أن طار اللحظ
عليه طيرة . »

فأجابني : إذا كان السفر عندك منجدة فما أصنع^(٢) ؟

[المحادثة والمجالبة]

وقال أبو العباس : دخل رجل على الحسن بن سهل بعد أن تأخر عنه أياماً .
فقال : ما ينقضي يوم من عمري لأراك فيه إلا علمت أنه مبنون التدر ، منحوس
الحظ ، مبنون الأيام .

فقال الحسن : هذا لأنك توصل إلى بحضورك سرور لا جد عند عيشت .

(١) أحال : نكلم بالتحال (٢) المدحاة : ما يظهر به من ورى أو مد .

وَأَتَنَسَّمُ مِنْ أَرْوَاحِ عِشْرَتِكَ مَا تَجِدُ الْحَوَاسُّ بِهِ يُفِيئَهَا ، وَتَسْتَوِي مِنْهُ لَذَّتَهَا ،
فَنَفْسُكَ تَأَلَّفُ مِنِّي مِثْلَ مَا آلَفَهُ مِنْكَ .

وكان يقال : محادثة الرجال تلقيح الألباب^(١) .

وقال ابن الرومي :

وَلَقَدْ سَمِيتُ مَارِيَّ فَكَأَنَّ أَطْيَبَهَا خَبِيثُ
إِلَّا الْحَدِيثَ ؛ فَإِنَّهُ مِثْلُ اسْمِهِ أَبَدًا حَدِيثُ

قال مخارق : لقيني أبو إسحاق إسماعيل بن القاسم قبل نسكه ، فقال : أنا والله
صَبُّ بكَ ، وَلَوْعَ إِلَيْكَ ، مَعْمُورُ الْقَلْبِ^(٢) بِشُكْرِكَ ، وَاللِّسَانِ بِذِكْرِكَ ، مَتَشَوِّفٌ إِلَى
رُؤْيَيْكَ وَمِنَاوِضَتِكَ ، وَقَدْ طَالَتِ الْأَيَّامُ عَلَى مَا أَعِدُّهُ نَفْسِي مِنَ الْاجْتِمَاعِ مَعَكَ ،
وَمِنْ قِضَاءِ الْوَطْرِ مِنْكَ ؛ فَمَا عِنْدَكَ ؟ أَنَا الْفِدَاءُ لَكَ ! وَتَزُورُنِي أَمْ أُزُورُكَ ؟

قلت : جعلني الله فداءك ! ما يكون عند من هو منك بهذا الموضع وفي هذا
المحل إلا الانقياد إلى أمرك ، والسمع والطاعة لك ، ولولا أن أسيء الأدب في
أمر بدأت فيه بالفضل لقلت : إن كثيرا ما ابتدأت به من القول يقل فيما عندي
من الشوق إليك ، والشغف بك ، دون ما حررتك هذا القول مني ، فوجبت لك به
المنة على ، وأنا بين يديك ، فأثني عني إلى ما أردت ، وقد نيتي كيف شئت ،
تجدني كما قال القائل :

مَا تَشْتَبِيهِ فَإِنِّي الْيَوْمَ فَاعِلُهُ وَالْقَلْبُ صَبُّ فَمَا جَشَمْتَهُ جِشْمًا
وَذَكَرَ سَهْلُ بْنُ هَارُونَ رَجُلًا ، فَقَالَ : لَمْ أَرِ أَحْسَنَ مِنْهُ فَهَمًّا جَلِيلًا ، وَلَا تَفْهَمًا دَقِيقًا
أَشَارَ إِلَيْهِ أَبُو تَمَّامٍ فَقَالَ :

وَكَانَتْ أَعْرَ عِزًّا مِنْ قَنُوعٍ تَعْرِضُهُ صَفُوحٌ مِنْ مَعُولٍ
فَصَرَتْ أَذْلَ مِنْ مَعْنَى دَقِيقٍ بِهِ قَعْرٌ إِلَى ذِهْنٍ جَلِيلٍ^(٣)

(١) التلقيح : ما تلقح به النخلة لثمر (٢) كذا . وأحسبه «معمر القلب» بعين

مهية (م) (٣) في ديوان أبي تمام (ص ٥٠٣) «به قعر إلى فهم جليل» (م)

وقال سعيد بن مسلم للعامون : لو لم أشكر الله تعالى إلا على حسن بين المأمون
وسعيد بن مسلم ما أبلاني من أمير المؤمنين من قصده إلى بحديثه ، وإشارته إلى بطرفه ؛ لقد كان
في ذلك أعظم الرفعة ، وأرفع ما توجبه الحرمة . فقال : يفعل أمير المؤمنين
ذلك ؛ لأن أمير المؤمنين يجد عندك من حسن الإفهام إذا حدثت وحسن الفهم
إذا حدثت ما لا يجده عند أحد من مضي ، ولا يظن أنه يجده عند أحد ممن
بقي ، فإنك لتستقصي حديثي ، وتقف عند مقاطع كلامي ، وتخبر بما كنت
أغفانه منه .

المتوكل
وأبو العينا .

بين حكيم
وتلميذ

وقال المتوكل لأبي العينا : ما تحسن ؛ قال : أفهم وأفهم .
وقال بعض الحكماء لتلميذه ، وقد ضرب الموسيقى : أفهمت ؛ قال : نعم ،
قال : بل لم تفهم ؛ لأنني لا أرى عليك سرور الفهم ؛ وقد قيل : من نظر إلى
الربيع وأبوارد ، والروض وأصباغ ، ولم ينتبهج كان عديم حس ، أوسقيم نفس .
ومر أبو تمام بدير شهر من أرض فارس ، فسمع جارية تغني بالفارسية ،
فشاقه شجي الصوت ، فقال :

أبو تمام يصف
جارية تغني
بالفارسية

ومسمة تروق السمع حسناً ولم تصمه ، لا يصمم صداها ؛
لوت أوتارها فشجت وشاوت فلو يستطيع حادها فداهاً
ولم أفهم معانيها ، ولكن ورت كبدى فلم أجهل شداها
فكنت كأنتي أعمى معني نجب الغانيات ولا يراها

أبو تمام يذكر
أنه أخذ المعنى
من بشار

قال أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر : قلت لأبي تمام : أخذت هذا المعنى
من أحد ؛ قال : نعم ، أخذته من قول بشار بن برد :

يا قوم أذني لبعض الحي عاشقة والأذن تشق قبل العين أحياناً
قالوا : بمن لا ترى تهذي ؟ فقلت لهم : الأذن كالعين توفى القلب ما كانا
وقال بشار أيضاً في هذا المعنى :

قالت عقيل بن كعب إذ تعلقها قلبي فأضحى به من حبها أثر ؛
(١١ - زهر الآداب ١)

أنى ولم ترها تهذى ! فقلت لهم : إن الفؤاد يرى مالا يرى البصر
وقال :

يزهدنى في حب عبدة معشر
فقلت : دعو أقبى وما اختار وارتنقى
وما تبصر العينان في موضع الهوى
ولا تسمع الأذنان إلا من القلب

وقد قال أبو يعقوب الخريمى في هذا المعنى ، وكان قد أعور ثم عمى ، وقيل :
إنها للخليل بن أحمد :

أشباملى بشار

قالت أتهزأ بي غداة لقيتها
فأجبتها : نفس فداؤك إنما
بالرجال لصبوة الصبيان
أذنى وعيني في الهوى سبان

وقريب من هذا قول الحكم بن قنبر
إن كنت لست معى قالد كرمك معى
العين تبصر من تهوى وتفقد
وقال آخر :

أما والذي لو شاء لم يخلق الهوى
تربيدك عين الوهم حتى كأننى
لئن غبت عن عيني فما غبت عن قلبي
أنا جيك من قرب وإن لم تكن قربي^(١)

وقال أبو عثمان سعيد بن الحسن الناجم :

لئن كان عن عيني أحمد غائباً
له صورة في القلب لم يقصها النوى
فما هو عن عين الضمير بغائب
ولم تتخطفها أكف النواب

(١) ومن هذا الباب قول أحمد بن يوسف :

تطاول باللقاء العهد منا
أراك وإن نأيت بعين قلبي
فهللى في الرواح إلى حبيب
فهللى في الرواح إلى حبيب
وطول العهد يقدح في القلوب
كأنك نسب عيني من قرب
يقرب بعينه قرب الحبيب

إذا ساءنى منه شُحُوطُ مزاره وضافت بقلبي في نَوَاهُ مَذَاهِبي^(١)
 عطفتُ على شَخِصٍ له غير نازحٍ مَحَلَّتُهُ بين الحَشَا والتَّرَابِ^(٢)
 وذَكَرَ أبو عبيدة كيسان مُتَمَلِّيه في بعض الأمر ، فقال : ما قَهِمَ ، ولو كيسان مستملي
 فهم لَوَمِّمْ^(٣) . وكان كيسانُ يوصف بالبلادة والنفلة .

قال الجاحظ : كان يكتبُ غيرَ ما يسمع ، ويستقنى غيرَ ما يكتب ،
 ويقرأ غيرَ ما يستقنى^(٤) ، ويُمَلِّي غيرَ ما يقرأ ، أمليت عليه يوماً :
 عَجِبْتُ لِعَشْرِ عَدَاوَا بِمَعْتَمِرِ أبا عمر
 فسكتب أبا بشر ، وقرأ أبا حفص ، واستقنى أبا زيد .

قال أبو عباد : للمحدث على جليسه ، السامع لحديثه ، أن يَجْمَعَ له بالله ،
 ويضفي إلى حديثه ، ويكتم عليه سرُّهُ ، ويبسط له عذره .

ما يجب
 للمحدث على
 جليسه

وقال : ينبغي للمحدث إذا أنكر عين السامع أن يستفهمه عن معنى حديثه ، فإن
 وجد قد أخلص له الاستماع أتم له الحديث ، وإن كان لاهياً عنه حرمةُ حُشْنِ
 الإقبال عليه ، ونفع الموانسة له ، وعرفه بسوء الاستماع والتقصير في حق المحدث .
 وقال : نشأ المحدث على قدر فهم المستمع .

وكان عبد الله بن مسعود^(٥) - رضي الله عنه ! - يقول : حدثت الناس ما حدَّ جُوك
 بأسماعهم^(٦) ، ولحظوك بأبصارهم ، فإذا رأيت منهم فتوراً فأمسك .

وقال أبو الفتح البستي :

إذا أحسست في لَفْظِي فتوراً وحفظي والبسلاغة والبيان

(١) الشحوط : البعد (٢) النازح : البعيد (٣) وهم : غلط (٤) استقنى : سود
 (٥) صحابي جليل ، كان من السابقين إلى الإسلام ، وكان أول من جهر بقراءة
 القرآن في مكة . وتولى بعد وفاة الرسول بيت مال الكوفة ، كان رضي الله عنه
 يكثر من التطب . وكان من المتفوقين في رواية الحديث ، توفي سنة ٣٢
 (٦) حنحوك بأسماعهم : وجهوها نحوك

فلا ترتب بفهمي إن رقصي على مقدار إيقاع الزمان
وقال عامر بن عبد قيس : الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب .
وإذا خرجت من اللسان لم تجاوز الأذان .

وقال الحسن — وقد سمع متكلمًا يعظ فلم تقع موعظته من قلبه وه يرق لها — : يا هذا ؛ إن بقلبك لشرًا ، أو بقلبي !

وقال محمد بن صبيح المعروف بابن أسماك لجاريته : كيف ترين ما أعظ الناس به ؟ قالت : هو حسن ، إلا أنك تكرره ، قال : إنما أكرره ليفهمه من لم يكن فهمه ، قالت : إلى أن يفهمه البطيء . يتنقل على سمع الذكي .

واستعبد ابن عباس حديثًا فقال : لولا أني أخاف أن أغض من بهائه ، وأريق من مائه ، وأخلق من جدته ، لأعدته .

وقال أبو تمام الطائي يصف قصائده :

منزّهة عن السرّق المؤدى مكرّمة عن المعنى المعاد
أخذه البحترى فقال :

لا يعمل اللفظ المكرّر فيه واللفظ المرّد
والإطالة مملولة كما يملّ التكرير .

وقد قال الحسن بن سهل : الآداب عشرة ؛ فثلاثة شهرجانية ، وثلاثة أنوشروانية ، وثلاثة عربيّة ، وواحدة أربت عليهن ؛ فأما الشهرجانية فضرب العود . ولعب الشطرنج ، ولعب الصّواج . وأما الأنوشروانية فالطب ، والهندسة . والفروسية . وأما العربية فالشعر ، والنسب ، وأيام الناس . وأما الواحدة التي أربت عليهن : فمقطعات الحديث ، والسمر ، وما يتلقاه الناس بينهم في المجالس .

وكان يُقال : خذ من العلوم نتفها ، ومن الآداب طرفها .

وكان يُقال : مقطعات الأدب ، قرّاضات الذهب .

تكرار
الحديث

الآداب

لسمر وتنف
الأحاديث

وحضّر بشار بن بُرْدٍ مجلساً فقال : لا تجعلوا مجلسنا غنا ، ولا شعراً
كله ، ولا سمرأً كله ، ولكن اتهبوه انتهبابا .

وقال الحسن رحمه الله : حدثوا هذه القلوب فإبها سريرة الدنور ، واقدعوا^(١)
هذه الأنفس فإنها طلعة^(٢) ؛ وإنكم إلا ترعوها^(٣) تنزع بكم إلى شر غاية .

وقال أزدشير بن بابك : إن للأذهان كلالا ، وللقلوب مالا ، ففرقوا بين
الحكمتين يكن ذلك استجماما .

ويروى في حكمة آل داود : لا ينبغي للعاقل أن يُخلى نفسه من أربع :
عدة لمعاده ، وصلاح لمعاشه ، وفكر يقف به على ما يضلحه من فساد ،
والذة في غير مُحَرَّم يستعين بها على الحالات الثلاث .
وما أحسن ما قال أبو الفتح بن كشاجم^(٤) :

عَجِبِي مِمَّنْ تَنَاهَتْ حَالُهُ	وكفاه الله ذلّاتِ الطلبِ
كيف لا يقسم شطري عمره	بين حائنين نعيم وأدب؟
ساعة يمتنع فيها نفسه	من غداء وشرابٍ منتخب
ودنوّ من دمي هنّ له	حين يشتاق إلى اللعب لعب ^(٥)
فإذا ما نال من ذا حظّه	فحديثٌ ونشيدٌ وكتبٌ
مرة جدّ ، وأخرى راحة	فإذا ما غسّق الليل انتصب
فقضى الدنيا نهراً حقها	وقضى لله ليلاً ما وجب

- (١) من القدح . بالقاف ، وهو ازجر . وفي الأصل (افدعوا) بالقاف ، وهو تحريف
(٢) طلعة : كثير التطلع (٣) يزغ - بالزاي المعجمة - يزجر ، وفي الأصل (ترعوها)
بالراء المهملة وهو تحريف - وفي نسخة «تقدعوها» وفي أخرى «ترعوها» بزيادة
نون بين حرف المضارعة والزاي ، وفي أخرى «إلتطيعوها» وهذه لا يصح المعنى عليها (م)
(٤) هو محمود بن محمد ، الشاعر الكاتب ، المتوفى سنة ٣٥٠ .
(٥) الدمى : جمع دمية . وهي الصورة توضع في الخراب لتمثال الحور العين

تلك أقسامٌ متى يَعْمَلُ بها دَهْرُهُ يَسْعَدُو وَيَرْشُدُو وَيُصِيبُ
 وقال أبو العباس محمد بن يزيد : قَسَمَ كَسْرِي أَيامه فقال : يَصْلُحُ يَوْمُ
 الريح للنوم ، ويوم القَسِيمِ للصيد ، ويومُ المَطَرِ للشرب واللَّهْوِ ، ويوم الشمس
 لقضاء الحوائج .

نظام كسرى
 في حياته

قال الحسن بن خالويه^(١) : ما كان أعرفهم بسياسة دُنْيَانِمْ ، يعلمون ظاهراً
 من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ، ولكن نبينا صلى الله عليه وسلم قد
 جَزَأَ نهاره ثلاثة أجزاء : جُزْءٌ لله ، وجُزْءٌ لأهله ، وجُزْءٌ لنفسه ، ثم جُزْءٌ جزاء
 بينه وبين الناس ؛ فكان يستعين بالخاصة على العامة ، وكان يقول : أبلغوني
 حاجة من لا يستطيعُ إبلاغِي ؛ فإنه من أبلغٍ إذا سلطان حاجة من لا يستطيع
 إبلاغها آمنهُ اللهُ تعالى يَوْمَ الفَرَجِ الأكبر .

رسول الله صلى
 الله عليه وسلم
 يجزى نهاره
 على الصالح

أ عَوذُ إِلَى الإِطَالَةِ وَالِإِيجَازِ !

وقال شبيب بن شيبه^(٢) : إن ابتليت بمقام لا بد لك فيه من الإطالة فقدّم
 إحكام البلوغ في طلب السلامة من الخَطَلِ ، قبل التقدم من إحكام البلوغ في

(١) هو الحسين « لا الحسن كما ورد في الأصل » ابن أحمد ، إمام اللغة والعريفة في
 عصره ، طلب العلم في بغداد ، ثم سكن حلب واختص بسيف الدولة بن حمدان وأولاده ،
 وهناك انتشر علمه وروايته . وكانت وفاته سنة ٣٧٠ . قال السيوطي في بنية الوعاة :
 سألت سيف الدولة جماعة من العلماء بحضرته ذات ليلة : هل تعرفون اسماً ممدوداً
 وجمعه مقصوراً؟ فقالوا : لا ، فقال لابن خالويه : ماتقول أنت؟ فقال : أنا أعرف اثنين
 قال : فما هما؟ قال صحراء وصحاري ، وعذراء وتذاري . فلما كان بعد شهر من أصاب
 حرفين آخرين هما صلفاء وصلافي وهي الأرض المليظة ، وخبراء وخباري وهي أرض
 فيها ندوة ، ثم بعد عشرين سنة وجد حرفاً خامساً . وهو سبتاء وسباني وهي الأرض الحثينة
 (٢) كان شبيب بن شيبه مشهوراً بالفصاحة والدهاء ، وكان ينادم خلفاء بني أمية
 ويفزع إليه أهل بلده في حوائجهم . توفي سنة ١٧٠

شَرَفِ التَّجْوِيدِ؛ ثُمَّ إِيَّاكَ أَنْ تَعْدِلَ بِالسَّلَامَةِ شَيْئًا، فَقَلِيلٌ كَافٍ خَيْرٌ لَكَ مِنْ كَثِيرٍ غَيْرِ شَافٍ.

وَكَانَ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى يَقُولُ لِكُتَّابِهِ: إِنْ اسْتَطَقْتُمْ أَنْ يَكُونَ كَلَامُكُمْ كُلُّهُ مِثْلَ التَّوْقِيعِ فَافْعَلُوا.

وَقَالَ ثَمَامَةُ بْنُ أَشْرَسَ: لَمْ أَرَ قَطُّ أَنْ نَطَقَ مِنْ جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ، وَكَانَ صَاحِبَ إِيجَازٍ.

وَكَانَ أَبُو وَائِلَةَ إِيَّاسُ بْنُ مَعَاوِيَةَ - عَلَى تَقَدُّمِهِ فِي الْبَلَاغَةِ، وَفَضْلِ عَقْلِهِ وَعِلْمِهِ - بِالْإِكْثَارِ مَعِييًّا، وَإِلَى التَّطْوِيلِ مَنَسُوبًا، وَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَبْرَمَةَ: أَنَا وَأَنْتَ لَا تَتَّفِقُ، أَنْتَ لَا تَشْتَهِي أَنْ تَسْكُتَ، وَأَنَا لَا أَشْتَهِي أَنْ أَسْمَعَ. وَقِيلَ لَهُ: مَا فِيكَ عَيْبٌ إِلَّا كَثْرَةُ كَلَامِكَ، قَالَ: أَقْتَسِمُونَ صَوَابًا أَمْ خَطَأً؟ قَالُوا: بَلْ صَوَابًا، قَالَ: فَالزِّيَادَةُ فِي الْخَيْرِ خَيْرٌ.

قَالَ الْجَاحِظُ: وَليْسَ كَمَا قَالَ، بَلْ لِلْكَلامِ غَايَةٌ، وَالنَّشَاطُ السَّامِعِينَ نَهَايَةٌ، وَمَا فَضَّلَ عَنِ مَقْدَارِ الْاحْتِمَالِ، وَدَعَا إِلَى الْاسْتِقْطَالِ وَالْكَوَالِ؛ فَذَلِكَ هُوَ الْفِضَالُ^(١) وَالْمَهْدَرُ وَالْخَطْلُ وَالْإِنْشَابُ الَّذِي سَمِعْتُ الْخَطْبَاءَ يَعْيبُونَهُ.

وَذَكَرَ الْأَصْمَعِيُّ أَنَّ ابْنَ هُبَيْرَةَ لَمَّا أَرَادَ إِيَّاسًا عَلَى الْقَضَاءِ قَالَ: إِيَّاهُ وَاللَّهِ لَا أَصْلَحُ لَهُ، قَالَ: وَكَيْفَ ذَلِكَ؟ قَالَ: لِأَنِّي دَمِيمٌ حَدِيدٌ، وَلَأَنِّي عَيْبٌ، قَالَ ابْنُ هُبَيْرَةَ: أَمَا الْحِدَّةُ فَإِنَّ السَّوْطَ يُقَوِّمُكَ؛ وَأَمَا الْعَيْبُ فَقَدْ عَبَّرْتَ عَمَّا تَرِيدُ؛ وَأَمَا الدَّمَامَةُ فَإِنِّي لَا أُرِيدُ أَنْ أَحَاسِنَ بِكَ.

وَيُصْنَفُهُ أَحَدٌ بِالْعَيْبِ، وَإِنَّمَا كَانَ يُعَابُ بِالْإِكْثَارِ، وَلَكِنَّهُ أَرَادَ الْمُدَافَعَةَ عَنِ نَفْسِهِ وَالْحَدِيثُ ذُو شَجُونٍ^(٢).

(١) الفضال، على وزن كتاب، المتبدل من قول أو غيره

(٢) شجون: ضروب

إيَّاسُ بْنُ
مَعَاوِيَةَ يَحْتَجُّ
لِلْأَطْنَابِ

الْجَاحِظُ يَرُدُّ
عَلَيْهِ

ابْنُ هُبَيْرَةَ
يُرِيدُ إِيَّاسًا
عَلَى الْقَضَاءِ

أبو العيناء قال أبو العيناء ، ذُكِرْتُ لبعض القِيَانِ فَعَشَقْتَنِي عَلَى السَّمَاعِ ، فَلَمَّا رَأَيْتَنِي
وبعض القيان استقبحتني ، فقلت :

وشاطرةٍ لما رَأَيْتَنِي تَنَكَّرْتِ وَقَالَتْ : قَبِيحٌ أَخْوَانٌ مَالَهُ جِسْمٌ
فَإِنْ تَنَكَّرِي مِنِّي أَخْوَالًا لِأَفَانِي أَدِيبٌ أَرِيبٌ لَا عِيٌّ وَلَا قَدَمٌ (١)
[فاتصل بها الشعر ،] فَكَتَبْتُ إِلَى : إِنَّا لَمْ نَزِدْ أَنْ نُؤَلِّكَ دِيْوَانَ الزَّمَامِ !
وكان عمرُ بن عبد العزيز رحمه الله تعالى كتب إلى عدى بن أرطاة (٢) : إِنْ
قَبَلْتُكَ رَجُلَيْنِ مِنْ مُزِينَةٍ — يَعْنِي بَكْرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ، وَإِيَّاسَ بْنَ مَعَاوِيَةَ — فَوَلِّ
أَحَدَهُمَا قِضَاءَ الْبَصْرَةِ ؛ فَأَحْضِرْهُمَا ، فَقَالَ بَكْرٌ : وَاللَّهِ مَا أَحْسَنُ الْقِضَاءَ ؛ فَإِنْ كُنْتُ
صَادِقًا فَمَا تَحِلُّ تَوَلِّيَّتِي ، وَإِنْ كُنْتُ كَاذِبًا فَذَلِكَ أَوْجِبُ لِتَرْكِكِ ، فَقَالَ إِيَّاسٌ :
نَعَمْ وَقَفَّئِمُوهُ عَلَى شَفِيرِ جَهَنَّمَ ، فَانْتَدَى مِنْهَا بِيَمِينِ يَكْفُرُهَا ، وَيَسْتَفْغِرُ اللَّهُ تَعَالَى
إِنَّهَا ، فَقَالَ لَهُ عَدِيٌّ : أَمَا إِذَا اهْتَدَيْتِ لَهَا فَأَنْتِ أَحَقُّ بِهَا ، فَوَلَّاهُ .

فطنة إياس

وَدَخَلَ إِيَّاسُ الشَّامَ وَهُوَ غُلَامٌ صَغِيرٌ ، فَقَدَّمَ خَصْمًا لَهُ إِلَى بَعْضِ الْقِضَاةِ ،
وَكَانَ انْتِخَمٌ شَيْخًا ، فَصَالَ عَلَيْهِ إِيَّاسٌ بِالْكَلَامِ ، فَقَالَ لَهُ الْقَاضِي : خَفَّضْ عَلَيْكَ
فَإِنَّهُ شَيْخٌ كَبِيرٌ ، قَالَ : الْحَقُّ أَكْبَرُ مِنْهُ ، قَالَ : اسْكُتْ ! قَالَ : فَمَنْ يَنْطِقُ بِحُجَّتِي ؟
قَالَ : مَا أَرَاكَ تَقُولُ حَقًّا ، قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ! فَدَخَلَ الْقَاضِي عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ
فَأَخْبَرَهُ ؛ فَقَالَ : اقْضِ حَاجَتَهُ السَّاعَةَ وَأَخْرِجْهُ مِنَ الشَّامِ لَا يُفْسِدِ أَهْلَهَا (٣) !

و لسن إياس

الحديث المملول وقال أحمد بن الطيب السرخسي تلميذ يعقوب بن إسحاق الكندي (٤) :

(١) القدم : العبي عن الكلام (٢) عدى بن أرطاة : أمير من أهل دمشق ، وولاه
عمر بن عبد العزيز على البصرة سنة ٩٩ فاستمر إلى أن قتله معاوية ابن يزيد سنة ١٠٢ .
(٣) وكانت وفاة إياس سنة ١٢٢ (٤) كان الكندي فيلسوف العرب في عصره ،
وأحد أبناء الملوك من كندة ، نشأ في البصرة ، وانتقل إلى بغداد ، وكان من أعرف
الناس بالطب والفلسفة والموسيقى والهندسة والفلك . وقد ترجم عدد من كتبه إلى
اللاتينية ، وكانت وفاته نحو سنة ٢٦٠

كنتُ يوماً عند العباس بن خالد ، وكان ممن حَبَّبَ اللهُ إليه أن يتحدَّثَ ، فأخذ يتحدثني ، ويتنقلُ من حديثٍ إلى حديثٍ ، وكنا في صَحْنٍ له ، فلما بلغتنا الشمس انتقلنا إلى موضعٍ آخر ، حتى صار الظلُّ قَيْناً ؛ فلما أَكْثَرَ واضْجَرَ ، ومِلَّتْ حُسْنَ الأدبِ في حُسْنِ الاستماعِ ، وذكرت قول الأوزاعي : إن حَسْنَ الاستماعِ قوَّةٌ للمحدثِ ، قلتُ له : إذا كنتُ وأنا أسمعُ قد عَيَّيتُ بما لا كُفَّةَ عليَّ فيه ؛ فكيف أراك وأنتَ المتكلمُ ؟ فقال : إنَّ الكلامَ يَحُلُّ الفُضولَ اللزجةَ الغليظةَ التي تعرض في اللَهَوَاتِ وأصل اللسانِ ومنايِبِ الأسنانِ ، فوثبتُ وقلتُ : لا أراي معكَ اليوم إلا « إيارج الفيقرا » ؛ فأنت تتغرَّ غرُّبي ! فاجتهد في أن أجلسَ فلم أفعَل .

قال أحمد بن الطيب : كنا مرَّةً عند بعض إخواننا ، فتكلَّم وأعجبه من نفسه البيان ، ومِنَّا حَسْنُ الاستماعِ ، حتى أفرطَ ، فعرض لبعض من حضرَ مَلَلٌ ، فقال : إذا بارك اللهُ في الشيء لم يَفِنَ ، وقد جعل اللهُ تعالى في حديثِ أخينا البركة ! .

ولعبد الله بن سالم الخياط في رجل كثير الكلام :
 لي صاحبٌ في حديثه البركة يزيدُ عند الكونِ والخَرَكةُ
 لو قال لا في قليلٍ أحرُفٍ فيها لردَّها بالحروفِ مُشْتَبِكهُ
 ومن طرائف التطويل ما أنشأه البديع ، وسيمر من كلامه ما هو آتق من
 زَهْرِ الربيع .

[الملح]

قال الأصمعي : بالعلم وصلنا . وبالملح نلنا ، وقال الأصمعي أيضاً : أنشدت
 بمحمد بن عمران قاضي المدينة ، وكان أعقلَ من رأيتُهُ :
 بأيها السائلُ عن منزلي نزلتُ في الخانِ على نَفْسِي

يُذَوُّ عَلَى الْخُبْزِ مِنْ خَابِزٍ لَا يَقْبَلُ الرَّهْنُ وَلَا يُنْسَى^(١)
 آكُلُ مِنْ كَيْسِي وَمَنْ كَثُرَتْ حَتَّى لَقِدْتُ أَوْجَفِي فِرْسِي
 قَالَ : اكَتَبَلِي هَذِهِ الْآيَاتِ ، فَقُلْتُ : أَصْلَحَكَ اللَّهُ ! هَذَا لَا يُشْبَهُ مِثْلَكَ ،
 وَإِنَّمَا يَرَوِي مِثْلَ هَذَا الْأَحْدَاثُ ، فَقَالَ : اكَتُبْهَا فَالْأَشْرَافُ تُعْجِبُهُمُ الْمَلْحُ .
 وَقَدْ قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : إِنْ لَأَسْتَجِمُ نَفْسِي بِبَعْضِ الْبَاطِلِ ،
 لِيَكُونَ أَقْوَى لَهَا عَلَى الْحَقِّ .

[وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : الْقُلُوبُ تَمَلُّ كَمَا تَمَلُّ الْأَبْدَانُ ، فَاطْلُبُوا لَهَا
 طَرَائِفَ الْحِكْمَةِ] .

وَقَالَ ابْنُ الْمَاجِشُونِ : لَقَدْ كُنَّا بِالْمَدِينَةِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لِيُحَدِّثُنِي بِالْحَدِيثِ مِنْ
 الْفِقْهِ قِيَمِيهِ عَلَى ، وَيَذَكِّرُ الْخَبَرَ مِنَ الْمَلْحِ فَاسْتَعِيدُهُ فَلَا يَفْعَلُ ، وَيَقُولُ : لِأَعْطَيْكَ
 مُلْحِي ، وَأَهْبِكَ ظَرْفِي وَأَدْبِي .

وَقَالَ ابْنُ الْمَاجِشُونِ : إِنْ لَأَسْمَعُ بِالْكَلِمَةِ الْمَلِيحَةِ وَمَالِي إِلَّا قَيْصٌ وَاحِدٌ ؛
 فَادْفَعَهُ إِلَى صَاحِبِهَا ، وَأَسْتَكْسِي اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ .

وَقَالَ الزَّيْرِبْنُ بَكَارُ^(٢) : رَوَى الْغَاضِرِيُّ يُنَازِعُ أُشْعَبَ الطَّمَعِ عِنْدَ بَعْضِ
 الْوُلَاةِ ، وَيَقُولُ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ! إِنْ هَذَا يَدْخُلُ عَلَيَّ فِي صِنَاعَتِي ، وَيَطْلُبُ
 مِشَارَكَتِي فِي بِنَاعَتِي ، وَهَيَاتَهُ هَيَاةُ قَاضٍ ، وَالْأَمِيرُ يَضْحَكُ ، وَكَانَا جَمِيعًا فَرَسِي
 رَهَانَ وَرَضِيْعِي لِبَانَ فِي بَيَانِهِمَا ؛ إِلَّا أَنَّ الْغَاضِرِيَّ [كَانَ] لَا يَتَخَلَّقُ بِالطَّمَعِ
 تَخَلُّقَ أُشْعَبٍ ..

بعض ملح
الغاضري

وَأَتَى الْغَاضِرِيَّ يَوْمًا الْحَسَنَ بْنَ زَيْدٍ فَقَالَ : جُعَلْتُ فِدَاكَ ! إِنْ عَصَيْتَ اللَّهَ
 وَرَسُولَهُ ، قَالَ : بئس ما صنعت ! وكيف ذلك ؟ قَالَ : لِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

(١) ينسى : ينسى ، من النسيئة وهي التأخير .

(٢) كان الزبير بن بكار عالما بالأنساب وأخبار العرب ، وهو من أحفاد الزبير

ابن العوام ، ولد في المدينة ، وتولى قضاء مكة فتوفي فيها سنة ٢٥٦

عليه وسلم قال : لا يُفْلِحُ قومٌ ولوَّا أمرهم امرأة ، وأنا أطعتُ امرأتى ، فاشتريتُ غلاماً فهرب .

قال الحسن : فاختر واحدةً من ثلاث : إن شئتَ فتمنُ الغلام ، قال : بأبي أنتِ ! قفْ عند هذه ولا تتجاوزها ! قال : أعرضُ عليك الخصلتين ، قال : لا ، حسبي هذه .

وقد روى نحوه هذا عن أشعب ، أنه قال له بعضُ إخوانه : لو صرتَ إلى المشيئة نتفرج ؟ قال : أخاف أن يجيء ثقيل ، قلت : ليس معنا ثالث ، فمضى معي ، فمنا صلينا الظهر ودعوتُ بالطعام ، فإذا بدأنا يدقُّ الباب ، قال : ترى أن قد صرنا إلى ما نكره ، قلت له : إنه صديق ، وفيه عشرُ خصال إن كرهتَ واحدةً منهن لم آذن له ، قال : هاتِ ، قلت : أولها أنه لا يأكل ولا يشرب ، فقال : التسع لك ! قل له يدخل !

ورأى سفيان الثوري^(١) الغاضري وهو يضحكُ الناس ؛ فقال : يا شيخُ أو ماعمتَ أن لله يوماً يخسرُ فيه المُبْطِنون ؛ فوجمَ الغاضري ، وما زال ذلك يُعْرَفُ فيه حتى تقى الله عز وجل .

وأشعب الطمعي هو أشعب بن جبير ، مولى عبد الله بن الزبير ، وكان أحمقُ أشعب المشهور بالناس . قال الزبير بن أبي بكر : كان أهلُ المدينة يقولون : تغَيَّرَ كلُّ شيءٍ إلا منحَ أشعب ، وخُبِرَ أبي الغيث ، ومشيئة برة^(٢) ؛ وكان أبو الغيث يعالج الخُبْزَ بمدينة . وبرة بنت سعيد بن الأسود كانت من أجملِ النساء وأحسنهن مشيئة ، وأشعب يضربُ به المثلُ في الطمعي ، وكان أشعبُ قد نشأ في حجر عائشة

(١) وندسفيان الثوري في الكوفة سنة ٩٧ ، ونشأ نشأة أهل التقى والدين المولعين

برواية الحديث . وكانت وفاته بالبصرة سنة ١٦١ .

(٢) انظر حمد مشية وما قيل في ذلك من الشعر الجميل في كتاب (أفان الجمال)

بت عثمان - رحمة الله! - مع أبي الزناد^(١)، قال أشعب: فلم يزل يعلو وأنمط حتى بلغنا الغاية.

وقال أشعب: أسلمتني أمي إلى بزّاز، فسألتني بعد سنة، أين بلغت؟ فقلت: في نصف العمل، قالت: وكيف؟ قلت: تعلمت النّشر وبقى الطّي، قالت: أنت لاتفّح.

وسأته صديقة له خاتماً، فقالت: أذكرك به، قال: اذكري أنك سألتني ومنمّتك!

وقيل له: كم كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر؟ قال: ثلثمائة عشر درهما! ثم تنسك في آخر عمره، وغزّا ومات على خير، رحمه الله تعالى!

وقيل لأشعب: أرايت أطمع منك؟ قال: نعم، كلبة آل فلان، رأيت رجلين يمتضان علكا^(٢)، فبعتهم فرسخين تظنّ أهما يا كلان شيئاً.

وأهدى رجل من ولد عامر بن لؤي إلى إسماعيل الأعرج قالودجة وأشعب حاضر، فقال: كُنْ يا أشعب، فأكل منها؛ فقال: كيف تراها؟ فقال: عليه الطلاق إن لم تكن عمّلت قبل أن يوحى ربك إلى النّخل! أي: ليس فيها خلّوة^(٣).

وزوى أبو هفان قال: دخل أبو نواس الحسن بن هاني، على يحيى بن خالد فقال له: أنشدني بعض ما قلت، فأنشده:

إني أنا الرجل الحكيم بطبعه ويزيدي على حكاية من حكى
أتبع الظرفاء أكتب عنهم كما أحدثت من أحب فيضحك

ظرف
أبي نواس
وسرعة بديهته

(١) أبو الزناد هو: عبد الله بن ذكوان القرشي المدني، كان من كبار المحدثين. وكان كثير الأتباع من طلاب الفقه والشعر والعريّة، توفي فجأة بالمدينة سنة ١٣١
(٢) العاك: اللبان (٣) وكانت وفاة أشعب بالمدينة سنة ١٥٤

فقال له يحيى [بن خالد] : إن [أول] زندق ليورى بأول قدحة ، فقال
ارتجالا في معنى قول يحيى :

أما وزندُ أبي عليّ إنه زند إذا استوزيت سهل قدحكا
إن الإله لعليه بعباده قد صاغ جدك للسباح ومنحكا
تأبى الصنائع همتي وقرىحتي من أهلها وتغاف إلا مدحكا

ووصف أبو عبد الله الجواز أبا نواس فقال : كان أظرف الناس منطلقاً ،
وأغزرم أدبا ، وأقدرهم على الكلام ، وأسرعهم جواباً ، وأكثرهم حياءً ،
وكان أبيض اللون ، جميل الوجه ، مليح النعمة والإشارة ، ملتف الأعضاء ،
بين الطويل والتصير ، مسنون الوجه^(١) ، قائم الأنف ، حسن العينين والمضحك^(٢) ،
حنو الصورة ، نطيف الكف والأطراف ؛ وكان فصيح اللسان ، جيد البيان ،
عذب الألفاظ ، حلو الشائل ، كثير النوادر ، وأعلم الناس كيف تكلمت
العرب . زاوية للأشعار ، علامة بالأخبار ، كان كلامه شعر موزون .

وأقبل أبو شراعة العيسى ، والجَمَّازُ في حديثه ، وكان أقبح الناس وجهاً ،
وكانت يدُ أبي شراعة كأنها كربة نحلي^(٣) ؛ فقال الجواز : فلو كانت أطرافه على
أبي شراعة لمرَّ حسنه ؛ فغضب أبو شراعه وانصرف يشتمه .

والجواز هو : أبو عبد الله محمد بن عمرو بن حماد بن عطاء بن ياسر وكانوا ترجمة الجواز
يزعمون أنهم من حمير ، نالهم سيباء في خلافة أبي بكر ، رضى له عنه ،
وهم مواليه . وسمي الخاسر عمه^(٤) ، وكان الجواز من أحلى الناس حكاية ،
وأكثرهم نادرة .

قال بعض جنس التوكيل : كنا نكثر عند المتوكل ذكر الجواز حتى

(١) مسنون : مخروط (٢) المضحك : الفم (م) (٣) الكربة — بلاء ، كان
السفنة (هـ) (٤) سلم الخاسر هو : سلم بن عمرو بن حماد بن عطاء بن ياسر
شاعرا مجد خبيث . وسمي الخاسر لأنه باع مصحفا وائتم

اشتاقه ، فكتبَ في حمله إليه ، فلما دخل أفحيم ، فقال له المتوكل : تكلم
 فأبى أريدُ أن أستبرئكَ ، فقال : بخيضةٍ أو بخيضةٍ يا أمير المؤمنين ؟ فقال
 له الفتح (١) : قد كنتُ أمير المؤمنين يؤتيك على القروذ والكلاب ! قال :
 أفستَ سامعاً مطيعاً ؟ فضحك المتوكل وأمر له بعشرة آلاف درهم
 وكان لا يدخلُ بيته أكثر من ثلاثة لضيقة ؛ فدعا ثلاثة ، أجهاه ستة ،
 وقرعوا الباب ، ووقفوا على رجلٍ رجلٍ فعدَّ أرجلهم من خلفِ الباب ؛ فلما
 حصلوا عنده ، قال : اخرجوا عني ، فإنما دعوتُ ناساً ولم أدعُ كراكي .

وقال الطائي في عمرو بن طوق التغلبي :

لأبي تمام يمدح
 عمرو بن طوق

الجِدُّ شيمتهُ ، وفيه فكاهةٌ سجحٌ ولا جد لمن لم يلعب (٢)

شرسٌ ، ويتبع ذاك لين خليقةٍ لا خير في الصهباء مالم تقطب (٣)

وقال في الحسن بن وهب :

وله يمدح
 الحسن بن
 وهب

لله أيامٌ خطبنا لينها في ظلّه بالخندريس السلسل (٤)

بمدامة نغم السماع خفيها لا خير في المعلول غير معلل (٥)

ينشى عليها وهو يجمو مقلتي بازٍ ، وينقل وهو غير مغفل

لا طائش تهفو خلائقه ، ولا خشن الوقار كأنه في محفل

فبكه يجم الجد أحياناً ، وقد ينضى ويهزل عيش من لم يهزل

وال فيه :

ولقد رأيتك والكلام لآلي : توم فبكر في النظام وثيب (٦)

وكأن قسا في عكاظ يخطب وابن المقفع في اليتيمة يسهب (٧)

(١) الفتح : هو الفتح بن خاقان ، وزير المتوكل ونديعه ، وقتل معه في ليلة

واحدة (م) (٢) سجح : سهل ، وفي الديوان (ص ١٣) « سمح » بالميم (م)

(٣) تقطب : تمزج (٤) الخندريس : الخمر (٥) المعلول : الذي يشرب العطل

بفتحين ، وهو الشرب الثاني ، بخلاف النهل فهو الشرب الأول

(٦) توم : أشاه البذر (٧) اليتيمة : اسم كتاب لابن المقفع

وكانَ تَيْلَى الأَخِيلِيَّةِ تَنْدُبُ وَكَثِيرَ عِزَّةٍ يَوْمَ بَيْنِ يَنْسِيبُ
يَكْسُو الوَقَارَ وَيَسْتَخْفُ مَوْقِرًا طَوْرًا فَيُنْبِكِي سَامِعِيهِ وَيُطْرِبُ

لأبي الفتح
البتى

وقال أبو الفتح البتى :

أفدِ طَبَعَكَ المَكْدُودَ بِالمِ رَاحَةً بِرَاحِ ، وَعَلَّةُ بَشِيءٍ مِنَ المَرْحِ
وَلَكِنْ إِذَا أَعطَيْتَهُ المَرْحَ فَلْيَكُنْ بِمَقْدَارِ مَا تُعْطِي الطَّعَامَ مِنَ المِلْحِ

الكلام في المزاح

[المزاح]

وما زال الأشراف يَمْزَحُونَ ، وَيَسْمَحُونَ بِمَا لَا يَقْدَحُ فِي أديانِهِمْ ،
وَلَا يَغْضُ مِنْ مَرْوَاتِهِمْ .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : بعثت بالحنيفية السمحة .

وقال : إني لأَمْزَحُ وَلَا أَقُولُ إِلا حَقًّا .

وقيل لعبيد بن النسيب^(١) : إن قوماً من أهل العراق لا يَرَوْنَ إِنْشَادَ الشعرِ
فقال : لَمَقَد نَكَّوْا نَسْكَاً أَعْجَمِيًّا .

وقيل لابن سيرين : إن قوماً يزعمون أن إِنْشَادَ الشعرِ يَنْقُضُ الوضوءَ ، فأنشد :

لقد أَصْبَحَتْ عَرَسُ الفِرْزَدِقِ نَاشِرًا وَلورَضِيَتْ رَشْحَ أَسْتِهِ لاسْتَقْرَتْ^(١)
وقام يُصَلِّي ! وقيل : بل أنشد :

أُنَيْتُ أَنْ عَجُوزًا جِئْتُ أُخْطِبُهَا عَرُوقُهَا مِثْلُ شَهْرِ الصَّوْمِ فِي الطَّوْلِ

[النسيب]

وقيل لأبي السائب الخزومي : أترى أحداً لا يَشْتَعِي النسيب ؟ قال : أما من
يؤمن بالله واليوم الآخر فلا .

(١) أحد الفقهاء السبعة بالمدينة : جمع بين الحديث والفقہ والزهد ، وكان يبيع
من التجارة بالزيت ، وكان أحفظ الناس لأحكام عمر بن الخطاب ، وأقضى
راوية عمر ، وكانت وفاته سنة ٩٤ هـ .

(٢) عرس الرجل — بكسر العين وسكون الراء —

وروى مصعب بن عبد الله الزبيري^(١) عن عروة بن عبيد الله بن عروة الزبيري
قال: كان عروة بن أذينة^(٢) نازلاً في دار أبي العقيق، فسمعته يُنشدُ لنفسه:

إنَّ التي زَعَمْتَ فؤادك مَلَّها خُلِقَتْ هَواك كما خُلِقَتْ هَوى لها
فيك الذي زَعَمْتَ بها، وَكَلَّا كَأَ أَبْدَى لِصَاحِبِهِ الصَّبَابَةَ كُلَّهَا
وَلَعَمْرُهَا لو كان حُبُّكَ فَوْقَهَا يوماً وَقَدْ ضَحَّيْتَ إِذْنَ لِأَظْلَمًا^(٣)
فإذا وَجَدْتَ لها وَسَاوِسَ سَاوَةٍ شَعِ الضَّمِيرُ إلى الفؤاد فَسَلِّهَا
بِإِضَاءِ بَا كَرِّهَا النَّعِيمُ فَصَاغَهَا بِلِبَاقَةٍ فَأَدَقَّهَا وَأَجَلَّهَا^(٤)
لَمَّا عَرَضْتُ مُسَلِّمًا ، لِي حَاجَةٌ أَخْشَى صُعُوبَتَهَا ، وَأَرْجُو ذُلَّهَا^(٥)
مَنْعَتْ تَحْمِيَّتَهَا فَقُلْتُ لِصَاحِبِي : ما كانَ أَكْثَرَهَا لَنَا وَأَقْلَمًا
فَدَنَا وَقَالَ : لَعَلَّهَا مَعْدُورَةٌ في بَعْضِ رِقَبَتِهَا ، فَقُلْتُ : لَعَلَّهَا^(٦)

قال: فأتاني أبو السائب المخزومي فقلت له بعد الترحيب به: ألك حاجة.

(١) راوية أديب محدث، وهو عم الزبير بن أبي بكر، وكان شاعرا، وكان أبوه
عبد الله بن مصعب من أشرار الناس، وكانت وفاة مصعب بن عبد الله في ٢ شوال
سنة ٣٣، وفي الطبعة الثالثة من كتاب «حب ابن أبي ربيعة وشعره» بحث مفصل
عن طريق مصعب بن عبد الله في النقد، ورأى الدكتور طه حسين فيه، فليرجع إليه
القارىء، إمام (٢) هو عروة بن يحيى التوفى سنة ١٣٠، كان شاعرا غزلا، فضلا
عن تقدمه في الفقه والحديث، وهو القائل:

لا ركب الأمر تزي بي عواقبه ولا يعاب به عرضي ولاديني

كم من قهير غنى النفس تعرفه ومن غنى فقير النفس مسكين

(٣) ضحيت: تأذت من الشمس، وفي الأغاني قبل هذا البيت:

ويبين جوانحي حب لها لو كان تحت فراشها لأقلها

(٤) أدقها وأجلها: أدق المواضع التي يجب أن تكون دقيقة، وأجل المواطن التي
أن تكون جليلة، فهي مثلا دقيقة الحصر، وثيرة الردف.

زجها: أراد سهولة تحريفها وتذليلها (م)

— بكسر الراء وسكون القاف — هنا الحذر والخوف (م)

فقال : نعم أبياتٌ لعروة بلغني أنك سمعته يُنشدُها ، فأنشدته الأبيات ، فلما بلغت قوله :

* فدنا وقال لعلها معذورةٌ ... البيت *

طرب ، وقال : هذا والله الدائمُ الصَّباية ، الصادقُ العهد ، لا الذي يقول :

إن كان أهلك يمينونك رَغْبَةً عَنِّي فَأَهْلِي بِي أَضْنُ وَأَرْغَبُ

لقد عدا هذا الأعرابي طوره ، واني لأرجو أن يغفر [الله] لصاحب هذه الأبياتُ لحسن الظنِّ بها ، وطلب العذر لها ؛ قال : فرضت عليه الطعام فقال : لا والله ما كنت لأخلط بهذه الأبيات طعاماً حتى الليل ، وانصرف .

وكان أبو السائب غزيرَ الأدب ، كثير الطرب ، وله فكاهاتٌ مذكورة ، وأخبارٌ مشهورة ، وكان جدُّه يكنى أبا السائب أيضاً ، وكان خليطاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان النبيُّ صلى الله عليه وسلم إذا ذكره قال : نِعْمَ الْخَلِيطُ كان أبو السائب ! لا يُشَارِي ولا يَمَارِي^(١)

واسمُ أبي السائب عبدُ الله ، وكان أشرفُ أهلِ المدينة يستظرفونه ويقدمونه لشرفِ منصبه ، وحلاوة ظرفه .

وكان عروة بن أذينة - على زهدِهِ ، وورَعِهِ ، وكثرةِ علمه وفهمِهِ - رقيقَ الغزلِ كثيره ، وهو القائل :

إذا وجدتُ أوارَ الحبِّ في كِبْدِي أقبلتُ نحوَ سِقَاءِ القِوَمِ أَتَرِدُ
هَبْنِي بَرْدَتُ بِيَرِدِ المَاءِ فِلاهِرَهُ فَمَنْ لِنَسَارِ عَلَى الأَحْشَاءِ تَتَقَدُّ؟
وقد رَوَى هذانِ البيتانِ نَعِيرَهُ

(١) المشارة والمهارة : العنف في المجادلة

ومررت به سكينه بنت الحسين بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنهم! -
فقلت له : أنت الذي تزعم أنك غير عاشق ، وأنت تقول (١) :

قلت وأبشثها سري فبُحْتُ به قد كنت عندي تحبُّ السَّترَ فاستترِ
أنت تبصر من حولي؟ فقلت لها غطى هواك وما ألقى على بصري
والله ما خرج هذا من قلب سليم ذئب .

وروى الزبير عن رجل لم يسته ، قال : قال لي أبو السائب : أنشدني
للأحوص (٢) فأنشدته :

قلت - وقلت : تحمَّرحِي وَصَلِي حَبَلِ امْرِيءٍ بُوَصَالِكُمْ صَبَّ - :
صَاحِبِ إِذْنٍ بَعْلِي؟ فقلت لها : الغدرُ شيءٌ ليس من ضَرْبِي (٣)
شيثان لا أذنو لوصلهما عِرسُ الخليل وجارةُ الجنبِ
أما الخليلُ فلتُ فاجِعَهُ والجارُ أوصاني به رَبِّي
عُوجًا كذا نذَّكرُ لغانيةٍ بعضَ الحديثِ مطيِّمِ صَحْبِي (٤)
ونقلُ لها : فيمِ الصَّدُودُ ولم نذِيبٌ، بل أنتِ بدأتِ بالذَّنْبِ؟
إن تُقبلي نقبل وننزلكم مِنَّا بدارِ السَّهْلِ والرُّحْبِ
أو تهجري تكدرُ معيشتنا وتصدعي مَتَلَامِ الشَّعْبِ
فقال : هذا والله الحبُّ حقًا ، لا الذي يقول :

وكنت إذا حيبُ رامَ هَجْرِي وجدت ورايَ مُنْفَسِحًا عريضًا

للأحوص
في الغزل

(١) عبارة الأغاني «أنت الذي تزعم أنك لمروءة وأن غزلك من وراء عفة وأنتك
تقى؟ قال : نعم، قالت : أفأنت الذي تقول ، إلخ» (٢) الأحوص هو: عبدالله بن
محمد الأنصاري ، شاعر هجاء رقيق النسيب، كان معاصرا لجرير والفرزدق ، وهو من
سكان المدينة ، ونفاه الوليد بن عبد الملك إلى اليمن ، ولقب بالأحوص لضيق في مؤخر
عينه، وله أخبار كثيرة بين الجند والمجون ، وكانت وفاته سنة ١٠٥ . (٣) ليس من
ضربي : ليس من طبعي وخلق (٤) عوجا معطيكم : قفا مطيكم أو ميلوا بها

ثم قال : اذهب ، فلا صَحِبَكَ اللهُ ، ولا وَسَّعَ عَلَيْكَ ^(١) !

وخرج أبو حازم يوماً يَرْمِي الجمار ، فإذا هو بامرأة حَاسِرٍ ^(٢) قد فَتَنَتْ ظرف أهل الحجاز ورقمهم الناسَ بِحُسْنِ وجهها ، وألْهَتُهُمْ بِجمالها ، فقال لها : يا هذه ، إنك بِمَشْعَرِ حَرَامٍ ، وقد فَتَنَتْ الناسَ وَشَنَنْتِهِمْ عن مَناسِكِهِمْ ، فاتقِ الله واستتري ؛ فإن الله عز وجل يقول في كتابه العزيز : (وَلِيَضْرِبَنَّ بِمُخْمَرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ) ؛ فقالت : إني من اللاتي قيل فيهن :

أماطت كساء الخرز عن حُرِّ وجهها وأرخت على المتين بُرداً مهلهلاً
من اللاء لم يحججن يَبْفِين حِسْبَةً ولكن لَيَقْتُلَنَّ البريء المَفْقَلًا ^(٣)

الشعر للحارث بن خالد المخزومي . فقال أبو حازم لأصحابه : تعالوا ندعُ الله لهذه الصورة الحسنة ألا يعذبها الله تعالى بالنار ! فجعل أبو حازم يدعُو وأصحابه يُوَمِّنُونَ ، فبلغ ذلك الشعبي ، فقال : ما أَرَقَكُم ياهل الحجاز وأظرفكم ! أما والله لو كان من قرى العراق لقال اعزبي عليك لعنة الله !

وكان أبو حازم من فضلاء التابعين ، وله مقامات جميلة من الملوك ، وكلامٌ محفوظ يدلُّ على فضله وعقله ، وهو القائل : كل عمل تَكَرَّرَ من أجله الموت فاتركه ، ولا يضرك متى مت . وكان يقول : ما أحببت أن يكون معك غداً فقدّمه اليوم . وكان يقول : إنما بيني وبين الملوك يوم واحد ، أما أمس فلا يجدون لذته ، وأنا وإياهم من غدٍ على وجَلٍ ؛ وإنما هو اليوم ، فما عسى أن يكون اليوم ؟ وقال أبو العتاهية :

لأبي العتاهية

حتى متى نحنُ في الأيام نحسبُها وإنما نحنُ فيها بين يومين
يومٌ تولى ، ويومٌ نحنُ نأملُه لعله أجلبُ اليومين للحين ^(٤)

(١) الخطاب لتماثل البيت الأخير (٢) امرأة حاسر وسافر : ليس على وجهها قناع
(٣) المفل : الطيب القلب (٤) الحين — بفتح الحاء وسكون الياء — الهلاك

وروى الزبير بن أبي بكر قال : قدمت امرأة من هذيل المدينة ، وكانت جميلة ، ومعها ابن لها صغير ، وهي أيم^(١) ، فخطبها الناس وأكثروا ، فقال فيها عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود :

أحبك حباً لا يحبك مثله
أحبك حباً لو عدت ببعضه
وحبك يا أم العلاء متيماً
ويعلم وجدني القاسم بن محمد
ويعلم ما أخفى سليمان كلاًه
متى تسألني عما أقول فتخبري
قريب ولا في العائين بعيد
لجذت يوم يصعب عليك شديد
شهيدى أبو بكر فذاك شهيد
وعروة ما ألقى بكم وسعيد
وخارجة يبدى لنا ويعيد
فلحُب عندى طارف وتليد

لعبيد الله
ابن عبد الله
ابن عتبة

فقال له سعيد بن المسيب : قد أم^٢ أن تسألنا ، ولو سألنا ما شهدنا لك بزور . وكان عبيد الله أحد الفقهاء السبعة الذين انتهى إليهم علم المدينة ، وقد ذكروهم عبيد الله في هذه الأبيات ؛ وهم : أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ابن المغيرة الخزومي . والقاسم بن [محمد بن] أبي بكر الصديق ، وعروة بن الزبير ابن العوام ، وسعيد بن المسيب بن حزن ، وسليمان بن يسار ، وخارجة بن زيد ابن ثابت الأنصاري .

قصاء المدينة
السبعة

وقيل لعبيد الله : أتقول الشعر على شرفك ؟ فقال : لا بد للمصدر أن ينفث^(٣) ؛ وعبيد الله هو القائل :

شقت القلب ثم ذررت فيه
تغلغل حب عثمة في فؤادي
تغلغل حيث لم يبلغ شراب
هواك فليم والتأم الفطور^(٣)
فباديه مع الخافي يسير
ولا حزن ولم يبلغ سرور

لعبيد الله
المسعودي أيضاً

(١) أيم : لزوج لها (٢) هذا مثل ، والمصدر : المريض صدره ، وأصل النفث . نقل الريق ، ويقال « هذه نفثة مصدر » أيضاً (م) .
(٣) ليم والتأم معناهما واحد ، والفطور : جمع فطر - بالفتح - وهو الصدع .

أشياء
لقول السعدي

أخذه سلم بن عمرو الخاسر فقال:

سقتني بعينها الهوى وسقيتها
وقال أبو نؤاس:

أحبُّ اللومَ فيها ليس إلاً
ويَدْخُلُ حبُّها في كلِّ قلبٍ

لترداد اسمها فيها الأمام
مداخِلَ لا تَغْلُظُهَا المَدَامُ (١)

ومنه قول المتنبي:

وللسرِّ مني موضعٌ لا ينداهُ

تدويم، ولا يفضي إليه شرابُ

وقال بعض المحدثين:

مارلت تعوبي وتطلب خلتي
ثم انصرفت بغير جريم كان لي

حتى حلت بـحيثُ حلَّ شرابي (٢)
ما هكذا الأخباب للأخباب

أخذ أبو نؤاس قوله: «أحب اللوم فيها» . . . البيت من قول أبي محمد

ابن أبي أمية:

ذبي محمد
ابن أبي أمية

وحدثني عن مجلسٍ كنت زينةً
فقلت له ردَّ الحديث الذي مضى
أناشدهُ بالله إلا أعذتهُ
رسولُ أمينٍ، والنساءُ شهودُ
وذكرُ كركٍ من بين الحديث أريدُ
كأنني بطيء الفهم عنه بعيدُ

وقول أبي نؤاس في البيت الأول كقوله:

ذبي نؤاس

إذا غاديتني بصبوح لومٍ
فإني لا أعد اللومَ فيها
ولا أنا إن عمدت أرى جنانا
مقنعة بثوب الحسن ترعى
وفي جنان هذه يقول أبو نؤاس:

(١) لا تغلظها المدام: لا تغلظ فيها. (٢) الخلة - بالضم - الصداقة والمحبة (م).

ياذا الذى عن جنان ظلَّ يُخْبِرُنَا بالله قُلْ وَأَعِذْ يَا طَيْبَ الْخَبْرِ
قالوا اشتككتك وقالت ما ابتليت به أراه من حيث ما أقبلتُ في أثرى
ويرفع الطرفَ نحوى إن مررت به حتى ليخجلنى من شِدَّةِ النَّظَرِ
وإن وقفت له كما يُكَلِّمُنِي في الموضع الخلو لم ينطق من الحصر^(١)
ما زال يفعل بى هذا ويُدْمِنُهُ حتى لقد صار من همى ومن وطى^(٢)

وفى جنان أيضاً يقول أبو نواس، وكان بها صناً، ولها محباً :

جنان تسبى ذكرت بخير وتزعم أنى رجل خيىث
وأن مودتى كذبٌ ومينٌ وأنى للى تطوى بثوث^(٣)
وليس كذا، ولا ردُّ عليها، ولكن الملول هو النكوثُ
ولى قلبٌ ينازعنى إليها وشوقٌ بين أضلاعى خيىث
رأت كلفى بها وقديمٌ وجدى فلفتنى، كذا كان الحديث

[وكانت جنان مولاة لبعض الثقفين] .

وفى معنى قول ابن أبى أمية يقول العباس بن الأحنف :

وحدثنى ياسعد عنها فردتنى جنونا فزددنى من حديثك ياسعدُ
وأهل المدينة أكثر الناس ظرفاً ، وأكثرهم طيباً ، وأحلام مزاجا ،
وأشدُّهم اهتزازاً للسمع ، وحسن أدب عند الاستماع . وقال عبد الله بن جعفر :
إن لى عند السماع هزة لو سُئلت عندها لأعطيتُ ، ولو قاتلت لأبليت .

شيم
أهل المدينة

وروى أبو العيناء قال : قال الأصمعى : مررت بدارالزبير بالبصرة ، فإذا شيخٌ
قديم من أهل المدينة من ولد الزبير يكنى أباً ريمحانة جالس بالباب عليه شملة
تستره ، فسدت عليه ، وجلستُ إليه ؛ فبينما أنا كذلك إذ طلعت علينا سويداء

طرب
أبى ريمحانة

(١) الحصر : العى (٢) الوطر : الحاجة

(٣) بثوث : كثير البث لسره والتحدث عنه .

تحمّل قِربَةً ، فلما نظر إليها لم يتمالك أن قام إليها ، فقال لها : بالله غنى صوتاً .
 فقالت : إن موالىً أعجلوني ، فقال : لا بدّ من ذلك ، قالت : أما والقِربَةُ على
 كتفى فلا ، قال : فأنا أحملها ، فأخذ القِربَةَ منها ، فاندفعت نَفْسِي :
 فَوَادِي أُسِيرَ لَا يُفَكُّ ، وَمُهَجَّتِي تَفِيضُ ، وَأَحْزَانِي عَلَيْكَ تَطُولُ
 وَلِي مُقَلَّةٌ قَرَحَى اطُولُ اشْتِيَاقَهَا إِلَيْكَ ، وَأَجْفَانِي عَلَيْكَ مُهْوَلُ
 فِدَيْتِكَ ، أَعْدَائِي كَثِيرٌ ، وَشُقَّتِي بَعِيدٌ ، وَأَشْيَاعِي لَدَيْكَ قَلِيلٌ ^(١)
 فَطَرِبَ وَصَرَخَ صَرَخَةً ، وَضَرَبَ بِالْقِربَةِ إِلَى الْأَرْضِ فَشَقَّهَا ؛ فَقامت الجارية
 تبكي ، وقالت : ما هذا يجرّاني منك ؛ أَسَقَفْتُكَ بِحَاجَتِكَ فَعَرَضْتَنِي لِمَا أُكْرَهُ
 مِنْ مَوَالِي . قال : لا تفتنى فإنّ المصيبة علىّ حصلت ، ونزع الشَّمْلَةَ وَوَضَعَ يَدًا
 مِنْ خَلْفٍ وَيَدًا مِنْ قُدَامٍ ، وَبَاعَ الشَّمْلَةَ وَابْتاعَ لَهَا قِربَةً جَدِيدَةً ، وَقعدَ بِتِلْكَ
 الْحَالِ ؛ فَاجتازَ بِهِ رَجُلٌ مِنْ وَلَدِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ ! - فَعَرَفَ
 حَالَهُ ، فَقَالَ : يَا أَبَا رِيحَانَةَ ! أَحْسَبُكَ مِنَ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ : (فَأَرَبِحْتَ
 تِجَارَتَهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ) . قال : لا يا بنَ رَسُولِ اللَّهِ ، وَلَكِنِّي مِنَ الَّذِينَ
 قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ : (فَبَشِّرْ عِبَادِي الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ)
 فَضَحَكَ ، وَأَمَرَ لَهُ بِأَلْفِ دِرْهَمٍ .

بين الأوقص
 المخزومي
 وسكران

ومرّ بالأوقص المخزومي ، وهو قاضي المدينة ، سكران [وهو] يتغنى بليل ،
 فأشرف عليه ، وقال : يا هذا ، شربت حرّاما ، وأيقظت نياما ، وغنيت خطأ ؛
 خُذْهُ عَنِّي ، وَأَصْلِحْ لَهُ الْغَنَاءَ .

وسمع سعيد بن المسيب منشداً ينشد :

فلم ترَ عيني مثلَ سِرْبٍ رأيتُهُ خَرَجْنَ مِنَ التَّنْعِيمِ مُعْتَمِرَاتٍ ^(٢)

ابن المسيب
 يستمع إلى
 منشد شعر

(١) فديتك : كنت فداء لك ، وشقتي بعيد : أي أن ما بيني وبين أهلي بعيد ،
 والأشياء : الأنصار (م) .
 (٢) السرب : القطيع من البقر والغنم ، وللرادبه هنا جماعة من حسان النساء

مَرَزْنَ بِفِخٍ، ثُمَّ رُخْنَ عَشِيَّةً
 وَمَا رَأَتْ رَكْبَ النَّمِيرِ أَعْرَضَتْ
 دَعَتْ نِسْوَةَ شُمِّ الْعِرَانِينَ بَزْلًا
 فَأَبْرَزْنَ لِمَا قَمْنَ يَحْجِبْنَ دُونَهَا
 تَضَوَّعَ طَيِّبًا بَطْنُ نَعْمَانَ إِذْ مَشَتْ
 يُخَبِّئْنَ أَطْرَافَ الْبَنَانِ مِنَ التَّقَى
 يُبَلِّبْنَ لِلرَّخْمَنِ مَوْجِرَاتِ^(١)
 وَكُنَّ مِنْ أَنْ يَلْقَيْنَهُ حَذِرَاتِ
 نَوَاعِمَ، لَا شَعْنًا وَلَا غَبَرَاتِ^(٢)
 حِجَابًا مِنَ الْقَسَى وَالْحَبِرَاتِ^(٣)
 بِهِ زَيْنَبٌ فِي نِسْوَةِ عَطِرَاتِ
 وَيَخْرُجْنَ شَطْرَ اللَّيْلِ مُعْتَجِرَاتِ^(٤)

قال سعيد : هذا والله مما يلذ استماعه ، ثم قال :

وَلَيْسَتْ كَأُخْرَى وَسَّعَتْ حَيْبَ دِرْعِهَا
 وَغَالَتْ بَيَانَ الْمَسْكِ وَخَفَا مَرَجَلَا
 وَقَامَتْ تَرَاءَى بَيْنَ جَمْعٍ فَأَفْتَنْتْ
 بِرُؤْيَيْهَا مَنْ رَاحَ مِنْ عَرَفَاتِ
 وَأَبَدَتْ بَنَانَ الْكَفِّ لِلجَمَرَاتِ
 عَلَى مِثْلِ بَدْرِ لَاحٍ فِي الظُّلُمَاتِ^(٥)

قال : فكانوا يرون أن الشعر الثاني له ، والأول لمحمد بن عبد الله بن ثوير

الثقفي يقوله في زينب بنت يوسف أخت الحجاج ؛ [وطلبه الحجاج] حتى
 ظفر به فقال : أنت القائل ما قلت ؟ قال : وهل قلت أصليح الله الأمير إلا :

يُخَبِّئْنَ أَطْرَافَ الْبَنَانِ مِنَ التَّقَى
 وَيَخْرُجْنَ شَطْرَ اللَّيْلِ مُعْتَجِرَاتِ
 قَالَ لَهُ : كَمْ كُنْتُمْ إِذْ تَقُولُ :

* وَمَا رَأَتْ رَكْبَ النَّمِيرِ أَعْرَضَتْ *

بين الحجاج
والنميري

(١) فح : موضع عمكة (٢) العرانيين : جمع عرين وهو الأنف ، وبزل : جمع بازل وهو البعير يبلغ تسعين فتكتمل قوته ، والمراد وصف هؤلاء النسوة بأنهن بلغن السن التي ينقلن فيها القلب من مكان إلى مكان .

(٣) القسي : نوع من اللباس ينسب إلى قرية مصرية بقرب العريش ، أو هو القزي فأبدلت الزاي .

(٤) الاعتجار : لبسة خاصة للمرأة (٥) وحف : أسود ، وهو صفة الشعر ،

ونرجل : أفسح .

قال : والله ما كنت إلا أنا وصاحب لي على حمار هزيل ! فضحك وعفا عنه ،
وهو القائل :

لمحمد بن عبد الله
ابن عمير التغلبي

أهَاجَتِكَ الظَّمَانُ يَوْمَ بَانُوا بَدِي الزَّيِّ الْجَمِيلِ مِنَ الْأَثَاثِ (١)
ظَمَانٌ أَسْلَكْتُ فِي بَطْنِ قَوْ تَحْتُ إِذَا رَنْتِ أَيَّ اخْتِثَاثِ
كَأَنَّ عَلَى الْمَوَادِجِ يَوْمَ بَانُوا نِمَاجًا تَرْتَعِي بَقْلَ الْبِرَاثِ (٢)
يَهَيِّجُكَ الْحَمَامُ إِذَا تَغَيَّ كَمَا جَعَّ النَّوَادِبُ بِأَمْرَائِي

[من أدب ابن المعتز]

وقال ابن المعتز : وَعَدُّ الدُّنْيَا إِلَى خَلْفٍ ، وَبِقَاوِهَا إِلَى تَلْفٍ ، وَبَعْدَ عَطَائِهَا
لَمْنَعٍ ، وَبَعْدَ أَمَانِهَا الْفَجْعُ ، طَوَّاحَةٌ طَرَّاحَةٌ ، آسِيَةٌ جَرَّاحَةٌ ، كَمِ رَاقِدٍ فِي ظِلِّهَا
قَدْ أَيَقظَنهُ ، وَوَاتِقٍ بِهَا قَدْ خَانَتْهُ ، حَتَّى يَلْفِظَ نَفْسَهُ ، وَيُودِعُ دُنْيَاهُ ، وَيَسْكُنُ
رَمْسَهُ ، وَيَنْقُطِعُ عَنِ أَمَلِهِ ، وَيُشْرِفُ عَلَى عَمَلِهِ ، وَقَدْ رَجَحَ الْمَوْتَ بِحَيَاتِهِ (٣) ، وَنَقَضَ
قُوَى حَرَكَاتِهِ ، وَطَمَسَ الْبَلَى جَمَالَ بَهْجَتِهِ ، وَقَطَعَ نِظَامَ صُورَتِهِ ، وَصَارَ كَخَطٍّ مِنْ
رَمَادٍ تَحْتَ صَفَائِحِ أَنْضَادِ (٤) ؛ وَقَدْ أَسْلَمَهُ الْأَحْبَابُ ، وَافْتَرَشَ التُّرَابَ . فِي بَيْتِ
نَجْرَتِهِ الْمَعَاوِلِ (٥) ، وَفَرِشَتْ فِيهِ الْجُنَادِلُ ، مَا زَالَ مَضْطَرِبًا فِي أَمَلِهِ ، حَتَّى اسْتَقَرَّ
فِي أَجَلِهِ ، وَحَتَّى الْأَيَّامُ ذِكْرَهُ ، وَاعْتَادَتْ الْأَلْحَاظُ فَقْدَهُ .

بين ابن المعتز
وأستاذه ثعلب

وكتب وهو معتقل إلى أستاذه أبي العباس أحمد بن يحيى
ثعلب (٦) يتشوقه :

مَا وَجَدُ صَادٍ بِالْحَبَالِ مُوثِقٍ بِمَاءِ مَزْنٍ بَارِدٍ مُصْفَقٍ (٧)

(١) الظمان : جمع ظمينة ، وهي الرأفة في الهودج ، والأثاث : متاع البيت .
(٢) البراث : الأرض السهلة . (٣) رجع : مال كما ترجع كفة الميزان (م) .
(٤) صفايح أنضاد : انصفايح الحجارة العريضة ، وأنضاد : جمع تضد ، وهو المنحوت
باستواء (٥) المعاول : جمع معول ، وهو آلة كالقدم (٦) كان ثعلب من أصدق أهل
العريية لسانا ، وأبعدهم ذكرا ، وأثبتهم حفظا ، وكان في رأي المبرد أعلم الكوفيين . توفي
في جمادى الآخرة سنة ٢٩١ (٧) مصفق : صفقته الريح : أي لعبت به حتى لكأنه يصفق

بالريح لم يكدر ولم يرتق^(١) جادت به أخلاف دجن مطبق^(١)
بصخرة إن تر شمساً تبرق^(٢) ماداً عليها كالزجاج الأزرق^(٢)
صريح غيث خالص لم يمدق^(٣) إلا كوجدني بك، لكن أتق^(٣)
يا فاتحاً لكل بابٍ مغلّق^(٤) وصيرفياً ناقداً للمنطق^(٤)
إن قال هذا بهرج لم ينفق^(٥) إننا على البعاد والتفرّق^(٥)
لنلتقى بالذكر إن لم نلتقى

فأجابه : أخذت أطل الله بقاءك أول هذه الآيات مما أملتُهُ عليك من
قول جميل^(٥) :

وما صاديّاتٌ حُمنَ يوماً وليلةً على الماء يخشين العصى حوائى
كواعب لم يصدرن عنه لوجهة ولا هنّ من برد الحياض دوائى
يرين حباب الماء والموت دونه فهن لأصوات الشقاة روائى
بأكثر منى غلةً وصبابةً إليك، ولكن المدوّ عرائى
وأخذت آخرها من قول رؤبة بن العجاج^(٦) :

(١) الأخلاف : الأئداء يفيض منها اللبن ، والدجن المطبق : هو السحاب المتراكم
(٢) ماد : مال (٣) لم يمدق : لم يمزج ، يشبه الغيث القوي بالخر الصرفة تصرع الشاربين
(٤) الصيرفي : الرجل الحاذق في تمييز النقود ، ويريد به هنا البصير بنقد القول
(٥) هو جميل بن عبد الله بن معمر العذري ، وهو شاعر أذاب قلبه بالحنين إلى
معشوقته بثينة ، وكانت سكينه بنت الحسين تقدمه على الشعراء الغزلين ، لقوله :
يقولون : جاعداً جميل بغزوة ، وأى جهاد غيرهن أريد ؟
لكل حديث بينهن بشاشة وكل قتل عندهن شهيد
وكانت وفاته سنة ٨٢

(٦) راجز فصيح من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، كان أكثر مقامه بالبصرة ،
ومات في البادية سنة ١٤٥ قال الخليل : دفا الشعر واللغة والفصاحة .

إني وإن لم ترني فإني أخوك والرأعي إذا اشتريتني
أراك بالود وإن لم ترني
قال : فاستخفني في ذلك ونسب إلى سوء الأدب .

بعض أخبار
ابن المعتز
والمختار من
قوله

وكان أبو العباس عبدُ الله بن المعتز في المنصب العالي من الشعر والنثر ، وفي
النهاية في إشراق ديباجة البيان ، والغاية من رقّة حاشية اللسان . وكان كما قال
ابن المرزبان : إذا انصرف من بديع الشعر إلى رقيق النثر أتى بحلال السحر ،
وليس بعد ذي الرمة^(١) أكثر افتناناً وأكبر تصرفاً وإحساناً في التشبيه منه .
وإنما فرقت جملة ما اخترت من شعره ونثره في جملة هذا الكتاب ؛ لئلا أخرج
عما تقدم به الشرط في البسط ، وآتي هنا ببعض ما اختاره له ، قال :

وفتيان سرّوا والليل داجٍ وضوء الصبح منهم الطلوع
كأن بزاتهم أمراء جيشٍ على أكتافهم صدأ الدروع
وقال أيضاً :

في ليلة أكل الحاق هلالها حتى تبدى مثل وقف العاج^(٢)
والصبح يتلو المشتري فكأنه عريان يمشي في الدجاء بسراج^(٣)
وقال أيضاً يصف فرساً :

ولقد غنّدت على طير ساجٍ عقدت سنابكك عجاجة قسطل^(٤)

(١) ذو الرمة هو: غيلان بن عقبة، أحد فحول الثمر في عصره ، قال فيه أبو عمرو
ابن العلاء : «فتح الشعر بامرئ القيس وختم بذي الرمة» ولعل ذلك لأنه كان يكثر
من التشبيب وبكاء الأطلال، أولأن ديباجته كانت بدوية خالصة ، توفي بأصبهان سنة ١١٧
(٢) وقف العاج : هو القمطعة من العاج يمسك بها الثوب كالذبوس ونحوه
(٣) الدجى : جمع دجية ، وهي الظلمة (٤) طمر : حصان سريع الجرى كأنما يهوى
من طمار : أي من مكان مرتفع ، وسنابك الجواد : حوافره ، والعجاجة : السحابة ،
والقسطل الغبار .

متلّم لُجَمَ الحَديدِ يُوَكِّها . لوك الفتاة ساوِكا من إسجِلِ (١)
 وَنَحْجَلٌ غَيرَ اليمينِ كأنَّه متبخترٌ يمشي بكمّ مُسَبِّلِ
 وقال :

قد أعتدي بقارحِ . مسوِّمٌ يعنوبِ (٢)
 ينفي الخصى بحافرِ كالقدحِ المكبوبِ
 قد ضحكت غُرَّتُهُ في موضعِ التقطيبِ (٣)

وقال أيضاً :

وتقد وطئتُ الغيثَ يحملني طرفٌ كلونِ الصبحِ حينَ وفَدِ
 جماعُ أطرافِ الصَّوارِ فما الأخرى عليه إذا جرى بأشدِّ (٤)
 يمشي فيعرض في العِنانِ كما صدف المعشوقِ ذو الدلالِ وصد
 فكانه مَسوِّجٌ يذوبُ إذا أطلقتهُ فإذا حبستِ جمدُ
 وقال أيضاً يصف سيفاً :

وي صارمٌ فيه المنايا كوامينِ فم ينتضي إلا نسفك دماء
 ترى فوقَ مثنيه الفِرِّندَ كأنه بقية غيمٍ رَقَّ دونَ سماء
 وقال يصف ناراً :

مُشَّهَرَةٌ لا يحجب النخلُ ضوءها كأن سيوفاً بين عيدانها تُجلى
 يفرِّجُ أغصانَ الوقودِ اضطرابها كماشقت الشقراء عن متنها جلالاً (٥)

(١) اللجم : جمع لجام ، والإسجل بالكسر : شجر يستاك به

(٢) القارح من ذى الحافر : ما طنع نابه ، وذلك في السنة التاسعة . والنسوم

المعلم ، واليعيوب : السهل الجرى في بدوه

(٣) التقطيب . العبوس (٤) الصوار : القطيع

(٥) الشقراء : فرس زهي بن جذعة ومنها : ظهرها . والجل بالضم السرج (م)

للسرى الرفاء

وقال بعض أهل العصر، وهو السرى الموصل^(١) :

يوم رذاذ مَمَّسِكَ الحُجْبِ يَضْحَكُ فِيهِ السَّرورُ من كَشَبِ^(٢)
 ومجلسٍ أُسِبتِ ستائرُهُ على شَموسِ البهائمِ والحسبِ
 وقد جرت خيلُ راحنا خَبِيبًا في حَلِيهَا أو هَمَمِنَ بالخَبِيبِ^(٣)
 والتهدت نارُنا فنظرُها يُغْنِيكَ عن كلِّ منظرٍ عَجَبِ
 إذا ارتمت بالشرارِ فاطردت على ذَرَاها مَطَارِدُ اللَّهَبِ
 رأيتَ يا قسوتَهُ مشبَكَةً تطيرُ عنها قراضَةُ الذهبِ
 فانفض إلى المجلس الذي ابتست فيه رياضُ الجمالِ والأدبِ
 وقال بعض أهل العصر، وهو أبو الفرج البيهقي^(٤) :

لأبي الفرج
البيهقي

فَحَمَّا قَدَمَ النِّعَامِ فَأَهْدَى في كَوَانِينِهِ حَيَاةَ النُّفُوسِ
 كانَ كالأَبْنُوسِ غَيْرَ مَحَلِّي فعدا وهو مُذْهَبُ الأَبْنُوسِ
 لقي النارَ في ثيابِ حِدادِ فكستهُ مُصَبَّغَاتِ عَرُوسِ
 وقال أبو الفضل الميكالي :

لأبي الفضل
الميكالي

كأنَّ الشَّرارَ على نارِنا وقد راقَ منظرُها كلَّ عَينِ
 سُحَالَةٌ تَبْرِ إذا ما علا فأبما هَوَى ففتاتِ اللُّجَينِ^(٥)

لابن المعتز

وقال ابن المعتز يصف سحابة :

(١) هو السرى الرفاء، المتوفى ببغداد سنة ٣٦٦ . وسمى الرفاء لأنه كان في صباه يرفو الثياب، وهو جيد الشعر، كثير الولوج بالأوصاف والتشبهات (٢) الرذذ : نظر الضعيف . والكشب بالتحريك : القرب (٣) الحجب : ضرب من العدو، وهو أن ينقل الفرس أيامه جميعا وأياسره جميعا، أو أن يراوح بين يديه (٤) هو عبد الواحد بن نصر، المتوفى سنة ٣٩٨ . كان من أهل نصيبين، واتصل بسيف الدولة، ودخل الموصل وبغداد ونادم الملوك والرؤساء، (٥) السحالة : النخالة

وموقرة بثقل الماء جاءت
فباتت ليلتها سحاً ووبلاً
كان سماءها لمسات تجلت
رياضُ بِنَفْسِجِ خَضِلِ ثِراءُ
وقال :

وأجّة للنساء خضت غمرتها
وقارح صبغ الخيلان دهمته
وقال :

وليل ككحل العين خضت ظلامه
ومضبورة الأعضاد حروف كأنها
وقال يصف حية :

بأزرق لماع وأبيض صارم
تصافح رضراض الحصى بمناسم^(٥)
نعت رقطاء لا تحيا لديغتها
تلقى إذا انسلخت في الأرض جلدتها
وقال أيضاً :

لو قدّها السيف لم يعلق به بلل^(٦)
كأنها كم دِرْعِ قدّه بطل
وأسار مني الدهر عضباً مهنداً
ورأيا كمرآة الصنّاع أرى به

(١) موقرة : مثقلة (٢) خضل : ندى (٣) خدم : قاطع (٤) قارح : الفارح من
ذى الحافر بمنزلة البازل من الإبل ، وهو الذى قوى يلوغه تسع سنين ، والخيلان :
جمع خن وهو شامة فى البدن. والدهمة : السواد ، والشبهة : لون بين السواد والبياض
(٥) الأعضاد : جمع عضد ، ومضبورة : محكمة الخلق مكثرة اللحم . وحرف :
ضمرة . ورضراض الحصى : صغارها ، والمناسم : جمع منم وهو خف البعير
(٦) رقطاء : منقطة - وانظر ديوانه (١١٣/٤) (٢)
(٧) أسار : أبقى ، والشجاع :

أخذه من قول المنصور لابنه المهدي : لا تُبْرِمَنَّ أُمْرًا حَتَّى تَفَكَّرَ فِيهِ ؛ فَإِنْ
فِيكَرَةِ الْعَاقِلِ مَرَّاتَهُ ، تَرِيهِ قَبْحَهُ وَعَسَنَهُ .

وَلَمَّا دُفِنَ الْمَنْصُورُ وَقَفَ الرَّبِيعُ عَلَى قَبْرِهِ فَقَالَ : رَحِمَكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،
وَعَفَرَ لَكَ ! فَقَدْ كَانَ لَكَ رَحْمِي مِنَ الْعَقْلِ لَا يَطِيرُ بِهِ الْجَهْلُ ، وَكُنْتَ تَرَى بَاطِنَ
الْأَمْرِ بِمَرَاةٍ مِنَ الرَّأْيِ ، كَمَا تَرَى ظَاهِرَهُ . ثُمَّ التَفْتُ إِلَى يَحْيَى بْنِ مُحَمَّدِ أَخِي الْمَنْصُورِ
فَقَالَ : هَذَا كَمَا قَالَ أَبُو دَهَبَلٍ الْجَمْحِيُّ (١) :

عُقِيمَ النِّسَاءُ فَمَا يَلِدْنَ شَبِيهَهُ إِنَّ النِّسَاءَ بِمِثْلِهِ عُقِمَ (٢)
وَبَعْدَهُ (٣) :

مَتَهَلَّلَ بِنَعْمٍ ، بِالْأَمْتِ بِأَعْدَ سَيَّانٍ مِنْهُ الْوَفْرُ وَالْعَدَمُ (٤)
نَزَرُ الْكَلَامِ مِنَ الْحَيَاءِ تَخَالَهُ ضَمِنًا ، وَلَيْسَ بِجَسْمِهِ سَقَمُ (٥)
أَخَذَ الْبَيْتَ الْآخِرَ مِنْ قَوْلِ لَيْلَى الْأَخِيلِيَّةِ (٦) :

لَا تُتْرَبَنَّ الدَّهْرَ آلَ مُطَرِّفٍ إِنْ ظَلَمْنَا يَوْمًا وَإِنْ مَظْلُومًا

(١) فِي الْأَصْلِ «أَبُو دَعْبَلٍ» وَهُوَ تَحْرِيفُ (٢) عُقِمَ : جَمَعَ عَقِيمٌ ، وَهِيَ الْمَرَأَةُ الْعَاقِرُ
وَقَبْلَ هَذَا الْبَيْتِ كَمَا فِي الْحَمَاسَةِ :

إِنَّ الْبُيُوتَ مَعَادِنَ فَنَجَارُهُ ذَهَبٌ وَكُلُّ بَيْوتِهِ ضَحْمٌ

وَالنَّجَارُ : الْأَصْلُ (٣) هَذَا اسْتِطْرَادٌ مِنَ الْمُؤَلَّفِ (٤) الْوَفْرُ وَالْعَدَمُ : الْغِنَى وَالْفَقْرُ

(٥) ضَمِنَ : مَرِيضٌ (٦) هِيَ لَيْلَى بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ ، اشتهرت بأخبارها مع توبة ، وله

فِيهَا شَعْرٌ جَمِيلٌ ، وَهِيَ أَشْهُرُ النِّسَاءِ الشُّوَاعِرِ بَعْدَ الْخُنَسَاءِ ، تَوَفَّيَتْ نَحْوَ سَنَةِ ٧٥

وَأَوَّلُ هَذِهِ الْمُقْطُوعَةُ كَمَا فِي دِيْوَانِ الْحَمَاسَةِ :

يَا أَيُّهَا السِّدْمُ الْمَلُوءِيُّ رَأْسُهُ لِيَقُودَ مِنْ أَهْلِ الْحِجَازِ بَرِيحًا

أَتُرِيدُ عَمْرُوبَ بْنَ الْخَلِيعِ وَدُونَهُ كَعَبٌ ؟ إِذْنًا لَوْجَدْتَهُ مَرَّةً وَمَا

إِنَّ الْخَلِيعَ وَرَهْطَهُ فِي عَامِرٍ كَالْقَلْبِ أَلْبَسَ جَوْجُؤًا وَحَزِيمًا

السِّدْمُ : الْفَحْلُ نَهَائِجٌ . وَالْبَرِيمُ : الْجَيْشُ الْمُؤَلَّفُ مِنْ أَخْلَاطِ النَّاسِ . وَالْمَرءُومُ :

مَخَاطٌ بِالْعَطْفِ ، وَالْجَوْجُؤُ : الصِّدْرُ

قوم رِبَاطُ الخيل حَوْلَ بيوتهم وأسنةُ زرقٍ يُخَلَّنُ نَجُوماً
ومزقٍ عنه القميصُ تَمَّالُهُ وسطَ البيوت من الحياءِ سقيماً
حتى إذا رُفِعَ اللواءُ رأيتَهُ يومَ الهياجِ على الخميسِ زعيماً^(١)
وقال :

يُشَبِّهونَ ملوكاً في تجلتهم وطول أنصبة الأعتاق واللمم^(٢)
إذا بدأ المسكُ يجرى في مفارقهم راحوا كأنهم مرضى من الكرم
وقال أبو علي الحاتمي : وما أحسن أبياتا أنشدها أبو عمر المطرز غلام ثعلب
يعترض في أثناءها هذا المعنى :

تخالهم للحلم صمماً عن الخنا وخرساً عن الفخشاء عند التهاثر^(٣)
ومرضى إذا لاقوا حياءً وعفةً وعند الحروب كالليوث الخوادير^(٤)
لهم عزٌّ. إنصافٍ وذلٌّ تواضع بهم ولهم ذلتٌ رقابُ العثلة
كانَ بهم وصماً يخافون عاره وليس بهم إلا اتقاء المعابر^(٥)
وأنشد :

أحلام عادٍ لا يخافُ جليسهم - وإن نطق العوراء - عيبَ لسانِ
إذا حدثوا لم يخشَ سوادِهم وإن حدثوا أدواً بحسن بيانِ

(١) اللواء: الراية، والخميس: الجيش؛ لأنه خمس فرق: المقدمة، والقلب، والميمنة، والميسرة، والساقة. والزعيم: الرئيس
(٢) الأنصبة: جمع نصاب، وهو الأصل الذي ركب فيه العنق
(٣) التهاثر: تبادل السباب الباطل (٤) الخوادير: جمع خادر، وهو الليث يندم
أجمته (٥) المعابر: المعايير

وقال ابن المعتز :

وعاقِدِ زُنَّارٍ عَلَى غُصْنِ الْأَسِي
سَقَانِي عُقَارًا صَبَّ فِيهَا مِرْأَجَاهَا
دَقِيقِ الْمَعَانِي مُخْطَفِ الْحَصْرِ مَيَّاسٍ ^(١) لابن المعتز
فَأَضْحَكَكَ عَنْ تَفْرِ الْجَبَابِ فَمَ الْكَاسِ

وقال :

يَالَيْلَةَ نَسِيَ الزَّمَانُ بِهَا
فَاحِ الْمَسَاءِ بِيَدِهَا ، وَوَشَّتْ
ثُمَّ انْقَضَتْ وَالْقَلْبُ يَتَّبِعُهَا
أَخْدَاتِهِ ، كُونِي بِلَا فَجْرٍ
فِيهَا الصَّبَا بِمَوَاقِعِ الْقَطْرِ
فِي حَيْثُ مَا سَقَطَتْ مِنَ الدَّهْرِ ^(٢)

وقال :

يَا رَبِّ إِخْوَانِ صَحْبَتِهِمْ
لَوْ تَسْتَطِيعُ قُلُوبُهُمْ نَفَرَتْ
لَا يَمْلِكُونَ لِسْلُوةً قَلْبًا
أَجْسَامِهِمْ فَتَعَانَقَتْ حُبًّا ^(٣)

هذا كقول ابن الرومي :

أَعَانَهُ وَالنَّفْسُ بَعْدُ مَشُوقَةٌ
وَأَلْتَمَّ فَاهُ كِي تَزُولَ حَرَارَتِي
وَلَيْكَ مِقْدَارُ الَّذِي بِي مِنَ الْهَوَى
كَأَنَّ فَوَادِي لَيْسَ يَشْفِي غَلِيلَهُ
إِلَيْهِ ، وَهَلْ بَعْدَ الْعِنَاقِ تَدَانِي ؟
فِي شِدَّةٍ مَا أَلْقَى مِنَ الْهَيْمَانِ
لِيُرْوِيَهُ مَا تَرَشَّفُ الشَّفَتَانِ
سَوَى أَنْ يُرَى الرُّوحَانَ يَتَزَجَّانِ

ومن مشوره : لا يزال الإخوان يسافرون في المودّة ، حتى يبلغوا الشقة ، من شراب المعتز
فإذا بلغوها ألقوا عصا التسيار ، واطمأنت بهم الدار ، وأقبلت وفود الناصح ،
وأمنت خبايا الضائر ، فخلوا عقد التحفظ ، ونزعوا ملابس التخلُّق .
وله : سار فلان ، في جيوش عليهم أُرْدِيَّةُ السيوف ، وأقمصة الحديد ،

(١) الزنار : رباط يشد به الحصر - ومخطف الحصر : ضامره ، ومثله أخطف

ومخطوف (٢) هذا البيت غاية في روعة الخيال (٣) نفرت : سعت - والذي

في الديوان (١٢٦) فمادت * أجسادها وتعانقت حبا (م)

وكانَ رِمَاحَهُمْ قرونُ الوُغُولِ^(١) ، وكانَ دُرُوعَهُمْ زَبَدُ السَّيُولِ ، على خيلٍ
تَأْكُلُ الأَرْضَ بِمَحوافِها ، وتمتدُّ بالنَّعْجِ سُرَادِقَهَا^(٢) ، قد نُشِرت في وجوهها
غُرُرٌ كأنها صحائف الرُّقِ^(٣) ، وأمسكها تحجِيلٌ كأنه أسورة اللِّجِينِ^(٤) ، وقُرِّطت
مُذْرَأُها كأنها الشَّنْفُ^(٥) ، تتلقف الأعداءَ أوائلُهُ ولم تَنْهَضْ أواخره ، قد سبَّ
عليهم وقارُ الصبر ، وهبت معهم ريحُ النَّصرِ .

وله في عليل : آذنَ اللهُ في شفائك ، وتلقَى داءك بدوائك ، ومسحَ بيدٍ
العافية عليك ، ووجهه وفدَّ السلامة إليك ، وجعلَ عِلَّتَكَ ماحيةً لذنوبك ،
مضاعفةً لثوابك .

وكتب إلى عبيد الله بن سليمان بن وهب^(٦) في يوم عيد : أَخَرْتَنِي العِمَّةَ
عن الوزيرِ أعزَّهُ اللهُ ، فحضرت بالدعاء في كُوبٍ عني ، ويَعْمُرُ ما أخلته
العوائقُ مني ، وأنا أسألُ اللهُ تعالى أن يجعلَ هذا العيدَ أعظَمَ الأعيادِ السالفةِ
بركةً على الوزيرِ ، ودون الأعيادِ المُستقبلةِ فيما يُحِبُّ ويُحِبُّ له ، ويَقْبَلُ ما توسل
به إلى مَرْضَاتِهِ ، ويضاعفَ الإحسانَ إليه ، على الإحسانِ منه ، ويمتعه بصحبةِ
النِّعمةِ ولباسِ العافية ، ولا يَرِيَهُ في مسرَّةٍ نقصاً ، ولا يقطعُ عنه مَزِيداً ، ويجعلني
من كلِّ سوءٍ فِدَاءً ، ويصرفَ عيونَ الغيْرِ عنه ، وعن حظِّي منه .

(١) الوغول : جمع وعل ، وهو التيس الجبلي . (٢) النعج : غبار الحرب

(٣) الرق ، بالفتح ويكسر : جلد رقيق يكتب فيه (٤) اللجين : الفضة

(٥) الشنف ، بالفتح : القروط ، والعذر بضمين : جمع عذار

(٦) وزير من أكابر الكتاب ، استوزره المعتضد على الله وأقره بعده المعتضد ،

واستمرت وزارته عشر سنين وخمسين يوماً ، وكانت وفاته سنة ٢٨٨ . وهو الذي قال

فيه عبيد الله بن عبد الله بن طاهر حين وزر للمعتضد :

أبي دهرنا إنصافنا في نفوسنا وأنصفنا فيمن نحب ونكرم

قللت له : نعاك فيهم أعمها ودع أمرنا ؛ إن الأهم مقدم

وله إلى بعض الرؤساء : لَاتَشِينِ حُسْنَ الظَّفَرِ بِقُبْحِ الانتقَامِ ، وتجاوز عن كل مُذْنِبٍ لَمْ يَسْلُكْ مِنَ الإِعْذَارِ طَرِيقًا^(١) حتى آتَمَّذَ مِنْ رَجَاءِ عَفْوِكَ رَفِيقًا .

وله اعتذار إلى القاسم بن عبيد الله : تَرَفَعِ عَنِ ظَنَمِي إِنْ كُنْتَ بُرِيثًا ، وَتَفَضَّلْ بِالْعَفْوِ إِنْ كُنْتَ مُسِيئًا ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَطْلُبُ عَفْوَ ذَنْبِي لَمْ أَجْنِهِ ، وَالْتَمَسِ الإِقَالَةَ مِمَّا لَأَعْرِفُهُ ؛ لَتَزْدَادَ تَطَوُّلًا ، وَأَزْدَادَ تَذَلُّلًا ؛ وَأَنَا أُعِيدُ حَالِي عِنْدَكَ بِكْرَمِكَ مِنْ وَائِشٍ يَكِيدُهَا ، وَأُحْرُسُهَا بِوَفَائِكَ مِنْ بَاغٍ يَحَاوِلُ إِفْسَادَهَا ، وَأَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ حَظِّي مِنْكَ ، بِقَدْرِ وُدِّي لَكَ ؛ وَمَحَلِّي مِنْ رَجَائِكَ ، بِمَيْثِ اسْتِحْقَاقِكَ مِنْكَ .

وله إليه : لَوْ كَانَ فِي الصَّمْتِ مَوْضِعٌ يَسَعُ حَالِي لَخَفَفْتُ عَنِ سَمْعِ الوَازِرِ وَنَظَرِهِ ، وَلَمْ أَشْغَلْ وَجْهًا مِنْ فِكْرِهِ ، وَمَا زَالَتِ الشُّكُوى ، تُقَرِّبُ عَنِ لِسَانِ البَلْوَى ، وَمِنْ اخْتَلَّتْ حَالُهُ ، كَانَ فِي الصَّمْتِ هَذَاكَ ، وَقَدْ كَانَ الصَّبْرُ يَنْصُرُنِي عَلَى شَرِّ أَمْرِي حَتَّى خَذَلَنِي .

وهذا كقول أحمد بن إسماعيل : فَصَاحَةُ الشُّكُوى ، عَلَى قَدْرِ البَلْوَى ، إِلا أَنْ يَكُونَ بِالشَّاكِي انْقِبَاضٌ ، وَبِالشُّكْرِ إِلَيْهِ إِعْرَاضٌ .

[وصف الماء وما يتصل به]

وقد أحسن أبو العباس بن المعتز في صفة الماء في أرجوزته التي أنشدتها آنفًا ، لابن المعتز
وقد قال في قصيدة له وذكر إبلاً :
يصف ماء

فَبَدَّيْ لَهْنَ بِالنَّجْفِ المَذِّ بِرِ مَاءِ صَافِي الجَمَامِ عَرِي^(٢)

(١) الإعتذار : إبداء العذر ، وفي الأصل «الأقدار» وهو تحريف

(٢) النجف ، محر كة و بهاء ، مكان لا يعلوه الماء ، مستطيل منقاد ويكون في بطن الوادي

وقد يكون ييطان من الأرض . والجمام : جمع جم ، وهو الماء الكثير ، والمرى : الهنيء

يتمشى على حصي يسلبُ الماء
وإذا داخلته دُرَّةُ شمسٍ
وقال (٣):

لا مثل منزلة الدُّويرة منزلُ
بؤساً لدهرٍ غيرتكَ صروفهُ
لم يحلُّ للعنين بعدك منظرُ
أى المعاهد منك أنذبُ طيبهُ
أم تره دُظلك ذى العيون وذى الجنى
وكانما سطعت مجامرُ عنبر
وكانما حصبناه أرضك جوهراً
[وكانما أبدى الريح ضحيه
وكان درعاً مفرغاً من فضة
وعشقت عاتكة المرية ابن عم لها فراودها عن نفسها فقالت :

وله أيضاً
بحن للدويرة
ويصف ماء

لعاتكة المرية
في وصف ماء

فما ظم ماء أى ماء تقوله
بمنعرج من بطن وادٍ تقابلت
نفت جريئة الماء القذى عن متونه
بأطيب ممن يقصر الطرف دونه
تحدّر عن غرّة طوال الذوائب
عليه رياح الصيف من كل جانب
فما إن به عيب تراه لشارب
تقى اللهواستحياء بعض العواقب
وأشد الأصمى قال : أنشدنى أبو عمرو بن العلاء لجابر بن الأرق ، وقال :
هو أحسن ما قيل فى معناه :

- (١) من حق العربية عليه أن يقول « فتمته مجلوه » فإن فعله جلاه مجلوه (م) .
(٢) هذه الكافية من أروع ما قال ابن المعتز ، وقد ترجمتها إلى الفرنسية فى كتابى
La prose arabe au I^{er} siècle de l'hégire
(٣) الدويرة : محلة ببغداد (٤) رواية الديوان (أم برد ظلك ذى العيون وذى
الحيا) والبيشم : اللينة (٥) فأرالمسك : ما تجمد من دم الغزال (٦) ضحية : تصغير
ضحوة ، واتصابه على الظرفية الزمانية (م) (٧) مفرغ : مصبوب

أَيَاوَيْحَ نَفْسِي كَمَا التَّحْتُ لَوْحَةً^(١) عَلَى شَرِبَةٍ مِنْ مَاءِ أَخْوَاضِ مَارِبِ^(٢)
 بَقَايَا نِطَافٍ أَوْدَعِ النِّيمَ صَفْوَهَا مَصْقَلَةَ الْأَرْجَاءِ زُرُقَ الْمَشَارِبِ^(٣)
 تَرَقَّرَقَ دَمْعُ الْمَزْنِ فِيهِنَّ وَالتَّوَتَ عَلَيْهِنَ أَنْفَاسُ الرِّيَاحِ الْغَرَابِ
 وَأَنْشَدَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ لِلأَيْبُرِدِ الْبِرْبُوعِي ، وَرَوَيْتَ لِمُضَرَّسِ بْنِ رَبِيعِ
 الأَسَدِي :

فَأَلْقَتْ عَصَا النَّسْيَارِ عَنْهَا ، وَخَيَّمَتْ بِأَرْجَاءِ عَذْبِ الْمَاءِ زُرُقَ مَحَا فِرَّةِ
 أَزَالَ الْقَدَى عَنْ مَائِهِ وَأَفِدُّ الصَّبَا يَرُوحُ عَلَيْهِ نَاسِمًا وَيُبَاكِرُهُ
 وَأَوَّلُ مَنْ أَتَى بِهَذَا زَهْرِي بْنُ أَبِي سُلَيْمٍ فِي قَوْلِهِ :

ولزهير

فَلَمَّا وَرَدَنَ الْمَاءَ زُرُقًا جِامُهُ وَضَعَنَ عِصَى الْخَاضِرِ الْمُتَخِيمِ^(٤)
 وَقَالَ ابْنُ الرَّومِيِّ :

وَمَاءٌ جَلَّتْ عَنْ حُرِّ صَفْحَتِهِ الْقَدَى مِنْ الرِّيْحِ مِقْطَارُ الْأَصَائِلِ وَالْبُكَرُ
 بِهِ عَبَقٌ يَمَّا تَسَحَّبَ فَوْقَهُ نَيْمِ الصَّبَا يَجْرِي عَلَى النُّورِ وَالزَّهْرُ

ولا بن الرومي

[وصف الدور والقصور]

وَيَتَعَلَقُ بِهَذَا الْبَابِ قَوْلُ الْبَحْتَرِيِّ يَصِفُ بَرَكَةَ الْجَعْفَرِيِّ^(٥) وَهُوَ قَصْرُ
 ابْتِنَاءِ الْمُتَوَكَّلِ فِي شَرِّ مَنْ رَأَى :

البحترى يصف
 بركة الجعفرى

(١) التحت : عطشت ، من قولهم لاحه العطش ولو حه إذا غيره ، وهو ملتاح ،
 وبه لوح شديد ، وبغير ملواح وإبل ملاويح : سريعة العطش
 (٢) مارب : هي بلاد الأزد باليمن ، وهي غير مهجوزة لأنها وردت كذلك في الخطوط
 الحميرية كما أخبرنا السنيور نلينو . وهذا لا ينافي أنها همزت في بعض الأشعار ، ولسد
 مارب وسيل العرم قصص طويلة ذكر بعضها في معجم البلدان .

(٣) النطاف والنطف : جمع نطفة ، وهي الماء الصافي قل أو كثر (٤) المتخيم : المقيم

(٥) الجعفرى : اسم قصر بناه المتوكل قرب سامراء ، فلما انتقل إليه انتقل معه

أهل سامراء حتى كادت تخلو ، وفي هذا القصر قتل المتوكل في شوال سنة ٢٤٧ ، وسميت
 البركة بركة لإقامة الماء فيها ، من برك البعير

يامن رأى البركة الحسناوروثقها والآناس إذا لاحت مغانيها^(١)
 ما بال دجلة كالغيزى نافعها فى الحسن طوراً وأطواراً تباهيها!
 إذا عنتها الصبا أبدت لها حُبكا مثل الجواشن مصقولا حواشيها^(٢)
 فحاجب الشمس أحياناً يفارها وريق الغيث أحياناً بباكيها^(٣)
 إذا النجوم تراءت فى جوانبها ليلاً حسبت سما زكبت فيها
 كأنما الفضة البيضاء سائلة من السبانك تجرى فى تجاريتها
 تنصب فيها وفود الماء منجلة كالخيل خارجة من حبل مجريها^(٤)
 كأن جن سليمان الدين ولوا إبدانها فادقوا فى معانيها
 فلو تمر بها بليس من عرض قالت : هى الصرح تمثيلاً وتشبيها^(٥)
 [لا يبلغ السمك المقصور غايتها أبعد ما بين قاصيها ودانيتها]
 يعمن فيها بأوساط مجنحة كالطير تنشر فى جوف خوافيها
 ولم ينفق أحد من خلفاء بنى العباس فى البناء ما أنفقه المتوكل ؛ وذلك أنه
 أنفق فى أبنيته ثلثمائة ألف ألف ، وفى أبنيته يقول على بن الجهم^(٦) :

(١) رواية الديوان « الحسناء رؤيتها »

(٢) الجواشن: جمع جوشن، وهو الدرع ، وفى الأصل « من الجواشن » وهو

تحريف (٣) رواية الديوان « يضاحكها » وهى أنسب

(٤) الوفود: جمع وفد ، وهو هنا تيار الماء (٥) عن عرض : من جانب ، وفى

الأصل « معرضة » وقد آثرنا رواية الديوان .

(٦) شاعر فحل من معاصري أبى تمام والبحترى، وهو صاحب الرائية المشهورة

التي يقول فى أولها :

عيون المها بين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث أدرى ولا أدرى

أعدن لى الشوق القديم ، ولم أكن سلوت ، ولكن زدن جراً إلى جمر

اختص بالمتوكل ، ثم غضب عليه فنفاه إلى خراسان ، فأقام بهامدة ، ورحل إلى

حلب ، فقتله بقرها بعض بنى كلب سنة ٢٤٩ .

لعلى بن الجهم
يصف قصور
التوكل

وما زلتُ أسمعُ أنَّ الملو
وأعلمُ أنَّ عقولَ الرجا
صُحونٌ تسافرُ فيها العيونُ
وقبّةٌ ملكٌ كأنَّ النجو
إذا أوقدتُ نارُها بالعراق
لها شُرُفاتٌ كأنَّ الربيع
فهنَّ كمصطحباتٍ خرَّجنَ
نظمنَ القيسيَّ كنظمِ الحلي
فمن بين عاقصةٍ شهرها
وللبحتري فيها شعرٌ كثير منه :

أرى المتوكّلة قد تعالتُ
قصور كالكوكب لآياتُ
وروض مثل بُردِ الوشى فيه
غرائب من فنون النور فيها
تُضاحكها الضحى طوراً وظوراً
وولاً يستهلّ لها غمامُ
وقال أيضاً :

قد تمَّ حُسنُ الجعفريِّ ولم يكن
ليتمَّ إلا للخليفة جعفريِّ

وللبحتري

- (١) نحسّر : تكل، والأقطار: النواحي والأرجاء (٢) الفسح: من أعياد النصارى
(٣) عون: جمع عوان، على وزن سجاب، وهي التي كان لها زوج .
(٤) الزنار: رباط يشد به الحصر (٥) مصانعها: مبانيها، وفي الديوان «محاسنها»
(٦) الحوذان والحزامي: من النباتات المزهرة (٧) في الأصل «يضاحك نورها»
وقد آثرنا رواية الديوان (٨) ريق القطر: الغزير منه .

ملكٌ تبوأ خيراً داراً نشئت
[في رأس مشرفة حصاها لؤلؤاً]
مُخَضَّرَةٌ والغيثُ ليس بساكبٍ
رفعت بمنحروِ الرياح، وجاورت
وبعده :

ورفعت بُنْياناً كأن زُهاءهُ
عالٍ على لَحْظِ العيونِ كأنما
ملأت جوانبه الفضاء، وعانقت
وتسيل دجلة تحته ففناؤه
شجرٌ تُلاعِبُه الرياحُ فتنتي

أخذ أبو بكر الصنوبري^(٥) قولَ البحتری في صفة البركة فقال يصف موضعاً :

سقى حلباً سافكٌ دمه
مِيادينهُ بَطْطُنَ الرِياضِ
ترى الریح تنسج من مائه
كان الزجاجَ عليها أذيبَ
هي الجوُّ من رِقَّةٍ غير أنَّ
وقد نُظِمَ الزهر نظم النجوم

للصنوبري
يصف موضعاً
في حلب

(١) يشاب : يمزج (٢) الصيب : الكثير الانهمال ، ورواية الديوان :

ظهرت لخرق الشمال وجاورت ظلل الغمام الصائب المستغزير

(٣) رضوى وضير : جبلان ، وفي الأصل « شواحق منبر » وهو تحريف

(٤) المشتري : اسم نجم . (٥) هو أحمد بن محمد الحلبي التوفي سنة ٣٣٤

(٦) الرقواء : السكون ، يقال : رقأ دمه ودمه ، ولا رقأت دمه فلان ، ولا

أرقأ الله عينه . ومن كلامهم : اليأس رقواء الدمع ، وقال ذو الرمة :

لئن قطع اليأس الحنين فإنه رقواء لتذراف الدموع السوافك

كما درج الماء مرَّ الصبا ودبج وجه السماء الحُبك
 يُباهين أعلام قنص القيان ونقش عصائبها والتكك
 وأخذ قوله :

* إذا النجوم تراءت في جوانبها *

قال :

ولما تعالى البدرُ وامتدَّ ضوءه بدجلة في تشرين في الطول والعرض
 وقد قابل الماء المفضض نوره وبعض نجوم الليل يقفون سنا بقص (١)
 توهم ذو العين البصيرة أنه يرى باطن الأفلاك من ظاهر الأرض

ولأهل العصر في هذا النحو كلام كثير :

قال الأمير أبو الفضل الميكالي ، يصف بركة وقع عليها شعاع الشمس فالتقه
 على مَهو مطلق (٢) عليها يقول :

أما ترى البركة الغراء قد لبست نوراً من الشمس في حافاتهما سطماً
 والمهو من فوقها يلهمك منظره كأنه ملك في دسسته ارتفعاً
 والماء من تحته ألقى الشعاع على أعلى سماواته فارتجج ملتعمداً
 كأنه السيف مصقولاً نُقلبه كف الكمي إلى ضرب الكمي سقى (٣)

وقال علي بن محمد الإيادي يمدح المعز ويصف دار البحر بالمنصورية (٤) :

ولما استطل المجد واستولت البنى على النجم واشتدَّ الرواق المروق (٥)
 بنى قبةً للملك في وسط جنة لها منظر يزهي به الطرف موق
 بمشوقة الساعات ، أما عراصها فحضر ، وأما طيرها فهي نطق (٦)

لعلي بن محمد
 الإيادي يصف
 دار المنصورية

(١) يقفون : يتبع ، والسنا : الضوء . (٢) المهو : الحصى الأبيض (م)

(٣) الكمي : الشعاع (٣) المنصورية : مدينة بقرب القيروان (٤) البنى : جمع

بنية ، بالضم والكسر (٥) العراص : هي الباحات

تَحْفَ بِقَصْرِ ذِي قَصُورٍ كَأَنَّمَا
 لَهُ بَرَكَةٌ لِلْمَاءِ مِلًّا، فَضَّائِهِ
 لَهَا جَدْوَانٌ يَنْعَبُ فِيهَا كَأَنَّهُ
 لَهَا مَحَلْسٌ قَدْ قَامَ فِي وَسْطِ مَائِهَا
 كَثْنٌ صَفَاءُ الْمَاءِ فِيهَا وَحُسْنُهُ
 إِذَا بَثَّ فِيهَا اللَّيْلُ أَشْخَاصَ نَجْمِهِ
 وَإِنْ صَانَحَتْهَا الشَّمْسُ لَاحَتْ كَأَنَّهَا
 كَانَتْ شُرَافَاتِ الْمَقَاصِرِ حَوْلَهَا
 يَذُوبُ الْجَفَاءُ الْجَعْدُ عَنْ وَجْهِ مَائِهَا

تَرَى الْبَحْرَ فِي أَرْجَائِهِ وَهُوَ مُتَأَنِّقٌ^(١)
 تَتَّخِبُ بِقَصْرِ يَمِينِهَا الْعَيْونَ وَتَتَعَنَّقُ^(٢)
 حُسَامَ جَلَالِهِ الْقَيْنِ بِالْأَرْضِ مُلْمَسَقٌ^(٣)
 كَمَا قَامَ فِي فَيْضِ الْفِرَاتِ الْخُورَنَقُ^(٤)
 زُجَاجٌ صَفَتْ أَرْجَاؤُهُ فَبِهِو أَزْرَقُ
 رَأَيْتَ وَجْهَ الزَّيْجِ بِالنَّارِ تُحْرَقُ
 فَرِيْدٌ عَلَى تَاجِ الْعَمَزِّ وَرُوْنَقُ
 عَدَايَ عَالِيْنِ الْمَلَأَةِ الْمَنْطَقُ
 كَمَا ذَابَ آلُ الصَّحْحَانِ الْمَرْقَرُ^(٥)

وفال عبد الكريم بن إبراهيم :

يَا رَبَّ فَيَّانَ صِدْقُ رُحْتُ بَيْنَهُمْ
 مَرَضَى أَصَائِلُهَا حَسْرَى شَمَائِلُهَا
 مَعَاطِيَا شَمْسِ إِبْرِيْقٍ إِذَا مُرْجَتُ
 عَنْ مَاحِلِ طَافِحِ بِلَاءِ مُعْتَلِجِ
 تَضْمُهُ الرِّيحُ أَحْيَانًا، وَتَفَرِّقُهُ
 مِنْ مَأْخِضِ نَاضِرِ الْوَالِطِ يَلْحَقُهُ
 تَهْرُؤُ الرِّيحِ أَحْيَانًا فَيَمْنَحُهَا
 كَأَنَّ خَافَاتِهِ نُطْقَنَ مِنْ زَبْدِ

لعبد الكريم
 ابن إبراهيم
 يصف موضعا

وَالشَّمْسُ كَالدَّيْفِ الْمَعشُوقِ فِي الْأُفُقِ
 تَرُوحُ الْعُصْنُ الْمَطُورِ فِي الْوَرَقِ
 تَقَلَّدَتْ عِقْدَ مَرْجَانٍ مِنَ النَّزْقِ
 كَأَنَّمَا نَفْسُهُ صِيْفَتٌ مِنَ الْخُدْقِ
 فَمَاءٌ مَا بَيْنَ مَحْبُوسٍ وَمُنْطَلَقِ
 وَأَبْيَضٌ تَحْتَ قَيْظِي الضَّحَى يَبْقَى^(٦)
 لِلزَّجْرِ خَفَقَ فَوَادِ الْعَاشِقِ الْقَاقِ
 مَنَاطِقًا رُصِّعَتْ مِنْ لَوْنِ نَسَقِ

(١) متأنق : ملآن (٢) تحب، وتعنق : من الحب والعنق بفتحين وهما من أنواع السير (٣) القين : الحداد (٤) الخورنق : اسم قصر (٥) الصححان : موضع بين حلب وتدمر ، والآل : السراب ، (٦) قيطى : منسوب إلى القيط وهو الحر الشديد. وفي الأصل « قيطى » وهو تحريف ، واليقق : الناصع البياض .

كَانَ قُبَيْتَهُ مِنْ سُنْدُسٍ نَمَطٍ حَسَنَاءُ تَجْلُوَةٌ اللَّبَّاتِ وَالْعُنُقِ
 إِذَا تَبَلَّجَ فَجَرُّهُ فَوْقَ زُرْقَتِهِ حَسْبُهُ فَرَسًا دِهْمًا فِي بَلَقِ (١)
 أَوْلَا زَوْزِدًا جَرَى فِي مَتْنِهِ ذَهَبٌ فَلَاحٌ فِي شَارِقٍ مِنْ مَائِهِ شَرْقِ
 عَشِيَّةٍ كَلَّتْ حُسْنًا وَسَاعَدَهَا لَيْلٌ يُمَدِّدُ أَطْنَابًا عَلَى الْإْفُقِ
 تَجَلِي بَغْرَةٍ وَضَّاحِ الْجَبِينِ لَهُ مَا شَتَّتَ مِنْ كَرَمٍ وَافٍ وَمِنْ خُلُقِ

ألفاظ لأهل المصر في وصف الماء وما يتصل به

ماء كالزُّجَاجِ الأزرق ، غدير كعين الشمس ، مَوَارِدُ كالمبارد ، وماء كالمعان
 الشمعة ، في صفاء الدَّمْعَةِ ، يسبح في الرِّضْرَاضِ ، سَبْحُ النَّضْنَاضِ ، ماء أزرق
 كعين السَّنُورِ (٢) ، صاف كقضب البلور ، ماء إذا مَشَّتْهُ يَدُ النَّسِيمِ حِكِي سَلَامِيلَ
 العصاة ، ماء إذا صاحنه راحة الريح ، لبس الدَّرْعِ كالمسيح ، كأنَّ القَدِيرَ بِتَرَابِ
 الماء رداء مُسْنَدِلٍ ، بركة كأنها مرآة السماء ، بركة مَفْرُوزَةٌ بالخضرة ، كأنها
 مِرْآةٌ مَحْلُوءَةٌ ، على دبابجة خضراء ، بركة ماء كأنها مِرْآةُ الصَّمَاغِ (٣) ، غدير
 ترقرت فيه دموعُ السحابِ ، وتواترت عليه أنفاسُ الرياحِ الغرائب ، ماء زرق
 جمانه ، طامية أَرْجَاوُدٍ ، يَبُوحُ بِأَسْرَارِ صَفَاوُدِهِ ، وتلوحُ في قراره حَصْبَاوُدُهُ ،
 ماء كأنما يفقده مَنْ يَشْهَدُهُ ، يتسلسل كالزرافين (٤) ، ويرضع أولاد الرِّياحِينِ ،
 انحَلَّ عَقْدُ السَّمَاءِ ، وَوَهَى عَقْدُ الْأَنْوَاءِ ، انحَلَّ سَلْكُ القَطْرِ عَنْ دُرِّ البَحْرِ ، أَسْعَدَ
 السحابُ جفونَ العُشَّاقِ (٥) ، وَأَكْفَى الأَجْوَادِ ، وانحَلَّ حَيْطُ السَّمَاءِ ، وانقطع

(١) البلق : ارتفاع التحجيل إلى الفخذين (٢) السنور : القط .

(٣) الصماغ : المرأة الماهرة فيما تصنع وكأنما يراد بها هنا المرأة التي تهتم بزينة النساء

(٤) الزرافين : الآلات يرفع بها الماء ، فترى له عليها بريقاً ولمعاناً

(٥) أسعد : من الإسعاد ، وهو المشاركة في البكاء

شِرْيَانُ الْغَمَامِ ، سحابة يتجلى عليها ماء البحر ، وتفرض علينا عقود الدر ، سحابة
 حكي المحب في انسكاب دموعه ، والتهاب النازر بين ضلوعه ، سحابة تحدو من الغيوم
 جمالاً ، وتمدُّ من الأمطار حبالاً ، سحابة ترسل الأمطار أمواجاً ، والأمواج
 أفواجاً ، تملئت نقد السماء بالديمة المظلاء ، غيث أحش^(١) يروي المصائب
 والآكام^(٢) ، ويحيي النبات والسوام^(٣) ، غيث كغزارة فضلك ، وسلاسة طبعك ،
 وسلامة عقدك ، وصفاء ودك ، وبل كالنبل ، سحابة يضحك من بكائها الروض ،
 وتخصر من سوادها الأرض ، سحابة لا تجف جفونها ولا يخف أنينها ، ديمة
 روت أديم الثرى ، ونبهت عيون النور من الكرى ، سحابة ركبت أعناق الرياح ،
 وسجت كأفواه الجراح ، مطر كأفواه القرب ، ووحل إلى الركب ، أنديّة من الله
 معها على البيوت بالثبوت ، وعلى السقوف بالوقوف ، أقبل السيل ينحدر انحدارا ،
 ويحمل أحجاراً وأشجاراً ، كأن به جنة ، أو في أحشائه أجنة .
 وبعض ما مر من هذه الألفاظ محلول نظام ما تقدم إنشاده .

ولهم في مقدمات المطر

لبست السماء جلبابها ، وسحبت السحاب أذيالها ، قد احتجبت الشمس في
 سرادق الغيم ، ولبس الجو مظرفه الأذكن ، باحت الرياح بأشرار الندى ،
 وضربت خيمة الغمام ، ورش جيش النسيم ، وابتل جناح الهواء ، واغرورقت مقلة
 السماء ، وبشر النسيم بالندى ، واستعدت الأرض للقطر ، هبت شمائل الجنائب ،
 لما ليف شمل السحاب . تألفت أشات الغيوم ، وأسبلت الشثور على النجوم .

(١) أحش : ذو صوت (م) (٢) الآكام : جمع أكمة وهي التل .

(٣) السوام : جمع سامة ، وهي الماشية (م)

وفي الرعد والبرق

قام خطيب الرعد، ونبض عرق البرق، سحابة ارتجزت^(١) رواعدها، وأذهبت ببروقها مطاردها، نطق لسان الرعد، وخفق قلب البرق، فالرعد ذو صخب، والبرق ذو لهب، ابتسم البرق عن قهقهة الرعد، زارت أسد الرعد، ولعت سيوف البرق، رعدت [سيوف] الغمام، وبرقت، وانحلت عزالي السماء فطبقت، هدرت رواعدها، وقربت أبايدها، وصدقت مواعدها. كأن البرق قلب مشوق، بين التهاب وخفوق.

ويتصل بهذه الأنحاء

ما حكاه عمر بن علي المطوعي قال: رأى الأمير السيد أبو الفضل عبيد الله ابن أحمد - أدام الله عزه! - أيام مئة أمه بجوين أن يطالع قرية من قرى ضياعه تدعى نجاب على سبيل التنزه والتفرج، فكنت في جملة من استصحبه إليها من أصحابه، واتفق أنا وصلنا والسماء مُصْحِيَّة، والجوُّ صاف لم يطرز ثوبه بعلم الغمام، والأفق قيرُوزج لم يعبق به كافور السحاب؛ فوقع الاختيار على ظل شجرة باسقة الفروع^(٢)، متسقة الأوراق والفصون، قد سترت ما حواليتها من الأرض طولاً وعرضاً، فنزلنا تحتها مستظلين بسماوة أفنانها^(٣)، مستترين من وهج الشمس بستارة أغصانها، وأخذنا تتجاذب أذيال المذاكرة، وتسالب أهداب المناشدة والمحاورة؛ فهاشعنا بالسماء إلا وقد أرعدت وأبرقت، وأظلمت بعدما أشرقت، ثم جادت بمطر كأفواه القرب فأجادت، وحكت أنامل الأجواد ومدامع العشاق^(٤)، بل

(١) ارتجزت: أراد صوت (م) (٢) باسقه: عالية مرتفعة (م).

(٣) السماوة: السماء وهو السقف - والأفان: جمع فنن، بالتحريك، وهو

الغصن (م) (٤) المدامع: جمع مدمع، وهو هنا مكان الدمع.

أَوْفَتْ عَلَيْهَا وَزَادَتْ، حَتَّى كَادَ غَيْثُهَا يَعُودُ عَيْثُنَا^(١)، وَهَمَّ وَبَلَّهَا أَنْ يَسْتَحِيلَ وَيَبْلَأَ
فَصَبَرْنَا عَلَى أَذَاهَا، وَقَلْنَا: سَحَابَةٌ صَيْفٍ عَمَّا قَلِيلٍ تَقَشَّعُ، فَإِذَا نَحْنُ بِهَا قَدْ أَمَطَرْتَنَا
بَرْدًا كَالثُّغُورِ، لَكِنَّا مِنْ ثُغُورِ الْقَذَابِ، لَا مِنَ الثُّغُورِ الْعَذَابِ، فَأَيْقَنَّا بِالْبَلَاءِ،
وَسَلَّمْنَا لِأَسْبَابِ الْقَضَاءِ؛ فَمَا مَرَّتْ إِلَّا سَاعَةٌ مِنَ النَّهَارِ، حَتَّى سَمِعْنَا خَرِيرَ الْأَنْهَارِ،
وَرَأَيْنَا السَّيْلَ قَدْ بَلَغَ الرَّبِّيَّ^(٢)، وَالْمَاءُ قَدْ غَمَرَ الْقَيْعَانَ وَالرَّبِّيَّ^(٣)؛ فَبَادَرْنَا إِلَى
حِصْنِ الْقَرْيَةِ لِأَثْدِينَ مِنَ السَّيْلِ بِأَفْنِيَّتِهَا، وَعَائِدِينَ مِنَ الْقَطْرِ بِأَبْنِيَّتِهَا، وَأَثْوَابِنَا
قَدْ صَنَدَلْ كَافُورِيَّتِهَا مَاءَ الْوَيْبِلِ، وَغَلَّفَ طِرَازِيَّتِهَا طِينُ الْوَحْلِ، وَنَحْنُ نَحْمَدُ
اللَّهَ تَعَالَى عَلَى سَلَامَةِ الْأَبْدَانِ، وَإِنْ فَقَدْنَا بَيَاضَ الْأَكْجَامِ وَالْأَرْدَانَ، وَنَشْكُرُهُ
عَلَى سَلَامَةِ الْأَنْفُسِ وَالْأَرْوَاحِ، شُكْرَ التَّاجِرِ عَلَى بَقَاءِ رَأْسِ الْمَالِ إِذَا فُجِعَ
بِالْأَرْبَاحِ؛ فَبِتْنَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ فِي سَمَاءِ تَكْفٍ وَلَا تَكْفٍ^(٤)، وَتَبَكَّى عَلَيْنَا إِلَى الصَّبَاحِ
بِأَذْمُعِ هَوَامٍ^(٥)، وَأَرْبَعَةَ سِجَامٍ؛ فَلَمَّا سُلِّ سَيْفُ الصَّبْحِ مِنْ غَمْدِ الظَّلَامِ،
وَصُرِفَ بِوَالِي الصُّحُورِ عَامِلُ الْغَمَامِ، رَأَيْنَا صَوَابَ الرَّأْيِ أَنْ نُوسِعَ الْإِقَامَةَ بِهَا
رَفْضًا، وَنَتَّخِذَ الْإِرْتِمَالَ عَنْهَا فَرَضًا؛ فَمَا زِلْنَا نَطْوِي الصَّحَارَى أَرْضًا فَأَرْضًا، إِلَى
أَنْ وَاقَيْنَا الْمُسْتَقَرَّ رَكْضًا؛ فَلَمَّا تَفَضُّنَا غُبَارَ ذَلِكَ الْمَسِيرِ، الَّذِي جَمَعْنَا فِي رِبْقَةِ
الْأَسِيرِ، وَأَفْضَيْنَا إِلَى سَاحَةِ التَّيْسِيرِ، بَعْدَ مَا أُحْبِبْنَا بِالْأَمْرِ الْعَسِيرِ، وَتَذَاكَرْنَا
مَا لَقِينَا مِنَ التَّعَبِ وَالْمَشَقَّةِ، فِي قَطْعِ ذَلِكَ الطَّرِيقِ وَطَى تِلْكَ الشُّقَّةَ، أَخَذَ الْأَمِيرُ
السَّيْدَ - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ! - الْقَلَمَ فَعَلَقَ هَذِهِ الْأَيَّاتِ ارْتِجَالًا:

دَهْتَنَا السَّمَاءُ غَدَاةَ السَّحَابِ بَغِيثٍ عَلَى أَفْقِهِ مُسْبِلٍ
فَجَاءَ بَرَعْدٍ لَهُ رَنَةٌ كَرَنَةٌ تَكْلَى وَلَمْ تَكْلَى

(١) العيث: الفساد (٢) الربِّي جمع زبية، وهي الراية لا يعلوها ماء.
(٣) القيعان: جمع قاع، والربِّي: جمع ربوة (٤) تكف: تسيل، وتكف: تمتنع
(٥) هوام: جمع هامية، وسجام: جمع ساجمة، أي مطرة

وَقَتَّى بَوَّابِ عَدَا طَوْرَهُ فَعَادَ وَبَالًا عَى الْمُنْحِلِ^(١)
 وَأَشْرَفَ أَضْحَابُنَا مِنْ أَدَاهُ عَلَى تَحَطَّرِ هَائِلِ مُنْضِلِ
 فَمِنْ لَائِذِ بِنَاءِ الْجِدَارِ وَأَوَّ إِلَى نَفْقِ مَهْمَلِ^(٢)
 وَمَنْ مُسْتَجِيرٌ يُنَادَى: الْفَرِيقَ هُنَاكَ، وَمَنْ صَارِخٍ مُفْعُولِ
 وَجَادَتْ عَلَيْنَا سَمَاءُ السَّقُوفِ بِدَمْعٍ مِنَ الْوَجْدِ لَمْ يَهْمَلِ
 كَأَنَّ حَرَامًا لَهَا أَنْ تَرَى يَبِيْسًا مِنَ الْأَرْضِ لَمْ يُبْلَلِ
 وَأَقْبَلَ سَيْلٌ لَهُ رَوْعَةٌ فَأَذْبَرَ كُلَّ عَنِ الْمُقْبِلِ
 يُقْلَعُ مَا شَاءَ مِنْ دَوْحَةٍ وَمَا يَلْقَى مِنْ صَخْرَةٍ بِحَمَلِ
 كَأَنَّ بِأَخْشَائِهِ إِذْ بَدَا أُجْنَةَ حُبْلَى وَلَمْ تَحْمِلِ
 فَمِنْ عَامِرٍ رَدَّهُ غَامِرًا وَمَنْ مُعَلِّمٌ عَادَ كَالْمَجْهَلِ^(٣)
 كَفَانَا بَلِيَّتَهُ رَبَّنَا فَقَدْ وَجِبَ الشُّكْرُ لِلْمُنْفِضِ
 فَقَلَّ لِلسَّمَاءِ ارْعُدِي وَابْرُقِي فَإِنَّا رَجَعْنَا إِلَى الْمَنْزِلِ^(٤)

أخذ المطوعى قوله : « فلما سئل سيفُ الصبحِ من غمَدِ الظلامِ » من قول

أبى الفتح البستي :

لأن الفتح
البستي

رُبَّ لَيْلٍ أُنْمِدَ الْأَنْوَارُ إِلَّا نُورَ تَفَرِّقٍ أَوْ مَدَامٍ أَوْ نَدَامِ
 قَدْ نَعَمْنَا بِدِيَاغِيهِ إِلَى أَنْ سُلَّ سَيْفُ الصَّبْحِ مِنْ غَمَدِ الظَّلَامِ

[وقال بعض أهل العصر ، وهو أبو العباس الناشي :]

لأن العباس
الناشي

خَلِيلِي هَلْ لِلْمَزْنِ مُقَلَّةٌ عَاشَتْ أُمُّ النَّارِ فِي أَحْشَائِهَا وَهِيَ لَا تَدْرِي
 أَشَارَتْ إِلَى أَرْضِ الْعِرَاقِ فَاصْبَحَتْ وَكَاللُّؤْلُؤِ الْمَشُورِ أَدْمَعُهَا تَجْرِي

(١) المحل : المجدب (٢) النفق : السرداب

(٣) غامر : خراب ، ومعلم ومجهل : معلوم ومجهول

(٤) هذا البيت غاية في خفة الروح

سحاب حكّتْ تُكَلِّي أُصِيبَتْ بِوَاحِدٍ
نَسْرَبِلَ وَشِيَاءَ مِنْ حُزُونٍ تَطْرَزَتْ
فَسَوْشِيَّ بِلَا رَقْمٍ، وَرَقْمٌ بِلَا يَدٍ،
وَقَالَ آخِرُ :

تَرَامِي غَوَارِبَهُ بِالشَّهْبِ
سُطُورٌ كُتِبْنَ بِمَاءِ الذَّهَبِ

لابن المعتز

وقال ابن المعتز:

كَانَ الرَّبَابُ الْجَلُونَ دُونَ سَحَابِهِ
إِذَا لَحِقَتْهُ خَيْفَةٌ مِنْ رَعُودِهِ
وَقَدْ قَالَ حَسَنُ بْنُ ثَابِتٍ :

لحسان بن ثابت

كَانَ الرَّبَابُ دَوِينُ السَّحَابِ
وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ :

لابن المعتز أيضا

بَاكِيَةٌ يَضْحَكُ فِيهَا بَرْقُهَا
رَأَيْتُ فِيهَا بَرْقَهَا مِنْذُ بَدَا
جَرَتْ بِهَا رِيحُ الصَّبَا حَتَّى بَدَا
تَحْسِبُهُ طَوْرًا إِذَا مَا انْصَدَعَتْ
وَتَارَةً تَحْسِبُهُ كَأَنَّهُ
مَوْصَلَةٌ بِالْأَرْضِ مَرْخَاةُ الطُّنْبِ
كَمِثْلِ طَرْفِ الْعَيْنِ أَوْ قَلْبِ يَجِبِ (٣)
مِنْهَا لِيِ الْبَرْقُ كَأَمْثَالِ الشَّهْبِ (٤)
أَحْشَاؤُهَا عَنْهُ شَجَاعًا يَضْطَرِبُ (٥)
أَبْلَقُ مَالَ جُلُهُ حِينَ وَثَبَ (٦)

(١) الرباب : السحاب ، والجلون : الأسود

(٢) دوين : تصغير دون (٣) يجب : يضطرب (٤) رواية الديوان :

ثم حدثت بها الصبا كأنها فيها من البرق كأمثال الشهب

(٥) الشجاع : الثعبان . ورواية الديوان :

إذا تعرى البرق فيها خلته بطن شجاع في كئيب يضطرب

(٦) الأبلق : الجواد يرتفع تحجيله إلى الفخذين ، والتحجيل : يياض في القوائم ،

والجلل : ما يوضع على ظهر البعير والجواد

وتارة تحسبه كأنه سلاسل مفصولة من الذهب
وقال الطائي :

ياسهم للبرق الذي استطارا صار على رغم الأجي نهارا
آض لنا ماء وكان نارا^(١)

وينشد أصحاب المعاني :

نارٌ تجدد للعنين نضرتها والنار تفتح عيدانا فتحترق

وقال ابن المعتز يمدح الشرب في الصحو ، ويدمته في المطر :

أنا لا أشتى سماء كبطان السمر والشرب تحتها في خراب^(٢)

بين سقف قد صار منخل ماء وجدار ملقى وتل تراب

وبيوت يوقع الوكف فيها ن وإيقاعه بغير صواب^(٣)

إنما أشتى الصبح على وجهه سماء مصفولة الجلباب

ونسيم من الصبا يتمشى فوق روض ندجديد الشباب

وكان الشمس المضيئة دينا ر جاتته حدائد الضراب

في غداة وكأسها مثل شمس طلعت في ملاءة من شراب^(٤)

أوعروس قد ضمنت مخلوق فهي صفراء في قيص حباب

وغناء لا عذر للعود فيه بتندى الأوتار والمضراب

ونقاء البساط من وضر الطين ومنح الأقدام في كل باب

ونشاط الظلمان إن عرضت حا جاتنا في مجيهم والذهاب

وجفاف الريحان والرجس الغض بأيدي الخلان والأصحاب

لا تندى أنوفهم كما حيت وأبضفت ندى أنوف الكلاب

لابن المعتز
يمدح الشرب
في الصحو

(١) آض : رجع وصار (٢) الشرب - بالفتح - جماعة الشاربين (م) .

(٣) في الديوان (٥٣/٤) « وإيقاع الوكف غير صواب » . التوقيع : الضرب على

آله الغناء ، والوكف : انه حال المطر (م) (٤) هذا البيت ملفق من بيتين وهما كافي الديوان

في غداة قد متتك يرد ال . سماء في يومها وصفو الشراب

من عقار في الكأس تشبه شمساً طلعت في غلالة من شراب (م)

ذالك يومٌ أراه غنماً وحفظاً
وقال السنوبرى :

أنيس ظباءً بوحش الضبا
وصبغ حنياً مثل صبغ الحيا
ويوم تكله الشمس من
صفاء الهوى وصفاء أهوا
بشمس الدنن وشمس الزيان
وشمس الجنان وشمس السما
وشبيهه بالأبيات التي كتبها تغلب إلى أبي العباس بن المعتز الجميل^(١) قول الآخرة:
وما وجد بنواح من الهيم خنيت
عن الورد حتى جوفها يتصلصل^(٢)
تخوم وتمشها العصى وحوها
أقاطيع أنعام تعل وتهل
بأكثر منى لوعة وصبابة
إلى الورد إلا أنتى أتجمل^(٣)

وصف شدة
الشوق

وقال أبو حية النيرى :

كفى حزناً أنى أرى لئام مغرض
لعمى ونكين لاسبيل إلى الورد^(٤)
وما كنت أخشى أن تكون منيتى
بكف أعز الناس كلهم عندي

لأبي حية
في هذا المعنى

[وصف رجل حازم لابن المقفع]

قال ابن المقفع : كان لى أخ أعظم الناس فى عينى^(٥) ، وكان رأس ما عظمه
فى عينى صيفر الدنيا فى عينه ، وكان خارجاً من سلطان بطنه ، فلا يشتهى مالا

(١) قد مرت هذه الأبيات فى ص ١٨٦ (٢) اللواح : الناقة أصابها اللوح وهو
الظم الشديد ، والهيم : جمع هيماء ، وهى التى أصيبت بداء الهيام ، وهوشدة الضمأ ،
ويتصلصل : يصوت (٣) ومثل هذا أيضاً قول الشريف الرضى :

وما حاتمات يلتفتن من الصدى
إلى انماء قد موطنن بالرشقان
إدا قيل هذا الماء لى عليكوالها
معاها بأقران ولا بمشان
أظها إلى الأحباب مى وهم
عربم إذا رمت الديون لوانى
(٤) ومن هذا الباب قول الآخر :

إنى وإياك كاتصادى رأى نهلا
ودونه هوىة بخنى بها اتلغا
يرى بعينه ما غر مورده
وليس مالك دون أنما منصرفا
(٥) غلوة اليتيمة : « إنى محرك عن وحلم كوز أنظمه الناس فى عيني »

يُجد ، ولا يُكْثِرُ إذا وجد ، وكان خارجاً من سُلطانِ فَرْجِه ، فلا تدعوه إليه مؤنة ، ولا يستخف له رأياً ولا بدناً . وكان لا يتأثر عند نعمة ، ولا يستكين عند مصيبة . وكان خارجاً من سُلطانِ لسانه ، فلا يتكلم بما لا يعلم ، ولا يُمارى فيما علم ، وكان خارجاً من سُلطانِ الجهالة ، فلا يتقدم^(١) أبداً إلا على تمة بمنفعة ، وكان أكثر دهره صامتا ، فإذا قال بَرٌّ القائلين^(٢) ، وكان ضعيفا مستضعفا ، فإذا جدَّ الجدُّ^(٣) فهو اللَّيْثُ عاديا^(٤) . وكان لا يدخل في دَعْوَى ، ولا يُشارك في مِرَاء^(٥) ، ولا يُدلى بَحُجَّةٍ حتى يَرَى قاضيا فهما^(٦) وشهودا عدولا . وكان لا يلوم أحداً فيما يكون العذرُ في مثله حتى يعلم ما عذرُه .

وكان لا يَشْكُو وجهه إلا عند مَنْ يرجو عنده البرء ، ولا يستشيرُ صاحباً إلا أن يرجو منه النصيحة . وكان لا يتبرم^(٧) ولا يتسخط ، ولا يتشكى ولا يتشعَى ، ولا ينتقم من العدو ، ولا يَفُضِّلُ عن الولي ، ولا يَخُصُّ نفسه بشيء دون إخوانه من اهتمامه وحيلته وقوته . فعليك بهذه الأخلاق إن أطقتها ، وإن تطيق ، ولكن أخذ القليل خير من ترك الجميع .

وعلى ذكر قوله : « وإن قال بَرٌّ القائلين » قال ابن كنانة — واسمه محمد بن عبد الله ، ويكنى أبا يحيى — في إبراهيم بن أدهم^(٨) الزاهد :

رَأَيْتُكَ لَا تَرْضَى بِمَا دُونَهُ الرِّضَا وَقَدْ كَانَ يَرْضَى دُونَ ذَلِكَ ابْنَ أَدَمَها

لابن كنانة
يصف ابن أدهم

(١) عبارة اليتيمة « فلا يقدم إلا على ثقة أو منفعة »

(٢) بز: غلب ، بالبدال والزاي ، ومنه : من عزيز (٣) في الأصل « فإذا وجد الجد »

وهو محريف . وعبارة اليتيمة « فإذا جاء الجد » (٤) عاديا : منصوب على الحال

(٥) المراء : الجدال (٦) رواية اليتيمة « قاضيا عدلا » (٧) يتبرم : يتضجر

(٨) إبراهيم بن أدهم : شخصية قوية ترى أثرها في كتب الدين والأخلاق . كان

يعيش من عرق جبينه ، ويشترك مع الغزاة في قتال الروم ، تعفف عن ميراث أبيه واكتفى بحياة التقشف والحشونة ، وكان معروفاً بالفصاحة والحرص على صواب القول ؛

فكان إذا حضر مجلس سفيان الثوري وهو يعظ أو جوز سفيان في كلامه مخافة أن يزل . وكانت وفاته نحو سنة ١٦١ .

وكان يرى الدنيا صغيراً عظيماً وكان لأمر الله فيها مُعظماً
وأكثر ما تلقاه في الناس صامتا وإن قال بزء القائلين فأفحماً
يُشيعُ الغنى في الناس إن مسَّهُ الغنى وتلقى به البأساء عيسى بن مريم
أهان الهوى حتى تجنّب الهوى كما اجتنب الجاني الدم الطالب الدما

ألفاظ لأهل المعصر في ذكر التقى والزهد

فلان عذب المشرب ، عَفَّ المطلب ، نَتَقَى الساحة من المآثم ، برى ،
الذمة من الجرائم ، إذا رضى لم يَقُلْ غير الصدق ، وإذا سخط لم يتجاوز جانب
الحق ، يرجع إلى نفس أمارة بالخير ، بعيدة من الشر ، مدلولة على سبيل البر :
أعرض عن زبرج الدنيا وخدعها ، وأقبل على اكتساب نعم الآخرة ومُتَمِعِهَا .
كَفَّ كَفَّهُ عن زُخْرَفِ الدِّنِّ نَفَرَتْهَا ، وَغَضَّ طَرْفَهُ عن متاعها وزهرتها :
وأعرض عنها وقد تعرّضت له بزيتها ، وصدّ عنها وقد تصدّت له في حليتها .
فلان ليس ممن يَقِفُ في ظِلِّ الطمع ، فيُسِفُّ إلى حَضِيضِ الطبع ^(١) ، نَتَقَى
الصحيفة ، عَلِيٌّ عن الفضيحة ، عَفَّ الإزار ، طاهرٌ من الأوزار ، قد عاد لإصلاح
المعاد ، وإعداد الزاد .

وكان ابنُ المقفع من أشراف فارس ، وهو من حكماء زمانه ، وله مصنّفات
كثيرة ، ورسائلٌ مختارة ؛ وكان مُحَجِّماً عن قول الشعر ، وقيل له : لم لا تقول
الشعر ؟ فقال : الذي أَرْضاه لا يَجِيئُنِي ، والذي يَجِيءُ لا أَرْضاه ^(٢) .

من أخبار
ابن المقفع

(١) الطبع - بفتح الباء - الخسة . وفي الأصل (التصنع) وهو تحريف .

(٢) ومع هذا فقد تيسرت له الإجابة ، حتى اختار له مؤلف الحماسة الأبيات الآتية

رزئنا أبا عمرو ، ولاحي مثله فله ريب الحادثات بمن وقع
فإن تك قد فارقتنا وتركتنا ذوى خلة ما في انسداد لها طمع
فقد حررنا فقدنا لك أتنا أمنا على كل الرزايا من الجزع

أخذ هذا بعضهم فقال :

أبى الشعرُ إلا أن ينيءَ رَدِيهٗ إلى ، وَيَأْتِي مِنْهُ مَا كَانَ مُحْكَمَا
فِياليتنى إذ لم أجدِ حَوْكَ وَشِيهٖ ولم ألكُ من فُرْسَانِه كُنْتُ مُفْخَمًا^(١)
وكان ظريفًا في دينه^(٢) ، وذكر أنه مرَّ بيت النار فقال :
يا بيتَ عاتكةَ الذى أتغزلُ حَذَرَ العِدَا وَبِه القُوَادِ مَوْكَلُ^(٣)
أصبحتُ أمْنحك الصدودَ ، وإنتى قَسَمًا إِلَيْكَ مَعَ الصَّدُودِ لَأَمْثِيلُ^(٤)

البينان للأحوص بن محمد بن عاصم بن ثابت بن أبي الأثلج الأنصارى أخى
زوجة للأحوص
بن عمرو بن عوف . وعاصم بن ثابت حمى الدَّبرِ^(٥) قتله بنو لحيان من هذيل
يوم الرَجِيع ، فَرَادُوا أَنْ يَبْعَثُوا بِرَأْسِهِ إِلَى مَكَّةَ ، وَكَانَتْ سَلَاةَ بِنْتُ سَعْدِ نَذِرَتْ
تَشْرِيئًا فِي رَأْسِهِ انْخَمَرُ . وَكَانَ قَتَلَ بَعْضَ وَلَدِهَا مِنْ طَلْحَةَ بِنِ ابْنِ أَبِي طَلْحَةَ أَحَدِ
بَنِي عَبْدِ الدَّارِ يَوْمَ أَحَدَ . فَمَا أَرَادُوا أَخْذَ رَأْسِهِ حَمَتَهُ الدَّبرُ - وَهِيَ النُّحْلُ - فَلَمْ
يَجِدُوا إِلَيْهِ سَبِيلًا ، وَجَعَلُوا يَقُونُونَ : إِنَّ الدَّبرَ لَوْ قَدْ أَمْسَى صِرْنَا إِلَى حَشْوِ اسْتِهِ ،
فَمَا أَمْسَا بَعَثَ اللَّهُ أَبِيَّ فَوَارَاهُ مِنْهُمْ^(٦) . وَعَاتِكَةُ الَّتِي ذَكَرَهَا عَاتِكَةُ
بِنْتُ يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ .

[أَلْطَفَ تَعْرِيفُ . وَأَدَقَ فُهُم]

وَمَا دَخَلَ أَبِى جَعْفَرَ المَصُورُ المَرْيَةَ فَالَ الرِّبِيعِ : أُنْفِى رَجُلًا سَاقِلًا عَانَا
بِأَمْدَمَةِ أَيَّمَنِي عَلَى دُورِهَا : فَتَدَّ بَعْدَ عَهْدِي بَدْيَارَ قَوْمِي ؛ فَالْتَمَسَ لَهُ الرِّبِيعَ فَتَى

(١) منحوم : مطلوب (٢) يريد أنه كان متهمًا ؛ لأنه كان قبل إسلامه محوسياً
ببيت النار . نوى سنة ١٤٢ (٣) أتغزل : أتغيب . وفي الأصل (أتغزل) وهو تحريف
(٤) انظر ما كتب عن هذا الشعر في كتاب البدائع تحت عنوان (الأدب الجديد)
(٥) الدبر - بالفتح - جماعة النحل والزناير (٦) الأى - على وزن غو - هو السيل

من أعتل الناس وأعلمهم ، فكان لا يبتدي به ، ياخبر حتى يسأله المنصور فيجيبه بأحسن عبارة ، وأجود بيان ، وأوفى معنى ، فأعجب المنصور به ، وأمر له بمال ، فتأخر عنه ، ودعت الضرورة إلى استتجاره ، فاجتاز بيت عاتكة ، قتل ؛ يا أمير المؤمنين ؛ هذا بيت عاتكة الذي يقول فيه الأصوص : « يا بيت عاتكة الذي أتزل » . . . البيت ، فكر المنصور في قوله ، وقال : لم يخالف عادته بابتداء الإخبار دون الاستخبار إلا لأمر ، وأقبل يردد القصيدة ويتصفحها بيتا بيتا حتى انتهى إلى قوله فيها :

وأراك تفعل ما تقول وبعضهم مَذِقُ اللسان يقول ما لا يفعل^(١)
 فقال : ياربيع ، هل أوصفت إلى الرجل ما أمرنا له به ؟ فقال : أخرته عنه - نعمة ذكرها الربيع - فقال : عجزناه له ، ضاعفاً ، وهذا أطف تعريض من الرجل ، وحسن فهم من المنصور .

[الحسد والحساد]

ومن كلام ابن المقفع : الحاسد لا يزال زاراً على نعمة الله ولا يجدها مزالاً ، ومكدرًا على نفسه ما به من النعمة فلا يجدها طعمًا ، ولا يزال ساخطًا على من لا يرضاه ، ومتسخطًا لما [لا] ينال ، فهو كظوم هلوع جزوع ، ظالم أشبه شيء بمظلوم ، محروم الطلبة ، منقص العيشة ، دائم التسخط ، لا بما قسم له يقنع ، ولا على ما لم يقسم له يغلب ، والمحسود يتقلب في فضل نعم الله مباشرة للسرور . ممهلاً فيه إلى مدة لا يقدر الناس لها على قطع ولا انتقاص ، ولو صبر الحاسد على ما به لكان خيراً له ؛ لأنه كلما أراد أن يُطفيء نور الله أعلاه وَيَأْتِي الله إلا أن يُنيم نوره ولو كره الكافرون .

لابن المقفع في
 صفة الحاسد

(١) مَذِقُ اللسان : يمزج الجذ بالهزل

قال الطائي :

لأني تمام في
فضل الحاسد
على المحسود

لولا التَّخَوُّفُ لِلْعَوَاقِبِ لَمْ تَزَلْ
وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ
لَوْلَا اشْتِعَالُ النَّارِ فِيهَا جَاوَرَتْ

أخذه البحترى فقال :

للبحترى
في هذا المعنى.

وَلَنْ تَسْتَبِينَ الدَّهْرَ وَوَضَعَ نِعْمَةً
وَلَقَدْ أَحْسَنَ الْقَائِلُ :

إِن يَحْسُدُونِي فَإِنِّي غَيْرُ لِأَمِّهِمْ
فَدَامَ لِي وَلَهُمْ مَا بِي وَمَا بِهِمْ
أَنَا الَّذِي يَجِدُونِي فِي صَدُورِهِمْ
قَبْلِي مِنَ النَّاسِ أَهْلِ الْفَضْلِ قَدْ حَسِدُوا
وَمَاتَ أَكْثَرُنَا غَيْظًا بِمَا يَجِدُ
لَا أُرْتَقَى صَدْرًا عَنْهَا وَلَا أُرِدُ^(١)

لابن الرومي

وقال ابن الرومي لصاعد بن محمد :

وَضَدَّ لَكُمْ لَا زَالَ يَنْفُلُ جَدُّهُ
يَرَى زَبْرَجَ الدُّنْيَا يُزْفُ إِلَيْكُمْ
وَلَوْ قَاسَ بِاسْتِحْقَاقِكُمْ مَا مُنِحْتُمْ
وَأَتَقَى مِنْ عِقْدِ الْعَقِيلَةِ جِيدُهَا
وَلَا بَرَحَتْ أَنْفَاسُهُ تَتَّصَدُّ^(٢)
وَيُنْفِضِي عَنْ اسْتِحْقَاقِكُمْ فَهُوَ يُفَادُ^(٣)
لَأَطْفَأَ نَارًا فِي الْحَشَاءِ تَتَوَقَّدُ
وَأَحْسَنَ مِنْ سِرْبَالِهَا الْمُتَجَرَّدُ^(٤)

لمعن بن زائدة

وقال معن بن زائدة :

إِنِّي حُسِدْتُ فَرَادَ اللَّهُ فِي حَسَدِي
مَا يُحْسَدُ الْمَرْءُ إِلَّا مِنْ فَضَائِلِهِ
لَاعَاشَ مَنْ عَاشَ يَوْمًا غَيْرَ مُحْسُودٍ
بِالْعِلْمِ وَالظَّرْفِ، أَوْ بِالْبَأْسِ وَالْجُودِ

(١) لا أرتقى صدرًا ولا أورد : لأصعد ولا أهبط ؛ فأنا كالشجى الدائم الذي لا سلامة لأعدائي منه وهذه الأبيات غاية في جمال البيان (٢) الجد - بالفتح - الحظ (٣) يفاد : يحرق فؤاده .

(٤) يقول : إن جيد العقيلة أجمل من العقد الذي يظن أنه يزيه ، والتجرد - أي الجسم العريان - أجمل من السربال وهو القميص .

ألفاظ لأهل مصر في ذكر الحسد

دَبَّتْ عَقَارِبُ الحَسَدَةِ ، وَكُنْتُ أَفَاعِيهِمْ بِكُلِّ مَرَّصِدٍ . فلان مَعْجُونٌ من
طِينَةِ الحسدِ وَالْمَنَافَةِ ، مَضْرُوبٌ في قَالِبِ الضِّيقِ وَالْمَنَاقِشَةِ . قد وَكَلَّ بِي لَحْظًا
يَنْتَضِلُ بِأَسْهُمِ الحسدِ . فلان جَسَدٌ كُلُّهُ حَسَدٌ ، وَعَقْدٌ كُلُّهُ حِقْدٌ . الحاسِدُ يَعْنِي
عن محاسن الصُّبْحِ ، بعين تَدْرِكُ حَقَائِقَ التُّبْحِ .

[التلطف في الطلب]

كتب محمد بن حماد يُعَرِّضُ في حاجةٍ له بييتي شعر إلى الواثق يقول :
جذبت دَوَاعِيَ النفسِ عن طلبِ المنيِّ وقلت لها كُفِّي عن الطَّلَبِ المَزْرِيِّ
فإنَّ أَمِيرَ المومنينِ بكفِّهِ مَدَارُ رَحِيٍّ بِالرِّزْقِ دَائِبَةٌ تَجْرِي
فوقَ تحتها : جَذَبْتَ نَفْسَكَ عن امْتِنَانِهَا بِالسَّأَلِ دَعَانِي إلى صَوْرِكَ بِسَعَةِ
فَضْلِي عَلَيْكَ ، فَخُذْ مَا طَلَبْتَ هَنِيئًا .

بين الحسن بن سهل وعلى ابن عبيدة
قال علي بن عبيدة : أتيت الحسن بن سهل بفم الصليح ؛ فأقمتُ بيابه ثلاثة
أشهر لا أخطئ منه بطائل ، فكتبت إليه :

مَدَحْتُ ابنَ سَهْلٍ ذَا الأيَادِي وَمَالَهُ بِذَاكَ يَدٌ عِنْدِي وَلَا قَدَمٌ بَعْدُ
وَمَا ذَنْبُهُ ، وَالنَّاسُ - إِلَّا أَقْلَهُمْ - عِيَالٌ لَهُ ، إِنْ كَانَ لَمْ يَكُ لِي جَدُّ
سَأَحْمَدُهُ لِلنَّاسِ حَتَّى إِذَا بَدَأَ لَهُ فِي رَأْيٍ عَادَ لِي ذَلِكَ الحَدُّ

فكتب إلى : باب السلطان يَحْتَاجُ إلى ثلاثِ خِلالٍ : عقلٌ وصَبْرٌ ومالٌ ،
فقلت للواسطة : تَوَدِّي عني ؟ قال : نعم . قلت : تقول له : لو كان لي مالٌ لا غِنَانِي
عن الطلبِ إليك ، أو صَبْرٌ اصْبِرْتَ عن الدَّالِّ بِيَابِكَ ، أو عَقْلٌ لاسْتَدَلَّتْ بِهِ على
البزَاهَةِ عن رِفْدِكَ ! فأمر لي بثلاثين ألفَ درهمٍ .

وقال علي بن عبيدة الريماني يوما ، وقد رأى جارية يهواها : لولا البقيا على الضمائر لبُحنا بما تجننه السرائر ، لكن نيران الحب تُتدّارك بالإخفاء ، ولا تُعاجل بالإبداء ؛ فإن دوامها مع إغلاق أبواب الكتمان ، وزوالها في فتح مصاريع الإعلان .
وقد قال محمد بن يزيد الأموي :

بعض كلام علي
بن عبيدة
الريماني

لا وحبّيك لا أصا فجع بالدّمع مدمعا
من بكى حبه استرا ح وإن كان موجعا

ومن كلام علي بن عبيدة : اجعل أنسك آخر ما تبذل من ودك ، وصن الاسترسال منك ، حتى تجد له مستحقا ؛ فإن الأنس لباس العرض ، وتُحفة الثقة ، وحياء الأكفاء ، وشعار الخاصة ، فلا تُخلق جدته إلا لمن يعرف قدر ما بذلت له منك .

وقال : لولا حركات من الابتهاج أجد حبسها عند رؤيتك في نفسي لا أعرف لها مثيرا من مظانها إلا مؤانستك لي ، لأبقيت عليك من العناء ، وخففت عنك مؤونة اللقاء ؛ لكنني أجد من الزيادة بك عندي أكثر من قدر راحتك في تأخرك عني ، فأضيق عن احتمال الحسران بالوحدة منك .

وقال : لوجلي من طلوع الملالة بكر : اللقاء أستخيف التّجافي مع شدة الشوق ، لتبقى جدّة الحال عند من أحبّ دوامه لي ؛ وردّ طرف الشوق باطنا أيسر من معاناة الجفاء مع الودّ ظاهرا .

لبعض المحسنين
من الشعراء
في الشوق

وقال بعض المحدثين :

كم استراح إلى صبر فلم يرح
تركت قلبه من حزن فرقتكم
صب إليكم من الأشواق في ترح
لو يرزق الوصل لم يقدر على الفرح
وقال أعرابي :

الأقل للدار بين أئمة الحمى وذات الغنى : جادت عليك المواضب (١)

(١) المواضب : السحب الماطر

أَجِدُكَ لَا آتِيكَ إِلَّا تَتَابَعْتُ دموعٌ ، أضاعت ما حفظت ، سواكبُ
ديارٌ تَسَمَّتْ الْمَنَى نَحْوَ أَرْضِهَا وطاوعتني فيها الهوى والخبايبُ
ليالٍ لا الهجرانُ مُحْتِكِمٌ بِهَا بل وصل من أهوى ولا الظنُّ كاذبُ
(الأدب في مجلس الحكم)

تنازع إبراهيم بن المهدي وابن بختيشوع الضيب بن يدي أحمد بن أبي دؤاد في مجلس الحكم في عقار بناحية السواد ، فزنى عليه إبراهيم وأغلظ له . فحفظ ذلك ابن أبي دؤاد ، فقال : يا إبراهيم ، إذا نازعت في مجلس الحكم بحضرتنا أمرنا فلا أعلن أنك رفعت عليه صوتاً ، ولا أشرت بيد ، وليكن قصدك أمماً^(١) . وريحك ما كنه ، وكلامك معتدلاً ، مع وفاء مجالس الخيفة حقوقها من التظيم ، والتوقير ، والاسكانة ، والتوجه إلى الواجب : فإن ذلك أشكاراً بك . وأشمل مذهبك في محنتك ، وعظيم خطر . ولا تعجزن . فرب عجمة تهب ريشاً ، والله يعصمك من خطأ القول والعمل . ويتم نعمته عليك كما آتمها على أبويك من قبل . إن ربك حكيم عليم .

بين إبراهيم بن
أدهم والطبيب
ابن بختيشوع
عند ابن
أبي دؤاد

فقال إبراهيم : أصلحك الله تعالى : أمرت سداد ، وحضت على رشاد : ولست عائداً منا يثلم مرؤة في عندك . ويستظني من عينك ، ويخرجني من مقدار الواجب إلى الاعتذار ، فبأنا معترض إليك من هذه البادرة اعتذار مقرر بذنبه ، مُعْتَرِفٌ بِجُرْمِهِ ، ولا يزال الغضب يسفزي بمواده ، فيردني مثلك بجماله . وتلك عادة الله عندك وعندنا منك ؛ وقد جعلت حتى من هذا العقار لابن بختيشوع ، فليت ذلك يكون وافياً بأرث الجناية عليه^(٢) ؛ ولم يتأف مال أفاد موعظة : وحسبنا الله ونعم الوكيل^(٣) .

(١) أمم : قريب

(١) الأرش : الدية (٢) هذا الحديث يمثل جانباً من الحظ الذي ظفر به أحمد ابن أبي دؤاد في عصره . وقد صحب هذا الرجل المأمون والمعتمد والواثق وعمل معهم جميعاً . توفي سنة ٢٤٠

[حكمة أردشير وحضه على العلم]

لما استوتق أمرُ أردشير بن بابك وجمع ملوك الطوائف . وتم له ملكه : جمع الناس فخطبهم خطبة حضر فيها على الألفه والطاعة ، وحذرهم المعصية ومفارقة الجماعة ، وصف الناس أربعة صفوف ؛ فخرشوا له سجداً ، وتكلم متكلمهم فقال :

لازلت أيها الملك محبواً من الله تعالى بعز النصر ، ودرك الأمل ، ودوام العافية ، وتمام النعمة ، وحسن المزيد . ولازلت تتابعُ لديك المكرمات ، وتشفع إليك الذمامات^(١) حتى تبلغ الغاية التي يؤمن زوالها ، وتصل إلى دار القرار التي أعدها الله تعالى لنظرائك من أهل الزلْفى عنده والمكانة منه ، ولازال ملكك وسلطانك باقيين بقاء الشمس والقمر ، زائدين زيادة النجوم والأنهار ، حتى تستوى أقطار الأرض كلها في علو قدرِك عليها ، ونفاذ أمرِك فيها ، فقد أشرق علينا من ضياء نورك ما عمنا عموم ضياء الصبح ، ووصل إلينا من عظيم رأفتك ما اتصل بأنفسنا اتصال النسيم ؛ فأصبحت قد جمع الله بك الأيدي بعد افتراقها ، وألف القلوب بعد تفرق نيرانها ، ففضلك الذي لا يدرك بوصف ، ولا يحد بنعت .

فقال أردشير : طوبى للمدوح إذا كان للمدح مستحقاً ، وللداعي إذا كان للاجابة أهلاً .

وقيل لأردشير : أيها الملك الرفيع الذي حلب العصور ، وجرب الدهور ، أي الكنوز أعظمُ قدرأ ؟ قال : العلم الذي خف محمله ، فتقلت مفارقتة ، وكثرت مرافقته ، وخفي مكانه ، فأمن من السرقة عليه ؛ فهو في الملامح جمال ، وفي الوحدة أنيس ، يرأسُ به الخسيس ، ولا يمكن حاسدك عليه انتقاله عنك . قيل له : فإمال ؟ قال : ليس كذلك . محمله ثقيل ، والهَمُّ به طويل ؛ إن كنت في ملامحك الفكرُ فيه ، وإن كنت في خلوة أتعبتك حراسته .

(١) الذمامات : جمع ذمام — بكسر الهمزة ، بزنة كتاب — وهو العهد ونحوه

[أخلاق الملوك]

وصف ملك الروم قال الجاحظ : حدثني الفضل بن سهل قال : كانت رسلُ الملوك إذا جاءت بالهدايا يُجملُ اختلافُهم إلى ، فتكون المزامراتُ فيما معهم من ديواني ، فكنت أسأل رجلاً رجلاً منهم عن سير ملوكهم ، وأخبار عظمائهم ، فسألتُ رسولَ ملك الروم عن سيرة ملكهم ، فقال : بذل عُرْفَه ، وجرّد سَيْفَه ، فاجتمعت عليه القلوبُ رغبةً ورهبةً . لا ينظر جنده ، ولا يخرج رعيتَه : سهلُ النوال ، حزنُ النكال ، الرجاء والخوفُ ، معقودان في يده .

قلت : فكيف حكمه ؟ فقال : يرذ الظلم ، ويزدغ الظالم ، ويعطي كلَّ دى حق حقه ؛ فالرعية اثنان : راضٍ ، ومضطرب .

قلت : فكيف هيبتهم له ؟ قال : بنصور في القلوب ، فتفتضي له العيون .

وصف ملك الحبشة قال : فنظر رسولُ ملك الحبشة إلى إصغاني إليه ، ووقبالي عليه ، فسأل الترجمان : مالذي يقوله الرومي ؟ قال : إذ كُرَّ ملككم ، ويصِفُ سيرته ؛ فكلّم مع الترجمان بسى ، فقال لى الترجمان : إيه يقول : إن منكم ذو أناة عند القدرة ، وذو حلم عند الغضب ، وذو سطوة عند المغالبة ، وذو عقوبة عند الاجترام ، قد كسارتمينه جميلَ نعميه ، وخوتفهم عسفَ نقمتيه ؛ فهم يترأونهُ رأى الهلال خيالا ، ويخافونه محفة الموت نكالا ، وسيتهم عدله ، وردعتهم سطوته ، فلا تمتهنهُ مرحة ، ولا تؤمنه عفه ؛ إذا أعطى أوسع ، وإذا عاقب أوجع ؛ فالتناس اثنان : راج وخائف ، فلا الراجى خائبُ الأمل ، ولا الخائف بعيد الأجل . قلت : فكيف هيبتهم له ؟ قال : لا ترفعُ إليه العيون أجفانها ، ولا تنبّه الأبصارُ إنسانها ، كأنَّ رعيتَه قطاً رفرت عليها صقورٌ صوائد .

فحدثتُ المأمون بهذين الحديثين فقال : كم قيمتهما عندك ؟ قلت : ألفا درهم .

قال : يا فضل ؛ إن قيمتهما عندي أكثرُ من الخلافة ، أما عرفت قول علي بن

أبي طالب كرم الله وجهه : قيمة كل امرئ ما يحسن . أفتعرف أحداً من الخطباء البلقاء يُحسِنُ أن يحسن أحداً من خلفاء الله الراشدين المهديين بهذه الصفة ؟ قلت : لا . قال : فقد أمرتُ لها بعشرين ألف دينار ، واجعل العذر مادة بيني وبينها في الجائزة [على المعوز] ؛ فلولا حقوق الإسلام وأهله لرأيتُ إعطاءها ما في بيت مال الخاصة والعامّة دون ما يستحقّانه .

وقال الجاحظ : حدثني حميد بن عطاء قال : كنتُ عند الفضل بن مهدي ، وعنده رسولُ ملك الحزَرِ ، وهو يحدثنا عن أختٍ لملكهم ، قال : أصابنا سنةٌ احتدم شواظها علينا بجرّ المصائب ، وصنوف الآفات ؛ ففرّع الناسُ إلى الملك ، فلم يذُرْ ما يُجيبهم به ، فقالت أخته : أيها الملك ؛ إن الخوفَ لله خائفٌ لا يخلقُ جديدةً ، وسببٌ لا يمتنن عزيزه ، وهو دالُّ الملكِ على استصلاح رعيته . وزاجرُهُ عن استفسادها ، وقد فرّعتْ إليك رعيّتك بفضلِ العجزِ عن الانجاء إلى من لا تزيدُه الإساءة إلى خلقه عِزّاً ، ولا ينقصه العودُ بالإحسان إليهم مُسكاً . وما أحدٌ أولى بحفظ الوصية من الموصي ، ولا بركوب الدلالة من الدال ، ولا بحسنِ الرعاية من الراعي . ولم تزل في نعمة لم تقبها نعمةً ، وفي رضا لم يكدره سُخطٌ ، إلى أن جرى القدرُ بما عصى عنه البصر ، وذهل عنه الحذر ، فسلب الموهوب ، والواهب هو السالب ؛ فعُدْ إليه بشكرِ النعم ، وعُدْ به من فطيعِ النقم ، فتنته ينسك ، ولا تجعلنّ الحياء من التذللِ الممزّج المذللِ سترًا بينك وبين رعيّتك ، فتستحق مذمومَ العاقبة ؛ ولكن مرّمهم ونفسك بصرف القلوب إلى الإقرار له بكنه القدرة ، وتذلل الألسن في الدعاء بمحضِ الشكرِ له ؛ فإن الملك ربما عاقب عبده ليرجعه عن سيئٍ فعلٍ إلى صالح عمل ، أو ليبيعه على دائبِ شكرٍ ليحزِرْ به فضلَ أجر .

فضل أخت
ملك الحزر

فأمرها الملك أن تقومَ فيهم فتذرهم بهذا الكلام ، ففعلت ، فرجع القومُ وقد

علم الله منهم قبول الوعظ في الأمر والنهي ؛ فحال عليهم الخول وما مهم مفتقد
 نعمة كان سلبها ، وتواترت عليهم الزيادات بحمى الصنع ؛ فاعترف لها الملك
 بالفضل ، فقلدها الملك ؛ فاجتمعت الرعية لها على الطاعة في المكروه والمحجوب
 قال : وهذا وهم أعداء الله تعالى ، وضرائر نعمته ، ومستوجبو نعمته ، أعاد لهم
 بالشكر ما أرادوا ، وأعطاهم بالإقرار له بكنه قدرته ما تمنوا ، فكيف بمن يجتمع على
 الشكر نوران اثنان : قرآن منزل ، ونبي مرسل ، لو صدقت النيات ، واجتمعت
 على الافتقار إليه الطلبات ؛ لكنهم أنكروا ما عرفوا ، وجهلوا ما علموا ، فانقلب
 جدم هزلا ، وسكوتهم خبلا .

قطعة صادرة من أقوال الملوك دالة على فضل كرمهم وبعد همهم

غضب كسرى أنو شروان على بعض مرازبته ، فقال : يُحطُّ عن مرتبته ،
 ولا ينقص من صلته ؛ فإن الملوك تؤدّب بالهجران ، ولا تعاقب بالحزمان .
 واصطنع أنو شروان رجلا قليل له : إنه لا قديم له . قال : اصطناعنا
 إياه شرفه .

قال معاوية رضى الله عنه : نحن الزمان ، من رفعتنا ارتفع ، ومن وضعنا
 اتضع . وكان يقول : إني لآنف من أن يكون في الأرض جهل لا يسعه حلي ،
 وذنب لا يسعه عفوى ، وحاجة لا يسعها جودى .

عبد الملك بن مروان - أفضل الناس من تواضع عن رقة ، وعفا عن قدره ؛
 وأنصف عن قوة .

زياد - استشفعوا بين ورائكم ؛ فليس كل أحد يصل إلى السلطان ، ولا كل
 من وصل إليه يقدر على كلامه .

المهلب - عجت لمن يشتري الممالك بماله ، كيف لا يشتري الأحرار

بمعروفه ! وقد روى هذا لابن المبارك . وقال لبيه : يا بني ؛ أحسن ثيابكم ما كان على غيركم .

قال أبو تمام الطائي يَسْتَهْدِي فَرَوْأ ، وعَرَّض بقول المهلب :
 فهل أنت مُهْدِيهٍ بمثل شكيرٍ من الشكرِ يعلو مُضِعِدًا ويصوبُ^(١)
 فانتَ العليمُ الطبَّ أي وصيةٍ بها كان أوصى في الثيابِ المهلبُ^(٢)
 يزيد بن المهلب — استكثروا من الحمد ؛ فإنَّ الدمَّ قلَّ من ينجو منه .
 السفاح — ما أقبح بنا أن تكون الدنيا لنا وأولياؤنا خالون من أثرها .
 الدأمون — إنما تُطَلَّبُ الدنيا لئتملك ، فإذا مُلكت فلتوهب . وقال : إنما
 يتكثَّرُ بالذهب والفضة من يَقلَّان عندد .

الحسن بن سهل — الأطراف مَنَازِلُ الأشراف ؛ يتناولون ما يزيدون بالقُدرة ،
 وينتاجهم مَنْ يريدُهم بالحاجة . وتعرض له رجل فقال له : من أنت ؟ قال : أنا
 الذي أحسنتَ إلىَّ يوم كذا وكذا . فقال : مرحباً بمن توصلَ إلينا بنا .
 ولما أراد المعتصم أن يشرفَ أشناس التركي بعقب فتَّح الخزمية أمر أصحابَ
 المراتب بالترجل إليه ، فترجل إليه الحسنُ بن سهل ، فنظر إليه حاجبه يمشي ويتعثر
 في مشيه ، فبكى ، فقال : ما يبكيك ؟ إن المنوك شرفتنا وشرفت بنا .

ومن كلام أهل مصر

للأمير شمس المعالي قابوس بن وشمكير^(٣) — مَنْ أَعَدَّتْهُ نكايَةُ الأيامِ أقامته
 إغاثة الكرام ؛ ومن ألبسه الليلُ ثوبَ ظلماته نزعَه النهارُ عنه بضياته .

(١) شكير : شعرة ، يريد أن هديتك لاتساوي شعرة من شكره ، ويعلو ويصوب :
 يرتفع وينخفض :

(٢) الطب — بالفتح — الماهر الحاذق بعمله ، وهو أيضا الفحل الحاذق بالضراب

(٣) له ترجمة في ابن خلكان (رقم ٥١٢ بتحقيقنا) وبتيمة الدهر للثعالبي (م)

وله : ابتناه المناقب باحتمال المتاعب ، وإحرازُ الذِّكرِ الجليلِ بالسَّنى في
الخطبِ الجليلِ .

الصاحب بن عباد :

وقائلة : لِمَ عَزَّتْكَ الهُمومُ

وأمرُك مُشْتَلٌّ في الأُممِ ؟

قلت : ذَرِينِي لما أَشْتَكِي

فإنَّ الهُمومَ يَقْدِرُ الهِمَمَ

أبو الطيب المتنبي :

أفاضِلُ الناسِ أغْرَاضٌ لِدَا الزَمَنِ

يَخْتَوِ من الهَمِّ أخْلَامُ من الفِطَنِ

أبو الفتح البستي :

صاحبُ السلطانِ لا بَدَّ لَهُ

من هُمومٍ تَعْتَرِيهِ وِغَمٌ

والَّذِي يَرِ كَبُّ بِحَرًّا سَيَرِي

فَحَمَّ الأَهْوالِ من بَعْدِ قَحَمٍ (١)

ومن كلام الملوك الجاري مجرى الأمثال

أردشير - إذا رغبت الملوك عن العدل رغبت الرعيّة عن الطاعة .

أفريدون - الأيام صحائفُ آجالِكُم ، فخلدوها أحسنَ أعمالِكُم .

وقيل للإسكندر : ما بالُ تعظيمك لمؤدّبك أكثر من تعظيمك لأبيك ؟

قال : لأنَّ أبا سببُ حياتي الفانية ومؤدّبي سببُ حياتي الباقية .

ودخل محمد بن زياد مؤدّب الواثق على الواثق ، فأظهر إكرامه ، وأكثَرَ

إعظامه ، فقيل له : مَنْ هذا يا أمير المؤمنين ؟ قال هذا أولُ من فتق لساني

بذِكْرِ اللهِ ، وأدنانِي من رحمة الله .

وأشير على الإسكندر بتبئيت الفرس (٢) ، فقال : لأجعل غلبتي سرقة . وقيل

له : لو تزوّجت بنت دارا ؟ فقال : لا تغلبني امرأة غلبت أباه .

(١) قحمة : جمع قحمة ، وهي الشدة (٢) التبئيت : الهجوم بغتة بالليل

أنوشروان - الملك إذا كثر ماله مما يأخذ من رعيته كان كمن يسر سَطَحَ بيته بما يقتلعه من قواعد بُنيانه .

أبرويز - أطع مَنْ [فوقك يطملك مَنْ] دونك .
السفاح - إن من أدنى الناس ووضعتهم مَنْ عدَّ البخل حَزْمًا ، والنفو ذُلًّا .
وكان يقول : إذا كان الحلم مَفْسَدَةً كان العفو مَفْجَرَةً ، والصبر حَسَنٌ إلا على ما أوقع بالدين ، وأوهى السلطان ؛ والأناة محمودة إلا عند إمكان الفرصة .
وقد قال ابن المعتز :

كَمْ فَرَسَةٍ ذَهَبَتْ فَعَادَتْ غُصَّةً تُشْجِي بِطُولِ تَلَهْفٍ وَتَنْدِيمٍ (١)
ولما عزم المنصور على الفتح بأبي مسلم فزع من ذلك عيسى بن موسى ، فكتب إليه :

إذا كنت ذار رأيي فكن ذائبًا فإن فساد الرأي أن تتحلاً
فأجابه المنصور :
إذا كنت ذار رأيي فكن ذاعزيمًا فإن فساد الرأي أن تترددًا
ولا تنهل الأعداء يوماً بخدوة وبادرهم أن يملكوا مثلها غداً (٢)
وهذا في موضعه كقول الإمام علي كرم الله وجهه : من فكر في العواقب لم يشجع
وقال سعد بن ناشب فأفرط (٣) .

(١) النص : ما اعترض في الخلق ، وتشجى : تحدث الشجا وهو النصبة ، وغصبت ، بالكسر والفتح ، غص ، بالفتح ، غصصا ، فأنت غاص وغصان .
(٢) في نسخة « ولا تنهل الأعداء يوماً بخدرة » (م) .
(٣) وأول هذه القطعة :

سأغسل عنى العار بالسيف جالبا على قضاء الله ما كان جالبا
وأذهل عن داري وأجعل هدمها لعرضي من باقى المنمة حاجبا
(١٥ - زهر الآداب ١)

عليكم بدارى فهدموها ؛ فإنها^(١) تراث كريم لا يخاف العواقب^(٢)
 إذا هم ألقى بين عينيه عزمه ونكب عن ذكر العواقب جانباً
 ولم يستشِرْ في رأيه غير نفسه ولم يرض إلا فأمه سيف صابحنا
 سأغسل عنى العار بالسيف جالباً على قضاء الله ما كان جانباً
 ويعصر فى عيني تِلَادِي إذا اثنت يميني بإدراكِ الذي كنت ضاب
 وكان سعد من مَرْدَةِ العرب وشياطين الإنس . وفيه قول الشاعر :
 وكيفُ نفيق الدهر سعد بن ناشب وشيطانُه عند الأهنة يخرعُ
 كتب مروان بن محمد الجعدي إلى عبد الله بن علي بن أبي طالب أنه حفظ حرمه . فقال
 له : الحق لنا في دمك . وعلينا في حريمك .

وقال الرشيد لإسماعيل بن صبيح : إياك والمدالة^(٣) فينب غسد حرمة ، ومنها
 أتى البرامكة .

وقال المأمون : نلوك تحتل كل شىء ، إلا ثلاثاً : فشاء السر . والتدح
 فى الملك ، والتعرض للحرَم .

المعتصم إذا نصر الهوى بطل الرأى .
 المنتصر - كذة العفو أطيب من نذة التشقى : وذلك أن نذة العفو يلحقها
 حمد العاقبة ، ونذة التشقى يلحقها ذم الندم .

(١) رواية الحماسة : « فإن تهدموا بالعدر دارى »

(٢) وبعد هذا البيت . روى صاحب الحماسة :

أخى غمرات لا يريد على الذى بهم به من معطع الأمر صاحب

إذا هم لم تردع عزيمة هم ولم بات ما يأتى من الأمر هذب

فيا لزوم رشحوا بي مندمما إلى الموت خوفاً به لكانت

(٣) المدالة : ما تملك به على صديقك من خير قدمه . وفى الأصل (المدلة) وهو تحريف

والمتنصر يقول عن تجربة ؛ لأنه قتل أباه المتوكل ، والأمر في ذلك أشهر من أن يُذكر ، ولكني أُلِمِعُ منه باليسير :

مقتل المتوكل
العباسي

كان المتوكل قد عَقَدَ لولده المتنصر والمعتز والمؤيد ولاية العهد ، ثم تغيّر على المتنصر دون أخوينه ، وكان يسميه المنتظر ، ويقول له : أنت تسمى موتى ، وتنتظر وقتي ! ويأمر الندماء أن يعبثوا به ، إلى أن أوغر صدره ، وأقلّ صبره ؛ فلما كانت ليلة الأربعاء لثلاث خلون من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين كان المتوكل يشرب مع الفتح في قصر المعروف بالجعفرى ، ومعه جماعة من الندماء والمغنين ، وكان المتنصر معهم ، فلما انصرفت ثلاث ساعات من الليل قال لزرافة التركي : ألا تسمنى ساعة حتى أشكو إليك ما يمرّ بى ؟ قال : بلى ، وجعل يماطله ويطونه ، وغلق بفا الشرائب الأبواب كلها إلا باب الماء ، ومنه دخل الذين قتلوه ، فوثق من ضربه باغر التركي ضربة قطع بها حبل عاتقه ، وتلقاه الفتح بنفسه فأكب عليه ، فقتلا جميعاً ، وبويح المتنصر من ساعته ، وكانت مدة المتنصر في الخلافة مدة شيرويه ابن كسرى — حين قتل أباه — ستة أشهر .

إبراهيم بن
أحمد الأسدي
يرى المتوكل

وقال إبراهيم بن أحمد الأسدي يرى المتوكل :

هكذا فلتكن منايا الكرام بين ناي وميزهر ومُدَامِ
بين كأسين أزوتاه جميعاً كأس لذاته وكأس الحمام
يقظ في السرور حتى أتاه - قدر الله - حتفه في المنام
والدنيا مراتب يتفاضلن وبالمرهفات موت الكرام
لم ير نفسه رسول المنايا بصنوف الأوجاع والأنتقام
هابة مُغَلِنًا فدبّ إليه في سُتُور الدجى بمدّ الحسام

أخذ هذا المعنى عبد الكريم بن إبراهيم التيمي ، فقال يرى عيسى بن خلف صاحب خراج المغرب ، وكان قد تناول دواء فمات بسببه :

التيمي يرى
صاحب خراج
المغرب

منايا سدّدت الطرق عنيا ولم تدع لها من ثنايا شاعقي متطلعا

فلما رأت سُورَ المهابة دونها عليك ولما لم تجد فيك مَطْمَعَا
ترقت بأسبابٍ لَطَافٍ ولم تكذب تُواجه موفور الجلالةِ أَرْوَعَا
فجاءتك في سِرِّ الدِواءِ خَفِيَّةً على حينٍ لم تَحْذَرُ لِدَاءِ تَوْقَعَا
فلم أرَ مالا يُتَّقَى مثل سَهْمِهَا ولا مثلها لم تَخْشَ كِيداً فَرَجَعَا

وقد رثاه البحري ويزيد المهلبى بمرثيتين من أجودٍ ماقيل في معناها ، وكان
حاضرين ليلة قتله . فاختنى أحدهما في طى الباب ، والآخر في قناة الشاذروان ؛
فمن قصيدة البحري :

تفسيرُ حُسْنِ الجَعْفَرِيِّ وأنسُهُ وقَوْضُ بادِي الجَعْفَرِيِّ وحاضِرُهُ
تحمّلُ عنه ما كَنُوهَ فُجَاءَةً فأضتُ سواءَ دُورُهُ ومقَابِرُهُ^(١)
ولم أرَ مثلَ القَصْرِ إِذْ ربيعَ سِرْبُهُ وإذ ذُعِرَتِ أَطْلَاؤُهُ وجَاذِرُهُ^(٢)
وإذ صِيحَ فيه بِالرَّحِيلِ فَهتَكَتْ على عَجَلٍ أُسْتَارُهُ وستَارُهُ
إِذَا نحنُ زُرْنَاهَ أَجَدَّ لَنَا الأَسَى وقد كان قبلَ اليومِ يَبْهَجُ زائرُهُ
فأينَ عَميدُ الناسِ في كُلِّ نَوْبَةٍ تَنُوبُ ونَاهِي الدَّهْرِ فيهِمُ وآمِرُهُ^(٣)
تَخْفَى لَهُ مُفْتَالُهُ تَحْتَ غِرَّةِ وأولى لمن يَفْتَالُهُ لو يَجَاهِرُهُ
صَرِيحٍ تَقَاضَاهُ السُّيُوفُ حُشَّاشَةٌ يَجُودُ بِهَبا والموتُ حُمْرُهُ أَظْلِفِرُهُ
حَرَامٌ عَلَى الرَّاحِ بِمَدِّكَ أَوْ أَرَى دَمًا بِدَمٍ يَجْرِي عَلَى الأَرْضِ مَأْرُهُ
وَهَلْ يُرْتَبِحِي أَنْ يَطْلُبَ الدَّمَ طَالِبٌ مَدَى الدَّهْرِ والموتورُ بِالدَّمِ وَآرُهُ^(٤)
فَلَا مَلِيَّ الباقِي تَرَاثَ الَّذِي مَضَى ولا حَمَلتُ ذاكَ الدَّعَاءَ مَنَابِرُهُ

البحري في رثاء
التوكل

(١) آضت: صارت (٢) الأطلاء: جمع طلاء، وهو ولد الفضة ، والجاذر: جمع

جوذر، وهو ولد البقرة (٣) قبل هذا البيت :

فأين الحجاب الصعب حيث عنعت بهبتها أبوابه ومقاصره
وأين عميد الناس - إلخ (٤) الموتور هو الوار؛ لأن الذي قتل التوكل هو ابنه

وهي طويلة^(١)، وكان أبو العباس ثعلب يقول فيها: ما قبلت هاشمية أحسن
منها، وقد صرح فيها تصريحاً من أذهلت المصائب عن تخوف العواقب.

من شعر
البحترى

وإذا كان البحترى يرتاح في كثير من شعره إلى ذكره وذكر الفتح بن خاقان،
فمن ذلك قوله لبعض من يمدحه:

تداركني الإحسان منك، ونالني
ودافعت عني حين لا الفتح يرتجى
على فاقية ذاك الندى والتطوُّل
لذفع الأذى عني ولا المتوكل
وقال:

مضى جفراً والفتح بين مؤسدي
أأطلب أنصاراً على الدهر بعدما
وبين قتيل في السماء مضرج
توى منها في التراب أوسى وخزرجي^(٢)
وقال في غلام له:

عسى آيس من رجعة الوصل يوصل
أيا سكناً فات الفراق بنفسه
أعجب لما لم يفلن جسي الضنا
قبلك بان الفتح مني مودعاً
ودهر تولى بالأحبة يقبل
وحال التعمادى دونه والتزليل
ولم يخترم نفس الحيام المعجل
وفارقتي شغماً له المتوكل
ولا فصل الوجد الذي خلت يفعل
فما بلغ الدمع الذي كنت أرتجى

وقال أبو خاند يزيد بن محمد المهلبى في قصيدة أولها:

لا وجد إلا أراه دون ما أجد
ولا كمن فقدت عيناي مفتقد

ليزيد بن محمد
المهلبى يرفى
المتوكل

(١) ومن جيدها قوله:

أدافع عنه باليدى، ولم يكن
ولو كان سيفي ساعة الفتك في يدي
ليثنى الأعداى أعزل الليل حاسره
درى الفاتك العجلان كيف أساوره
أكان ولى العهد أضمر غدرة
فمن عجب أن ولى العهد غادره

(٢) مات أوسه وخزرجه: مثل في قعدانصير لأن الأوس والخزرج يضرب بهما

للعل العالي في النصره.

يقول فيها :

لا يَبْعَدَنَّ هالكٌ كانت مَنِيَّتُهُ كما هَوَى من عَضاهِ الزُّبِيَةِ الأَسَدِ (١)
 جاءت مَنِيَّتُهُ والعينُ هادِيَةً هَلَّا أَتتهُ المنايا والقنا قُصْدُ (٢)
 فخرٌ فوق سريرِ المالكِ مُنْجَدِلاً لم يحمه مُلكه لَمَّا انْقَضَى الأَمْدُ
 لا يدفعُ الناسُ ضَيْمًا بعدَ ليلتهم إذ لا يُهزُّ إلى الجاني عليك يَدُ
 عندك أسيافٌ مَنْ لادونه أحدٌ وليس فوقك إلا الواحدُ الصَّمْدُ
 إذا بكيتُ فإنَّ الدمعَ مُنْهَمِلٌ وإن زئببتُ فإنَّ الشعرَ مُطْرِدُ
 إنا قَدَّناك حتى لا اصطبارَ لنا وماتَ قبلك أقوامٌ فما قَدِّوا
 قد كنتُ أشرفُ في مالي فتُخْلِفهُ فمَسَّتني الليالي كيف أُقْصِدُ

وقال فيها يذكر الأتراك . ويحضر على اصطناع العرب :

لما انتقدتم أناساً لا حِفاظَ لهم ضِعْمٌ وضيعتمُ مَنْ كان يُمْتَقَدُ
 ولو جعلتم على الأحرارِ نَعَمَتَكُمْ حَتَمَ الذَّادَةَ للنسوبةِ الحُشْدُ (٣)
 قومٌ همُ الأَصلُ والأَسْماءُ تَجْمَعُكم والدينُ والمجدُ والأرحامُ والبُلْدُ
 إن العبيدَ إذا أذلتهم صلحوا على أهوانٍ وإن أكرمتهم فسَدُوا
 وقال أبو حِيَّةِ النَميريُّ (٤) :

رَمَتْهُ فتاةٌ من ربيعةِ عامِرٍ نُؤومُ العُشْحَى في مَأْتَمٍ أَى مَأْتَمٍ (٥)

لأبي حية
النميري

(١) العضاء : جمع عاضية . وهي الحية تقتل لساعتها ، والزبية : تلة الأسد

(٢) قصد : جمع قصد - على وزن كتف - أي متكرر .

(٣) الذادة : جمع ذائد وهو المدافع ، والحشد بضمتين جمع حشد ، على وزن كتف ، وهو من لا يدع عند نفسه شيئاً من الجهد والنصرة والمال (٤) هو الهيثم بن زريع للتوفى نحو سنة ١٦٠ (٥) رواية الحماسة «رمته أناة» والأناة : المرأة فهاقذور عند القيام . والمأتم : كل مجتمع في حزن أو فرح ، أو هو خاص بالنساء . أو بالشواب من =

فقدن هاني السر: نذيرك لا يروح
فألت قناعاً دونه الشمس واتقت
وقالت فلما أفرغت في فواده
فأصبح لا يدري أفي طلعة الضحى
صيحاً وإلاً تقتليه فألمبي
بأحسن مومسولين كفت ومعهم
وعينه منها السحر قالت له ثم
تروح أم داج من الليل مظلم^(١)
أخذ قوله: « فألت قناعاً دونه الشمس » من قول النابغة الذبياني:
قامت تراءى بين سجنى كلة
سقط النصف ولم ترد إسقاطه
كأشمس يوم طلوعها بالأسعد^(٢)
فتناوته واتقتنا باليسر

لأبي حبة
الخيرى يرثى
سلة بن عياش

وقال أبو حبة يرثى سلة بن عياش:
كان أباحص فتى البأس لم يحب
إلى الغاية القصوى، ولم تهد فتية
ويعمل عناق العيس حتى كأنها
به الليل والبيض القلاص النجائب
كراماً وتخطوه الخطوب النواجب
إذا وضعت عنها العلایا المشاجب^(٣)

= النباء، وتووم: كثيرة النوم، وتووم الضحى كناية عن المرأة الترفة. وبعد هذا البيت كما في الحماسة:

فجاء نكحوط البان لا متابع ولكن بسماذى وقار وميسم
والخوط: العفن الرطيب، والميسم - بالكسر - أثر الحسن، ومثله الوسامة.
(١) مؤدى البيتین الأخيرين أنه نام في حمى تلك الفتاة، ولكن رواية الحماسة
تؤدى معنى يخالف هذا؛ إذ تذكر أنه رحل مزوداً بالحسرة، وذلك قوله:
وقالت فلما أفرغت في فواده وعينه منها السحر قلن له قم
فود بجدع الأنف لو أن محبه تادوا وقتلوا فى المناخ له نم
فراح وما يدري أفي ساعة الضحى تروح أم داج من الليل مظلم
والظاهر أن صاحب زهر الآداب كان يستعمل ذا كرتة فتخونه فى بعض الأحيان.
(٢) الكلة: الناموسية (٣) العيس: الجمال، والعلایا: الأمتعة، مفردهما عليان،
بالكسر، والمشاجب: أعواد من خشب تعلق عليها الثياب، مفردها مشجب،
وفى نسخة « إذا وضعت عنها الولایا » والولایا: جمع ولىة - بوزن عطية - وهى البرذعة.

بميد مثاني الممُّ يُنمِّي وماله
يرومُ جسيات الأملا فينلها
فبنت يُمسِي وَحشًا بابه فَلَربما
يحيون بسامًا كأنَّ جينسه
وما غائب من غاب يُرجى إياهُ
سوى الله والعضب السريجي صاحب^(١)
فتى في جسيات المكارم راغب
تواترُ أفواجًا إليه المواكب^(٢)
هلالٌ بدأ وانجاب عنه السحابُ
ولكنه من ضمن اللحد غائب

وزعم الصولي أن أبا حية إنما قالها في محمد بن سليمان بن علي بن عبيد الله بن العباس .
وكان أبو حية جيد الطبع ، مألوف الكلام ، رقيق حواشي الشعر .

[مجنون بنى عامر]

وسئل الأصمعي عن قيس بن الملوح المجنون ، فقال : لم يكن مجنونًا ، وإنما
كانت به لؤنة كلوثة أبي حية^(٣) ، وهو القائل :

رمتني وسرُّ الله بيني وبينها
رميمُ التي قالت لجارات بيتها :
الأربُّ يومٍ لو رمتني رميتها
فيا عجباً من قاتلٍ لي أوده
يرى الناسُ أني قد سلوتُ ، وإني
عشية أحجارِ الكناسِ رميمُ
ضمنتُ لكم الأيزالَ يهيمُ
ولكنَّ عهدي بالنضالِ قديمُ
أشاطَ دمي شخصٌ عليَّ كريمُ^(٤)
لمدنفُ أحناء الضلوعِ سقيمُ^(٥)

وأنشدني إسحاق بن إبراهيم الموصلي في مثله ، ولم يسمِ قائله :

هل الأدمُ كالآرامِ والزهرُ كالدمي
معاودتي أيامهنَّ الصوالحُ^(٦)

(١) السريجي : نسبة إلى سريج ، وهو قين كان مضرب المثل في صنع السيوف
(٢) وحش : موحش لا أنيس به (٣) اللؤنة — بالضم — مس الجنون
(٤) أشاط : أحرق (٥) المدنف : هو المريض ثقل عليه المرض ، والأحناء : جمع
حنو ، بالكسر والفتح ، وهو كل مافيه اعوجاج من عظم البدن (٦) الأدم : جمع أدماء
وهي السمراء ، والزهر : جمع زهراء وهي البيضاء . وفي الأصل (الدهر) وهو تخريف -
و « كالآرام » متعلق بمحذوف حال من الأدم ، ومثله « كالدمي » وقوله « معاودتي »
خبر مبتدأ (م)

زمانَ سِلاحِي بينهن شيبتي لها سائف من حنين ورامح^(١)
فأقسمن لا يستينني قطرة مِرْنةٍ لِشَيْبِي ولو سألت بهن الأباطحُ
وقال هارون بن علي بن يحيى المنجم: (٢)

لهارون بن علي
ابن يحيى المنجم
في الشباب

الغائبات عهودهن إلى انصرام وانقضاب
من شاب شين له المودّة بالخديعة والكذاب^(٣)
فانعمم بهن وزد منك في الشيبة غير خابي^(٤)
ما دمت في روق الصبا وغصونه الخضر الرطب^(٥)
فافخر بأيام الصبا واخلع عذارك في التصابي
واعطى الشباب نصيبه ما دمت تعذر بالشباب

لأشجع السلي
في الشباب

وقال أشجع بن عمرو السلي:
ومالي لا أعطى الشباب نصيبه
رأيت الليالي يتهن شيبتي
فإن بنات الدهر يخلصن لذي
وقد حولت حالي الليالي وأسرجت
وموت الفتى خير له من حياته
وقال آخر:

ما العيش إلا أن تحسب وأن يحبك من ثمة

فقرتصل بهذه الأبيات . في وصف الشباب

أطاع الشباب وغرته ، وأجاب الصبا وشيرته . جرّ إزار الصبا ، وأذال

(١) سائف : اسم الفاعل من « ساف سيف » أي ضرب بالسيف ، ورامح :

اسم الفاعل من « رمح يرمح » أي ضرب بالرمح ، والكلام على الاستعارة (م)

(٢) هو منجم اشهر بلم الهيئة وعمل آلتها ، توفي في بغداد سنة ٣٧٦

(٣) شين : مزجن (٤) غير خاب : غير منطفي ، ويقال خابله إذا سكن فوور غضبه

(٥) روق الصبا : أوله ، وفي الأموال « ورق » تحريف جلبه ذكر التصون (م) .

ديول الهوى^(١)، ورَكْض^(٢) في ميدان التصابي، وجنى ثمرات الملاهي. هو في اقتبال شبابه، وحدائة أترابه^(٣)، ورِيَعَانُ عمره، وعُنْفُوَانُ أمره. هو في إبان شبابه واعتداله ورِيَعَانُ إقباله واقتباله. بعثه على ذلك أَشْرُ العبا، ولين العُضْنِ، وشَرِيخُ الشبيبة وسكر الحدائة. فَتَى السن، رطيب العُضْنِ، عمره في إقباله. ونشاطه في استقباله، وشبابه في اقتباله، وماؤه بحاله. فلان في حكم الأطفال، الذين لم يعصوا على نَوَاجِدِ الرجان. هو في عُنْفُوَانِ شبيبة تخاف سقطاتها وهفواتها، ولا يؤمن جِيحَاتُهَا ونزواتها. هو في سُكْرِيِ الشباب والشراب. وبين نزوات الشبان. وتَزَعَاتِ الشيطان. شبابه أعمى عن الرشد، أعمى عن العدل، قد لَبَّى دَاعِيَّ هَوَاهُ، وانغمس في لَجَّةِ صِبَاهُ. قد هَجَمَ بِسُكْرِ الحدائة على سكرات الحوادث. يَجْرِي إلى الصِّبَا جَرِيَّ الصِّبَا. فلان غفل من سِمةِ التَّجْرِبَةِ، جَامِحٌ في عِدَارِ النَّفَاةِ، صَعْبُ الرَّأْسِ^(٤) على لجام العظة. هو مِنْ سُلْطَانِ العِيبَا في النَّوْبَةِ الأولى. قد خلع عِدَارَهُ وَمِقْوَدَهُ، وَأَلْقَى إلى البطالة بَاعَهُ وَيَدَّهُ. هو بين خُمَارِ الفداة وسكر العشي^(٥) لا يعرف الصَّحْوَ، ولا يفارق اللهو. فلان لا يفيق، ولا يذكر التوفيق، هو بين غرر الشباب، وغرر الأحباب.

ويتعلق بهذه الألفاظ ألفاظ لهم في نجابة الشباب وترشحهم للمعالي قد جمع نَضَارَةَ الشباب إلى أَيْبَةِ المشيب، وهو على حدوث ميلاده وقرب إسناده شيخ قَدْرٍ وَهَيْبَةٍ، وإن لم يكن شيخ سن وشيئة. هو بين شباب مُقْتَبِلٍ، وعقل مَكْتَمِلٍ. قد نَسِبَ بُرْدَ شبابه على عقل كِهْلٍ، وَرَأَى جَزَلَ، وَمَنْطَقَ فَعْلٍ. للدهر فيه مقاصد، وللأيام فيه مواعد، أرى له في فصل ضمان الأيام وودائع الحظوظ

(١) أذال : أهان (٢) ركض : جرى

(٣) الأتراب : المتساوون في السن . (٤) أحسبه « صعب المراس » (م)

(٥) الخمار بالضم - ما يعترى - الشارب من الأم عند فقد الشرب

والأقسام ، تبأشير نجح ، ومخايل نضير وفتح . قد استكامل قوة الفضل ، ولم يتكامل له سن الكمال . مازالت مخايله زليدا وناشئا ، وشماله صديراً وياضاً ، فواطق بالحسن عنه وضوا من النجح فيه ! قد سما إلى مراتب أعيان الرجال ، التي لا تدرك إلا مع الكمال والاكتمال . حُمدت عزائمهُ ، قبل أن حُلَّت تمامه ، وشهدت مكرماته ، قبل أن تدرج لدانته^(١) .

وقال البحتري :

للبحري

لا تنظرنَّ إلى العباس من صفر
إنَّ النجومَ نجومَ الأفقِ أصغرها
في السنِّ وانظر إلى المجد الذي شاداً
في العين أذهبها في الجوِّ إصغاداً
وقال آخر :

رأيت العقل لم يكن انتهاياً
فلو أنَّ السنين تقسمته
ولم يُقسم على قدر السنينا
حوى الآباء أنصبة البنينا
وقال الفضل بن جعفر الكاتب :

للفضل بن جعفر
الكاتب

فإن خلفته السن فالعقل بالغ
قد كان يحيي أوتي الحكم قبله
به رتبة الكمال انموها لمجد
صبياً وعيسى كلم الناس في المهد

[مما قيل في أثر الأيام والليالي]

وكان أبو حية كثير الرواية عن الفرزدق ، وعمر حتى التقى بابن مناذر
فاستنشه شعره ، فأنشده أبو حية :

بين أبي حية
وابن مناذر

الآحى من أجل الحبيب المغانيا
إذا ما تقاضى المرء يوم وليانة
لبسن البلى مما لبسن اللياليا
تقاضاه شيء لا يمان التقاضيا
حنتك الليالي بعدما كنت مرة
سوى العصا لو كنت يُبقين باقيا

(١) اللدات : جمع لدة وهو التراب بالكسر ، أي نمائل في السن وفي الأصل « اللدات » بالذال نفعمة وهو تحريف - وندرج : تنسى ، وهو خاص بالنسي والشيخ ، ونسخة « تدج » - بتشديد الجيم ، وبغير راء - ومعناه تدب (م)

قال ابن منذر: أو شعر هذا؟ قال أبو حية: ما في شعرى عيب، غير أنك تسمعه.

وفي هذه القصيدة يقول أبو حية:

ولما أبت إلا العواء يودها وتكديرها الشرب الذي كان صافيا
شربت برنق من هواها مكدر وكيف يعاف الرنق من كان صاديا^(١)

لعمر وبن قبيصة

وقد قال عمرو بن قبيصة^(٢) في معنى قول أبي حية:

كانت قناتي لا تلين لغامزٍ فألانتها الإصباحُ والإنساء
ودعوتُ ربي في السلامة جاهداً ليصحيني إذا السلامة داء
وقال النمر بن تولب^(٣):

للنمر بن تولب

يود الفتى طول السلامة والبق فكيف يرى طول السلامة يفعل
يعود الفتى من بعد حسن وصحة ينوء إذا رام القيام ويحمل^(٤)

وقد روى في الحديث الشريف: «كفى بالسلامة داء».

وقد أحسن حميد بن ثور في قوله:

لحميد بن ثور

أرى بصري قد رأيتني بعد صحة وحسبك داء أن تصح وتساما

(١) ماء رنق - بفتح فسكون، وفيه لغة أخرى بفتح فكسر - أي غير صاف، وتقول: رنق الماء - بالتضعيف - أي كدره، وكأنه ذهب برونقه وحسنه، ويعاف: يكره (م).
(٢) شاعر جاهلي، نشأ يتيمًا، وأقام في الحيرة مدة، وخرج مع امرئ القيس حين توجه إلى قيصر، فمات في الطريق. وفيه يقول امرؤ القيس:

بكي صاحبي لما رأى اندرب دونه وأيقن أنا لاحقان بقيصرا

قللت له: لا تبك عينك؛ إنما نحاول ملكاً أو نموت فنعدرا

وقد سمته العرب «عمرا الضائع» لموته في غربة وفي غير مطلب ولا أرب

(٣) شاعر مخضرم، من شعراء الطبقة الثانية في الجاهلية، أدرك الإسلام، وهو كبير السن، فوفد على الرسول، وكتب عنه كتاباً تقومه، وكان جواداً واسع القهرى كثير الأضياف (٤) ينوء: ينهض بتناقل وإعيا.

ولن يلبثَ العُصْران يومٌ ويلةٌ إذا طلبا أن يدركا ما تيمما
وهذان البيتان من قصيدة طويلة ، وهي أجود شعر حميد^(١) ، ومن أجود
ما فيها :

وما هاجَ هذا الشوقَ إلا حمامةٌ دعتُ ساقِ حرِّ رِزْحَةٍ وترنماً
ثُرُوحَ عليه وَالها ثم تفتدي مولهةٌ تبغى له الدهرَ مطلقاً
تؤمل منه مؤنساً لِانْفِرَادِها وتبكي عليه إن زقا وترنماً
كأنَّ على إشرافه نورَ خمرَةٍ إذا هوَ مدَّ الجيدَ منه ليطعماً
فلما كَتَسَى الرِّيشَ السَّحامَ ولم تجدْ لها معه في ساحةِ الحى مجتاً^(٢)
تنحَّتْ قريبا فوقَ غصنٍ تذاًبتْ به الريحُ صرْفاً أى وجه تيمماً^(٣)
فأهوى لها صقرٌ مُسِفٌ فلم يدعْ لها ولداً إلا رِماماً وأعظماً
فأزفتْ على غصنٍ ضحياً ولم تدعْ لناحميةً في نوحها متلوماً
عجبتُ لما أتى يكونُ غناؤها فصيحاً ولم تنفرْ بمنطقها فنا^(٤)
فلم أرَ مثلى شاقه صوتُ مثلها ولا عريباً شاقه صوتُ أعحما

ومن حيث الهجاء قوله في هذه القصيدة يخاطب رجلين بعنهما :

وقولا إذا جاوزتما أرضَ عامرٍ وجاوزتما الحيين نهذاً وخنمنا
تريمان من جرم بن زيان أنهم أبوا أن يريقوا في الهزاهزِ محجماً^(٥)
وما هجيت جرم بأشد من هذا ، يريد أنهم لذتهم لم يتروا أحداً
فيطالبهم بدخل .

(١) من شعراء الإسلام ، أدرك عمر بن الخطاب ، وقال الشعر في أيامه ، وقد
أدرك الجاهلية أيضاً

(٢) السحام : الأسود ، والمجثم : مكان الرقاد (٣) تنأبت : أتت من كل جانب كما
ضعل الذئب (٤) تنفر : تفتح (٥) الهزاهز : الحروب ، والمجثم : وعاء الحجامة والقص

وقال الأعمى : قيل لبعض الصالحين : كيف حالك ؛ قال : كيف حال من
يَفْنَى ببقائه ، وَيَسْتَم بِبِلاَمَتِهِ . وَيُوْتَى من مَأْمَنِهِ

لمحمود الوراق

وقال محمود الوراق :

يُغِيبُ الْفَتَى طَوَالَ الْبَقَاءِ كَأَنَّهُ عَلَى تَقْصَةٍ أَنْ الْبَقَاءُ بَقَاءُ
إِذَا مَا طَوَى يَوْمًا طَوَى الْيَوْمَ بِحُضْرِهِ وَيَطْوِيهِ - إِنْ جَنَّ الْمَسَاءُ - مَسَاءُ
زِيَادَتِهِ فِي الْجِسْمِ تَقْصُ حَيَاتِهِ وَأَنَّى عَلَى تَقْصِ الْحَيَاةِ نَمَاءُ^(١)
جَدِيدَانِ لَا يَبْقَى الْجَمِيعُ عَلَيْهِمَا وَلَا لَهَا بَعْدَ الْجَمِيعِ بَقَاءُ
وقال المتنبي :

زِيَادَةُ شَيْبٍ وَهِيَ تَقْصُ زِيَادَتِي وَقُوَّةُ عِشْقٍ وَهِيَ مِنْ قُوَّتِي ضَعْفُ
و بيت محمود الأخير كقول البحري :

للمتنبي

أَنَاةٌ أَيُّهَا الْفَلَكَ الْمُدَارُ أَنْهَبُ مَا تُعْرِفُ أُمَّ جُبَارُ^(٢)
سَتَفْنِي مِثْلَ مَا تُفْنِي وَتَبْلِي كَمَا تُبْلِي فَيُدْرِكُ مِنْكَ ثَارُ
تُنَابُ النَّائِبَاتُ إِذَا تَنَاهَتْ وَيَدْمُرُ فِي تَصَرُّفِهِ الدَّمَارُ
وَمَا أَهْلُ الْمَنَازِلِ غَيْرَ كَبِ مَطَابَاهِمُ رَوَاحُ وَابْتِكَارُ

للبحري

ويقول فيها :

لِنَا فِي الدَّهْرِ آمَالٌ طَوَالُ نُرَجِّبُهَا وَأَعْمَارُ قِصَارُ
أَمَا وَأَبِي بَنِي حَارِ بْنِ كَعْبِ تَقْدُ طُرْدُ الزَّمَانِ بِهِمْ فَسَارُوا
أَصَابَ الدَّهْرُ دَوْلَةَ آلِ وَهْبِ وَنَالَ اللَّيْلُ مِنْهُمْ وَالنَّهَارُ
أَعَارَهُمْ رِذَاءَ الْمَسْرِ حَتَّى تَقَاضَاهُمْ فَرَدُّوا مَا اسْتَعَارُوا
وَقَدْ كَانُوا وَأَوْجُهُمْ بِدُورِ لِبَصْرِهَا وَأَيْدِيهِمْ بِجَارِ^(٣)

لابن هاني

أخذ قوله : « ستفني مثل ما تفني » أبو القاسم بن هاني . فقال :
تفني النجوم الزهر طالعة . والنيران الشمس والقمر

(١) النماء : الزيادة (٢) حار : مهدر لا قود فيه

(٣) في ديوان البحري « وأيديهم بحور مختبط » والمختبط . ها : السائر ليلاً (م)

ولئن تبدت في مطالعها منظومة فلذوف تتشيز
ولئن سعى الفلك المدار بها فسوف ينميا وينفطر

وقد استقصى على بن العباس الرومي المعنى الأول فقال :

والدهر يُبلي القتي من حيث يُنشئه حتى تكبر عليه ليلة القرب (١) لابن الرومي
يخذوه في كل آن وهو يا كله ويختسي نقياً منه على نعب (٢)
يودي بحال فحال من شبيته تترب الماء في مستانف الكتب (٣)
حسب أمرى من خنى دهر تطاوله وبين أجم فلم ينكب وه يُنب
في هدنة الدهر كافر من وقايعه والعمر أقدم مبراة من الوصب
وقال أيضاً :

يأبلى الحظي لئسده وشيده حريزاً يشو من الأعداء مشجون (٤)
انظر إلى الدهر هل فاتته بغيته في مطمح السر أوف متبج النون (٥)
ومن تععن منخوبا على وجار فيما حصنه يجن لمجون
أشكو إلى الله جهلاً قد أضر بنا بل ليس جهلاً ولكن علم مسمون
وقال الطائي :

وإن تبين حيطان عليه فإتما أولئك عقالاته لا معاقله

ودخل يحيى بن خالد على الرشيد وقد ابتدأت حاله في التغير ، فأخبر أنه مشغول ، فرجع ، فبعث إليه الرشيد : خنتني فاهمتني ، فقال : إذا انقضت المدة كان الخلف في الحيلة ، والله ما انصرفت إلا تخفيفاً .

أخذ ابن الرومي فقال وقد فصد به بعض الأطباء ، فزعم أن الفصد زاد في علته : غلط الطيب على غلطة مورد عجزت محالته عن الإصدار (٦)

(١) ليلة القرب - بفتح القاف والراء جميعاً - أن تسير الليل كله لترد الماء غدك (م) .
(٢) تعب - بضم قفتح - جمع تعب ، وهي الجرعة (م) . (٣) الكتب : جمع كنية ، وهو السير الذي تخرز به قربة الماء (م) .
(٤) شلو : جزء ، ومشجون : مشعوب ومكسور (٥) النون : الحوت (٦) المهالة : الحيلة . ومنه « المرء يجز لا المهالة » ويخطى ، من يقول : المرء يجز لا مهالة

والناسُ يَلْحَوْنَ الطيبَ، وإنما غَلَطَ الطيبُ إصابةَ المقدارِ

[وصف الثغور]

وقال أبو حنيفة النخعي :

لأبي حنيفة
النخعي

سَقَتِي بِكَأْسِ الحَبِّ مِرْفَاقِي وَرَقًا رِقَاقِ الثَنَائِيَا عَذْبَةَ المَرْتَقِي (١)
وَحُمَصَانَةٍ تَفْتَرُّ عَن مَتَشَقِي كَنُورِ الأَقَاحِي طيبِ المَتَدُوقِ (٢)
إِذَا امْتَضَتِ بَعْدَ امْتِنَاعِ مِنَ الضَحْيِ أَنَايِبَ مِنَ عُودِ الأَرَاكِ المَخْلُوقِ (٣)
سَقَتِ شُعْبَ السَّوَاكِ مَاءَ غَمَامَةٍ فَضِيضًا بِخَرْمُومِ الرِّيحِ المَرُوقِ (٤)

وأُشِدُّ الثُورِي :

تَرَى الدَّرَّ مَنشُورًا إِذَا مَا تَكَلَّمْتِ وَكَالدَّرِّ مَنظُومًا إِذَا لَمْ تَكَلَّمِي
تُعَبِّدُ أَحْرَارَ القُلُوبِ بِدَلَّتِهَا وَتَمَلُّ عَيْنَ النَّاظِرِ المَتُوسِّمِ

والبيت الأول من هذين كقول البحري :

فَمَنْ لَوْلُو تَجَلَّوهُ عِنْدَ ابْتِسَامِهَا وَمَنْ لَوْلُو عِنْدَ الحَدِيثِ تُسَاقِطُهُ (٥)

وقد تقدم .

قال أبو الفرج الرازي : سمعت الأصمعي يقول : أحسن ما قيل في وصف الثغور قول ذي الرمة :

وَتَجَلُّو بِفَرَجٍ مِنَ أَرَاكِ كَأَنَّهُ مِنَ العَنَبِ المِندِيِّ وَالْمِسْكِ يُصْبِحُ (٦)

(١) المَرْتَقِي : العين ، وتقول : رنق النوم في عينه خالطهما (٢) خصاصة : ضامرة
البطر ، والمتشوق : الثغر ؛ لأنك تنشق منه نكهته العطرة ، والمتدوق : هو الريق
لأنك لذتدوقه (٣) المخلوق : المدهون بالخلوق ، وهو ضرب من الطيب
(٤) الفضيض : ماتتار من الماء (٥) قبل هذا .

ولما التقينا واللوى موعد لنا تعجب رأيتي المر حنا ، لاقط

(٦) أراد بفتح من أراك السواك تجلو به أسنانها ، وكفى بما وصف به السواك

عن طيب رائحة لها (م) .

ذُرِّي أَقْحُوَانٍ وَاجَهَ اللَّيْلَ وَارْتَقَى إِلَيْهِ النَّدَى مِنْ رَامَةِ الْمُتَرَوِّحِ
هَيْجَانِ الثَّنَائِيَا مُعْرِبٌ لَوْ تَبَسَّمْتُ لِأَخْرَسٍ عَنْهُ كَادَ بِالْقَوْلِ يُفْصِحُ (١)

ومن قديم هذا المعنى وجيده قولُ النابغة الذبياني في صفة المتجرِّدةِ امرأةٍ

للنابغة الذبياني

النعمان بن المنذر :

تَجَلُّوْا بِقَادِمَتِي حَمَامَةً أَيْكَةً بَرَدًا أُسِفَ لِنَاتِهِ بِالْإِنْمَدِ (٢)
كَالْأَقْحُوَانِ غَدَاةً غِيبٌ سَمَائِهِ جَنَّتْ أَعَالِيَهُ وَأَسْفَلُهُ نَدَى
زَعَمَ الْمُهَامُ بَانَ فَهَا بَارِدٌ عَذِبٌ مُقْبَلُهُ شَيْءُ الْمَوْرِدِ
زَعَمَ الْمُهَامُ وَلَمْ أَذُقْهُ أَنَّهُ يَشْفِي بَرِيًّا رِيْقَهَا الْعَيْشُ الصَّدِي

ومن قوله : « ولم أذقه » أخذ كل من أتى بهذا المعنى ، فنتفه الناس بعده ،

للتوكل الليثي

قال المتوكل الليثي :

كَانَ مُدَامَةً صِهْبَاءَ صِرْفًا تَرَقُّوقُ بَيْنِ رَاوُوقٍ وَدَنٍّ
تَعَلَّى بِهَا الثَّنَائِيَا مِنْ سَلِيمِي فِرَاسَةٌ مُقَاتِي وَصَحِيحُ ظَنِّي

وقال بشار :

لبشار بن برد

يَا أَطْيَبَ النَّاسِ رِيْقًا غَيْرَ مُخْتَبِرٍ إِلَّا شَهَادَةَ أَطْرَافِ الْمَسَاوِيكِ
قَدْ زُرْتِنَا مَرَّةً فِي الدَّهْرِ وَاحِدَةً تَنَّى وَلَا تَجْعَلِيهَا بَيْضَةَ الدِّيَكِ
يَا رَحِمَةَ اللَّهِ حُلِّي فِي مَنَازِلِنَا حَسْبِي بَرَامِحَةُ الْقَرْدُوسِ مِنْ فَيْكِ

وقيل لبشار: يا أبا معاذ، كم بين قولك، وأنشد هذه الأبيات. وبين أن تقول:

إِنَّمَا عَظُمُ سَلِيمِي خَلَّتِي قَصَبُ الْكُرِّ لَا عَظُمُ الْجَمَلِ
وَإِذَا قُرْبٌ مِنْهَا بَقُتِلُ غَلْبُ الْمِسْكِ عَلَى رِيحِ الْبَصْلِ

(١) هيجان الثنايا : يريد أن ثناياها ناصعة البياض . من قولهم : إبل هيجان ، أي

بيض كرام

(٢) الإئمد . الكحل

قال : إنما الشاعر المطبوع كالبحر : مرة يقذف صدّفه ، ومرة يقذف جيفه (١) .

[تفضيل السواد]

وقد تناول هذا المعنى أبو الحسن علي بن العباس الرومي من أقرب تناول
قال وكشفه بأوضح عبارة - في صفة لجارية أبي الفضل عبد الملك بن صالح
السوداء بعد أن استوفى جميع صفاتها وكان قد اقترح عليه ، صفها :

وصفت فيها الذي هويت على السوم ولم تختبر ولم تذوق
إلا بأخبارك التي رُفعت منك إلينا عن ظبية البرق (٢)
حاشا لسوداء منظرٍ سكنت ذراك إلا عن مخبرٍ يبق (٣)

لابن الرومي
في وصف
جارية

وهذه الأبيات من قصيدة له وصف فيها السواد ، واحتج بتفضيله على
البياض ، حتى أغلق فيه الباب بعده ، ومنع أن يقصد فيه أحد قصده ، إلا كان
مقصر السهم عن غرض الإحسان . وقد تبه على بن عبد الله بن العباس [المسيب
على] فضائلها ، وأجاد التشبيه ، وكشف عن وجوه الإبداع ، وضروب الاختراع
وقد مدح الناس السواد والسوداء كثيراً ؛ فمن جيد ما قالوا فيه قول
أبي حفص الشطرنجي :

لأن حفص
الشطرنجي

أشبهك المسك وأشبهته قامة في لونه قاعده
لا شك إذ لونكما واحد أنكما من طينة واحدة

فأخذ ابن الرومي هذا المعنى ، وأضاف إليه أشياء آخرتوسعاً واقتداراً ، قال :
يذكرك المسك والنوال والسك ذوات النسيم والعبق (٤)

لابن الرومي

(١) يريد أن الشاعر المطبوع له سقطات ، ومن هنا كانت سقطات النبي مثلا
فاضحة ؛ لأن الإجابة المطلقة فوق طاقة الإنسان ، وقد يطرد هذا الحكم في كثير من
نواحي الحياة الإنسانية . (٢) البرق : جمع برقة - بالضم - وهي مكان تكثر
فيه الظباء (٣) يبق : ناصع البياض (٤) السك : نوع من الطيب - والعبق ،
بفتح العين والباء جميعا ، طيب الرائحة (م) .

وهذه الأشياء وإن كانت نادرة عن المسك، فهي ممدوحة بالطيب، غير
مستغنى عن ذكرها في التشبيه؛ فأما زيادته على جميع من تعاطى لمذح السواد فقوله:
سوداء لم تنسب إلى برص البشقر ولا كلفة ولا بهق^(١)
والأبيض الشديد البياض مريب، وقد دل عليه قوله:

وبعض ما فضل السواد به والحق فوسلم وذو نقي
الأييب السواد خلكته وقد يُعابُ انبياضُ البهق^(٢)

قوله: «الحن فوسلم وذو نقي» أراد أن الحق يتصرف في جهات،
وضرب الصعود والنزول لذلك مثلاً؛ ثم قصد لوصف هذه السوداء بالكمال في
الصفة؛ ومن عيب السودان أن أكنهم عابة^(٣) متشقة، وأطرافهم ليست بناحمة
لينة، وكذلك لا يزال القلح في شفاههم، وهي الشقوق المضمومة الموجودة في
أكثر السودان في أوساط الشفاه، وأيضاً فإن الأسود مهجو بنجس العرق، ففى
هذه الصفات المضمومة الموجودة في أكثر السودان عنها، قال:

ليت من العبس الأكنف ولا الفلح الشفاه الخبائث العرق

ثم عالج بخاطره على وصف هذه السوداء بأضداد تلك الصفات المضمومة، قال:
في لين سمورة تخيرها ال فرأه أولين جيد الدلق^(٤)
ومن بديع مذح السوداء قوله:

أكسها الحب أنها صبفت صبغة حب القلوب والخدق

فانصرفت نحوها الضائر والأبصار يفتقن أيما عشق

فأخبر أن القلوب إنما أحبها بالجنانة التي بينها وبين حب القلوب من

السواد، وكذلك الخدق.

(١) الكلفة: النخس يوجد في الوجه، والبرص والبهق معروفان

(٢) الحلكة: عمة السواد، ومنه قولهم: ظلام حالك (٣) عابسة: يابسة، وصفه

عبس - من باب فرح - أي عيس (م). (٤) الدلق: دوية كالسمورة

ومن جيد تشبيهات أبي نواس وقد نبه ديماس لمصوب فأخبر عن حاله وقال :
 قام والليل يُجَلُّوهُ الصَّباحُ كما جَلَّ التَّبسمُ عن غُرِّ النَّبِيَّاتِ
 ولعل بن العباس عليه التقدّم بقوله :

لأبي نواس

لابن الرومي
أضاً

يَفْتَرُ ذاك السَّوادُ عن يَتَّقِي من ثغرها كاللالي، النَّسِقِ (١)
 كأنها وانـ زاح يُصَحِّحُكُمَا ليلٌ تَعْرِي دُجَاهَ عن فَلَاقِ (٢)

وفضل هذا الكلام على ذلك أن هذا قدّم لمعناه في التشبيه مقدمة أيّده ،
 ووطأت له الآذان (٣) ، وأصفت الأفهام إلى الاستحسان ، وهي قوله :

* يَفْتَرُ ذاك السَّوادُ عن يَتَّقِي *

وفي هذه السوءاء يقول ، وقد سأله أبو الفضل الهاشمي أن يستغرق صفات

محاسنها الظاهرة والباطنة ، فقال :

لها حِرٌّ يستعير وتقدته من قلب صبٍ وصدر ذي حنق (٤)
 كأنما حـ رة لإخباره ما ألهمت في حشاه من حرق
 يزّاد ضيقاً على الراس كما تزّاد ضيقاً أنشوطة الوهق (٥)

ثم فكّر فيما فكّر فيه النابغة ، وقد أمره التصانُّ بوصف المتجرّدة ،
 فوصف ما يجوز ذكره من ظاهر محاسنها ، ثم كره أن يذكر من فضائلها ما لا
 يسوغ بمثله أن يذكر منها ، فردّ الإخبار عن تلك الفضائل إلى صاحبها ، وهو
 الملك ، فقال :

زعمَ الهمام بأن فاهما باردٌ عذبٌ إذا قبّلته قلتَ ازددِ

فاحتذى علي بن العباس هذا ، فقال بعد ما سأله أن يستغرق في وصف

فضائلها الظاهرة والباطنة :

خُذْهَا أبا الفضل كسوة لك من خَزِّ الأُمادِيحِ لا مِنِ الخِرِّقِ

(١) نسق : متسق (٢) تعري : تكشف (٣) وطأت : مهدت (٤) الحرق - بكسر

الحاء هو القرج (٥) الوهق : الجبل يرى في أنشوطة فتؤخذ به الهابة والإنسان

وصفت فيها التي هويت على السومر ولم تختير ولم تذق
 إلا بأخبارك التي وقعت منك إلينا عن غلبة البرق
 حاشا لسوداء منظر سكت ذراك إلا عن مخبر يقى
 وهذا المعنى أوما إليه النابغة إيماء خفياً تذهب معرفته عن أكثر الناس ،
 ولو آثر النابغة ترك الاختصار ، وهم بكشف المعنى وإيضاحه ، ما زاد على هذا
 الكشف الذي كشفه ابن الرومي :

وأصحاب المعاني ينشدون للفرزدق :

للفرزدق

وجفن سيلاح قدرزنت فلم أنخ عليه ولم أبعث عليه البيواكياً
 وفي بطنه من داريم ذو حفيظة لو أن المنايا أنسأته ليالياً^(١)
 ومعناه عندهم أنه رثى امرأة توفيت حاملاً ، فقال علي بن العباس وقد وصف
 هذه المرأة السوداء :

لابن الرومي

أخلق بها أن تقوم عن ذكري كالسيف يفري مضاعف الخلق
 إن جفون السيوف أكثرها أسود والحق غير مختلف
 فهذه زيادة بينة ، وعبارة واضحة ، لم تحتاج إلى تفاسير أصحاب المعاني ،
 وقال مما لم ينشده المتنبي :

غصن من الأبنوس ركب في مؤزرٍ مُعجبٍ ومنتطق
 يهتز من ناهديه في ثمرٍ ومن دواجي ذراه في ورق
 وهذا معنى قد بلغ قائله من الإبداع ، فوق الإرادة ، وامثل أبو الفضل الهاشمي
 ما أشار به ابن الرومي ، فأولدها ، فأنجبت .

وفي معنى قول الفرزدق قال الطائي وأحسن وذ كر ولدتين توأمين ماتا لعبدالله
 ابن طاهر :

(١) الحفيظة : قوة الإباء - وللمنايا : جمع منية ، وهي الموت ، وأنسأته : أخرته (م)

إن تُرْزَى فِي طَرْفِ نَهَارٍ وَاحِدٍ رُزَايْنِ هَاجَا لَوْعَةً وَبَلَايِلَا
 فَالْتَقَلُ لَيْسَ مَضَاعِفًا لِمَطِيَّةٍ إِلَّا إِذَا مَا كَانَ وَهَمًا بِأَزِلَا^(١)
 لَهْفِي عَلَى تِلْكَ الشَّاهِدِ مِنْهُمَا لَوْ أُمَهَاتٌ حَتَّى تَكُونَ شَمَائِلَا
 لَعَدَا مَكُونُهُمَا حِجَّتِي، وَصَبَاهَا حُكْمَا، وَتِلْكَ الْأَرِيحِيَّةُ نَائِلَا
 إِنْ الْهَلَالَ إِذَا رَأَيْتَ نَمَاءَهُ أَيْقَنْتَ أَنْ سَيَكُونُ بَدْرًا كَامِلَا

وعلى ذكر التوأمين ألقاظ لأهل العصر في التهيئة بتوأمين

تيسرت منحتان في وطن، وانتظمت موهبتان في قرن^(٢)، طلع في أفق
 الكمال نجماً سقداً، وشهاباً عزيزاً، وكوكباً مجداً، فتأهلت مهما ربوع المحاسن،
 ووطنت لها أكناف المكارم، واستشرفت إليهما صدور الأسرّة والنابر. بلغني
 خبراً للوهبة الشفوعة بمشامها، والنعمّة المقرونة ببدلها^(٣) في الفارسين المقبلين،
 رضيعي العز والرفعة، وقريبي المجد والنعمة، فشملي من الاغتباط ما يؤجبه
 ازدواج البشرى، واقتران غادية^(٤) بأخرى.
 والشئ يذكر بما قارب ناحية من أثمانه، وجاذب حاشية من
 رذائيه^(٥).

[شئ من الهجاء يشتمل على تضمنين]

وقال بعض أهل العصر يهجو رجلاً وضمن قول النابغة :
 * كالأقحوان غداة غيب سمائه *

(١) الوهم : الجمل الضخم القوي ، والبازل : المكتمل السن

(٢) القرن : الجبل المقبول من لواء الشجر أو من الصوف

(٣) العدل - بالكسر - النظر .

(٤) الغادية : السحابة تخطر غدوة ، وفي نسخة «عارفة» (م) .

(٥) هذه العبارة من كلام المؤلف، لبيان موجب الاستطراد في الكلام عن التوأمين

وأزاحه عن بابه ؛ فجاء مليحاً في الطبع ، مقبولاً في السمع :
 يسألي عن جفر ، عهدى به رطب العجان وكفه كالجلد^(١)
 كالأقحوان غداة غيب سمانه جفت أعاليه وأسفله ندى^(٢)
 ومن مستحسن ما روى في هذا التضمين قول الآخر وضمن بيتاً لمهلل
 ابن ربيعة :

وسأله عن الحسن بن وهب وعماً فيه من كريم وخير
 قلت هو المذهب ، غير أنى أراه كثير إرخاء الستور
 وأكثر ما يفتيه فتاه حنين حين يخلو بالشور
 فلولاً الريح أسمع من بحجر صليل البيض تُقرع بالذكور

وهذا البيت لمهلل مما يبدونه من أول كذب العرب ، وكانت قبل ذلك
 لا تكذب في أشعارها^(٣) ، وكان بين الموضع الذي كانت فيه هذه الواقعة وهي
 بالجزيرة وبين حُجر وهي قصبَة باليمامة مسافةً بعيدة ، فأخرجَه هذا الشاعر بقوة
 مُنته ، ونفاذِ قُطنته ، إلى معنى آخر مستطرف في بابه . وهذا المذهب أحسن مذاهب

(١) العجان : الاست . والجلد : الصخر (٢) هذا التضمين يذكر بقول
 بعض المولدين :

تصدى إلى ابرى قتلت له اتد وعيشك لو أبصرته وهو نار
 رأيت الذي لا كله أنت قادر عليه ، ولا عن بعضه أنت صابر
 والأصل :

وكنت إذا أرسلت طرفك رائداً لقلبك يوماً أتبتك الناظر
 رأيت الذي لا كله أنت قادر عليه ، ولا عن بعضه أنت صابر

(٣) هذا ترديد للفكرة المشهورة من أن العرب في جاهليتهم كانوا لا يتجاوزون
 الواقع حين يصفون ، وهذا فيما أرى غلو في تقدير أهل البادية ، والمقول أن طبيعة
 الناس تبيح المغالاة ، بلا تفريق بين الطبقات الاجتماعية

التضمين . ومن مליح ما في هذا الباب تضمينات الحمدوني في طيلسان أحمد بن حرب المهلبى ، وسيأتى ما اختاره من ذلك في غير هذا الموضع .

[عود إلى وصف الثغور ونقاها]

وقد جاء في صفة الثغور والأفواه والرقيق شعرٌ كثير . قال جميل :

تمنيتُ منها نظرةً وهي واقفةٌ تُريك نقيًا واضحَ الثغرِ أشنباً^(١)
 كأنَّ عريضاً من فضيض غماميةٍ هزيمُ الذرى تمرى له الريحُ هيدباً^(٢)
 يُصنِّقُ بالمسكِ الذكى رُضابهُ إذا النجمُ من بعد الهدو تصوباً^(٣)

لجميل بن معمر
العدري

وقال :

وكان طارحاً على علال الكرى والنجمُ وهناً قد بدا لتغورِ
 يستأفُ ريحَ مُداميةٍ معلولةٍ رُضابِ مسكٍ في ذكى العنبرِ

وقال عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة الخنزومي :

يُمجُّ ذكى المسكِ منها مفلجٌ نقيَ الثنايا دو غروب مؤشرٍ^(٤)
 يرفُ إذا تفتَّرَ عنه كأنه حصى برِدٍ أو أقحوان مُنورٍ .

لعمرو
ابن أبي ربيعة

وقال الهذلي :

وما صهباه صافيةً لضبٍ كلون الصّرفِ مُنجابٍ قذاها
 تُشجُّ بنطفةٍ من ماء مُزِنِ أحلته برضاضٍ عُراها
 بأطيبِ مشرعاً من طعمِ فيها إذا ما طار عن سِنَّةٍ كراها

للهمذلي

(١) أشنب : من الشنب - بالتحريك - وهو رقة وبرد وعذوبة في الأسنان

(٢) العريض : القطعة من السحاب ، والفضيض : ماتت أثر من المطر والماء ، والهزيم :

الصوت ، والذرى : الأعلى ، والهيدب : ذيل السحاب (٣) تصوب : انحدر (٤) مؤشر : من :

الأشهر - بالتحريك - وهو تحزير أطراف الثنايا ، والغروب : جمع غرب - بالفتح - وهو الرقيق

وقال آخر:

وشق عنها قناع الخبز عن برد
كانه أتحوان بات بضربه
كان صرفاً كيت اللون صافية
فوها إذا ما قصت من نومهاينة
وقال الآخر:

هجان اللون واضحة الحيا
تبسم عن أغر له غروب
كان صيب غادية لصب
على فيها إذا الجوزاء عالت
وقال ابن المعتز:

يا نديمي أشربا واسقيانا
واقلا هي بصرف عقار
إن للمكروه لذعة شيرة
وامزجا كأسى بريقة ألسى
من فم قد غرس الدر فيه
وقال ابن الرومي:

يارب ريق بات بدر الدجى
يمجبه بين ثناياكا

لابن المعتز

قد بدا الصبح لنا واستباناً^(١)
واتركا الدهر فاشاء كانا
فإذا دام على المرء هاناً
طلب للعطشان ورداً وحاناً
ناصح الريق إذا الريق خاناً^(٧)

لابن الرومي

- (١) الكس: قصر الأسنان. والثلعل: زيادة سن أو دخول سن تحت سن.
(٢) كيت اللون: فيها سواد وحمرة، وشجت: مزجت، وشنه: صبه متفرقا وبرده.
(٣) هجان اللون: بيضاء، وقطيع الصوت: هي التي يتكسر كلامها لرقته.
(٤) فرات: عذب (٥) الرعيل: جماعة النجوم (٦) رواية الديوان « لاغلا
حنا واسقيانا » (٧) ناصح الريق: لم تتغير نكهته

يُرْوَى وَلَا يَنْهَاكَ عَنْ شَرِبِهِ وَالْمَاءُ يُرْوِيكَ وَيَنْهَاكَ

وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر:

لعبيد الله بن
عبد الله بن
طاهر

وَإِذَا سَأَلْتُكَ رَشْفَ رِيْقِكَ قُلْتَلِي: أَخْبِي عُقُوبَةَ مَالِكِ الْأَمْلَاكِ

مَاذَا عَلَيْكَ؟ جُعِلَتْ قَبْلَكَ فِي الثَّرَى! مِنْ أَنْ أَكُونَ خَلِيفَةَ السِّنْوَاكِ

أَيْجُوزُ عِنْدَكَ أَنْ يَصْكَوْنَ مُتَيْمٌ صَبَّ بِحَبِّكَ دُونَ عُودِ أَرَاكِ

وهذا المعنى يجاوز الإحصاء، ويفوت الاستقصاء؛ وكله مأخوذ من قول

امرئ القيس:

كَانَ الْمُدَامَ وَصَوَّبَ الْقَامَ وَرِيحَ الْخُرَامِي وَنَشْرَ الْقَطْرِ^(١)

لامرئ القيس

يُقَلُّ بِهِ بَرْدُ أَنْيَابِهَا إِذَا طَرَبَ الطَّائِرُ الْمُسْتَجِرَ^(٢)

فجمع ما فرقوه، وأخذه الجعفي فقصر عنه:

كَانَ الْمُدَامَ وَصَوَّبَ الْقَامَ وَرِيحَ الْخُرَامِي وَذَوْبَ الْعَسَلِ

للجعفي

يُقَلُّ بِهِ بَرْدُ أَنْيَابِهَا إِذَا النَّجْمُ وَسَطَ السَّمَاءِ اعْتَدَلَ

ويلحق بهذه المعاني من شعر أهل العصر قول أبي علي محمد بن الحسين بن

الظفر الحامي - وذكر خمرأ:

للحامي

مِنْ كَفِّ سَقِيٍّ أَهْيَفِ حَرَكَاتِهِ فِتْنٌ تَفَنَعَ بِالْمَلَاخَةِ وَاعْتَجَرَ^(٣)

نَاوَلْتَهُ كَأْسِي وَكَسْرُ جُفُونِهِ يُوحِي إِلَى أَنْ ارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ

فَتَى لَهَا أَقْلَامَ دُرٍّ رَخْصَةٍ تَهْوِي إِلَى أَفْرَادِ دُرِّ ذِي أَسْرٍ^(٤)

فَتَحَدَّرَتْ مِنْ كَأْسِهِ فِي تَغْرِهِ كَالشَّمْسِ تَغْرُبُ فِي هِلَالٍ مِنْ قَمَرٍ

وأهدى أبو الفتح كشاجم لبعض القيان ميثواكا وكتب إليها:

لأبي الفتح
كشاجم

قَدْ بَعَثْنَا لَكَ تَجْلُوًّا بِهِ وَاضِحًا كَاللُّؤْلُؤِ الرَّطْبِ أُغْرَ

(١) القطر - بالضم - العود الذي يقبخر به (٢) المستعر: الحمران

(٣) اعتجر: من الاعتجار، وهو لبسة خاصة بالنساء والطلان (٤) رخصة: لينة

طابَ منه العَرَفُ حَتَّى خِلْتُهُ كانَ من رَيْقِكَ يُسْتَقَى فِي الشَّجَرِ (١)
 وَأَمَّا وَاللَّهِ لَوْ يَعْلَمُ مَا حَفَظَهُ مِنْكَ لِأَثْنِي وَشَكَرَ
 لَيْتَنِي الْمَهْدَى فَيُرَوِّي عَطَشِي بَرْدُ أَنْيَابِكَ فِي كُلِّ سَعَرٍ (٢)
 [شعر عمر بن أبي ربيعة ، وشعر الحارث بن خالد]

وكان ذُكِرَ بحضرة ابن أبي عتيق شعرُ عمر بن أبي ربيعة والحارث بن خالد الخزوميين ، فقال رجلٌ من ولد خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة : صاحبنا الحارث أشعر ، فقال ابنُ أبي عتيق : دَعِ قولَكَ يَا بَنَ أَخِي ، فَلِشِعْرِ ابْنِ أَبِي ربيعة لَوَطَةٌ بِالْقَلْبِ (٣) ، وَعَنْقٌ بِالنَّفْسِ ، وَدَرَكٌ لِلْحَاجَةِ لَيْسَ لِشِعْرِ الْحَارِثِ ؛ وَمَا عَصَى اللَّهَ بِشَعْرٍ قَطُّ أَكْثَرَ مِمَّا عَصَى بِشَعْرِ ابْنِ أَبِي ربيعة ، فَخُذْ عَنِّي مَا أَصِفُ لَكَ : أَشَعْرُ قَرِيشٍ مَن رَقَّ مَعْنَاهُ ، وَأَلْطَفَ مَدْخَلُهُ ، وَسَهَّلَ مَخْرَجَهُ ، وَتَعَطَّفَتْ حَوَاشِيهِ ، وَأَنَارَتْ مَعَانِيهِ ، وَأَعْرَبَ عَن صَاحِبِهِ ، فَقَالَ الَّذِي مِنْ وَدِّدِ خَالِدِ بْنِ الْعَاصِ : صَاحِبُنَا الَّذِي يَقُولُ :

إِنِّي وَمَا نَحَرُوا غَدَاةَ مِنِّي عِنْدَ الْجَارِ تَشُودُهَا الْعُقْلُ (٤)
 لَوْ بَدَّلْتُ أَعْلَى مَنَسَازِلِهَا يَنْقَلًا وَأَصْبَحَ سُنْفِلِهَا يَغْلُو
 فَيَكَادُ يَعْرِفُهَا الْخَيْرُ بِهَا فَيَرُدُّهُ الْإِقْوَاءُ وَالْمَخَلُ (٥)
 لَعَرَفْتُ مَغْنَاهَا بِمَا احْتَمَلْتُ مِنِّي الصُّلُوعُ لِأَهْلِهَا قَبْلُ

فقال ابنُ أبي عتيق : يَا بَنَ أَخِي ، اسْتُرْ عَلَي صَاحِبِكَ ، وَلَا تَشَاهِدِ الْمَخَاضَ بِمَثَلِ هَذَا ، أَمَّا تَطَيَّرَ الْحَارِثُ عَلَيْهَا حِينَ قَلَبَ رَبْعَهَا فَجَعَلَ عَالِيَهُ سَاقِلَهُ ، مَا بَقِيَ إِلَّا أَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ حَبَارَةَ مِنْ سَجِيلٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا . ابْنُ أَبِي ربيعة كَانَ أَحْسَنَ النَّاسِ لِلرَّبِّعِ مَخَاطَبَةً وَأَجْمَلَ مَصَاحِبَةً إِذْ يَقُولُ :

(١) لا يطيب الريق في السحر إلا عند ا كتمال القوة (٢) يتمنى لو أنه كان المسواك
 (٣) لوطه بالقلب : علوق به (٤) العقول : جمع عقال (٥) الإقواء : خلاء للديار ،
 والمهل : الجذب

سائلاً الربيع جالبيً وقولا هيجت شوقاً إلى الغداة طويلاً
 أين أهل حلوك إذ أنت مسرو رُ بهم أهل أراك جميلاً
 قال: سيزوا، وأمعنوا، واستقلوا وبكرهي لو استطت سبيلاً
 ستموناً وما ستمنا مقاناً واستحبوا دة آفة وسهولاً^(١)

وهنا حكاية تأخذ بطرف الحديث ، دخل يزيد المدني على مولى
 لبعض أهل المدينة ، وهو جالس على سرير ممد ، ورجل من ولد أبي بكر الصديق
 وآخر من ولد عمر - رضی الله عنهما ! - جالسان بين يديه على الأرض ؛ فلما رأى
 المولى مزيداً تجهمه ، وقال : يا مزيد ما أكثر سؤالك ! وأشد إلتفانك !
 جئت تسألني شيئاً ؟ قال : لا والله ، ولكنني أردت أن أسألك عن معنى قول
 الحارث بن خالد :

إني وما تمحروا غداة مني عند الجمار تشودها القمل
 لو بدلت أعلى منازلها سفلأ وأصبح سفلها ية لو

فلما رأيتك ورأيت هذين بين يديك عرفت معنى الذي قال . فقال :
 اعزب في غير حفظ الله ! وضحك أهل المجلس .

وأخذ الحارث قوله :

لعرفت منفاها بما احتمات مني الضلوع لأهلها قبل

من قول امرئ القيس ؛ قال علي بن الصباح وراق بن أبي محلم قال لي
 أبو محلم : أتعرف لامرئ القيس أياتاً سينية قالها عند موته في قرُوحه والحلة
 للسمومة ، غير قصيدته التي أولها :

(١) في الطبعة الثالثة من كتاب « حب ابن أبي ربيعة وشعره » شذرات مهمة
 عن الحارث بن خالد الخزومي ، الذي وقف شطراً من حياته وجاهه في مغازلة
 لحسان ، وأخبره مع عائشة بنت طلحة تعين مذاهبه في الحياة الوجدانية

• أَلِمَّا عَلَى الرَّبِّعِ الْقَدِيمِ بِمَسْتَسَا •

قلت : لا أعرف غيرها ، فقال : أنشدني جماعة من الرواة :

لَمِنْ طَلَلٍ دَرَسَتْ آيَةٌ وَغَيْرَهُ سَالِفُ الْأَحْرُسِ (١)
تَنَكَّرُهُ الْعَيْنُ مِنْ حَادِثٍ وَيَعْرِفُهُ تَنَفُّهُ الْأَنْفُسِ

لطريح الثعفي

وقد أخذه لطريح بن إسماعيل الثعفي ، فقال :

تَسْتَخْبِرُ الدَّمَنَ الْقِفَارَ وَلَمْ تَكُنْ لَتَرَدَّ أَخْبَارًا عَلَى مُسْتَخْبِرِ
فَطَلَّتْ تَحْمُكَ بَيْنَ قَلْبِي عَارِفٍ مَعْنَى أَحِبَّتِهِ وَطَرْفِ مُنْكَرِ

وقال الحسن بن وهب ، إشارة إلى هذا المعنى :

للحسن بن
وهب

أَبْلَيْتَ جِسْمِي مِنْ بَعْدِ جِدَّتِهِ فَمَا تَكَادُ الْعْيُونَ تُبْصِرُهُ
كَأَنَّهُ رَسْمٌ مَنَزَلٌ خَلَقِي تَمَرُّفُهُ الْعَيْنُ ثُمَّ تَنَكَّرُهُ

وقال يحيى بن منصور الدهلي :

ليحيى بن
منصور الدهلي

أَمَّا يَسْتَفِيقُ الْقَلْبُ إِلَّا تَبَرَّى لَهُ تَذَكَّرُ طَيْفٍ مِنْ مُعَادٍ وَمَرْبَعِ
أَخَادِعٍ مِنْ عِرْفَانِهِ الْعَيْنِ ؛ إِنَّهُ مَتَى تَعْرِفُ الْأَطْلَانَ عَيْنِي تَدْمَعُ

وقال آخر :

هِيَ الدَّارُ الَّتِي تَعْرِفُ فِي لِمٍ لَا تَعْرِفُ الدَّارَا
تَرَى مِنْهَا لِأَحْبَابِكَ أَعْلَامًا وَأَثَارَا
فِي يَدِي الْقَلْبُ عِرْفَانًا وَتَبْدَى الْعَيْنُ إِنْكَارَا

وقال أبو نؤاس ، وتعلق أول قوله بهذا المعنى ، وأنا أنشد الأبيات كلها لأبي نؤاس

لملاحتها ؛ إذ كان الغرض في هذا التصرف هو إرادة الإفادة :

أَلَا لَا أَرَى مِثْلَ امْتَرَى الْيَوْمَ فِي رَسْمِ تَغَضُّنَ بِهِ عَيْنِي وَيَلْفِظُهُ وَهِيَ (٢)
أَنْتَ صَوْرُ الْأَشْيَاءِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ فَظَنُّنِي كَلَّا ظَنِّ وَعِلْمِي كَلَّا عِلْمِ

(١) الأحرس : الدهر (٢) رواية الديوان « مثل امتراني في رسم »

فَطَبٌ بِحَدِيثٍ مِنْ حَبِيبٍ مَسَاعِدٍ^(١) وَسَابِقِيَّةٌ بَيْنَ الْمَرَاهِقِ وَالْحُلْمِ^(٢)
 ضَعِيفَةٌ كَثْرَ الطَّرْفِ تَحْسَبُ أَنَّهَا قَرِيبَةٌ عَهْدٌ بِالْإِفَاقَةِ مِنْ سُتْمِ
 يَفُوقُ مَالِي مِنْ طَرِيفٍ وَتَالِدٍ تَفُوقِي الصَّبَاءِ مِنْ حَلَبِ الْكَرْمِ^(٣)
 وَإِنِّي لَأَنى الْوَصْلِ مَنْ حَيْثُ يُبْتَغَى وَتَعَلَّمْتُ قَوْسِي حِينَ أَنْزَعْتَ مِنْ أَرْمِي^(٤)

[شعر أبي نواس]

وروى أبو هفان قال : كان أبو عبد الله محمد بن زياد الأعرابي^(٥) يطعن على
 أبي نواس ، ويُمَيِّبُ شَعْرَهُ ، ويَضَعُفُهُ ، ويستلينه ؛ فجمعه مع بعضِ رِوَاةِ شعر
 أبي نواس مجلسٌ والشيخُ لا يَعْرِفُهُ ، فقال له صاحبُ أبي نواس : أتعرفُ
 — أعزَّكَ اللهُ! — أَحْسَنَ مِنْ هَذَا؟ وأنشده : «ضعيفة كثر الطرف...» الأبيات
 فقال : لا والله ، فَمَنْ هو؟ قال : للذي يقول :

رَسَمُ الْكُرَى بَيْنَ الْجَفُونِ مُحِيلٌ عَنِّي عَلَيْهِ بَكَاءُ عَلَيْكَ طَوِيلٌ
 يَا نَاطِرًا مَا أَقْلَمْتُ لِحَظَاتَهُ حَتَّى تَشْحَطَ بَيْنَهُنَّ قَتِيلٌ

فطربَ الشيخُ ، وقال : وَيُحْكُ ! لمن هذا؟ فوالله ما سمعتُ أجودَ منه لقديم

(١) رواية الديوان « من نديم موافق » (٢) بين المراهق والحلم : يريد أن سنها
 قاربت سن الاحتلام ، وليست مع ذلك طفلة ، فهي كما قال صاحب البدائع : « طفلة في
 المنظر ، وغادة في الخبر » (٣) تفوق مالى : تأكله ، من قولهم « تفوق ناقته » حلبها ،
 و « تفوق الفصيل اللبن » شربه (٤) رواية الديوان « وإني لآنى الأمر » وهى أدق
 (٥) هو ابن الأعرابي اتوفى سنة ٢٣١ . وكان نحويا عالما باللغة والشعر ، ولم
 يكن أحد من الكوفيين أشبه رواية برواية البصريين منه ، وكان يزعم أن الأصمى
 وأبا عبيدة لا يحسنان قليلا ولا كثيرا . فالثعلب : شاهدت ابن الأعرابي وكان يحضر
 مجلسه زهاء مئة إنسان كل يسأله أو يقرأ عليه ويحب من غير كتاب ، قال : ولزمته بضع
 عشرة سنة ما رأيت يده كتابا قط ، وما أشك فى أنه أملى على الناس ما يحمل على أجمال

ولا يحدث! فقال: لا أخبرك أو تكتبه؛ فكتبه، وكتب الأول، فقال: لذي يقول:

رَكِبَ تَسَاقُوا عَلَى الْأَكْوَارِ بَيْنَهُمْ كَأْسَ الْكَرَى فَانْتَشَى لِلنَّقَى وَالسَّاقِ
كَأَنَّ أَرْؤُسَهُمُ وَالنَّوْمُ وَاضِعُهَا عَلَى الْمَنَاكِبِ لَمْ تُخْلَقْ بِأَعْنَاقِ
سَارُوا فَلَمْ يَقْطَعُوا عَقْدًا لِرَاحِلَةٍ حَتَّى أَنَاخُوا إِلَيْكُمْ قَبْلَ إِشْرَاقِ
مِنْ كُلِّ جَانِلَةِ الطَّرْفَيْنِ نَاجِيَةٍ مُسْتَقَرِّ حَمَتٍ أَوْصَالَ مُشْتَاقِ

فقال: لمن هذا؟ وكتبه. فقال: لذي تدبته، وتعيب شعره، أبي علي الحكيم! قال: اكتم علي، فوالله لا أعود لذلك أبداً.

أخذ قوله: «كَأَنَّ أَرْؤُسَهُمُ وَالنَّوْمُ وَاضِعُهَا». أبو العباس بن المعتز، فقال لابن المعتز يصف شرباً:

كَأَنَّ أَبَارِيقَ اللَّجَيْنِ لِيهِمْ ظِلًّا بِأَعْلَى الرَّفَمَتَيْنِ قِيَامُ
وَقَدْ شَرَبُوا حَتَّى كَانَ رُؤُسُهُمْ مِنَ اللَّيْلِ لَمْ يُخْلَقْ لَهُنَّ عِظَامُ
البيت الأول من هذين من قول علقمة بن عبدة^(١):

كَأَنَّ إِبْرِيْقَهُمْ ظَلِيٌّ عَلَى شَرَفِ مُقَدَّمٍ سَبَّابِ الْكَتَّانِ مَلْثُومِ^(٢)
أراد بسباب^(٣)، فحذف. وقد أحسن مسلم بن الوليد في قوله:

لمسلم بن الوليد

إِبْرِيْقُنَا سَلَبَ الْغَزَالَةَ جِيْدَهَا وَحَكِي لِلدِّرِّ بِمُقْلَتَيْهِ غَزَاالَا
يَتَّقِيكَ بِالْأَلْحَافِ كَأْسَ صَبَابَةٍ وَيُدِيرُهَا مِنْ كَفِّهِ جَرِيَالَا^(٤)

(١) هو علقمة الفحل، أحد معاصري امرئ القيس.

(٢) مقدم: مسدود، والقدام هو: السدادة، والمثلثوم: الذي وضع عليه اللثام

وهو كالقدام (٣) السباب: جمع سبية، وهي الجبل (٤) الجريال: الحجر

وأشد الحارث بن خالد أبياته :

إني وما نَحَرُوا غَدَاةَ مِنِّي

لسيد الله بن عمر ، فلما بلغ إلى قوله :

لَعَرَفْتُ مَغْنَاهَا بِمَا احْتَمَلْتُ مِنِّي الصُّلُوعُ لِأَهْلِهَا قَبْلُ

قال له ابن عمر : قل إن شاء الله ، قال : إذا فسد الشعر يا أبا عبد الرحمن ،

فقال : لا خَيْرَ في شيء يُفسده إن شاء الله .

[تشبيب الحارث بن خالد] -

وكان الحارث بن خالد أحد المجيدين في التشبيب ، ولم يكن يعتقد شيئاً من ذلك ، وإنما يقوله تظرفاً وتخلعاً ؛ وكان أكثر شعره في عائشة بنت طلحة ، فلما قُتِلَ عنها مُصْعَبُ بن الزبير قيل له : لو خطبتُها ! قال : إني لا أكره أن يتوهم الناسُ عليّ أني كنت معتقداً لِمَا أقول فيها ، وهو القائل :

يا أمَّ عِمْرَانَ مَا زَالَتِ وَمَا بَرِحَتْ بنا الصَّبَابَةُ حَتَّى مَسَّنَا الشَّفَقُ^(١)

القلبُ تَقَى إِلَيْكُمْ كَيْ يَلَاقِيَكُمْ كما يَتَوَقُّ إِلَى مَنَجَاتِهِ الفَرَقُ^(٢)

تُوفِيكَ شَيْئاً قَلِيلاً وَهِيَ خَائِفَةٌ كما يَمَسُّ بِظَهْرِ الحَيَّةِ الفَرَقُ^(٣)

أخذ هذا الطائي فخسه فقال :

تَأْتِي عَلَى التَّصْرِيدِ إِلَّا نَائِلًا إِلَّا يَكُنُّ مَاءَ قَرَا حَا يُمَذَّقُ^(٤)

تَزْرَأُ كما استكرهت عابرة نَجْجَةٍ من قَارَةِ النِّسْكِ التي لم تُفْتَقِ

وحجبت عائشة بنت طلحة ، فوجه إليها يستأذنها في الزيارة ، فقالت : نحن

حرام ، فأخر ذلك حتى نحل ، فلما أحلت أذبلت ولم يعلم ، فكتب إليها :

ما ضَرَكُمُ لَوْ قَلْتُمْ تَسُدُّدًا إنَّ المنيَّةَ عاجلٌ غَدُّها^(٥)

ولها علينا نعمة سلفت لنا على الأيام نجحدها

(١) الشفق : الخوف (٢) تاق : اشتاق (م) (٣) الفرق : الخائف (٤) التصريد .

التقليل ، وإسقاء مالا يروى (م) . (٥) سددا : يريد كلاما مستقيا لا تخيره (م) .

لو تَمَّتْ أسبابُ نِعْمَتِها تَمَّتْ بِذلكَ عنــدنا يَدُها
إني وإياها كَفَتَيْنِ بالنـارِ تَحْرِقُهُ وَيَعْبُدُها

[من أخبار ابن أبي عتيق وعائشة بنت طلحة]

وابنُ أبي عتيق هذا هو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ،
رضي الله عنه ! وكان من أفاضل زَمَانِهِ عِلْمًا وَعِفَافًا ، وكان أخلَى الناسُ فُكَاهَةً ،
وأظرفهم مِزَاحًا ، وله أخبارٌ مستظرفةٌ سيمرُّ منها ما يُستحسن إن شاء الله .

روى الزبير بن أبي بكر أنه دخل على عائشة — يعني بنت طلحة ، رضي الله
عنهما ! — وهي لمبها ؛ فقال : كيف أنت جُيئتُ فذاك ؟ قالت : في الموت ، قال :
فلا إذا ، إنما ظننت في الأمر فسحةً ، فضحكت ، وقالت : ماتدعُ مزحك بحال .
وفيه يقول عمر بن أبي ربيعة القرشي :

ليت شعري هل أقولن لركب بفلاحةٍ همٌ لديها خشوعُ
طلما عرستم فاستقلوا حان من نجمِ الثريا طُوعُ
إن همي قد نقي النوم عني وحديثُ النفسِ مني يرُوعُ
قال لي فيها عتيقٌ مقالاً فجرتُ مما يقولُ الدموعُ
قال لي : ودعْ سليبي ودعها فأجاب القلبُ : لا أستطيعُ
لا تُلني في اشتياقي إليها وابك لي مما تجنُّ الضلوعُ

[مُثل من التعريض]

قال أبو العباس محمد بن يزيد^(١) قوله : « حان من نجم الثريا طوع » كناية ، وإنما

(١) أبو العباس محمد بن يزيد ، هو المعروف بالبرد ، كان شيخ أهل النحو
والعربية ، وإليه انتهى عليها بعد طائفة أبي عمر الجرمي وأبي عثمان اللزني ، وقد أخذ
عنه ما وعن أبي حاتم السجستاني وغيرهم ، ومات في شوال من سنة ٢٨٥ الهجرة (م)

يريد الثريا بنت علي بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر، وكانت موصوفةً بالجمال، وتزوجها سهيل بن عبد الرحمن بن عوف الزهري، فنقلها إلى مصر، وفي ذلك يقول عمر، وضرب لها المثل بالنجمين :

أيها المنكح الثريا سُهَيْلاً عمرك الله كيف يلتقيان
هي شامية إذا ما استقلت وسهيل إذا استقل يمانى

بين الثريا بنت علي والوليد بن عبد الملك .
فأت سُهَيْلَ عِنهَا ، أَوْ طَلَّقَهَا ، فَخَرَجَتْ إِلَى الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَهُوَ خَلِيفَةُ دِمَشْقَ تَطْلُبُ فِي دِينَ عَلَيْهَا ، فَبَيْنَا هِيَ عِنْدَ أُمِّ الْبَنِينَ ابْنَةِ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِذْ دَخَلَ الْوَلِيدُ فَقَالَ : مَنْ هَذِهِ عِنْدِكَ ؟ قَالَتْ : الثُّرَيَّا ، جَاءَتْكَ تَطْلُبُ فِي دِينَ ارْتَكَبَهَا ، فَأَقْبَلَ الْوَلِيدُ عَلَيْهَا ، فَقَالَ : أَتُرَوِّينِ مِنْ شَعْرِ عُمَرَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ شَيْئًا ؟ قَالَتْ : نَعَمْ ، أَمَا إِنَّهُ رَحِمَهُ اللَّهُ كَانَ عَفِيفًا ، عَفِيفَ الشَّعْرِ ، أُرَوِّى لَهُ قَوْلَهُ :

مَا قَلَى الرَّثْمِ بِالْبَلْبِينِ لَوْ بَسَّيْنِ رَجَعَ السَّلَامُ أَوْ لَوْ أَجَابَا
فَأِنِّي قَصْرِي ذِي الْمَشِيرَةِ بِالصَّا فَمِنْ أَمْسَى مِنَ الْأَنْبَسِ يَبَابَا
وَبِمَا قَدْ أَرَى بِهِ حَتَّى صِدْقٍ ظَاهِرِي الْعَيْشِ نَعْمَةٌ وَشَبَابَا
وِحَسَانًا جَوَارِيَا خِفْرَاتٍ حَافِظَاتٍ عِنْدَ الْمَوَى الْأَحْسَابَا
لَا يُكْثَرْنَ بِالْحَدِيثِ وَلَا يَتَّعْنَ بِالْبِهَامِ الظَّرَابَا^(١)

فلما خلا الوليد بأم البنين قال : لله درُّ الثريا ؛ أتدريين ما أرادت بإنشادها ما أنشدت من شعر عمر ؟ قالت : لا ، قال : فأني لما عرضت لها بعمر عرضت بأن أمي أعرابية ؛ وأم الوليد ولادة ابنة العباس بن جزء بن الحارث بن زهير العبسي، وهي أم سليمان، ولا تعلم امرأة ولدت خليفتين في الإسلام غيرها، وغير الخيزران، وهي سبيبة من خرشنة، ولدت موسى الهادي وهارون الرشيد ابني محمد المهدي، وشاهسفرم بنت فيروز بن يزدجرد بن شهر يار بن كسرى أبرويز؛ فإنها

(١) الظراب : جمع ظرب - بزنة كتف - وهو الجبل النبط ، أو الراية

ولدت للوليد بن عبد الملك يزيد بن الوليد الناقص وإبراهيم بن الوليد المخلوع ؛
جلس في الخلافة بعد أخيه يزيد مدة يسيرة ، ثم جاء مروان بن محمد بن مروان
آخر ملوك بني أمية فخلعه ووُلِّي بعده .

وشبهه بقول الثريا في باب التعريض أنه دخلت عزة على عبد الملك بن
مروان ، فقال لها : أنت عزة كثير؟ قالت : أنا أم بكر الضميرية ، قال لها :
يا عزة ؟ هل تروين من شعر كثير شيئاً ؟ قالت : ما أعرفه ، ولكن سمعت
الرواة ينشدون له :

قضى كل ذي دين فوفى غريمه وعزة مطولٌ ممتنى غريمها
قال : فتروين قوله :

وقد زعمت أني تغيرت بعدها ومن ذا الذي ياعز لا يتغير
تغير حالي والخليقة كالذي عهدت ولم يُخبّر بسكر مُخبّر
قالت : ما سمعت هذا ، ولكن سمعتهم ينشدون :

كأنى أنادى صخرة حين أعرضت من الصم لو تمشي بها العضم زلت (١)
غضوباً فما تلقاك إلا بنجيلة فمن ملّ منها ذلك الوصل ملّت (٢)

[بعض أخبار عمر بن أبي ربيعة وغزله]

قال : وكلُّ ما ذكر ابنُ أبي ربيعة في شعره من عتيق ، أو أبي عتيق ، فإنما
هو ابنُ أبي عتيق ، وكان عمرُ بن عبد الله بن أبي ربيعة ، وأسمُ أبي ربيعة حذيفة ،
ابن المغيرة بن عبد الله [بن عمر] بن مخزوم ، ويكنى أبا الخطاب ، أمه أم ولد
سبية من حضرموت ، ويقال من حمير ، ومن ثم أتاه الفزَل ؛ لأنه يقال : « عَشِقُ
يماني ، ودلُّ حجازي » . قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي :

(١) كأنى أنادى صخرة : يريد أنها لا تجيب النداء ، والصم : جمع أصم أو صماء ،
والعضم : جمع أعصم ، وهو من الوعول والظباء ما في ذراعيه أو أحدها يياض
وسائرُه أسود (م) (٢) في الأغاني وغيره « صفوحاً فما تلقاك إلا بنجيلة » (م) .

إن قلبى بالتلُّ تَلُّ عَزَازٍ مع ظَنِي من الظباء الجوازي^(١)
شَادِنٍ لم يَرَ العِراقَ وفيهِ معَ ظَرْفِ العِراقِ دَأُّ الحِجَازِ
وقال الطائي وذكر نفسه :

قد نَقَّفتُ مِنْهُ الحِجَازُ ، وَسَهَّتُ منه العِراقُ ، ورَقَّقته المَشْرِقُ^(٢)
وهجرت الثريا عَمَرَ ، قال :

قال لي صاحبي ليتعلم ما بي : أَتُحِبُّ القَتُولَ أختَ الرِّبَابِ ؟
قلتُ : وَجَدِي بِهَا كَوَجْدِكَ بِالْمَا إِذَا مَا قَدتُ بَرْدَ الشَّرَابِ
أزَهَقَتْ أُمُّ نَوْفَلٍ إِذِ دَعَتْهَا مُهْجَتِي ، مَا لِقَاتِي مِنْ مَتَابِ
أبرزوها مثلَ المِياهِ تَهَادَى يَينَ خَمْسِ كَواعِبِ أَتْرَابِ
وهي مَكْنُونَةٌ تَحَدَّرَ مِنْهَا فِي أديمِ الخَدَّينِ ماءُ الشَّبَابِ
ثم قالوا : تَحِبُّهَا ؟ قلتُ : بَهْرًا عَدَدَ الرَّمْلِ وَالْحَصَى وَالْأْرَابِ
ولما بلغ ابنَ أبي عتيق قولهُ :

مَنْ رَسولِي إِلى الثَريَا ؟ فَإِنِّي ضِيقُ ذِراعًا بِهَجْرِها وَالكِتابِ

قال : إِيَّاي أَراد ، وَبِي هَتَفَ وَنَوَّه ، لا جِزَمَ لا ذُقتُ طِعامًا أو أَشخَصَ إِليها ،
وَأَمْلَحَ بَيْنَهما ؛ قال مولى لَبْنِي تَمِيمَ : فَهَضَّ وَنَهَضَ مَعَهُ ، ثُمَّ خَرَجَ إِلى السُّوقِ إِلى
الضَمْرَتَيْنِ ، فَأَتَى قَوْمًا مِنْ بَنِي الدَّيْلِ بْنِ بَكْرِ يَكْرُونَ النِّجَابَ ، قال : بِكُمْ
تَكْرُوتِي راحِلَتينِ إِلى مَكَّةَ ؟ قالوا : بِكِذا وَكِذا دَرهما ، قلتُ لِبعضِ التِّجارِ :
اسْتَوْضِعُوا شَيْئًا ، قال ابنُ أَبِي عَتيقَ : وَيحك ! إِنَّ المِكَاسَ لَيسَ مِنْ أَخلاقِ
النَّاسِ^(٣) . ثُمَّ رَكِبَ واحِدَةً وَرَكِبْتُ أُخْرَى ، وَأَجَدَ السَّيْرَ ، قلتُ : ارْفُقْ بِنَفْسِكَ ،

(١) الجولزي : هي الظباء التي تحتزى بالمشب عن الماء

(٢) المشرق : مخلاف باليمن (٣) المكاس : الشدة في الأخذ والعطاء

قال : ويحك ! أبادر حَبْلَ الوصل أن يتغصبا . وما أملح الدنيا إذا تمَّ الوصلُ
بين عمر والثريا ! قدمننا مكة وأتى بابَ الثريا ، فقالت : والله ما كنتَ لنا زوّاراً ،
قال : أجل ، ولكن جئتُ برسالة ، يقول لك ابن عمك عمر : ضيقتُ ذرعاً
بهجرها والكتاب . فلامه عمر ، فقال ابن أبي عتيق : إنما رأيتك مبادراً تلتئميسُ
رسولاً ، فحفتُ في حاجتك ، فإنما كان ثوابي أن أشكر .

ووصف ابن أبي عتيق لعمر امرأة من قومه ، وذكر جمالاً راتماً ، وعقلاً
فاتحاً ، فرآها عمر ، فشببها ؛ فغضب ابنُ أبي عتيق وقال : تشببُ بامرأة من
قومي ؟ فقال عمر :

لا تُلني عتيقُ حَسبي الَّذي بي إنَّ بي يا عتيقُ ما قد كَفاني
إن بي مُضمرًا من الحب قد أبلى عظامي مضمونهُ وبراني
لا تُلني فانتَ زينتها لي
قال ابن أبي عتيق :

أنتَ مثلُ الشيطانِ للانمان

قال عمر : هكذا وربّ الكعبة قلت .

قال ابن أبي عتيق : إن شيطانك وربّ القبر بما ألم بي !
وحجّت رملة بنت عبد الله بن خلف أخت طلحة الطلحات ، قال
عمر فيها :

أصبح القلبُ في الحبال رهيناً مقصداً يوم فارّق الظاعينا
ولقد قلت يوم مكة سيراً قبل وشكٍ من بينكم نوليناً
أنت أهوى العباد قرباً وبعداً لو تواتينَ عاشقاً محزوناً
قاده الحينُ يوم سرنا إلى الحجِّ جهاراً ولم يخف أن يحينا
فاذا نعجة تراعى نجاجاً ومهاً تجلّ النواظر عيناً
فَسَبْتِي بمقلةٍ ومجيدٍ وبوجهه يضيء لناظرينا

قلتُ من أتمُّ فصَدَّتْ وقالتُ أميدُ سؤالكِ العالمين^(١)
قلتُ باللهِ ذي الجلالِ لما أن تَبَلَّتِ الفؤادَ أن تصدقينا
أى من تجمع الموائيمُ أنتمُ فأبني لنا ولا تكذينا
فأنت حِرْصِي الفتاةُ ، قالتُ أخبريه بعلم ما تكتمينا
نحن من ساكنى العراقِ ، وكنا قبلها قاطنين مكة حينما
قد صدقناك إذ سألت فمن أنت عسى يجر شأنُ شؤونا
ونرى أننا عرَّفناك بالذمتِ ظنوناً وما قتلنا بقيسنا
بسـ وادِ الثنيتينِ ونعتِ قد نراه لناظر مستينا
قولها : « وكنا قبلها قاطنين مكة حيناً » أرادت إذ كانت مكة لخزاعة .
وكان آخر من نبذ مفتاح الكعبة من خزاعة أبو غبشان ، فباعه من قصى بزيق
خمر ؛ قيل في المثل : « أخسر صفقة من أبي غبشان » . وكان أبو غبشان
إذ باع المفتاح قُصياً مريضاً قد يئس من نفسه ، فلما أبل من مرضه لانه قومه ،
وسأله استرجاعه ، وذلك الذى هاج الحرب بين خزاعة وقريش ، فظفر قصى
وامتولى على مكة ، وجمع قريشاً بها ؛ ولذلك سمي مجمماً ، قال مطرف الخزاعي :
أبوكم قصى كان يدعى مجمماً به جمع الله القبائل من فهر
وقال الطائي :
ولما نضاً ثوبَ الحياةِ وأوقعتُ به نائباتُ الدهرِ ما يتوقعُ
غدا ليس يدرى كيف يصنعُ مُعْظِمُ ذرى دَمعه في خدِّه كيف يصنعُ
ولم أنس سعى الجودِ خلف سريره ولم أنس سعى الجودِ خلف سريره
وتصكيره خمساً عليه معاً لنا وإن كان تكبير المصلين أربع^(٢)
وما كنتُ أدرى يعلم الله قبلها بأن الندى في أهله يتشيعُ

صفقة أى
غبشان الذى
باع مفتاح
الكعبة

(١) أميد سؤالك العالمين : أى هل أنت مقسمه بددا وتفاريق على الناس بحيث
يجمعهم جميعاً (٢) يستقل ويطلع : ينهض ويستقط

غَدَاً فِي زَوَايَا نَعِشِهِ وَكَأَنَّمَا قَرِيشٌ قَرِيشٌ يَوْمَ مَاتَ مُجَمِّعٌ
وقال الشاعر في أمر قصي وأبي غبشان :

أَبُو غُبَشَانَ أَظْلَمُ مِنْ قَصِيٍّ وَأَظْلَمُ مِنْ بَنِي فَهْرِ خِزَاعِهِ
فَلَا تَلْحَوْا قُصِيًّا فِي شِرَاهُ وَلَوْمُوا شَيْخَكُمْ إِذْ كَانَ بَاعَهُ
وكان عمر أسود الثنيتين .

قال مولى ابن أبي عتيق بلال : أتيتُ الثريا مسلماً عليها ، فقالت : أنشدني
لعمر ، فأنشدتها :

* أَصْبَحَ الْقَلْبُ فِي الْجِبَالِ رَهِينًا *

فقلت الثريا : إى والله ، لئن سلّمت له لأردنن من شأوه ، ولأئنين من
عنانه ، ولأعرفنه نفسه ! فمررت فيها حتى انتهيت إلى قوله :

قُلْتُ مَنْ أَنْتُمْ فَصَدَّتْ وَقَالَتْ أُمْبَدٌ سَوْءَ الْكَالِ الْعَالِيْنَا

فقلت : أو قد أجابته بهذا ؟ أى وقت ؟ فلما انتهيت إلى قوله :

* وَتَرَى أَنَا عَرَفْنَاكَ بِالنَّعْتِ *

قالت : جاءت النوكاءُ بآخر ما عندها في مَوْقِفٍ وَاحِدٍ^(١) .

وسأله أخوه الحارث - وهو المعروف بالقُبَاع ، وكان من أفاضل أهل دهره - أن
يترك الشعر ، ورغب إليه في ذلك ، ووعظه ، فقال : أما ما دمتُ بمكة فلا
أقدرُ ، ولكنى أخرج إلى اليمن ، فخرج ؛ فلما سار إلى هناك لم تدعهُ نفسه وترك
الشعر ، فقال :

هِيَهَاتَ مِنْ أُمَّةِ الْوَهَابِ مَنَزَلْنَا إِذَا نَزَلْنَا بِسَيْفِ الْبَحْرِ مِنْ عَدَنِ^(٢)
وَاحْتَلَّ أَهْلُكَ لُجِيادًا ، وَلَيْسَ لَنَا إِلَّا التَّذْكَرُ أَوْ حِظٌّ مِنَ الْحَزَنِ
بَلْ مَانَسِبَتْ غَدَاةُ الْخَلِيفِ مَوْقِفَهَا وَمَوْقِفِي ، وَكِلَانَا ثُمَّ ذُو شَجَنِ

(١) النوكاء : الحفقاء (٢) سيف البحر - بكر السين - ساحله

وقولها لثريا وهي مطرقة^(١) والدمع منها على الخلد^(٢) من ذوسنن^(١)
 بالله قولي له في غير معتبة ماذا أردت بطول المكث في اليمن
 إن كنت حاولت دنيا وظفرت بها فما أخذت بترك الحج من ثمن
 فلما بلغ الشعر الحارث قال : قد علمنا أنه لا يفنى^(٢).

بين ابن جريج
 ومعن بن أوس

وروى سفيان بن عيينة عن ابن جريج قال : لزمني دين مرة فضأقت
 ساحتي وبلادي بي ، فتوجهت إلى معن بن زائدة باليمن ، فقال : ما أقدمك
 هذه البلدة ؟ قلت : دين طردني عن وطني ، قال : يقضى دينك ، وترد إلى
 وطنك محبوا محبورا ، قال : فأمت عنده ، ثم رأيت الناس يرحلون إلى الحج ،
 فحنت إلى مكة ، وذكرت قول ابن أبي ربيعة ، وذكر الأبيات ... فأتيت باب
 معن ، فقلت للحاجب : استأذن لي على الأمير ، فلما دخلت عليه قال : إن
 لك لحادث خبر ! قلت : أستودع الله الأمير وأستحفظه عليه . قال : وما حاج
 هذا منك ؟ قلت : رأيت خروج الناس إلى الحج ، وذكرت قول عمر ؛ فحنت
 إلى مكة ، فقال : أنت وحنينك ، وإن كنت بفراقك ضينا ، وسيتبعك
 ما تحتاج إليه ؛ فسر مصاحبا ، قال : فسرت إلى رخلي ، فأتبعني بمال وثياب
 ومطايا ودواب ، وسرت إلى مكة من فوري .

عفة عمر

وكان عمر - على غزله ، وما يذكره في شعره - عفيفا . حدث المغيرة بن عبد الرحمن
 عن أبيه قال : دخلت مع أبي مكة ، فجاءه عمر ، فسلم عليه ، وأنا غلام شاب
 وعلى جبة ، فجعل يأخذ بخصلة من شئري فتمتد في يده ، ثم يرسلها فترجع ،
 فيقول : واشباباه ! فقال لي : يا ابن أخي ، قد سمعت قولي : « قلت لها وقالت لي » ؛
 وكان ملك لي حر إن كنت قط كشفت عن فرج حرام ! قال : ففمت وفي

(١) السنن : الطرائق (٢) ارجع إلى نقض هذا الرأي في كتاب « حب ابن
 أبي ربيعة وشعره » في الفصل الذي عنوانه « الجوانب الجديدة في حياة ابن أبي ربيعة »

نَفْسِي مِنْ يَمِينِهِ شَيْءٌ ؛ فَسَأَلْتُ عَنْ رَقِيقِهِ ، فَقِيلَ لِي : أَمَا فِي هَذَا الْحَوْلِ فَسَبْعُونَ .

ويستحسن قول عمر في المساعدة :

وَإِذَا كُنْتُ عَيْنَ النَّصْحِ مِنْهُ إِذَا نَظَرْتُ وَمُسْتَمِعًا مُطِيعًا
أَطَافَ بِفِيئَةٍ فَفَنَيْتُ عَنْهَا وَقَلْتُ لَهُ : أَرَى أَمْرًا شَنِيعًا
أَرَدْتُ رِشَادَهُ جَهْدِي ، فَلَمَّا أَبِي وَعَصَى أَتَيْنَاهَا جَمِيعًا

وهذا مأخوذ من قول دريد بن الصمة الجشمي (١) :

أَمْرُهُمْ أَمْرِي بِمُنْعَرَجِ اللَّوِيِّ فَلَمْ يَسْتَبِينُوا الرُّشْدَ إِلَّا ضَحَا الْفَدِ
فَقُلْتُ لَهُمْ : ظَنُّوا بِالْفَيْ مُدَجِّجٍ سَرَاتُهُمْ فِي الْفَارِسِيِّ الْمَسْرِدِ (٢)
فَلَمَّا عَصَوْنِي كُنْتُ مِنْهُمْ وَقَدْ أَرَى غَوَايَتِهِمْ وَأَنْتِي غَيْرُ مُهْتَدِي
وَمَا أَنَا إِلَّا مِنْ غَزِيَّةٍ إِنْ غَوَتْ غَوَيْتُ ، وَإِنْ تَرَشَّدُ غَزِيَّةٌ أَرَشُدُ

ومن جيد شعره :

يَقُولُونَ إِنِّي لَسْتُ أَصْدُقُ فِي الْهَوَى وَإِنِّي لَا أَرَعَاكَ حِينَ أُغِيبُ
فَمَا بِالْطَّرْفِي عَفَا عَمَّا تَسَاقَطَتْ لَهُ أَنْفُسٌ مِنْ مَعَشِرٍ وَقُلُوبُ
عَشِيَّةً لَا يَسْتَنْكِرُ الْقَوْمُ أَنْ يَرَوْا سَفَاةَ حِجِّي مِمَّنْ يُقَالُ لِيْبِ
وَلَا فِتْنَةً مِنْ نَاسِكٍ أَوْ مَضَتْ لَهُ بَعَيْنِ الصَّبَا كَسَلَى الْقِيَامِ لَعُوبٌ (٣)
تَرْوِّحَ يَرْجُو أَنْ تُحَطَّ ذُنُوبُهُ فَآبَ وَقَدْ زِيدَتْ عَلَيْهِ ذُنُوبُ
وَمَا النَّسْكُ أَسْلَانِي ، وَلَكِنْ لِلْهَوَى عَلَى الْعَيْنِ مَتَى وَالْفَوَادِ رَقِيبُ

ونظر عمر بن أبي ربيعة إلى فتى من قريش يكلم امرأة في الطواف ، فعاب ذلك عليه ، فذكر أنها ابنة عمه ، فقال : ذلك أشنع لأمرك ، قال : إني خطبتها

(١) أحد الشعراء الأبطال ، غزا نحو مئة غزوة ، ولم ينجب في واحدة منها ، عمر طويل لا حق سقط حاجباه على عينيه ، أدرك الإسلام ولم يسلم ، قتل على دين الجاهلية يوم حنين (٢) ظنوا ، هنا معناها تيقنوا . والمدجج : التام السلاح . والمسرد : المحكم النسيج . وهو صفة للدرع (٣) أومضت له : سارفته النظر

إلى عمي ، وإنه زعم أنه لا يزوجني حتى أصدقها أربع مائة دينار ، وأنا غير قادر على ذلك ، وذكر من حاله وحبته لها ؛ فأتى عمرُ عمه ، فكلّمه في أمرها ، فقال : إنه مُطلق ، فزوجه ، وساقُ عمرُ عنه المهر .

وكان عمر حين أسنّ حَلْفَ الأَ يقول بيتا إلا أعتق رقبة ، فانصرف إلى منزله يحدث نفسه ، فبصّلت جاريته تكلمه ولا يجيبها ؛ فقالت : إن لك لثأنا ، وأراك تريد أن تقول شعرا ، فقال :

تقول وليدتي لما رأيتني	طربتُ؛ وكنتُ قد أقصرتُ حيناً
أراك اليوم قد أخذتِ أمراً	وهاج لك الهوى داء دفيناً
وكنت زعمت أنك ذو عزاء	إذا ماشئت فارقت القريناً
لعمرك هل رأيت لها سمياً	فشاقت أم لقيت لها خديناً
قلتُ : شكا إلى أخٍ محببٌ	كبهضِ زماننا إذ تعلّمينا
فقصّ عليّ ما يلقى بهندٍ	فذكر بعض ما كنا نسينا
وذو الشوق القديم وإن تمزى	مشوق حين يلقى العاشقينا
فكم من خلةٍ أعرضت عنها	لغير قلى ، وكنتُ بها ضنيناً
أردت بعادها فصددتُ عنها	وإن جنّ الفؤادُ بها جنوناً
ثم دعا تسعة من رقيقه فأعتقهم .	

قال عثمان بن إبراهيم : حججت أنا وأصحابنا لنا ، فلما رجعنا من مكة مررنا بالمدينة ، فرأينا عمر بن أبي ربيعة ، وقد نسك وترك قول الشعر ، فقال بعضنا لبعض : هل لكم فيه ؟ فقلنا إليه ، وسلمنا عليه ، وجلسنا وهو ساكت لا يكلمنا . فقال له بعضنا : أيعجبك قول الفرزدق :

سرت لعينيك سلمى بعد مفاها	فبت مُستلهاً من بعد مسراها
قلتُ : أهلاً وسهلاً! من هداك لنا ؟	إن كنت تمشالها أو كنت إياها
تأى الرياح التي من نحو بلدكم	حتى تقول : دنت منا بريها

وقد تراخت بهم عنانوى قذف^(١) هيات مصبها من بعد ممساها^(١)
 من أجلها أمتنى أن يلاقيني من نحو بلدتها ناع فينماها
 كيا أقول: افتراق لا اجتماع له، وتضمر النفس ياساً ثم تسلاها
 ولو تموت لراعنى وقلت لها: يا بؤس للدهر ليت الدهر أبقاها

فلم يهش لذلك! فقال الآخر: أيعجبك قول العذرى:

لو حز بالسيف رأسى فى مودتها مرّ يهوى سريعاً نحوها راسى
 ولو بلى تحت أطباق الثرى جسدى لكنت أنبى وما قلبى لكم ناسى
 أو يقبض الله روى صار ذكركم روى أعيش به ما عشت فى الناس
 لولا نسيم لذكراكم يروحنى لكنت محترقا من حر أنفاسى

فتحرك ثم قال: يا وَيحَه! أبعده ما يحز رأسه يميل إليه؟

ثم أنشأ يحدثنا، فقال: أتانى خالد الدليل، فقال: إن هندا وأثرابها بموضع
 كذا وكذا من الصحراء أيام الربيع، فقلت: كيف الحيلة؟ فقال: تتنم وتكتفل^(٢)
 كأنك طالب ضالة، ففعلت، فدفعت إليهن، فقلن: يا أعرابى، ماتطاب؟ قلت:
 ضالة لى، فقلن: قد كليت يا أعرابى، فو جلست فأصبت من حديثنا وأصبنا من
 حديثك، ولعلك تروح إلى وجود ضالتك، فنزلت؛ فلما امتد الحديث بنا حسرت
 هند لثامى، وقالت: أتراك خدعتنا؟ نحن والله خدعناك، وبعثنا إليك خالدا،
 رأينا خلاء ومنظراً فأردناك، ونظرت فى درعى فأعجبنى ما رأيت، فقلت:
 يا أبا الخطاب! قال عمر: فقلت: لتبيك، وفى ذلك أقول:

ألم تسأل الأطلال والمتربعا يبطن حليات دوارس بلقما^(٣)

(١) نوى قذف: بيعة

(٢) اكتفل: ركب فوق الكفل. بالكسر، وهو شىء مستدير يتخذ من

خرق أو غيرها ويوضع على سنام البعير (٣) حليات: اسم موضع

إلى السَّرح من وادي المغس بدلت
 فيخَلنَ أو يخبرن بِالْعِلْمِ بَعْدَمَا
 هُنْدٍ وَأَتْرَابٍ لِهَنْدٍ إِذِ الْهَوَى
 وَإِذْ لَا نَطِيعُ الْعَاذِلِينَ وَلَا زَى
 وَإِذْ نَحْنُ مِثْلُ الْمَاءِ كَانَ مِزَاجُهُ
 تُنَوِّعُنَّ حَتَّى عَاوَدَ الْقَلْبَ خَبْلُهُ
 قَلَّتْ لِمَطْرِيهِنَ بِالْحُسْنِ : إِنَّمَا
 وَأَشْرَيْتَ فَاسْتَشْرَى وَقَدْ كَانَ قَدَحًا
 لَنْ كَانَ مَا حُدِّثْتُ حَقًّا فَمَأْرَى
 قَالَ : قَمِ فَانظُرْ، قَلَّتْ : وَكَيْفَ لِي
 قَالَ : اكَتْفَلْ ثُمَّ التَّمُّ فَاتِ بَاغِيَا
 فَاقْبَلْتُ أَهْوَى مِثْلَ مَا قَالَ صَاحِبِي
 فَلَمَّا تَوَاقَفْنَا وَسَلَّتْ أَقْبَلْتُ
 تَبَالَهَنَ بِالْعِرْفَانِ كَمَا رَأَيْتَنِي
 وَقَرَّبْتَنَ أَسْبَابَ الْهَوَى لِمَتِّمٍ
 فَلَمَّا تَنَازَعَنَ الْأَحَادِيثَ قُلْنَ لِي

مَعْلُهُ وَبِلَاءٌ وَنَكْبَاءٌ زَعَزَعَا^(١)
 نَكَانَ فَوَادًا كَانَ قَدِيمًا مُوجَعًا^(٢)
 جَمِيعٌ وَإِذْ لَمْ تَخْشَ أَنْ يَتَصَدَّعَا
 لَوَاشٍ لَدَيْنَا يَطْلُبُ الْمَجْرَ مَطْمَعَا
 كَمَا صَفَّقَ السَّاقِي الرَّحِيقَ الْمُشْعَشَعَا
 وَحَتَّى تَذَكَّرْتَ الْحَيْبَ الْمَوْدَعَا
 ضَرَّرْتَ، فَهَلْ تَسْطِيعُ نَفْعًا فَتَنْفَعَا؟
 فَوَادٌ بِأَمْثَالِ الْمَهَا كَانَ مُوَلَعًا^(٣)
 كَمِثْلِ الْأَلَى أَطْرَيْتَ فِي النَّاسِ أَرْبَعًا^(٤)
 أَخَافُ حَدِيثًا أَنْ يَشَاعَ فَيَشْنَعَا
 فَسَلِّمْ وَلَا تُكْثِرْ بَأْنَ تَتَوَرَّعَا
 لِمَوْعِدِهِ أَهْبَى قَلُوصًا مَوْقَعًا^(٥)
 وَجُودَ زَهَاهَا الْحُسْنِ أَنْ تَتَقَنَّعَا
 وَقَلْنَ : أَمْرٌ وَبَايَعٌ أَكَلٌ وَأَوْضَعَا^(٦)
 يَبْقِيسُ ذِرَاعَا كَمَا قِيسَ إِصْبَعَا
 أَخَفَّتْ عَلَيْنَا أَنْ نُفَرَّ وَنُخَدَّعَا

(١) المغس : موضع قرب مكة في طريق الطائف، والنكباء : الريح التي تتكبد عن مهاب الرياح، وريح زعزع : شديدة
 (٢) نكأ الجرح : أصابه من جديد (٣) أشربته فاستشري : هجته فهاج، وشري الشر ، على وزن رضى ، استطار . وشري زيد : غضب ورج ، ومثله استشري ، ومنه الشراة للخوارج ، سموا بذلك للجاجتهم وإمعانهم في الخروج ، لأنهم شروا أنفسهم وباعوها في الطاعة كما وهم بعض الناس (٤) الإطراء : المبالغة في الثناء
 (٥) الموقع : البعير تكثر عليه آثار الدبر (٦) أكل راحلته وأوضعا : أتعبا

فبالأمس أرسلنا بذلك خالداً
فما جئتنا إلا على وفنٍ موعدي
رأينا خلاء من عيونٍ ومنظراً
وقلن : كريمٌ نال وصلَ كرائمِ
إليك ، وبيننا له الأمرَ أجمعاً
على ملأٍ منّا خرَجنا له معاً
دميئ الربى سهل المحلة مُمرِعا^(١)
فحق له في اليوم أن تمتعاً
وقوله : « وجوه زهاها الحسن أن تنقعا » يقول : هذه الوجوه مُدلةٌ بجهاها
فلا تختمر ، فتستر شيئاً عن الناظرين إليها . وقد أشار إلى هذا المعنى الشماخ بن
ضِرَّار^(٢) يصف ناقه :

كَأَنَّ ذِرَاعَيْهَا ذِرَاعُ مَدِيلَةٍ
بُعَيْدَ الشَّبَابِ حَاوَلَتْ أَنْ تُعْذَرَ^(٣)
مِنَ الْبَيْضِ أَعْطَافًا إِذَا اتَّصَلَتْ دَعَتْ
فِرَاسَ بْنِ غَنَمٍ أَوْ نَقِيطَ بْنِ يَمْرُأَ
بِهَا شَرْقٌ مِنْ زَعْفَرَانٍ وَعَنْبِرٍ
أَطَارَتْ مِنَ الْحَسَنِ الرَّدَاءَ الْحَبْرَا

[مَنْ لَا تَرَى سِتْرَ الْوَجْهِ مِنَ النِّسَاءِ ، وَاحْتِجَاجَهَا لِذَلِكَ]

قال : وكانت عائشة بنت طلحة بن عبيد الله لا تستر وجهها ، فلما دخلت
على مُصعب بن الزبير قال لها في ذلك ، فقالت : إن الله تعالى وسمي بميسم جمال ،
فأحببت أن يراه الناس ، والله ما بي وصمة أستر لها .

وقال علي بن العباس الرومي يصف قينة :

لَمْ يَمْتَصِّمْ عَوْدُهَا بِزَامِرَةٍ وَلَا انضَوَى وَجْهَهَا إِلَى السِّتْرِ
وقد ردد معنى قوله : « لم يعتصم عودها بزامرة » فقال : يصف برعة
الكبيرة :

غنت فلم تحوج إلى زامير هل تحوج الشمس إلى شمعه

(١) دميئ : سهل . والمرع : الخصب

(٢) هو معقل بن ضيرار . المتوفى سنة ٢٢ ، كان أرجز الناس على البدية ، شهد

القادسية ، وتوفى في غزوة موقان (٢) في نسخة « ذراعا مدلة » (م)

كأنما غنت لشمس الضحى كأنما رنة مسموعها
 كأنما رنة مسموعها كأنما رنة مسموعها
 كأنما رنة مسموعها كأنما رنة مسموعها
 كأنما رنة مسموعها كأنما رنة مسموعها
 كأنما رنة مسموعها كأنما رنة مسموعها
 كأنما رنة مسموعها كأنما رنة مسموعها
 كأنما رنة مسموعها كأنما رنة مسموعها
 كأنما رنة مسموعها كأنما رنة مسموعها
 كأنما رنة مسموعها كأنما رنة مسموعها
 كأنما رنة مسموعها كأنما رنة مسموعها

[ستر الرأس لإخفاء الصلح]

وكان ابن الرومي لا يزال معتماً ، وكان يفضب إذا سئل عن ذلك ، وسأله
 بعض الرؤساء: لِمَ تَعْتَمُ؟ فقال بديها:

يأتيها السائل لأخبره عني لِمَ لا أراك مُعْتَجِراً
 أستر شيئاً لو كان يمكنني تعريفه السائلين ما سترًا
 وقد بين العلة التي أوجبت اهتمامه في قوله:

تعمت إحصاناً لرأسي برهةً من القرّ يوماً والخُرُورِ إذا سَفَعُ
 فلما دهي طولُ التعممِ لِمَتِي وأودى بها بعد الإطالة والفرع
 عزمت على لبسِ العمامة حيلةً لتستر ما جرّت عليّ من الصلح
 فيالك من جانٍ عليّ جنايةً جعلت إليه من جنابته الفرع
 وأعجب شيء كان داني جعلته دَوَانِي على عمدٍ وأعجبُ بأنْ نَفَعُ

وهذا كقوله ، وإن لم يكن في معناه ، وقد رأيت من ينسبه إلى كشاجم:

طرّبتُ إلى المِرَاةِ فرَوَّعَتِي طوالِحُ شيبين أمتًا بي
 فأما شيبَةٌ ففرّعتُ منها إلى المقرّاضِ حُبًّا للتصابي

(١) التطفيل: غشيان الوليمة من غير دعوة

(٢) النجعة: الارتحال في سبيل الكلا

وأما شَيْبَةُ فصفحتُ عنها تُشهد بالبراءة من خِصَابِي
فأعجبُ بالدليلِ على مَشِيبي أقتُ بهِ الدليلِ على شَبَابِي
وهو القائلُ في صفة رجل أصلع :
يجذب من نقرته طُرَّةٌ إلى مَدَى يقصرُ عن ميله
فوجهه يأخذُ من رأسِه أخذَ نهار الصَّيْبِ من ليلِه
وقال أعرابي :

قد ترك الدهرُ صفائي صَفَصَعًا فصار رأسي جبهةً إلى القفا^(١)
* كأنه قد كان رَبَّاعِنًا *

[من كلام الأعراب]

قال أعرابيٌّ لسليمان بن عبد الملك : إني أكلك يا أمير المؤمنين بكلام
فاحتمله ، فإن وراءه إن قبلته ماتحبه ، قال : ها تبه يا أعرابي ؛ فنحن نجودُ بسمعِ
الاحتمال على مَنْ لا نأمن غيبته ، ولا نرجو نصيحته ، وأنت المأمون غيباً ، الناصح
جيباً^(٢) . قال : فإني سأطلقُ لساني بما خرست عنه اللسان ، تاديةً لحق الله
تعالى ؛ إنه قد اكتنفتك رجالٌ أساءوا الاختيارَ لأنفسهم ، وابتاعوا دُنْيَاكَ بدينهم ،
ورضاكَ بسخطِ ربهم ، وخافوك في الله ولم يخافوا اللهُ فيك ، فهم حربٌ
للآخرة ، وسلمٌ للدنيا ، فلا تأمنهم على ما أتمنك اللهُ عليه ؛ فإنهم لم يَأْتُوا
الأمانةَ تضييماً ، والأمةَ كسفاً وخسفاً ، وأنت مسئول عما اجتموا ، وليسوا
مسئولين عما اجترمت ؛ فلا تُصلِّحْ دنياهم بفسادِ آخرتك ؛ فإن أعظم الناسِ
عند الله غبنًا مَنْ باعَ آخرته بدُنْيَا غيره .

فقال سليمان : أما أنت يا أعرابي فقد سللت لسانك وهو سَيْفُكَ ، قال :
أجل يا أمير المؤمنين ، لك لأعليك .

(١) الصفاة : الصخرة ، والمراد بها حال المرء (٢) نصح الجيب : كناية عن

وصف للمطر
لاعرابي

وروى العتيبي عن أبيه عن مولى لعمر بن حريث قال : شخصت إلى سليمان
ابن عبد الملك، فقيل لي : إنك ترد على أفصح العرب، وسيألك عن المطر، فانظر
ما تجيبه، فقالت : ما عندي من الجواب إلا الحمد الطمة، فقيل لي : ما ذلك
بمُتَّعِعه، فلتقيني أعرابي قلت : هل لك في درهمين؟ فقال : إني والله محتاج
إليهما، حريص عليهما، فما شأنك؟ قلت : لو سألك سائل عن هذا المطر
بم كنت تجيبه؟ قال : أو يعنيا بهذا أحد؟ قلت : نعم، سأئلك! قال : أتعيأ
أن تقول : أصابتنا سماء، عمد لها الثرى، واتصل بها العرسي، وقامت منها
القدر، وأنتك في مثل وجار الضبع، فكتبت الكلام، وأعطيتهم درهمين :
فكان هجيراً على الراحلة^(١)؛ فإذا نزلت أقبلت عليه وأمثل نفسي كأنني
واقف بين يديه، وقد سلمت عليه بالخلافة وهو يسألني عن المطر!

فلما انتهيت إليه سألتني فاقصصت الكلام، فكسر إحدى عينيه، وقال :
إني لأسمع كلاماً ما أنت بأبي عذرتي^(٢). قلت : صدقت! وحياتك يا أمير المؤمنين
اشتريت بدرهمين! فاستغرب ضحكاً، ثم أحسن صلتني.

وقال أعرابي يمدح رجلاً :

حليم مع التقوى، شجاع مع الجدا
ند حين لا يندى السحاب سكوب
ويجمل أموراً لو تصيفن غيره
لمات خفاناً أو لكاد يذوب
شديد مناط القلب في الموقف الذي
به لقلب العالمين وجيب
فتى هو من غير التخلق ماجد
ومن غير تأديب الرجال أديب

وقال بعض المحدثين يمدح :

أعرابي
تمدح رجلاً

(١) كان هجيراً على الراحلة : أي لم يزل يكرره وهو سائر

(٢) ليس بأبي عذرتي : ليس صاحبه . والعذرة : البكارة ، وهو أبو عذرة هذا

البكارة : أي أول من اقتض بكارته . . . يعني أنه مبتدئ

فَتِي يَجْعَلُ المَعْرُوفَ قَبْلَ سُؤَالِهِ وَيَجْعَلُ دُونَ العُذْرِ فَضْلَ التَّكْرِيمِ
أَغْرُهُ مَتَى تَقْصِدُ بِهِ فَضْلَ حِفْظِهِ تُصِيبُ وَمَتَى تَطْلُبُ بِهِ الفُتْمَ تَقْتَمِ
عَلَى رَأْيِهِ يَنْضَمُ مُنْصَدِعُ الصَّفَا وَبِنَحْلِ مَنْ عَمَدِ العُرَى كُلِّ مُبْرَمِ
لَهُ عَزْمَةٌ أَغْنَى مِنَ الجَيْشِ فِي الوَعَى وَخَطَرَةٌ رَأِيمِ كَالْحَسَامِ المَصْمَمِ

جملة من كلام أبي الفضل أحمد بن الحسين الهمداني^(١) بديع الزمان

وهذا اسمٌ وافق مُسَمَّاهُ ، ولفظٌ طابقَ مَعْنَاهُ ، وكلامٌ غَضُّ المَكاسِرِ ،
أَرِنِقُ الجِوَاهِرِ ، يَكَادُ الهِوَاءَ بِسِرْقَةٍ لُطْفًا ، وَالهَوَى بِعَشْقِهِ ظَرْفًا

ولما رأى أبا بكر محمد بن الحسين بن دريد الأزدي^(٢) أغرب بأربعين حديثاً ، وذكر كيف استوحى
أنه استنبطها من ينابيع صدره ، واستنخبها من معادن فكره ، وأبداها للأبصار صنع المقامات
والبصائر ، وأهداها للأفكار والضمائر ، في معارض أعجمية ، وألفاظ حوشية ، فجاء
أكثر ما أظهر تدبو عن قبوله الطباع ، ولا ترفع له حُجُبَهَا الأَسْمَاعُ ، وتوسّع فيها ؛
إذ صرف ألفاظها ومعانيها ، في وجوه مختلفة ، وضروب متصرفة ، عارضها
بأربعائة مقامة في الكذبية ، تذوب ظرفاً ، وتقطر حُسْنًا ، لامناسبة بين
المقامتين لفظاً ولا معنى ، وعطف مساجلتها ، ووقف مناقلتها ، بين رجلين سُمِّيَ
أحدهما عيسى بن هشام والآخر أبا الفتح الإسكندري ، وجعلهما يتهاديان الدُّرَّ ،
ويتنافثان السَّحْرَ ، في معانٍ تُضْجِكُ الحزِينِ ، وتحرك الرِّصِينِ ، يتطلع منها
كلَّ طريفة ، ويؤقف منها على كلِّ لطيفة ، وربما أفرد أحدهما بالحكاية ،

(١) هو أشهر كتاب القرن الرابع ، وأبquam أثراً . كانت وقائمه سنة ٣٩٨ وسيدحدث
عنه صاحب زهر الآداب في مواطن متفرقة (٢) ابن دريد هو محمد بن الحسن
« لا الحسين كما ورد في الأصل » المتوفى سنة ٣٢١ ، كان فيما وصفوه أعلم الشعراء
وأشعر العلماء

وخصّ أحدهما بالرواية ؛ وسأذكر منها ما لا يُخجل طوله بالشرط المقصود ، ولا ينافي حصوله الفرض المقصود^(١) .

كتب إلى أبي نصر أحمد بن علي الميكالي :

كتابي - أعز الله الأمير! - وبودي أن أكونه ، فأسعد به دونه ، ولكن الحريص محروم ، لو بلغ الرزق فاه ، لولاه قفاه . فرّق الله بين الأيام ، تفرّقها بين الكرام ، وألهمها أن تورد بعقل ، وتصدر بتمييز ، وما ذلك على الله بعزيز ، وأنا في مفاتيح الأمير ، بين ثقة تعد ، ويدي ترتعد ، ولم لا يكون ذلك ؟ والبحر وإن لم أره ، فقد سمعت خبره ، ومن رأى من السيف أثره ، فقد عاين أكثره ، والليث وإن لم ألقه ، فلم أجهل خلقه ، وما وراء ذلك من تاليد أصل وحسب ، وطارف فضل وأدب ، وبعد همة وصيت ، فمعلوم تشهد به الدفاتر ، والخبر المتواتر ، وتنطق به الأشعار ، كما تصدق به الآثار ، والعين أقل الحواس إدراكا ، والأذن أكثرها استمساكا ، وإن بعدت الدار فلا ضير ؛ إن أيسر البعدين بعد الدارين ، وخير القرين قرب القلبين .

وكتب إليه في سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة :

الأمير الفاضل ، والشبخ الرئيس ، رفيع مناصب الهمة ، بعيد منال الحرمة ، وفسيح مجال الفضل ، رحيب منخرق الجود ، رطيب مكسر العود

كتاب
من البديع
لأبي نصر
الميكالي

ومن البديع
إلى الميكالي أيضا

(١) مؤدى هذا الكلام أن بديع الزمان ليس مبتكر فن المقامات ، وأنه حاي ابن دريد في أحاديثه ؛ وقد استغللت هذا النص في كتابي الذي وضعته بالفرنسية عن النثر في القرن الرابع . وقد دهش المسيو مارسيه لهذه الفكرة ، وعجب كيف اتفق الناس إلى اليوم على أن البديع هو منشىء فن المقامات ، ولكني من جانب آخر أذكر أني لم أزمثل هذا الكلام في غير زهر الآداب ، ولا أزال أتلس له مصدراً آخر ، وم أعر على شيء إلى اليوم ، ويزيد في الدهشة أن صاحب زهر الآداب يروي المسألة على أنها مقبولة معروفة لمعنى بنقض ولا تكذيب ، وقد نقلها عنه ياقوب في معجم الأدباء

فَوَ نَظَمْتَ التُّرْبَا وَالشُّعْرَيْنِ قَرِيضَا
 وَكَاهِلِ الْأَرْضِ ضَرْبَا وَشَعْبِرَ ضَوْيَ عَرُوضَا
 وَصُفْتُ لِلدَّرِ ضِدًّا وَلِللَّهِ سَوَاءً تَقِيضَا
 بَلْ لَوْ جَلَوْتُ عَلَيْهِ سُودَ النَّوَابِ بِيضَا
 أَوْ ادَّعَيْتُ الثَّرِيًّا لِأَخْصِيهِ حَضِيضَا
 وَالْبَحْرِ عِنْدَ لَهَاؤُهُ يَوْمَ الْعَطَاءِ مَنِيضَا

لَا كُنْتُ إِلَّا فِي ذِمَّةِ الْقُصُورِ ، وَجَانِبِ الْمُتَقَصِّرِ ، فَكَيْفَ وَأَنَا قَاعِدُ الْحَالَةِ فِي
 الْمَدْحِ ، قَاصِرُ الْأَلَةِ عَنِ الشَّرْحِ؟ وَلَكِنِّي أَقُولُ : الثَّنَاءُ مُنْجِحٌ أُنَى سَلَكِ ، وَالسَّخَى
 جُودُهُ بِمَا مَلَكَ ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ غُرَّةً لِأُمَّةٍ فَلَمَّحَةٌ دَالَّةٌ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ صَدَاءً
 فَمَا^(١) ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ خَمْرُ فُخْلٍ ، وَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ ، وَبَذَلُ الْمَوْجُودِ غَايَةَ
 الْجُودِ ، وَبَعْضُ الْجُهْدِ آخِرُ الْمَجْهُودِ ، وَمَاشٌ خَيْرٌ مِنْ لَاشٍ^(٢) ، وَوَجُودٌ بِمَا قَلَّ
 خَيْرٌ مِنْ عَدَمٍ مَا جَلَّ . وَقَلِيلٌ فِي الْجَيْبِ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ فِي الْغَيْبِ ، وَجُهْدُ الْمَقْلِ
 خَيْرٌ مِنْ عَذْرِ الْمَحْلِ ، وَحِمَارٌ أَيْسٌ خَيْرٌ مِنْ فَرَسٍ لَيْسَ^(٣) ، وَكُوخٌ فِي الْعِيَانِ
 خَيْرٌ مِنْ قَصْرِ فِي الْوَهْمِ . وَزَيْتٌ^(٤) خَيْرٌ مِنْ لَيْتٍ ، وَمَا كَانَ أَجُودَ مِنْ لَوْ كَانَ ، وَقَدْ
 قِيلَ : عَصْفُورٌ فِي السَّكْفِ أَجُودٌ مِنْ كَرَكِيٍّ فِي الْجَوْ ، وَلِأَنَّ^(٥) تَقَطَّفَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ
 تَقْفَ ، وَمَنْ لَمْ يَجِدِ الْجَمِيمَ رَعَى الْمَشِيمَ^(٦) ، وَمَنْ لَمْ يَحْسِنْ صَهِيلًا نَهَقَ ، وَمَنْ لَمْ يَجِدِ
 مَاءَ تَيْمَمٍ ؛ وَالْأَمِيرَ الرَّئِيسَ - أَدَامَ اللَّهُ نَعْمَاءَهُ! - لَا يَنْظُرُ فِي قَوَافِي صَنِيعَتِهِ إِلَى رَكَاكَةِ
 أَلْفَاظِهَا ، وَبُعْدِ أَعْرَاضِهَا ، وَلَكِنْ إِلَى كَثْرَةِ جُذْرِهَا^(٧) ، وَثَقْلِ مَهْرِهَا ، وَقِلَّةِ

(١) صَدَاءٌ : مَاءٌ يَضْرِبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي الْحَلَاوَةِ ، وَيُقَالُ : مَاءٌ وَلَا كَصَدَاءِ ،

(٢) لَاشٌ : لَاشِيٌّ ، وَيُقَابَلُهُ مَاشٌ ، وَهِيَ عِبَارَةٌ مَوْلُودَةٌ

(٣) الْأَيْسُ : الْقَهْرُ ، يُرِيدُ أَنْ حِمَارُ الضَّرُورَةِ خَيْرٌ مِنَ الْفَرَسِ الْمَعْدُومِ

(٤) زَيْتٌ : هِيَ هَكَذَا بِالزَّيِّ فِي الْأَصُولِ عَامَةٌ ، وَأَنَا أَخْصِيهِ «ذَيْتٌ» بِالذَّالِ ، وَهِيَ

مِنَ الْأَلْفَاظِ الَّتِي يُكْنَى بِهَا فَيُقَالُ «كَيْتٌ وَذَيْتٌ» (م) . (٥) تَقَطَّفَ : تَسِيرُ بِيْطٍ ، (م) .

(٦) الْجَمِيمُ : النَّبْتُ الْغَزِيرُ ، وَالْمَشِيمُ : الْيَابِسُ (٧) الْجَذْرُ : مَا تَكَافَأَ فِي الْمُنْيَةِ

كفتها ، وإنتى منذ فارقت قَصَبَةَ جرجان ، ووطئت عَتَبَةَ خراسان ، ما زفتها
إلا إليه ، ولا وَقَفْتُهَا إلا عليه ، هذا على تمرغى فى أعطاف الحن ، وضرورتى
إلى أبناء الزمن ، وإن كان الأمير الرئيس يرفعُ لكل لفظٍ حجاب سمعه ، ويُفْسِحُ
لكل شعرٍ فناء طبعه ، فهالك من النثر ما ترى ، ومن النظم ما يترى :

أذْهِقِ الكاسِ فَعَرَفُ السَّفَجْرِ قد كادَ يَبُوحُ
فهو للناسِ صباحٌ ولذى الرأى صَبُوحُ
والذى يمرحُ بى فى حَلْبَةِ اللّهُو جَمُوحُ
فاسقنيها والأمانى لها عَرَفُ يَفُوحُ
إنّ للأيامِ أسرا رأبها سوف تَبُوحُ
لا يغرّنكَ جسمٌ صادقُ الحسِ وروح
إنما نحن إلى الآجالِ نغدو ونروح
ويك هذا العمرُ تبريحٌ وهذا الروحُ ريحُ
بينما أنتَ صحيحُ الجسمِ إذ أنتَ طريحُ
فاسقنيها مثل ما يلفظه الذيك الذبيح
قبل أن يضرب فى الدهرِ بى القِدْحُ السَنِيحُ^(١)
إنما الدهرُ غرورٌ ولمن أضغى نصيحُ
ولسان الدهرِ بالوعظِ لواعيه فصيحُ
نستبيح الدهرَ والأيامَ منا تستبيحُ
نحن لاهون وآجالُ المنايا لا تريحُ
يا غلامُ الكأسِ فاليا س من الناسِ مُريحُ
ضاع ما نحنيه من أنفسنا وهو مبيحُ

(١) هكذا ، وهو فى الرسائل « السفيح » بالفاء ، وهو صواب ملامم البعق.
المراد ، والسفيح : أحد ثلاثة أقداح من أقداح الميرليست تبرج شيئاً ، وثانيتها
يسمى الوغد ، وثالثتها يسمى النبيح (م) .

وقنوعا فقام الذل بالمرء قبيح
 أنا يا دهر بأبنا نك شقّ وسطيح^(١)
 وبأبكار القوافي ٧ على كفاء شحيح
 يا بني ميكال والجو د لعلاتي نربح
 شرفاً إن مجال الفضل فيكم تسيح
 وعلى قدر سنا الممدوح يأتيك المديح
 فهناك الشرف الأرفع والطرف الظمّوح
 والندي والخلق الطاهر والخلق^(٢) الصبيح
 مرتقى مجد يحار الطرف فيه ويطيح
 أيّ هذا الكرم المائل والخلق السجّيح^(٢)
 كان هذا الجود ميتاً عادته منك المييح

هذه - أطال الله بقاء الأمير! - هدية الوقت، وغفوة الساعة، وفيض البديهة،
 ومشاركة القلم، ومسابقة اليد للقم، وجمرات الحدة، وثمرات المدّة، ومجاراة الخاطر
 للناظر، ومباراة الطبع للسمع، ومجازبة الجنان للبيان، والشعر إذا لم تقدمه روية،
 ولم تنضجه نية، لم يفتح له السمع بابه، ولم يرفع له القلب حجابيه، وإذا لبس الأمير
 هذه على علاتها رجوت أن يكون بعدها ما هو أفتن وأحسن وأرصن، فراه أيديه
 الله في الوقوف عليها موقفاً إن شاء الله.

كتاب عتب
 من البديع إن
 الميكالي

وله إليه معاتبه :
 كئن ساءني أن نلتني بمساءة لقد سرّني أني خطرتُ بيالك
 الأمير الفاضل الشيخ الرئيس، أطال الله بقاءه إلى آخر الدعاء، في حال برّه
 وجفائه متفضل، وفي يومئذ ! اده وإذ نأته متطول. وهينئاله من حمانا ما يُحمله،

(١) شق وسطيح : كاهنان من كهان الجاهلية كانوا يضربون بهما المثل في معرفة
 الغيب (٢) الخلق السجّيع : السهل .

ومن عرّانا ما يحمله ، ومن أعرّاضنا ما يستحله ؛ بلغنى أنه — أدام الله عزّه! — استزاد صنيعته ، وكنت أظنني مجنياً عليه ، مساءً إليه ، فإذا أتاني قرارة الذنب ، وبمثابة العتب ، وليت شعري أي محذور في العشرة حصرته ، أو مفروض من الخدمة رفضته ، أو واجب في الزيارة أهملته ؟ وهل كنت إلا ضيفاً أهدها بلد شاسع ، وأداه أمل واسع ، وحداه فضل وإن قل ، وهذا ره رأى وإن ضل ، ثم لم يلق إلا في آل ميكال رخله ، ولم يصل إلا بهم حبله ، ولم ينظم إلا فيهم شعره ، ولم يقف إلا عليهم شكره ؛ ثم ما بعدت صحبة إلا دنت مهانة ، ولا زادت حرمة إلا نقصت صيانة ، ولا تضاغت منه إلا تراجعت منزلة ، ولم تزل الضعة بنا حتى صار وابل الإعظام قطرة ، وعاد قيص القيام صدرة ، وذلك التقرب أزوراراً ، وطويل السلام اختصاراً ، والاهتزاز إيحاء ، والعبارة إشارة ؛ وحين عاتبته أمل إعتابه ، وكاتبته أنتظر جوابه ، وسألته أرجو إيجابه ، أجاب بالسكوت ، وأعتب بالقنوت ، فما ازددت إلا له ولاء ، وعليه ثناء ؛ لا جرّم إني اليوم أبيض وجه العهد ، واضح محجة الود ، طويل عنان القول ، رفيع حكمة العذر ؛ وقد حملت فلاناً من الرسالة ما تجافى عنه القلم ؛ والأمير الرئيس أطال الله بقاءه يُنعم بالإصغاء لما يورده موقفاً إن شاء الله .

وله إليه في هذا الباب :

أنافى خدمة الأمير الرئيس — أطال الله بقاءه! — مترجّع بين أن أشرّبها رنقة ولا أسيّفها ، وأجلج منها موضة ولا أجزها ، وبين أن أطويها على عرّها ، ولا أرتضع أخلاف درّها .

كتاب عتاب
من البديع إلى
الميكال أيضاً

فلا نفسي تطاوعني لرفض ولا همي توطنني لخفض
وبقي أن أقرصه بأنامل العتب ، وأخشمه بألحاظ القذل ، وأعرفه أني ما أطوي مسافة مزار إلا متجشماً ، ولا أطاعته دار إلا متبرماً ؛ ولست كمن ينسط يده مستجدياً ، أو ينقل قدمه مستعدياً ؛ فإن كان الأمير الرئيس — أيده الله! — يسرح طرفه مني في طامع أو طامع ، فليعد للفراية نظراً .

فما الفقرُ من أرضِ العشيِّرة سَأَقْنِي إِلَيْكَ ، وَلَكِنَّا بِقُرْبَاكَ نَنْجَحُ
وَأَجِدُنِي كَمَا اسْتَفْرَزْتَنِي الشُّوقُ إِلَى تِلْكَ الْحَاسِنِ ، أَطِيرُ إِلَيْهَا بِجَنَاحَيْنِ عَجَلًا ،
وَأَرْجِعُ بَعْرَ جَاوِينَ خَجَلًا ، وَلَوْلَا أَنْ الرِّضَا بِذَلِكَ ضَرَبَ مِنْ سَقُوطِ الهِمَّةِ ، وَأَنْ
العِتَابَ نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ الخِدْمَةِ ، لَهُنْتُ مَجْلِسُهُ عَنْ قَلْبِي ، كَمَا أَصُونُهُ عَنْ قَدَمِي ،
وَمِلْتُ إِلَى أَرْضِ الدَّعَاءِ فَهُوَ أَنْجَعُ ، وَإِلَى جَانِبِ الثَّنَاءِ فَهُوَ أَوْسَعُ ، وَسَأَفْعَلُ
لَتُخَفَّ مَوَانِي ، وَلَا تَتَقَلَّ وَطْأَتِي

إِذَا مَا عَتَبْتُ فَلَمْ تُعْتَبِ وَهَنْتُ عَلَيْكَ فَلَمْ تُعْنَبِ (١)
سَلَوْتُ ، وَلَوْ كَانَ مَاءَ الْحَيَاةِ لَعَفْتُ الْوَرُودَ وَلَمْ أَشْرَبِ

قطعة من مفردات الأبيات لأهل العصر في معاني شتى

تجري مجرى الأمثال

أبو فراس الحمداني :
إِذَا كَانَ غَيْرُ اللَّهِ لِلْمَرْءِ عُدَّةً أَتَتْهُ الرِّزَايَا مِنْ وَجْهِهِ الْمَكَّاسِبِ
وله :
عَفَاكَ عِيٌّ ، إِنَّمَا عِفَّةُ الْفَتَى إِذَا عَفَّ عَنْ لَدَاتِهِ وَهُوَ قَادِرٌ (٢)
وقال المتنبي :
كُلُّ جِلْمٍ أَنِّي بغيرِ اقْتِدَارٍ حُجَّةٌ لِأَجْبِيءِ إِلَيْهَا اللَّثَامُ
وله :
وَإِذَا كَانَتِ النَّفُوسُ كِبَارًا تَعَبَّتْ فِي مُرَادِهَا الْأَجْسَامُ

لأبي فراس

للمتنبي

(١) أعتبه : أزال عتبه (٢) كذا ، وأحسبه « عفاك عجز » (م)

وله :

وإذا أتتك مذمتي من ناقصي

فهي الشهادة لي بأني كامل

وله :

لا يُعجبني مضيماً حُسنُ برّيه

وهل ترُوقُ دَفِيناً جَوْدَةُ الكَفْنِ ؟

وله :

من أطاق التماسَ شئٍ وغلاباً

واغتصاباً لم يَلْتَمِئْهُ سِوَالَا

وله :

والظلمُ من شيمِ النفوسِ ، فإن تَجِدْ

ذا عِفَّةٍ فليعلِّمِ لا يَظلمِ

وله :

ماذا لقيتُ من الدنيا وأعجبه

أني بما أنا بآكٍ مِنْهُ مَحْسُودٌ

وله :

ذِكْرُ الْفَتَى عُمَرَةَ الثَّانِي ، وَحَاجَتُهُ مَا قَاتَهُ ، وَفُضُولُ الْعَيْشِ أَشْغَالُ
وَالْمُتَنَبِّيُّ أَكْثَرُ الْمَحْدَثِينَ افْتِنَانًا وَإِحْسَانًا فِي الْإِغْرَابِ بِهَذَا الْبَابِ ؛ وَالِاسْتِقْصَاءُ
يُخْرَجُ عَنْ شَرْطِ الْكِتَابِ .

وقال السري الموصلي :

لسرى الرفاء

خذوا من العيشِ فالأعمارُ فائتةٌ

والدهرُ مُنْصَرَمٌ والعيشُ مُنْقَرِضٌ

وله :

فإنك كلما استودعتَ سِرًّا

أَنْمٌ مِنَ النَّسِيمِ عَلَى الرَّيَاضِ

وقال أبو إسحاق الصابي :

للصابي

الضبُّ والنونُ قد يُرْجَى التَّقَاؤُهُمَا

وليس يُرْجَى التَّقَاءُ اللَّبِّ وَالذَّهَبِ (١)

وقال ابن نباتة :

لابن نباتة

مَثَلٌ خَلَعْتُ عَلَى الزَّمَانِ رِدَاءَهُ

عَوَزُ الدَّرَاهِمِ آفَةُ الْأَجْوَادِ

(١) الضب : من حيوان الصحراء ، والنون : الحوت ، من حيوان الماء .
واللب : العقل (م) .

وله :

يـ — وى الثناء مبرر ومقصر
 حب الثناء طبيعة الإنسان

للإمام

وقال أبو الحسن السلامي :

تبتغينا على اللذات نـ
 رأينا العفو من ثمر الذنوب

لابن لنكك

وقال ابن لنكك البصرى :

وماذا أرجى من حياة تكدرت
 ولو قد صفت كانت كأحلام نائم

للمأمون

وقال أبو طالب المأمون :

لى فى ضمير الدهر سر كامن
 لا بد أن يستله الأعداء

لابن العميد

وقال أبو الفضل بن العميد :

الرأى يصدأ كالجسام لعارض
 يطرأ عليه وصقه التذكري

لأبي الفتح

وقال أبو الفتح :

يطرتم فطرتم واتصاز جرم من عصى
 وتقويم عبء الهون بالهون رادع

وله .

إذا بلغ المرء أماله
 فليس له سده مقترح

لابن عباد

وقال صاحب إسماعيل بن عباد :

إن أم الصقر فى الود
 د لبقلاة تزوز

وله :

من لم يعدنا إذا مريضا
 إن مات لم نشهد الجنار

وله :

حفظ اللسان راحة الإنسان
 فاحفظه حفظ الشكر لاحسان

للناشي

وقال إسماعيل الناشي :

وكنت أرى أن التجارب عدة
 فحانت ثقات الناس حتى التعارب

وقال أبو الفتح البستي :

لا تَرَجُ شَيْئًا خَالصًا نَفْعُهُ فالغَيْثُ لا يَخْلُو من الغَيْثِ (١)

وله :

ولم أر مثل الشكر جنة غارس ولا مثل حُسنِ الصبر جبة لايس

وله :

وطول مقام الماء في مستقره يُفـيـره ريحاً ولوناً ومطعماً

وله :

ما استقامت قناة رأبي إلا بعد ما عوج المشيب قناتي

وقال أبو الفضل الميكالي :

للميكالي

هو الشوك لا يُعطيك وافر منة يد الدهر إلا حين تضربه جلدًا

وله :

ذو الفضل لا يسلم من قذح وإن غدا أقوم من قذح

وقال شمس المعالي :

الشمس المعالي

وفي السماء نجوم ما لها عدد وليس يكسف إلا الشمس والقمر

هذا مأخوذ من قول الطائي :

إن الرياح إذا ما استعصفت قصفت عيدان نجد فلم يعبان بالرتم

بنات نعش ونعش لا كسوف لها والشمس والبدر منها الدهر في الرتم

وقال أبو الحسن علي بن عبد العزيز القاضي :

للجرجاني

المهجر أرواح من وصل على حذر والموت أطيب من عيش على غرر

وقال أبو بكر الخوارزمي :

للخوارزمي

لا تغرّنك هذه الأوجه النمر فيأرب حية في رياض

(١) العيث — بالعين المهملة — الإفساد (م) (٢) الرتم : نبت ضعيف

[من تُبْطِرُهُ النِّعْمَةُ لَمْ يُؤْسَفْ عَلَى زَوَالِهَا عَنْهُ]

قال أبو العيناء : كان عيسى بن فرخان شاه يتيه علي في ولايته الوزارة ، بين أبي العيناء
فلما صُرف رَهْبَتِي ، فلقيني فسلم علي فأخفى . فقلت لعلامي : مَنْ هذا ؟ قال : وابن فرخان
أبو موسى ؛ فدنوتُ منه وقلت : أعزك الله ، والله لقد كنتُ أقنع بإيمانك دون
بيانك ، و بلحظك دون لفظك ، فالحمد لله علي ما آلت إليه حالك ، فلئن كانت
أخطأتُ فيك النعمة ، فلقد أصابت فيك النعمة ، ولئن كانت الدنيا أبدت مقابحها
بالإقبال عليك ، لقد أظهرت محاسنها بالانصراف عنك ، والله المنة إذ أغنانا عن
الكذب عليك ، ونزهننا عن قول الزور فيك ، فقد والله أسأت حمل النعم ،
وما شكرت حق المنعم ، فقيل له : يا أبا عبد الله ؛ لقد بالغت في السب ،
فما كان الذنب ؟ قال : سألته حاجة أقل من قيمته ، فرد عنها بأقبح من خلقته .

وقال علي بن العباس الرومي لأبي العقر إسماعيل بن بلبل لما نكبه الموفق بين أبي الرومي
وأبي العقر
ابن أحمد وألم في بعض قوله بقول أبي العيناء :

لا زال يومك عِبرةً لعدك	وبكت بشجو عين ذي حسدك
فلئن نكبت لطلما نكبت	بك همة لجأت إلى سندر
لو تسجد الأمام ما سجدت	إلا ليوم فت في عضدك
يا نعمة ولت غضارها	ما كان أقبح حسنها بيدك
فلقد غدت برداً على كبدى	لما غدت حراً على كبدك
ورأيتُ نعمى الله زائدة	لما استبان النقص في عددك
واقدمت كل صاعقة	لو أنها ضبت على كعدك ^(١)
لم يبق لي مما برى جسدى	إلا بقاء الروح في جسدك

(١) الكند: مجتمع الكتفين

وله فيه أهـج كثيرة لما نك ، منها قوله :
 خَفَضَ أبا الصَّقْرِ فكم طائرٍ خَرَّ صَرِيحاً بَعْدَ تَحْلِيْقِ
 رُوِّجَتْ نَعْمَى لَمْ تَكُنْ كُفَاها فَصَانَهَا اللهُ بِتَطْلِيْقِ
 لَا قُدْسَتْ نَعْمَى تَسْرِبَتَها كَمْ حِجَّةٍ فِيها لِزِنْدِيْقِ^(١)

وكان أبو الصقر لما ولي الوزارة مدحه ابن الرومي بقصيدته النونية التي أولها :
 أَجْنِيْنِكَ الْوَرْدُ أَغْصَانٌ وَكُثْبَانٌ فِيهِنَّ نَوْعَانُ تُفَاحٌ وَرِمَانٌ
 وَفَوْقَ ذِيْنِكَ أَعْنَابٌ مُهْدَلَةٌ سَوْدٌ لَهْنٌ مِنَ الظَّأْمَاءِ أَلْوَانٌ
 وَتَحْتِ هَاتِيْكَ عُنَابٌ تُنَوِّحُ بِهِ أَطْرَافُهُنَّ قُلُوْبُ الْقَوْمِ قِيَوَانٌ
 غُصُونٌ بَاتٍ عَلَيْهَا الزَّهْرُ فَأَكِيْةٌ وَمَا الْفَوَاكِهُ مِمَّا يُحْمَلُ الْبَانُ
 وَنَرْجِسٌ بَاتٍ سَارِي الطَّلَّ يُضْرِبُهُ وَأَقْحَوَانٌ مُنِيرُ اللَّوْنِ رِيَّانٌ
 أَلْفَنْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ طَيِّبٍ حَسَنٍ فَهِنَّ فَأَكِيْةٌ شَتَّى وَرِيْمْحَانُ
 ثَمَارِ صِدْقٍ إِذَا عَايَنْتِ ظَاهِرَها لَكِنها حِيْنَ تَبَلُّو الطَّعْمَ خُطْبَانُ^(٢)
 وَلَا يَدْمُنُ عَلَى عَهْدٍ مُعْتَقِدٍ وَالْفَانِيَاتِ كَمَا شَبَّهْنَ بَسْتَانَ
 يَمِيلُ طَوْرًا بِحَمَلٍ ثُمَّ يَعدُّهُ وَيَكْتَسِيْ ثُمَّ يُلْفَى وَهُوَ عُرْيَانُ
 وَهِيَ أَكْثَرُ مِنْ مَائَتِيْ بَيْتٍ ، مرَّ له فِيها إِحْسَانٌ كَثِيْرٌ ، فَأَنشَدَها أبا الصَّقْرَ ،

مدحة
لابن الرومي
في أبي الصقر

فلما سمع قوله :

قَالُوا أَبُو الصَّقْرِ مِنْ شَيْبَانَ قَلَّتْ لَمْ كَلَّا لِعَمْرِيْ وَلَكِنْ مِنْهُ شَيْبَانٌ
 قَالَ : هِجَانِي ، قِيلَ لَهُ : إِنْ هَذَا مِنْ أَحْسَنِ الْمَدْحِ ؛ أَلَا تَسْمَعُ مَا بَعْدَهُ :
 وَكَمْ أَبٍ قَدْ عَلَا بِابْنِ ذُرِّي شَرَفٍ كَمَا عَلَتْ بِرَسُولِ اللهِ عَدْنَانُ

(١) يريد أن النعم التي تسربلها هذا الرجل وليس لها بأهل ، مما تقوى به حجة الزنادقة في جحود الإله ؛ لأنه لو كان هناك عدالة إلهية لحيل بين اللثام وجميع الطيبات (٢) الخطبان : نبات مر ، يضرب به المثل ، فيقال : أمر من نقيع الخطبان ، وهو بضم الحاء المعجمة

قال : أنا بشيان لا شيبان بي . فقيل له فقد قال :

ولم أقصر بشيبان اتى بعث بها المبالغ أعراق وأغصان
لله شيبان قوم لا يشوبهم زوع إذا الروح شابت منه ولدان
فقال : لا والله لا أثيبه على هذا الشعر ، وقد هجاني .

قال أبو بكر محمد بن يحيى الصولى : كنت يوما عند عبيد الله بن عبد الله
ابن طاهر ، وقد ذكروا قصيدة ابن الرومى هذه النونية ، فقال : هذه دار البطيخ ،
فاقرأوا تشبيهاها تعلموا ذلك ! فضحك جميع من حضر .

وفى هذه القصيدة يقول من المختار فى النسيب :

ياربَّ حُسَانَةٍ مِنْهُمْ قَدْ فَعَلْتُ سُوءًا ، وَقَدْ يَفْعَلُ الْأَسْوَاءُ إِحْسَانُ
تَشْكِي الْمَحَبِّ وَتَلْفِي الدَّهْرِ شَاكِيَةً كَالْقَوْسِ تُصَمِّي الرَّمَايَا وَهِيَ مِرْنَانٌ (١)

وهذا كقوله فى قصيدة يَصِفُ فيها قوس البندق :

لَهَا رَنَّةٌ أَوْلَى بِهَا مِنْ تَصْيِيهِ وَأَجْدَرُ بِالْإِعْوَالِ مَنْ كَانَ مُوجِعًا
يقول فيها :

لَا تَلْحِيَانِي وَإِيَّاهَا عَلَى ضَرَعِي وَزَهْوَهَا ، لَجَّ مَفْتُونٌ وَفَتَانُ
إِنِّي مَلَكَتُ فَبِي لِلرَّقِّ مَسْكَنَةٌ وَمَلَكَتُ فَلَهَا بِالْمُلْكِ طُغْيَانُ
لِي مُذْنَأَتْ وَجَنَّةٌ رِيًّا بِمَشْرِبِهَا مِنْ غَبْرَتِي وَفَمَّ مَا عَشْتُ ظَمَانُ

وفىها فى مدح بنى شيبان :

قَوْمٌ سَمَّاحَتُهُمْ غَيْثٌ ، وَتَجَدُّهُمْ غَوْتٌ ، وَأَرَاؤُهُمْ فِي الْخُطْبِ شُهْبَانُ
تَلْقَاهُمْ وَرِمَاحُ الْخَطِّ حَوْلَهُمْ كَالْأَسَدِ أَلْبَسَهَا الْآجَامَ خَفَانُ (٢)
صَانُوا النَّفُوسَ عَنِ الْفَخْشَاءِ وَابْتَدَلُوا مِنْهُمْ فِي سَبِيلِ الْعُلِيَاءِ مَا صَاوَا

(١) تشكى المحب : تحمله بظلمها على الشكاية ، والرمايا : جمع رمية بمعنى مرمية ،
وتصمى : تقتل وتبيد (٢) خفان - بفتح الخاء المعجمة - أجمة فى سواد الكوفة

المعنون وما منوا على أحدٍ
يقول فيها في أبي الصقر :

يَفْدِيهِ مَنْ فِيهِ عَن مِّقْدَارِ فِدْيَتِهِ
قَوْمٌ كَأَنَّهُمْ مَوْتِي إِذَا مُدِحُوا
صَاحِي الطَّبَاعِ إِذَا سَالَتْ هَوَاجِسُهُ
يُضْحِيهِ ذِهْنٌ وَيَأْتِي صَخْوَهُ كَرَمٌ
فَرْدٌ جَمِيعٌ يَرَاهُ كُلُّ ذِي بَصَرٍ
وهذا كقول أبي الطيب :

وَلَقِيتُ كُلَّ الْفَاضِلِينَ كَأَنَّمَا
نُسِقُوا لَنَا نَسَقَ الْحِسَابِ مُقَدَّمًا
وقد تقدم .

وقال :

فَإِنْ يَكُ سَيَّارُ بْنُ مَكْرَمٍ انْقَضَى
مَضَى وَبَنُوهُ وَأَنْفَرَدَتْ بِفَضْلِهِمْ
وقال البحترى :

وَلَمْ أَرَ أَمْثَالَ الرِّجَالِ تَفَاوُتًا
لَدَى الْمَجْدِ، حَتَّى عَدَّ أَلْفٌ بَوَاحِدٍ

ومدحه وعاتبه بقصائد كثيرة فما أنجحت ، فمن ذلك قوله في قصيدة طويلة

لابن الرومي
في أبي الصقر
أيضاً
بمدحه :

فِي وَجْهِهِ رَوْضَةٌ لِلْحَسَنِ مَوْثِقَةٌ
طَلُّ الْحَيْاءِ عَلَيْهَا سَاقِطٌ أَبَدًا
ماراد في مثلها طرفٌ ولا سرحاً (٢)
كاللؤلؤ الرطب لو رقرقته سفعاً

(١) مان : كذب ، والاسم المين ، بالفتح (٢) راد وارتاد معناهما واحد

أنا الزعيم لمكحولٍ بغرتهِ
 مهملاتي الناس من طولٍ ومن كرمٍ
 يُعطي المراحَ ويعطي الجُدَّ حقهما
 وافي عطاردَ والمرِّيحَ مؤلده
 إن قال : لا ، قالها للأصريه بها
 في كفه قلمٌ ناهيك من قلمٍ
 يَمْحُو وَيُنْبِتُ أَرْزَاقَ الْعِبَادِ بِهِ
 كأنما القلمُ المُلَوَّى في يدهِ
 لما تَبَسَّمَ عَنْكَ الْمَجْدُ قَلتَ لَهُ
 أثنى عليك بنعمك التي عَظَمْتَ
 أمطرَ بِذَلِكَ جَنَانِي تَكْسُهُ زَهْرًا
 أنشدتها على متوالي الاختيار ، وكذلك أجرى في كثير من الأشعار .

وله إليه أيضاً

وقال يعاتبه ويستبطنه :
 عَقِيدَ الدَّيِّ ، أَطْلِقْ مَدَائِحَ جَعَّةٍ
 وَكُنْتَ مَتَى تَنْشُدُ مَدِينًا ظَلَمْتَهُ
 عَذْرُوتُكَ لَوْ كَانَتْ سَمَاةً تَقَشَّعَتْ
 وَلَكِنهَا سَقِيًا حُرِمَتْ رَوِيَّهَا
 وَأَكْلًا ، مَعْرُوفٍ حُرِمَتْ مَرِيَعَهَا
 عَرَضْتُ لِأُورَادِي وَبِحَرْكٍ زَاخِرٍ
 فَلَوْ لَمْ تَرِدْ أَذْوَادَ غَيْرِي غِمَارَهُ
 حَبَائِسَ حَسْرَى قَدَأَبْتَ أَنْ تَسْرَحَا
 يُرَى لَكَ أَهْجِي مَا يُرَى لَكَ أَمْدَحَا
 سَحَابَتُهَا أَوْ كَانَ رَوْضٌ تَصَوَّحَا
 وَعَارِضُهَا مَلَقِي كَلَاكِلَ جُنْحَا (٣)
 وَقَدْ عَادَ مِنْهَا السَّنْهَلُ وَالْحَزَنُ مَسْرَحَا
 فَلَمَّا أَرْدُنَ الْوَرْدَ الْفَيْنَ ضَحَضَحَا
 لَقَلْتُ : سَرَابٌ بِالْمِثَانِ تَوَضَّحَا (٤)

(١) وحى : كتب ، قال رؤبة « لقد ركان وحاء الواحى » (٢) النفل

والقلع : فساد الأسنان (٣) الكلاكل : الصدور، وجنع : جمع جانح، وهو المائل

(٤) الأذواد . جمع ذود ، وهو من الإبل من الثلاثة إلى العشرة ، وفي المثل

« الذود إلى الذود إبل » ووقع في نسخة « أوراد » وفي أخرى « أزواد » وكلاهما تحريف (م)

مباليك بما أله أحد فيه مشرناً
 مديحي عص موسى ، وذلك أنتي
 سأمده معر اباجنيس منه
 فياليت شعري إن ضربت به الصفا
 كتلك التي أبدت ثرى الأرض يابسا
 ملكت فأسجج يا أبا الصقر إنه
 وماضرع إلى أحد هذه الضراعة ، ولا في طوقه هذا الاحتمال ؛ وهذا الأبيات
 الأخيرة إنما ولده أكثرها من قول أى تمام الطائى لمحمد بن عبد الملك الزيات :
 فو حاربت شول عذرت لقاحها
 ولكن حرمت الدر والصرع حافل
 أكبرنا عطفاً علينا ؛ فإننا
 ما ظمنا ربح وأتم مناهل
 وفيه يقول :

هذا مسمى : ننى وائل
 أنشب فيه الدهر أظفاره
 فأنصم منه أخا حرمة
 فما أرى الدهر على بحوره
 من مستجيركم عائد
 وعضه بالناب والناجد
 لاذ بكم منه مع اللاند
 يخرج من حكمم الناقد
 وقال أيضاً

يا أيها السيد الذى هنت أنصار أمواله ولم يهين
 فأصحت في يد الضعيف ودى الفوه والباقل^(١) واللسن
 غبرى - على أنتى مؤملك الأقدم - سائل نذاك واستحن
 مادم عشرين حجة كتملاً محرومها عنك غير مضطفن
 فضلك أو عدلك الذى ائتمن الله عليه أجل مؤتمن
 إن كنت فى الشعر ناقداً فطنا فلتعطني حق حصه الفطرن
 وإن أكن فيه ساقطاً زماناً فلتعطني حق حصه الزمين

(١) الباقل : المنسوب إلى باقل ، وهو مضرب المثل فى العى (٢)

سم بي ديوانك الذي عدلت جدواه بين الصحيح والضمين^(١)
 كثر بشخصي من استطعت من الناس فإن لم أزنك لم أشن
 ما حق من لان صدره لك بالبود لقاء بجانب خشن
 وقال أبو العباس الرومي لرجل مدحه في كلمة :

لابن الرومي

أبعد لقاء دونك كل قفر يدق الشخص فيه أن يلاق
 وإعمالي إليك به المطايا وقد ضرب الظلام له رواقا
 ورفض النوم إلا أن تراني أعانق واسط الكور اعتناقاً
 تسوق بنا الهداة فليس تدري أسوقاً كان ذلك أم سيقا
 أصادف درة المعروف شكري لديك ولا أذوق لها ذواقاً^(٢)
 يقول فيها :

غدا يعلو الجياد وكان يهلو إذا ما استلره - السبت الرقاقاً^(٣)
 أعنتها الشوع فإن عراها حفاء اسكد أنقلها طراقاً^(٤)
 فزوج بعد قفر منه نغمي أراي الله هبحتها الطلاقاً

[ترجمة أبي العيناء وطرف من أحباره]

قال أبو القاسم علي بن حمزة بن شمردل : حدثني أبي قال : سألت أبا العيناء
 عن نسبه ، فقال : أنا محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر بن سليمان ، وأصل قومي
 من بني حنيفة من أهل اليمامة ، ولحقهم سبب في أيام المنصور ؛ فلما صار ياسر
 في قيده أعتقه ، فولأونا لبني هاشم ؛ وكان أبو العيناء ضرير البصر ؛ ويقال :
 إن جده الأكبر لقي علي بن أبي طالب - رضي الله عنه ! - فأساء مخاطبته ؛ فدعا
 عليه وعلى ولده بالعمى ، فكل من عمى مسم صحيح السب !

نسب أبي العيناء

(١) الضمن - على وزن كتف - المريض (٢) شكري - على وزن مكري - ملائمة

(٣) استفره : طلب الفاره القوي ، من الحيل ، والسبت - بكسر السين المهملة -

جلود البقر ، يريد أنه كان يركب الحيل من الدواب .

(٤) الطراق : جمع طرق ، وهو كل ما يحصف به النعل (م)

قال الصولي : حدثني أبو العيناء ، قال : لما أُدخِلْتُ على المتوكلِ فدعوتُ له وكلمته استحسنَ كلامي ، وقال لي : بلغني أن فيكَ شراً ! قلتُ : يا أميرَ المؤمنين ؛ إن يكن الشرُّ ذِكرَ المحسنِ بإحسانه والمسيءِ بإساءته فقد زَكَّى اللهُ تعالى وذمَّ ، فقال في التزكية : (نِعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ) ، وقال في الذم : (هَمَّازٍ مَشَاءُ ، بِنَمِيمٍ مَتَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ) . وقال الشاعر :

إذا أنا لم أمدح على الخير أهلهُ ولم أذم الجبسَ اللئيمَ المذمماً^(١)
فقيمَ عرَفْتُ الخيرَ والشرَّ بأسمِهِ وشقَّ لي اللهُ المسمعَ والفما؟
وإن كان الشر كفعل العُقرَب التي تَلْسَعُ السَّنيَّ والدينِ بطبعٍ لا بتمييز فقد
صَانَ اللهُ عبدك عن ذلك !

فقال لي : بلغني أنك رَافِضِيٌّ ، قلتُ : يا أميرَ المؤمنين ، وكيف أكونُ رافضياً وبلدي البصرةَ وَمَنْشَى في مَسْجِدِ جَامِعِهَا ، وَأَسْتَاذِي الْأَصْمَعِي ، وليس يَخْلُو القومُ أن يكونوا أرادوا الدين أو الدنيا ؛ فإن كانوا أرادوا الدين فقد أجمع الناس على تقديم مَنْ أَخْرُوا ، وتأخيرِ مَنْ قَدَمُوا ، وإن كانوا أرادوا الدنيا فأنْتَ وَأَبَاؤُكَ أمراء المؤمنين ، لا دينَ إِلَّا بِكَ ، ولا دنياً إِلَّا بِمَعِكَ .

قال : كيف ترى دَارِي هذه ؟ قال : قلت : رأيت الناسَ بَنَوْا دورهم في الدنيا ، وأنت بنيتَ الدنيا في دارك .

فقال لي : ما تقول في عبيدالله بن يحيى ؟ قلت : نِعَمَ الْعَبْدُ اللهُ وَلَكَ ؛ مَقْسَمٌ بين طاعته وخدمتك ، يُوَثِّرُ رِضَاكَ على كل فائدةٍ ، وما عاد بصلاح ملكك على كل لذةٍ .

قال : فما تقول في صاحب البريد ميمون بن إبراهيم ؟ - وكان قد علم أني

(١) الجبس : هو الذيء الجبان ، ويجمع على أجباس ، قال :

ماض إذا الأجباس بعد الكرى تناكت أزواج أحلامها

بواجده عليه بتصير وقع منه في أمرى - فقلت : يا أمير المؤمنين ، يدُ تَسْرِقِ واستُ تَضْرِبُ ! وهو مثل اليهودى سرق نصف جزيتته ، فله إقدامٌ بما أدى ، وإحجامٌ بما أُتِيَ ، إساءته طبيعة ، وإحسانه تكلف !

قال : قد أَرَدْتُكَ لمجالستي ، قلت : لا أطيق ذاك ، وما أقول ذلك جهلاً بما لي في هذا المجلس من الشرفِ ، ولكنى محبوب ، والمحجوب تختلف عليه الإشارة ، ويخفى عليه الإيحاء ، ويجوز أن يتكلم بكلام غضبانٍ ووجهك راضٍ أو بكلام راضٍ ووجهك غضبانٍ ، ومتى لم أميز بين هذين هلكت ، قال : صدقت ، ولكن تُلزِمنا ، قلت : لزومُ القرضِ الواجبِ اللازم ، فوصفني بعشرة آلاف درهم . ولأنى العيناء مع المتوكل مجالس أدخل الرواة بعضها في بعض ، وسأورد مستظرفها إن شاء الله :

قال له المتوكل يوماً : يا أبا العيناء ؛ لا تكثير الوقعة في الناس ، قال : إن لي في بصري لشغلاً عن الوقعة فيهم ، قال : ذلك أشد لحيفك في أهل العافية ! وقال له يوماً : هل رأيت طاليباً حسن الوجه قط ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، رأيت أحداً قط سأل ضريراً عن هذا ؟ قال : لم تكن ضريراً فيما تقدم ، وإنما سألتك عما سلف ، قال : نعم ، رأيت منهم ببغداد منذ ثلاثين سنة فتى ما رأيت أجمل منه ، قال المتوكل : تجده كان مؤاجراً ، وتجدك كنت قواداً عليه ! فقال أبو العيناء : وفرغت لهذا يا أمير المؤمنين ، أتراني أدع موالى على كثرتهم ، وأقود على الغرباء ؟ قال : اسكت يامأبون ؟ قال : موالى القوم منهم ! قال المتوكل : أردت أن أشتني به منهم فاشتني لهم منى .

وكان أبو العيناء أحد الناس خائراً ، وأحضرهم نادرة ، وأسرعهم جواباً ، وأبلغهم خطاباً .

والتوكل أول من أظهر من خلفاء بني العباس الانهماك على شهوته ، وأظهر الاتهام وكان أصحابه يتسخفون ويستخفون بحضرتيه ، وكان يهأثر الجلساء ، ويفاخر الرؤساء ، على شهوته

وهو مع ذلك من قلوب الناس مُحَبَّب ، وإليهم مُقَرَّب ؛ إذ أملت ما أحياءه
الواثق من إظهار الاعتزال ، وإقامة سوق الجدال .

قال محمد بن مكرم الكاتب : مَنْ زعم أن عبد الحميد أكتب من أبي
العيناء إذا أحسن بكرم ، أو شرع في طمع ، فقد ظلم .

منزلة أبي العيناء
في الكتابة

كتب إلى أبي عبيد الله بن سليمان وقد نكبه وأباهُ المعتمدُ ، وهما يُطالَبان
بما يبيعان له ما يَمْنِكَانِهِ من عَقَارٍ وَأَثَاثٍ وَعَبِيدٍ وَأَمَةٍ ، وقد أعطى بخادم أسود
لعبيد الله خمسون ديناراً :

قد علمت - أصدحك الله! - أن الكريم المنكوب أجراً على الأحرار من
الثلثم الموفور ؛ لأنَّ التلثم يزيدُ مع النعمة لوُماً ، والكريم لا يزيدُ مع المِحنة إلاَّ
كرماً ، هذا مُتَكِلٌ على رازقه ، وهذا يُسِيء الظنَّ بخالقه ، وعبدك إلى ملك « كافر »
فقيرٌ ، وثلثه على ما اتصلَ بي يسيرٌ ؛ لأنه بخدمته السلطان يعرفني الرؤساء والإخوان ؛
ولست بواجِدٍ ذلك في غيره من العلمان ؛ فإن سمحت به فتلك عادتك ، وإن أمرت
بأخذ ثمنه فالك مادتي ، أدام الله دولتك ، واستقبل بالنعمة نكبتك . فأمرله به .
وسمع ابن مكرم رجلاً يقول : من ذهب بصره قلت حيلته ، قال : ما أغفلك
عن أبي العيناء !

وكتب أبو العيناء إلى عبيد الله بن سليمان : أنا - أعزك الله تعالى ! -
ووالدي وعيالي زرعٌ من زرعك ، إن سقيته راعٍ وزاكاً ، وإن جفوته ذُبُلٌ
وذوي ؛ وقد مستني منك جفلاً بعد برٍّ ، وإغفالٌ بعد تعاهدٍ ، حتى تكلم عدوٌّ ،
وسميت حاسداً ، ولعبت بي ظنونُ رجالٍ كنتُ بهم لاعباً ، ولهم مجرماً^(١) ، والله
در أبي الأسود في قوله :

عن أبي العيناء
لعبيد الله بن
سليمان

لا تُهِنِّي بعد إذ أكرمتني وشديداً عادةً مُنزعاً

فوقع في رقته : أنا - أسعدك الله! - على الخال التي عهدت ، ومثلي إليك كما

(١) كنت لهم مجرماً : أي كنت أكثر التسميع بهم (م)

عنت ، وليس من أنساناه أهملناه ، ولا من آخرناه تركناه ، مع اقتطاع الشغل لنا ، واقتسام زماننا ، وكان من حَقِّك علينا أن تذكرنا بنفسك ، وتعلمنا أمرك ؛ وقد وقمت لك برزق شهرين ؛ لتريح غلتك ، وتعرفني مبلغ استحقاقك ، لِأُطلق لك باقى أرزاقك ، إن شاء الله ، والسلام .

وكان إذا خرج من داره يقول : اللهم إني أعوذ بك من الرُّكْبِ والرُّكْبِ ، والآجرِ والخشب ، والروايا والقرب .

قطعة من خطابه وجوابه :

من أجوبة
أبي العيناء
دخل على أبي الصقر بعد ما تأخر عنه ، فقال : ما أخرَكَ عنا ؟ قال : سُرق حمارى ، قال : وكيف سُرق ؟ قال : لم أكن مع اللص فأخبرك ! قال : فلم تأتينا على غيره ؟ قال : قعدت عن الشراء قلة يسارى ، وكرهت ذلة المكارى ، ومينة العوارى وزجه رجل بالجسر على حماره ، فضرب بيديه على أذنى الحمار ، وقال : يا فتى ، قل للحمار الذى فوقك يقول : الطريق !

ودخل على إبراهيم بن المدبر ، وعنده الفضل بن اليزيدى ، وهو يلقى على ابنه مسائل من النحو ، فقال : فى أى باب هذا ؟ قال : فى باب الفاعل والمفعول به ، قال : هذا بابى و باب الوالدة حفظها الله ! فغضب الفضل وانصرف ؛ وكان البحترى حاضراً فكتب بعد ذلك بقصيدته إلى إبراهيم بن المدبر التى أولها :

ذَكَرْتُ نِيكَ رَوْحَةً لِلشُّمُولِ أَوْقَدَتْ لَوْعَتِي وَهَاجَتْ غَلِيلِي
أى شىء أهلك عن سر من را وظلَّ للعيش فيها ظليل^(١)
وفيه يقول :

أُقتصاراً على أحاديثِ فضلٍ وهو مستكرهٌ كثيرُ الفضولِ
فعلام اصطفت منكشف البال ل معاد المخرق نزر القبول^(٢)

(١) سر من راء : هى مدينة سر من رأى

(٢) فى ديوان البحترى « فعلام اصطفت منكشف الزيف » (م)

إن تزره تجده أخلق من شيب الغواي ومن تعفى الطلوع
 مُسرجاً ملجماً وما متع الصُّبح (١) ح ادلاجاً للشَّحذ والتَّطفيل (١)
 غَيْرَ أنَّ العَلمين على حَا لٍ قَليو التميّز ضَغنى العُقول
 فإذا ما تذاكر النَّاسُ معنى مِن متبن الأشعار والمجهر
 قال : هذا لنا ونحن كشفنا غيبه لاسؤال والمسئول
 ضرب الأصمعي فيهم أم الأخر أم ألقوا بأير الخليل (٢)
 جُل ما عنده التردد في الفا على مِن وَالِدِيهِ وَالْمَفْعُولِ
 وعزى بعض الأمراء ، فقال : أيها الأمير ؛ كان العزاه لك لا بك ، والفناء
 لبعض الأمراء لنا لا لك ، وإذا كنت البقية فالرزية عطية ، والتعزية تهنية .

تعزية أبي العيناء
 لبعض الأمراء

وسئل أبو العيناء عن مالك بن طوق ، فقال : لو كان في زمن بني إسرائيل
 ونزل ذبج البقرة ما ذبح غيره ! قيل : فأخوه عمر ؛ قال : كسرأب ببيعة
 يحسبه الظمان ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً .

سؤاله عن
 مالك بن طوق

وكان موسى بن عبد الملك قد اغتال نجاح بن سلمة في شرابٍ شربه عنده ،
 فقال المتوكل بعد ذلك لأبي العيناء : ما تقول في نجاح بن سلمة ؟ قال : ما قال الله
 تعالى : فوكره موسى فقصى عليه ! فاتصل ذلك بموسى ، فلقى الوزير عبيد الله
 ابن يحيى ابن خاقان ، فقال : أيها الوزير ، أردت قتلي فلم تجد إلى ذلك سبيلاً
 إلا بإدخال أبي العيناء إلى أمير المؤمنين مع عداوته لي ؛ فعاتب عبيد الله
 أبا العيناء في ذلك ، فقال : والله ما استعدبت الواقعة فيه حتى ذممت سريره
 لك ؛ فأمسك عنه .

سؤاله عن
 موسى بن
 عبد الملك

ثم دخل بعد ذلك أبو العيناء على المتوكل فقال : كيف كنت بعد ؟ قال :
 في أحوالٍ مختلفة : خيرها رؤيتك وشرها غيبتك ، فقال : قد والله اشتقتك !

(١) متع الصبح : ظهر ، والشحذ والتطفيل : التسول والسؤال
 (٢) الأخر : هو خلف الأحمر

قال : إنما يشفق العبد ؛ لأنه يتعذرُ عليه لقاء مولاه ، وأما السيدُ فتى أراد عبده دعاه .

وقال له المتوكل : مَنْ أسخى مَنْ رأيت ، ؟ قال : ابنُ أبي دُواد ، قال المتوكل : تأتي إلى رجل رفضته فتنسبه إلى السخاء ؟ قال : إنَّ الصدقَ يا أميرَ المؤمنين ليس في موضعٍ من المواضع أنفق منه في مجلسك ؛ وإنَّ الناسَ يغلطون فيمن ينسبونه إلى الجود ؛ لأنَّ سخاء البرامكة منسوبٌ إلى الرشيد ، وسخاء الفضل والحسن ابني سهل منسوبٌ إلى المأمون ، وجودُ ابن أبي دُواد منسوبٌ إلى المعتصم ؛ فإذا نسب الناسُ الفتحَ وعبيد الله ابني يحيى إلى السخاء فذلك سخاؤك يا أميرَ المؤمنين ، قال : صدقت ؛ فمن أبخلُ من رأيت ؟ قال : موسى بن عبد الملك ، قال : وما رأيت من يُخله ؟ قال : رأيتُه يخدم القريب كما يخدم البعيد ، ويعتذرُ من الإحسان كما يعتذرُ من الإساءة ، فقال له : قد وقعتَ فيه عندي مرتين ، وما أحبُّ لك ذلك ؛ فألقه واعتذر إليه ، ولا يعلمُ أني وجهت بك ، قال : يا أميرَ المؤمنين ، من يستكتمني بحضرة ألف ؟ قال : لن تخاف ، قال : على الاحتراس من الخوف .

فصار إلى موسى فاعتذر كلُّ واحدٍ منهما إلى صاحبه ، وافترقا عن صلح ؛ فلقية بعد ذلك بالجعفرى ، فقال : يا أبا عبد الله ، قد اصطلحنا ، فما لك لا تأتينا ؟ قال : أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسك بالأمس ؟ فقال موسى : ما أرانا إلا كما كنا .

وقال له المتوكل : إبراهيم بن نوح النصراني وارجدٌ عليك ، قال : ولن ترضى عنك اليهودُ ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ! قال : إن جماعة من الكتاب يلومونك ! فقال :

إذا رضيت عني كرامُ عشيرتي فلا زال غضباناً عليّ لثامها
قال المتوكل له : أكان أبوك في البلاغة مثلك ؟ قال : لو رأى أمير المؤمنين
أنى لراى عبداً له لا يرضانى عبداً له .

وقيل لأبي العيناء : إن المتوكل قال : لولا أنه ضرير البصر لنادته ، فقال :
 إن أعفاني من رؤية الأهله ، وقراءة نقش الفصوص ، فأنا أصلح للمنادمة .
 ولقيه رجل من إخوانه في السحر ، فجعل يُعجب من بگوره ، فقال :
 أراك تشاركني في الفعل وتُفردني بالتعجب !

ووقف به رجل من العامة فأحس به ، فقال : من هذا ؟ قال : رجل من
 بني آدم ! قال : مرحباً بك ، أطل الله بقاءك ! وبقيت في الدنيا ، ماظنتُ هذا
 النسل إلا قد انقطع !

ودخل علي عبيد الله بن سليمان فقال : أقرب مني يا أبا عبد الله ، فقال :
 أعز الله الوزير ، تقرب الأولياء ، وحرمان الأعداء ، قال : تقربك غم ،
 وحرمانك ظلم ؛ وأنا ناظر في أمرك نظراً يصلح من حالك إن شاء الله .
 وقال له يوماً : اعذرنى فإني مشغول ، فقال له : إذا فرغت من شغلك لم
 نحتاج إليك ، وأنشده :

فلا تعتذر بالشغل عنا ؛ فإنما تُنَاطُ بك الأمل ما اتصل الشغل
 ثم قال : يا سيدي قد عذرتك ، فإنه لا يصلح لشكر من لا يصلح لعذر .
 وأقبل إليه يوماً فقال : من أين يا أبا عبد الله ؟ قال : من مطارح الجفَاء !
 وقال له مرة : نحن في العطلة مَرَّحومون ، وفي الوزارة محرومون ، وفي القيامة
 كل نفس بما كسبت رهينة .

وسار يوماً إلى باب صاعد بن مخلد ، فقيل : هو مشغول يُصَلِّي ، قال : لكل
 جديد لذة ! وكان صاعد نصرانياً قبل الوزارة .

ودخل إني عبيد الله بن سليمان ، فشكا إليه حاله ، فقال : أليس قد كتبنا
 لك إلى إبراهيم بن المدير ؟ فقال : كتبت إلى رجل قد قصر من همته طول
 الفقر ، وذل الأسر ، ومعاناة محن الدهر ، فأخفقت في طلبتي ! قال : أنت
 اخترته ؟ قال : وما علي - أعز الله الوزير ! - في ذلك ؟ قد اختار موسى قومه سبعين

جلا، فما كان منهم رشيد ، واختار النبي صلى الله عليه وسلم ابن أبي سرح كاتباً ، فرجع إلى المشركين مرتداً ، واختار علي بن أبي طالب أبا موسى حاكماً ، فحكّم عليه !

[إبراهيم بن المدبر]

وكان إبراهيم بن المدبر أسره صاحب الزنج بالبصرة وحبسه ؛ فاحتال حتى نهب السجّين وهرب ، فذلك ذكر أبو العيّن ذلّ الأسر ، وكان قد ضرب في وجهه ضربة بقي أثرها إلى أن مات ؛ ولذلك قال البحتري :

<p>وَمُبِينَةٌ شَهْرَ الْمَنَازِلِ وَشَمَّهَا كَانَتْ بِوَجْهِكَ دُونَ عَرَضِكَ إِذْ رَأَوْا وَلِئِنْ أُسِرْتَ فَمَا الْإِسَارُ عَلَى أَمْرٍ نَامَ الْمُضَلُّ عَنْ سُرَاكَ وَلَمْ تَخَفْ فَرَكِبَتْهَا هَوْلًا مَتَى تُخْبِرُ بِهَا مَا رَاعَهُمْ إِلَّا اسْتِرَاقُكَ مُضَلَّتَا تَخْمِي أُغْيِلِمَةً وَطَائِشَةَ أُخْطَى قَدْ كَانَ يَوْمَ نَدَى بِطَوْلِكَ بَاهِرًا ذِكْرٌ مِنَ الْبَأْسِ اسْتَعَدْتَ إِلَى الَّذِي وَوَحِيدَةٌ أَنْتَ انْفَرَدْتَ بِفَضْلِهَا</p>	<p>وَإِخْلِيلٌ تَكْبُورٌ فِي الْعِجَاجِ الْكَابِي أَنَّ الْوُجُوهَ تُصَانُ بِالْأَخْسَابِ نَصَرَ الْإِسَارَ عَلَى الْفِرَارِ بَعَابِ^(١) عَيْنَ الرَّقِيبِ وَقَسْوَةَ الْبَوَابِ يَقُولُ الْجَبَّانُ : أَتَيْتُ غَيْرَ صَوَابِ فِي مِثْلِ بُرْدِ الْأَرْقَمِ الْمُنْسَابِ^(٢) تَصِلُ التَّلْفُتُ خَشِيَةَ الطَّلَابِ حَتَّى أَضْفَتُ إِلَيْهِ يَوْمَ ضِرَابِ^(٣) أَعْطَيْتُ فِي الْأَخْلَاقِ وَالْآدَابِ لَوْلَاكَ مَا كُتِبَتْ عَلَى الْكُتَّابِ</p>
--	---

للبحثري
في ابن المدبر

[حديث صاحب الزنج ، ودعواه ، وبطلانها]

قال أبو بكر الصولي : حدثني محمد بن أبي الأزهر ، وقد ذاكرته خبر علي صاحب الزنج ، قال : ادّعى أنه علي بن محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن علي

(١) العاب : العيب (٢) المصلى : السيف ، والأرقم : الحية

(٣) الضراب : الطعان

ابن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، فنظرت مولده ومولد محمد
ابن أحمد الذي ادعاه فكان بينهما ثلاث سنين ، وكان لمحمد بن أحمد ولد
اسمه علي مات بعد هذا المدعى اسمه ونسبه بزمان . ثم رجع عن هذا النسب
فادعى أنه علي بن محمد بن عبد الرحيم بن رحيب بن يحيى المقتول بخراسان
ابن زيد بن علي .

قال أبو عبيدة محمد بن علي بن حمزة : ولم يكن ليحيى ولد يقال له رحيب
ولا غيره ؛ لأنه قُتل ابن ثمانى عشرة سنةً ولا ولد له .

قال بشر بن محمد بن السري بن عبد الرحمن بن رحيب : هو ابن عم أبي آحنا
علي بن محمد بن عبد الرحمن بن رحيب ، ورحيب رجل من العجم من أهل ورتين
من ضياع الري ، وهو القائل لبني العباس :

تضمنها من راحتها عقودها	بني عمنا إنا وأنتم أنامل
ونحن قديماً أصلها وعمودها	بني عمنا ولتيم الترك أمرنا
ونحن لديمها في البلاد شهودها	فإبال عجم الترك تقسم فيتنا
فبلغة عيش أو يبأد عميدها ^(١)	فأقسم لأذقت القراح وإن أذق

وقال أيضاً :

د وما قد حوته من كل عاص	لَهْفَ نَفْسِي عَلَى قُصُورِ بَغْدَا
ورجال على المعاصي حراس	وُخُورِ هُنَاكَ تُشْرَبُ جَهْرًا
أقجم الخليل بين تلك العراس	لَسْتُ بِابْنِ الْفَوَاطِمِ الزُّهْرِي إِنْ لَمْ

وله في هذا المعنى شعر كثير قد ناقضه البغداديون ، وكانت مدته حين نجح
إلى أن قتل أربع عشرة سنة ، وجملة من قتل ألف وخمسة ألف .

(١) البلغة - بضم الباء وسكون اللام - ما يتبلغ به

[عَوْدٌ إِلَى مَسْحِ أَبِي الْعَيْنَاءِ]

وذكر أبو العيناء رجلاً ، فقال : ضجك كاللبكاء ، وتودد كالعزاء ، ونوادر كندب الموتى !

وكان ينهاتر ابن مكرم كثيراً ، وكتب إليه ابن مكرم يوماً : قد ابتعتُ لك غلاماً من بني ناشر ، ثم من بني ناعِظ ، ثم من بني نهيد . فكتب إليه : فأتنا بما تَمدُّنا إن كُنتَ من الصادقين .

وولد لأبي العيناء ولد ، فأتى ابن مكرم فسلم عليه ، ووضع حجراً بين يديه وانصرف ، فأحس به ، فقال : مَنْ وضع هذا ؟ فقيل : ابن مكرم ، قال : لعنه الله ! إنما عرض بقول النبي صلى الله عليه وسلم : الولدُ للفراش وللعاهر الحجر .

وقال لابن مكرم ، وقد قدم من سفر : مالك لم تهدي إلينا هدية ؟ قال : لم آت بشيء ، وإنما قدمت في خف . قال : لو قدمت في خف نخلت زوحك ! وأتى إلى باب إبراهيم بن رباح ، فحُجِب ، فقال : إذا شغل بكأس يميناه وبحر يسراه ، وانتسب إلى أبي لا يعرف أباه ، لا يحفل بحجاب مَنْ أتاه . وقدّم إليه أبو عيسى بن المتوكل سكباجة ، فجعل لا تقع يده إلا على عظم ؛ فقال : جعلت فداك ! هذه قدر أو قبر ؟ .

ودعا ضريراً ليعشيه ، فلم يدع شيئاً إلا أكله ، فقال : يا هذا ، دعوتك رحمة فتركتني رحمة .

قد تم — بحول الله وقوته ، وحسن دعوته — الجزء الأول من كتاب « زهر الآداب ، وثمر الألباب » لأبن إسحاق الخضرى ، ويليه — إن شاء الله تعالى — الجزء الثانى ، مفتتحة بقول المصنف « ألقاها لأهل العصر في صفات انطعام ومقدماته ، وموائد وآلاته » نسأل الله — جلت قدرته ! — أن يعين على إكمالها ، إنه ولى ذلك .

فهرست الجزء الأول

من كتاب زهر الآداب

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
٥٩	جواب علي شعر جرير		مقدمة الطبعة الأولى
٥٩	فضل الشعر		مقدمة الطبعة الثانية
٦٠	شذور من كلام الرسول	٣٠	مقدمة المؤلف
٦٣	شعراء الرسول	٤٠	إن من البيان لسحرا
٦٥	أبو سفيان بن الحارث	٤٠	عمرو بن الأهمم والزبير بن بدر
٦٥	شعر كعب بن مالك		بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
٦٥	قصة النضر بن الحارث	٤١	ترجمة عمرو بن الأهمم
٦٧	رثاء أبي بكر لرسول الله	—	ترجمة الزبير بن بدر
٦٧	مناقب أبي بكر	٤٢	غلام يتكلم في حضرة عمر بن عبدالعزيز
٦٨	خطبة أبي بكر يوم مات الرسول	٤٣	كتاب من ابن العميد لبعض إخوانه
٦٩	رثاء فاطمة الزهراء لأبيها رسول الله	٤٤	السحر الحلال
٧٠	عود إلى المختار من كلام أبي بكر	٤٤	وصف رجل محبوب
٧١	رثاء عائشة أم المؤمنين لأبيها	٤٥	عليه بنت المهدي
٧٢	عمر بن الخطاب	٤٦	قيد الأوابد
٧٤	بكاء عمر	٤٦	عود إلى حلاوة الحديث
٧٥	عائكة بنت زيد	٥٥	الشعر والبيان
٧٥	عثمان بن عفان	٥٥	تفسير حديث وضبطه
٧٨	علي بن أبي طالب	—	الخطيئة وبنو أنف النافة
٨٢	عمرو بن عبدود	٥٦	بنو العجلان والنجاشي
٨٤	بيضة البلد	٥٦	حكومة عمر في الشعر
٨٥	هوان قبيلة عاملة	٥٧	جمرات العرب
٨٦	كلام الصحابة والتابعين	٥٧	انتقام امرأة
٨٦	آثار معاوية	٥٨	تعريض قادح

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
٨٨	الأخف بن قيس ومعاوية	١٢٥	عبد الله بن معاوية
٩٠	شعر زهير	١٢٧	الحسن بن زيد
٩١	التهنئة والتعزية	١٢٩	إبراهيم بن هرمة
٩٤	أهل البيت	١٣٠	موسى بن عبد الله
٩٥	وصف قریش وبنی هاشم	١٣٠	بين علي بن محمد العلوي والحسين بن إسماعيل
٩٧	الحسن بن علي وحبيب بن مسلمة	١٣١	العباس بن الحسين الهاشمي
٩٩	المصيبة بأبناء النبوة	١٣٣	موسى بن جعفر
١٠٠	بين الحسن ومحمد بن الحنفية	١٣٣	علي بن موسى
١٠٠	الدنيا في رأي الحسين	١٣٤	دعبل بن علي يرثي آل البيت
١٠١	معاوية والحسين	١٣٤	أوصاف الأشراف
١٠٢	ابن أبي ربيعة وسكينة بنت الحسين	١٣٨	الابتداء بحمد الله
١٠٢	علي بن الحسين زين العابدين	١٣٩	من شعر محمود الوراق
١٠٣	قصيدة الفرزدق في علي بن الحسين	١٤٠	البيان والبلاغة
١٠٦	لدى الرمة يمدح بلال بن أبي بردة	١٤٠	فضل القرآن على سائر الكلام
—	للبحرئى يمدح الفتح بن خاقان	١٤١	ماهية البلاغة لابن الرمانى
١٠٩	عاقبة الحرب	١٤٢	ألفاظ لأهل العصر في ذكر القرآن
١١٢	للبحرئى في قتال الأقارب	١٤٣	أقوال في البلاغة
١١٢	لأبي تمام في المعنى	١٤٣	عمرو بن عبيد
١١٤	لابن الحياض يمدح مالك بن أنس	١٤٥	البلاغة عند أهل المند
١١٥	لأشجع السلمي	١٤٥	البلاغة في رأي ابن المقفع
—	من شعر أبي تمام	١٤٦	الإطالة والإيجاز
١١٧	محمد بن علي بن الحسين الباقر	١٤٨	المعاني والألفاظ
١١٨	بصرع زيد بن علي	١٥١	بشار بن برد
١٢٠	عبد الله بن الحسن	١٥٢	وصية أبي تمام للبحرئى
١٢١	بين عبد الملك بن مروان وعمر بن أبي ربيعة	١٥٣	فضل الليل للحامى
١٢٢	ثعلبيل بن الفرخ	١٥٤	فضل التروى والأناة
١٢٢	عود إلى عبد الله بن الحسن	١٥٥	واجب النساخ
١٢٣	امرأة محمد بن عبد الله	١٥٥	صور مختلفة للبلاغة
١٢٤	جعفر بن محمد		

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
٢٠٠	فطنة إياس بن معاوية وقوة لسنه	١٦٠	صفة البلاغة والبلاء
٢٠٠	القرار من الحديث الملول	١٦٤	وصف النثر والشعر
٢٠١	طرف أدبية	١٦٥	كتاب لابن العميد
٢٠٢	ملح الغاضري	١٦٧	كتاب للصاحب بن عباد
٢٠٣	ملح أشعث	١٦٨	أبو الفضل الميكالي
٢٠٤	أبو نواس	١٦٩	أبو منصور الثعالبي
٢٠٥	الجزاز	١٧١	رسائل الميكالي
٢٠٦	أبو تمام يمدح عمرو بن طوق	١٧٣	وصف أبي الفضل الميكالي
—	ويمدح الحسن بن وهب	١٧٦	وصف البلاغة
٢٠٧	رواية الشعر والنسب	١٧٦	لأبي الفتح البستي
٢٠٨	عروة بن أدينة	١٧٧	لمطوعى يمدح الميكالي
١٧٧	أبو السائب الخزومي	١٧٨	لثعالبي يمدح الميكالي
٢٠٩	عود إلى عروة بن أدينة	١٧٩	لثعالبي في وصف فرس
٢١٠	حب الأحوص	١٧٩	لثعالبي يمجيب الميكالي
٢١١	ظرف أهل الحجاز ورقمهم	١٨٠	للميكالي يمجيب الثعالبي
١٧٩	أبو حازم	١٨٠	الوزير المهلب
٢١٢	عبيد الله بن عبد الله بن غيبة	١٨١	الحكمة ضالة المؤمن
١٨٠	ققهاء المدينة السبعة	١٨٢	وصف الكتاب للجاحظ
٢١٣	أبي نواس	١٨٠	تهادى الكتب
١٨١	لأبي محمد بن أبي أمية	١٨٨	أوصاف الكتب
٢١٤	ظرف أهل المدينة	١٩٣	المحادثة والمجالسة
٢١٤	لتشبيب بأخت الحجاج	١٩٣	الفهم والإفهام
١٨٥	وصف الدنيا لابن المعتز	١٩٥	واجب الجليس
٢١٨	بين ابن المعتز وثلعب	١٩٦	الحديث المعاد
٢١٩	شعر ابن المعتز	١٩٦	أنواع الأدب
٢٢٠	وصف النار لليفاء	١٩٨	تقسيم الأبيات
٢٢١	عود إلى شعر ابن المعتز	١٩٩	إياس بن معاوية محتج للاطناب
١٦١	رثاء المنصور	—	الجاحظ يرد عليه
٢٢٢	وصاف الرجال	—	ابن هبيرة يريد إياسا على القضاء
٢٢٥	شعر ابن المعتز	٢٠٠	أبو العيناء وقينة

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
٢١٧	يصف الماء وما يتصل به	٢٥٨	كلام الخلفاء
٢١٩	كفة الجعفرى للبحترى	٢٥٦	مقتل المتوكل
١٩٩	نصور المتوكل لابن الجهم	٢٦٠	وفاء البحتري
٢٣١	وصف موضع للبحترى	٢٦١	رثاء المتوكل المهلبى
٢٣٢	صنوبرى يصف موضعاً فى حلب	٢٦٢	أبو حية النخبرى
٢٣٣	لميكالى يصف بركة	٢٣٣	وصف الشباب لهارون بن يحيى
—	لعلى بن محمد الإيادى يصف داراً بالمنصورية	٢٦٥	قصر فى وصف الشباب
٢٣٥	الماء والغدران	٢٦٧	بين ابن منذر وأبى حية النخبرى
٢٣٧	وصف الرعد والبرق	٢٣٦	أعباء الكهولة لعمر بن قيس
٢٤١	الشرب فى الصحو	٢٦٨	للنضر بن تولب
٢٤٢	وصف شدة الشوق	٢٦٩	من شعر حميد بن ثور
٢١٠	وصف رجل حازم لابن المقفع	٢٧٠	لمحمود الوراق
٢٤٣	إبراهيم بن أدهم	—	للمتنبى
٢٤٤	وصف التقى والزهد لابن كناسة	—	للبحترى
٢١٢	من أخبار ابن المقفع	—	لابن هانى
٢٤٥	ترجمة الأصوص	٢٧١	لابن الرومى
٢١٣	فهم المنصور	—	لأبى تمام
٢٤٦	بليدة الحسد لابن المقفع	٢٧٧	وصف الثغر
٢٤٧	ألسنة الحساد	٢٧٤	وصف الجوارى السود
٢١٦	وصف الحسد	٢٧٥	لهنئة بنوأمين
٢٤٨	التلطف فى الطلب	٢٨٠	وصف الأفواه
٢٤٩	من كلام على بن عبيدة الرياحى	٢٨٢	شعر أبى نواس
٢٥٠	بين إبراهيم بن المهدي وأحمد بن أبى دواد وبختيشوع الطيب	٢٨٧	طرفة أديبة
٢٥١	أردشير بن بابك	٢٨٨	تظرف الحارث بن خالد
٢٥٢	أخلاق الملوك	٢٥٧	من أخبار عائشة بنت طلحة
٢٥٣	أخت ملك الحزر	٢٨١	مثل من التعريض
٢٥٤	أقوال الملوك والحكام	٢٩٠	الثريا بنت على
٢٥٧	همة سعد بن ناشب	٢٩١	عزة كثير
		٢٩٢	ظرف ابن أبى عتيق
		٢٩٣	كمثل الشيطان

الموضوع	صفحة	الموضوع	صفحة
أبيات مختارة في معان شقي	٢٨٣	٢٦١ رملة بنت عبد الله	
أبو العيناء	٢٨٣	٢٩٤ صفقة أبي غبشان الذي باع مفتاح	
بين أبي الصقر وابن الرومي	٢٩١	الكعبة بزق خمر	
ترجمة أبي العيناء، وطرف من أخباره	٢٩٢	٢٩٥ عفة ابن أبي ربيعة	
أحاديثه مع المتوكل	٢٩٢	٢٩٦ بين ابن جريج ومعن بن أوس	
المتوكل أول من أظهر الانكباب	٢٩٣	٣٠١ عائشة بنت طلحة	
على الشهوات من العباسيين ..		٣٠٢ لمامة ابن الرومي	
منزلة أبي العيناء في الكتابة	٣٢٤	٣٠٣ ساجان بن عبد الملك وأعرابي	
- من أبي العيناء لعبيد الله بن سليمان		٣٠٤ وصف رجل ماجد	
نوادره، وفكاهاته، وأجوبته	٣٢٥	٣٠٥ البديع الهمداني، وكيف استوحش	
إبراهيم بن المدبر	٣٢٦	صنع المقامات	
صاحب الزنج	٣٢٦	٣٠٦ كتابه إلى أبي نصر الميكالي	
عود إلى ملح أبي العيناء	٣٣٠	٣٠٦ عتابه للميكالي	

تمت فهرس الجزء الأول من « زهر الآداب » والحمد لله أولا وآخرا
والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه

زَهْرُ الْأَطْيَابِ

زَهْرُ الْأَلْبَابِ

وتمر الألباب

لأبي إسحاق إبراهيم بن علي ، الحصري ، القيرواني ، المتوفى في عام ٤٥٣ من الهجرة

مفصل ومضبوط ومشروح بقلم المرحوم

الدكتور زكي مبارك

الجزء الثاني

دار الجيل

للتأليف والنشر والطباعة

بيروت - لبنان

ص. ٨٧٢٧

الطبعة الرابعة

ألفاظ لأهل العصر في صفات الطعام

ومقدماته ، وموائده ، وآلاته

أَفْرِشْ طَعَامَكَ اسْمَ اللَّهِ ، وَأَلْحِفْهُ حَمْدَ اللَّهِ . لَا يَطِيبُ حَضُورَ الْخِيَوَانِ ،
إِلَّا مَعَ الْإِخْوَانِ . الْبِخْلُ بِالطَّعَامِ ، مِنْ أَخْلَاقِ الطَّعَامِ . الْكَرِيمُ لَا يَمْحَضُرُ ، تَقْدِيمَ
مَا يَمْحَضُرُ . قَدْ قَامَتْ خُطْبَاهُ الْقُدُورِ . قُدُورٌ أَبْكَارٌ ، بِخَوَاتِمِ النَّارِ . قَدْرٌ طَارَ
عَرَفُهَا ، وَطَابَ عَرَفُهَا . دَهْمَاءٌ تَهْدِرُ كَالْفَنِيْقِ ^(١) ، وَتَفُوحٌ كَالْمِسْكِ الْقَتِيْقِ .
مَائِدَةٌ كَدَارَةِ الْبَدْرِ ، تَبَاعَدُ بَيْنَ أَنْفَاسِ الْجَلَّاسِ . مَائِدَةٌ مِثْلُ عُرُوسٍ . مَائِدَةٌ
لَطِيْفَةٌ ، مَحْفُوفَةٌ بِكُلِّ طَرِيْفَةٍ . مَائِدَةٌ تَشْتَمِلُ عَلَى بَدَائِعِ الْمَأْكُولَاتِ ، وَغَرَائِبِ
الطَّيِّبَاتِ . مَائِدَةٌ كَأَنَّهَا عَمَلُهَا صُنَاعُ صُنْعَاءَ ، تَجْمَعُ بَيْنَ أَنْوَارِ ^(٢) الرَّبِيعِ ،
وَرِيْمَارِ الْخَرِيْفِ .

وقال الجواز : جاءنا فلان بمائدة كأنها زمن البرامكة على العفأة !
وذم آخر رجلا فقال : لا يمحصر مائدتيه إلا أكرم الخلق والأهمم - يريد
الملائكة والذباب .

وقال ابن الحجج لرجل دعاه وأخر الطعام :
قَدْ جُنَّ أَصْحَابُكَ مِنْ جُوعِهِمْ فَاقْرَأْ عَلَيْهِمْ سُورَةَ الْمَائِدَةِ
وَلِبَعْضِ أَهْلِ الْعَصْرِ يَذْمُ رَجُلًا :
خِيَوَانٌ لَا يُلِيمُ بِهِ ضُيُوفٌ وَعِرْضٌ مِثْلُ مِندِيلِ الْخِيَوَانِ
رُغْفَانٌ كَالْبَدُورِ الْمُنْطَقَةِ بِالنَّجُومِ . حَمَلٌ ذَهَبِيٌّ الدَّنَارُ ، فِضِّيٌّ الشَّعَارُ . أَطْيَبُ
مَا يَكُونُ الْحَمَلُ ، إِذَا حَلَّتْ الشَّمْسُ الْحَمَلَ ^(٣) . جَدَى كَأَنَّهَا تُدْفِ عَلَى جَبِينِهِ الْقَرْزُ .
زَيْرَبَاجَةٌ ، هِيَ الْمَائِدَةُ دِيْبَاجَةٌ ، تَشْفِي السَّقَامَ ، وَلَوْنُهَا لَوْنُ السَّقِيمِ . سِكْبَاجَةٌ تَنْتَقُ

(١) الفنيق : الفحل الهاجج (٢) في الأصل « أنواع » وهو تحريف .
(٣) الحمل الأول : الصغير أولاد الضأن ، والحمل الثاني : برج في السماء (م)

الشهوة ، واسفيدباجة تُغذَى القرم^(١) ، وطبَاهِجَةٌ يُتَفَكَّهُ بِهَا ، وَخَبِيصٌ يَحْتَمُّ
بِخَيْرٍ. طَبَاهِجَةٌ مِنْ شَرَطِ الْمَلُوكِ ، كَأَعْرَافِ الدِّيُوكِ ، وَقَلِيَّةٌ كَالْعُودِ الْمَطْرِيِّ. مَعْمُومَةٌ
تَفْرَجُ غَمَّ الْجَائِعِ . هَرِيْسَةٌ نَفِيْسَةٌ ، كَأَنَّهَا خِيُوطٌ قَزَمَشْتَبِكَةٌ ، كَأَنَّ الْمُرِّيَّ^(٢) عَلَيْهَا
عُصَارَةٌ الْمَسْكِ عَلَى سَبِيكَةِ الْفِضَّةِ . أَرْزَةٌ مَلْبُونَةٌ ، فِي السُّكَّرِ مَدْفُونَةٌ . شَوَاءٌ رَشْرَاشٌ^(٣)
وَقَالُودَجٌ رَجْرَاجٌ^(٤) . طَبَاهِجَةٌ تَغْذَى ، وَقَالُودَجَةٌ تَعْزَى ، وَاسْفِيدْبَاجَةٌ تَصْفَعُ قَفَا
الْجُوعِ^(٥) . لَا فِرَاشَ لِلنَّيْدِ ، كَالْحَمَلِ الْحَنِيدِ^(٦) . دَجَاجَةٌ سَمِيْطَةٌ ، لَهَا مِنَ الْفِضَّةِ
جِسْمٌ ، وَمِنَ الذَّهَبِ قَشْرَةٌ . دَجَاجَةٌ دِينَارِيَّةٌ ثَمْنَا وَلُونَا .

لابن الرومي
في وصف طعام
وهذا محلول من قول علي بن العباس الرومي يصف طعاماً أكله عند أبي بكر
الباقطاني :

وسميطة صفراء دينارية	ثمناً ولوئناً زفها لك حزور ^(٧)
عظمت فكادت أن تكون أوزة	وغلت فكاد إهابها يتفطر
طفقت تجود بذوبها جود ذابة	فأثى لباب اللوز فيها السكر
ظلنا نقشر جلدنا عن لحمها	فكان تبرا عن جبين يُقشر
وتقدمتها قبل ذاك تراند	مثل الرياض مثل ذاك تصدّر
ومرقات كلهن مزخرف	بالبيض منها ملبس ومدثر
وأنت قطائف بعد ذاك لطائف	ترضى اللهاة بها ويرضى الخنجر
ضحك الوجوه من الطبرزد فوقها	دمع العيان من الدهان يعصر

(١) في نسخة « تغزو القرم » والقرم : شديد الشهوة إلى أكل اللحم (م)

(٢) المرى : ضرب من الإدام (م)

(٣) الشواء : اللحم المشوى ، ورشراش : سمين (م) (٤) من كلام أبي بكر الخوارزمي

(٥) تلك أسماء الأطعمة التي كان يعرفها العرب لعهد الدولة العباسية ، وأكثرها

أسماء فارسية تغيب عنا مسمياتها الآن ؛ لأن للأطعمة اليوم أسماء جديدة أكثرها
تركية وفرنسية (٦) الحنيد : المشوى (م) (٧) الحزور : السريع إلى إكرام الضيف .

قال البديع : حدثني عيسى بن هشام قال : اشتهيت الأزاد^(١)، وأنا يبغداد^(٢)،
 وليس معي عقد ، على نقد^(٣) ، فخرجت أنتهز محال^(٤) ، حتى أحلني الكرخ^(٥) ؛
 فإذا أنا بسوادى^(٦) يحدو بالجهد حماره ، ويطرف بالعقد إزاره^(٧) ؛ فقلت :
 خلفنا والله بصيد ، وخيك الله أبا زيد ! من أين أقبلت ؟ وأين نزلت ؟ ومتى
 وافيت ، فهلم إلى البيت . فقال السوادى : لست بأبي زيد ، وإنما أبو عبيد !
 فقلت : نعم لعن الله الشيطان ، وأبعد النسيان ، أنساني طول العهد بك ،
 كيف أبوك ، أشاب كعهدي ، أم شاب بهدي^(٨) ؟ قال : قد نبت المرعى
 على دمنته^(٩) ، وأرجو أن يصيره الله إلى جنته ، فقلت : إن الله ، ولا قوة
 إلا بالله ، ومددت يد البدار^(١٠) ، إلى الصدر^(١١) أريد تمزيقه ، وأحاول تخزيقه^(١٢)
 فقبض السوادى على خصرى بجمعه^(١٣) ؛ وقال : نشدتك بالله لا مرقتك ، فقلت :
 فهلم إلى البيت نصب غداء ، أو إلى السوق نشري شواء ؛ والسوق أقرب ، وطعامه

(١) الأزاد : من أجود أنواع التمر ، وبغداد : هي بغداد

(٢) ليس معي عقد على نقد : أى ليس معي نقود يعقد عليها الكيس والثوب

(٣) المحال : جمع محل ، والكرخ : من الجانب الغربى من بغداد

(٤) السوادى : الرجل من قرى العراق ، نسبة إلى السواد ، وسمى العراق سواداً

لاكتساء أرضه بالخضرة ، ومعنى «يطرف بالعقد إزاره» أى يرد أحد طرفيه إلى الآخر

(٥) كعهدي : أى كعهدى به حين عرفته

(٦) الدمنة : آثار الديار ، ولا ينبت الربيع على الدمنة إلا حين يبعد عهدا

بالخراب ، يريد أن أباه مات منذ زمن طويل .

(٧) البدار : المسارعة ، والصدار : قيص صغير يلى البدن

(٨) يريد أنه هم بتمزيق ثوبه من الحزن

(٩) جمع الكف - بضم الجيم - قبضته

أطيب ، فاستنزته حُمَةُ القَرَمِ^(١) ، وعطفته عطفة النهم ، وطَمِع ، ولم يعلم أنه وقع ، ثم أتيت شَوَاءً يتقاطرُ شِوَاؤُهُ عَرَقًا ، ويتسائل جُودَابُهُ مَرَقًا^(٢) ، فقلت : أبرز لأبي زيد من هذا الشواء ، ثم زِنْ له من تلك الحَلْوَاءِ ، واختر من تلك الأطباق ، ونضد عليها أوراق الرقاق ، وشيئا من ماء السَّمَاقِ^(٣) ؛ لِيَأْكُلَهُ أبو زيد هنيئا . فأنهى الشَوَاءَ بِسَاطُورِهِ^(٤) ، على زُبْدَةِ تَنْوَرِهِ ، فجعلها كالكحل سَجْحًا ، وكالطحين دَقًّا ، ثم جلس وجلست ، ولا نَبَسَ ولا نَبَسَتْ ، حتى استوفيناها . وقلت لصاحب الحلواء : زِنْ لأبي زيد من اللوزينج رطلين^(٥) ، فإنه أجرى في الحلو ، وأسرى في العروق ، وليكن ليلي العُمر ، ويومى النَّشْرَ^(٦) ، رقيق القشر ، كثيف الخشو ، لؤلؤى الدهن ، كوكبي اللون ، يذوب كالصَّمْعِ ، قبل المَضغِ ، لِيَأْكُلَهُ أبو زيد هنيئا . فوزنه ، ثم قعد وقعدتُ ، وجرَدَ وجرَدَتُ^(٧) . واستوفيناها ، ثم قلت : يا أبا زيد ، ما أحوجنا إلى ماء يُشَعِّعُ بالشايح ، ليقمع هذه الصَّارَةَ^(٨) ، وَيَفْتَأُ هذه اللَّقْمَ الحارَةَ^(٩) ؛ اجلس أبا زيد حتى آتيتك بسقاء ، يُحْمِيْنَا بِشَرْبَةِ من ماء ، ثم خرجت ، وجلست بحيث أراء ولا يرانى ، أنظر ما يُصنع به . فلما أبطأتُ عليه قام السَّوَادِيّ إلى حماره ، فاعتلق الشَوَاءَ بإزاره .

-
- (١) الحمة : إبرة العقرب يلسع بها من يلمسه ، والقرم : شدة الشهوة إلى اللحم
 (٢) الجوداب : خبز يوضع في التنورة ومدّه طائر أو لحم
 (٣) السماق : حب أحمر صغير شديد الحموضة ، شجره يشبه الرمان
 (٤) الساطور : آلة يقطع بها الجزار اللحم
 (٥) اللوزينج : نوع من الحلواء يصنع من نوع من الخبز يسقى بدهن اللوز ، ويحشى بالجوز .

- (٦) ليلي العمر : صنع من ليلته ، ويومى النشر : نشر في يومه
 (٧) جرد وجردت : يريد أن كلا منهما جرد يده من ثيابه استعداداً للمائدة
 (٨) الصارة العطش
 (٩) يفتأ : يسكن

وقال : أين ثمن ما أكلت ؟ قال : ما أكلته إلا ضيفا ! قال الشَّوَاء : هلك وآك متى دعوناك ؟ زين يا أبا القعبة عشرين ، وإلا أكلت ثلاثا وتسعين ! فجعل السوادى يبكى ويمسح دموعه بأردانه ، ويمحُّ عُقْدَهُ بِأَسْنَانِهِ ، ويقول : كم قلت ذلك القُرَيْد ، أنا أبو عبيد ، وهو يقول : أنت أبو زيد ! ؟ فأنشدت :

اعْمَلْ لِرِزْقِكَ كُلَّ آلَةٍ لَا تَقْعُدَنَّ بِذَلِكَ حَالَهُ

وَانهَضْ بِكُلِّ عَزِيمَةٍ فَالْمَرْءُ يَفْجُزُ لَا الْمَحَالَةَ^(١)

لعلى بن يحيى
المنجم

ومن مליح ما قيل في القطائف قول على بن يحيى بن أبي منصور المنجم :
قطائفٌ قد حُشِبَتْ بِاللُّوزِ وَالسُّكْرِ الْمَادِي حَشْوَ الْمَوْزِ^(٢)
يسبح في آذَى^(٣) دُهْنِ الْجَوْزِ سُرِرْتُ لِمَا وَقَعْتُ فِي حَوْزِي
سرور عباس بقرب فوز^(٤)

ومن ألفاظ أهل العصر في الحلواء : فالودج بلباب البر ، ولعاب النحل ،
كأن اللوز فيه كواكب در ، في سماء عقيق .

لابن الرومى
يصف اللوزينج

ولم يقل أحد في صفة اللوزينج أحسن من قول ابن الرومى :
لَا يُخِطِّتْنِي مِنْكَ لَوْزِينَجٌ إِذَا بَدَأَ أُعْجِبَ أَوْ عَجِبَا
لو شاء أن يذهب في صخرةٍ لسهل الطيب له مذهبا
لم تغلق الشهوة أبوابها إلا أبت زلفاه أن يُحجبا
يدور بالنفحة في جامه دورا ترى الذهن له لولبا^(٥)

(١) قد ترجمنا هذه المقامة الطريفة إلى الفرنسية في كتابنا

La prose Arabe au IV siècle de l'Hégire

(٢) المادى : العسل

(٣) الآذى : الموج

(٤) فوز : هى معشوقة العباس بن الأحنف

(٥) اللولب : استدارة الماء

عَاوَنَ فِيهِ مَنَظَرَ نَخْبَرًا مُسْتَحْسِنٌ سَاعِدًا مُسْتَعْدَبًا
 مُسْتَكْتَفٍ الْخَشْوِ وَلكِنَّه أَرْقٌ جِلْدًا مِنْ نَسِيمِ الصَّبَا^(١)
 كَأَنَّمَا قُدَّتْ جَلَابِيهُهُ مِنْ نَقْطَةِ الْقَطْرِ إِذَا حَبَبًا^(٢)
 يُخَالُ مِنْ رِقَّةٍ خِرْشَاءِ^(٣) شَارِكٌ فِي الْأَجْنِحَةِ الْجُنْدُبَا^(٤)
 لَوْ أَنَّهُ صُورَ مِنْ خُبْرِهِ تَفَرُّ لَكَانَ الْوَاضِحَ الْأَشْنَبَا^(٥)
 مِنْ كُلِّ بِيضَاءٍ يَوَدُّ الْفَتَى أَنْ يَجْعَلَ الْكَفَّ لَهَا مَرَكَبَا
 مَدْهُونَةَ زَرْقَاءَ مَدْقُوقَةٍ^(٦) صَهْبَاءَ تَحْكِي الْأَزْرَقَ الْأَشْهَبَا
 قَرَّةَ عَيْنٍ^(٧) وَفَمِ حُسْنَتِ وَطَيَّبَتْ حَتَّى صَبَا مِنْ صَبَا
 دَيْفٍ لَهُ اللَّوْزُ ؛ فَمَا مُرَّةً مَرَّتْ عَلَى الذَائِقِ إِلَّا أَبِي^(٨)
 وَانْتَقَدَ الشُّكْرَ تُقَادُهُ وَشَاوَرُوا فِي تَقْدِهِ الْمَذْهَبَا
 فَلَا إِذَا الْعَيْنُ رَأَتْهُ نَبَتْ وَلَا إِذَا الضَّرْسُ عَلَاهُ نَبَا
 لَا تُنْكِرُوا الْإِدْلَالَ مِنْ وَامِقٍ وَجَهَ تَلْقَاءِ كُمْ الْمُطَلْبَا
 هذه الأبيات يقولها في قصيدة طويلة يمدح فيها أبا العباس أحمد بن محمد
 ابن عبد الله بن بشر المرثدي ، ويهنيه بابن ولده ، وأولها :

شمسٌ وبدرٌ وُلدَا كَوَكْبَا أَقْسَمْتُ بِاللَّهِ لَقَدْ أَنْجَبَا

قال أبو عثمان سعيد بن محمد الناجم : دخلت على أبي الحسن وهو يعمل هذ

(١) رواية الديوان « أرق قشرا »

(٢) حجب : صار ذا حجب ، بالتحريك . ورواية الديوان « من أعين المطر
الذي قبا » وفي رواية أخرى « طبا »

(٣) الخرشاء : الجلدة الرقيقة (٤) الجندب : الجراد

(٥) الأشنب : من الشنب - بالتحريك - وهو رقة وبرد وعذوبة في الأسنان

(٦) كذا في الأصل. وفي الديوان « مدقونة » (٧) رواية الديوان « ملذعين »

(٨) يريد أن صانع اللوزينج كان يختبر اللوز لي طرح منه ما يجديه مرارة

القصيدة ، فقلت : لوتفأأتَ فيها لأبي العباس بسبعة من الولد ؛ لأن أبا العباس منكوساً سابعاً ، لجاء المعنى ظريفاً ، فقال :

وقد تفأأتُ له زاجراً كُنَيْتَه ، لا زاجراً ثَمَلِبا
إني تَأَمَلْتُ له كُنَيْتَهُ إذا بدا مَلُوبِها أَعْجِبا
يَضُوعُها العَكْسُ أبا سابعٍ لا كَذَبَ اللهُ ولا خَبِيا
بل ذاكَ قالَ ضامِنٌ سَبْعَةَ مِثالِ الصَّقُورِ اسْتَشْرَفَتْ مَرَقِبا
يأتون من صُلْبِ فتي ما جِدِ وذاكَ قالَ لم يَمُدُّ مَعْطِبا
وقد أتانا منهمُ واحِدٌ فلننظِرُهُم سِيتَةَ غُيِّيا
في مُدَّةٍ تَفْعُرُها نِعمَةٌ يجعلُها اللهُ له ثُرُتِبا^(١)
حتى نراهُ جالِساَ بينهمُ أَجَلَ من رَضوى ومن كَبْكا^(٢)
كالبدْرِ وافي الأرضَ من نُورِهِ بينَ نجومِ سَبْعَةٍ فاجتِبي^(٣)
وليشكرِ النَّاجِمُ عن هذه فإنها من بَعْضِ ما بَوَّبا
سَدَى وألحمتُ أخٌ لم أزلُ أشكرُ ما أسدَى وما سَبِبا

وكان ابن الرومي منهوماً في المآكل ، وهي التي قتلته ، وكان مُعجَباً بهم ابن الرومي
باسمك ، فوعده أبو العباس المرهدي أن يبعث إليه كل يوم بوظيفة لا تنقطع ،
فبعث إليه يوم سبت ، ثم قطعه ، فقال :

ما لِحِيتانِنا جَفَّتْنا وأنى أخلفَ الزائرونَ منتظرِيهم
جاء في السَّبْتِ زورُهُم فأتينا من حِفاظِ عليه ما يَكفِيهم^(٤)

(١) الترتب - على وزن قنقد وجندب - الشيء الملقى الثابت

(٢) رضوى وكيبك : جيلان (م) (٣) احتبي : جمع بين ظهره وساقه بهامة

ونحوها . وهي جلسة معروفة عند أشرف العرب - كذا ، والصواب « فاجتبي »

بالجيم - أي اختار واجتبي (م) (٤) الزور : الضيف

وجعلناه يوم عيد عظيم فكأننا اليهود أو نمحكيهم
وأراهم مصممين على الهجر فلم يسخطون من يرضيهم
قد سبتنا وما أتنا وكانوا يوم لا يسبتون لا تأتيهم
فاتصل ذلك بالناجم ، فكتب إلى ابن الرومي :

من الناجم إلى
ابن الرومي

أبا حسن أنت من لا ترا ل محمد في الفضل رجحانه
فكم تحسن الظن بالمرثدي وقد قلل الله إحسانه
ألم تدر أن الفتى كالسراب إذا وعد الوعد إخوانه
فبحر السراب يفوت الطوب فقل في طلابك حيتانه

وخرج ابن الرومي إلى بعض المنزهات وقصدوا كرمًا رازقيًا ، فشره
هناك عامة يومهم ، وكانوا يتهمونهم في شعره ، فقالوا : إن كان ما تُنشدنا لا
فقل في هذا شيئًا ، فقال : لا تريموا حتى أقول فيه ، وأنشدهم لوقته :

لابن الرومي
يصف الغناب
الرازقي

ورازقي مُخْطَفِ الخصورِ كأنه مخازنُ البلورِ
قد ضمنت مسكاً إلى الشطور وفي الأعلى ماء وزدٍ جورى^(١)
بلا فريد وبلا شذورٍ له مذاقُ العسلِ المشورِ^(٢)
وبردٌ مسَّ الخصرِ المقرورِ ونكهةُ المسكِ مع الكافورِ^(٣)
ورقةُ الماءِ على الصدورِ باكرتهُ والطيرُ في الوكورِ
بفتيةٍ من ولدِ النصورِ أملاً للعينِ من البدورِ
حتى أتينا خيمةَ الناطورِ قبل ارتفاعِ الشمسِ للذرورِ^(٤)

(١) جورى : نسبة إلى جور ، وهى مدينة فيروزاباد

(٢) من «شارالعسل يشوره» أى جناه

(٣) من الخصر - بالتحريك - وهو البرد ، والقر - بالضم - ومعناه البرد أياً

(٤) الذرور : الطلوع ، والناطور : حافظ الكرم والنخل

فَانْحَطَّ كَالطَّائِرِ مِنَ الصُّقُورِ بطاعةِ الرَّاعِبِ لَا الْمَقْهُورِ
 وَالْحَرُّ عَبْدُ الْحَلَبِ الْمَشْطُورِ حَتَّى أَتَانَا بِضُرُوعِ حُورِ^(١)
 مَمْلُوءَةٍ مِنْ عَسَلٍ مَحْضُورِ وَالطَّائِرُ مِثْلُ اللَّوْلُؤِ الْمَشْهُورِ
 ثُمَّ جَلَسْنَا جِلْسَةَ الْمَجْبُورِ بَيْنَ حِفَائِي جَدْوَلِ مَسْجُورِ^(٢)
 أَيْضُ مِثْلُ الْمُهْرَقِ الْمَشْهُورِ أَوْ مِثْلُ مَتْنِ الْمُنْصَلِ الْمَشْهُورِ^(٣)
 يَنْسَابُ مِثْلُ الْحَيَّةِ الْمَذْعُورِ بَيْنَ سِمَاطِي شَجَرِ مَسْطُورِ^(٤)
 نَاهِيكَ لِلْعُقُودِ مِنْ ظُهُورِ فَنِيلَتِ الْأَوْطَارُ فِي سُرُورِ
 وَكُلُّ مَا يُقْضَى مِنَ الْأُمُورِ تَعَلَّةٌ مِنْ يَوْمِنَا الْمَنْظُورِ
 وَمُتَعَةٌ مِنْ مُتَعِ الْغُرُورِ

ألفاظ تناسب هذا النحو لأهل العصر في صفات الفواكه والثمار

كَرْمٌ تُسَلِّفُهُ الْمَاءُ الْقَرَّاحُ، وَيَقْضِينَا أَمْهَاتِ الرَّاحِ. عُنُقُودٌ كَالثَّرِيَّةِ، وَعَيْنَبٌ
 كَمَخَازِنِ الْبَلُورِ، وَضُرُوبِ الثُّورِ، وَأَوْعِيَةِ السَّرُورِ. أَمْهَاتِ الرَّحِيقِ. فِي مَخَازِنِ
 الْعَقِيقِ. نَخْلٌ تُسَلِّفُهُ الْمَاءُ، وَيَقْضِينَا الْعَسَلِ. رُطَبٌ كَأَنَّهَا شَهْدَةٌ بِالْعَقِيقِ مُقَنَّعَةٌ،
 وَبِالْعَقِيقِ مُقَنَّعَةٌ. رُمَّانٌ كَأَنَّهُ صُرَّرَ الْيَاقُوتِ الْأَحْمَرِ. سَفَرَجَلٌ يَجْمَعُ طَيِّبًا، وَمَنْظَرًا
 حَسَنًا عَجِيبًا، كَأَنَّهُ زَيْبِرٌ^(٥) الْخَزْ الْأَغْبَرُ، عَلَى الدِّيَابِاحِ الْأَصْفَرِ. تَنْفَاحٌ تَنْفَاحٌ^(٦)،
 يَجْمَعُ وَصْفَ الْعَاشِقِ الْوَجِلِ، وَالْمَعْشُوقِ الْخَجِلِ، لَهُ نَسِيمُ الْعَيْبَرِ، وَطَعْمُ الْكُرِّ،
 رَسُولُ الْمَحَبِّ، وَشَبِيهِ الْحَيْبِ. تَيْنٌ كَأَنَّهُ سُفْرٌ مَضْمُومَةٌ عَلَى عَسَلٍ. مَشْمَشٌ
 كَأَنَّهُ الشَّهْدُ فِي بِيَادِقِ الذَّهَبِ.

(١) جمع أحور (٢) المَجْبُورُ: المَسْرُورُ، وَمَسْجُورٌ: مَمْلُوءٌ

(٣) المَهْرَقُ: الصَّحِيفَةُ (٤) السِّمَاطُ: الصَّف

(٥) الزَّيْبِرُ - بِكسْرِ الزَّايِ وَسكونِ الهمزة وكسر الباءِ الموحدة - هو ما يظهر من

درز الثوب (٦) يَنْفَعُ بِالرَّائِحَةِ الْعَطْرَةَ

[بعض ما جاء في وصف الليل]

قال بعضُ الرواة : أنشدت أعرابيا قولَ جرير بن عطية بن الخَطَطِيِّ :
 أَبَدَلِ اللَّيْلُ لَاتَسْرِي كَوَاكِبُهُ أَمْ طَالَ حَتَّى حَسِبْتَ النُّجُومَ حَيْرَانَا
 فقال : هذا حسنٌ في معناه ، وأعوذ بالله من مثله ؛ ولكنني أنشدك في ضده
 من قولي ، وأنشدني :
 لأعرابي في
 وصف ليل لقاء

وليلٍ لم يُقَصِّرْهُ رُقَادٌ وقصَّرَ طَوْلَهُ وَضَلَّ الحَيْبِ
 نَعِيمُ الحَبِّ أَوْزَقَ فِيهِ حَتَّى تناوَلْنَا جَنَاهُ مِنْ قَرِيبِ
 بِمَجْلِسِ لَذَّةٍ لَمْ نَقْوَفِ فِيهِ على شَكْوَى وَلَا عَدَّ الذُّنُوبِ
 بِخَلِينَا أَنْ نَقْطَعَهُ بِلَفْظِ فَتَرَّجَمَتِ العَيُونُ عَنِ القُلُوبِ

فقلت له : زدني ، فما رأيت أظرف منك شعراً ؛ فقال : أمّا هذا الباب
 فحسبك ، ولكن أنشدك من غيره :

وكنت إذا عانقتُ حبالَ قومٍ صحبتهمُ وشيئتي الوفاء
 فأحسِنُ حينَ يُحسِنُ محسِنوم وأجتنبُ الإساءة إن أساءوا
 أشاء سوى مشيتهم فآتي مشيتهم وأترك ما أشاء

قال الأصمعي : قرأتُ على أبي مُخَذَّرِ خَلْفِ بنِ حَيَّانِ الأحمَرِ شعراً جرير ،
 فما بلغت إلى قوله :

ويوم كإيهام القطاة محببٌ إلى صباهُ غالبٌ لي باطلهُ
 رزقنا به الصيد العزيز ولم نكن كمن نبله محزومةٌ وحبايلُهُ
 فيالك يومٌ خَيْرُهُ قبل شرِّه تغيّب واشيه وأقصرَ عاذلُهُ

فقال خلف : وَيَجْه ! فما ينفعه خيرٌ يؤول إلى شرٍّ ؟ فقلت له : كذا
 قرأته على أبي عمرو بن العلاء ، فقال لي : وكذا قال جرير ، وما كان أبو عمرو
 ليتمرئك إلا ماسمعة ، قلت : فكيف كان يجب أن يكون ؟ قال : الأجود أن

يقول : خيره دون شره ، فأزوه كذلك ، فقد كانت الرواة قديماً تُصليحُ أشعار الأوائل ، فقلت : والله لا أرويه بعدها إلاّ كذا .

إبراهيم بن
العباس يصف
قصر الليل

ومن أجود ما قيل في قصر الليل قول إبراهيم بن العباس :
وليلة من الليالي الغرّ قابلتُ فيها بَدْرَها بِيَدْرِ
لم تكُ غيرَ شفقٍ وفجرٍ حتى تقضتُ وهي بكرُ الدَّهرِ

للأصبهاني
يصف يوم لهُو

وقال محمد بن أحمد الأصبهاني فيما يتعلق بهذا المعنى وإن كان في ذكر النهار :

كيف يُرْجى لِقائِي هُدُوٌّ ورُقادي لَطْرَفِ عَيْنِي عَدُوٌّ
بأبي مَنْ نَعِمْتُ مِنْهُ بِيَوْمٍ لم يَزَلْ لِلسرورِ فِيهِ نَمُوٌّ
يوم لهُوٍ قَدِ اتَّقَى طَرْفاهُ فَكأنَّ العَشِيَّ فِيهِ شَدُوٌّ
إذُ لِشَخْصِ الرَقِيبِ فِيهِ ثَناءٌ ولبَدْرِ السَّماءِ مِنِّي دُنُوٌّ

لابن المعتز
يصف ليل
سرور

وقال ابن المعتز :

يا رب ليلٍ سَحَرٌ كلُّهُ مفتَضِحِ البَدْرِ عَليلِ النَّسيمِ
تَلتَقَطُ الأنفاسُ بَرْدَ النَّدَى فِيهِ قَنهيدِهِ لِجَرِّ الهَمومِ
لا أعرفُ الإصباحَ ما بدا فِي ضوئِهِ إلا بِسُكْرِ النَّدِيمِ
لبستُ فِيهِ بالتذاذِ الهوى وَلذَّةِ الرِّيحِ ثيابَ النعيمِ

(١) وصف منبج

بين الرشيد
وعبد الملك بن
صالح

أخذ قوله : « سَحَرُ كلُّهُ » من قول عبد الملك بن صالح بن عليّ ، وقد قال له الرشيد لما دخل منبج : أهذا منزلك^(٢) ؟ قال : هو لك ، ولي بك يا أمير المؤمنين ، قال : كيف بناؤه ؟ قال : دون منازل أهلي ، وفوق منازل الناس ، قال :

(١) بلد قديم ينسب إليه كثير من الشعراء أشهرهم البحري وأبو فراس

(٢) رواية ياقوت : « أهذا البلد منزلك ؟ »

وكيف ذلك وقد رُك فوق أقدارهم؟ قال: ذلك خلق أمير المؤمنين أتأسى به،
وأقفوا أثره، وأخذوا حذوه، قال: فكيف طيب منبج؟ قال: عذبة الماء،
قليلة الأدواء، قال: فكيف ليثها؟ قال: سحر كله^(١)؟

لأبي تمام

وأخذ هذا الطائي فقال:

أيامنا مصقولة أطرافها بك، والليالي كلها أسحارُ

ولأهل العصر، قال أبو علي محمد بن الحسين بن المظفر الحاتمي:
يا رب ليل سرور خيلته قصرًا كعارض البرق في أفق الدجاجة
قد كاد يعثر أولاه بأخيره وكاد يسبق منه فجره الشفقا
كأنما طرفاه طرفان اتفقا الجفنان منه على الإطباق وانفترقا

للحاتمي

الفاظ في هذا المعنى لأهل العصر

ليلة من حسنات الدهر، هواؤها صحيح، ونسيمها عليل. ليلة كبريد
الشباب، وبرد الشراب. ليلة من ليالي الشباب، فضية الأديم، مسكية
النسيم. ليلة هي لمعة العمر، وغرّة الدهر. ليلة مسكية الأديم، كافورية النجوم.
ليلة رقد الدهر عنها، وطلعت سعودها، وغابت عذالها. ليلة كالمسك منظرها
ومخبئها. ليلة هي باكورة العمر، وبكر الدهر. ليلة ظلماتها أنوار، وطوال
أوقاتها قصار.

(١) زاد ياقوت في معجم البلدان «قال: صدقت، إنها طيبة، قال: بل طابت بأمر
المؤمنين، وأين يذهب بها عن الطيب؟ وهي برة حمراء، وسنبلة صفراء، وشجرة خضراء، في
فيف فيح، بين قيصوم وشيح؟» قال الرشيد: هذا الكلام والله أحسن من الدر النظيم

[سعيد بن هريم ، وصيلته بالفضل بن سهل]

كان سببُ اتصال سعيد بن هريم بذي الرياستين الفضل^(١) - وسمى ذا الرياستين لأنه جمع بين رياسة القلم ورياسة التدبير للمأمون - أنه دخل عليه يوماً ، فقال : «الأجل آفةُ الأمل ، والمعروف ذخرُ الأبد ، والبرُّ غنيمةُ الحازم ، والتفريط مصيبةُ أخي القدرة ، وإنا لم نصنُ وجوهنا عن سؤالك ، فصنُ وجهك عن ردنا ، وضعنا من إحسانك بحيث وضعنا أنفسنا من تأميك » .
فأمر أن يُكتب كلامه ، وسماه سعيداً الناطق ، ووصله المأمون^(٢) فخص به .
فلحقته في بعض الأوقات جفوة من الفضل ، فكتب إليه : « يا حافظ من يضع نفسه عنده ، ويا ذا كبر من نسي نصيبه منه ، ليس كتابي إذا كتبت استبطاءً ، وما إمساكي إذا أمسكت استغناءً ؛ فكتبت مذكراً لاستقصراً فملك »
فوصله وأحسن إليه

وقد زوى بعضُ هذا الكلام المنسوب إلى سعيد بن هريم لأبي حفص الكرماني مع ذي الرياستين .

للتعبي بمدح
الفضل بن سهل

ويقول أبو محمد عبد الله بن أيوب التيمي :
لعمرك ما الأشرافُ في كل بلدةٍ
ترى عظماء الناس للفضل خشعاً
وإن عظموا للفضل إلا صنائعُ
إذا ما بدا ، والفضل لله خاشعُ
تواضعَ لما زاده الله رفعةً
وكلُّ جليل عنده متواضعُ

لإبراهيم بن
العباس بمدح
الفضل

وقال إبراهيم بن العباس :
الفضل بن سهل يدُ
تقاصر عنها المثلُ

(١) هو الفضل بن سهل ، ولد سنة ١٥٤ في سرخس ، وتوفي بهاسنة ٢٠٢ ، اتصل بالمأمون في صباه ، وأسلم على يده سنة ١٩٠ ، وصحبه قبل أن يلي الخلافة ، فلما ولي جعل له الوزارة وقيادة الجيش معاً . وقد مات قتيلاً في الحمام وهو في سرخس . وقيل : إن المأمون أعان على قتله ليخلص من سلطانه (٢) كذا ، ولعله « ووصله بالمأمون » (م)

فبَاطِنُهَا لِلنَّدَى وَظَاهِرُهَا لِلقُبَلِ
وَبَسَطَتْهَا لِلغِنَى وَسَطَوَتْهَا لِلأَجَلِ

أخذه ابنُ الرومي فقال لإبراهيم بن المدبر :

لابن الرومي
يمدح إبراهيم
ابن المدبر

أصْبَحَتْ بَيْنَ ضَرَاةٍ وَتَجْمَلِ وَالسَّرَّهَ بَيْنَهُمَا يَمُوتُ هَزِيلًا
فَأَمَدَدَ إِلَى يَدَا تَعْدٍ وَوَدَّ بَطْنُهَا بَدَلَ النِّوَالِ وَظَهَرُهَا التَّقْبِيلَا

وقال يمدح عبيدالله بن عبدالله بن طاهر ، وزاد في هذا المعنى تشبيها ظريفاً :

لابن الرومي
يمدح ابن طاهر

مَقْبَلُ ظَهْرِ الكَفِّ وَهَابُ بَطْنِهَا لَهَا رَاحَةٌ فِيهَا الحَطِيمُ وَزَمَزَمٌ
فَظَاهِرُهَا لِلنَّاسِ رُكْنٌ مَقْبَلٌ وَبَاطِنُهَا عَيْنٌ مِنَ العُرْفِ عَيْلِمٌ^(١)

وكان ذو الرياستين يَقْبَلُ صَوَابَ القَائِلِينَ بِمَا فِي قُوَّتِهِ مِنْ صَفَاءِ الغَرِيْزَةِ ،
وَجُودَةِ النَّحِيْزَةِ^(٢) فهو كما قال أبو الطيب :

من ترجمة
الفضل بن سهل

مَلِكٌ مُنْشِدُ القَرِيضِ نَدِيهِ يَضَعُ الثَّوْبَ فِي يَدَيْ بَرَّازِ

وكانت مخايلُ فضائه ، ودلائلُ عقله ، ظهرت ليحيى بن خالد وهو على دين

المجوسية ، فقال له : أسلم أجد السبيلَ إلى اصْطِنَاعِكَ ، قال : فأسلم على يدِ
المأمون ، ولم يزل في جَنَبَتِهِ^(٣) ، إلى أن رقى إلى رُتَبَتِهِ .

وذكره يحيى عند الرشيد فأجمل الثناء ، فأمر بإحضاره ، فلما رآه أفحيم ؛ فنظَرَ

الرشيد إلى يحيى كالمستفهم ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، إن من أدلِّ دليل على

فَرَاهَةِ المَلُوكِ أَنْ تَمْلِكَ هَيْبَةَ مَوْلَاهُ لِسَانَهُ وَقَلْبَهُ ، فقال الرشيد : لئن كنت

سكتَ لكي تقولَ هذا فقد أحسنت ، ولئن كان هذا شيئاً اعتراك عند الحُصْرِ

لقد أجدتَ ؛ وزاد في إكرامه وتقريبه ، وجعل لا يثنأه بعد ذلك عن شيء إلا

أجابه بأفصح لسان ، وأجود بيان .

(١) عيلم : كثيرة الماء ، والعيلم أيضاً : البحر (٢) النحيزة : الطبيعة

(٣) جنبته جا: به (م) .

قال سهل بن هارون : وما حُفِظَ من كلام ذي الرياستين مما رأينا تخليده
في الكتب ؛ يُؤتمّم به ، ويُنتفع بمَقُولِ حِكْمَتِهِ ، قَوْلُهُ : مَنْ تَرَكَ حَقًّا فَقَدْ غَنِيَ
حَقًّا ، وَمَنْ قَضَى حَقًّا فَقَدْ أُخْرَزَ غِنَاءً ، وَمَنْ أَتَى فَضْلًا فَقَدْ أُوجِبَ شُكْرًا ،
وَمَنْ أَحْسَنَ تَوَكُّلاً لَمْ يَعدِمِ مِنَ اللَّهِ صُنْعًا ، وَمَنْ تَرَكَ لِلَّهِ شَيْئًا لَمْ يَجِدْ لِمَا تَرَكَ
قَدْرًا ، وَمَنْ التَمَسَ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ حَمْدًا عَادَ ذَلِكَ عَلَى مُلْتَمِسِهِ ذِمًّا ، وَمَنْ طَلَبَ
بِخِلَافِ الْحَقِّ لَهُ دَرَكًا عَادَ مَا دَرَكَ مِنْ ذَلِكَ مُوْبِقًا^(١) ؛ وَذَلِكَ أُوجِبَ الْفَلَاحَ
لِلْمُحْسِنِينَ ، وَجَعَلَ سُوءَ الْعَاقِبَةِ لِلْمُسِيئِينَ الْمُقْصِرِينَ .

وَوَقَعَ فِي رُقْعَةٍ سَائِعٍ : نَحْنُ نَرَى قَبُولَ السَّعَايَةِ شَرًّا مِنْهَا ؛ لِأَنَّ السَّعَايَةَ
دَلَالَةٌ ، وَالْقَبُولَ إِجَازَةٌ ، وَلَيْسَ مَنْ دَلَّ عَلَى شَيْءٍ وَأَخْبَرَ بِهِ كَمَنْ قَبِلَهُ وَأَجَازَهُ ؛
فَاتَّقُوا السَّاعِيَ ؛ فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ فِي سَعَايَتِهِ صَادِقًا لَكَانَ فِي صِدْقِهِ آثِمًا ؛ إِذْ لَمْ يَحْفَظْ
الْحُرْمَةَ ، وَلَمْ يَسْتِرِ الْعَوْرَةَ .

والشئ يُقْرَنُ مَعِ جِنْسِهِ : كَتَبَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ ،
وَكَانَ وَالِيَا عَلَى أَرْمِينِيَةِ لِلرَّشِيدِ : إِنْ قَوْمًا صَارُوا إِلَى سَبِيلِ النَّصْحِ فَذَكُرُوا ضِيَاءًا
بَأَرْمِينِيَةِ قَدْ عَفَّتْ وَدَرَسَتْ^(٢) ، يَرْجِعُ مِنْهَا إِلَى السُّلْطَانِ مَالٌ عَظِيمٌ ، وَإِنِّي وَقَفْتُ
عَنِ الْمَطَالِبَةِ حَتَّى أَعْرِفَ رَأْيَكَ .

فَكَتَبَ إِلَيْهِ : قَرَأْتُ هَذِهِ الرُّقْعَةَ الْمَذْمُومَةَ ، وَفَهِمْتُهَا ، وَسُوقُ السَّعَايَةِ
بِحَمْدِ اللَّهِ فِي أَيَّامِنَا كَأَسَدَةٍ ، وَالسِّتَةُ الشُّعَاةُ فِي أَيَّامِنَا كَكَلِيلَةٍ خَاسِئَةٍ ؛ فَإِذَا قَرَأْتَ
كِتَابِي هَذَا فَاحْمِلِ النَّاسَ عَلَى قَانُونِكَ ، وَخُذْهُمْ بِمَا فِي دِيْوَانِكَ ؛ فَإِنَّا لَمْ نُوَلِّكَ
النَّاحِيَةَ ، لِتَتَّبِعَ الرُّسُومَ الْعَافِيَةَ ، وَلَا لِأَحْيَاءِ الْأَعْلَامِ الدَّائِرَةَ ، وَجَنَّبْنِي وَتَجَنَّبْ
بَيْتَ جَرِيرٍ يَخَاطِبُ الْفَرَزْدَقَ :

(١) الدرك - بالتحريك - اللعاق ، والموبق : المهلك (م)

(٢) عفت ودرست : كلاهما بمعنى ذهبت معالمها (م)

وكنت إذا خللت بدارِ فؤومٍ رَحَلتَ بِخِزْيَةِ وَتَرَكتَ عَارَا
وأجرِ أمورِكَ على ما يكسب الدعاءُ لنا لا علينا ، واعلم أنها مدة تنهى ،
وأيامٌ تَنْقِضِي ، قَامَا ذِكْرٌ جَمِيلٌ ، وإما خِزْيٌ طَوِيلٌ .

رجل يريد أن
ينصح المهدي

وقال رجلٌ للمهدي: عندي نصيحةٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فقال : لِمَنْ نَصِيحتِكَ
هذه ؟ أُنَا ، أَمْ لِعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ ، أَمْ لِنَفْسِكَ ؟ قال : لَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ^(١) ، قال :
ليس الساعي بأعظم عورةً ولا أفتَحَ حالاً ممن قَبِلَ سِعَايَتَهُ ، ولا تَخْلُو من أن
تكونَ حَارِيدَ نِعْمَةٍ ، فَلانْشِئْ غَيْظَكَ ، أَوْ عَدُوًّا فَلَنا عِقَابُكَ لَكَ عَدُوًّا ! ثم
أقبل على الناس فقال : لا يَنْصَحُ لَنَا نَاصِحٌ إِلَّا بما فيه اللهُ رِضًا ، وللمسلمين صَلاحٌ ؛
فإنما لنا الأبدانُ وليس لنا القلوبُ ؛ ومن استترَ عَنَّا لم نَكشفه ، ومن بادانا طلبنا
تَوْبَتَهُ ، ومن أخطأ أقلنا عَثْرَتَهُ ؛ فإني أرى التاديبَ بالصفحِ أبلغَ منه بالعقوبة ،
والسلامة مع العفو أكثرُ منها مع المعاجلة ، والقلوبُ لا تبقى لِوَالِدٍ لا يَنْعِطِفُ إِذَا
اسْتَعْطِفَ ، ولا يعفو إِذَا قَدَرَ ، ولا يغفر إِذَا ظَفَرَ ، ولا يَرْحَمُ إِذَا اسْتَرْحَمَ .

ووقع ذو الرياستين إلى تميم بن خزيمة : الأمورُ بتامها ، والأعمالُ بخواتمها ،
والصنائعُ باستدامتها ، وإلى الغاية يَجْرِي الجواد ؛ فهناك كَشَفَتِ الخِبرَةُ قِنَاعَ
الشكِّ ؛ فحمد السابق ، وذمَّ الساقط

بعض توقعات
الشمس بن سهل

وذو الرياستين هو القائل :

أضيتِ أَحْرَفَ «لا» مما لَقِطتِ بِهَا فحسولِي رَحَلها عَنَّا إلى نَعْمٍ
أَوْ صَيْرِها إِلَيْها مِنْكَ مَنعَةً إن كنتِ حاولتِ فِيها خِفةَ الكَلِمِ ^(٢)

(١) لم تر في الأصل ذكرًا للنصيحة . والظاهر من كلام المهدي أن ذلك «الناصر»
ذكر أصحاب المهدي بسوء ؛ فقال المهدي : ليس الساعي الخ . فليلاحظ القارىء
تلك الجملة التي ضاعت ليظهر له ربط الكلام . قلت : ليس هذا بلازم ، بل يجوز أن
يكون المهدي قد قطع عليه أن يسعى بما أجاب به من الكلام (م)

(٢) الضمير في صيرها « يعود إلى «لا» وفي «إليها» يعود إلى «نعم» وكأنه

قال : صيرى لا إلى نعم (م)

قَسَّمْ عَلَيْنَا فَعَارَضْنَا قِيَاَسَكُمْ يَا أَحْسَنَ النَّاسِ مِنْ قَرْنٍ إِلَى قَدَمٍ
ولما قتل ذو الرياستين دخل المأمون على أمته فقال : لا تجزعي فإني أبنيك
بعد ابنك . فقالت : أفلا أبكي على ابن أكتبني ابناً مثلك ؟

[بعض أوصاف الخيل]

ووصف ابن القرية^(١) فرساً أهداه الحجاجُ إلى عبد الملك بن مروان فقال : لابن القرية
حَسَنُ الْقَدِّ ، أَسِيلُ الْخَدِّ ، يَسْبِقُ الطَّرْفَ ، وَيَسْتَفْرِقُ الْوَصْفَ .

وأهدى عبد الله بن طاهر إلى المأمون فرساً وكتب إليه : قد بعثتُ إلى
أمير المؤمنين بفرس يلحق الأرانب في الصَّعداء ، ويمجوزُ الظِّباءَ في الاستواء ،
ويسبق في الحُدُور جَرَى الماء ، فهو كما قال تأبط شراً :

وَيَسْبِقُ وَفَدَّ الرِّيحَ مِنْ حَيْثُ يَنْتَحِي بِمُنْخَرِقٍ مِنْ شَدِّهِ الْمَتَدَارِكِ

وقال رجل لبعض النخاسين : اشتر لي فرساً جيِّدَ القَميصِ ، حَسَنَ
القُصُوصِ ، وَثِيقَ القَصَبِ ، نَقِيَّ العَصَبِ ، يُشِيرُ بِأُذُنَيْهِ ، وَيَنْدِسُ بِرِجْلَيْهِ^(٢) ،
كأنه موجٌ في لُجَّةٍ ، أَوْ سَيْلٌ فِي حَدُورٍ .

جمع محمد بن الحسين^(٣) هَذَيْنِ الْكَلَامَيْنِ وَزَادَ فَقَالَ يَصِفُ فَرَسًا : هُوَ حَسَنٌ
القَميصِ ، جَيِّدُ القُصُوصِ ، وَثِيقُ القَصَبِ ، نَقِيُّ العَصَبِ ، يُبْصِرُ بِأُذُنَيْهِ ،
وَيَتَّبِعُ بِيَدَيْهِ^(٤) ؛ وَيُدْأَخِلُ بِرِجْلَيْهِ ، كَأَنَّهُ مَوْجٌ فِي لُجَّةٍ ، أَوْ سَيْلٌ فِي حَدُورٍ ،
يِنَاهِبُ المَشَى قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ ، وَبِلِحْقِ الأَرَانِبِ فِي الصَّعداءِ ، وَيَمْجُوزُ جِوَارِي
الظِّباءِ فِي الاسْتِواءِ ، وَيَسْبِقُ فِي الحُدُورِ جَرَى المَاءِ ، إِنْ عَطِفَ جَارًا ، وَإِنْ أُرْسِلَ
طَارَ ، وَإِنْ كَلَّفَ السَّيْرَ أَمَّعَنَ وَسَارَ ، وَإِنْ حُبِسَ صَفَنَ^(٥) ، وَإِنْ اسْتَوْقَفَ فَطَنَ ،
وَإِنْ رَعَى ابْنَ^(٦) ؛ فَهُوَ كَمَا قَالَ تَابُطُ شَرًّا ، وَذَكَرَ البَيْتَ .

(١) هو أيوب بن يزيد للتوفى سنة ٨٤ هـ (٢) يندس : يضرب (٣) سماه النويري
في نهاية الأرب (٦٩/١٠) محمد بن الحسن بن الحرون (م) (٤) التبوع : إبعاد خطو الفرس
في جريه (٥) صفن الفرس : قام على ثلاث قوائم وطرف حافر الرابعة (٦) ابن : ترقب

آيات لتأبط
شرا

وأول هذه الآيات :

وإني لمُهَدِّ من تَنَأَى فِقَاصِدُ
أَهْرُ بِهِ فِي نَدْوَةِ الْحَى عِطْفَهُ
قَلِيلُ التَّشَكِّي لِعُلْمٍ يُصِيبُهُ
يُظَلُّ بِمَوْمَاةٍ وَيُمِئِي بِفَيْرِهَا
وَيَسْبِقُ وَفَدَ الرِّيحِ مِنْ حَيْثُ يَنْتَحَى
إِذَا خَاطَ عَيْنِيهِ كَرَى النُّومِ لَمْ يَزَلْ
إِذَا طَلَعَتْ أُولَى الْعَدُوِّ فَفَنَفَرُهُ
وَيَجْعَلُ عَيْنِيهِ رَيْشَةَ قَلْبِهِ
إِذَا هَزَّهُ فِي عَظْمِ قَرْنٍ تَهَلَّلَتْ
يَرَى الْوَحْشَةَ الْأَنْسِ الْأَنْسِ وَيَهْتَدِي

به لابن عم الصدوق شمس بن مالك
كما هزَّ عَطْفِي بِالْهَجَانِ الْأَوَارِكِ (١)
كثيْرُ المَوَمَى شَتُّ النُّومَى وَالْمَسَالِكِ
جَحِيشًا وَيَعْرَوْرِي ظُهُورَ المِهَالِكِ (٢)
بِمُنْخَرِقٍ مِنْ شَهْدِهِ المِتْدَارِكِ
له كَالِيءٌ مِنْ قَلْبِ شَيْحَانٍ قَاتِكِ (٣)
إِلَى سَلَّةٍ مِنْ صَارِمِ العَرَبِ بَاتِكِ
إِلَى ضَرْبَةٍ مِنْ حَدِّ أَخْلَقِ صَائِكِ (٤)
نَوَاجِدُ أَقْوَاهِ المَنَايَا الضُّوَاهِكِ
بِحَيْثُ اهْتَدَتْ أُمُّ النُّجُومِ الشُّوَابِكِ (٥)

وأهدى عمرو بن العاص إلى معاوية ثلاثين فرساً من سوابق خيل مضر ،
فعرضت عليه ، وعنده عقبة بن سنان بن يزيد الحارثي ، فقال له معاوية : كيف
ترى هدايانا يا أبا سعيد ؟ فإن أخاك عمراً قد أظنّب في وصفها ، فقال : أراها
يا أمير المؤمنين على ما وصف ، وإنها لمخيلة (٦) بكل خير ؛ إنها لسامية العيون ،
لاحقة البطون ، مصغية الآذان ، قباء الأسنان (٧) ، ضخام الركبات ، مشرفات

عقبة بن سنان
يصف خيلا
أهداها عمرو
ابن العاص
لمعاوية

(١) الندوة : المجتمع ، والهجان : الإبل الكريمة ، والأوارك : راعية الأراك
(٢) المومة : المفازة ينعدم فيها الماء ، وجحيش : منفرد ، ويعروري : يركب
على العري ، يريد أنه يركب ظهور المهالك بلا سرج وهو تعبير بدوي
(٣) الكاليء : الحافظ ، والشيجان : الحازم ، يريد أن قلبه يقظ وإن نامت
عينه ، وفي الأصل « سبحان »

(٤) الريشة : الرقيب ، والصائك : القاطع ، وفي الأصل « صابك »
(٥) أم النجوم الشوابك : هي الشمس (٦) مخيلة : مبشرة (٧) قباء : لها صرير

الحجبات^(١)، رَحَابُ الْمَنَاحِرِ، صِلَابُ الْحَوَافِرِ، وَقَعْمُهَا تَحْلِيلٌ، وَرَفْعُهَا تَعْلِيلٌ^(٢) فهذه إن مُطِبت سَبَقَتْ، وَإِنْ طَلَبَتْ لَحِقَتْ. قَالَ لَهُ مَعَاوِيَةُ: أَصْرَفَهَا إِلَى رَحْلِكَ؛ فَإِنَّ بِنَا عَنْهَا غَنَى، وَبِفَتْيَانِكَ إِلَيْهَا حَاجَةٌ.

للنابغة الجعدي

وقال النابغة الجعدي:

وَإِنَّا أَنَاسٌ لَا نَعُودُ خَيْلِنَا إِذَا مَا التَّقِينَا أَنْ تَحْمِيدَ وَتَنْفِرَا
وَنُنْكَرُ يَوْمَ الرُّوَيْعِ أَلْوَانَ خَيْلِنَا مِنْ الطَّعْنِ حَتَّى نَحْسِبَ الْجُؤُنَ أَشْقَرَا^(٣)
فَلَيْسَ بِمَعْرُوفٍ لَنَا أَنْ نَرُدَّهَا صِحَاحًا، وَلَا مُسْتَنْكَرًا أَنْ تُعَدَّ

لبعض العرب

وقال بعض العرب:

وَلَقَدْ شَهِدْتُ الْخَيْلَ يَوْمَ طَرَادِهَا بِسَلِيمٍ أَوْظَفَةَ الْقَوَائِمِ هَيْكَلِ^(٤)
فَدَعَوْا: نَزَالٍ! فَكُنْتُ أَوَّلَ نَازِلٍ وَعَلَامَ أَرْكَبُهُ إِذَا لَمْ أَنْزَلِ

لأعرابي

وَوَصَفَ أَعْرَابِيًّا فَرَسًا فَقَالَ: لَمَّا أُرْسِلْتَ الْخَيْلَ جَاءُوا بِشَيْطَانٍ فِي أَشْطَانِ^(٥)،
فَأَرْسَلُوهُ، فَتَمَعُ لَمَعَ الْبَرْقِ، وَاسْتَهْلَّ اسْتَهْلَالَ الْوَدْقِ^(٦)، فَكَانَ أَقْرَبَهُمْ إِلَيْهِ
الَّذِي يَتَمَعُ عَيْنَهُ مِنْ بَعْدِ عَلَيْهِ.

لأعرابي

وَذَكَرَ أَعْرَابِيًّا رَحَلًا فَقَالَ: عِنْدَهُ فَرَسٌ طَوِيلٌ الْعِدَارِ، أَمِينٌ الْعِثَارِ؛
فَكُنْتُ إِذَا رَأَيْتَهُ عَلَيْهِ ظَنَنْتَهُ بَازِيًا عَلَيَّ مَرَّأً، عَلَيْهِ رُمْحٌ طَوِيلٌ يَقْضِرُهُ الْآجَالُ.
وقال بعض المحدثين في هذا التطابق:

أَتَمِينَاهُمْ بِأَرْمَاحِ طَوَالٍ تَبْشُرُهُمْ بِأَعْمَارِ قِصَارِ

(١) جمع حجة - بالتحريك - وهي من الفرس ما أشرف على صفاق البطن من وركيه (٢) التحليل والتعليل: من حركات الخيل
(٣) الجون: الأسود (٤) الأوظفة: جمع وظيف، وهو مستدق الذراع والساق من الخيل والإبل وغيرها، والهيكل: الفرس الطويل
(٥) الأشطان: جمع شطان - بالتحريك - وهو الجبل (٦) الودق: المطر

أعرابي يصف خيل بني يربوع
ووصف أعرابي خيلا لبني يربوع فقال : خرجت علينا خيلٌ من مستطير
نقع^(١) ، كأن هَوَادِيهَا أعلام ، وآذَانَهَا أقلام ، وفرسانها أسود آجام^(٢) .
ولما أنشد العَمَّانِي الرشيدي يصف فرسا :

كَأَنَّ أذُنَيْهِ إِذَا تَشَوَّفَا قَادِمَةً أَوْ قَلَمًا مُحَرِّفًا

ولحن ، ففهم ذلك أكثر من حضر ؛ فقال الرشيدي : اجعل مكان « كأن »
تَحَال ، فَعَجَبُوا لِسُرْعَةِ تَهْدِيهِ .

وللطائيين في هذا النوع أشعارٌ كثيرة منعتني من اختبارها كثرة اشتهارها ؛
يصف فرسا
ولأبي تمام وسأشد بعض ذلك ، قال أبو تمام :

ما مُقَرَّبٌ ^(٣) يَحْتَالُ فِي أَشْطَانِهِ	مَلَّانٌ مِنْ صَلْفٍ بِهِ وَتَلْهُوقٍ ^(٤)
بِحَوَافِرِ حُفْرٍ وَصَلَّتْ أَصْلَتُ ^(٥)	وَأَشَاعِرِ شُعْرِ ^(٦) وَخَنَقِ أَخْلَقِ
ذُو أَوْلَاقٍ تَحْتَ الْعِجَاجِ ، وَإِنَّمَا	مِنْ صَحَّةِ إِفْرَاطٍ ذَاكَ الْأَوْلَاقِ ^(٧)
صَافِي الْأَدِيمِ كَأَنَّمَا أَلْبَسْتُهُ	مِنْ سُنْدُسٍ بُرْدًا وَمِنْ إِسْتَبْرَقِ
إِمْلِيَسَةً إِمْلِيدَةً لَوْ عُلِّقَتْ	فِي صَهْوَتِيهِ الْعَيْنُ لَمْ تَتَلَقِ ^(٨)
مُسْوَدَّ شَطْرِ مِثْلِ مَا سُودَّ الدَّجِي	مَبِيضٌ شَطْرُ كَابِيضَاضِ الْمُهْرَقِ ^(٩)

(١) النقع : غبار الحرب

(٢) الآجام : جمع أجمة - بفتحات - وهي مسكن الأسود (م)

(٣) المقرب والمقربة - على صيغة المفعول - الفرس التي تدنى وتقرّب لتلاي طرقها

فحل لثيم (٤) التلهوق : بريق البياض في الفرس (٥) الصلت : الجبين الواضح

(٦) الأشاعر : جمع أشعر ، وهو ما استدار بالحافر من منتهى الجلد

(٧) الأولق : الجنون (٨) الصهوة : موضع السرج من فرس ، والشاعر

يصف الفرس بأنه إمليسة إمليدة أي ناعم الممس براق .

(٩) المهروق : الصحيفة

وقال أبو عبادة :

للبحترى يصف
فرسا

وأغْرَ في الزَّمنِ البهيمُ مُحَجَّلٌ
وَإِني الضُّلوعُ بِشُدِّ عَقْدِ حِزَامِهِ
يهوى كَاهَوَاتِ الْعِقَابِ إِذَارَاتُ
مَتَوَحَّشٍ بِدَقِيقَتَيْنِ كَأَنَّمَا
كَالرَّاحِ النَّشْوَانُ أَكْثَرُ مَشِيهِ
وَيُظَنُّ رَيْعَانُ الشَّبَابِ يَرُوعُهُ
هَزِجُ الصَّهِيلِ كَانَ فِي نَبْرَاتِهِ
تَتَوَهَّمُ الْجُوزَاءُ فِي أَرْسَائِهِ
صَافِي الْأَدِيمِ كَأَنَّمَا عُيِّنَتْ لَهُ
وَكَأَنَّمَا كَسَى الْخُدُودَ نَوَاعِمًا
وَكَأَنَّمَا نَفَضَتْ عَايَهُ صِبْغَهَا
قَد رَخْتُ مِنْهُ عَلَى أَغْرٍ مُحَجَّلٍ (١)
يَوْمَ اللَّقَاءِ عَلَى مُعِمِّ مُخْوَلٍ
صِيدًا وَيَنْتَصِبُ انْتِصَابَ الْأَجْدَلِ (٢)
تُرْيَانٍ مِنْ وَرَقٍ عَلَيْهِ مُوَصَّلٍ (٣)
عَرَضَ عَلَى السَّنَنِ الْبَعِيدِ الْأَطْوَلِ
مِنْ نَشْوَةٍ أَوْ جِنَّةٍ أَوْ أَفْكَلٍ (٤)
نَعْمَاتٍ مَعْبَدَةٍ فِي الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ
وَالْبَدْرِ غُرَّةٌ وَجْهٍ الْمَتَهَلِّ
بِصَفَاءِ نَقْبَتِهِ مَدَاوِكُ صَيَقَلٍ (٥)
مَعَهَا تَلَا حِظَهَا بَلَّحِظٍ يَخْجَلِ
صَهْبَاءَهُ لِلْبَرْدَانِ (٦) أَوْ قَطْرِبِلٍ (٧)

- (١) البهيم : المظلم ، والفرة والتحجيل : بياض في الجهة والقوائم ، والأغر المحجل هو الفرس ، وهو مجازاً الرجل الكريم
(٢) الاجدال : الصقر (٣) الدقيقتان : صفة للساقين (٤) الأفكل : الرعدة
(٥) المداوك : جمع مدوك ، وهو المصقلة بكسر الميم فهما ، يقال : داك الصيقل السيف وسنه بالمدوك . وأخذنا في الدوك وهو تسوية الحلية وزينها
(٦) البردان ، بالتحريك ، اسم لعدة أما كُن ، والمراد به هنا الموضع الذي كان بهذا الاسم قرب بغداد ، وكان مشهوراً بالتمر ، وفيه يقول جحظة :
ادفع ورود الهم عنك بقهوة مخزونة في حانة الخمار
جازت مدى الأعمار ؛ فهي كأنها عند المذاق تزيد في الأعمار
يسعى بها خنث الجفون منم في خده ماء النضارة جار
في رقة البردان بين مزارع محفوفة بينفسج وبهار
بلد يشبه صيفه بخريفه رطب الأصائل بارد الأسحار
(٧) قطربل بضم فسكون ثم فتح الراء وباء موحدة مشددة مضمومة ولام ، اسم قرية

مَلَكَ الْعَيْونَ ؛ فَإِنْ بَدَأَ أُعْطِيَنَّهُ نَظَرَ الْمُحِبِّ إِلَى الْحَيْبِ الْمَقْبَلِ
وقال إسحاق بن خلف النـروانى لأبي دلف ، وكان له فرسٌ أدهم

لإسحاق بن
خلف يصف
فرس أبي دلف

يسميه غرابا :

كَمْ كَمْ تَجَرَّعَهُ الْمُنونَ وَيَسْلُمُ
من كل منبت شعرة من جلده
لو يَسْتَطِيعُ شَكَا إِلَيْكَ لَهُ الْفَمُ
خَطًّا يَنْمِقُهُ الْحَسَامُ الْمِخْذَمُ^(١)
ما تُدْرِكُ الْأرواحُ أُذُنِي جَزِيهِ
حتى يَفُوتَ الرِّيحَ وَهُوَ مَقْدَمُ
رَجَعْتَهُ أَطْرَافُ الْأَسِنَّةِ أَشْقَرًا
واللونُ أَذْهَمُ حِينَ ضَرَجَهُ الدَّمُ
وكانما عَقَدَ النُّجُومَ بِطَرْفِهِ
وكانَّهُ يُعْرَى المِجْرَةَ مُلْجَمُ

وقال أبو الطيب :

جَفَّتِي كَأَنِّي لَسْتُ أَنْطَقَ قَوْمِهَا وَأَطْعَمَهُمُ وَالشُّهْبُ فِي صُورِ الدُّهْمِ

وقال أبو الفتح كشاجم :

قد راح تحت الصُّبْحِ لَيْلٌ مَظْمٌ
ديباجُ أَلْوَانِ الْجِيادِ ، وَلَمْ يَكُنْ
إِذْ لَاحَ فِي السَّرْجِ المَحْمَلِ الْأَذْهَمُ
ضَحِكُ الْأَجِينِ عَلَى سِوَادِ أَدِيمِهِ
لِيُخَصَّ بِالديباجِ إِلَّا الْأَكْرَمُ
فَكَانَهُ بَيْناتِ نَعَشٍ مَلْبَبٌ
وكذا الظلامُ تُنِيرُ فِيهِ الْأَنْجَمُ
وكانما هُوَ بِالثَرِيحِ مُلْجَمُ

لأبي الفتح
كشاجم

قلت : هذا من قول ابن المعتز :

أَلَا فاسْتِغْنَى وَالظَّلامُ مُقَوِّضٌ وَنَجْمُ الدُّجَى تَحْتَ المِغَارِبِ يَرُ كُضُّ

لابن المعتز

= بين بغداد وعكبر ينسب إليها الحمر . وكانت لها أخبار كثيرة تنسج لكتاب في عدة مجلداته كما قال ياقوت ، إذ كانت ملعبا للاهين من شعراء الحمر والمجون

(١) الخدم : القاطع

لأبي الفتح
أيضاً

كَأَنَّ الثَّرِيَّا فِي أَوَاخِرِ لَيْلِهَا
وَقَالَ أَبُو الْفَتْحِ :
مَنْ شَكَ فِي فَضْلِ الْكَمِيَّتِ فِيهِنَّ
فِي مَنْظَرٍ مُسْتَحْسَنٍ مَحْمُودَةٍ
مَاءٌ تَدْفُقُ طَاعَةً وَسَّلَاسَةً
وَإِذَا عَطَفْتَ بِهِ عَلَى نَاوِرِدِهِ
وَصَفِ الْخَلُوقَ أَدِيمَهُ فَكَأَنَّمَا
قَصَرَتْ قِلَادَةُ نَحْرِهِ وَعِذَارِهِ
وَكَأَنَّمَا هَادِيَهُ جِذْعٌ مُشْرِفٌ
يَرِدُ الضَّحَاضِحَ غَيْرِثَانِي سُنْبِكَ
لَوْ لَمْ تَكُنْ لِلخَيْلِ نِسْبَةً خَلَقَهُ
وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ :

وَخَيْلٍ طَوَّاهَا الْقَوْدُ حَتَّى كَانَتْهَا
صَبِينَا عَلَيْهَا - ظَالِمِينَ - نِسْيَانًا
قَوْلُهُ : « ظَالِمِينَ » مِنْ أَبْدَعِ حَشْوٍ جَرَى فِي بَيْتٍ ، وَكَأَنَّ ابْنَ الْمُعْتَزِ أَشَارَ
إِلَى قَوْلِ أَعْرَابِيٍّ مَوْلِدٍ :

وَإِذَا هَاجَ شَوْقِي مِنْ مَعَاهِدِهَا ذِكْرٌ (٤)
لَكَ الضَّرْبُ ، فَاصْبِرْ إِنْ عَادَتْكَ الصَّبْرُ (٥)
وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ :

أَرَا جَعْتِي فِدَاكَ بِأَعْوَجِيٍّ
كَقِدْحِ النَّبْعِ فِي الرَّيْشِ اللَّوَامِ (٦)

لأبي المعتز أيضاً

(١) الخلق : نوع من الطيب (٢) هاديته : صدره (٣) الضحاضح : بقايا الماء

(٤) العود : البعير (٥) ذلفاء : اسم امرأة ، يريد أن حب السرعة إلى لقاءها هو

السبب في ضرب راحلته (م) (٥) الأعوجي : الفرس الكريم ، منسوب إلى أعوج .

واللوام : المحكم

بأدم كالظلام أغرَّ يَجْلُو
تَرَى أَحْجَالَهُ يَصْعَدْنَ فِيهِ
بُغْرَتِهِ دِيَا جِيرَ الظَّلامِ
صُعُودَ البرقِ فِي جَوِّ الغَمَامِ
وقال أيضاً :

قد أَعْتَدِي والصُّنْحُ كالمشيبِ
بقارحِ مُسَوِّمٍ يَعْبُوبِ
فِي أفقٍ مِثْلِ مَدَاكِ الطَّيِّبِ
أَوْ آسَةٍ أَوْفَتْ عَلَى قَضِيبِ
ذِي أذنٍ كخُوصَةِ العَسِيبِ (١)
أَسْرَعَ مِنْ ماءٍ إِلَى تَصْوِيبِ
يَسْبِقُ شَاوَ النظرِ الرَّحِيبِ
ومن رُجُوعِ حَظَّةِ المُرِيبِ (٢)
وقال :

رُبَّ رَكْبٍ عَرَسُوا ثَمَّ هَبُوا
وَعَدَوْنَا بِأَعِنَّةِ خَيْلِ
نَحْوِ إِسْرَاحٍ وَشَدِّ رِحَالِ
زَيْفَتِهَا غَرَّرَ ضَاحِكَاتِ
تَأْكُلُ الأَرْضَ بِأَيْدِ عِجَالِ
كَبُورِ فِي وَجْهِهِ لِيَالِ
وقال علي بن محمد الإيادي :

لعل الأيادي

مسح الظلام بعُرفه يدهُ
ومَشَى فقبَّلَ وَجْهَهُ البَدْرُ

وقال الناشئ أبو العباس عبد الله بن محمد :

لأبي العباس
الناشئ

أخوى عايه مَسَاحٌ مِنْ لِيْطَةٍ
فَكَأَنَّهُ مُتَلَفِّعٌ قُبَيْطِيَّةً
شُهْبٌ تَسِيلُ عَلَى نَوَاشِرِ سَاقِهِ (٣)
فَسَوَادُهُ كَاللَّيْلِ فِي إِظْلَامِهِ
أَنْوَاهَا مَشْدُودَةٌ بِنِطَاقِهِ
صَافِي الأَدِيمِ كَرِيمَةٍ أَنْسَابُهُ
وَبَيَاضُهُ كَالصُّبْحِ فِي إِسْرَاقِهِ
أَخْلَاقُهُ شَيْنٌ عَلَى أَعْرَاقِهِ

(١) القارح : الفرس القوي ، ومسوم : وضعت عليه السومة ، وهي العلامة ،
واليعبوب : الفرس السريع الطويل ، والعسيب : جريدة من النخل مستقيمة دقيقة
والذي لم يثبت عليه الخوص من السعف
(٢) تصويب : انحدار (٣) الليطة - بكسر اللام - قنر القصبه والقوس والقناة

كتب أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي إلى الأمير أبي
الفضل عبد الله بن أحمد بن ميكال ، وقد زاره الأمير في داره :

لأبي منصور
الثعالبي

لا زال مجذكاً للسمك رسيلاً
يا غرة الزمن البهيم إذا غداً
بإزائراً مدت سحائب طوله
وأنت بصوب جواهر من لفظه
بأبي وغير أبي هلال نوره
نقشت حوافر طرفه في عرصتي
ولو استطعت فرشت مسقط خطوه
ونثرت روعي بعدما ملكت يدي
وخررت بين يدي هواه قتيلاً

وقال أبو القاسم بن هاني يصف خيل المعز :

لابن هاني
يصف خيل
المعز

له المقربات الجرذ ينعلها دماً
يريق عليها اللؤلؤ الرطب ماءه
صقيلات أجسام البروق كأنما
إذا فرعت هام الكماة السنابك
ويسبك فيها ذائب التبريسابك
أمرت عليها بالشموس المداويك

وقال يصف فرساً لجعفر بن سلى بن حمدون :

ولابن هاني
أيضاً

تهلل مصقول النواحي كأنه
من البهيم ورد اللون شيب بكمتة
فلوميز منه كل لون بذاته
إذا جال ماله الحشن فيه غريق
كما شيب بالمسك الفتيق خلق (٢)
جرى سبج منه وذاب عقيق (٣)

وقال في قصيدة يمدح بها أبا الفرج الشيباني :

فتقت لكم ريح الجلال بعنبر
وأمدكم فلق الصباح المسفر

(١) رسيل : قرين (٢) البهيم : جمع بهيم ، وهو الأسود ، وشيب : خلط
(٣) السبج : السواد ، والعقيق : أراد الأحمر

وجنيتم ثمسّر الوقاع يانما
 أنبي العوالي السّمهرية والسيو
 من منكم الملك المظاع كأنه
 القائد الخليل العتاق شوازيبا
 شعث النواصي حسرة آذانها
 تنبو منا بكهن عن عفر الثرى
 في فتية صدا الحديد عبيرهم
 لا يأكل السرحان شلو عقيرهم
 بالنصر من ورق الحديد الأخضر
 ف المشرقية والعديد الأكثر
 تحت السوابغ تبع في حخير
 خزرأ إلى لخط السنان الأخرز^(١)
 قب الأياطل داميات الأنسر^(٢)
 قيطان في خد العزيز الأصغر^(٣)
 وخلقهم علق النجيع الأحمر^(٤)
 مما عليه من القنا المتكسر^(٥)

وقال في قصيدة يمدح بها إبراهيم بن جعفر بن علي :

فخر لطف أعوجى أنت في
 يبدى لعزك نخوة ، فكأنه
 هاد على الخليل العتاق ، كأنه
 صهواته والحسن والتطهيم^(٦)
 ملك تدين له الملوك عظيم
 بين الدجنة والصباح صريم^(٧)

(١) شوازيب : جمع شازب ، وهو الفرس الضامر ، والخزر : جمع أخزر ، وهو الذي ينظر بمؤخر عينه

(٢) الأياطل : جمع أياطل وهو الحصر ، وقب : جمع أقب وقباء من القبب بالتحريك وهو دقة الحصر وضمور البطن ، والأنسر : جمع نسر ، وهو ما ارتفع في باطن حافر الفرس من أعلاه .

(٣) الأصغر : الذي يصغر خده ويميله عن النظر إلى الناس تهاونا وكبرا

(٤) النجيع : دم الجوف ، والعلق : الدم الغليظ ، والخلوق : الطيب

(٥) السرحان : الذئب ، والشلو : العضو والجسد

(٦) التطهيم : الحسن ، يقال : جواد مطهم ، ورجل مطهم ، وامرأة في خلقها تطهيم

(٧) العتاق : الخيل الجياد ، والدجنة : الظلمة ، والصريم : المنقطع ، وأصله

الرملة المنصرمة من الرمال . والراد أن لونه وسط بين السواد والبياض فهو كبيت

ساحى القذال بِمِمْعِيهِ عِيَافَةً^(١) تحت الدُّجَى ولطَرَفِهِ تَنْجِيمٌ^(١)
 أذُنٌ مُؤَلَّلَةٌ ، وَقَلْبٌ أَصْمَعٌ^(٢) وَحَشًّا أَقْبُ ، وَكَلْكَلٌ مَلْعُومٌ^(٢)
 فَالطَّوْدُ مِنْ صَهْوَاتِهِ مُتَزَلِّزٌ^(٣) والجَيْشُ مِنْ أَنْفَاسِهِ مَهْزُومٌ^(٣)
 خَرَقَ الْعَيُونَ فَضَلَّ عَنْهَا لَوْنُهُ وَصَفَا قُلُوبَنَا مَا عَلَيهِ أَدِيمٌ^(٤)
 فَكَأَنَّمَا بَجَدَتْ عَلَيْهِ مِرْنَةٌ^(٤) وَاجْتَابَ عَنْهُ عَارِضٌ مَرٌّ كَرِيمٌ^(٤)
 وَكَأَنَّمَا نُجِرَتْ عَلَيْهِ بَوَارِقٌ^(٥) وَكَأَنَّمَا كُفِيتَ عَلَيْهِ نُجُومٌ^(٥)
 وَكَأَنَّكَ ابْنُ الْمَنْدَرِ النِّعْمَانُ فَوْقَ قِ سِرَاتِهِ ، وَكَأَنَّهُ الْيَحْمُومُ^(٦)

لعلى بن محمد
الإيادى

وقال لعلى بن محمد الإيادى يصف فرس أبي عبد الله جعفر بن أبي القاسم القائم:
 وَأَقْبٌ مِنْ لِحْقِ الْجِيَادِ ، كَأَنَّهُ قَصْرٌ تَبَاعَدَ رُكْنُهُ مِنْ رُكْنِهِ^(٥)
 لَدَيْتُ قَوَائِمَهُ عَصَابَ فِضَّةٍ وَغَدَّتْ بِسُمْرٍ صَفَا الْمَسِيلِ وَدُكْنِهِ^(٦)
 وَكَأَنَّمَا انْفَجَرَ الصَّبَاحُ بِوَجْهِهِ حُسْنًا ، أَوْ اخْتَبَسَ الظَّلَامُ بِمَتْنِهِ^(٦)
 قَيْدُ الْعَيُونَ إِذَا بَصُرْنَ بِشَخْصِهِ وَرِضَا الْقُلُوبِ إِذَا اصْطَلَيْنَ بِضِغْنِهِ^(٧)
 مُتَسَيِّطِرٌ بِالرَّاكِبِينَ ، كَأَنَّهُ بَارٍ تَرُوحُ بِهِ الْجُنُوبُ لَوْ كُنْهِ^(٧)

- (١) القذال : معقد العذار من الفرس خلف الناصية ، والعيافة : زجر الطير وهو أن تعتبر بأسمائها ومساقتها وأنوائها فتسعد أو تتشأم ، والعائف : المتكهن بالطير أو غيرها ، والتنجيم : النظر في النجوم بحسب مواقعها وسيرها ، والمراد أن أذنى هذا الجواد تدلانه على مواقع الخير والشر في الظلام
 (٢) مؤللة : من قولهم «أل الفرس» إذا نصب أذنيه وحددهما ، والقلب الأصمع : هو الذكي المتيقظ ، والأقب : الضامر ، والكلكل : الصدر ، ومن الفرس ما بين محزمه إلى مامس الأرض منه إذا ربض
 (٣) العارض : السحاب المنعترض في الأفق ، والمركوم : المتراكم الذي جمع بحضه فوق بعض . (٤) اليحوم : علم على فرس النعمان بن المنذر (م)
 (٥) أقب : ضامر دقيق ، ولحق : ضمير (م) (٦) متنة : ظهره (م)
 (٧) الوكن : العش ومثله الوكنة .

يستوقف اللحظات في خطراته
 حلو الصهيل تخال في لهواته
 متجبر يُذبي بعثق نجاره
 ذو نخوة شمخت به عن نده
 وكأنه فلك إذا حرّكته
 قد راح يحمل جعفر بن محمد
 بكال خلقتِه ودقة حسنه
 حاد يصوغ بدائعا من لحنه (١)
 إشراف كاهله ودقة أذنه (٢)
 وشهامة طمحت به عن قرنه (٣)
 جار على سهل البلاد وحزنه
 تحمل النسيم لوابل من مزنه

وما أحسن ما قال أبو الطيب المتنبي :

ويوم كآون العاشقين كمنته
 وعيني إلى أذني أغر كأنه
 له فضلة عن جسده في إهابه
 شتقت به الظلمات ، أذني عنانه
 وأصرع أيّ الوحش قفئته به
 وما الخيل إلا كالصديق قليلة
 إذا لم تشأعد غير حسن شياتها
 أراقب فيه الشمس أيان تقرب (٤)
 من الليل باق بين عينيه كوكب (٥)
 تجي على صدر رحيب وتذهب (٦)
 فيظني ، وأرخيه مرارا فيلعب (٧)
 وأنزل عنه مثله حين أركب (٨)
 وإن كثرت في بين من لا يجرب
 وأعضائها فالحسن عنك مغيب (٩)

لأبي الطيب
 المتنبي

(١) اللهوات : مجارى الحلق

(٢) عتق النجار : كرم العنصر (٣) اللند ، ومثله القرن : النظير

(٤) كمنته : أي كمننت فيه واستترت (٥) أغر : من الغرة وهي البياض في جبهة الفرس

(٦) الإهاب : الجلد ، وهو يصف الفرس بعرض الصدر وسعة الجلد لتسهيل عليه

سرعة العدو

(٧) العنان : اللجام

(٨) قفئته : اتبعته ، ومثله : منصوب على الحالية من الضمير في (عنه) ، يريد وصف

الحصان بدوام النشاط فهو عند النزول مثله عند الركوب

(٩) الشيات : الألوان

وينخرط في سلك هذا المعنى مقامة^(١) من مقامات الإسكندري في الكدية^(٢) مما أنشأه بديع الزمان وأملأه في شهور سنة خمس وثمانين وثلثمائة .
قال البديع :
مقامة بديع
الزمان في
وصف فرس

حدثنا عيسى بن هشام قال : حضرنا مجلس سيف الدولة يوماً وقد عُرضَ عليه فرسٌ * متى ماترق العين فيه تسهل^(٣) * فلحظته الجماعة ؛ فقال سيف الدولة : أيكم أحسن صفته ، جعلته صيلته ؛ فكلُّ جهد جهده ، وبذل ما عنده ؛ فقال أحد خدَميه : أصلح الله الأمير ! رأيت بالأمس رجلاً يَطأ الفصاحة بعمليه^(٤) ، وتقف الأبصار عليه ، يسأل الناس ، ويشفي الياس ، ولو أسر الأمير يحضاره ، لفضلهم بحضاره^(٥) .

فقال سيف الدولة : على به في هيئته ، فصار الخدم في طلبه ، فجاءوا للوقف به ، ولم يعلموه لأى حال دُعِيَ به ، ثم قُرَّب واستُدنى ، وهو في طمرين قد أكل الدهرُ عليهما وشرب^(٦) ، وحين حضر السَّاط ، لثم البساط ، ووقف . فقال سيف الدولة : بافتناعك عارضة^(٧) ، فأعرضها في هذا الفرس وصِفته . فقال : أصلح الله الأمير ! كيف به قبل ركوبه ووُثوبه ، وكشف عيوبه [وغُيوبه] ؟ فقال : ازكبه ، فركبه وأجراه ، ثم قال : أصلح الله الأمير ! هو طويل الأذنين ،

(١) هذه المقامة شرحها مؤلف زهر الآداب فليعد القارىء إلى شرحه في الصحيفة التي تلى المثامة ، وليكتف منا بما نراه من الشرح القليل (وانظر مقامات البديع ١٥٠ بيروت) (٢) الكدية : قسوة الدهر ، والمراد هنا الاستجداء .
(٣) يريد أن أعلاه وأدناه مستويان في الحسن ، وهذا التعبير مأخوذ من معلقة امرئ القيس

(٤) كناية عن انقيادها له (٥) الحضار - بالكسر - أصله جودة السير وسرخته
(٦) الطمران : ثوبان باليان (٧) العارضة : سرعة البديهة

قليل الاثنين، واسع المرات^(١)، لبن الثلاث، غليظ الأكرع^(٢)، غامض الأربع، شديد النفس، لطيف الخمس، ضيق القلت^(٣)، رقيق الست، حديد السبع، غليظ التسع، رقيق اللسان^(٤)، عريض الثمان، شديد الضلع^(٥)، قصير التسع، واسع السخر^(٦)، بعيد العشر، يأخذ بالسابع، ويطلق بالراح، ويطلع بلائح، ويضحك عن قارح، يحز وجه الكديد^(٧)، بمداق الحديد، يحضر كالبحر إذا ماج، والسيل إذا هاج.

قال سيف الدولة: لك الفرس مباركاً فيه. فقال: لازلت تأخذ الأنفاس، وتمنح الأفراس، ثم انصرف، وتبعته، وقلت: لك على ما يليق بهذا الفرس من خلعة إن فسرت ما وصفت، فقال: سل عما أحببت.

قلت: ما معنى قولك: بعيد العشر؟ فقال: بعيد النظر، وانخطو، وأعلى الجنين^(٨)، وما بين الوقبين والجاعر^(٩)، وما بين الغرائين، والمنخرين، وما بين الرجلين، وما بين النقرة والأصفاق، وبعيد القامة في السباق.

قلت: لا فض فوك! فما معنى قولك: قصير التسع؟ قال: هاك: قصير الشعرة، قصير الأطرة، قصير العسيب، قصير القضيب، قصير العضدين، قصير الرؤسفين، قصير النساء، قصير الظهر، قصير الوظيف.

قلت: لله أنت! فمات معنى قولك: عريض الثمان؟ قال: عريض الجبهة، عريض الصهوة، عريض الكتف، عريض الجنب، عريض الورك، عريض العصب، عريض البائة، عريض صفحة العنق.

قلت: أحسنت، فما معنى قولك: غليظ التسع؟ قال: غليظ الذراع،

(١) المرات: خوران الفرس، وهو المبر (٢) الأكرع: جمع كراع، وهو مادون الكعب (٣) القلت: النقرة في رأس الورك (٤) في المقامات «دقيق اللسان» (م) (٥) وفيها «مديد الضلع» (م) (٦) وفيها «واسع الشجر» وفي نسخة «واسع النحر» (م) (٧) الكديد: الأرض الغليظة، وفي المقامات «وجه الجديد» (م) (٨) بعد أعلى الجنين كناية عن متانة الخلق

غليظ المحزوم ، غليظ المَكْوَة ، غليظ الشَّوَى ، غليظ الرُّشْعِ ، غليظ الفَخْدَيْنِ ،
غليظ الجِبَالِ (١) .

قلت : لله درك ! فما معنى قولك : رقيق الست ؟ قال : رقيق الجفن ، رقيق
السَّائِلَةِ ، رقيق الجَحْفَلَةِ ، رقيق الأديم ، رقيق أَعْلَى الأذنين ، رقيق العُرْضَيْنِ (٢) .

قلت : أجدت ، فما معنى قولك : لطيف الخمس ؟ قال : لطيف الزَّوَرِ ،
لطيف النَّسْرِ ، لطيف الجُبَّةِ ، لطيف العُجَابَةِ ، لطيف الرِّكْبَةِ .

قلت : حياك الله ! فما معنى قولك : غامض الأربع ؟ قال : غامض أعلى
الكَتِفَيْنِ ، غامض المَرِّقَيْنِ ، غامض الحِجَابَيْنِ ، غامض الشَّظَى .

قلت : فما معنى قولك : لَيْن الثلاث ؟ قال : لَيْن المَرْدَعَتَيْنِ ، لَيْن العُرْفِ ، لَيْن العِتَانِ

قلت : فما معنى قولك : قليل الأثنين ؟ قال : قليل لَحْمِ الوجه ، قليل لحم المَتْنَيْنِ .

قلت : فمن أين نَبَاتُ هذا العلم ؟ قال : من الثغور الأموية ، وبلاد الإسكندرية .

قلت له : أنت مع هذا الفضل ، تُعَرِّضُ وجهك لهذا البذل ؟! فأنشأ يقول :

ساخِبَ زَمَانِكَ جِدًّا فالدهر جِدُّ سَخِيفِ

دَعِ الحِيَّةَ نِسِيًّا وَعِشْ بِتَحْسِيرِ وَرِيفِ

وَقُلْ لِعِبَادِكَ هَذَا يَجِيءُ لَنَا بِرَغِيفِ

سقط عنا تفسيره في « لَيْن الثلاث » (٣) ، وأكثر هذا التفسير يحتاج إلى

(١) الجبال : جمع جبل ، والمراد بها هنا العروق ، وهكذا وقع هذا « اللفظ »
وسبكره المؤلف في شرح ألقاظ هذه المقامة : ووقع في أصل المقامات (١٥٥) بيروت
« غليظ الحاذ » والحاذ : الظهر ، أو موضع اللبد من الفرس (م)

(٢) في المقامات « العرضين » بالعين المهملة (م)

(٣) قول المؤلف : « سقط عنا تفسيره في لَيْن الثلاث » يدل على أن المقامة التي
أثبتها لم يكن فيها تفسير « لَيْن الثلاث » ولكن النص الموجود فيه تفسير ذلك ،
فمن المرجح إذن أن يكون بعض النساخ أضاف هذا التفسير إلى المقامة تقلا عن
إحدى نسخ المقامات ، وقد فات ذلك الناسخ أن يشير إلى أن المؤلف نقل عن نسخة
لم يكن فيها تفسير « لَيْن الثلاث »

تفسير، ولم يُردِّ بما أُوردَ إِيَّاهُ العوام ، والبلاغة لمحّة دالة ، وبلاغة النثر أخت
بلاغة الشعر ؛ وقد قال البحترى :

والشعر لمح تكفى إشارته وليس بالهذر طوّلت خطبته

وسأقول في شرحه بكلام وجيز زيادة في الإفادة : الوَقْبَان : نُقْرَتَانِ فوق
العينين . والجاعِرَتَانِ من الفرس : موضع الرِّقْمَتَيْنِ من الحمار ، وهما منتهى ضربه
بذنبه إذا حرَّكه . والغرابان : الناتان من أعلى الوركين ، وذكر النقبة هنا ، وهو
الذي يُعرف بالمنقب ، وهو من الشرة حيث ينقب البيطار . والصفاق : الخاصرة ،
وقد قيل : جلد البطن كله صفاق ، والذي أراد الخاصرة . وأراد ببعد القامة في
السباق امتداده إذا جرى مع الأرض . والأطرة هنا : طرف الأبهر ، وهي حِطْفَةٌ
غليظة . والأبهر : عرق يستبطن الظهر ، فيتصل بالقلب ، وقيل : هو الأكل .
والعسيب : عظم الذنب . والرُشغ من الفرس : موضع القيد . والنسأ : عرق مستبطن
الفخذين ، وقصره محمود في جري الفرس ، ولكنه لا يسمح بالمشي . والوظيف
لكل ذي أربع : ما فوق الرُشغ إلى الساق . والصهوة : الظهر . والبُلدة : ما بين
عينيه . والعكوة : مغرز الذنب . والشوى : الأطراف . والحبال : حبال العاتق
والظهر . والجحفة من ذوات الحافر : كالشفة من الإنسان . والفرضان من
الفرس : ما انحدر من قصبه الأنف من جانبيها . والزور : الصدر . والنسر في
الحافر : لحمه يابسه أسفله يشبهها الشعراء بالنوى . والجبة : التي فيها الحوشب .
والحوشب : حشو الحافر . والعجاية : عصب في قوائم الفرس والبعير مركب
فيه فصوص من عظام كأمثال الكعاب تكون عند الرُشغ . والحججان : العظام
المطيفان بالعين . والشطى : عظم لاصق بالذراع . والمتان : جانبا الظهر ؛ وسقط
عنا تفسير الثلاث من نفس المقامة^(١) .

(١) تلك الثلاث هي « لين المردغتين » والمردغة : ما بين العنق إلى الترقوة ،
ثم « لين العرف » وهو الشعر الغزير النابت على عنق الفرس ، ثم « لين العنان » وهو سير
اللجام ، ولين العنان : كناية عن طاعة الجواد

[قولهم في الوعد ومنزلة إنجازهم]

قال الجاحظ : قال أبو القاسم بن معن السعدي لعيسى بن موسى : أيها الأمير ؛ ما انتفعتُ بك مُنذُ عرفتُك ، ولا إلى خيرٍ وصلتُ منك منذ ضحبتُك ، فقال : ولم ؟ ألم أُكلمُ لك أميرَ المؤمنين في كذا وكذا ؟ قال : بلى ! فهل استنجزتَ ما وُعدتَ ، وعاودتَ ما ابتدأتَ ؟ فقال : حالتُ دون ذلك أمورٌ قاطعة ، وأحوالٌ عاذرة . قال : أيها الأمير ، فما زدني على أن نبهتَ همَّ من رقدته ، وأثرتَ الحزنَ من ربضته ، إنَّ الوعدَ إذا لم يصحبه إنجازٌ يحقِّقه كان كلفظٍ لا معنى له ، وجسمٍ لا روحَ فيه .

وكلم منصور بن زياد يحيى بن خالد في حاجة لرجلٍ ، فقال : عِدَّةُ قَضَاءِهَا . بين منصور بن زياد ويحيى بن خالد . قال : فقلت : أصلحك الله ! وما يدعوك إلى العِدَّة مع وجود القدرة ؟ فقال : هذا قولٌ من لا يعرفُ موضعَ الصنائع من القلوب ، إنَّ الحاجةَ إذا لم يتقدمها مَوْعِدٌ ينتظر به نُجْحُهَا لم تتجاذب الأُنس سرورها ؛ إنَّ الوعدَ تطمُّمٌ والإيجاز طمأنينة ؛ وليس من فاجأه طعامٌ كمن وجدَ رائحته ، وتمطَّق به ، وتطعمه ثم طعمه ؛ فدع الحاجة تُختم بالوعد ؛ ليكونَ بها عند المصطنع حُسْنُ مَوْقِعٍ ، ولُطْفُ مَخَلِّ .

ووعده المهدي عيسى بن دأبٍ جاريةً ، ثم وهبها له ، فأشده عبد الله بن مُصعب الزيري معرضاً يقول مضرّس الأسدي :
فلا تياسن من صالِح أن تنالهُ وإن كانَ قديماً بين أيدي تبادرهِ
فضحك المهدي ، وقال : ادفعوا إلى عبد الله فلانة ، لجاريةٍ أخرى ؛ فقال عبد الله بن مصعب :

أنجز خَيْرُ الناس قبل وَعْدِهِ أراح من مَطْلٍ وطُولٍ كَدَهُ
فقال ابن دأب : ما قلت شيئاً ، هلا قلت :

حَلَاوَةٌ الْفَضْلُ بَوَعْدٍ يُنَجِّزُ . لَا خَيْرَ فِي الْعُرْفِ كَنَهَبٍ يُنْهَزُ

قال المهدي :

الْوَعْدُ أَحْسَنُ مَا يَكُونُ إِذَا تَقَدَّمَ سَمَانُ

وقد قال أبو قابوس النصراني يمدح يحيى بن خالد :

رَأَيْتُ يَحْيَى ، أَمَّ اللَّهُ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِ ، يَأْتِي الَّذِي لَمْ يَأْتِهِ أَحَدٌ
يَنْتَسِي الَّذِي كَانَ مِنْ مَعْرُوفِهِ أَبَدًا إِلَى الرَّجَالِ ، وَلَا يَنْتَسِي الَّذِي بَعْدُ

لأبي قابوس
يمدح يحيى بن
خالد

وقال أبو الطيب المتنبي :

قَوْمٌ بُلُوغُ الْفُلَامِ عِنْدَهُمْ طَعْنٌ نُحُورِ الْكِمَاءِ لَا الْحُمُ
كَأَنَّمَا يُوَلَّدُ النَّدَى مَعَهُمْ لَا صِنْرٌ عَازِرٌ وَلَا هَرَمٌ
إِذَا تَوَلَّوْا عِدَاوَةً كَشَفَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا صَنِيعَةً كَتَمُوا
تَظُنُّ مِنْ فَقْدِكَ اعْتِدَادَهُمْ أَنَّهُمْ أَنْعَمُوا وَمَا عَلِمُوا^(١)

لأبي الطيب
المتنبي

ودخل أبو علي البصير على الفضل بن يحيى ، فأنشده :

وَصِفَ الصَّدُّ لَمَنْ أَهْوَى فَصْدٌ وَبَدَا يَمْزَحُ بِالْهَجْرِ . فَجَدٌ
مَالَهُ يَسْدِلُ عَنِّي وَجْهَهُ وَهُوَ لَا يَمْدِلُهُ عِنْدِي أَحَدٌ
لَا تَرِيدُوا غِرَّةَ الْفَضْلِ ، وَمَنْ يَطْلُبُ الْغِرَّةَ فِي خَيْسِ الْأَسَدِ^(٢)
مَلِكٌ نَدْفَعُ مَا نَخَشَى بِهِ وَبِهِ نُصْلِحُ مَنْ مَافَسَدُ
يُنَجِّزُ النَّاسُ إِذَا مَا وَعَدُوا وَإِذَا مَا أَنْجَزَ الْفَضْلُ وَعَدَ

لأبي علي البصير
في الفضل
بن يحيى

وقال ابن الرومي في هذا المعنى :

لَهُ مَوَاعِدُ بِالْخَيْرَاتِ بَادِرَةٌ لَكِنَّا تَسْبِقُ الْمِعَادَ بِالصَّفَدِ^(٣)
يُعْطِيكَ فِي الْيَوْمِ حَقَّ الْيَوْمِ مَبْتَدَأًا وَلَا يُضَيِّعُ بَعْدَ الْيَوْمِ حَقَّ غَدٍ

لأبن الرومي

(١) الاعتداد : الاهتمام ، وفي طبعة بولاق « اعدادهم »

(٢) خيس الأسد : عرينه (٣) الصغد : العطاء

[من عرف قدر النعمة استدامها]

خطب سليمان بن عبد الملك فقال : أيها الناس ، مَنْ لَمْ يَعْلَمْ أَبْوَابَ مَدْخَلِهِ فِي الْكِرَامَةِ ، وَجَهْلَ طَرِيقَتِهِ الَّتِي وَقَعَتْ بِهِ عَلَى النِّعْمَةِ كَانَ بَعْرُضٍ رُجُوعٍ إِلَى دَارِ هَوَانٍ ، وَانْقِلَابٍ بِقَادِحِ خُسْرَانٍ .

بين سليمان بن
عبد الملك وأبي
وائله حاجبه

فَقَامَ إِلَيْهِ أَبُو وَائِلَةَ السُّدُوسِيُّ ، وَهُوَ حَاجِبُهُ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كُنَّا كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : (هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا) ، ثُمَّ صِرْنَا كَمَا قَالَ زُهَيْرٌ :

يَدُ الْمَلِكِ الْجَلِيلِ تَنَاوَلَتْهُمْ بِإِحْسَانٍ فَلَيْسَ لَهَا مُزِيلٌ
لَأَنَّ الْخَيْرَ أَتَجَمَعَ فِي يَدَيْهِ وَرَبِّي بِالْجِزَاءِ لَهُ كَفِيلٌ

فَقَالَ سُلَيْمَانُ : هَذِهِ الْمَعْرِفَةُ بِقَدْرِ النِّعْمَةِ ، وَالْعِلْمُ بِمَا يَجِبُ لِلْمَنْعَمِ .

وَرَوَى يُونُسُ بْنُ الْمُخْتَارِ فِي دَارِ الْمَأْمُونِ ، وَمَرْتَبَتُهُ فِي أَعْلَى مَرَاتِبِ بَنِي الْعَبَّاسِ ، قَاعِدًا عَلَى الْأَرْضِ ، فَقَالَ الْحَاجِبُ : ارْتَفِعْ يَا أَبَا الْمَعْلَى إِلَى مَرْتَبَتِكَ ، قَالَ : قَدْ رَفَعَنِي اللَّهُ إِلَيْهَا بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَيْسَ لِي عَمَلٌ يَبِينُ بِهَا ، فَلَيْمَ لَا أُكْرِمُهَا عَنِ الْقَعُودِ عَنْهَا^(١) إِلَى أَنْ يَتَهَيَّأَ لِي الشُّكْرُ عَلَيْهَا ؟ فَبَلَغَ الْكَلَامُ الْمَأْمُونَ ؛ فَقَالَ : هَذَا وَاللَّهِ غَايَةُ الشُّكْرِ ، وَبِمِثْلِهِ تَدْرُ النِّعَمَ .

يونس بن
المختار وحاجب
المأمون

وَقَالَ رَجُلٌ لِلْمَعْلَى بْنِ أَيُّوبَ ، وَقَدْ رَفَعَهُ الْمُعْتَصِمُ إِلَى مَرْتَبَةِ أَهْلِ بَيْتِهِ : مَا يَزِيدُكَ التَّقْرِيبُ إِلَّا تَبَاعُدًا . فَقَالَ : يَا هَذَا ؛ إِنِّي أَصُونُ تَقْرِيبَهُ إِيَّايَ بِتَبَاعُدِي مِنْهُ ؛ لِئَلَّا تَفْسُدَ حُرْمَتِي عِنْدَهُ بِقَلَّةِ الشُّكْرِ عَلَى نِعْمَتِهِ .

بين رجل
والمعلى بن
أيوب

وَلَمَّا اسْتَعَانَ الْمَنْصُورُ بِالْحَارِثِ بْنِ حَسَّانٍ قَالَ لَهُ : يَا حَارِثُ ؛ إِنِّي قَدْ مَكَّنْتُكَ مِنْ حُسْنِ رَأْيِي فِيكَ ، فَاحْفَظْهُ بِتَرْكِ إِغْفَالٍ مَا يَجِبُ عَلَيْكَ ! قَالَ : يَا أَمِيرَ حَسَّانٍ

بين المنصور
والحارث بن
حسان

(١) فِي نَسْخَةِ بُولَاقِ « عَلَيْهَا »

المؤمنين ، مَنْ أَغْفَلَ سَبَبَ حُلُولِ النِّعْمَةِ ، وَلَهَا عَنِ الْحَالِ التِّي أَصَارَتْهُ إِلَيْهَا ،
استصحبَ اليأسَ من تَبِيلِ مِثْلِهَا ، وانقطعَ رجاؤُهُ من الزيادةِ فيها ، فقال
أبو جعفر : مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ هَذِهِ الْمَعْرِفَةُ دَامَتْ النِّعْمَةُ لَهُ ، وَبَقِيَ الْإِحْسَانُ إِلَيْهِ .

ولما قال للمأمون لعبد الله بن طاهر عند قدومه من مصر : ما سرني الله
مند وليتُ الخلافةَ بشيءٍ عَظُمَ مَوْقِعُهُ عِنْدِي ، بعد جميل عافيةِ الله ، هو أكثر
من سروري بقدومك ، فقال عبدُ الله : إِيذَنْ لِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَفْرِيقِ
أَمْوَالِي مِنْ طَآرِفٍ وَتَالِدٍ . قَالَ : وَلَمْ ؟ قَالَ : شَكَرْتُ عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ ؛ وَإِلَّا
قَصَّرَ بِي الْحَيَاءُ عَنِ النَّظَرِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ الْمَأْمُونُ لِمَنْ حَضَرَ مِنْ أَهْلِ
بَيْتِهِ وَقَوَّادِهِ : مَا شِئْتُ مِنَ الْخِلَافَةِ يَفِي لِعَبْدِ اللَّهِ بِبَعْضِ شُكْرِهِ .

بين المأمون
وعبد الله بن
طاهر

وقال أبو نواس :

لأبي نواس
في المعنى

قد قلتُ للعباسِ معتذراً عن ضعفِ شكريهِ ومُعتَرِفاً
أَنْتَ امْرُؤٌ جَلَلْتَنِي نِعْمًا أَوْهَتْ قُوَى شُكْرِي فَقَدْ ضَعُفًا (١)
فإِلَيْكَ مِنِّي الْيَسُومُ تَقْدِمَةً تَلْقَاكَ بِالتَّصْرِيحِ مِنْكَ شَفَا
لَا تَسْدِينَ إِلَيَّ عَارِفَةً حَتَّى أَقُومَ بِشُكْرِ مَا سَلَفًا

عارضه الناشئ واعترض معناه ، فقال :

للناشئ يعارض
أبا نواس

إِنْ أَنْتَ لَمْ تُحَدِّثْ إِلَيَّ يَدًا حَتَّى أَقُومَ بِشُكْرِ مَا سَلَفًا
لَمْ أَحْظَ مِنْكَ بِنَائِلٍ أَبَدًا وَرَجَعْتُ بِالْحِرْمَانِ مُنْصَرِّفًا

وقال ابن الرومي :

لابن الرومي

مَا قَنَا أَنْ نَعُودَ أَنَّكَ أَوْلَيْتَ أُمُورًا يَضِيقُ عَنْهَا الْجَزَاءُ
غَمَّرْتَنَا مِنْكَ الْيَادِي اللَّوَاتِي مَا لِمِعْشَارِهَا لَدَيْنَا كِفَاءُ

(١) جللتني نعمًا : برید غمرتني بها ، وأوهت : أضعفت (م)

فَهَانَا عَنْكَ الْحَيَاءُ طَوِيلًا ثُمَّ قَدْ رَدَدْنَا إِلَيْكَ الْحَيَاءُ
وَلَمَّا حَقَّ إِنَّ قَرُبْتَ التَّنَائِي وَلَمَّا حَقَّ إِنَّ بَرَزْتَ الْجَفَاءُ
غَيْرَ أَنَا أَنْضَاءُ شُكْرٍ أُرِيحَتْ وَقَدِيمًا أُرِيحَتْ الْأَنْضَاءُ^(١)

ألفاظ لأهل العصر

في المعجز عن الشكر لتكاثر الإنعام والبر

عندي من برّه ما ملك الاعتذار بأزمته ، وقبض السنة أمراء الكلام
وأتمته . عندي له مبار^(٢) أعجزني شكرها ، كما أعوزني حضرها . شكره
شأؤ بعيد لا تبلغه أشواطى ، ولا أتلافى التفريط فى حقه بإفراطى . إحسانه
يُعِيدُ الْعَرَبَ عُجْمًا ، وَالْفُصْحَاءُ بُكْمًا . قد زحمتى من مكارمه ما يحصر عنه
المبين ، ويصحبه العى وبئس القرين^(٣) .

وقال أعرابى :

رَهْنَتْ يَدَى بِالْعَجْزِ عَنِ شُكْرِ بَرِّهِ وَمَا فَوْقَ شُكْرِى لِلشُّكْرِ مَزِيدُ
وَلَوْ كَانَ شَيْئًا يَسْتَطَاعُ اسْتِطْعَتُهُ وَلَكِنْ مَالًا يَسْتَطَاعُ شَدِيدُ
وقال يحيى بن أكرم : كنت عند المأمون ، فأتى برجل ترعد فرائضه^(٤) ؛
فلما مثل بين يديه قال المأمون : كفرت نعمتى ، ولم تشكر معروفى ، فقال :
يا أمير المؤمنين ؛ وأين يقع شكرى فى جنب ما أنعم الله بك على ، فنظر إلى
المأمون وقال متمثلا :

وَلَوْ كَانَ يَسْتَفْنَى عَنِ الشُّكْرِ مَا جَدُّ لِرَفْعَةِ قَدْرِى أَوْ عُلُوِّ مَكَانِ
لَمَّا أَمَرَ اللَّهُ الْعِبَادَ بِشُكْرِهِ فَقَالَ : اشْكُرُوا لِي أَيُّهَا الثَّقَلَانِ

(١) الأنضاء : المهازيل - واحدها نضو بكسر النون وسكون الضاد (م)

(٢) جمع مبرة (٣) نسخة بولاق « ويز القرين » وهو تحريف

(٤) الفرائض : أوداج العنق

ثم التفت إلى الرجل فقال : هلا قلت كما قال أصرم بن حميد :
 ملكت تخدي حتى إنني رجُلٌ كلُّي بكل ثناء فيك مشتغلٌ
 خولت شكري لما خولت من نعمٍ فحُرُّ شكري لما خولتني خولٌ^(١)
 وقال أبو الفتح البستي :

لأبي الفتح
البستي

لئن عجزت عن شكرٍ برك قوتي وأقوى الوري عن شكرٍ برك عاجزٌ
 فإن ثنائي واعتقادي وطاقتي لأفلاكٍ ما أوليتها مراكزٌ
 وقال أبو القاسم الزعفراني :

لي لسانٌ كأنه لي مُعادي ليس يُنبئني عن كنه مافي قوادي
 حكم الله لي عليه فلو أنصف قلبي عرفت قدرَ ودادي
 وقال إسماعيل بن القاسم ، أبو العتاهية ، يمدحُ عمر بن العلاء :

بين أبي العتاهية
وعمر بن
العلاء

إني أمنتُ من الزمان ورَّيبه لما علفتُ من الأمير حبالا
 لو يستطيعُ الناسُ من إجلاله لحدوا له حرَّ الوجوهِ نعالا
 ما كان هذا الجود حتى كنت يا عمر ، ولو يوماً تزولُ لزالا
 إن المطايا تشكيكَ لأنها قطعتُ إليك سبَاباً ورمالا
 فإذا وردن بنا وردن مُخفَّةً وإذا صدرن بنا صدرن ثقالا

وهي قصيدة سهلة الطبع ، سلسلة النظام ، قريبة المتناول .

وروي أن عمر بن العلاء وصله عليها بسبعين ألف درهم ، فحسده الشعراء ،
 وقالوا : لنا بباب الأمير أعوامٌ نخدمُ الآمالَ ، ما وصلنا إلى بعض هذا ! فاتصل ذلك
 به ، فأمر بإحضارهم ، فقال : بلغني الذي قلتم ؛ وإن أحدكم يأتي فيمدحني بالقصيدة
 يشبب فيها فلا يصلُ إلى المدح حتى تذهب لذةُ حللته ، ورائقُ طلاوته ؛

(١) خولتني : أعطيتني وملكتني (م) - و الخول : حاشية من العبيد والإماء
 للواحد والجمع والمذكر والمؤنث

وإنَّ أبا العتاهية أتى فشبب بأبيات يسيرة ، ثم قال : إنَّ المطايا تشتكك لأنها ...
وأشد الأبيات . وكان أبو العتاهية لما مدحه بهذا الشعر تأخر عنه برؤه قليلا ،
فكتب إليه يستبطئه :

أصابت علينا جودك العينُ يا عمرُ فنحن لها تبغى التمامَ والنشر^(١)
أصابتك عينٌ في سخائك صلبةٌ وياربِّ عينِ صلبةٍ تفلقُ الحجرَ
سنزقك بالأشعارِ حتى تملها فإن لم تفرقْ منها رقيبناك بالشورِ
وقال :

يا بنَّ العلاءِ ويا بنَّ القرمِ مرداسِ إني مدحتك في صحتي وجلاسي^(٢)
أثني عليك ولي حالٌ تكذبني فما أقول فأستحي من الناسِ
حتى إذا قيل : ما أولاك من صفدٍ طأطأت من سوءِ حالي عندها رأسي^(٣)
فأمر حاجبه أن يدفع إليه المال ، وقال : لا تدخله علي ، فإني أستحي منه .

وذكر بعض الرواة أن المهدي خرج متصيِّداً ، فسمع رجلا يتغنى من القصيدة
التي مرَّت منها الأبيات في عمر بن العلاء آنفا :

يا مَنْ تفرَّدَ بالجمالِ فما ترى عيني على أحدٍ سِوَاهُ جَمالاً
أكثرت في قولي عليك من الرُّقى وضربتُ في شِعري لك الأمثالاً
فأبيتُ إلا جنوةً وقطيعةً وأبيت إلا نخوةً ودلالاً
باللهِ قولي إن سألتك واصدُ في أو جدت قتلِي في الكتابِ حلالاً
أم لا ، ففيمَ جفوتني وظلمتني وجعلتني للعالمين نكالاً
كم لائم لو كنت أسمعُ قوله قد لامني ونهى وعدَّ وقالاً

(١) النشر : جمع نشرة بالضمه ، وهي الرقية يداوى بها المريض والمجنون .

(٢) القرم - بالفتح - القمل .

(٣) الصفد - بالتحريك - العطاء .

قال المهديّ : عَلَيَّ بِهِ ، فجاءه ، فقال : لِمَنْ هَذَا الشَّعْرُ ؟ قال : لِإِسْمَاعِيلَ .
ابن القاسم أبي العتاهية ، قال : لِمَنْ يَقُولُهُ ؟ قال : لِعُتْبَةَ جَارِيَةِ الْمَهْدِيِّ ، قال :
كَذَّبْتَ ، لَوْ كَانَتْ جَارِيَتِي لَوَهَّبْتُهَا لَهُ ، وَكَانَتْ عُتْبَةُ لِرَيْطَةَ بِنْتِ أَبِي الْعَبَّاسِ .
السَّفَاحُ ، وَكَانَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِهَا كُلِّ مَبْلَغٍ ، وَكُلَّ ذَلِكَ فِيمَا زَعَمَ
الرَّوَاةُ تَصْنَعُ ، وَتَخْلُقُ ؛ لِيُذَكَّرَ بِذَلِكَ .

[من أخبار أبي العتاهية]

قال يزيد [بن] حوراء المغني : كَلَّمَنِي أَبُو الْعَتَاهِيَةِ أَنْ أُكَلِّمَ الْمَهْدِيَّ فِي عُتْبَةَ ؛
فَقُلْتُ : إِنَّ الْكَلَامَ لَا يُمْكِنُنِي ، وَلَكِنْ قُلْ شِعْرًا أَغْنِيهِ إِيَّاهُ ، فَقَالَ :

نَفْسِي بِشَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا مُعَلَّقَةٌ اللَّهُ وَالْقَاسِمُ الْمَهْدِيُّ يَكْفِيهَا
إِنِّي لِأَيَّاسُ مِنْهَا ثُمَّ يُطْمَعُنِي فِيهَا احْتِقَارُكَ لِلدُّنْيَا وَمَا فِيهَا

فَعَمِلْتُ فِيهِ لِحَنًا وَغَنِيَّتُهُ الْمَهْدِيُّ ؛ فَقَالَ : لِمَنْ هَذَا ؟ فَأَخْبَرْتَهُ خَبَرَ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ .
فَقَالَ : نَنْظُرُ فِي أَمْرِهِ ، فَأَخْبَرْتُ بِذَلِكَ أبا العتاهية ؛ فَمَكَثَ أَشْهُرًا ، ثُمَّ أَتَانِي فَقَالَ :
هَلْ حَدَّثْتَ خَبَرَ ؟ فَقُلْتُ : لَا ، فَقَالَ : غَنَّهُ بِهَذَا الشَّعْرِ :

لَيْتَ شِعْرِي مَا عِنْدَكُمْ لَيْتَ شِعْرِي إِنَّمَا أُخِرَ الْجَوَابُ لِأَمْرِ
مَا جَوَابٌ أَوْلَى بِكُلِّ جَمِيلٍ مِنْ جَوَابٍ يُرَدُّ مِنْ بَعْدِ شَهْرِ
قال يزيد : فَتَعَيَّنْتُ بِهِ الْمَهْدِيَّ ، فَقَالَ : عَلَيَّ بِعُتْبَةَ ، فَأَحْضَرْتُ ، فَقَالَ : إِنَّ
أبا العتاهية كَلَّمَنِي فِيكَ ، وَعِنْدِي لَكَ وَلَهُ مَا تَحْبَبَانِ ؛ فَقَالَتْ لَهُ : قَدْ عَلِمَ مَوْلَايَ
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا أَوْجَبَهُ مِنْ حَقِّ مَوْلَاتِي ، فَأُرِيدُ أَنْ أَذْكَرَ لَهَا ذَلِكَ ؛ قَالَ :
فَأَفْعَلِي ؛ فَأَعْلَمْتُ أبا العتاهية بما جرى ، وَمَضَتْ الْأَيَّامُ ؛ فَسَأَلَنِي مَعَاوِدَةَ الْمَهْدِيُّ ،
فَقُلْتُ لَهُ : قَدْ عَرَفْتُ الطَّرِيقَ فَقُلْ مَا سَأَلْتَنِي حَتَّى أَغْنِيَهُ ، فَقَالَ :

أَشْرَبْتُ قَلْبِي مِنْ رَجَائِكَ مَا لَهُ عَنَّقُ إِلَيْكَ يَحْبُ بِي وَرَسِيمٌ (١)

(١) العنق والرسم : من أنواع السير السريع .

وأملتُ نحو سماءِ صوتِكَ ناظِرِي أرعى نَحَائِلَ بَرَقِهَا وَأَشِيمِ^(١)
 ولقد تَنَسَّمْتُ الرِّيحَ لِحَاجَتِي وإذا لها من راحَتَيْكَ نَسِيمُ
 ولربما استيأست ثم أقولُ : لا إنَّ الذي ضَمِنَ النِّجَاحَ كَرِيمُ

فغنيته بالشعر ، فقال : عَلَى بُعْتَبَةٍ ، فَأَتَتْ ؛ فقال : ما صنعت ؟ قالت : ذكرت ذلك لمولاتي فأبته وكرهته ، فليفعل أمير المؤمنين ما يريد ، فقال : ما كنت لأفعل شيئاً تكرهه ، فأعلمت أبا العتاهية بذلك ، فقال :

قَطَّعْتَ مِنْكَ حَبَائِلَ الْأَمَالِ وَأَرَحْتَ مِنْ حَلٍّ وَمِنْ تَرْحَالِ
 ما كان اشامَ إذ رجاؤك قَادِي وبناتُ وعدك يَنْتَلِجْنَ بِنَالِي
 ولئن طَمِعْتُ لَرُبِّ بَرَقِ خُلْبِ مالتُ بذي طَمَعٍ وَلُغْمَةِ آلِ^(٢)
 وقد نُقِلت هذه الحكاية على غير هذا الوجه ، والله أعلم بالحق في ذلك .

وضرب المهدي أبا العتاهية مائة سوط لقوله :

أَلَا إِنَّ ظَبِيًّا لِلْخَلِيفَةِ صَادِي ومالي على ظبي الخليفة من عدوي

وقال : أبي يتمرس^(٣) ، ولحرمي يتعرّض^(٤) ، وبنسائي يعبث ؟ ونفاد

إلى الكوفة .

وفي ضربه يقول أبو دهمان :

لولا الذي أحدث الخليفة للعشاق من ضربهم إذا عشقوا
 لبُحْتُ باسم الذي أحبُّ ، ولـسكني امرؤٌ قد ثناني الفرق^(٥)

(١) أشيم : أنظر .

(٢) البرق الخلب : ما لامطر فيه ، والآل : الدراب .

(٣) يقال : تمرس بالشيء وامترس ، إذا احتك به .

(٤) الفرق - بالتحريك - الحوف - وثناني : صرفني ومال بي عما أريد (م) .

من شعره
في عتبة
وكان أبو العتاهية بالكوفة لما نفي يذكر عتبة ، ويكنى باسمها ، فمن ذلك قوله :

قل لمن لنتُ أسمى بأبي أنت وأمي
بأبي أنت لقد أصبحت من أكبر همي
ولقد قلت لأهلي إذ أذاب الحب لحيي
وأرادوا لي طيباً فاكثفوا مني بعلي :
من يكن يجهل ما ألقى فإنَّ الحب سُقي
إنَّ رُوحِي لبغدا د ، وفي الكوفة جسي

وقوله :

أسمى ببغداد ظني لنتُ أذكروه
إنَّ الحبَّ إذا شطت منازله
يأرب ليل طويل بيت أرقبه
ما كنت أحسب إلا مذكركم
والليل أطول من يوم الحساب على
إلا بكت إذا ما ذكره خطرا
عن الحبيب بكى أو حن أو ذكرا
حتى أضاء عمود الصبح فانفجرا
أنَّ المضاجع مما تُنبت الإبرا
عين الشجي إذا ما نومه نفرا

بين المهدي
وأبي العتاهية
ولما قدمت عتبة ببغداد قدم معها أبو العتاهية، وتلطف حتى اتصل بالرشيد في خلافة أبيه المهدي ؛ وتمكن منه ، وبلغ المهدي خبره ، فأحضره ؛ فقال : يا بئس أنت مستقتل ، وسأله عن حاله ؛ فأنشده قصيدته التي يقول فيها :

أنتَ المُقَابِلُ والمُدَا ير في المناسِبِ والعديد
بينَ العمومةِ والخسوةِ والأبوةِ والجُدودِ
فإذا انتميتَ إلى أبيك فأنتَ في المجدِ المشيدِ
وإذا أنتمى خالٌ فخالٌ بأكرمٍ من يزيدِ

يريد يزيد بن منصور ؛ وكانت أم المهدي أم موسى بنت منصور الحميري
وأنشده :

عَلِمَ الْعَالَمَ أَنَّ الْمَنَابِيَا سَامَعَاتُ لَكَ فِيمَنْ عَصَاكَ
فَإِذَا وَجَّهَتْهَا نَحْوَ طَايِغِ رَجَعَتْ تَرْعُفُ مِنْهُ قَنَاكَ (١)
وَلَوْ أَنَّ الرِّيحَ بَارَتْكَ يَوْمًا فِي سَمَاوِحِ قَصَّرَتْ عَنْ نَدَاكَ

وأنشده:

أَتَتْهُ الْخِلَافَةُ مُنْقَادَةً إِلَيْهِ تُجَرَّرُ أَذْيَالَهَا
فَلَمْ تَكُ تَصْلُحُ إِلَّا لَهُ وَلَمْ يَكُ يَصْلُحُ إِلَّا لَهَا
وَلَوْ رَامَهَا أَحَدٌ غَيْرُهُ لَزُلْزَلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا
وَلَوْ لَمْ تُطْعِمِهِ بِنَاتِ الْقُلُوبِ لَمَّا قَبِلَ اللَّهُ أَعْمَالَهَا

فقال له المهدي: إن شئت أدبناك بضربٍ وجيع؛ لإقدامك على ما نهيت عنه،
وأعطيناك ثلاثين ألف درهم جائزة على مدحك لنا. وإن شئت عفونا عنك فقط.

فقال: بل يُضَيِّفُ أميرُ المؤمنين إلى كريم عفوه جميل معروفه؛ ومكرمتان
أكثر من واحدة، وأميرُ المؤمنين أولى من شفع نعمته وأتم كرمه. فأمره
بثلاثين ألف درهم وعفا عنه.

ولما قدم الرشيدُ الرِّقَّةَ أظهر أبو العتاهية الزهد والتصوف وترك الغزل، فأمره الرشيد بحبسه
الرشيد أن يتغزل، فأبى، فحبسه، فغنى بقوله:

خَلِيلِي مَالِي لَا تَزَالُ مَضَرَّتِي تَكُونُ عَلَى الْأَقْدَارِ حَتْمًا مِنَ الْخَتْمِ
كَفَاكَ بِحَقِّ اللَّهِ مَا قَدْ ظَلَمْتَنِي فَهَذَا مَقَامُ الْمُسْتَجِيرِ مِنَ الظُّلْمِ
أَلَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ جِسْمِي وَقُوَّتِي أَلَا مُسَمِّدٌ حَتَّى أَنْوَحَ عَلَى جِسْمِي

(١) ترعف: أراد به تسيل دما.

فأمر بإحضاره وقال : بالأمس يَنهاك أميرُ المؤمنين المهدي عن الغزل فتأبى إلا لجاجا ومَحْكا ؛ واليوم آمرك بالقول فتأبى جُرأة على وإقداما ، فقال يا أمير المؤمنين ؛ إن الحسنات يُذهبن السيئات ، كنتُ أقول الغزلَ ولى شبابٍ وجِدَّة ، وبنى حراك وقوَّة ، وأنا اليوم شيخٌ ضعيفٌ لا يحسن بمثلِ تصابٍ فردَّه إلى حبسه ؛ فكتب إليه :

أنا اليوم لى ، والحمدُ لله ، أشهرٌ يروح على الغمِّ منك ويَبْكُرُ
تذكُرُ ، أمينَ الله ، حقى وحرمتي وما كنتُ توليني ، لعلك تذكُرُ
ليالى تُدنى منك بالقربِ مجلسي ووجهك من ماء البشاشة يقطرُ
فمن لى بالعين التى كنتَ مرةً إلى بها من سالفِ الدهرِ تنظرُ

فبعث إليه : لا بأس عليك ؛ فقال :

كانَ الخلقَ رَكبَ فيه رُوحٌ له جَسَدٌ وأنتَ عليه راسُ
أمينَ الله إنَّ الحبسَ بأسٌ وقد وقعتَ : ليس عليك بأسُ

وأخرجه .

أخذ البيتَ الأول من هذين على بن جبلة وزاد فيه ، فقال لأبى غانم الطوسى

دجلة تَسقى وأبو غانمٍ يُطعمُ مَنْ تَسقى من النَّاسِ
والخلقُ جِسمٌ ، وإمامُ الهدى رأسٌ ، وأنتَ العينُ فى الرَّاسِ

وكان عمر بن العلاء ممدِّحا ، وفيه يقول بشار بن برد :

إذا أيقظتك حُرُوبُ العدى فنَبَّه لها عُمرًا ممَّ نَمَّ
دَعَانِي إلى عُمرٍ جودُهُ وقولُ العشيِّرةِ بَحْرٌ خِضَمُّ

بشار يمدح
عمر بن العلاء

ولولا الذي ذكروا لم أكن لأمدح ريمانة قبل شتم
فتي لا يبيت على دمنه ولا يشرب الماء إلا بدم^(١)

لأبي سعد
الخرزومي

أخذ هذا البيت أبو سعيد الخرزومي^(٢)، قال :

وما يُريدون ، لولا الجبن ، من رجل
لا يضرب الماء إلا من قليب دم^(٣)
بالليل مشتمل بالجمر مُكتحل
ولا يبيت له جارٌّ على وجل

وقال أبو الطيب :

لأبي الطيب
التمني

تموداً ألا تقضم الحب خيله
ولا ترد الصدران إلا وماؤها
إذا الهام لم ترّفع جنوب العلائق^(٤)
من الدم كالرّيحان تحت الشقائق^(٥)

وقال أبو القاسم بن هاني :

(١) الدمنة هنا معناها الحقد الثابت .

(٢) كان أستاذنا المرحوم الشيخ سيد المرصفي أملاًنا أنه « أبو سعد » بدليل

قول من هجاء :

إن أيا سعد فتى ماجد يعرف بالكنية لا الوالد
ينشد في حي معد أبا صل عن التشود والناشد
فرحة الله على مسلم يرد مفقوداً على فاقد

(٣) القليب : البئر .

(٤) القضم : أكل اليابس ، والهام : الرؤوس ، والعلائق : جمع علاقة وهي ما

يتعلق به الثور ، والمراد الخالي . قال ابن جني : سألت أبا الطيب عن معنى هذا البيت ،

قال : الفرس إذا علفت عليه الخلاة طلب لها موضعاً مرتفعاً يجعلها عليه ثم يأكل
نخيله أبداً إذا أعطيت عليها جعلته على هام الرجال الذين قتلهم لكثرة ما هناك منها .

(٥) الصدران : جمع غدير ، وهو القطعة من الماء يغادرها السيل ؛ وفي الأصل

« الثربان » ، والشقائق : جمع شقيق . وهو زهر أحمر

لاين هانيء

مَنْ لَمْ يَرَ الْمَيْدَانَ لَمْ يَرَ مَعْرَكَاً أَشْبَاءَ ، وَيَوْمًا بِالْأَسْنَةِ أَكْبَبًا^(١)
 وَكِتَابًا تُرْدِي غَوَارِبَهَا الْعِدَى وَفَوَارِسًا تَعْدُو صَوَالِحَهَا الظُّبَا
 لَا يُورِدُونَ الْمَاءَ سُنْبُكَ سَابِحٍ أَوْ يَكْتَسِي بِدِيمِ الْفَوَارِسِ طُحْلُبًا^(٢)
 [رجع إلى عمر بن العلاء]

قال : وبلغ عمر بن العلاء أن أبا العتاهية عاتب عليه في هنات نالها منه في مجلس ، وكان كثير الانقطاع إليه ، فتخلف عنه ، فساء ذلك عمر ، فكتب إليه : قد بلغني الذي كان من تجنُّبك فيما استخفك به سوء الأدب عن علم حقيقة مني ، فصرت مُتَرَدِّدًا من العمى في يَلَامِيعِ الشَّهْبَةِ^(٣) ؛ ولو كان معك من علمك دايع إلى لقائي لكشفت لك مَوْرِدَ الأمر ومصدره ، لترجع إلى الصلة ، فتقال أو تأتي إلا الصَّريمة فتضرم ؛ وقد قال الأول :

بين عمر بن
العلاء وأبي
العتاهية

وَمُسْتَعْتَبٌ أَبْدَى عَلَى الظَّنِّ عَتْبَهُ وَأَخْرَجَ مِنْهُ الْمَحْفِظَاتِ غَلِيلُ
 كَشَفْتُ لَهُ عُذْرًا فَأَبْصَرَ وَجْهَهُ فَعَادَ إِلَى الْإِنصَافِ وَهُوَ ذَلِيلُ
 فَأَجَابَهُ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ : لَمْ أَجْزُ بِعَتْبِي الْحَقِيقَةَ إِلَى الشَّهْبَةِ ، وَلَمْ أَجْدِ سَعَةً مَعَ
 عَظِيمِ قَدْرَتِكَ إِلَى حَمْلِ اللَّائِمَةِ ، فَقَصَّرَ بِي الْخَوْفُ مِنْ سَخِطِكَ ، عَلَى تَرَكِّ
 مَعَاتِبَتِكَ ؛ لِأَنَّ الْمَعَاتِبَةَ لَا تَجْتَنِي إِلَّا مِنَ الْمَسَاوِي ، وَلَوْ رَغِبْتَ عَنِ الصَّلَةِ إِلَى الْقَطِيعَةِ
 لَتَقَاضَيْتَكَ ذَلِكَ عَنِ طَوْلِ الصُّحْبَةِ ، وَسَالَفِ الْمُدَّةِ ، وَأَنَا أَقُولُ :

رَضِيْتُ بِبَعْضِ الذَّلِّ خَوْفَ جَمِيعِهِ وَليْسَ لِمِثْلِي بِالْمَلُوكِ يَدَانِ
 وَكُنْتُ امْرَأً أَخْشَى الْعِقَابَ وَأَتَّقِي مَغْبَةً مَا تَجْنِي يَدِي وَلِسَانِي
 فَهَلْ مِنْ شَفِيعٍ مِنْكَ يَضْمَنُ تَوْبَتِي فَإِنِّي امْرُؤٌ أَوْفِي بِكُلِّ ضَمَانِ
 فَتَرَاجَعَا إِلَى أَحْسَنِ مَا كَانَا عَلَيْهِ

(١) أشب: مختلط ، وأكهب: مظلم

(٢) الطحلب: خضرة تملأ الماء الزمن

(٣) اليلاميع: جمع يلع ، وهو البرق الخلب والسراب ، ويشبه به الكذاب .

وإنما ألم أبو العتاهية في قوله « إن المطايا تشتكك ... وما يليه » بقول أبي
الحجّناء نصيب الأكبر:

فماجوا فأثنوا بالذي أنت أهله ولوسكّتوا أثنت عليك الحقايبُ

للمتنبي

وقال أبو الطيب في أبي العشار الحمداني :

تُنشِدُ أُنُوبَانَا مَدَائِحَهُ بِالسُّنِّ مَالَهِنَّ أَفْوَاهُ

إِذَا مَرَرْنَا عَلَى الْأَصَمِّ بِهَا أَغْنَتْهُ عَنْ مِسْمَعِيهِ عَيْنَاهُ

وهذا المعنى من التّصنّف^(١) الدالة بذاتها التي ذكرتها عن الجاحظ في

أقسام البيان .

وقال بعضُ الخطباء : أشهد أن في السموات والأرض آياتٍ ودلالاتٍ ،
وشواهدَ قَامَاتٍ ؛ كلُّ يُوْدِي عنك الحجّة ، ويشهد لك بالربوبية .

ونظيرُ هذا قولُ أبي العتاهية ، وروى أنه جلس في دكان وراق ، وأخذ

لأبي العتاهية

كتاباً فكتب على ظهره :

فواعجباً كيف يُعْصَى المَلِيكُ أُمُّ كَيْفَ يَجْحَدُهُ الجَاهِدُ

وَلِلّهِ فِي كُلِّ تَحْرِيكَةٍ وَتَسْكِينَةٍ فِي الْوَرَى شَاهِدٌ

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدٌ

وانصرف ، فاجتاز أبو نواس بالموضع فرأى الأبيات ، فقال : لمن هذا ؟ لأبي نواس

فلودّتها لي بجميع شعري ، فقيل : لإسماعيل بن القاسم ، فوقع تحتها :

سُبْحَانَ مَنْ خَلَقَ الخَلْقَ مِنْ ضَعِيفٍ مَهِينٍ

فَصَاغَهُ مِنْ قَرَارٍ إِلَى قَرَارٍ مَكِينٍ

يَحُولُ شَيْئاً فَشَيْئاً فِي الحُجْبِ دُونَ العِيُونِ^(٢)

حَتَّى بَدَتْ حَرَكَاتُ مَخْلُوقَةٍ مِنْ سُكُونٍ

(١) النصبه : ما ينضب من العلامات لتدل على معان جرى العرف بدلالاتها عليها (م)

(٢) يحول : يتحول من حال إلى حال أخرى (م)

وقال الفضل بن عيسى الرقاشي : سَلِ الْأَرْضَ مِنْ غَرَسِ أَشْجَارِكَ ، وَشَقِّ أَنْهَارِكَ ، وَجَنِّي ثَمَارِكَ ، فَإِنْ لَمْ تُجِبْكَ حِوَارًا ، أَجَابْتُكَ اعْتِبَارًا .

وهذا شبيه بقول عدى بن زيد ، وقد نزل النعمان بن المنذر تحت سَرْحَةَ^(١) ؛ فقال : أتدري ما تقول هذه السرحة أيها الملك ؟ قال : وما تقول ؟ قال : تقول :

رُبَّ رَكْبٍ قَدْ أَنَاخُوا حَوْلَنَا يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ بِالمَاءِ الزُّلَالِ
ثُمَّ أَضْحَوْا لَعِبِ الدَّهْرِ بِهِمْ وَكَذَلِكَ الدَّهْرُ حَالًا بَعْدَ حَالٍ

ويروى « عَكَفَ الدَّهْرُ بِهِمْ فَثَوَّوْا^(٢) » . فتكدر حال النعمان وما كان

فيه من لذّة .

ألفاظ لأهل العصر في الشكر بدلالة الحال

لو سكت الشاكر لنطقت المائر . لو صمت المخاطب لثقت الحقايب ،
ولشهدت شواهد حاله على صديق مقالته . إن جحدت ما أولانيه ، وكفرت
ما أعطانيه ، نطقت آثار أيديه على ، ونمت أعلام عوارفه^(٣) لدى .

ولأبي الفضل الميكالي من رسالته: ورد قلان فتعاطى من شكريه على نعمه
التي ألبسه جملها ، وأسجبه أذيالها ، ما لو لم يتحدث به ناشراً ومُشجهاً ، ومُعبيداً
ومُبدياً ، لأثنت به حاله ، وشهدت به رِغاله ، حتى لقد امتلأت بذكره
المحافل ، وسارت بحبره الرؤبان والقوافل ، وصارت الألسنة على الشكر والثناء
لساناً ، والجماعة على النسر والدعاء أنصاراً وأعواناً ، على أنه وإن بالغ في هذا
الباب ، وجاوز حد الإكثار والإسهاب ، نهايته القصور دون واجبه ، والسقوط
عن أدنى درجاته ومراتبه .

لأبي الفضل
الميكالي .

(١) السرحة : الشجرة العظيمة ، أو هي كل شجرة لاشوك لها (م) ، وقد تطلق
مجازاً على المرأة (٢) كذا ، ولا يستقيم وزنه ، ولو كان «عكف الدهر بهم ثم ثووا» لم
(٣) العوارف : جمع عارفة ، وهي النعمة (م)

لأن الفتح
البقي

ومما يقترن لهم بهذا المعنى من ذِكْرِ الشكر : قال أبو الفتح البستي : الحرُّ نَحْلُ الشكر ، إن أجنَّاه للمرء من خيره شكراً أجنَّاه من برِّه شهيداً .

غيره : الشكر ترجانُ النِّية ، ولسانُ الطَّويَّة ، وشاهدُ الإخلاص ، وعنوان الاختصاص . الشكرُ نَسِيمُ النِّعم ، وهو السببُ إلى الزيادة ، والطريقُ إلى السعادة . الشكرُ قَيْدُ النِّعمَة ، ومفتاحُ المزيد ، وثمنُ الجنة . مَنْ شَكَرَ قليلاً ، استحقَّ جزيلًا . شُكْرُ المولى ، هو الأوَّلَى . الشكرُ قَيْدُ النِّعم وشِكاؤها ، وعِقالها ، وهو شبيه بالوَخْشِ التي لا تقيم مع الإيحاء ، ولا تريم^(١) مع الإيناس . مَوْقِعُ الشكرِ من النعمة مَوْقِعُ القِرَى من الضيف ، إن وجدته لم يريم^(١) ، وإن فقدته لم يقيم . الشكرُ غرسٌ إذا أُودِعَ سَمْعُ الكريم أثمر الزيادة ، وحفظ العادة . الشكرُ تعرّض للمزيد السائغ ، والنِّعم السَّوابغ . شُكْرُهُ شُكْرُ الأسير من أطلقه ، والمملوكِ من أعتقه . أثنى عليه ثناء الرُّوضِ المُنحِل ، على الفَيْثِ المُسبِل . أثنى عليه ثناء لسان الزهر ، على راحة المطر . أثنى عليه ثناء العطشان الوارد ، على الزُّلالِ البارد . شُكْرُهُ شُكْرُ الأرض للديم^(٢) ، وزُهَيْرُ لَهْرِم . بَسَطَ لسانَ الثناء والثناء ، وبلغ عنان الشكرِ عنان السماء . شُكْرُهُ شُكْرًا ترتاحُ له المكارم ، وتهتزُّ له المواسم . لأشكرُته شُكْرًا تشيع أنواعه ، وتنبسطُ أنواعه^(٣) ، ويأذ ذكره وسماعه . شُكْرٌ مَلَأَ القلبَ واللسانَ ، كشكرِ حَسَّان لآلِ غَسَّان . أطال عِنانَ الشكرِ ، وفسح مجانته ، ورفع أعينده ، ومدَّ أرووقته . شُكْرٌ كَأَنْفاسِ الأحابِيبِ ، أو أنفاسِ الأسحارِ ، أو أنفاسِ الرِّياضِ غِبَّ القِطارِ .

[من أخبار نصيب وشعره]

رجع ما انقطع :

كان سببُ قولِ نصيب :

(١) لا تريم : لا تنطلق ولا تذهب ولا تفارق (م)

(٢) الديم : جمع ديمة - بكسر الدال - وهي السجاية التي يدوم مطرها (م)

(٣) الأبواع : جمع باع ، وهو مسافة ما بين أطراف أصابع يديك حين تبسطهما

موازين لصدرك (م) .

* فَعَاجُوا فَأَثْنُوا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ *

أنه كان مع الفرزدق عند سليمان بن عبد الملك، فقال سليمان بن عبد الملك : يا فرزدق؛
مَنْ أَشْعَرَ النَّاسِ؟ قال : أنا يا أمير المؤمنين ، قال : لماذا؟ قال بقولي :

وَرَكِبَ كَأَنَّ الرِّيحَ تَطْلُبُ عِنْدَهُمْ لَهَا تِرَةٌ مِنْ جَذْبِهَا بِالْعَصَائِبِ
سَرَوًا وَسَرَّتْ نَكْبَاءً وَهِيَ تَلْفَهُمْ إِلَى شُعْبِ الْأَكْوَارِ ذَاتِ الْحَقَائِبِ (١)
إِذَا آنَسُوا نَارًا يَقُولُونَ : لَيْتَهَا ، وَقَدْ خَصِرَتْ أَيْدِيهِمْ نَارٌ غَالِبِ

يريد أباه - وهو غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان
ابن مجاشع - فأعرض عنه سليمان كالمغضب ؛ لأنه إنما أراد أن يُنشد مدحاً فيه :
فهم نصيب مراده ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ قد قلت أبياتاً على هذا الروي
ليست بدونها ، فقال : هايتها ؛ فأنشأ نصيب يقول :

أَقُولُ لِرَكْبِ قَافِلِينَ لَقِيْتَهُمْ قَفَا ذَاتِ أَوْشَالٍ وَمَوْلَاكَ قَارِبِ (٢)
فَقَدْ أَخْبَرُونِي عَنْ سُلَيْمَانَ أَنِّي لِمَعْرُوفِهِ مِنْ آلِ وَدَّانَ طَالِبِ (٣)
فَعَاجُوا فَأَثْنُوا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ وَلَوْ سَكَتُوا أَثْنْتُ عَلَيْكَ الْحَقَائِبِ
فَقَالُوا : تَرَكَنَاهُ وَفِي كُلِّ لَيْلَةٍ يُطِيفُ بِهِ مِنْ طَالِبِي الْعُرْفِ رَاكِبِ
وَلَوْ كَانَ فَوْقَ النَّاسِ حَيْثُ فِعَالُهُ كَفَعْلِكَ أَوْ لِلْفِعْلِ مِنْكَ بِقَارِبِ
لَقُلْنَا : لَهُ شِبْهُ ، وَلَكِنْ تَعَذَّرْتُ سِوَاكَ عَنِ الْمُسْتَشْفِعِينَ الْمَطَالِبِ
هُوَ الْبَدْرُ وَالنَّاسُ الْكَوَاكِبُ حَوْلَهُ وَهَلْ تُشْبِهُ الْبَدْرَ الْمُنِيرَ الْكَوَاكِبِ

فقال سليمان : أحسنت ، والتفت إلى الفرزدق ، فقال : كيف تسمع يا أبا فراس ؟
قال : هو أشعر أهل جلدته ، قال : وأهل جلدتك ؛ فخرج الفرزدق وهو يقول :

(١) النكباء : هي الريح التي تميل عن مهاب الرياح ، والأكوار : جمع كور
بالضم وهو الرجل ، والحقائب : جمع حصية ، وهي الرفادة في مؤخر القتب وكل
ما شد في مؤخر رحل أو قتب .

(٢) الأوشال : جمع وشل ، وهو الماء القليل يتحلب من جبل أو صخر قوقا :
منسوب تقديراً على أنه ظرف مكان ، أي لقيتهم في هذا الموضع (م)

(٣) حفظي «قفوا خبروني» وهو أدق (م)

وخيّر الشعر أكرمهُ رجالاً وشَرُّ الشعرِ ما قالَ العبيدُ

[من المديح]

قال أبو العباس محمد بن يزيد : وهذا بابٌ في المدح حسن متجاوز مُبتدع لم يُسبق إليه .

قول نصيب : « من أهل ودان » . قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي : ذكر محمد ابن كناسه والزبيدي أن نصيباً من أهل ودان ، وكان عبداً لرجل من بني كنانة هو وأهل بيته ، وزعم أبو هفان أنه عبدٌ لعبد العزيز بن مروان ، وكان نصيبٌ شديد السواد ، وهو القائل :

كُسيتُ - ولم أملك - سواداً ، وتحتهُ
قيصٌ من القوهي ^(١) بيضٌ بناثقهُ
فما ضراً أثوابي سوادى ، وإني
لكالمسك لا يسألو عن المسك ذاتهُ

لسحيم

وقال سُحيم عبد بنى الحسحاس :

أشعارُ عبدِ بنى الحسحاس قمن له
عند الفخار مقام الأصيل والورق
إن كنت عبداً فنفسي حرّةٌ كرمًا
أو أسودَ اللونِ إني أبيضُ الخلقِ

وقال أبو الطيب المتنبي لكافور الإخشيدي :

للمتنبي

إنما الجلدُ ملبسٌ وابيضاضُ الخلقِ خيرٌ من أبيضاضِ القباءِ

وقال نصيب لبعض ملوك بني أمية : إن لى بنات نفضتُ عليهن من سوادى ،

فقال : ما أحسن ما تُلطفتَ لهن ! وأمر له بصلة .

بين أبي تمام
وابن الزيات

وكان أبو تمام حبيبُ بن أوسٍ لما مدح أبا جعفر محمد بن عبد الملك الزيات

بقصيدته التي أولها :

لَهَانَ عَلِينَا أَنْ نَقُولَ وَتَفْعَلَا وَنَذْكَرُ بَعْضَ الْفَضْلِ مِنْكَ وَتَفْضَلَا

وهي من أحسن شعره ، وقع له على ظهرها :

رَأَيْتَكَ سَمَحَ الْبَيْعِ سَهْلًا ، وَإِنَّمَا يُغَالَى إِذَا مَاضَ بِالشَّيْءِ بَاطِعُهُ

(١) القوهي : ثياب بيض تنسب إلى قوهستان . والبنائق : الجيوب ، مفردها بنيقة

فأما إذا هانت بضائعُ بَيْعِهِ فيوشك أن تبقى عليه بَضَائِعُهُ
هو الماء إن أجمته طاب وِرْدُهُ ويفسد منه أن تُبَاحَ مَشَارِعُهُ
فأجابه بقصيدة طويلة ، واحتج عليه واعتذر إليه في مدحه لغيره ؛ فقال في
بعض ذلك :

أما القوافي فقد حصنتُ غرَّتَها فإيُّ صَابٍ دَمٌ منها ولا سَلْبُ
مَنَعْتَ إِلَّا مِنْ الْأَكْفَاءِ أَيْمَهَا وَكَانَ مِنْكَ عَلَيْهَا الْعُظْفُ وَالْحَدَبُ
ولو عضلتَ عن الْأَكْفَاءِ أَيْمَهَا ولم يكنْ لَكَ في إظهارها أَرْبٌ (١)
كانت بناتٍ نصيبٍ حينَ ضَنَّ بها على الموالى ولم تخفِ بها العَرَبُ
وقد قيل إن أبا تمام أجابه بقوله :
أبا جعفر إن كنتُ أصبحتُ شاعرا أسامح في بَيْعِي له من أبايعة
فقد كنتَ قبلي شاعراً تاجراً به تساهلُ من عادت عليك منافعهُ
فصيرتَ وزيراً والوزارة مَكْرَعٌ يَغصُّ به بعد اللذاعة كَارِعُهُ (٢)
وكم من وزيرٍ قد رأينا مُسَلِّطاً فعادَ وقد سُدَّتْ عليه مَطَالِعُهُ
ولله قَوْسٌ لا تطيشُ سِيَاهُهَا ولله سيفٌ لا تفلُّ مَقَاطِعُهُ

قال أبو بكر محمد بن يحيى الصولي : ويقال إن هذه الأبيات منحولة لحبيب ،
وليس مثل أبي جعفر في جلالة قدره واصطناعه لحبيب يُعاملُ بمثل هذا الجواب ،

(١) عضل المرأة: منعها عن الزواج ظلماً، والأيم: من لا زوج لها، بكراً أو ثيباً.
ومن لا امرأة له، وتأييم: مكث زماناً لم يتزوج.

(٢) المكراع: المكان الذي تشرب منه الدواب، وكان كذلك لأن الحيوان
لا يكاد يشرب إلا بإدخال أكارعه فيه، والكراع - بالضم - هو ما دون الكعب
في الدابة وما دون الركبة من الإنسان، وكراع في الماء: أدخل فيه أكارعه بالخوض
فيه ليشرب.

ولا يَنْتَهَى جَهْلُ حَيْبِ أَنْ يَقَابِلَ مَأْمُولَهُ وَمَنْ يَرْتَجِي جَلِيلَ الْقَائِدَةِ مِنْهُ
بهذه الأبياب .

وقد قيل : بل قالها ، ولم ينشدها أحداً ؛ وإنما ظهرت بعد موته .

وكان ابنُ الزيات كما قال شاعراً ، ومدح الحسن بن سهل في وزارته للمأمون ؛
وأعطاه عشرة آلاف درهم ، فقال :

لابن الزيات
مدح الحسن
بن سهل

لَمْ أُمْتَدِّحْكَ رَجَاءَ الْمَالِ أَطْلَبُهُ لَكِنْ لِتُلْبِسَنِي التَّخَجِيلَ وَالْفُرْرَا
مَا كَانَ ذَلِكَ إِلَّا أَنْتَى رَجُلٍ لَا أَقْرَبُ الْوِرْدَ حَتَّى أَعْرِفَ الصَّدْرَا

قال الصولي : وكان السببُ الذي أُوْجِدُ (١) أبا جعد على أبي تمام حتى

قال « لقد رأيتك سهلاً البيع - الأبيات » قولَ أبي تمام قصيدته المشهورة في
ابن أبي دُوَادٍ التي أولها :

لأن عمه مدح
ابن أبي دواد

سَقَى عَهْدَ الْحَمَى سَبَلُ الْعِهَادِ وَرَوَى حَاضِرَ مَنْهُ وَبَادِ (٢)

نَزَحْتُ بِهِ رَكِيٍّ الدَّمْعِ لَمَّا رَأَيْتُ الدَّمْعَ مِنْ خَيْرِ الْعَتَادِ (٣)

يقول فيها في مدحه :

هُمْ عَظَمُ الْأَثَانِي مِنْ نَزَارٍ وَأَهْلُ الْمَضْبِ مِنْهَا وَالنَّجَادِ (٤)

مُعْرَسُ كُلِّ مُفْضَلَةٍ وَخَطْبِ وَمَنْبِتُ كُلِّ مَكْرَمَةٍ وَآدِ (٥)

(١) أوجده : أثار موجدته ، وهي الغضب

(٢) العهاد : أمطار الربيع ، والواحدة عهدة .

(٣) الركي والركايا : الآبار ، والمفرد ركية ، وارتكى على صديقه : نول عليه ،

العتاد : العدة ، والعقيد : المعد الحاضر .

(٤) الأثاني : جمع أنفة ، وهي الحجر أو الجبل .

(٥) المعريس : موضع التعريس وهو البرول للا ، والآد والآيد : القوة ، وآد

يد أيدا : نشد وقوى .

إذا حَدَّثُ القبائلِ ساجِلُومَ فإِنَّهُمُ بنُو المجدِ التَّلادِ (١)
تُفَرِّجُ عَنْهُمُ الغمراتِ بِيضُ جِلادٌ تَحْتِ قَسَطَلَةِ الجِلادِ (٢)
وَحَشُو حِوَادِثِ الأيَّامِ مِنْهُمُ مَعاقِلُ مِطْرَدِ وَبنو طِرادِ (٣)
لَهُمُ جَهْلُ السَّباعِ إِذا المَنابِيا تَمَشَّتْ في الوغى وَحُلُومُ عادِ
لَقَدْ أَنْسَتِ سُلُوى كُلِّ دَهِرٍ مَحاسِنُ أَحْمَدَ بنِ أَبِي دُوادِ
مَتى تَحَلَّلُ بِه تَحَلَّلُ جَنابا رَضِيعاً لِلسَّوارى وَالنَّوادِى (٤)
وَمَا اشْتَبَهَتْ سَبيلُ المَجْدِ إِلاَّ هَداكِ ائِقْبِلَةَ المَعروفِ هادِ
وَمَا سافرتُ في الأفاقِ إِلاَّ وَمِنْ جَدِواكِ راحِلَتى وَزادِ
مَقِيمُ الظنِّ عِنْدَكَ وَالأمانِ وَإِنْ قَلِقتُ رِكابى في البِلادِ
وَهذِهِ النِّكْتِ (٥) الَّتى أَحَقَّقتُ أبا جَعْفَرَ ، وَأَعْتَبْتَهُ على أَبِي تامِّمٍ ، وَفى هَذِهِ
القَصيدة يَقولُ مَعْتذراً إِليه في الذِّى قَرِفتُ (٦) بِه عِنْدَهُ مِنْ هِجاءِ مَضْرٍ :
أَتانى عابِرُ الأَنْباءِ تَسرى عَقارِبُهُ بِداهِيَةٍ نَادِ (٧)
نَثًّا خَبَرا كَأَنَّ القَلبَ مِنْهُ يُجَرُّ بِه على شِواكِ القَتادِ
بَأنى نَدتُ مِنْ مَضْرٍ وَخَبَّتْ إِليكِ شَكِيتى خَبَبَ الجِوادِ

(١) التلاد: جمع تليد، وهو المجد القديم.

(٢) الغمرات: جمع غمرة وهي الشدة، والبيض الجلاذ: هي السيوف القوية، وقسطلة الجلاذ: شدة الحرب.

(٣) الطراد: القتال، قال الزمخشري في الأساس: «وطارد قرنه، وتطاردا، وبينهما طراد ومطاردة، وهي حمل أحدهما على صاحبه ومقاتلته وإن لم يكن ثم طرد، كما قيل للمحاربة جلاذ ومجالدة وإن لم يكن ثم مسابقة».

(٤) السوارى: جمع سارية وهي السحابة تمطر ليلاً، والنوادى: جمع غادية وهي السحابة تمطر نهاراً.

(٥) المراد بالنكت الإشارات.

(٦) وقع في كافة المطبوعات «في الذي قرب به» تحريف ما أثبتناه (م).

(٧) نَاد: شديدة الأذى.

وما رُبِعَ القطيعة لي برُبِعٍ ولا نَادَى الأذى مِنِّي بِنَادٍ
 وأين يجوز عن قَصْدِ لِسَانِي وَقَلْبِي رَائِحٌ بِرِضَاكَ غَادٍ
 ومما كانت الحكماء قالت: لِسَانُ المرءِ من خَدَمِ القُوَادِ
 وقد ما كنتُ معسولَ القوافي ومأدومَ المعاني بالسُّدَادِ
 [من أخبار ابن أبي دُوَادِ]

وكان ابن أبي دُوَادِ غالباً في التعصّب لإياد وإلحاقها بنزار، على مذهب نَسَابِ
 العَدَنَانِيين . قال : وكلُّ من بالعراق من إياد دخلوا في النَّخَعِ ، وإليهم يُنسَبون ؛
 ومَن كان بالشام فلم^(١) على نسبهم في نزار ، وابن أبي دُوَادِ يرمي بالدعوة؛ والتكثيرُ
 من أخباره يُخرِجُ إلى ما أخافه من تطويلِ التصرُّفِ ، في مملولِ التكلُّفِ .
 وكان ابن أبي دُوَادِ عالماً بضروبِ العِلْمِ والأدبِ ، متصرفاً في صناعة الجِدالِ ،
 على مذهب أهل الاعتزال ، وكانت العداوة بينه وبين ابن الزِيَّاتِ بيّنة ، والنفاسة
 في الرياسة بينهما متمكّنة ، وقال له بعض الشعراء :

أَكَلَّ أبا دُوَادِ مِن إيادٍ فكلُّ أبا ذُوَيْبٍ من هُدَيْلِ
 قال مسلم : ماتاه إلا وضيع ، ولا فاخر إلا سقيط ، ولا تعصّب إلا دَخِيلِ .
 وقال مدني لرجل : ممن أنت ؟ فقال : من قريش ، والحمد لله ، قال : بأبي أنت !
 التحميد هاهنا ريبية ! واسم أبي دُوَادِ دُعَمِيٌّ ، قال أبو اليقظان : وهم من قبيلة
 يقال لها بنو زهرة إخوة بني جَدان ، وقد ذكره الطائي في قوله :
 والغيث من زهرٍ سحابة رَأْفَةٍ والركنُ من شيبانٍ طَوْدُ حَدِيدِ
 ذكر شيبان ، لأن خالد بن يزيد الشيباني شَفَعَ له عند ابن أبي دُوَادِ فيما
 بنساقُ الحديثُ إليه من مَوْجِدَتِهِ عليه .

قال محمود الوراق : كنتُ جالساً بطرفِ الجُنُزِ مع أصحابِ لي ، فرآنا
 أبو تمام ، فجلس إلينا ، فقال له رجل منا : يا أبا تمام ، أيُّ رجلٍ أنتَ لو لم تكن
 من اليَمَنِ ! قال : ما أَحَبُّ أُنَى بغيرِ الموضعِ الذي اختاره اللهُ لي ، فَمِمَّنْ^(٢) نَحِبُّ أن

(١) هكذا ، وأحسبه « فهم على نسبهم - إلخ » (م)

(٢) في جميع المطبوعات « فمن نحب - إلخ » (م)

غلوه في التعصّب
لإياد

علمه وعداوته
لابن الزيات

أصله

أ كَوْنًا؟ قَالَ : مِنْ مُضَرَ ، قَالَ : إِنَّمَا شَرُفَتْ مُضَرَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
 وَلَوْلَا ذَلِكَ مَا قَيْسُوا بِمُلُوكِنَا وَأَذْوَانِنَا ، وَفِينَا كَذَا ، وَمِنَّا كَذَا - يَفْخَرُ ؛ وَذَكَرَ
 أَشْيَاءَ عَابَ بِهَا مُضَرَ ، وَنَمِي الْخَبْرُ إِلَى ابْنِ أَبِي دُوَادٍ وَزَيْدٍ فِيهِ ، قَالَ : مَا أَحِبُّ
 أَنْ يَدْخُلَ عَلَيَّ ، فَقَالَ يَعْتَذِرُ إِلَيْهِ بِقَصِيدَةِ أَوْلَاهَا :

غضبه على
 في تمام م
 صاه عنه

سَعِدَتْ غُرْبَةُ النَّوَى بِسُعَادِ فِي طُلُوعِ الْإِتِهَامِ وَالْإِنْجَادِ

يَقُولُ فِيهَا :

بَعْدَ أَنْ أَصَلْتَ الْوُشَاةَ سَيُوفًا قَطَعْتَ فِي وَهْيٍ غَيْرِ حِدَادِ
 فَتَنِي عَنْكَ زُخْرَفَ الْقَوْلِ تَمَعٌ لَمْ يَكُنْ فَرَضُهُ لَغَيْرِ السَّدَادِ
 ضَرَبَ الْحِلْمُ وَالْوَقَارُ عَلَيْهِ دُونَ عُورِ الْكَلَامِ بِالْأَسْدَادِ
 مَلَأَتْكَ الْأَخْسَابُ أَيَّ حَيَاةٍ وَحَيَا أَرْزَمَةَ وَحَيَّةِ وَاِدِ
 عَاتِقٌ مُعْتَقٌ مِنَ الرِّقِّ إِلَّا مِنْ مُقَاسَاةٍ مَفْرَمِ أَوْ نِجَادِ
 لِلْحَمَالَاتِ وَالْحَمَائِلِ فِيهِ كَلْحُوبِ الْمَوَارِدِ الْأَعْدَادِ^(١)

فَمَارَفِي عَنْهُ حَتَّى تَشْفَعُ إِلَيْهِ بِخَالِدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ مَزِيدِ الشَّيْبَانِيِّ ، فَقَالَ

فِي قَصِيدَةٍ :

أَسْرَى طَرِيدًا لِلْحَيَاءِ مِنَ التِّي زَعَمُوا ، وَلَيْسَ لِقَوْلِهِ بِطَرِيدِ^(٢)
 كُنْتَ الرِّبِيعَ ، أَمَامَهُ وَوَرَاءَهُ قَمَرُ الْقَبَائِلِ خَالِدُ بْنُ يَزِيدِ
 وَغَدَا تَبَيَّنَ مَا بَرَاءَةٌ سَاخَتِي لَوْ قَدْ نَفَضْتَ تَهَامِي وَنَجُودِي
 اللَّهُ دَرَكٌ أَيُّ بَابِ مُلَمَّةٍ لَمْ يُرْمَ فِيهِ إِلَيْكَ بِالْإِقْلِيدِ^(٣)

(١) الأعداد : جمع عد بالكسر وهو الماء الجاري الذي لا ينقطع ، واللحوب :
 الوضوح . والمعنى أن عاتق المدوح تظهر فيه آثار الحملات والحمائيل ظهور قنوات
 الماء الذي لا ينقطع (٢) الذي في الديوان « وليس لرهبية بطريد » (م)
 (٣) الإقليد . الفجاح ، وكذلك القلاد والقائد

لما أظلتني غمامك أصبحتُ
 تلك الشهودُ على وهي شهودي
 من بعد ما ظنُّوا بأن سيكون لي
 يومٌ بزعمهم كيوم عبيد
 يريد عبيد بن الأبرص الأسدي ، وكان النعمان بن المنذر تقيه يوم
 يؤسسه قتله .

وكان ابن أبي دؤاد كريماً فصيحاً جزلاً . قال أبو العينا . كنا عند ابن أبي
 دؤاد ومعنا محمود الوراق وجماعةٌ من أهل الأدب والعلم ؛ فجاءه رسول إيتاخ
 فقال : إن الحاجب أبا منصور يقرأ على القاضي السلام ، ويقول : القاضي يتعنى (١)
 ويحجى في الأوقات ؛ وقد تفاقم الأمرُ بينه وبين كاتب أمير المؤمنين ، يريد ابن
 الزيات ، فصار يضربنا عند قصده القاضي ، وما أحب أن يتعنى إلي لهذا السبب ؛
 إذ كنت لا أصل إلى مكافاته . فقال : أجيبوه عن رسالته ، فلم ندر ما نقول ،
 ونظر بعضنا إلى بعض ، فقال : أما عندكم جواب ! قلنا : القاضي - أعزه الله ،
 أعلمُ بجوابه منا ، فقال للرسول : اقرأ عليه السلام ، وقل له : ما أتيتك متكرراً
 بك من قلة ، ولا متعزراً بك من ذلة ، ولا طالباً منك رتبة ، ولا شاكياً
 إليك كربة ، ولكنك رجلٌ ساعدك زمان ، وحرَّكَكَ سلطان ، ولا علم
 يؤلف ، ولا أصل يُعرَف ؛ فإن جئتك فبسلطانك ، وإن تركتك فلنفسك !
 فعجبنا من جوابه .

[من براعة خالد بن عبد الله القسري]

صعد خالد بن عبد الله القسري المنبر يوم الجمعة ، فخطب وهو إذ ذاك أمير
 على مكة ، فذكر الحجاج فأحمد طاعته ، وأثنى عليه خيراً ، فلما كان في الجمعة
 الثانية ورد عليه كتاب سليمان بن عبد الملك يأمره فيه بشتم الحجاج وذكر

(١) يتعنى : يتعب

عيوبه ، وإظهار البراءة منه ، وصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : إن إبليس كان ملكاً من الملائكة ، وكان يُظهِر من طاعة الله ما كانت الملائكة ترى له بذلك فضلاً ، وكان الله تعالى قد علم من غشه ما خفي عن الملائكة ، فلما أراد الله فضيحتَه ابتلاه^(١) بالسجود لآدم ؛ فظهر لهم ما كان يُخفيه عنهم فلعنوه ؛ وإن الحجاج كان يُظهِر من طاعة أمير المؤمنين ما كنا نرى له بذلك فضلاً ، وكان الله عز وجل أطلع أمير المؤمنين من غلّه وخُبثه على ما خفي عنا ، فلما أراد الله فضيحتَه أجرى ذلك على يد أمير المؤمنين ، فآلَعنوه ، لعنه الله . ثم نزل .

وكان أبو تمام قد مدح الأفشين التركي ، واسمه خيدر^(٢) بن كاوس ، وكان من أجل قواد المعتصم ، وأبلى في أمر بابك الخرمي بلاء حمده له ؛ فلما سخط المعتصم عليه لما نسب إليه من سوء السيرة ، وقبح السريرة ، وأنه يخطب درجة بابك ، ويريد التحصن بموضع يتخلع فيه يده عن الطاعة ، وأظهر القاضي أحمد بن أبي دواد عليه أنه على غير الإسلام ، قال أبو تمام معذراً للمعتصم من تقديمه واجتباؤه ، ولنفسه من مدحه وإطرائه :

أبو تمام يعتذر
للمعتصم عن
سابق مدحه
للأفشين

ما كان لولا فحش غدره خيدر
هذا الرسول وكان صفوة ربه
قد خص من أهل النفاق عصابة
واختار من سعد لعين بني أبي
حتى استضاء بشعلة الشور التي
ليكون في الإسلام عام فيجار
من خير باد في الأنام وقار
وهم أشد أذى من الكفار
سريح لعمر الله غير خيار
رفعت له ستر من الأستار
ثم ذكر في هذه القصيدة أن قتل الأفشين لبابك لم يكن بصدق بصيرة ، ولا لصحة سريرة ، فقال :

(١) ابتلاه : اختبره . (٢) في بعض الأصول «خيدر» وفي بعضها «حيدر» (م)

والهاشمون المستقلة ظنهم — عن كَرِّ بَلَاءٍ بِأَثْقَلِ الْأَوْزَارِ
فَشَغَامِ الْمُخْتَارِ مِنْهُ وَلَمْ يَكُنْ فِي دِينِهِ الْمُخْتَارُ بِالْمُخْتَارِ

[المناقون في عهد النبي صلى الله عليه وسلم]

أما من ذُكِرَ من أهل النفاق ، فقد كانوا يظهرون غَيْرَ ما يُسِرُّون ، حتى
أطلع الله نبيَّه عليه السلام على أخبارهم ، ونَشَرَ له مَطْوِيَّ أسرارهم .

عبد الله بن
أبي سرح

وأما ابنُ أبي سَرَحٍ فهو عبدُ الله بن سعد بن أبي سَرَحٍ بن الحسام بن الحارث بن
حبيب بن خزيمة بن نصر بن مالك [بن حِجْل] بن عامر بن لؤي ، أسلم قبل الفتح ،
واستكتبه النبي عليه السلام ؛ فكان يكتبُ مَوْضِعَ «الغفور الرحيم» العزيز
الحكيم ، وأشبه ذلك ؛ فأطلع الله عليه النبي عليه السلام ، فهرب إلى مكة
مرتدًا ؛ وأُنزل فيه : (ومن قال سأُنزل مثل ما أنزل الله) . فأهدر النبي صلى الله عليه
وسلم يوم الفتح دَمَهُ ، فهرب من مكة ، فاستأمن له عثمانُ رضي الله عنه ؛ فأمنه
رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وهو أخو عثمان من الرَضَاعَةِ ، وأسلم فحَسُنَ
إسلامه ، وولَّى مصر سنة أربع وعشرين ، فأقام عليها إلى أن حُصِرَ عثمان ، ومات
بقيسارية الشام ، ولم يدخل في شيء من الفتن الحجازية في ذلك الوقت .

المختار بن أبي
عبيد الخارجي

وأما المختارُ الذي ذكره فهو المختار بن أبي عُبَيْد بن مسعود بن عمرو بن عمير
ابن عوف بن عَفْدَةَ بن عروة بن عَوْف بن قَسِيٍّ وهو ثقيف ؛ وكانت لأبيه في
الإسلام آثارٌ جميلة ، وأختُ المختار صفيّة بنت أبي عبيد زوجُ ابن عمر ، والمختار
هو كذاب ثقيف الذي جاء فيه الحديث ، وكان يزعمُ أنه يُوحَى إليه في قتلةِ
الحسين ؛ فقتلهم بكل موضع ، وقتل عبيد الله بن زياد ، وله أشجاع يصنعها ،
والفاظُ يبتدعها ، ويزعم أنها تنزل عليه ، وتوحى إليه .

وقيل للأحنف بن قيس : إن المختار يزعم أنه يُوحى إليه ! فقال : صدق ،

وتلا : (وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ) . وأخباره كثيرة ليس هذا موضعها .

بين أمية بن
خالد وعبد الله
بن الأهم

لما هزم أمية بن خالد بن أُسَيْدٍ لم يَدْرِ الناس كيف يقولون له ، فدخل
عبدُ الله بن الأهم عليه ، فقال : الحمد لله الذي نظر لنا أيها الأمير عليك ،

ولم ينظرُ لك علينا ، فقد تعرّضت للشهادة بجهديكَ ، إلا أن الله علم حاجة أهل الإسلام إليك ، فأبقاك لهم بخذلان من معك . فصدر الناسُ عن كلامه .

ويتعلق بهذه المقامة فصل في غرائب التكاثر

كتب حمدون بن نهران إلى عاملٍ عزّل عن عمله :

من حمدون
بن نهران لعامل
عزّل عن عمله

بلغني أعزك الله أنصيراك عن عملك ، ورجوعك إلى منزلك ؛ فسُررت بذلك ، ولم أستفظة وأجزع له ؛ لعلني بأن قدرك أجلُّ وأعلى من أن يرفعك عملٌ تتولاه ، أو يضعك عزّل عنه ؛ ووالله لو لم تختز الانصراف وترد الاعتزال لكان في إطف تديريك ، وثقوب رويّتك ، وحسن تأتيتك ، ما تُزِيل به السبب الداعي إلى عزلك ، والباعث على صرفك ؛ ونحن إلى أن نهنتك بهذه الحال أولى بنامن أن نعزيتك ؛ إذ أردت الانصراف فأوتيتته ، وأحببت الاعتزال فأعطيتته ، فبارك الله لك في منقلبك ، وهنالك النعم بدوامها ، ورزقك الشكر الموجب لها الزائد فيها .

وكتب ابن مكرم إلى نصراني أسلم :

من ابن مكرم
نصراني أسلم

أما بعد فالمدُّ لله الذي وفقك لشكره ، وعرفك هدايته ، وطهر من الارتياب قلبك ، وما زالت مخايلك ممثلة لنا حقيمة ما وهب الله فيك ، حتى كأنك لم ترن بالإسلام مؤسوماً ، وإن كنت على غيره مقبياً ، وكنا مؤتملين لما صرنا إليه ، مشفقين مما كنت عليه ، حتى إذا كاد إشفافنا أن يستعلي رجاءنا أنت السعادة بما لم تزل الأنفس تعدّ منك ؛ فأسأل الله الذي أضاء لك سبيل رشدك أن يوفقك لصالح العمل ، وأن يؤتيتك في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ، ويقيك عذاب النار .

قال بعضُ الكتاب : من الحق ما يستحسن تركه ، ويستهجّن عمله ،

بعض ما

وقد يقع من ذلك فيما يُحسبه الشرع ، ويكرهه الأدباء ؛ وكثير ممن يغلب على طبعه هذا المعنى يراه سموً نفس ، وعلوً همة . حتى رأينا من لا يحضر تزويج

يستحسن تركه
وإن كان حالاً

كريمته ، ويوتى أمرها غير نفسه ، ورأينا من يُجاوز ذلك إلى ألا يُنكح مستنكحها ، وزاد به العلو إلى ترك ما ذكره أولى ؛ وكنا عرفنا حال إنسان تزوجت أمه ؛ فعظم لذلك همه ، وانفرد عن أودائه ، وتوارى عن أصفياه ؛ حياء من لقائهم ، وكرها لتهنئتهم له أو عزائهم ، واضطرتته الوحشة إلى قصد من ظن به منهم المُسكّة في تحامى خطابه فيما اجتنب لأجله خلّاته ، وفارق بسببه إخوانه ، وتخيّل ذلك المتصوّد أنه إنما لجأ إليه ليسليه ؛ فأفاض معه فيما قدر أنه قصد له من المعنى الذى جعله وحيداً خوف المفاوضة .

ثم مضت الأيام واختلف الحال ، ورجع إلى العشرة وأبناء المودة ؛ فكان عنده من لم يخاطبه أخطى ، وفي نفسه أوفى ، وعلى قلبه أخف ، وفي نفسه أشف ، وتقم على ذلك الصديق وعَتَب ؛ إذ لكلّ من الناس - إلا من طاب محتدّه وطال سوّده - حال من الإلف والرغبة تحسّن المساوى ، ثم حال من الملل والزّهادة تَبَحُّ الحاسن ؛ واعتذر المتكفّف من التسلية بما لم يلزمه ، ولم يُرِدْه صفيّه ، فإنه فعل ما أوجبه الأخوة ، وحقوق الخلطة ، وأسباب العشرة ، وانبساط المفاوضة ؛ ودبت عقارب الظنون والشايب ، إلى أن خرجا بالملاحاة إلى المعاداة ؛ فلما وقع بعضُ الناس بينهما من معاودة الحسنى ، ومراجعة الأولى ؛ جاهر هذا الماقت بقرع سينّ الأسف على تخيّل النهى والوقار من المقوت ، وظاهر المقوت بتقريع الماقت ، بتزويج أمّه الذى تجشم من كلامه فيه فضلاً ، وتكلف من خطابه عليه ما من حسرة خلّاً ؛ فأفضى الأمرُ بينهما إلى الأوتار ، وطلب الثار .

ما يقال لمن
تزوجت أمه

فإن اضطرت إلى القول فى هذا المعنى أحدٌ بأمر قاهرٍ من السلطان ، أو حوادث الأزعان ، أو تطارح الإخوان ، فليقل وليكتب ما مثلنا إن لم يجد منه بدءاً : أنت - بفضل الله عليك وإحسان تبصيره بإلئسمن أهل الدين ، وخلص اليقين ، فكما لا تتبع الشهوة فى محظورٍ تبيحه ، فكذا لا تتبع الأنفة فى مباحٍ تحظره ؛ وقد اتصل بنا اختاره الله والقضاء لذات الحقّ عليك ، المنسوبة - بعد نسبك إليها - إليك ،

بما كرهه إياؤك الدُّنْيوى لك ولها ، [ورَضِيَه الحلالُ الدينى له ولها] ، فنحن نعزيك عن فائت محبوبك ، ونهنئك فى الخيرة فى اختيارِ القدرِ لك ، ونسألُ الله أن يجعلها أبداً معك فيما رضيت وكرهت ، وأبيت وأتيت .

فهذا ونحوه أضوبُ وأسلم ، إن اضطررت إليه ، وتركه أحسن وأحزم ، إن ملكت رأيك فيه ؛ والتلطفُ للكتابة عما يُستَهجن ولا يستحسن التواجه به من أحسنِ الأشياءِ وأسَدِّها .

من أبى الفضل
بن العميد لمن
تزوجت أمه

وكتب أبو الفضل بن العميد فى بابه: الحمدُ لله الذى كشف عنا سِتْرَ الخيرة .
وهذا لنا لسِتْرِ العورة ، وجدَّعَ بما شرع من الحلالِ أنفَ الغيرة ، ومنع من عَضَلِ
الأمهات ، كما منع من وأدِ البنات ، استنزأً للنفوسِ الأبية ، عن حَمِيَّةِ الجاهلية .
ثم عرض للجزيل من الأجر من استسلم لمواقع قضاائه ؛ وعوض جزيلَ الثواب
لمن صبر على نازلِ بلائه ؛ وهنالك الله ، الذى شرح للتقوى صدرك ، ووسَّع فى
البؤى صبرك ، ما ألهمك من التسليم بمشيئته ، والرضا بقضيته ، ووفقك له من
قضاء الواجب فى أحد أبويك ، ومن عظم حقه عليك ؛ وجعل الله تعالى
حدَه (١) ما تجرَّعته من أنفٍ (٢) ، وكظمتَه من أسفٍ ، معدوداً يعظُمُ اللهُ عليه
أجرُك ، ويُجزِلُ به ذُخْرُك ؛ وقرن بالحاضر من امتعاضك لِفعلها المنتظر من
ارتماضك الدَّفِنِها (٣) ، وعوضك من أسيرة فرشها أعوادَ نغشها ؛ وجعل
ما يُنعمُ به عليك من بعدها من نعمة مُعرِّى من نعمة ، وما يوليكَ بعد قبضها
من منحة مبرأ من محنة .

(١) الحد : البأس ، ومثله الحد .

(٢) الأنف والأنفة : الحمية .

(٣) الارتماض : الحزن .

ألفاظ لأهل العصر في التهناني بالبنات

هنا الله سيدي ورّد الكريمة عليه ، وثمر بها أعداد النسل الطيب لديه ؛
وجعلها مؤذنة ياخوة بررة ، يعمرون أنديّة الفضل ، ويفخرون^(١) بقية الدهر .
اتصل بي خبر المولودة ، كرم الله غرتها وأنتبتها نباتاً حسناً ، وما كان من
تغيرك بعد اتّصاح الخبر ، وإنكارك ما اختاره الله لك في سابق القدر ، وقد
علمت أنهن أقرب من القلوب ، وأن الله تعالى بدأ بهن في الترتيب ، فقال جل
من قائل : (يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاءً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ) . وما سماه
هبة فهو بالشكر أولى ، وبمُسنّ التقبل أخرى . أهلاً وسهلاً بعقيلة النساء ،
وأمّ الأبناء ، وجالبة الأصهار ، وأولاد الأطهار ، والمبشرة ياخوة يتناسقون ،
ونجباء يتلاحقون .

فلو كان النساء كمثل هدى لفضلت النساء على الرجال
فما التأنيت لاسم الشمس عيب ولا التذكير فخر للهلال
والله يعرفك البركة في مطلعها ، والسعادة في موقعها ، فادّرع اغتباطا ،
واستأنف نشاطا . الدنيا مؤنثة ، والرجال يخدمونها . والنار مؤنثة ، والذكور
يعبدونها . والأرض مؤنثة ، ومنها خلقت البرية ، وفيها كثرت الذرية . والسماء
مؤنثة ، وقد خلقت بالكواكب ، وزيّنت بالنجوم الثواقب . والنفوس مؤنثة ،
وهي قوام الأبدان ، وملاك الحيوان . والحياة مؤنثة ، ولولاها لم تتصرف الأجسام
ولا عرف الأنام . والجنة مؤنثة ، وبها وعد المتقون ، وفيها ينعم المرسلون ؛ فهناك
الله ما أوليت ، وأوزعك شكر ما أعطيت ، وأطال الله بقاءك ما عرف
النسل والولد ، وما بقي العصر والأبد ؛ إنه فعال لما يشاء .

(١) يعمرون : يقعون (م) .

[بعض ما لا يُمدح النساء به]

والتصرف في النساء ضيق النطاق ، شديد الخناق ، وأكثر ما يُمدح به الرجال ذمهن ، ووهم عليهن ، قال ابن الرومي :

ما لِلْحِسَانِ مَسِيئَاتٍ بِنَا ، وَلِنَا إِلَى الْمَسِيئَاتِ طَوْلَ الدَّهْرِ تَحْنَانُ
فَإِنْ يَبُخَنَ بِمَهْدِ قَلْبِنَا : مَعْدَرَةٌ
لَا نُلْزِمُ الذِّكْرَ ، إِنَّا لَمْ نُسَمِّ بِهِ
فَضْلُ الرِّجَالِ عَلَيْنَا أَنْ شِيمَتَهُمْ
وَأَنْ مِنْهُمْ وِفَاءٌ لَا نَقُومُ لَهُ
إِلَى الْمَسِيئَاتِ طَوْلَ الدَّهْرِ تَحْنَانُ
إِنَّا نَسِينَا ، وَفِي النِّسْوَانِ نَسْيَانُ
وَلَا مُنِحْنَاهُ ، بَلْ لِلذِّكْرِ ذُكْرَانُ
جُودٌ وَبَأْسٌ وَأَحْلَامٌ وَأُذْهَانُ
وَهَلْ يَكُونُ مَعَ النُّقْصَانِ رُجْحَانُ ؟

وقال أبو الطيب المتنبي :

بَنَفْسِي الْخِيَالُ الزَّائِرِي بَعْدَ هَجْعَةٍ
سَلَامٌ فَلَوْلَا الْبُخْلُ وَالْخَوْفُ عِنْدَهُ
وَقَوْلُهُ لِي : بَعْدَنَا الْقُمْصَ تَطْعَمُ
لَقُلْنَا أَبُو حَفْصٍ عَلَيْنَا الْمَسْلَمُ
أَلَا تَرَى أَنَّ الْجُودَ ، وَالْوَفَاءَ بِالْعَهْدِ ، وَالشَّجَاعَةَ وَالْفِطْنَ ، وَمَا جَرَى فِي
هَذَا السَّنِ ، مِنْ فَضَائِلِ الرِّجَالِ ، لَوْ مَدِحَ النِّسَاءُ بِهِ لَكَانَ نَقْصًا عَلَيْهِنَ ،
وَذَمًّا لَهُنَّ ؟

ولمدح النساء أبواب تفرقت في الكتاب :

أنشد رجلٌ زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور :

أَزُيَيْدَةَ بِنَةَ جَعْفَرٍ جُلُوبِي لِزَائِرِكَ الْمَثَابِ
تُعْطِينَ مِنْ رِجْلَيْكَ مَا تُعْطِي الْأَكْفُ مِنْ الرَّغَابِ

فوثب إليه الخدم يضر بونه ، فمنعتهم من ذلك ، وقالت : أراد خيراً وأخطأ ،
وهو أحب إلينا ممن أراد شراً فأصاب ، سمع قولهم « شمالك أندي من يمين غيرك »
فظن أنه إذا قال هكذا كان أبلغ ، أعطوه ما أمل ، وعرفوه ما جهل .

وقال كثير :

وَمَا قَضَيْنَا مِنْ مِثِّي كُلِّ حَاجَةٍ وَمَسَّحَ بِالْأَرْكَانِ مَنْ هُوَ مَا سَحَّ

رجل يمدح
زبيدة أم
الأمين

لكثير عزة

وشدّت على حُذْبِ الْمُطَايَا رِحَالُنَا
أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ بَيْنَنَا
تَقَعْنَا قُلُوبًا بِالْأَحَادِيثِ وَاشْتَقَفْتُمْ
وَلَمْ تَمُخَّشْ رَيْبَ التَّهْرِ فِي كُلِّ جَالَةٍ
وَلَا يَعْلَمُ الْغَادِي الَّذِي هُوَ رَائِحٌ
وَسَأَلْتُمْ بِأَعْنَاقِ اللَّطِيءِ الْأَبَاطِحِ
بِذَلِكَ صَدُورٌ مُنْضَجَاتٌ قَرَائِحُ (١)
وَلَا رَاعَيْنَاهُ مِنْهُ سَنِيعٌ وَبَارِحٌ

وقال :

ولكثير أيضا

تَفَرَّقَ الْأَفُّ الْحَجِيجِ عَلَى بِنِي
فَرِيقَانِ مِنْهُمْ سَأَلْتُ بَطْنَ تَخْلَةٍ
فَلَمْ أَرَ دَارًا مِثْلَهَا دَارَ غِبْطَةٍ
أَقُولُ مَقِيًا رَاضِيًا بِمَكَانِهِ
فَأَصْبَحُ لَا تَلْقَى خَبَاءَ عَيْدَتِهِ
فَتَأْفُوكُ لِمَا وَجَّهُوا كُلَّ وَجْهِهِ
وَسْتَتَمُّ شَخْطَ النَّوَى مَشَى أَرْبَعِ
وَأَخْرُ مِنْهُمْ جَارِعٌ ظَهَرَ تَضْرُوعُ
وَلَهْوٍ إِذَا التَفَّ الْحَجِيجُ بِجَمْعِ
وَأَكْثَرَ جَارًا ظَالِمًا لَمْ يُودَّعِ
بِمَضْرِبِهِ أَوْ تَادَهُ لَمْ تُتْرَعِ
فَبَانُوا وَخَلُّوا عَنْ مَنَازِلِ بَلْقَعِ

عزة تفضل
الأحوص على
كثير

ودخل كثير على عزة يوما ، فقالت : ما ينبغي أن نأذن لك في الجلوس ،
فقال : ولم ذلك ؟ قالت : لأنني رأيت الأحوص أئين جانبا عند العواني منك في
شعره ، وأضرع خدًا للنساء ، وأنه الذي يقول :

يَأْبِهَسَا اللَّامِي فِيهَا لِأَضْرِمَهَا
أَكْثَرَ فَلَسْتَ مُطَاعًا إِذْ وَشَيْتَ بِهَا
وَيَعْجِبُنِي قَوْلُهُ :

أَدُورٌ وَلَوْ لَا أَنْ أَرَى أُمَّ جَعْفَرٍ
وَمَا كُنْتُ زَوْارًا ، وَلَسْكَنَ ذَا الْهَوَى
لَقَدْ مَنَعَتْ مَعْرُوفَهَا أُمَّ جَعْفَرٍ
بِأَبْيَاتِكُمْ مَا دُرْتُ خَيْثُ أَدُورُ
إِذَا لَمْ يُزْرَ لَا بَدَةَ أَنْ تَسْبِزُورُ
وَإِنِّي إِلَى مَعْرُوفِهَا لَفَقِيرُ

(١) تقع : روى ، ومنضجات قرائح : أنضجها الخزن وقرحها

ويعجبنى قوله :

كم من دنى لها قد كنت أتبعه
لا أستطيع تزوعاً عن محبتها
أدعو إلى هجرها قلبى فيتبعنى
وزادنى رغبةً فى الحب أن منعت ،
ولو حجا القلب عنها كان لى تبعاً
أو يصنع الحب لى فوق الذى صنعا
حتى إذا قلت هذا صادق نزاعاً
أشهى إلى المرء من دنياه ما منعاً

وقوله :

إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى
وما العيش إلا ما تلذ وتشتهى
وإنى لأهواها وأهوى لقاءها
علاقة حب نج فى سنن الصبا
فكن حجراً من يابس الصخر جليداً
وإن لام فيه ذو الشنان وفندا
كما يشهى الصادى الشراب المبرداً
فأبلى ، وما يزداد إلا تجداً
هذان البيتان ألحهما العتبي وغيره بشعر الأحوص ، وأنشدها أبو بكر بن
دريد لأعرابي ، فقال كثير : قد والله أجاد فما استبحت من قولى ؟ قالت :

قولك :

وكنت إذا ما جئت أجلن مجلسي
يُحاذِرُن منى غيرة قد عرفتها
تراهن إلا أن يخالسن نظرة
كواظم لا ينطقن إلا منحورة
وكن إذا ما قلن شيئاً بسرهُ
وأظهرن منى هية لا تبهما
قدىما ، فلا يضحكن إلا تبهما
بموخر عين أو يقبلن مفضماً
رجية قول بعد أن يتفهما
أمر الرضا فى نفسه وتحرماً

وقولك :

وددت وبيت الله أنك بكره
هجان ، وأنى مضعب ثم نهزب (١)

(١) هجان : يضاء ، والمضعب : الفعل ، ورواية صاحب الموضح :-

ألا ليتنا بعز كنا لدى غنى بيزين نرعى فى الخلاء ونهزب

كِلَانَا بِهِ عُرٌّ فَمَنْ يَرَنَا يُقَلِّ
 نَكُونُ لَدَى مَالٍ كَثِيرٍ مَغْفَلٍ
 إِذَا مَا وَرَدْنَا مِنْهَا صَاحَ أَهْلُهُ
 عَلَيْنَا فَمَا نَنفَكُ نُوذَى وَنُضْرَبُ^(٢)
 عَلَى حُسْنِهَا جَرَبَاءُ تُعْدِي وَأَجْرِبُ^(١)
 فَلَا هُوَ يَرَعَانَا وَلَا نَحْنُ نَطْلُبُ
 وَيَحْكُ ! لَقَدْ أَرَدْتَ بِنِ الشَّقَاءِ ، أَمَا وَجَدْتَ أُمْنِيَةً أَوْطَأَ مِنْ هَذِهِ ؟ فَمَخْرَجِ
 خَجَلًا .

[من الأمانى]

لأبي صخر
 الهذلي

وقد تمنى بمثل هذه الأمانة الفرزدق . وأغرب من هذا قول أبي صخر الهذلي :
 تَمَنَيْتُ مِنْ حُبِّي عَلَيْكَ أَنَّنَا
 عَلَى دَائِمٍ لَا يَعْبرُ الْفَلَكُ مَوْجَهُ
 فَنَقْضَى هَمَّ النَّفْسِ فِي غَيْرِ رِقْبَةٍ
 وَيُغْرِقُ مَنْ نَحْشَى نَيْمَتَهُ الْبَحْرُ
 عَلَى رَمَتْ فِي الْبَحْرِ لَيْسَ لَنَا وَفْرُ^(٣)
 وَمِنْ دُونِنَا الْأَهْوَالُ وَاللُّجَجُ الْخُضْرُ
 وَقِيلَ : الْأَمَلُ رَفِيقٌ مُؤْنِسٌ ؛ إِنْ لَمْ يُبَلِّغْكَ قَدَّمَ الْهَالِكَ .

وقال مسلم بن الوليد .

وَأَكْثَرُ أَفْعَالِ اللَّيَالِي إِسَاءَةٌ
 وَأَكْثَرُ مَا تَلْقَى الْأَمَانِي كَوَاذِبًا
 وَقَالَ آخَرُ :

مَنْ بِنِي إِنْ تَكُنْ حَقًّا تَكُنْ أَحْسَنَ الْمَنِيِّ
 أَمَانِيٍّ مِنْ لَيْلِي حِسَانٌ كَأَمَّا
 وَقَالَ آخَرُ

رَفَقْتُ عَنْ الدُّنْيَا الْمَنِيَّ غَيْرِ حَبِيهَا
 فَلَا أَسْأَلُ الدُّنْيَا وَلَا أُسْتَزِيدُهَا
 وَقِيلَ لِأَعْرَابِي : مَا أَمْتَعُ لِدَاتِ الدُّنْيَا ؟ فَقَالَ : مِمَّا زَحَتْ الْحُبُّ ، وَمِمَّا دَثَتْ الصَّدِيقُ ،

(١) العر - بالفتح ويضم - الجرب

(٢) رواية صاحب الموشع :

إذا ما وردنا منها هاج أهلنا ، فلا تنفك نرعى ونضرب

(٣) الرمث بالتحريك خشب يضم بعضه إلى بعض ويركب في البحر

وأمانى تقطع بها أيامك ، وأنشد :

عَلِّينِي بِوَعْدِ وَأَمَلِي مَا حَبِيتَ بِهِ
وَدَعِينِي أَفْزُ مِنْكَ بِنَجْوَى تَطْلِبُهُ
فَسَى يَعْزُ الزَّمَانُ نَ بِحُظِّي فَيُنْقَبُهُ
[بعض أخبار كثير وعزة]

وكان كثير بن عبد الرحمن بن أبي جعدة الخزاعي — ويعرف بعزة ، على حدة خاطره ، وجودة شعره — أحق الناس .

حق كثير

دخل عليه نفر من قریش وهو عليل يهزون به ، قال بعضهم : قلت له : كيف تجدك ؟ قال : بخير ، هل سمعتم الناس يقولون شيئاً ؟ قلت : نعم ، سمعتم يقولون : إنك الدجال . فقال : والله لئن قلت ذلك إني لأجد في عيني اليمنى ضغفاً منذ أيام .

وكان رافضياً يدين بالرجعة ، ويقول بإمامة محمد بن الحنفية ، والروافض يزعمون أنه دخل في شعب باليمن في أربعين من أصحابه ، ولا بد من ظهوره ، وفي ذلك يقول :

كان رافضياً

أَلَا إِنَّ الْأُمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ
عَلِيٌّ وَالثَّلَاثَةُ مِنْ بَنِيهِ
فَسَبُّ سَبُّ إِيْمَانٍ وَبِرٍّ
وَسَبُّ لَا يَذُوقُ الْمَوْتَ حَتَّى
وَلَاةَ الْحَقِّ أَرْبَعَةٌ سِوَاهُ
هُمْ الْأَسْبَاطُ لَيْسَ بِهِمْ خَفَاءُ
وَسَبُّ غَيْبَتِهِ كَرَبْلَاءُ
يَقُودُ الْخَيْلَ يَتَقَدَّمُهَا اللُّوَاءُ
تَغِيْبَ لَا يَرَى عَنْهُمْ زَمَانًا
بِرَضْوَى عِنْدَهُ عَسَلٌ وَمَاءُ
وَكَانَ خَلْقًا بَنِي أُمِيَّةٍ يَعْلَمُونَ ذَلِكَ مِنْهُ ، وَيَلْبَسُونَهُ عَلَيْهِ .

دخل يوما على عبد الملك بن مروان فقال : نشدتك بحق علي بن أبي طالب ، هل رأيت أعشق منك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ؛ لو سألتني بحقك لأخبرتُك ، نعم ، بينا أنا أسيرُ في بعض القلوات إذا أنا برجل قد نصب حباله ، قلت له :

بين كثير
وعبد الملك
بن مروان

ما أَجْلَسَكَ هَاهُنَا؟ قَالَ: أَهْلَكُنِي وَأَهْلَى الْجُوعِ، فَنَصَبْتُ حَبَائِلِي لِأُصِيبَ لَمْ
وَلنَفْسِي مَا يَكْفِينَا سَجَابَةَ يَوْمِنَا، قُلْتُ: أَرَأَيْتَ إِنْ أَقَمْتُ مَعَكَ فَأَصْبْنَا صِيدًا
أَتَجْمَعُلُ لِي مِنْهُ جِزْءًا؟ قَالَ: نَعَمْ، فَيُنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ وَقَعَتْ ظُبِيَّةٌ، فخرَجْنَا
مُتَبَدِّرِينَ، فَاسْرِعْ إِلَيْهَا فَخَلِّهَا وَأَطْلِقْهَا؛ قُلْتُ: مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا؟ قَالَ
دَخَلْتَنِي لَهَا رِقَّةٌ لَشَبَّهَهَا بِلَيْلِي، وَأَنْشَأُ يَقُولُ:

أَيَا شِبْهَةَ لَيْلِي لَا تُرَاعِي فَإِنِّي لَكَ الْيَوْمَ مِنْ وَخْشِيَّةٍ لَصَدِيقُ
أَقُولُ وَقَدْ أَطْلَقْتُهَا مِنْ وَثَاقِهَا لَأَنْتِ - لِلَّيْلِ - مَا حَيَّتْ طَلِيقُ
وَرَوَى الْكَلْبِيُّ وَابْنُ دَأْبٍ أَنَّهُ لَمَّا حَلَّهَا قَالَ:

أَذْهَبِي فِي كِلَاءَةِ الرَّحْمَنِ أَنْتِ مِنِّي فِي ذِمَّةٍ وَأَمَانٍ
لَا تُجَافِي بَأْنَ تُهَاجِرِي بِسُوءِ مَا تَفَعَّنِي الْحَمَامُ فِي الْأَغْصَانِ
تَرْهَبِينِي وَالْجَيْدُ مِنْكَ لِلَّيْلِ وَالْحَشَا وَالْبُقَامُ وَالْعَيْنَانِ؟
وَقَالَ قَيْسُ بْنُ الْمَلُوحِ:

رَاحُوا يَصِيدُونَ الظُّبَاءَ وَإِنِّي لَأَرَى تَصَّ - يُدْهَأُ عَلَى حَرَامَا
أَشْبَهَنَّ مِنْكَ مَحَاجِرًا وَسَوَافِيَا فَأَرَى عَلَى لَهْمَا بِذَلِكَ ذِمَامَا
أَعَزَّرَ عَلَى بَأْنَ أُرُوعَ شَبِيهَهَا أَوْ أَنْ يَذُقَنَّ عَلَى يَدَيَّ حَمَامَا
وَمِنْ جَيْدِ شَعْرٍ كَثِيرٍ:

وَكَانَتْ لِقَطْعِ الحَبْلِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا كِنَادِرَةٌ نَذْرًا فَأَوْفَتْ وَحَلَّتِ
فَقُلْتُ لَهَا: يَا عَزُّ كُلِّ مُصِيبَةٍ إِذَا وَطَّنْتَ يَوْمًا لَهَا النَّفْسُ ذَلَّتِ
وَلَمْ يَلِقَ إِنْسَانٌ مِنَ الحَبِّ مَنِيْعَةً تَعْمٌ وَلَا غَمَاءَ إِلَّا تَجَلَّتِ
أَبَاحَتْ حَمِيٍّ لَمْ يَرَعْهُ النَّاسُ قَبْلَهَا وَحَلَّتِ تِلَاعَا لَمْ تَكُنْ قَبْلُ حُلَّتِ
هَنِيئًا مَرِيئًا غَيْرَ دَاءٍ مُخَامِرِ لِعِزَّةٍ مِنْ أَعْرَاضِنَا مَا اسْتَحَلَّتِ
أَسِيئِي بِنَا أَوْ أَحْسِنِي لَا مَلُومَةَ لَدَيْنَا وَلَا مَقْلِيَّةَ إِنْ تَقَلَّتِ
وَوَاللَّهِ مَا قَارَبْتُ إِلَّا تَبَاعَدْتُ بِهِجْرٍ، وَلَا اسْتَكْثَرْتُ إِلَّا أَقَلْتُ

لقيس بن
الملوح

من جيد
شعر كثير

وما مرّ من يومٍ عليّ كيومها . وإن عظمت أيام أخرى وجلت
 فيأعجبنا للقلب كيف اعترافه^(١) وللنفس لما وطنت كيف ذلت
 وإني وتهيامي بعزة بعدما تخلّيت مما بيننا وتخلت
 لكالمترجبي ظلّ العمامة ، كلما تبيوأ منها للمقيل اضمحلت

وكان كثير قصيرا دميا ، ولذلك قال :

كان كثير
 قصير دميا

فإن أكُ معروق العظام فإنني إذا ماوزنت القوم بالقوم وازن^(١)

ودخل كثير على عبد الملك بن مروان في أول خلافته ، فقال : أنت كثير ؟

فقال : نعم ، فاقنحه ، وقال : تسمع بالمعيدي لا أن تراه^(٢) ! فقال :

يا أمير المؤمنين ، كلُّ إنسان عند محله رخبُ الفناء ، شامخُ البناء ، عالي

السَّناء ، وأنشد يقول :

تري الرجل النحيف فتزدريه وفي أثوابه أسدٌ هصورُ
 ويُعجبك الطيرُ إذا تراه فيخلف ظنك الرجلُ الطيرُ^(٣)
 بغاثُ الطير أطولها رقاباً ولم تطلّ البزاة ولا الصقورُ^(٤)
 خشاشُ الطير أكثرها فراخاً وأمُّ الباز مقلّاة زورُ^(٥)

(١) قبل هذا البيت

رأت رجلاً أودى السقام بجسمه فلم يبق إلا منطق وجناجن

وبعده :

وإني لما استودعتني من أمانة إذا ضيع الأسرار ياعز دافن

(٢) رواية القالي : « أن تسمع بالمعيدي خير من أن تراه »

(٣) رجل طير : له هيئة حسنة

(٤) البغاث : شرار الطير

(٥) خشاش الطير : هي العصافير ونحوها ، والمقلّاة : التي لا يحيا لها ولد ، والنزور :

قليلة الأولاد

ضِعَافُ الْأَسَدِ أَكْثَرُهَا زَيْبَرًا وَأَصْرَمَهَا اللَّسَوَاتِي لَا تَزِيرُ
 وَقَدْ عَظُمَ الْبَعِيرُ بِغَيْرِ لُبٍّ فَلَمْ يَسْتَعْنِ بِالْعِظَمِ الْبَعِيرُ
 يُنَوِّخُ ثُمَّ يُضْرَبُ بِالْمِرَاوِي فَلَا عُرْفٌ لَدَيْهِ وَلَا نَكِيرُ
 يَقُودُهُ الصَّبِيُّ بِكُلِّ أَرْضٍ وَيَمْرَعُهُ عَلَى الْجَنْبِ الصَّغِيرُ^(١)
 فَمَا عِظَمَ الرِّجَالِ لَهُمْ بَزِينِ وَلَكِنْ زَيْنُهُمْ حَسَبٌ وَخَيْرُ^(٢)
 قَال: قَاتِلَهُ اللَّهُ! مَا أَطْوَلَ لِسَانَهُ ، وَأَمَدَ عِنَانَهُ ، وَأَوْسَعَ جَنَانَهُ ؛ إِنِّي
 لِأَحْسِبُهُ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ^(٣) .

[قولهم في الطول والقصر]

وَأَنشَدَ أَحْمَدُ بْنُ عُبَيْدٍ اللَّهُ لَشَاعِرٍ قَدِيمٍ :

وَعَاذَلَةٌ هَبَّتْ بَلِيلِ تَلُومُنِي وَلَمْ يَغْتَمِرْنِي قَبْلَ ذَلِكَ خَذُولُ^(٤)
 تَقُولُ: اتَّذَلَا يَدُكَ النَّاسَ مُمْلِقًا وَتُزْرِي بَيْنَ يَابَنِ الْكِرَامِ تَعُولُ
 فَقُلْتُ: أَبَتْ نَفْسٌ عَلَى كَرِيمَةٍ وَطَارِقُ لَيْلٍ عِنْدَ ذَلِكَ يَقُولُ
 أَلَمْ تَعْلَمِي يَا عَمْرُكَ اللَّهُ أَنْتِي كَرِيمٌ عَلَى حِينِ الْكِرَامِ قَلِيلُ
 وَأَنْتِي لَا أَخْزِي إِذَا قِيلَ مُمْلِقُ سَخِيٌّ ، وَأَخْزَى أَنْ يُقَالَ بِخَيْلُ
 فَلَا تَتَّبِعِي النَّفْسَ الْغَوِيَّةَ وَانظُرِي إِلَى عُنْصُرِ الْأَحْسَابِ كَيْفَ بَثُولُ
 وَلَا تَذْهَبِي عَيْنَاكَ فِي كُلِّ شَرْمَحٍ لَهُ قَصَبٌ جُوفُ الْعِظَامِ أُسَيْلُ^(٥)
 عَسَى أَنْ تَمْتَنِي عِرْسُهُ أَنْتِي لَهَا بِهِ ، حِينَ يَشْتَدُّ الزَّمَانُ ، بِدَيْلُ

(١) رواية القالي : « وينحره على التراب الصغير »

(٢) رواية القالي « كرم وخير »

(٣) روايه القالي « قال عبد الملك : لله دره ! ما أفصح لسانه ، وأضبط جنانه ،

وأطول عنانه ! والله اني لأظنه كما وصف نفسه » .

(٤) اغتمره يغتمره : عده غمرا - بالضم ويفتح - وهو من لم يجرب الأمور

(٥) الشرمح : الرجل الطويل .

إذا كنت في القوم الطوال فطنتهم^(١) بعارفة حتى يقال طويل^(٢)
 ولا خير في حسن الجسم وطولها إذا لم تزن حسن الجسم عقول
 فكان رأينا من فروع طويلة تموت إذا لم تمهين أصول
 فالأى يكن جسمي طويلاً قاتني له بالفعال الصالحات وصول
 ولم أر كالمعروف : أمّا مدافه فحلوا ، وأمّا وجهه فجميل
 وقال ابن الرومي :

لابن الرومي

ونصيف من الرجال نحيف راجح الوزن عند وزن الرجال
 في أناس أوتوا حلوام العصافير فلم تغنيهم جسام البغال
 أخذه من قول حسان بن ثابت ، وقال له بنو الديان الحارثيون : قد كنا
 ونحن نطول بأحسامنا على العرب حتى قلت :

دعوا التخاجؤً وامشوا مشية سجعاً إن الرجال ذرو قد وتذ كبير^(٣)
 لا بأس بالقويم من طول ومن عظيم جسم البغال وأخلام العصافير
 فتركتنا لا نرى أجسامنا شيئاً

والعرب تمدح الطول ، وثنى عليه ، وقال عنزة بن شداد :

بطل كأن ثيابه في سرحة يحدى نعال السبت ليس بتوأم

لعنزة العبسي

قوله « ليس بتوأم » يريد ليس ممن زوحم في الرحم فضف ، كمال قال
 الشعبي ، وقد دخل على عبد الملك بن مروان ، فجعل ينظر إليه ، وكان الشعبي
 قد ولد توأمًا مع أخيه ، فكان نحيفاً ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إني زوحت في
 الرحم ، وقال :

(١) رواية القالي « فضلهم »

(٢) العارفة : المكرمة ، وفسرها أبو بكر ابن الأنباري بالنفس الصابرة

(٣) التخاجؤ : فتح الصدر عند المشي تها وكبرياء

ولما التقى الصفان واختلف القنا
تبين لي أن القاء ذلة
وقال أبو نواس :

لأبي نواس

وكنا إذا ما الحائن الجند غره
تردى له الفضل بن يحيى بن خالد
أمام خميس أرجسوان كأنه
ومن هذا البيت أخذ أبو الطيب المتنبي قوله :

وملومة زرد ثوبها ولكن بالقنا تحمل

[عود إلى أخبار كثير عزة]

ودخل كثير على عبد العزيز بن مروان وهو عليل ، وأهله يتمنون أن
يتبسم ، فقال : لولا أن سرورك لا يتم بأن تسلم وأسلم لدعوت الله أن يصرف
مابك إلى ، ولكني أسأل الله أيها الأمير العافية لك ولي في كنفك ؛ فضحك
وأمر له بمال فخرح وهو يقول :

كثير عند عبد
العزيز بن
مروان وهو
مريض

ونعود سيدنا وسيد غيرنا
لو كان تقبل فدية لفديته

قال محمد بن سلام الجمحي : قال أبي : ذا كرت مروان بن أبي حفصة شعر
جرير والقرزدي وكثير ، فذهب إلى تقديم كثير ، وجعل يطريه ويقول : هو
أمدحهم للخلفاء ، قلت : أم من جودة مدحه للخلفاء قوله لعبد الملك بن مروان :
تري ابن أبي العاصي وقد صفت دونه
يقلب عيني حية بمقازة
فقال هذا للخليفة ودونه ثمانون ألفاً ، وجعله يقلب عيني حية .

تقد سلام
الجمحي بعض
شعر كثير

وقوله :

وإن أمير المؤمنين هو الذي غزا كامنات الود مني فنالها
زعم أن أمير المؤمنين استعطفه حتى غزا كامنات صدره .

وقوله لعبد العزيز بن مروان :

وما زالت رُقَاكَ تَسْلُ ضِنْفِي وَتُخْرِجُ مِنْ مَكَامِنِهَا ضِبَابِي
وَيَرْقِينِي لَكَ الْحَاوُونَ حَتَّى أَجَابَكَ حَيَّةٌ تَحْتَ الْحِجَابِ
زعم أن عبد العزيز ترصاه ، واحتال له ورقاه ، حتى أجابه ؛ أ كذا أتمدح
للك ؟ فأشكته (١) .

فصول قصار

من كان له من نفسه واعظ ، كان من الله عليه حافظ . العبد حرٌّ إذا قنع ،
والحرُّ عبدٌ إذا طمع . الأمانى تمخّدتك ، وعند الحقائق تدّعتك . إذا كان
الطمعُ هلاكاً ، كان اليأسُ إدراكاً . ليس يعدُّ حكياً ، من لم يكن لنفسه خصياً . تعزّ
عن الشيء إذا منغته ، بقله ما يصيبك إذا منغته . تخرج مفض الصبر تطفى
نار الضر . الحكمة جفّظ ما كلفت ، وترك ما كفت . الصبر عن محارم الله ،
أيسر من الصبر على عذاب الله .

شذور لأهل الصر في معانٍ شتى

قطعة من كلام الأمير قابوس بن وشمكير شمس المعالي في أثناء رسالته :
بُرْدُ الشْفِيعِ تُورِي نَارَ النِّجَاحِ ، وَمِنْ كَفِّ المَفِيزِ يُنْتَظَرُ فَوْزُ العِنْدَاحِ ،

من كلام
قابوس بن
وشمكير

(١) راجع ما أخذه الرواة على كثير في الصفحات ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ من
كتاب الموشح ؛ فإن ما هنا قد اقتبس من هناك

الوسائل أقدام ذوى الحاجات ، والشفاعات مفاتيحُ الطلّبات . العفو عن المجرم من موجب الكرم ، وقبولُ المعذرة من محاسن الشيم . وبالتواضع والخوفِ قُوَّةُ النجاح ، وبالأسنة والعوالي عمل الرماح . الدنيا دار تغرير وخذاع ، وملتقى ساعة لوداع ، والناس متصرفون بين كل ورد وصدّر ، وصائرون خيراً بعد أثر . غاية كل متجرك إلى سكون ، ونهاية كل متكون ألا يكون ، وآخر الأحياء فناء ، وانجزع على الأموات عناء ، وإذا كان ذلك كذلك ، فلم التهاك على الهالك ؟ . حشوُ الدهر أحزان وهموم ، وصفوه من غير كدر معدوم . إذا سمح الدهر بالحباء ، فأبشر بوشك الاقتضاء ، وإذا أعار ، فأحسبه قد أغار . الدهر طعمان حلومر ، والأيام ضربان عُسر ويسر . لكل شيء غاية ومنتهى ، وانقطاع وإن بلغ المدى . تركُ الجواب ، داعيةُ الارتياب ، والحاجة إلى الاقتضاء ، كسوف في وجه الرجاء . همّ المنتظر للجواب ثقيل ، والمدى فيه وإن كان قصيراً طويل . النجيب إذا جرى لم يشقّ غباره ، وإذا سرى لم تلحق آثاره . ومن أين للضباب صوب السحاب ، وللغراب هويُّ العقاب ، وهيهات أن تكتسب الأرض اطفافة الهواء ، ويصير البدر كالشمس في الضياء .

للثعالبي يصف
شمس المعالي

وقد ترجم عن شمس المعالي أبو منصور الثعالبي في كتاب ألفه له ؛ قال في أوله : أمّا على أثر حمد الله الذي هو أول كتابه ، وآخر دعوى ساكني دار ثوابه ، والصلاة على خيرته من بريته ، وعلى الصفوة من ذريته ، فإن خير الكلام ما شغل بخدمة من جمع الله له عزة الملك إلى بسطة العلم ، ونور الحكمة إلى نفوذ الحكم ، وجعله مميّزاً على ملوك العصر ، ومدبري الأرض وولاية الأمر ، بخصائص من العدل ، وجلائل من الفضل ، ودقائق من الكرم المحض ، لا يدخل أيسرها تحت العادات ، ولا يُدرك أقلها بالعبارات ؛ ومحاسن [سير] الأنام ^(١) ، تحرّسها أسنة الأقلام ، وتدرسها السنة الليالي والأيام ، وهذه صفة تُفني

(١) في الأصول كلها « ومحاسن سير الأيام » تحريف ، ما أثبتناه (م)

عن تشبيه الموصوف لاختصاصه بمصنعاها ، واستحقاقه إياها ، واستتاره على جميع
 للوك بها ، وإلم بامعها بيديها السماع أنها للأمير ، شمس المعالي ، خالصة ،
 وعليه متصورة ، وبه لائقه ، وعن غيره تأفيرة ؛ إذ هو - بمعانيه الآثار ، وشهادة
 الأخيار ، وإجماع الأولياء ، واتفاق الأعداء - كافل المجد ، وكافي الخلق ، ووحد
 الدهر ، وغرّة الدنيا ، ومفزع الورى ، وحسنه العالم ، ونكتة الفلك الدائر ؛
 فبلغه الله أقصى نهاية العمر ، كما بلغه أقصى غاية الفخر ؛ وسلكه أزيمة الأمر ،
 كلما ملكه أعنة الفضل ؛ وأدام حسن النظر للعباد والبلاد ، بإدامة أيامه التي هي
 أعياد الدهر ، ومواسم اليمن والأمن ، ومطالع الخير والسعد ، وزاد دولته شباباً
 ونمواً ، كما زاده في الشرف علواً ، حتى تكون السعادات وقدّابه ، والبشائر
 قرى سمعه ، والمسار غداء نفسه ، ويتراعى به الإقبال إلى حيث لا يبلغه أمل ،
 ولا يتقطعه أجل .

نحافى قوله « وهذه صفة تُغنى عن الموصوف » إلى قول أبي الطيب يرّتي
 أخت سيف الدولة :

يا أخت خير أئح يا بنت خير أب كنايةً بهما عن أشرف النسب
 أجل قدرك أن تسمى مؤنثة ومن دعاك فقد سماك للعرب

وفي شمس المعالي يقول الأمير أبو الفضل الميكالى :

لاتقصين شمس العلاء قابوساً فمن عصى قابوس لا فى بوساً

وله يقول بديع الزمان فى قصيدة نظمها فى تضاعيف رسالة موشحة :

إن من كنت من مناه بمرأى وتعداك سبي ، الاقتراح

بين بشر يرُدُّ غائض جاهى وقبول يعيد ريش جناحى

مدائح فى شمس
 المعالى ابن
 وشمكير

وبساطٍ ورَدَّتْ مُشْرَعَةُ الأُنْسِ بِهٍ وَاذْرَعَتْ بُرْدَ النِّجَاحِ
 فَاقْضِ أَوْ طَاراً التَّقْتُ وَالْمَعَالِي فِي نِظَامٍ مِنَ التُّهْمَى وَتَصَاحِ
 مَلِكٍ دُونَهُ تَقَطَّعَ أَبْصَارَ اللَّيَالِي يَوْمًا تَدَى وَكِفَاحِ
 مَلِكٍ لَوْ يَشَاءُ مَدَّ عَلَى النَّجْمِ رِوَاقًا وَرَدَّ وَفَدَّ الرِّيَّاحِ
 تَارَةً فِي خُشُونَةِ الدَّهْرِ تَلْقَا هُوَ وَطُوراً فِي حُسْنِ ذَاتِ الوِشَاحِ
 مَلِكٍ كَلَّمَا بَدَا نَقْفُ الأَفْلاكِ عُجْبًا بِهِ وَفَرَطَ ارْتِيَّاحِ
 هَكَذَا هَكَذَا تَكُونُ المَعَالِي طُرُقُ الجِدِّ غَيْرُ طُرُقِ المِزَاجِ
 وَهِيَ طَوِيلَةٌ ، كَتَبْتُهَا عَلَى طَرِيقِ الأَخْتِيَارِ .

[من رسائل بديع الزمان]

رقعة لبديع الزمان إلى شمس المعالي ، وقد ورد حضرته :

لَمْ تَزَلِ الأَمَالُ - أَطَالَ اللهُ بَقَاءَ الأَمِيرِ السَّيِّدِ شَمْسِ المَعَالِي ، وَأَدَامَ سُلْطَانَهُ - تَعِدُّنِي
 هَذَا اليَوْمَ ، وَالأَيَّامُ تَمَطَّلُنِي بِألسِنَةٍ صَرُوفِهَا ، عَلَى اِخْتِلَافِ صَنُوفِهَا ، بَيْنَ حُلُوفِ
 اسْتَرْقَنِي ، وَمَرَّ اسْتَخَفَّنِي ، وَشَرَّ صَارَ إِلَيَّ ، وَخَيْرٌ صِرْتُ إِلَيْهِ ، وَأَنَا فِي خِلَالِ
 هَذِهِ الأَحْوَالِ أَذْرَعُ الأَفَاقَ فَأَكُونُ طُوراً مُشْرِقاً لِمَشْرِقِ الأَقْصَى ، وَطُوراً
 مَغْرِباً لِمَغْرِبِ ، وَلَا مَطْمَحَ إِلاَّ حَضْرَتَهُ الرَّفِيعَةَ ، وَسُدَّتْهُ المَرِيعَةُ ، وَلَا وَسِيلَةَ إِلاَّ
 المَنْزِعَ الشَّاسِعَ ، وَالأَمَلَ الوَاسِعَ ؛ وَقَدْ صِرْتُ - أَطَالَ اللهُ بَقَاءَ الأَمِيرِ مَوْلَانَا - بَيْنَ
 أَنْيَابِ النُّوَابِ ، وَتَجَشَّمْتُ هَوَالَ المَوَارِدِ ، وَرَكِبْتُ أَكْتَأَفَ المَكَارِهِ ، وَرَضَعْتُ
 أَخْلَافَ العِوَاتِقِ ، وَمَسَحْتُ أَطْرَافَ المَرَاحِلِ ، حَتَّى حَضَرْتُ الحَضْرَةَ البَهِيَّةَ
 أَوْ كِدْتُ ، وَبَلَّغْتُ الأَمْنِيَةَ أَوْ زِدْتُ ، وَلِلأَمِيرِ السَّيِّدِ فِي الإِصْفَاءِ إِلَى المَجْدِ ،
 وَالنَّسْطِ مِنَ عَنَانِ الفَضْلِ ، بِتَمَكِينِ خَادِمِهِ مِنَ المَجْلِسِ يَلْقَاهُ بِقَدَمِهِ ، وَالبَسَاطِ
 يَأْتِيهِ بِفَمِهِ ، تَفَضُّهُ : فَهَذَا الرُّأْيُ العَالِيُّ إِنْ شَاءَ اللهُ .

وله إلى بعض الرؤساء ، وقد وعد بحضور مجلسه بالغداة وأمره أن يزف إليه
 ما أنشأه ، فبعث به وكتب إليه :

مَرَّحَبًا بِسَلامِ الشَّيْخِ سَيِّدِي وَمَوْلَايَ أَطَالَ اللهُ بَقَاءَهُ ، وَلَا كَالْمَرْحَبِ

بَطْلَمَيْتِهِ ؛ وقد وصلت ثَمِيَّتُهُ فشكرتها ، وَعِدَّتُهُ الجميلة بالحضور غدا فانتظرتها ؛
ودعوتُ اللهُ أن يَطْوِيَّ ساعاتِ النهار ، ويزجِ الشمسَ في المغَارِ ، وَيُقَرِّبَ مسافةَ
الفلكِ الدَّوَّارِ ، ويرفعَ البركةَ من سيره ، ويجهز الحركةَ إلى دوره ؛ وَيُسِرَّنِي بوَفْدِ
الظلامِ وقد نزل ، ثم لم يَلْبَثْ إلا ريثما رَحَلَ ؛ وقد بعثتُ بما طلبُ سماعاً لأمره
وطاعة ، والنسخةَ أسقمُ من أَجْفَانِ الغَضْبَانِ ، والشيخِ سيدي — أدام اللهُ
عزّه — يُرَكِّضُ قلمه في إصلاحها ، وحبذا هو في غدٍ ، وقد طلع كالصبح إذا
سطع ، والبرق إذا لمع :

يا مرحباً بغدٍ ويا أهلاً به إن كان الإمامُ الأُحِبَّةَ في غدٍ

وله إلى أبي الطيب سهل بن محمد يسأله أن يصله بأبي إبراهيم إسماعيل بن أحمد :
لو كان للكرم عن جنابِ الشيخ مُنْصَرَفٌ لا يُنْصَرَفُ ، أو للأمل مُنْحَرَفٌ إلى
سواه لا يُنْحَرَفُ ، أو للثَّجَّحِ بابٌ سواه لو لَوِّجَتْ ، أو للفضلِ خاطبٌ غيره لو وُجِّتْ ،
ولكن أبا الله أن يعقدَ إلا عليه الخنصر ، أو يتحلَّى إلا بفواضله الدهر ، ولا يزال
كذا يتَّسِمُ المجدُ بِسِمَّتِهِ ، ويجذبُ العلاءَ بهيمته ، وَيُسْعِدُ الدينَ بنظره ، والدنيا
بجماله ، وغلَّامُه أنالوا استعارَ الدهرَ لسانا ، واتَّخَذَ الريحُ تَرْجُمَانَا ، ليُشِيْعَ إنعامه حق
الإشاعة ، لَقَصُرَتْ به يدُ الاستطاعة ، فليس إلا أن يلبس مكارمه صافيةً سائغةً ،
ويردَ مشارِعَه صافيةً سائغةً ، ويميلُ الجزاءَ على يدِ قصور ، والشكرَ على لسانِ
قَصِيرٍ ؛ ثم إنَّ حاجاتي ، إذا لم يَعْرِ من قلائدِ المجدِ نحرُها ، ولم يَعْطَلْ من حَلِيِ
المجدِ صدرُها ، كبر مَهْرُها ، وعزَّ كفوها ، ولم أجِدْ لها إلا واحداً أخضرَ الجلدةِ
في بيتِ العرب ، أو ماجداً يملأُ الدُّلُوَّ إلى عقدِ الكَرَبِ^(١) . وهذه حاجةٌ أنا أَرْفُها
إلى الشيخِ الإمامِ حرَّص اللهُ مُهْجَتَهُ ، وأسوقها منظومةً من الصِّدْرِ إلى العِجْزِ ،
كما يساقُ الماءُ إلى الأرضِ الجُرْزِ^(٢) ؛ وأنا من مَفْتَتِحِ اليومِ إلى مَحْتَمِيهِ ، ومن

(١) الكرب - بفتحين - الجبل يلي الماء .

(٢) الجرز - بضمين - الأرض لاتنبت شيئاً .

قَرَنَ النَّهَارَ إِلَى قَدَمِهِ ، قَاعِدَ كَالْكُرْكِيِّ^(١) ، أَوَالِدِكَ الْمَهْنَدِيِّ ، فِي هَذَا الْأُدْحِيِّ^(٢) ،
يَمْرُؤُ بِأُولُو الْخَلِي وَالْحَلَلِ ، وَيَجْتَازُ ذُوو الْخَيْلِ وَالْخَوْلَ^(٣) ، وَمَا أَنَا وَالنَّظْرَ إِلَى مَا لَا
يَلِينِي ، وَالسُّؤَالَ عَمَّا لَا يَغِينِنِي ، وَالْيَوْمَ ، لَمَّا افْتَضَضْنَا عُذْرَةَ الصَّبَاحِ ، مَلَأْتُ
جَفُونِي مِنْ مَنَظَرٍ مَا أَحْوَجَهُ إِلَى عَيْبٍ يَصْرِفُ عَيْنَ كَالِهِ ، عَنْ جَمَالِهِ ، فَقُلْتُ لِمَنْ
حَضَرَ : مَنْ هَذَا ؟ فَأَجَدْنَا يَمْرُؤَ كَوْنِ الرَّهْوَسِ اسْتَظْرَافًا لِحَالِي ، وَيَتَغَامِرُونَ تَعَجُّبًا
مِنْ سَوْأِي ، وَقَالُوا : هَذَا الشَّيْخُ الْفَاضِلُ أَبُو إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَحْمَدَ ، فَقُلْتُ :
حَرَسَ اللَّهُ مَهْجَتَهُ ، وَأَدَامَ غَيْبَتَهُ ؛ فَكَيْفَ الْوَصُولُ إِلَى خِدْمَتِهِ ، وَأَنْتَى مَا أَنْتَى
مَعْرِفَتِهِ ؟ قَالُوا : إِنَّ الشَّيْخَ الْإِمَامَ - أَدَامَ اللَّهُ تَأْيِيدَهُ - يَضْرِبُ فِي مَوَدَّتِهِ بِالْقِدْحِ
الْمُعَلَّى ، وَيَأْخُذُ فِي مَعْرِفَتِهِ بِالْحِظِّ الْأَعْلَى ، فَإِنْ رَأَى الشَّيْخَ - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ - أَنْ
تُجْعَلَ عِنَايَتُهُ حَرْفَ الصَّلَاةِ ، وَتَفْضَلَهُ لَأَمَّ الْمَعْرِفَةِ ، فَقَلَّ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

[مِنْ أَخْبَارِ الْبِرَامِكَةِ]

قَالَ الرَّشِيدُ لِيَحْيَى بْنِ خَالِدٍ : يَا أَبْتَ ، إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَجْعَلَ الْخَاتَمَ الَّذِي فِي
يَدِ الْفَضْلِ إِلَى جَعْفَرٍ ، وَقَدْ احْتَشَمْتَ مِنْهُ فَكَيْفِيهِ .

فَكُتِبَ إِلَيْهِ بِحْيَى : قَدْ أَمَرَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ - أَعْلَى اللَّهُ أَمْرَهُ - أَنْ يَحْوَلَ
الْخَاتَمَ مِنْ يَمِينِكَ إِلَى شِمَالِكَ .

فَأَجَابَ الْفَضْلُ : قَدْ سَمِعْتُ مَا قَالَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي أَخِي ، وَقَدْ أَطَّلَعْتُ عَلَى
أَمْرِهِ ، وَمَا انْقَلَبْتُ عَنْ نِعْمَةٍ صَارَتْ إِلَيْهِ ، وَإِلَّا عَزَبْتُ^(٤) عَنْ رِثْبَةٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ .
فَقَالَ جَعْفَرٌ : اللَّهُ أَخِي ! مَا أَنْفَسَ نَفْسَهُ ، وَأَبَيَّنَ دَلَائِلَ الْفَضْلِ عَلَيْهِ ،
وَأَقْوَى مِنَّةَ الْعَقْلِ فِيهِ ، وَأَوْسَعَ فِي الْبَلَاغَةِ ذَرْعَهُ ، وَأَرْحَبَ بِهَا جَنَابَهُ . يُوجِبُ
عَلَى نَفْسِهِ مَا يَجِبُ لَهُ ، وَيَحْمِلُ بِكْرَمِهِ فَوْقَ طَاقَتِهِ .

(١) الكركي : طائر يقرب من الوز ، أبت الدنب ، رمادي اللون ، يأوي
إلى الماء أحياناً (م) (٢) الأدحي : المكان الذي تبيض النعام فيه من الرمل .

(٣) الخيل : أراد به الخيلاء ، والخول - بالتحريك - الخدم والعبيد والإماء (م)

(٤) كذا ، وعزبت معناه جدت ، وأحسبه « عزبت » لمقابلته . يطلعت (م)

وذُكِرَ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى فِي مَحَلِّسِ ثُمَامَةَ بْنِ أَشْرَسِ قَال: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا
 مِنْ خَلْقِ اللَّهِ كَانَ أَبْسَطَ لِسَانًا ، وَلَا أَلْمَنَ بِحِجَّةٍ ، وَلَا أَقْدَرَ عَلَى كَلَامٍ ، بِنَظْمٍ
 حَسَنٍ ، وَأَلْفَاظٍ عَذْبَةٍ ، وَمَنْطِقٍ فَصِيحٍ ، مِنْ جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى ، كَانَ لَا يَتَوَقَّفُ ،
 وَلَا يَتَحَبَّسُ ، وَلَا يَصِلُ كَلَامَهُ بِحَشْوٍ مِنَ الْكَلَامِ ، وَلَا يُعْبِدُ لَفْظًا وَلَا مَعْنَى ،
 وَلَا يَخْرُجُ مِنْ فَنٍّ إِلَى غَيْرِهِ ، حَتَّى يَبْلُغَ آخِرَ مَا فِيهِ ؛ وَكَانَ لَا يَرَى شَيْئًا إِلَّا جَاءَهُ ،
 وَلَا يَحْكِي شَيْئًا إِلَّا كَانَ أَكْثَرُ مِنْهُ ، وَلَا يَمُرُّ بِذَهْنِهِ شَيْءٌ إِلَّا حَفِظَهُ ، وَكَانَ
 إِذَا شَاءَ أَضْحَكَ التَّجْكَلِيَّ ، وَأَذْهَلَ الزَّاهِدَ ، وَخَشَّنَ قَلْبَ الْعَابِدِ .

ثمامة بن أشرس
 يصف جعفر
 بن يحيى

قُلْتُ : فَكَيْفَ كَانَتْ مَعْرِفَتُهُ ؟ قَالَ : كَانَ مِنْ أَعْلَمِ النَّاسِ بِالْخَبْرِ الْبَاهِرِ ،
 وَالشَّعْرِ النَّادِرِ ، وَالْمَثَلِ السَّائِرِ ، وَالْفَصَاحَةِ التَّامَةِ ، وَاللِّسَانِ الْبَسِيطِ .

قَالَ سَهْلُ بْنُ هَارُونَ ، وَذَكَرَ يَحْيَى بْنَ خَالِدٍ وَابْنَهُ جَعْفَرًا ، فَقَالَ : لَوْ كَانَ
 الْكَلَامُ مُتَّصِرًا دُرًّا ، وَيُلْقِيهِ الْمَنْطِقُ جَوْهَرًا ، لَكَانَ كَلَامَهُمَا ، وَالْمَنْتَقَى مِنْ
 أَلْفَاظِهِمَا . وَلَقَدْ عَبَّرَتْ مَعَهُمَا ، وَأَدْرَكَتْ طَبَقَةَ الْمُتَكَلِّمِينَ فِي أَيَّامِهِمَا ، وَهَمْ يَرَوْنَ
 الْبَلَاغَةَ لَمْ تُسْتَكْمَلْ إِلَّا فِيهِمَا ، وَلَمْ تَكُنْ مَقْصُورَةً إِلَّا عَلَيْهِمَا ، وَلَا انْقَادَتْ
 إِلَّا لَهُمَا . وَإِنَّهُمَا لِلْبَابِ الْكَرِيمِ ، عِتْقَ مَنْظَرٍ ، وَجُودَةَ مَخْبِرٍ ، وَسَهْوَةَ لَفْظٍ ،
 وَجِرَالَةَ مَنْطِقٍ ، وَنَزَاهَةَ نَفْسٍ ، وَكَمَالَ خِصَالٍ ؛ حَتَّى لَوْ فَاحَرَتْ الدُّنْيَا بِقَلِيلِ أَيَّامِهِمَا ،
 وَالْبِأْتُورِ مِنْ خِصَائِصِهَا جَمِيعَ أَيَّامٍ مِنْ سِوَاهُمَا مِنْ لَبْدُنْ آدَمَ إِلَى أَنْ يُنْفَخَ فِي
 الصُّورِ ، وَيُبْعَثَ أَهْلُ الْقُبُورِ - حَاشَا أَنْبِيَاءَ اللَّهِ الْكِرَامِ ، وَسَلَفِ عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ -
 لِمَا بَاهَتْ إِلَّا بِهِمَا ، وَلَا عَوَّلَتْ فِي الْفَخْرِ إِلَّا عَلَيْهِمَا ، وَلَقَدْ كَانَا - مَعَ تَهْدِيبِ
 أَخْلَاقِهِمَا ، وَمَعْسُولِ مَذَاقِهِمَا ، وَسَنَا إِشْرَاقِهِمَا ، وَكَمَالِ الْخَيْرِ فِيهِمَا - فِي مَحَاسِنِ
 الْمَأْمُونِ كَالنَّقْطَةِ فِي الْبَحْرِ ، وَالْخُرْدِ دَلٍ فِي الْقَفْرِ .

سهل بن هارون
 يصف يحيى
 وابنه جعفر

وَوَقَّعَ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى لِرَجُلٍ اعْتَذَرَ عِنْدَهُ مِنْ ذَنْبٍ : قَدْ قَدُمْتُ طَاعَتُكَ ،
 وَظَهَرَتْ نَصِيحَتُكَ ، وَلَا تَغْلِبُ سَيِّئَةُ حَسَنَتَيْنِ .

توقيع جعفر
 ابن يحيى

وَوَقَّعَ - وقد قرأ كتاباً فاستحسن خطه -: انلَطُّ خَيْطُ الْحِكْمَةِ ، يُنظَمُ
فيه منشورُها ، ويفصَّلُ فيه شدُّورُها .

واختصم رجلان بحضرتة ، فقال لأحدهما : أنت خِيتي ، وهذا شِجيتي ؛
فكلامك يجرى على بَرْدِ العافية ، وجوابه يجرى على حَرِّ المصيبة .

بين جعفر بن
يحيى و مروان
ابن أبي حفصة

ودخل مروان بن أبي حفصة على جعفر بن يحيى فأنشده :

أَبْرَ فَمَا تَرَجُّو الْجِيَادُ لِحَاقَهُ أَبُو الْفَضْلِ سَبَّاقُ الْأَضَامِمِ جَعْفَرُ
وزيرٌ إذا ناب الخِلافةَ حَدِيثٌ أَشَارَ بِمَا عَنْهُ الْخِلافةُ تَصْدُرُ

فقال جعفر : أنشدني مرثيتك في معن بن زائدة ، فأنشده :

أَقَمْنَا بِالْإِمَامَةِ أَوْ نَسِينَا مَقَامًا مَا تُرِيدُ بِهِ زَوَالَا
وقلنا : أين نذهب بعد معن وقد ذهب النوال فلانوالا ؟
وكان الناس كلُّهم لمعن إلى أن زار حُفْرَتَهُ - عِيَالَا

حتى فرغ من القصيدة ، وجعفر يُرْسِلُ دموعه على خديه ، فقال : هل
أثابك على هذه المرثية أحدٌ من أهل بيته وولده ؟ قال : لا ، قال : فلو كان معن
حيًا ، ثم سمعها منك ، كم كان يُثيبك عليها ؟ قال : أربعمائة دينار ، قال : فإنَّنا
كنَّا نظنُّ أنه لا يَرْضَى لك بذلك ، وقد أمرنا لك عن معن - رحمه الله -
بالضعف مما ظننته ، وزدناك مثل ذلك ؛ فاقبض من الخازن ألفاً وستمائة دينار
قبل أن تخرج ، فقال مروان - يذكر جعفرًا وما سمح به عن معن - :

نَفَخْتَ مُكَافِئًا عَنْ جُودِ مَعْنٍ لَنَا فِيمَا تَجُودُ بِهِ سِجَالَا
فَعَجَلْتَ الْعَطِيَّةَ يَا بَنَ يَحْيَى لَنَا دِيهٍ وَلَمْ تُرِدِ الْمِطَالَا
فَكَافَأَ عَنِ صَدَى مَعْنٍ جَوَادُ بِأَجُودِ رَاحَةٍ بَدَلْتَ نَوَالَا
بَنَى لَكَ خَالِدٌ وَأَبُوكَ يَحْيَى بِنَاءً فِي الْمَكَارِمِ لَنْ يُبْنَلَا
كَأَنَّ الْبِرْمَكِيَّ لِكُلِّ مَالٍ تَجُودُ بِهِ يَدَاهُ يُفِيدُ مَالَا (١)

(١) يفيد هنا : بمعنى يأخذ ، لا بمعنى يعطى (م)

أخذ هذا من قول زهير :

تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ مُتَهَلِّلاً كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَأَلْتَهُ

وهذا البيت لزهير من قصيدة يقول فيها :

وَذِي نِعْمَةٍ تَمَّتْهَا وَشَكَرْتَهَا وَخَصْمٌ يَكَادُ يَغْلِبُ الْحَقَّ بَاطِلُهُ
دَفَعْتُ بِمَعْرُوفٍ مِنَ الْحَقِّ صَائِبٍ إِذَا مَا أَضَلَّ الْقَائِلِينَ مَفَاصِلُهُ
وَذِي خَطْلٍ فِي الْقَوْلِ يَحْسَبُ أَنَّهُ مُصِيبٌ فَمَا يُلِمُّ بِهِ فَهُوَ قَائِلُهُ
عَبَّأْتُ لَهُ حُلْمًا ، وَأَكْرَمْتُ غَيْرُهُ وَأَعْرَضْتُ عَنْهُ وَهُوَ بَادٍ مَقَاتِلُهُ
وَأَبْيَضَ قَبِيضٌ يَدَاهُ نَحْمَامَةٌ عَلَى مُتَتَفِيهِ مَا تُغِيبُ نَوَافِلُهُ (١)
غَدَوْتُ عَلَيْهِ غُدْوَةً فَرَأَيْتُهُ قَعُودًا لَدَيْهِ بِالصَّرِيمِ عَوَازِلُهُ
يُفَدِّيَنَّهُ طَوْرًا ، وَطَوْرًا يُلْدِنُهُ وَأَعْيَا فَمَا يَدْرِيْنَ أَيْنَ نَحَائِلُهُ
فَأَعْرَضَنْ عَنْهُ عَنْ كَرِيمٍ مُرَزَّاءٍ بِجُمُوحٍ عَلَى الْأَمْرِ الَّذِي هُوَ فَاعِلُهُ
أَخِي ثِقَّةٌ لَا يُذْهِبُ الْخَمْرُ مَالَهُ وَلَكِنَّهُ قَدْ يُذْهِبُ الْمَالَ نَائِلُهُ

من قصيدة
لزهير بن أبي
سلي

قال أبو الفرج قدامة بن جعفر ، في معنى أبيات زهير الأولى : لما كانت

تعلق عليها
قدامة بن جعفر

فضائلُ الناسِ من حيث هم ناس ، لا من طريقِ ما هم مشترِكون فيه مع سائر
الحيوان ، على ما عليه أهلُ الألباب من الاتِّفاق في ذلك ، إنما هي العقلُ والعفةُ
والعدلُ والشجاعةُ ، كان القاصد للمدح بهذه الأربعة مُصِيبًا ، وبماسواها مخطئًا ؛
وقد قال زهير :

أَخِي ثِقَّةٌ لَا يُتَيَّفُ الْخَمْرُ مَالَهُ وَلَكِنَّهُ قَدْ يُهْلِكُ الْمَالَ نَائِلُهُ
فوصفه بالعفة لقلَّةِ إمعانه في اللذات ، وأنه لا يُنْفِدُ فيها ماله ، وبالسَّخَاءِ
لإهلاكِ ماله في النوال ، وانحرافه إلى ذلك عن اللذات ، وذلك هو العدل ،
ثم قال :

تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ مُتَهَلِّلاً كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَأَلْتَهُ

(١) المعتفون : طالبو عطاياه ، وما يُغِيبُ نَوَافِلُهُ : ما تأخر عطاياه (م)

فزاد في وصف السخاء بأنه يَهْشَن ولا يلحقه مضض ولا تَكَرُّه لِفِعْله
ثم قال :

فَمَنْ مِثْلُ حِصْنٍ فِي الْحُرُوبِ وَمِثْلُهُ لِإِنْكَارِ ضَمِيمٍ أَوْ لِأَمْرِ يُجَاوِلُهُ
فأتى في هذا البيت بالوصف من جهة الشجاعة والعقل ؛ فاستوفى ضروبَ
المدح الأربعة ، التي هي فضائلُ الإنسان على الحقيقة ، وزاد الوفاء ، وإن كان
داخلاً في الأربعة ؛ فكثير من الناس لا يعلم وَجْهَ دخوله فيها حيث قال « أخى
ثقة » فوصفه بالوفاء ؛ والوفاء داخلٌ في هذه الفضائل التي قدّمناها .
وقد يتفنن الشعراء فيعدّون أنواعَ الفضائل الأربعة وأقسامها ، وكلُّ ذلك
داخلاً في جملتها ؛ مثل أن يذكروا ثِقَابَةَ المعرفة ، والحياء ، والبيان ، والسياسة ،
والصدع بالحجة ، والعلم ، والحلم عن سفاهة الجَهْلَةِ ؛ وغير ذلك مما يجرى
هذا الجرى ، وهو من أقسام العقل . وكذا كرم القناعة ، وقلة الشره ،
وطهارة الإزار ؛ وغير ذلك أيضاً من أقسام العفة . وكذا كرم الحماية ، والأخذ
بالتأثر ، والدفاع ، والتكايّة ، والمهابة ، وقتل الأقران ، والسير في المهامه
والقفار ؛ وما يشاكل ذلك ، وهو من أقسام الشجاعة ؛ وكذا كرم السماحة ،
والتغابن ، والانظلام ، والتبرّع بالنائل ، وإجابة السائل ، وقري الأضياف ؛
وما جانس هذه الأشياء ، وهو من أقسام العدل .

فأما تركيب بعضها على بعض فتحدث منها ستة أقسام : يحدث من تركيب
العقل مع الشجاعة : الصبرُ على الملماتِ ، ونوازلِ الخطوبِ ، والوفاء بالوعود . وعن
تركيب العقل مع السخاء : إنجازُ الوعد ، وما أشبه ذلك . وعن تركيب العقل مع
العفة : التنزه والرغبة عن المسألة ، والاقتصار على أدنى معيشة ، وما أشبه ذلك . وعن
تركيب الشجاعة مع السخاء : الإخلاف ، والإتلاف ، وما أشبه ذلك . وعن تركيب
الشجاعة مع العفة : إنكارُ الفواحش ، والغيرةُ على الحرم . ومن السخاء مع العفة :

الإسعاف بالقوت، والإيثارُ على النفس، وما شاكل ذلك. وكل واحدة من هذه الفضائل الأربع وَسَطٌ بين طرفين مذمومين^(١)

لحمد بن مناذر
في البرامكة

وقد قال أبو جعفر محمد بن مناذر لما حجَّ الرشيد مع البرامكة :

أتانا بنو الأملاك من آل برمكٍ فيا طيبَ أخبارٍ، ويا حُسنَ منظرٍ
لهم رحلةٌ في كلِّ عامٍ إلى العدا وأخرى إلى البيتِ العتيقِ المشهرِ
فتظلم بغدادٌ، ويَجْلولنا الدجى بمكة ما حجَّجوا ثلاثة أقمري
إذا نزلوا بطحاء مكة أشرفت بيحيى وبالفضل بن يحيى وجعفرِ
فما خلقت إلا لجودٍ أكرمهم وأقدامهم إلا لأعوادٍ منبرِ
إذا راض يحيى الأمرَ ذلت صعباهُ وحسبت من راعٍ له ومدبرِ
تري الناسَ إجلالاً له وكانهم غرائيقُ ماء تحت بازٍ مُصرِّصِ^(٢)

[مثل من التجنيس]

قطعة من شعر الأمير أبي الفضل الميكالي في طرف اخذ بطرف من التجنيس مستطرف في ضروب من الغزل، قال :

لأبي الفضل
الميكالي

لقد راعني بدرُ الدجى بضدوده ووكل أجفاني برغى كواكبه
فيا جزعى، مهلاً عساهُ يعودُ لي ويا كيدي، صبراً على ما كواكبه
وقال :

مواعيده في الفضل أحلامُ نائم أشبهها بالقفرِ أو بسرابه
فمن لي بوجهٍ لو تحيرَ في الدجى أخو سفرٍ في ليلِ غيمٍ سرى به

(١) راجع الباب السابع من كتاب « الأخلاق عند الغزالي » لتفهم هذا الحديث
(٢) الغرائيق : جمع غرنوق، وهو طير مائي أسود، والبازي : الصقر

وقال :

صِلْ مَجْبَأَ أَعْيَاءِ وَصِفْ هَوَاهُ
كَلِمًا رَاقَةً سِوَاكَ تَصَدَّتْ

وقال :

يَا ذَا الَّذِي أَرْسَلَ مِنْ طَرْفِهِ
شَفَاءَ نَفْسِي مِنْكَ تَحْمِيثَةً

وقال :

يَا مُبْتَلَى بَضْنَاهُ يَرْجُو رَحْمَةً
[أَوْصَاكَ سِحْرُ جَفُونِهِ بِتَسْهُدِ
اضْبِرْ عَلَى مَضَضِ الْهَوَى فَلَربَّمَا
تَخْلُو مَرَارَةً صَبْرِهِ أَوْصَابِهِ

وقال :

كَتَبْتُ إِلَيْهِ أَسْتَهْدِي وَصَالاً
أَلَا لَيْتَ الْجَوَابَ يَكُونُ خَيْراً

وقال :

إِنْ كُنْتَ تَأَنَسُ بِالْحَيْبِ وَقُرْبِهِ
إِنَّ الرَّقِيبَ إِذَا صَبَرْتَ لِحُكْمِهِ

وقال :

شَكوتُ إِلَيْهِ مَا الْإِيفِي فَقَالَ لِي :
فَلَوْ كَانَ حَقًّا مَا ادَّعَيْتَ مِنَ الْهَوَى

وقال :

نَوَى لِي بَعْدَ إِكْثَارِ السُّؤَالِ
فَلَمَّا رُمْتُ إِيجَازاً لَوْعَدِي
وَكَانَ الْقُرْبُ مِنْهُ شَفَاءَ نَفْسِي

(١) أنت مؤتلى : مقصر (م)

وقال :

سقياً لدهرٍ مضى والوصلُ يجمعُنا
وَمَحْنُ نَحْيِ عِنَاكَ شَكْلُ تَنْوِينِ
فَصِرْتُ إِذْ عَلِقَتْ كَفَى حَبَائِلِكُمْ
فَسَهْمُ هَجْرِكَ تَرْمِي نَمِ تَنْوِينِ

وقال :

صَدَفَ الْحَيْبُ بَوَصْلِهِ
وَنَثَرَتْ لَوْلُو أَدْمَعِ
فَجَاءَ رُقَادِي إِذْ صَدَفَ
أَضْحَى لَهَا جَفْنِي صَدَفَ

وقال :

يَا مَنْ يَقُولُ الشَّعْرَ غَيْرَ مَهْدَبٍ
لَوْ أَنَّ كَلَّ النَّاسَ فِيكَ مُسَاعِدِي
وَيَسُومُنِي التَّعْذِيبَ فِي تَهْدِيبِهِ
لَعَجَزَتْ عَن تَهْدِيبِ مَا تَهْدِي بِهِ

وقال :

أَرَادَ أَنْ يُخْفِيَ هَوَاهُ وَقَدْ
وَكَيْفَ يُخْفِيَ دَاءَهُ مُدْنَفُ
نَمَّ بِمَا تُخْفِي أُسَارِيرُهُ
قَدْ ذَابَ مِنْ فَرْطِ الْأَسَى رِيرُهُ (١)

وقال :

وَسَهْفُ تَهْفُو بِلُبِّ الْمَرْءِ مِنْهُ شَمَائِلُ
فَالرَّدْفُ دِعْصُ هَائِلُ وَالقَدْ غُصْنُ مَائِلُ
وَالْحَدُّ نَوْرُ شَقَائِقِ تَنْشَقُّ عَنْهُ خَائِلُ
وَالعَرَفُ نَشْرُ حَدَائِقِ تَمَّتْ بِهِنَّ شَمَائِلُ
وَالطَّرْفُ سَيْفُ مَالِهِ إِلَّا العِذَارُ حَمَائِلُ

ولأبي الفتح البستي في هذا المذهب :

إِن لِي فِي الْهَوَى لِسَانًا كَتُومًا
غَيْرَ أَنِي أَخَافُ دَمْعِي عَلَيْهِ
وَجَنَانًا يُخْفِي حَرِيقَ جَوَاهُ
سَتْرَاهُ يُفْشِي الَّذِي سَتْرَاهُ

لأبي الفتح
أبتي

(١) الرير : الدم ، أو ذائب المخ

ولأبي الفتح السبي في مذهب هذا البيت الأخير:

نَاظِرَاهُ فِيمَا جَنَى نَاظِرَاهُ أُوْدَعَانِي أُمَّتٌ بِمَا أُوْدَعَانِي

وله :

خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِعُرْفِكَ أُمِرْتُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ
وَلِنْ فِي الْكَلَامِ لِكُلِّ الْأَنَامِ فَسْتَحْسِنُ مِنْ ذَوِي الْجَاهِ لَيْنِ

وله :

إِلَى حَتْفِي سَعَى قَدَمِي أَرَى قَدَمِي أَرَاقَ دَمِي
فَمَا أَنْفَكُ مِنْ نَدَمِي وَليْسَ بِنَافَعِي نَدَمِي

وله :

إِنْ هَزَّ أَقْلَامَهُ يَوْمًا لِيُعْمِلَهَا أَنْسَاكَ كُلَّ كَمِي هَرًّا عَامِلَهُ
وَإِنْ أَقْرَأَ عَلَى رَقٍّ أَنْامِلَهُ أَقْرَأَ بِالرَّقِّ كِتَابُ الْأَنَامِ لَهُ

وقال ابن استدعاء إلى مودته :

فَدَيْتُكَ قَلَّ الصِّدِيقُ الصَّدُوقُ وَقَلَّ الْخَلِيلُ الْخُنْفِيُّ الْوَفِيُّ
وَلِي رَاغِبٌ فَيْكَ إِمَّا وَفِيَتْ فَهَلْ رَاغِبٌ أَنْتَ فِي أَنْ تَفِي

وللامير أبي الفضل :

أَهْلًا بَطْنِي حَوَاهُ قَصْرُ كَجَنَّةٍ قَدْحَوَتْ نَعِيمًا
طَرَّقَتْهُ لَا أَهَابَ سَوْءًا أَبَاخْنِي حَبَّةَ الْحَرِيمِ مَا
فَجَادَ مَنْ فِيهِ لِي بَرَايِحُ تَنْفِي حَرِيْقًا بِهِ قَدِيمًا
أَفْدَى حَرِيْقًا أَبَا حَرِيْمًا لَا بَلَّ حَرِيْمًا أَبَا حَرِيْمًا

وله :

مَنْ لِي بِشَمْلِ الْمَنَى وَالْأَنْسِ أَجْمَعِ بِشَادِنِ حَلِّ فِيهِ الْحَسَنِ أَجْمَعِ

ما زال يُعْرِضُ عن وَضَلِي وَأَخْدَعُهُ^(١) فالآن قد لَانَ بعد الصَدِّ أَخْدَعُهُ^(١)
وقال :

بأبي غَزَلٍ نامَ عَنِّ وَصَبِي به ومُرَاقٍ دَمَعِي لِلنَّوَى وَصَبِيهِ
يَالَيْتَ— به يَرِثِي عَلِيَّ وَلَعِي به لغرامِ قَلْبِي فِي الهَوَى وَلَهِيهِ
وله في هذا الباب من غير هذا النمط يصف غلاماً مخموراً خمس وجهه :
هَبَهُ تَغَيَّرَ حائِلاً عَن عَهْدِهِ ورَمَى فُوَادِي بِالصَّدُودِ فَأَزْعَجَا
ما بَالُ نَرَجِسِهِ تَحْوَلَ وَرَدَةً والوردُ فِي خَدَيْهِ عادَ بِنَفْسِجَا
وله في هذا المعنى :

وريمِ عَلِيَّ الشُّكْرِ خَمَشْتُهُ بقرصِ بعارضِهِ أَثْرَا
فأصبحَ نَرَجِسُهُ وَرَدَةً ووردةُ خَدَيْهِ تَيْلُوفَرَا
وقال في وصف العذار :

ظَنِي كَسَا رَأْسَ الشَّهَابِ بعارضِ نَمَّ العِذارُ بِحافَتَيْهِ فَلَاحَا
فكأنما أَهْدَى لعارضِ خَدَيْهِ شعري ظَلاماً واستعاضَ صَباحَا
وقال في غلام افتصد :

ومُهْنَفِ غَرَسِ الجَا لُ بِخَدِّهِ رَوْضاً مَرِيحَا
فَصَدَّ الطَّيِّبُ ذِرَاعَهُ فَجَرَى لَهُ دَمَعِي ذَرِيحَا
وأَمَسَّنِي وَقَعُ الحَدِيدِ بِعِرْقِهِ أَلَمًا وَجِيحًا
فَأَرَيْتَهُ مِن عَـبْرَتِي ما سَالَ مِن دَمِهِ نَجِيحًا

فَقَرُّ فِي ذِكْرِ العِلْمِ وَالعُلَمَاءِ

العُلَماءُ وَرِثَةُ الأنبياءِ . وَالعُلَماءُ أعلامُ الإسلامِ . العُلَماءُ فِي الأَرْضِ كَالنَّجُومِ

فِي السَّماءِ .

(١) الأخدع : عرق ، وهو شعبة من الوريد

ابن المعتز - العلماء غرباء ، لكثرة الجهل . وله : العلمُ جمالٌ لا يُخفى ، ونسب لا يُجفى . وله : زلَّةُ العالمِ كانبكِسارِ سفينةٍ تفرق ويفرق معها خلقٌ كثيرٌ .

غيره - إذا زلَّ العالمُ ، زلَّ بزلتِهِ عالمٌ . غيره : الملوكُ حكامٌ على الناسِ ، والعلماءُ حكامٌ على الملوكِ . من لم يحتملِ ذلَّ التعلمِ ساعةً ، بقى في ذلِّ الجهلِ أبداً . ماصينَ العلمِ بمثلِ بذلهِ لأهله . من كتمَ علماً فكأنه جاهلُهُ .

العلمُ يمنعُ أهله * أن يمنعوه أهله (١)

أبو الفتح كشاجم :

لا تمنع العلمُ امرأً والعلمُ يمنعُ جانباً
أما الغبيّ فليس يفهم لطفه وغرابة
وتكون حاضرة الفوا تد عندك كالفأنة
وأخو الحصافة مستحقُّ أن ينالَ مطالبه
فبحقه أعطيته من فضلِ علمك واجبه

ومن رقَّ وجهه عند السؤال ، رقَّ علمه عند الرجال . علمٌ بلا عمل ، كشجرة بلا ثمر . كما لا يُنبِتُ المطرُ الكثيرُ الصخرَ ، كذلك لا ينفعُ البليدُ كثرةَ التعلمِ . من ترفعَ بعله وضعه الله بعمله . الجاهلُ صغيرٌ وإن كان كبيراً ، والعالمُ كبيرٌ وإن كان صغيراً . من أكثرَ مذاكرةَ العلماء ، لم ينسِ ما علم ، واستفاد ما لم يعلم .
ابن المعتز : المتواضعُ في طلاب العلمِ أكثرهم علماً ، كما أن المكان المنخفضُ أكثرُ البقاع ماءً . إذا علمت فلا تذكُرُ من دونك من الجهالِ ، واذكُرُ من فوقك من العلماء . النارُ لا يُنقصُها ما أخذَ منها ، ولكن يُنقصُها ألاَّ تجد حطباً ، كذلك العلمُ لا يُفنيه الاقتباسُ منه ، وقد الحاملين له سببُ عدمه .

(١) هذا بيت من الشعر يروى أن الشافعي كتب به إلى محمد بن الحسن الشيباني ، وكان قد استعار منه كتاباً فتأخر عن إعارته ، وقبله قوله :

قل لمن لم تر عين من رآه مثله (م)

مات خزانة الأموال وهم أحياء ، وعاش خزان العلم وهم أموات . مثل علم لا ينفع
ككنز لا يُنفق منه . أزهّد الناس في عالم جيرانته .

وقيل للصّات بن عطاء ، وكان مقدّماً عند البرامكة : كيف غلبت عليهم وعندهم
من هو آدب منك؟ قال : ليس للقرّباء طرفة العرّباء ، وكنت امرأ بعيدة الدار ،
نأى المزار ، غريب الاسم ، قليل الجرم ، كثير الألتواء ، شحيحاً بالإملاء ؛
فرغبتهم في رغبتى عنهم ، وزهدنى فيهم رغبتهم فيّ .

علم لا يعبّرُ معك الوادى ، لا يعمر بك النادى . لو سكت من لا يعلم لسقط
الاختلاف . إذا ازدحم الجوابُ خفي الصواب . الغلط تحت اللّفظ . خرّق الإجماع
خرّق . المحجوج بكلّ شيء ينطق

استمارات فقهية تليق بهذا المكان

دخل أبو تمام الطائى على أحمد بن أبي دؤاد في مجلس حكمه ، وأنشده أبياتاً
يستعطرُ نائله ، وينشر فضائله ، فقال : سيأتيك ثوابها يا أبا تمام ، ثم اشتغل
بتوقيعات في يده ؛ فأحفظ ذلك أبا تمام ، فقال : أخضرت أيدك الله فإنك غائب ،
واجتمع فإنك مفترق ، ثم أنشده :

إن حراماً قبولُ مدحتنا وتركُ ما نرتجى من الصّفدِ
كما الدنانيرُ والدرهمُ في الصّرفِ حرامٌ إلا يداً بيدي
فأمر بتوفير حباته ، وتعجيل عطائه .

ولما ولى طاهر بن عبد الله بن طاهر خراسان دخل الشعراء يهنتونه ، وفيهم
تمام بن أبي تمام فأنشده :

هناك ربُّ الناس هنا كما مامن جزيل الملك اعطا كما
قرت بما أعطيت يا ذا الحجى والبأس والإنعام عينا كما
أشرق الأرض بما نلتها وأورق العودُ مجدوا كما

فاستضعف الجماعة شعره ، وقالوا : يا بعد ما بينه وبين ابيه ! فقال طاهر

بين أبي تمام
وابن أبي دؤاد

بين طاهر بن
عبد الله وابن
بي تمام

لبعض الشعراء : أجه ، فقال :

حيّاك ربُّ الناس حيّاكا إن الذي أمّلتَ أخطاكا
فقلتَ قولا فيه ما زانهُ ولو رأى مَدحا لاساكا
فهاك إن شئتَ بها مدحةً مثل الذي أعطيتَ أعطاكَا

فقال تمام : أعز الله الأمير ، وإنَّ الشعرَ بالشعرِ ربّاً ، فاجعل بينهما صنجا
من الدرهم ، حتى يحلّ لي ولك ! فضحك وقال : إلا يكن معه شعرُ أبيه ، فمعه
ظرف أبيه ؛ أعطوه ثلاثة آلاف درهم ! فقال عبد الله بن إسحاق : لو^(١) لم يعط
إلا لقول أبيه في الأمير أبي العباس - رحمه الله - يريد عبد الله بن طاهر :
يقولُ في قَوْمِ صَجْبِي وقد أخذتُ منّا السرى وخُطأ المهرية القودِ :
أطلع الشمس تبغى أن تؤمَّ بنا ؟ فقلتُ : كلا ، ولكن مطلع الجودِ
فقال : ويعطى بهذا ثلاثة آلاف .

[ولاية طاهر بن عبد الله بن طاهر خراسان ، وسببها]

وكان سببُ ولاية طاهر خراسان بعد أبيه ما حدث به أبو العيناء قال :
كنا عند أحمد بن أبي دواد ، فجاء الخبر أن الكتبَ وردت على الواثق من خراسان
بوفاة عبد الله بن طاهر ، وأن الواثق يُعزّي عنه ، وأنه قد ولي مكانه خراسان إسحاق
ابن إبراهيم ، وكان عدواً له لانخراطه في سبيلك ابن الزيات ؛ فلبس ثياباً ومضى ،
وقال : لا تبرحوا حتى أعود إليكم ؛ فلبث قليلاً ، ثم عاد إلينا فحدثنا أنه دخل على
الواثق فعزاه عن عبد الله وجلس ، قال : فقال لي الواثق : قد ولينا إسحاق
خراسان ، فما عندك ؟ قلت : وفق الله أمير المؤمنين ولا نذمه . قال : قل ما عندك
في هذا . قلت : أمرٌ قد أمضى ، فما عسيت أن أقول فيه . قال : لتفعلن . فقلت :
يا أمير المؤمنين ، خراسان منذ ثلاثين سنة في يد طاهر وابنه ، وكلُّ من بها
صنائعهم ، وقد خلفَ عبدُ الله عشرَ بنين أكثرهم رجال ، وجميعُ جيش خراسان
(١) جواب لو هذه محذوف ، وتقدير الكلام : لو لم يعط إلا لقول أبيه لكان ذلك سائفاً (م)

لهم عبيدٌ أوموالٍ أو صَنَائِعَ ، وسيقولون : أما كان فينا مُصْطَنَعٌ ؟ وكان يجب أن
يجرّبنا أميرُ المؤمنين ، فإن وَفِينَا بما كان يَبْنِي به أبونا وجدُّنا ، وإلا استبدل منا
بعد عُذْرٍ فينا ؛ ويقدم خراسانَ إسحاقُ وهو رجلٌ غريبٌ فينافسه هؤلاء ،
ويتعصبُ أهلها لهم ؛ فينتفض ما أبرمَ ، وبفسد ما أصلح
قال : صدقت يا أبا عبد الله ، والرأي ما قلت ، اكتبوا بعهد طاهر بن عبد الله
على خراسان . فكتبت كتبُ طاهر ، وخرقت كتبُ إسحاق ، فخرجت الزنج
تطيرُ بها ، ثم لقيني إسحاقُ داخلا ، فقلت : يا أبا الحسن ، لا عدمت عداوةَ رجلٍ
أزال عنك ولايةَ خراسان بكلمة .

ومدح ابن الرومي أبا العباس بن ثوبة ، فعارضه أخوه أبو الحسن بقصيدة
يمدح أخاه بها ، فقال ابن الرومي :

بين ابن الرومي
وابن ثوبة

أليسَ القَوَافِي بناتِ الفَتَى إذا صورةُ الحقِّ لم تُمَسَّخِ
فلا تقبَلَنَّ أَمَادِيحَهُ حَرَامٌ نِكَاحُ بناتِ الأَخِ

ولما أنشد أبو تمام قصيدته في المعتصم : * السيفُ أصدقُ أبناءِ من الكتبِ *
قال له : لقد جَلَوْتَ عروسك يا أبا تمام فأحسنت جلاءها . قال : يا أمير المؤمنين ،
والله لو كانت من الحورِ العينِ لكان حُسْنُ إصغائكِ إليها من أَوْفَى مَهْرِها .

بين المعتصم
وأبي تمام

وقال الأمير أبو الفضل الميكالي :

لأبي الفضل
الميكالي

أقول لَشَادِنِ في الحُسْنِ أَضْحَى يَصِيدُ بِلَحْظِهِ قَلْبَ الكَمِيِّ
ملكْتِ الحُسْنَ أجمعَ في قوامِ فأدَّ زكاةَ منظرِكَ البهِيِّ
وذلك أن تجودَ لِمُسْتَهَامِ بريقِ من مُقَبِّلِكَ الشَّمِيِّ
فقال : أبو حنيفة لي إمامٌ فعندي لازكاةَ على الصَّبِيِّ

وربما أنشد هذه الأبيات على قافية أخرى فقال :

أقول لَشَادِنِ في الحُسْنِ فَرْدٍ يَصِيدُ بِلَحْظِهِ قَلْبَ الجَلِيدِ

ملكته الحسن أجمع في قوام
وذلك أن تجود لمستهام
فقال : أبو حنيفة لي إمام
فلا تمنع وجوباً عن وجود
برشف رضاءك العذب البرود
فعدى لآزكاة على الوليد

وقال :

بنفسي غزال صار للحسن قبلة
دعاني الهوى فيه فلبيت طائعا
فطرفي بالتسبيد والدمع قارن
يخرج من البيت العتيق ويقصد
وأحرمت بالإخلاص والسعى يشهد
وقلبي عليه بالصباة مفرد

وقال أبو الفتح كشاجم :

فديت زائرة في العيد واصلة
فلم يزل خداهار كئنا أطوف به
والهجر في غفلة من ذلك الخبر
والخار في خداه يغني عن الحجر

وينضاف إلى هذا النظم قطعة من رسالة طويلة كتبها بديع الزمان إلى أبي

نصر بن المرزبان :

كتابي أطال الله بقاء الشيخ وأنا سالم ، والحمد لله رب العالمين ، كيف تقلب بديع الزمان
الشيخ في درع العافية ، وأحواله تلك الناحية ؛ فإني ببعده منغص شرعة العيش ،
مقصود أجنحة الأنس . ورد كتابه المشتمل من خبر سلامته ، على ما أُرغب إلى
الله في إدامته ، وسكنت إليه بعد انزعاجي لتأخره ؛ وقد كان رسم أن أعرّفه
سبب خروجي من جرجان ، ووقوعي بخراسان ، وسبب غضب السلطان ؛ وقد
كانت القصة أني لما وردت من ذلك السلطان حضرته ، التي هي كعبة المحتاج ،
لا كعبة الحجّاج ، ومستقر الكرم ، لامشعر الحرم ، وقبلة الصلّات ، لا قبلة
الصلاة ، ومنى الضيف ، لا منى الخيف ، وجدت بهانداً من نبات العام^(١) ، اجتمعوا

(١) من نبات العام : يريد أنهم حديثو العهد

قيضة كلب^(١) على تليفق خطب ، أزعجني عن ذلك الفناء ، وأشرف بي على الفناء ، لولا ما تدارك الله بجميل صنعه ، وحسن دفعه ؛ ولا أعلم كيف احتالوا ، ولا ما الذي قالوا ؛ وبالجملة غيروا رأى السلطان ، وأشار على إخواني ، بمفارقة مكاني ، وبقيت لا أعلم أئمة أضرب أم شامة ، وتجدد أقصد أم تهامة !

ولو كنت في سلى أجاوشعائها لكان ليحجاج على دليل

وقد علم الشيخ أن ذلك السلطان سماه إذا تقيم لم يرج صخوه ، وما إذا تغير لم يشرب صفوه ، وملك إذا سخط لم ينتظر عفوه ، وليس بين رضاه والسخط عوجة ، كما ليس بين غضبه والسيف فرجة ، وليس من وراء سُخْطه مجاز ، كما ليس بين الحياة والموت معه حجاز ؛ فهو سيّد يُغضبه الجرم الخفي ، ولا يرضيه العذر الجلي ؛ وتكفيه الجناية وهي إرجاف ، ثم لا تشفيه العقوبة وهي إجحاف ، حتى إنه ليرى الذنب وهو أضيّق من ظل الرمح ، ويغتمى عن العذر وهو أبين من عمود الصنّيح ؛ وهو ذو أذنين يسمع بهذه القول وهو بهتان ، ويحجب عن هذه العذر وله برهان ؛ وذو يدين يبسط إحداها إلى السفك والسفح ، ويقبض الأخرى عن العفو والصفح ؛ ودو عينين يفتح إحداها إلى الجرم ، ويقبض الأخرى عن الحلم ، فرحه بين القدّ والقّطع ، وجده بين السيف والنّطع ، ومراده بين الظهور والكمون ، وأمره بين الكاف والنون ؛ ثم لا يعرف من العقاب ، غير ضرب الرقاب ، ولا يهتدي من التأنيب إلا لإزالة النعم ، ولا يعلم من التأديب غير إراقة الدم ، ولا يحتمل الهنة على حجم الذرة ، ودقة التسرة ، ولا يحلم عن الهفوة ، كوزن الهبوة ، ولا يُفِضِي عن السقطة ، كجرم النقطة ؛ ثم إن النقم بين لفظه وقلمه ، والأرض تحت يده وقدمه ، لا يلقاه الولي إلا بغمه ، ولا العدو إلا بدمه ؛ والأرواح بين حبسه وإطلاقه ، كما أن الأجسام بين حله ووثاقه ؛ فنظرت فإذا أنا بين

(١) قيضة كلب: القيضة بالكسر هي العظم، والمراد تحقيرهم بوصفهم بعظام الكلب

جُودَيْنِ : إِمَانُ أَجُودَ بِيَأْسِي ، وَإِمَانُ أَجُودَ بِرَأْسِي ؛ وَبَيْنَ رُكُوبَيْنِ : إِمَامَا
 الْمَفَازَةَ ، وَإِمَامَا الْجَنَازَةَ ؛ وَبَيْنَ طَرِيقَيْنِ : إِمَامَا الْغُرْبَةَ ، وَإِمَامَا التَّرْبَةَ ؛ وَبَيْنَ فِرَاقَيْنِ : إِمَامَا
 أَنْ أَفَارِقَ أَرْضِي ، أَوْ أَفَارِقَ عَرْضِي ؛ وَبَيْنَ رَاحِلَتَيْنِ : إِمَامَا ظَهْرَ الْجَمَالِ ، وَإِمَامَا
 أَعْنَاقَ الرِّجَالِ ؛ فَاخْتَرْتُ السَّمَاحَ بِالْوَطَنِ ، عَلَى السَّمَاحِ بِالْبَدَنِ ؛ وَأَنْشَدْتُ :
 إِذَا لَمْ يَكُنْ إِلَّا الْمَنِيَّةَ مَرَّ كَبٌّ فَلَا رَأْيَ لِلْمَحْمُولِ إِلَّا رُكُوبَهَا
 وَوَلَدَ مَا ذَكَرَ مِنْ « كَعْبَةٍ [الْمَحْتَاكِجِ ، لَا كَعْبَةٍ] الْحُجَّاجِ » ، مِنْ قَوْلِ أَبِي تَمَامٍ :
 بَيْتَانِ حَجَّهُمَا الْأَنَامُ ؛ فَهَذِهِ حَجُّ الْغَنِيِّ ، وَتِلْكَ لِلْمُعْدِمِ

[أَبُو عَلِيٍّ الْبَصِيرُ وَشَيْءٌ مِنْ أَدَبِهِ]

وَشَتَمَ بَعْضُ الطَّالِبِينَ أَبَا عَلِيٍّ الْفَضْلَ بْنَ جَعْفَرِ الْبَصِيرِ ، فَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ : وَاللَّهِ
 مَانِعِيًّا عَنْ جَوَابِكَ ، وَلَا نَعْمَجِزُ عَنْ مَسَابِكِكَ ؛ وَلَكِنَّا نَكُونُ خَيْرًا لِنَسَبِكَ مِنْكَ ، وَأَبِي عَلِيٍّ الْبَصِيرِ
 وَنَحْفَظُ مِنْهُ مَا أَضَعَّتْ ؛ فَاشْكُرْ تَوْفِيرَنَا مَا وَفَّرْنَا مِنْكَ ، وَلَا يُفَرِّتُكَ بِالْجَهْلِ عَلَيْنَا
 حِلْمُنَا عَنْكَ .

وَسَأَلَ أَبُو عَلِيٍّ الْبَصِيرُ بَعْضَ الرُّؤَسَاءِ حَاجَةً وَقِيَهُ ؛ فَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ مِنْ تَأْخُرِهَا ؛
 فَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ : فِي شُكْرٍ مَا تَقَدَّمَ مِنْ إِحْسَانِكَ شَاغِلٌ مِنْ اسْتِبْطَاءِ مَا تَأْخُرُ مِنْهُ .
 وَأَبُو عَلِيٍّ أَحَدُ مَنْ جَمَعَ لَهُ حِظُّ الْبَلَاغَةِ فِي الْمَوْزُونِ وَالْمَنْشُورِ ، وَهُوَ الْقَائِلُ :

أَلَمْتُ بِنَا يَوْمَ الرَّحِيلِ اخْتِلَاسَةً فَأَضْرَمَ نِيرَانَ الْهَوَى النَّظْرُ الْخَلْسُ
 تَأَبَّتْ قَلِيًّا لَوْ هِيَ تُرْعَدُ خَيْفَةً كَمَا تَتَأَنَّى حِينَ تَعْتَدِلُ الشَّمْسُ
 فَخَاطَبَهَا صَمْتِي بِمَا أَنَا مُضْمِرٌ وَأَنْبَسْتُ حَتَّى لَيْسَ يُسْمَعُ لِي حِسٌّ
 وَوَلَّتْ كَمَا وَلَّى الشَّبَابُ إِطْيَاءً طَوَتْ دُونَهَا كَشْحًا عَلَى يَأْسِهَا النَّفْسُ

وَقَالَ يَصِفُ بِلَاغَةَ الْفَتْحِ بْنِ خَاقَانَ وَشِعْرَهُ :

سَمِعْنَا بِأَشْعَارِ الْمَلُوكِ ؛ فَكَلَّمْنَا إِذَا عَضَّ مَتْنِيهِهِ الثَّقَافُ تَأْوَدًا
 سَوَى مَا رَأَيْنَا لِأَمْرِ الْقَيْسِ ؛ إِنَّا نَرَاهُ - مَتَى لَمْ يَشْعُرْ الْفَتْحُ - أَوْحَدًا

أقام زماناً يَسْمَعُ القَوْلَ صامتاً ونحسبه إن رام أ كذى وأصلدا
 [فلما امتطاه راكباً ذلَّ صعبه وسار فأضحى قد أغار وأنجدًا]

والفتح بن خاقان يقول :

من شعر لفتح بن خاقان
 كتاب إلى عبيد الله بن يحيى
 وإني وإياها لكانخمر، والفتى متى يستطع منها الزيادة يزدد
 إذا ازددتُ منها زاد وجدى بقرُ بها فكيف احتراسي من هوى متجدد
 وكتب إلى أبي الحسن عبيد الله بن يحيى : وإن أمير المؤمنين لما استخلصك
 لنفسه ، وأتَمَنَكَ على رعيتِهِ ؛ فنطق بلسانك ، وأخذَ وأعطى بيدك ، وأوردَ
 وأصدرَ عن رأيك ، وكان تفويضُهُ إليك بعد امتحانِهِ إِيَّاكَ ، وتَسْلِيطُهُ الحقَّ على
 الهوى فيك ، وبعد أن مثل بينك وبين الذين سموا المرءَ تبتك ، وجرؤا إلى غايتك ،
 فأسقطهم مضاؤك ، وخفوا في ميزانك ، ولم يزدك - أكرمك الله - رفعة وتشريفا
 إلا أزددت له هبةً وتعظيما ، ولا تسليطا وتمكينا ، إلا زدت نفسك عن الدنيا
 عزوفاً وتنزيها ، ولا تقريبا واختصاصا ، إلا أزددت بالعامَّة رافةً وعليها حدبا ،
 لا يخرجك فرطُ النصح له عن النظر لرعيته ، ولا إثارةُ حقه عن الأخذ بحقها
 عنده ، ولا القيام بما هو له عن تضمين ما هو عليه ، ولا يشغلك معاناة كبار
 الأمور عن تفقد صغارها ، ولا الجِدُّ في صلاح ما يصلحُ منها عن النظر في عواقبها ؛
 تمضي ما كان الرشدُ في إفضائه ، وترُجى ما كان الحزمُ في إرجائه ، وتبذلُ
 ما كان الفضلُ في بذله ، وتمنعُ ما كانت المصلحةُ في منعه ، وتلين في غير
 تكبر ، وتخص في خير ميل ، وتعم في غير تصنع ، لا يشقى بك الحقُّ وإن كان
 عدوا ، ولا يسهَّدُ بك المبطلُ وإن كان وليا ؛ فالسلطان يعتدُّ لك من الغناء
 والكفاية ، والذنبُ والحياطة ، والنصح والأمانة ، والعفة والبراهة ، والنصب فيما
 أدى إلى الراحة ، بما يراك معه - حيث انتهى إحسانه إليك - مستوجبا للزيادة ،
 وكافة الرعية - إلا من غمطَ منهم النعمة - مثنون عليك بحسن السيرة ، ويمن
 النقية ، ويعدون من آثرك أنك لم تُدحِض لأحدٍ حُجَّةً ؛ ولم تدفع حقا

لشبهة ؛ وهذا يسيرٌ من كثير ، لو قصدنا لتفضيله ، لأنقذنا الزمان قبل تحصيله ،
ثم كان قصدنا الوقوفَ دون الغاية منه

وله إلى عبيدالله بن يحيى : يقطعني عن الأخذِ بحظي من لقائك ، وتعريفك
كتاب آخر إلى عبيدالله بن يحيى ما أنا عليه عن شكرِ إنعامك ، وإفرادي إياك بالتأميل دون غيرك ، فخلقى عن
منزلة الخاصة ، ورغبتى عن الحلون محلّ العامة ، وأنى لستُ معتاداً للخدمةِ
ولا للملازمة ، ولا قوياً على المفاداةِ والمراوحة ؛ فلا يمتنعك ارتفاعُ قدرك ، وعلوُ
أمرك ، وما تعانیه من جلائل الأحوال الشاغلة ، من أن تطوّل بتجديد ذكرى ،
والإصغاء إلى مَنْ يحضُّك على وَضلى وبرئى ، ويرغبك فى إسداء حُسنِ
الصنعة عندي .

وله إليه آخرَ فصلٍ من كتاب : وأنا أسألُ الله أندى رَحِمَ العبادِ بك ، على
حينِ افتقارِ منهم إليك ، أن يُعيدهم من فقْدِكَ ، ولا يُعيدهم إلى المكابره التى
استنقذتهم منها بيدك .

[بعض ما يبعث على الرحيل]

ولقى رجلٌ رجلاً خارجاً من مِصرَ يريد المغرب ، فقال : يا أخى ؛ أتتبعُ
القَطْرَ ، وتَدَعُ مَجْرَى السيول؟ فقال : أخرجنى من مصرَ حَقَّ مُضَاع ، وشُخِّ
مُطَاع ، وإقْتارِ البكرِيم ، وحركة اللثيم ، وتغيّرِ الصديق ، بين السعة والضيق ،
والهربِ إلى النَّزْرِ بالعز ، خيرٌ من طلبِ الوَفْرِ بِنُزْرِ العَجْزِ .

[من الوصايا لمن اعتزم السفر]

وأوصى بعضُ الحكماءِ صديقاً له ، وقد أرادَ سفراً ، فقال : إنك تدخلُ بلداً
لا يعرفُك أهلُه ؛ فتمسكْ بوصيتى تنفق بها فيه : عليك بحُسنِ الشائلِ فإنها
تدلُّ على الحرية ؛ ونقاءِ الأطرافِ فإنها تشهد بالملوكية ؛ ونظافة البرّةِ فإنها تنبئ
عن النّسءِ فى النّعمة ؛ وطيبِ الرائحةِ فإنها تظهرُ المروءة ، والأدبِ الجميلِ فإنه
يكسبُ المحبة . وليكنْ عقلُك دون دينك ، وقولُك دون عقلك ، ولباسُك دون

قَدْرِكَ ، وَالزَّمِ الْحَيَاءَ وَالْأَنْفَةَ ؛ فَإِنَّكَ إِنْ اسْتَحْيَيْتَ مِنَ الْغَضَاظَةِ اجْتَنَبْتَ الْخُسَاسَةَ ، وَإِنْ أَنْفَتَ عَنِ الْغَلْبَةِ ، لَمْ يَتَقَدَّمْكَ نَظِيرٌ فِي مَرْتَبَةٍ .

قال الأصمعي : سمعتُ أعرابياً يُوصِي آخَرَ أَرَادَ سَفْراً ؛ فقال : آثِرْ بِعَمَلِكَ مَعَادَكَ ، وَلَا تَدَعِ لِشَهْوَتِكَ رَشَادَكَ ، وَلِيَسْكُنْ عَقْلُكَ وَزِيرُكَ الَّذِي يَدْعُوكَ إِلَى الْهُدَى ، وَيَجْتَنِبُكَ مِنَ الرَّدَى ، وَاحْبِسْ هَوَاكَ عَنِ الْفَوَاحِشِ ، وَأُظْلِقْهُ فِي الْمَكَارِمِ ؛ فَإِنَّكَ تَبْرَأُ بِذَلِكَ سَلْفَكَ ، وَتَشِيدُ بِهِ شَرْفَكَ .

وأوصت أعرابية ابنها في سفر ، فقالت : يا بني ؛ إِنَّكَ تَجَاوِرُ الْغُرَبَاءَ ، وَتَرْحَلُ عَنِ الْأَصْدِقَاءِ ، وَلَعَلَّكَ لَا تَلْقَى غَيْرَ الْأَعْدَاءِ ؛ فَخَالِطِ النَّاسَ بِجَمِيلِ الْبِشْرِ ، وَاتَّقِ اللَّهَ فِي الْعَلَانِيَةِ وَالسِّرِّ .

وقال بعضُ الملوكِ لحكيمٍ وقد أَرَادَ سَفْراً : قِفْنِي عَلَى أَشْيَاءٍ مِنْ حِكْمَتِكَ أَعْمَلُ بِهَا فِي سَفَرِي ؛ فقال :

اجْعَلْ تَأْنِيكَ أَمَامَ عَجَلَتِكَ ، وَحِلْمَكَ رَسُولَ شِدَّتِكَ ، وَعَفْوَكَ مَالِكَ قَدْرَتِكَ ، وَأَنَا ضَامِنٌ لَكَ قُلُوبَ رَعِيَّتِكَ ، مَا لَمْ تُخْرِجْهُمْ بِالشَّدَةِ عَلَيْهِمْ ، أَوْ تُبْطِرَهُمْ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ .

وقال أبان بن تغلب : شهدت أعرابيةً تُوصِي ولداً لها أَرَادَ سَفْراً وَهِيَ تَقُولُ : أَيُّ بَنِي ! اجْلِسْ أَمْنَحْكَ وَصِيَّتِي ، وَبِاللَّهِ تَوْفِيقُكَ ، قَالَ أَبَانُ : فَوَقَفْتُ مُسْتَمِعاً لِكَلَامِهَا ، مُسْتَحْسِناً لَوْصِيَّتِهَا ، فَإِذَا هِيَ تَقُولُ : أَيُّ بَنِي ! إِيَّاكَ وَالنَّمِيمَةَ ، فَإِنَّهَا تَزْرَعُ الضَّغِينَةَ ، وَتَفَرِّقُ بَيْنَ الْمُحِبِّينَ ، وَإِيَّاكَ وَالتَّعْرُضَ لِلْعَيُوبِ فَتَتَّخِذُ غَرَضاً ، وَخَلِيقٌ أَلَّا يَنْبُتَ الْغَرَضُ عَلَى كَثْرَةِ السَّهَامِ ؛ وَقَلَّمَا اعْتَوَرَتِ السَّهَامُ غَرَضاً إِلَّا كَلَّمَتْهُ ، حَتَّى يَهِيَ مَا اشْتَدَّ مِنْ قُوَّتِهِ ؛ وَإِيَّاكَ وَالْجُودَ بِدِينِكَ ، وَالْبِخْلَ بِمَالِكَ ؛ وَإِذَا هَزَزْتَ فَأَهْزَزَ كَرِيماً يَلِينُ لِمَهْزَتِكَ ؛ وَلَا تَهْزُزُ اللَّثِيمَ فَإِنَّهُ صَخْرَةٌ لَا يَتَفَجَّرُ مَآوِئُهَا ، وَمِثْلُ بِنَفْسِكَ مِثَالُ مَا اسْتَحْسَنْتَ مِنْ غَيْرِكَ فَاعْمَلْ بِهِ ، وَمَا اسْتَقْبَحْتَ مِنْ غَيْرِكَ فَاجْتَنِبْهُ ؛ فَإِنَّ الْمَرْءَ لَا يَرَى عَيْبَ نَفْسِهِ ؛ وَمَنْ كَانَتْ مَوَدَّتُهُ بِشْرِهِ ، وَخَالَفَ مِنْهُ ذَلِكَ فَعَلُهُ ، كَانَ صَدِيقَهُ مِنْهُ عَلَى مِثْلِ الرِّيحِ فِي تَصَرُّفِهَا .

ثم أمسكت ، فدنوتُ منها ، فقلت لها : بالله يا أعرابية ، إلا ما زدته في الوصية ؛ قالت : أو قد أعجبتك كلامُ العرب يا حَصْرِي ؟ قلت : نعم ! قالت : .
القدرُ أقبح ما تعامل به الناسُ بينهم ، ومن جمع الحِلْمَ والسخاءَ فقد أجادَ الحِلَّةَ رَيطَها وسيرَ بالها .

فقر في مدح السفر

أبو القاسم بن عباد الصاحب : الخبر المنقول أن المقبوضَ غريباً شهيداً .
وفي الحديث : سافروا تَغْنَمُوا . السفرُ أحدُ أسباب العيش التي بها قوامه ، وعليها نظامه . إنَّ الله لم يجمع منافع الدنيا في الأرض ؛ بل فرَّقها وأحوجَ بعضها إلى بعض . المسافرُ يسمعُ العجائب ، ويكسبُ التجاربَ ، ويَجْلِبُ المكاسبَ .
الأسفارُ مما تزيدك علماً بقدرة الله وحِكمته ، وتدعوكُ إلى شكر نعمته . ليس بينك وبين بلدٍ نَسَبٌ ؛ فخيرُ البلاد ما حملك . السفرُ يُسْفِرُ عن أخلاق الرجال .
أوحشُ أهلِكَ إذا كان في إيحاشهم أنسُك ، واهجرُ وطنك إذا نبتَ عنه نفسك .
ربما أسفر السفرَ عن الظفر ، وتعذَّر في الوطن قضاء الوطر ، وأنشد :

ليس ارتحالُكَ تزهدٌ الغنى سفرًا بلِ المَقَامُ على خَسْفٍ هو السفرُ
وهذا كقول الطائي :

وما القفرُ بالبيدِ الفضاء ، بلِ التي نبتَ بي وفيها ساءَ كُنُها هي القفرُ
أخذه المتنبي فقال :

إذا ترَحَّلْتَ عن قومٍ وقد قدرُوا ألا تُفَارِقَهُمُ فالرَّاحِلونَ همُ

نقيض ذلك في ذم السفر والغربة

في الحديث إن المسافرَ وماله لَمَلَى ، قلت : إلا ما وَقَى الله ، أي على هلاك .
شيئان لا يعرفهما إلا من ابتلى بهما : السفرُ الشاسع ، والبناء الواسع . السفرُ والسَّقمُ والقتال ثلاث متقاربة ؛ فالسفرُ سفينة الأذى ، والسَّقمُ حريقُ الجسد ،

والقتالُ مَنِيَتْ المِنَايَا . إِذَا كُنْتَ فِي غَيْرِ يَدِكَ فَلَا تَنْسَ نَصِيْبَكَ مِنَ الذَّلِّ . الْغَرْبَةُ
كَرْبَةٌ . النَّقْلَةُ مَثَلَةٌ . الْغَرِيبُ كَالْغَرَسِ الَّذِي زَايِلَ أَرْضَهُ ، وَقَدْ شَرِبَهُ ؛ فَهُوَ
ذَاوٍ لَا يُشِيرُ ، وَذَابِلٌ لَا يَنْضُرُ . الْغَرِيبُ كَالْوَحْشِ النَّائِي عَنِ وَطْنِهِ ؛ فَهُوَ لِكُلِّ
سَبْعٍ قَرِيْبَةٌ ، وَلِكُلِّ رَايِمٍ رَمِيَةٌ ؛ وَأَنْشُدُ :

تَقْرُبُ الدَّارَ فِي الْإِقْتَارِ خَيْرٌ مِنْ الْعَيْشِ الْمَوْسَعِ فِي اغْتِرَابِ
وَقَالَ أَبُو الْفَتْحِ الْبُسْتِي :

لَا يَعْدَمُ الْمَرْءُ شَيْئًا يَسْتَعِينُ بِهِ وَمَنْعُهُ بَيْنَ أَهْلِيهِ وَأَصْحَابِهِ
وَمَنْ نَأَى عَنْهُمْ قَلَّتْ مَهَابَتُهُ كَاللَّيْثِ يَحْقِرُ لَمَّا غَابَ عَنْ غَايِبِهِ

[الْعِزْلُ وَالْإِبْعَادُ وَالْحَجْبُ بَعْدَ التَّقْرِيبِ وَالْمُؤَانَسَةُ]

كُتِبَ أَبُو عُبَيْدِ اللَّهِ إِلَى الْمَهْدِيِّ بَعْدَ عَزْلِهِ إِيَّاهُ عَنِ الدَّوَاوِينِ : لَمْ يُنْكَرِ أَمِيرُ
الْمُؤْمِنِينَ حَالِي فِي قُرْبِ الْمُوَانَسَةِ وَخُصُوصِ الْخُلُطَةِ ، وَحَالِي عِنْدَهُ قَبْلَ ذَلِكَ فِي قِيَامِي
بِوَأَجِبِ خِدْمَتِهِ ، الَّتِي أَدْتَنِي مِنْ نِعْمَتِهِ ، فَلَمْ أَبَدِّلْ - أَعَزَّ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ -
حَالَ التَّبْعِيدِ ، وَيَقْرَبُ فِي مَحَلِّ الْإِقْصَاءِ ، وَمَا يَعْلَمُ اللَّهُ مِنِّي فِيمَا قَلَّتْ إِلَّا مَا عَمِلَهُ أَمِيرُ
الْمُؤْمِنِينَ ، فَإِنْ رَأَى أَكْرَمَهُ اللَّهُ أَنْ يُعَارِضَ قَوْلِي بِعَلْمِهِ بَدْءًا وَعَاقِبَةً فَعَلْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .
فَلَمَّا قَرَأَ كِتَابَهُ شَهِدَ بِتَصَدِيقِهِ قَلْبُهُ ، فَقَالَ : ظَلَمْنَا أَبَا عُبَيْدِ اللَّهِ ، فِيرَدَّ إِلَى
حَالِهِ ، وَيُعَلِّمُ مَا تَجَدَّدَ لَهُ مِنْ حُسْنِ رَأْيِي فِيهِ .

بَيْنَ الْمَهْدِيِّ
وَأَبِي عُبَيْدِ اللَّهِ

وَلَمَّا أَمَرَ الْمَأْمُونُ أَنْ يُحْجَبَ عَنْهُ الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ لِسَبَبِ تَأَلَّمِ قَلْبِهِ مِنْهُ كُتِبَ إِلَيْهِ :
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! لَمْ يُنْسِنِي التَّقْرِيبُ حَالِي أَيَّامَ التَّبْعِيدِ ، وَلَا أَغْفَلْتَنِي
لِلْمُوَانَسَةِ عَنْ شُكْرِ الْإِبْتِدَاءِ ؛ فَعَلَى أَيِّ الْحَالِينَ أَبْعَدُ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَيُدْحِقُنِي
ذِمُّ التَّقْصِيرِ فِي وَاجِبِ خِدْمَتِهِ ؟ وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَعْدَلُ شَهِودِي عَلَى الصِّدْقِ فِيمَا
وَصَفْتُ ؛ فَإِنْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَلَّا يَكُنْ شَهِادَتِي فَعَلْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

بَيْنَ الْمَأْمُونِ
وَالْفَضْلِ بْنِ
الرَّبِيعِ

وَقَالَ أَبُو جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ لِأَبِي مُسْلِمٍ حِينَ أَرْمَعُ قَتْلَهُ : هَلْ كُنْتَ قَبْلَ قِيَامِكَ
بِدَوْلَتِنَا جَائِرًا الْأَمْرِ عَلَى عِبْدِي ؟ قَالَ : لَا ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : فَلِمَ لَمْ تَعْرِضْ

بَيْنَ الْمَنْصُورِ
وَأَبِي مُسْلِمٍ
الْجُرَّاسَانِي

حاليّ عُسرتك ومهانتك على أيامنا ، وتعرف لنا ما يعرفُ غيرك من إجلالنا وإعظامنا ، حتى لا ينازعك الحين عنان الطمأنينة ؟ قال : قد كان ذلك يا أمير المؤمنين : ولكنّ الزمان وإساءته قلباً ما كان من حُسنِ صنيعتي ، قال : فلا مرغوبَ فيك ، ولا مأسوفَ عليك ، وفي الله خَلْفٌ منك ! وأمر بقتله (١)

جملة من شعر أبي الفتح كشاجم في لأوصاف

- من قوله في وصف أجزاء من القرآن الكريم

قال يصف أجزاء من القرآن :

مَنْ يَتَّبِ خَشِيَةَ الْعِقَابِ فَإِنِّي تَبْتُ أَنَّمَا بِهِذِهِ الْأَجْزَاءُ
بَعَثْتَنِي عَلَى الْقِرَاءَةِ وَالنُّسُوكِ وَمَا خِلْتَنِي مِنَ الْقِرَاءِ
حِينَ جَاءَتْ تَرُوقُنِي بِاعْتِدَالٍ مِنْ قُدُودٍ وَصِيغَةٍ وَاسْتِوَاءِ
سَبْعَةٍ أَشْبَهَتْ لِي السَّبْعَةَ الْأَنْجُمَ جَمَّ ذَاتَ الْأَنْوَارِ وَالْأَضْوَاءِ (٢)
كُسِيتَ مِنْ أَدِيمِهَا الْحَالِكِ اللَّوْنِ (٣) غِشَاءً أَحْبَبَ بِهِ مِنْ غِشَاءِ
مُشْبِهًا صِبْغَةَ الشَّبَابِ وَلَمَّا تِ الْعَذَارَى وَلِئْسَةَ الْخَطْبَاءِ
وَرَأَتْ أَنَّهَا تَحْسُنُ بِالضَّدِّ فَتَاهَتْ بِحِلْيَةٍ بِيضَاءِ
فَهِيَ مَسْوَدَةٌ الظُّهُورِ ، وَفِيهَا نَوْرٌ حَقٌّ يَجْلُودُ جِي الظَّلْمَاءِ
مَطْبَقَاتٍ عَلَى صَحَائِفَ كَالرَّيِّطِ تُخَيِّرُنَّ مِنْ مُسُوكِ الظُّبَاءِ (٤)
وَكَأَنَّ الْخَطُوطَ فِيهَا رِيَاضٌ شَاكِرَاتٌ صَنِيعَةَ الْأَنْوَاءِ
وَكَأَنَّ الْبِيضَ وَالنُّقْطَ الشُّوَّ دَعَائِرٌ رَشَّشَتْهُ فِي مَلَاءِ
وَكَأَنَّ الْعَشُورَ وَالذَّهَبَ السَّاطِعَ فِيهَا كَوَاكِبٌ فِي سَمَاءِ

(١) انظر واجبات الملوك في كتاب « الأخلاق عند الغزالي »

(٢) رواية الديوان :

سبعة شبهت بها الأنجم السبعة ذات الأنوار والأضواء.

(٣) رواية الديوان « الجون »

(٤) المسوك : جمع مسك - بالفتح - وهو الجلد . ورواية الديوان « متون »

وهي مشكولةٌ بعدة أشكا لٍ ومقروبةٌ على أنحاء
 فإذا شئتَ كان حمزةٌ فيها وإذا شئتَ كان فيها البكسائي
 خضرةٌ في خلالٍ خمرٍ وصفرٍ بين تلك الأضعاف والأثناء
 مثل ما أثر الديبُ من الذرِّ على جلدٍ بضَّةٍ عذراءٍ (١)
 ضمنتُ محكم الكتابِ كتابَ الله ذي المكرماتِ والآلاءِ
 فحقيقٌ عليَّ أن أتلوَ القرَّآنَ فيهنَّ مُضجِي ومَسَائِي

وقال يصفُ التختَ الذي يُضربُ عليه حسابُ الهند :

وقلمٍ مِدادُهُ ترابٌ في صُحُفٍ سُطُورُها حسابٌ
 يكثرُ فيها المحوُّ والإضرابُ من غير أن يسودَ الكتابُ
 حتى يبينَ الحقُّ والصوابُ وليس إعجامٌ ولا إعرابُ

من قوله
 في وصف
 تخت حساب

فيه ولا شكٌ ولا ارتيابُ

وقال يصفُ بركاراً استهداه : (٢)

جدلي ببركارك الذي صنعتُ فيه يدًا قَيْنِهِ (٣) الأعاجيبا
 ملتئمُ الشُعْبَتَيْنِ (٤) معتدلٌ ماشينَ من جانبٍ ولا عِيْبَا
 شخصان في شكلٍ واحدٍ قدرا ورُكْبَا بالعقولِ تركييا
 أشبه شيتين في اشتكاهما (٥) بصاحبٍ لا يزالُ مصحوبا
 أو ثِقَ مَسَارُهُ وَغُيِّبَ عَنْ نواظرِ الذِّبَابِ أَقْدِينَ تَغْيِيْبَا
 فَعَيْنُ مَنْ يَجْتَلِيهِ بِحَسْبِهِ فِي قَالِبِ الإِعْتِدَالِ مَضْبُوبَا
 قد ضَمَّ قُطْرِيَهُ (٦) مُحْكِمَا لَهَا ضَمَّ مُجِيبًا إِلَيْهِ مَحْبُوبَا
 يزداد حِرْصًا عَلَيْهِ مُبْصِرُهُ مَا زَادَهُ بِالْبَنَانِ تَقْلِيْبَا

من قوله
 يصف بركارا

(١) رواية الديوان « غضة غيداء » (٢) هو الرجل

(٣) رواية الديوان « القين » - والقين : الحداد ، أو كل صانع (م)

(٤) رواية الديوان « الشفرتين » (٥) رواية الديوان « اثتلافهما »

(٦) في الديوان « شطريه »

ذوهُ لَمَّةٌ بَصْرَتُهُ مَذْهَبُهُ^(١) لم تَأَلَهُ رِقَّةٌ وَتَمَّ ذَيْبًا
 يَنْظُرُ فِيهَا إِلَى الصَّوَابِ فَمَا بِهَا يَزَالُ الصَّوَابُ مَطْلُوبًا
 لَوْلَا مَا صَبَحَ خَطُّ دَائِرَةٍ^(٢) وَلَا وَجَدْنَا الْحِسَابَ مُحْسُوبًا
 [الْحَقُّ فِيهِ فَإِنْ عَدَلْتُ إِلَى سِوَاهُ كَانَ الْحِسَابُ تَقْرِيبًا]
 لَوْ عَيْنُ إِقْلِيدِسٍ بِهِ بَصُرَتْ خَرَّ لَهُ بِالسُّجُودِ مَكْبُوبًا
 فَابْعَثْهُ وَاجْتَنِبْهُ لِي بِسَطْرَةٍ تُلْفِ الْهُوَى بِالثَّنَاءِ مَجْنُوبًا
 وَقَالَ يَصِفُ بِيكَاتَا^(٣):

من قوله
 يصف بيكاتا

رُوحٌ مِنَ الْمَاءِ فِي جِسْمٍ مِنَ الصُّفْرِ مَوْلَدٌ بِلَطِيفِ الْحِسِّ وَالنَّظْرِ
 مُسْتَعْبِرٌ لَمْ يَغِيبْ عَنْ طَرْفِهِ سَكِينٌ وَلَمْ يَبْتَ مِنْ ذَوِي ضِعْفٍ عَلَى حَذَرٍ
 لَهُ عَلَى الظَّهْرِ أَجْفَانٌ مَحْجَرَةٌ وَمَقَالَةٌ ذَمُّعًا جَارٍ عَلَى قَدَرٍ
 تُنْشَأُ لَهُ حَرَكَاتٌ مِنْ أَسْفَلِهِ كَأَنَّهَا حَرَكَاتُ الْمَاءِ فِي الشَّجَرِ
 وَفِي أَعَالِيهِ حِسَابٌ يُفَصِّلُهُ لِلنَّاطِرِينَ بِلَا ذَهْنٍ وَلَا فِكْرٍ
 إِذَا بَكَى دَارَ فِي أَحْشَائِهِ فَلَكُ خَافِي الْمَسِيرِ وَإِنْ لَمْ يَبْكُ لَمْ يَدُرْ
 مُتَرْجِمٌ عَنْ مَوَاقِيتِ يَخْبُرُنَا بِهَا فَيُوجَدُ فِيهَا صَادِقُ الْخَبْرِ
 تُقْضَى بِهِ الْخَمْسُ فِي وَقْتِ الْوَجُوبِ وَإِنْ غَطَّى عَلَى الشَّمْسِ سِتْرَ النِّيمِ وَالْمَطَرِ
 وَإِنْ سَهَرَتْ لِأَوْقَاتِ تَوَرَّقَنِي عَرَفْتُ مَقْدَارَ مَا أَلْقَى مِنَ السَّهْرِ
 مُحَدِّدٌ كُلَّ مِيقَاتِ تَخْيَرِهِ ذَوُو التَّخْيِيرِ لِلْأَسْفَارِ وَالْحَضَرِ
 وَمُخْرَجٌ لَكَ بِالْأَجْزَاءِ الْطَفْهَاءِ مِنْ النَّهَارِ وَقَوْسُ اللَّيْلِ وَالسَّحَرِ
 نَتِيجَةُ الْعِلْمِ وَالتَّفَكِيرِ صَوْرَتُهُ يَاحْبَبًا أَبْدَعِ الْأَفْكَارَ فِي الصُّورِ

(١) في الأصل : « منسبة » ، والتصحيح عن الديوان .

(٢) في الديوان « شكل دائرة » .

(٣) روى صاحب نهاية الأرب هذه القطعة (١٥٥/١) وذكر أنه يصف فيها

طرجهارة ، وقال : هي من الآلات التي تعرف بها الساعات ، والآيات نفسها تدل على ما قاله النويري (م)

من قوله يصف
اسطرلابا

وقال يصفُ اسطرلابا :

ومستدير كجرم البدر مسطوح
ضُلب يُدارُ على قُطبٍ يثبتهُ
ملءُ البنآن وقد أوفت صفائحهُ
تُلقى به السبعة الأفلاك مُحدقةُ
تُنبيك عن طامح الأبراج هيتهُ
وإن مضت ساعة أو بعض ثانية
وإن تعرض في وقتٍ يُقدره
مميز في قياسات الضلوع به
له على الظهر عينا حكمة بهما
وفي الدواوين من أشكاله حكم
لا يستقل بما فيه بمعرفة
حتى ترى الغيب فيه وهو مُنغلقُ الأبوابِ
تتفتح العقلُ فيها أي تنفتح
إلا الحصيف اللطيف الحس والروح
ذو العقلِ الصحيحات المراجيح
نتيجة الذهن والتفكير صورتهُ

وكان أبو شجاع فناخسرو عضد الدولة قد نكب أبا إسحاق الصابي ،
على تقدمه في الكتابة ، ومكانه في البلاغة ، واستصفى أمواله من غير إيقاع
به في نفسه ، فأهدى إليه في يوم مهرجان اسطرلابا في دور الدرهم ،
وكتب إليه :

أهدى إليك بنو الحاجات واحتشدوا
في مهرجانٍ عظيمٍ أنت تعليةُ
بشعر

(١) الفيح : الواسعة ، جمع أفيح أو فيحاء .

لكنَّ عبدك إبراهيم حين رأى سُمُوَّ قَدْرِكَ عن شيء يُسَامِيهِ
لم يَرْضَ بالأرضِ يُهْدِيهَا إِلَيْكَ ، فقد أَهْدَى لَكَ الفَلَكَ الأَعْلَى بما فيه

[من أوصاف النساء]

وقولُ أبي الفتح : « ملء البنان البيت » نظيرُ قولِ علي
ابن العباس الرومي يصف هَنَ امرأة^(١) :

يَسَعُ السبعة الأقاليم طُرًا وهو في أصبعين من إقليم
كضميرِ الفؤادِ يَلْتَهُمُ الدنيا وتحويه دَفَّتًا حَيْزُوم
وإنما أخذَه ابن الرومي من قول بعض الشعراء يذكر كاتباً
لبيعض الشعراء
يصف القلم
في كَفِّهِ أخرَسُ ذُو مَنْطِقٍ بقافِهِ واللام والميم
شَبْرٌ إذا قيسَ ، ولكنه في فعلِهِ مِثْلُ الأقاليم
مَحْدَفُ الرَّأسِ ومُسْوَدُّهُ كإبرةِ الرَّوقِ من الرِّيمِ^(٢)

وهذا البيت الأخير مقلوب من قول عدى بن الرقاع العاملي ، وقد وصف
قرنَ ريم ، وشبهه بقلم عليه مداد ، وذكر ظبية .

تُرْجِي أغنَّ كأنَّ إبرةَ رَوْقِهِ قلمٌ أصابَ من الدَّوَاةِ مِدَادَهَا
وقلبُ للمعنى إذا تمكن الشاعرُ من إخفائه لا يَجْرِي بَجْرِي السَّرْقَةِ .
وقد ترى كثيرَ الشعراءِ من تشبيه أوراك النسوانِ بالرَّمْلِ والكُثبانِ ،
قال الشاعر :

ويبيضُ نضيراتِ الوجوه كأنما تَأزَّرْنَ دُونَ الأزرِّ مَلَاتِ عالج
خِدَالِ الشَّوَى لا تَحْتَشِي غيرَ خَلْقِهَا إذا الرُّشْحُ لم يَصْبِرَنَّ دُونَ المَنَافِجِ^(٣)
لشاعر يصف
نساء بالعبالة
والسمن

(١) الهن : الفرج . (٢) روق الريم : قرن الظبي .

(٣) خدال الشوى : ممتلئة الأطراف ، والرشح : جمع رسحاء ، وهي قليلة لحم

العجز والفقذيين ، والمنافج : حشايا توضع فوق الأرداف .

يَذَرْنَ مُرُوطَ الْخَزِّ مَلَأَى كَأَنَّهَا قِصَارٌ وَإِنْ طَالَتْ بِأَيْدِي النَّوَاسِحِ
وهذا المعنى متداول متناقل في الجاهلية والإسلام ، فأغرب ذو الرمة في

قلبه وأحسن ، فقال يصف رملا :
ورمل كأوزالك العذاري قطعتهُ وقد جَلَّتْهُ الْمُظْلَمَاتُ الْخَنَادِسُ
وكذلك مدحهم ضُمُورَ الْكَشْحِ ، وجولان الوُشْحِ ، وصُمُوتِ الْقَلْبِ
والخلخال ، وامتناع الخدّام من المَجَالِ ؛ قال خالد بن يزيد بن معاوية ، وذَكَرَ
رملة بنت الزبير بن العوام :

لِحَالِدِ بْنِ يَزِيدٍ
مَعَاوِيَةَ
تَجُولُ خَلَاخِيلُ النِّسَاءِ ، وَلَا أَرَى
أَحِبُّ بَنِي الْعَوَامِ طَرًّا لِحَبَا
لِرَمْلَةَ خَلَخَلَا بِجَوْلٍ وَلَا قَلْبًا^(١)
وَمِنْ أَجْلِهَا أَحْبَبْتُ أَخْوَالَهَا كَلْبًا

وقال النابغة :
للنابغة

عَلَى أَنْ حَجَلَيْهَا وَإِنْ قَلْبٌ أَوْسَعَا
صُمُوتَانِ مِنْ مَلءِ وَقَلَّةِ مَنْطِقِ

وقال الطائي :
لأبي تمام الطائي

مَهَا الْوَحْشِ إِلَّا أَنْ هَاتَا أَوَانِسُ
مِنْ الْهَيْفِ لَوْ أَنَّ الْخَلَاخِيلَ صُيِّرَتْ
قَنَا الْخَطِّ إِلَّا أَنْ تَلَّكَ ذَوَابِلُ
لَهَا وَشُحًّا جَالَتْ عَلَيْهَا الْخَلَاخِيلُ^(٢)

وقال ابن زُرْعَةَ الدمشقي :

اسْتَسَكَمَتْ خَلَخَالَهَا وَمَشَتْ
حَتَّى إِذَا رِيحُ الصَّبَا نَسَمَتْ
تَحْتَ الظَّلَامِ بِهِ فَمَا نَطَقَا
مَلَأَ الْعَبِيرُ بِسِيرِهَا الطُّرُقَا

لابن أبي زُرْعَةَ
الدمشقي

وقال المتنبي :

وَحْضُرٍ تَثُبَّتْ الْأَبْصَارُ فِيهِ
قَابَ هَذَا كُلَّهُ أَبُو عَمَّانِ الْفَاجِمِ ، فَقَالَ يَهْجُو قَيْنَةَ :
كَأَنَّ عَلَيْهِ مِنْ حَدَقِ نِطَاقَا

(١) القلب - بالضم - السوار .
(٢) الوشح - بضمين - جمع وشاح

لأبي عثمان
الناجم

مسولة الكل غَيْرَ بَطْنٍ
حُجُولها - الدهرَ في اضْطِخَابِ
وقال أبو عثمان يمدح قَيْنَةَ :

محسنة في كلِّ أَلْطَانِها
ثم قلبه في هجاء ، فقال :

لمحمد بن مناذر
يهجو خالد بن
طليق

عَجِبْتُ مِنْها وَنَجَّها كَيْفَ لا
وَهذا مأخوذٌ من قول محمد بن مناذر يهجو خالد بن طليق ، وكان قد تقلد
قضاء البصرة :

لمسلم بن الوليد

يا عجباً من خالدٍ كيف لا
كان قضاءُ الناسِ فيما مضى
وهذا أيضاً من قلب الهجاء مديحاً ، والمديح هجاء ؛ كما قال مسلم بن الوليد
يهجو قوما :

للتنبي

قَبَدَتْ مَنَاطِرُهُمْ فَمِنْ خَيْرَتِهِمْ
قَبَدَتْ مَنَاطِرُهُمْ بِقُبْحِ الخَبْرِ الخَبْرِ
قلبه أبو الطيب التنبي فقال :

لأبي تمام

وَأَمْتَكِرُ الأَخْبَارَ قَبْلَ لِقَائِهِ
فَلَمَّا التَّقِينَا صَفَرَ الخَبْرَ الخَبْرُ
وقال أبو تمام :

للبحري

عَباً الكَمِينِ لَهُ فَضْلٌ لِحِينِهِ
وَكِينُهُ الخَفِيُّ عَلَيْهِ كَمِينُ
قلبه البحري فقال :

لأبي تمام

لا ييأس المرء أن ينجيه
ما يحسب الناسُ أنه عَطَبُهُ
وقال أبو تمام :

للبحري

وَحشِيَّةٌ تَرْمِي القلوبَ إِذَا غَدَتْ
وَسَنَى فَمَا تَصْطَادُ غَيْرَ الصَّيْدِ
قلبه البحري فقال :

على أنني أخشى على دارِ أَمْنِها
فوارس يصطاد الفوارسَ صِيدُها

- وقال أبو تمام :
 يُشْنَأُ الْغَيْثُ وَهُوَ جَدُّ حَبِيبٍ رَبِّ حَزْمٍ فِي بِنْفَضَةِ الْمَوْمِقِ
 لآبي تمام
 قلبه البحتري فقال :
- يَسُرُّنِي الشَّيْءُ قَدْ يَسُوءُكُمْ نَوَّةَ يَوْمًا بِخَامِلٍ لِقَبِّهِ
 قال أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر : المعنى في المصراع الأول أُبَيِّنُ مِنْهُ فِي
 الثاني ؛ ألا ترى أنه لو قال : إنه ليسوءك الشيء قد يسر ، كان مثل ذلك المعنى
 مستويا ، إلا أنه قلبه لحاجته .
- قال ابن الرومي يهجو مغنية :
 قِينَةٌ مَلْعُونَةٌ مِنْ أَجْلِهَا رَفَضَ اللَّهُ مَا مَنَ رَفَضَهُ
 فَإِذَا غَنَّتْ تَرَى فِي حَلْقِهَا كَلَّ عِرْقٍ مِثْلَ بَيْتِ الْأَرْضِ
 لابن الرومي
 قلبه ابن المعتز فقال يصف أرضه أكلت له كتابا .
- تَتَنَّى أَنَايِبَ لَهَا فِيهَا سَبَلٌ مِثْلَ الْعُرُوقِ لَا تَرَى فِيهَا خَلَّلَ
 وهذا كثير يُكْتَفَى مِنْهُ بِالْيَسِيرِ .
- [من المعاني مالا ينقلب]
 ومن المعاني مالا ينقلب : ألا ترى أنك تقول : نام القوم حتى كأنهم موى ، ولا يحسن
 أن تقول : ماتوا حتى كأنهم نيام ؛ وقد أخذ على أبي نواس قوله يصف داراً وقف بها :
 كَأَنَّهَا إِذَا خَرَّتْ جَارِمٌ بَيْنَ يَدَيْ تَفْنِيدِهِ مُطْرِقٌ
 بعض ما أخذ
 على أبي نواس
 قالوا : إنما يجب أن يشبه الجارم إذا عدلوه فسكت وانقطعت حجته بالدار
 الخالية التي لا تجيب .
 وأخذوا عليه قوله :
- كَأَنَّ نِيرَانَنَا فِي جَنْبِ حَصْنِهِمْ مَعْصِرَاتٌ عَلَى أَرْسَانِ قَصَارٍ
 وقد تبعه أبو تمام الطائي فقال في الأفيشين لما أحرق :
 مَا زَالَ سَرُّ الْكُفْرِ بَيْنَ ضُلُوعِهِ حَتَّى اضْطَلَى سَرَّ الزَّنَادِ الْوَارِي
 نَارٌ يَسَاوِرُ جَسْمَهُ مِنْ حَرِّهَا لَهَبٌ كَمَا عَصَفَتْ شِقُّ إِزَارِ

طارت له شعلٌ يهدمُ لفتحها
 فصلن منه كلَّ مجمعٍ مفصلٍ
 فعلنَ فاقرةً بكلِّ فقارٍ
 صلي لها حياً، وكان وقودها
 أركانهُ هدمًا بغيرِ غبارٍ
 وكذاك أهلُ النارِ في الدنيا همُ
 نيتاً، ويدخلها مع الكفارِ
 أردت البيت الثاني، قالوا: وإنما تشبه الثيابُ المعصرة بالنار؛ فهذا وما أشبهه
 لا يتوازن انعكاسه، وتتضاد قضاياه؛ وإنما يصح القلبُ فيما يتحقق تضاده أو يتقارب.

قطعة من شعر أهل العصر في ذكر النجوم

لأبي الفتح
 البستي

قال أبو الفتح البستي :
 قد غضّ من أملٍ أنى أرى عملي
 وأنتى راحِلٌ عمّا أحاوله
 أقوى من المشتري في أوّلِ الحِلِ
 كأننى أستدرُّ الحظَّ من زُحَلِ
 وقال :

إذا غدا ملكٌ باللَّهْوِ مشغلاً
 ألم تر الشمس في الميزان هابطةً
 فاحكم على مُلكه بالوَيْلِ والحَرْبِ
 لما غدا برج نجم اللّهُوِ والطَّرَبِ
 وقال :

وقد تُدني الملوكُ لدى رِضاها
 كما المَرِيخُ في التثليث يُعْطى
 وتُبْعِدُ حينَ تَحْتَقِدُ احتقادا
 وفي التريبع يَسْلُبُ ما أفادا
 وقال :

ألا فتقوا بي فإني كما
 فما كوكبي راجعاً في الوفاء
 تمدّحت فليمتحن من يُحبُّ
 ولا بُرجُ قلبِى بالمنقلب^(١)
 وقال :

لئن كسفونا بلا عاتٍ
 فقد يكسف المرء من دونه
 وفازت قِداحهم بالظفرِ
 كما يكسف الشمس جرم القمرِ

(١) في الأصول «ولا برج فبي» بالحاء المهملة، وما أثبتناه موافق لما في تقيمة الدهر (م)

وقال :

شَرَفُ الوَغْدِ بوغد مثله
ودليل الصدقِ فيما قُلْتُهُ
مثل ما فيه بزيفٍ وخللٍ
شرفُ المَرِيخِ في بيت زُحَلِ

وقال :

قل للذي غَرَمْتُهُ عِزَّةً مُلْكِهِ
شرفُ الملوئِثِ بعلومهم وبرايتهم
حتى أَخَلَّ بطاعةِ النَّصحاءِ
وكذلك أوجُ الشمسِ في الجوزاءِ

وقال :

وقد يفسدُ المرءُ بعد الصلاحِ
كما التَّعدُّ يَقْبَلُ طبعِ النحوسِ
فسادُ الأماكنِ ، والشرُّ يُعْدِي
إذا كان في موضعٍ شَرَّ سَعْدِ

وقال :

ما أنسُ ظمآنٍ بماءٍ باردٍ
إلا كأنِّي بكتابٍ واردٍ
من بَعْدِ طولِ العهدِ بالمواردِ
من سيدِ مَحْضِ النَّجَارِ ماجِدِ

* كأنما استملاه من عطارِدِ *

وقال :

يا معشرَ الكتابِ لا تتعرضوا
إن الكواكبِ كُنَّ في أشرافها
لرياسةٍ ، وتصاغروا ، وتخاذموا
إلا عطارِدِ حين صُوِّرَ آدَمُ

وقال :

دعاني إلى بيتِهِ سَيِّدُ
فلازمتُ بيتي ولاطفتُهُ
له أنْخُلِقَ الأشرفُ الأظرفُ
بعذرٍ هو الأظرفُ الأظرفُ
عطارِدُ نَجْمِي ، ولا شكَّ أن
عطارِدَ في بيتِهِ أشرفُ

وقال :

لئن تنقلتُ مِن دَارٍ إلى دَارٍ
فالحَرْحَرُ عَزِيْزُ النفسِ حيثُ ثَوَى
وصيرتُ بعد ثَوَاهِ رَهْنِ أسفارِ
والشمسُ في كلِّ رُجْ ذَاتُ أنوارِ

وقال :

لئن صدع الدهرُ المشتتُ شملنا
فلننجم من بعد الرجوع استقامةً
وللدهرِ حكمٌ للجميعِ عدوِّعٍ
وللشمس من بعد الغروب طلوعٌ

وقال لمحبوس :

حُبِيتَ ومن بعد الكسوفِ تبلِّجُ
فلا تعتقدُ للحبسِ غمًّا ووحشةً
تضيء به الآفاقُ للبدرِ والشمسِ
فأول كونِ المرءِ في أضيقِ الحبسِ

وقال أيضاً :

يامن تولى المشتري تديره
حاشاك أن تنقادَ للمريخِ

وقال :

لا تفزعن من كل شيءٍ مُفزعٍ
وقال يرثي أبا القاسمِ الصاحبِ :

فقدناه لما تمَّ واعتمَّ بالملأ
كذلك كسوفُ البدرِ عند تمامه

لابن درست

وقال أبو سعيد عبد الرحمن بن محمد بن درست لأبي الفضل الميكالي :

إذا ما غاب وجهُ البدرِ عنا
فإن رجعتْ نجومُ السعدِ يوماً
فوجهك عندنا البدرُ المُقيمُ
فوجهك نجمُ سعدٍ مستقيمُ

لمسكويه

وقال مسكويه الخالدي :

لا يعجبناك حسنُ القمرِ تنزله
لو زيدت الشمسُ في أبراجها مائةً
فضيلة الشمس ليست في منازلها
ما زاد ذلك شيئاً في فضائلها

للخوارزمي

وقال أبو بكر الخوارزمي :

رأيتك إن أيسرت خيمنتَ عندنا
فما أنت إلا البدر : إن قلَّ ضوءه
لزاماً ، وإن أعسرت زُرْتَ لماماً
أغيباً ، وإن زاد الضياء أقاماً

للصولي

وهذا كقول إبراهيم بن العباس الصولي في محمد بن عبد الملك الزيات :

أسدُّ ضارٍ إذا مانعتهُ
وأبُّ برٍّ إذا ما قدرا

يعرف الأبعد إن أترى ، ولا
يعرف الأدي إذا ما افتقرا

وقال ابن المعتز :

إذا ما أراد الحاسدون انهدامه بناءً إله غالب العزّ قاهره
 ونذا يريدا الحاسدون من امرىء تزينهم أخلاقه ومآثره
 إذا ما هو استغنى اهتدى لافتقارهم ولا تهتدى يوماً إليهم مفاقره
 وكانوا كرام كوكبا بيضاقبه فردّ عليهم وبّله ومواطره

وهذا البيت كما قال بعض العرب في إحدى الروايات :

رَمَانِي بِأَمْرٍ كُنْتُ مِنْهُ وَوَالِدِي بَرِيًّا وَمِنْ جَالِ الطَّوِيِّ رَمَانِي
 الجَوْل والجَال : الناحية ، والطوي : البئر ؛ يريد رماني بما عاد عليه ، والرواية
 المشهورة : ومن أجل الطوي ، فعلى هذا تسقط المناسبة بينه وبين قول ابن المعتز .

[الأصمعي وبعض الأعراب]

قال بعض الرواة : كنا مع أبي نصر راوية الأصمعي في رياض من المذاكرة
 نَجْتَنِي ثَمَارَهَا ، وَنَجْتَلِي أَنْوَارَهَا ، إِلَى أَنْ أَفْضْنَا فِي ذِكْرِ أَبِي سَعِيدِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ
 قُرَيْبِ الْأَصْمَعِيِّ ؛ قَالَ : رَحِمَ اللَّهُ الْأَصْمَعِيَّ ! إِنَّهُ لَمَعْدِنُ حِكْمٍ ، وَبَحْرُ عِلْمٍ ،
 غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَرْقُطْ مِثْلَ أَعْرَابِي وَقَفَ بِنَافِئِهِ ، فَقَالَ : أَيُّكُمْ الْأَصْمَعِيُّ ؟ فَقَالَ :
 أَنَا ذَاكَ ، فَقَالَ : أَتَأْذِنُونَ بِالْجُلُوسِ ؟ فَأَذِنَّا لَهُ ، وَعَجَبْنَا مِنْ حُسْنِ أَدَبِهِ مَعَ جَفَاءِ
 أَدَبِ الْأَعْرَابِ .

قال : يا أصمعي ، أنت الذي يزعم هؤلاء النفر أنك أثقبتهم معرفة بالشعر
 والعربية ، وحكايات الأعراب ؟ قال الأصمعي : فيهم من هو أعلم مني ، ومن
 هو دوني ، قال : تنشدوني من بعض شعر أهل الحضرة حتى أقيسه على شعر
 أصحابنا ؟ فأنشده شعراً لرجل امتدح به مسleme بن عبد الملك :

أَمْسَلَمَ أَنْتَ الْبَحْرُ إِنْ جَاءَ وَارِدٌ وَلَيْثٌ إِذَا مَا الْحَرْبُ طَارَ عُقَابُهَا
 وَأَنْتَ كَسِيفُ الْهِنْدِ وَإِنِّي إِنْ غَدَتِ حَوَادِثٌ مِنْ حَرْبٍ يَعْبُ عُجَابُهَا
 وَمَا خَلَقْتَ أَكْرَمَةَ فِإِسْرَىءِءِءِ وَلَا غَايَةَ إِلَّا إِلَيْكَ مَا بَهَا

كَأَنَّكَ دِيَّانٌ عَلَيْهَا مُوَكَّلٌ بها، وعلى كَفَيْكَ يَجْرِي عِصَابُهَا
إِلَيْكَ رَحَلْنَا الْعَيْسَ إِذْ لَمْ نَجِدْهَا أَمَا ثِقَةٌ يُرْجَى لَدَيْهِ ثَوَابُهَا

قال : فتبسم الأعرابي ، وهز رأسه ، فظننا أن ذلك لاستخسانه الشعر ، ثم قال : يا أصمعي ؛ هذا شعر مهلهل خلق النسيج ، خطوه أكثر من صوابه ، يغطي عيوبه حسن الروي ، ورواية المنشد ؛ يشبهون الملك إذا امتدح بالأسد ، والأسد أبخر شتيم المنظر^(١) ، وورما طرده شير ذيمة من إماننا ، وتلاعب به صبياننا ، ويشبهونه بالبحر ، والبحر صعب على من ركب ، مر على من شربه ، وبالسيف وربما خان في الحقيقة ، ونبا عند الضريبة ! ألا أنشدتني كما قال صبي من حيننا ؟
قال الأصمعي : وماذا قال صاحبكم ؟ فأنشده :

إِذَا سَأَلْتَ الْوَرَى عَنْ كُلِّ مَكْرَمَةٍ لَمْ يُعْزَ إِكْرَامُهَا إِلَّا إِلَى الْهَوْلِ
فَتَى جَوَادٌ أَذَابَ الْمَالَ نَائِلُهُ فَالنَّيْلُ يُشْكُرُ مِنْهُ كَثْرَةُ النَّيْلِ
الْمَوْتُ يَكْرَهُ أَنْ يَلْقَى مَنِيَّتَهُ فِي كَرِهِ عِنْدَ لَفِّ الْخَيْلِ بِالْخَيْلِ
وَزَا حَمِ السَّمْسِ أَبْقَى الشَّمْسَ كَاسِفَةً أَوْ زَا حَمِ الصَّمِّ أَجْلَاهَا إِلَى الْمَيْلِ
أَمْضَى مِنَ النَّجْمِ إِنْ نَابَتْهُ نَائِبَةٌ وَعِنْدَ أَعْدَائِهِ أَجْرَى مِنَ السَّيْلِ
لَا يَسْتَرِيحُ إِلَى الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا وَلَا تَرَاهُ إِلَيْهَا سَاحِبَ الدَّيْلِ
يَقْصُرُ الْمَجْدُ عَنْهُ فِي مَكَارِمِهِ كَمَا يَقْصُرُ عَنْ أَعْمَالِهِ قَوْلِي !

قال أبو نصر : فأبهتتنا والله ما سمعنا من قوله ، قال : فتأني الأعرابي ، ثم قال للأصمعي : ألا تنشدني شعراً ترتاح إليه النفس ، ويسكن إليه القلب ؟
فأنشده لابن الرقاع العاملي :

وَنَاعِمَةٌ تَجْلُو بَعْدَ أَرَاكَةِ مُؤَشِّرَةٌ يَسْبِي الْمَعَانِقَ طَيْبُهَا
كَأَنَّ بِهَا خِمْراً بِمَاءِ غَمَامَةٍ إِذَا ارْتَشِفَتْ بَعْدَ الرِّقَادِ غُرُوبُهَا
أَرَاكَ إِلَى تَجْدِ تَحِينٌ ، وَإِنَّمَا مَنَى كُلُّ نَفْسٍ حَيْثُ كَانَ حَبِيبُهَا

(١) شتيم المنظر : كريبه .

فتبسم الأعرابي وقال : يا أصمعي ، ما هذا بدون الأول ، ولا فوقه ،
 ألا أنشدتني كما قلت ؟ قال الأصمعي : وما قلت ؟ جعلت فداك ! فأنشده :

تَعَلَّقْتُهَا بِكَرًّا ، وَعُلِّقْتُ حَبَّهَا قَلْبِي عَنْ كُلِّ الْوَرَى فَارِغٌ بِكَرٍّ
 إِذَا احْتَجَبَتْ لَمْ يَكْفِكَ الْبَدْرُ ضَوْءُهَا وَتَكْفِيكَ ضَوْءُ الْبَدْرِ إِنْ حُجِبَ الْبَدْرُ
 وَمَا الصَّبْرُ عِنْدَهَا ، إِنْ صَبَرْتَ ، وَجَدْتَهُ جَمِيلًا ، وَهَلْ فِي مِثْلِهَا يَحْسُنُ الصَّبْرُ ؟
 [وَحَسْبُكَ مِنْ خَمْرِ يَفُوتُكَ رَيْقُهَا وَوَاللَّهِ مَا مِنْ رَيْقِهَا حَسْبُكَ الْخَمْرُ]
 وَلَوْ أَنَّ جِلْدَ الذَّرِّ لَامَسَ جِلْدَهَا لَكَانَ لِمَسِّ الذَّرِّ فِي جِلْدِهَا أَثْرٌ
 وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لِلْبَدْرِ ضِدًّا جَمَالُهَا وَتَفَضُّلُهُ فِي حُسْنِهَا لَصَفَا الْبَدْرُ

قال أبو نصر : قال لنا الأصمعي : اكتبوا ما سمعتم ولو بأطراف المدى في

رِقَاقِ الْأَكْبَادِ ! .

قال : وأقام عندنا شهراً ، فجمع له الأصمعي خمسمائة دينار ، وكان يتعاهدنا

في الحين بعد الحين ، حتى مات الأصمعي وتفرق أصحابنا !

فَقَرُّ مِنْ كَلَامِ الْأَعْرَابِ فِي ضُرُوبٍ مُخْتَلِفَةٍ .

قال الجاحظ : ليس في الأرض كلامٌ هو أمتع ، ولا أنفع ، ولا أتنقُ ،

ولا أئذ في الأسماع ، ولا أشد اتصالاً بالعقول السليمة ، ولا أفتق للسان ،

ولا أجود تقويماً للبيان ، من طول استماع حديث الأرباب العقلاء الفصحاء .

قال ابن المقفع ، وقد جرى ذكرُ الشعرِ وفضيلته : أي حكمة تكون أبلغ ،

أو أحسن ، أو أغرب ، أو أعجب ، من غلام بدوي لم ير ريفاً ، ولم يشبع من

طعام ؛ يستوحش من الكلام ، ويفزع من البشر ، ويأوي إلى القفر واليرابيع

والظباء ، وقد خالط الغيلان ، وأنس بالجان ؛ فإذا قال الشعر وصف ما لم يره ،

ولم يفتدَّ به^(١) ولم يعرفه ، ثم يذكر محاسن الأخلاق ومساوئها ، ويمدح ويهجو ،
ويدم ويعاتب ، ويشتب ويقول ما يكتبُ عنه ، ويروي له ، ويبقى عليه .

وقال بعض الأعراب :

وإني لأهدى بالأوانس كالدُّمى وإني بأطراف القنأ للقب^(٢)

وإني على ما كان من عنجُهتِي ولوثة أعرابيتي لأدرب^(٣)

كأنَّ الأدبَ غريبٌ من الأعراب ، فافتخر بما عنده منه .

وقال الطائي في فطنتهم ، يستعطف مالك بن طوق على قومه بني تغلب :

لأرقه الحضر اللطيف غَدَّتْهُمُ وتباعدوا عن فطنة الأعرابِ

فإذا كَشَفْتَهُمْ وَجَدْتَ لَدَيْهِمْ كَرَمَ النفوسِ وقلة الآدابِ

ووصف أعرابي رجلا فقال : هو أطهرُ من الماء ، وأرقُ طباعا من الهواء ،

وأَمْضَى من السيل ، وأهدى من النجم .

ووصف أعرابي رجلا فقال : ذاك والله من ينفع سِلَهه ، ويتوَصَّفُ حِلَهه ،

ولا يَسْتَمِرُّ ظِلَهه .

وقال أعرابي : جلستُ إلى قومٍ من أهل بغداد فما رأيتُ أرجحَ من

أحلامهم ، ولا أطيشَ من أقلامهم .

وذكر أعرابي من بني كلاب رجلا فقال : كان واللهِ العهمُ منه ذا أذنين ،

والجواب ذا لسانين ؛ ولم أرَ أحداً أرْتَقَ لخللِ رأْيِ ، ولا ابعُدَ مسافةً رويةً ،

ومرآدَ طرفٍ منه ؛ إنما كان يرمى بهيمته حيث أشار إليه الكرم ، وما زال

يتحسَّى مرارةَ أخلاقِ الإخوان ، ويسقيهم عذوبةَ أخلاقه .

وذكر أعرابي رجلا فقال : والله لكانَ القلوبَ والألسنَ رِيضَتَ له ،

فما تُعقَدُ إلا على وُدِّه ، ولا تنطق إلا بحمده .

(١) في طبعة بولاق «ولم يعهده» . (٢) لأهدى: لأعرف ، أى أشد معرفة (م)

(٣) العنجية واللثة : الكبر والحق .

وقال أعرابي : أفتحُ أعمالَ المقتدرين الانقضاء ، وما استنبط الصوابُ بمثل
المشاورة ، ولا اكتسبت البغضاء بمثل الكبر .

قال الأصمعي : وخطبنا أعرابي بالبادية ، فقال : أيها الناس : إن الدنيا دارُ
مفترٍ ، والآخرة دار مقرّ ؛ فخذوا من مفترِّكم لمقرِّكم ، ولا تهتكوا أستاركم عند
من لا تخفى عليه أسراركم .

قال المعافر بن نعيم : وقفتُ أنا ومعبد بن طوق العنبري على مجلس لبني
العنبري ، وأنا على ناقه وهو على حمار ، فقاموا فبدهوني فسَلَّمُوا عليّ ؛ ثم انكفئوا
على معبد ، فقبض يده عنهم ؛ وقال : لا ، ولا كرامة ! بدأتم بالصغير قبل
الكبير ، وبالمولي قبل العربي ، وبالْمُفْجَم قبل الشاعر ، فأسكت القوم ، فأنبرى
إليه غلام ، فقال : بدأنا بالكاتب قبل الأُمي ، وبالْمُهَاجِر قبل الأعرابي ،
وبراكبِ الراحلة قبل راكبِ الحمار .

ووصف أعرابي قومه فقال : لِيُوثُ حَرْبٍ ، وَغِيوثُ جَدْبٍ ، إن قاتلوا
أَبْلَوْا ، وإنْ بذلوا أَغْنَوْا .

ووصف أعرابي قوماً فقال : إذا اصطَفُوا سَفَرَتْ بينهم السهام ، وإذا
تصافَحُوا بالسيوف فَفَرَقَهُ الحِمَامُ .

وسئل أعرابيٌّ عن صديق له ، فقال : صَفِرَتْ عِيَابُ الوَدِّ بيني وبينه بعد
امتلائها^(١) ، واكفهرت وجوهٌ كانت بمائها .

وقال الأصمعي : وسمعت أعرابياً يقول : إنَّ الأمالَ قَطَعَتْ أعناقَ الرجالِ ،
كالسرَابِ غَرَّ مَنْ رآه ، وأخلف من رَجَاهُ ، وَمَنْ كان الليلُ والنهارُ مَطِيئَتَهُ
أمرعا السير والبلوغ به .

والمرءُ يفرح بالأيامِ يقطعها وكلُّ يومٍ مضى يدني من الاجلِ

(١) صفرت : خلت .

وذكر أعرابي مصيبة نأتمه ، فقال : إنها والله مضية جعلت سود الرؤوس
بيضا ، وبيض الوجوه سودا ، وهوت المصاب ، وشيبت الذرائب .

وهذا كقول عبدالله بن الزبير الأسدي :

رَمَى الحِدْثَانُ نِسْوَةَ آلِ حَرْبٍ بمقدار سمدن له سُمُوداً^(١)

فردَّ شعورهنَّ الشُّودَ بيضاً وردَّ وجوههنَّ البيضَ سُوداً

وإنك لو رأيت بكاءَ هِنْدٍ ورملةً إذ تصكَّانِ الحُدُوداً

بَكَيْتَ بُكَاءَ مَعْوَلِ حَزِينٍ أصابَ الدهرُ واحداً الفقيداً^(٢)

ونظيرُ هذا التطابق بين السواد والبياض ، وإن لم يكن من هذا المعنى ، قولُ

ابن الرومي :

يا بياضَ المشيبِ سوَّدتَ وَجْهِي عند بياضِ الوجوهِ سودِ القرونِ

فلمعرتي لأخفينك جهدي عن عياني وعن عيانِ العيونِ

ولعمري لأمنعك أن تضحك في رأسِ آسفٍ محزونِ

بسوادٍ فيه ايضاضٌ لوجهي وسوادٌ أوجهك الملعونِ

سأل أعرابيان رجلاً ، فخرهما ، فقال أحدهما لصاحبه : نزلت والله نوادٍ غير

مطور ، وأتيت رجلاً بك غير مسروز ، فلم تدرك ماسأت ، ولا نلت ما أملت ؛

فارتحل بندم ، أو أقم على عدم .

قال الأصمعي : وسمعت أعرابياً يقول : غفلنا ولم يغفل الدهرُ عنا ، فلم نتعظ

بغيرنا حتى وعظ غيرنا بنا ، فقد أدركت السعادة من تبه ، وأدركت الشقاوة

من غفل ، وكفى بالتجربة واعظاً

وقال أعرابي لرجل : أشكر للنعم عليك ، وأنعم على الشاكر لك ،

تستوجب من ربك زيادته ، ومن أخيك مناصحته .

(١) سمدن له : تلوت له رؤوسهن - وسمد : قام متحيراً (م) .

(٢) رواية الحماسة « رأيت بكاء معولة حزين » (م)

ومدح أعرابي رجلاً فقال : ذلك والله فسيحُ الأدب ، مُستخكم السبب ،
من أي أقطاره أتيتهُ تُثنى عليه بكرمِ فعال ، وحسنِ مقال .

وذم أعرابي رجلاً فقال : أفسد آخرته بصلاح دُنياه ، ففارق ما أضحى غيرَ
راجعٍ إليه ، وقدم على ما أفسد غيرَ منتقلٍ عنه ، ولو صدق رجلٌ نفسه ما كذبتهُ ،
ولو ألقى زمامه أو طأه راحلته .

وقال أعرابي : خرجت حين انحدرت أيدي النجوم ، وشألت أرجلها ، فما
زلت أصدع الليل حتى انصدع الفجر .

وقال أعرابي :

وقد تعاللت ذمياً لـ العنسِ بالسَّوطِ في دَيْمومة كالترسِ^(١)

إذ عرَّج الليلُ برُوجِ الشمسِ

ومن مליح الاستعارة في نحو هذا قولُ الحسن بن وهب : شربت البارحة
على وجهِ الجوزاء ؛ فلما اتبته الفجرُ نمت ، فماعتلت حتى حلفني قبيصُ الشمسِ .
وقال أعرابي لصاحبه في شيء ذكره : قل إن شاء الله ، فإنها ترضي الربَّ ،
وتسخط الشيطان ، وتذهب الحنث^(٢) ، وتقضي الحاجة .

وروى العتبيُّ عن أبيه قال : سمعت أعرابياً يقول لأخيه في معاتبة جرت بينهما :
أما والله لربَّ يوم كنتنور الطاهي ، رقاص بالحمامة ، قد رميتُ نفسي في أجيج
سُموميه ، أحتيلُ منه ما أكره لما أحب .

قال أبو العباس محمد بن يزيد : وأحسب العتبيُّ صنع هذا الكلام ، وأخذه
من قول بشار :

ويوم كنتنور الإمام سجرتهُ وأوقدن فيه الجزل حتى تضرَّما

رميتُ بنفسي في أجيج سُموميه وبالعين حتى بض منخرها دماً

(١) تعاللت : أعطيت أقصى ما عندك من السير ، والديمومة : الصحراء الواسعة
البعيدة الأطراف (م) .

(٢) يعني أنك إذا حلفت وقلت « إن شاء الله » ثم لم تفعل ما حلفت عليه لم يحنث (م)

أخذ هذا المعنى بعض أصحاب أبي العباس ثعلب فقال يهجو المبرد :

ويوم كنتور الطهارة سَجَرْتُهُ على أنه منه أحرُّ وأوقدُ

ظلت به عند المبردِ جالساً فما زلت في الفاظه أتبردُ

قال الأصمعي : حجَّت أعرابيةٌ ومعاينٌ لها ، فأصيبت به ، فلما دُفِن قامت على قبره ، وهي مَوْجَعَةٌ فقالت : والله يا بنى لقد غَدَوْتُكَ رضيعاً ، وقد تُكَّ سريعا ، وكأنه لم يكن بين الحالين مدةٌ ألتذُّ بعيشك فيها ، فأصبحت بعد النَّصَارَةِ والنَّصَارَةُ وروث الحياة والتشم في طيب روائحها ، تحت أطباق الثرى جسداً هامداً ، ورُفَاتَا سحيقاً ، وصعيداً جُرْزاً ؛ أى بنى ! لقد سَحَبْتَ الدنيا عليك أذيال الفناء ، وأسكنتك دارَ البلى ، ورميتني بعدك نكبةً الرَّدَى ، أى بنى ! لقد أسفر لي وجه الدنيا عن صباح دَاجٍ ظلامه .

ثم قالت : أى ربِّ ومنك العدل ، ومن خَلَقِكَ الجور ، وهبته لي قُرَّةَ عين ، فلم تُمَتِّتني به كثيراً ، بل سَابَتْنِيهِ وَشِيكَأ ؛ ثم أمرتني بالصبر ، ووَعَدْتَنِي عليه الأجر ، فصدقت وَعْدَكَ ، ورضيت قضاءك ، فرحم الله من ترحم على من استودعته الرَّدَمَ ، ووَسَّدْتُهُ الثرى ؛ اللهم ارحم غربته ، وآسِنْ وَخَشْتَهُ ، واسترْ عَوْرَتَهُ ، يوم تُكشَفُ الهنات والسَّوآت .

فلما أرادت الرجوعَ إلى أهلها وقفت على قبره ، فقالت ! أى بنى ! إني قد تزوَّدت لسفري ، فليت شعري ما زادك لبُعدِ طريقك ، ويوم معادك ؟ اللهم إني أسألك له الرضا برضائى عنه . ثم قالت : استودعْتُكَ مَنْ استودعَ عَيْنِكَ فى أَحْسَائِي جَنِيناً ؛ وأثكلَ الوالدات ! ما أمضَ حرارةَ قلوبهن ، وأقلقَ مضاجعهن ، وأطولَ لياهن ، وأقصرَ نهارهن ، وأقلَّ أنسهن ، وأشدَّ وحشهن ، وأبعدهن من السرور ، وأقربهن من الأحزان .

لم تزل تقولُ هدا ونحوه حتى أبكت كلَّ مَنْ سمعها . وحمدت الله عز وجل واسترجعت وصلت ركعات عند قبره وانطلقت .

وأُشِدُّ الْفَضْلُ الضَّبِيَّ لَامْرَأَةٍ مِنَ الْعَرَبِ تَرَى ابْنًا لَهَا :

يَا عَمْرُو، إِلَى عِنَاكَ مِنْ صَبْرِ
لِلَّهِ يَا عَمْرُو، وَأَيُّ فِئْتِي
أَسْتَوِي التَّرَابَ عَلَى مَفَازِهِ
حِينَ اسْتَوَى وَعَلَا الشَّبَابُ بِهِ
وَرَجَا أَقَارِبُهُ مَنَافِعُهُ
وَأَهْمَهُ كَهْمِي فَسَاوَرَهُ
تَغْدُو بِهِ شِقْرَاءَ سَامِيَةٍ
ثَبَتَ الْجَنَانَ بِهِ، وَيَقْدِمُهَا
رَبِّيْتَهُ دَهْرًا أَفْتَقَهُ
حَتَّى إِذَا التَّامِيلُ أَمَكْنِي
وَجَعَلْتُ مِنْ شَغْفِي أَفْقَاهُ
أَدَعَ الْمَزَارِعَ وَالْحِصُونَ بِهِ
مَا زِلْتُ أَضْعِدُهُ وَأُحْدِرُهُ
هَرَبًا بِهِ وَالْمَوْتَ يُطَلِّبُهُ
حَتَّى دَفَعْتُ بِهِ لِمَضْرَعِهِ
مَا كَانَ إِلَّا أَنْ هَجَعْتُ لَهُ
وَرَمَى الْكَرَى رَأْسِي وَمَالَ بِهِ

يَا عَمْرُو يَا أَسْنَى عَلَى عَمْرُو .
كَفَنْتَ يَوْمَ وَضِعْتَ فِي الْقَبْرِ :
وَعَلَى غَضَارَةِ وَجْهِ النَّصْرِ^(١)
وَبَدَا مُنِيرَ الْوَجْهِ كَالْبَدْرِ
وَرَأَوْا شِمَائِلَ سَيْدِ عَمْرِ^(٢)
وَعَدَا مَعَ الْغَادِينَ فِي السَّفْرِ
مَرَطَى الْجِرَاءِ شَدِيدَةُ الْأَمْرِ^(٣)
فَلَجَّ يِقْلَبُ مُقْلَقِي صَقْرِ^(٤)
فِي الْيُسْرِ أُغْدُوهُ فِي الْعُسْرِ
فِيهِ قَبِيلَ تَلَاخُوقِ الثَّغْرِ
فِي الْأَرْضِ بَيْنَ تَنَائِفِ غَبْرِ^(٥)
وَأَحِلَّهُ فِي الْمَهْمَةِ الْقَفْرِ
مِنْ قَتْرٍ مَوْمَاءٍ إِلَى قَتْرِ^(٦)
حَيْثُ انْتَوَيْتُ بِهِ وَلَا أُدْرِي^(٧)
سَوَاقَ الْمَعِيزِ تُسَاقُ لِلْعَثْرِ^(٨)
وَرَمَى فَاغْنَى مَطْلَعِ الْفَجْرِ
رَمْسٌ يُسَاوِرُ مِنْهُ كَالشُّكْرِ

- (١) الفارق : مواضع فرق الشعر من الرأس . (٢) غمر : جزيل العطاء .
(٣) مرطى : سريعة ، والأسر : القوة . (٤) فلج : حليف النصر .
(٥) التنايف : جمع تنوفة ، وهي الصحراء - والغبر : جمع غبراء ، وأراد المظلمة (م)
(٦) القتر : بالضم : الجانب . (٧) انتويت : قصدت .
(٨) عثر : اسم نبات أو شجر صغير - لا . بل العثر هنا الذبيح (م)

إذ راعى صوت هيبته به
 وإذا منيته تساوره
 وإذا له علق وحشرجة
 والموت يقبضه ويبسطه
 فدعاً لأنصره وكنت له
 فجزت عنه وهي زاهقة
 فمضى وأى فتى فجعت به
 لو قيل تفديه بذلت له
 أو كنت مقتدرأ على عمري
 قد كنت ذا فقر له ، فدعاً
 لو شاء ربى كان متعنى
 بُنيت عليك بُنى ، أحوج ما
 لا يبعدنك الله يا عمري
 هذى سبيل الناس كلهم
 أولاً ترام فى ديارهم
 والموت يُوردهم مواردهم

وقال أعرابى يمدح رجلاً :

يمدُّ نجادَ السيفِ حتى كأنه
 ويدلجُ فى حاجاتِ مَنْ هو نائمٌ
 إذا اعتمَ بالبردِ اليماني حسبته
 يزيدُ على فضلِ الرجالِ فضيلةً
 بأعلى سنامي فإلج يتطوح
 ويورى كريماتِ الندى حين يقدح
 هلالاً بدأ فى جانب الأفق يلمع
 ويقصر عنه مدحُ مَنْ يتمدح

وأُشِدُّ ابْنَ أَبِي طَاهِرٍ لِأَعْرَابِي :

وَقَبْلِي أَبْكِي كُلَّ مَنْ كَانَ ذَاهُوِي
وَهَنَّ عَلَى الْأَطْلَالِ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
مُزَبَّرَجَةِ الْأَعْنَاقِ نَمْرٌ ظَهْرُهَا
تَرَى طَرُزًا بَيْنَ الْخَوَافِي كَأَنَّهَا
وَمِنْ قَطْعِ الْيَاقُوتِ صَيِّغَتَ عُيُونِهَا
وَمِنْ جِيدِ مَا قِيلَ فِي الْحَمَامِ قَوْلُ ابْنِ الرَّومِي :

وَقَفْتُ بِمِطْرَابِ الْعَشِيَّاتِ وَالضُّحَى
حَلِيفَةَ شَجْوِ هَاجٍ مَابِي وَمَا بَهَا
فَبَاحَ بِهِ فَوْهَا وَأَخْفَتَهُ عَيْنُهَا
وَدَخَلَ أَعْرَابِي عَلَى الرَّشِيدِ ، فَأَنْشَدَهُ أَرْجُوزَةً مَدَحَهُ بِهَا ، وَإِسْمَاعِيلُ بْنُ صَبِيحٍ
يَكْتُبُ كِتَابًا بَيْنَ يَدَيْهِ - وَكَانَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خَطًّا ، وَأَسْرَعَهُمْ يَدًا - قَالَ
الرَّشِيدُ لِلْأَعْرَابِي : صَفِّ الْكَاتِبَ فَقَالَ :

رَقِيقُ حَوَاشِي الْعِلْمِ حِينَ تَبُورُهُ
لَهُ قَلَمًا بُوْسَى وَنَعْمَى كَلَامَا
يُنَاجِيكَ عَمَّا فِي ضَمِيرِكَ خَطُّهُ
يُرِيكَ الْهُوَيْنَا وَالْأُمُورُ تَطِيرُ (١)

فَقَالَ الرَّشِيدُ : قَدْ وَجِبَ لَكَ يَا أَعْرَابِي عَلَيْهِ حَقٌّ ، كَمَا وَجِبَ لَكَ عَلَيْنَا
يَا غِلَامُ ؛ اذْفَعْ لَهُ دِيَّةَ الْحُرِّ ، فَقَالَ إِسْمَاعِيلُ : وَعَلَى عَبْدِكَ دِيَّةَ الْعَبْدِ .

وَقَالَ أَعْرَابِي مِنْ بَنِي عَقِيلِ :

أَحْنُ إِلَى أَرْضِ الْحِجَازِ ، وَحَاجَتِي
وَمَا نَظَرِي نَحْوَ الْحِجَازِ بِنَافِعِي
خِيَامٌ بِنَجْدٍ دُونَهَا الطَّرْفُ يَقْصُرُ
فَتِيلًا ، وَلَسْكَنِي عَلَى ذَاكَ أَنْظُرُ

(١) البلاقع : جمع بلقع ، وهي الخالية التي لا أنيس بها (م)

(٢) تبوره ، تختبره وتبلوه (م) .

أنى كلُّ يومَ نَظْرَةٌ ثمَّ غِبْرَةٌ
متى يسترِجُ القلبُ إمَّا مجاورٌ
وقال أعرابي :

وإني لأغضى مقلتي على القدي
وإني لأدعو الله والأمرُ ضيقٌ
وكم من فتى ضاقت عليه وجوهه
وقال آخر :

ذَكَرْتُكَ ذِكْرِي هَانِمٍ بِكَ تَنْتَهِي
وَلَيْسَتْ بِذِكْرِي سَاعَةٌ بَعْدَ سَاعَةٍ
وقال آخر :

أرَيْتُكَ إِنْ شَطَّتْ بِكَ الْعَامَ نِيَّةٌ
أَتَرَعَيْنَ مَا اسْتُودِعْتَ أَمْ أَنْتَ كَالَّذِي
أَلَا إِنْ حَسِيًّا دُونَهُ قَلَّةُ الْحَيَى

أخذتُ أزدُ العتيك شاعراً من قيس بن ثعلبة اسمه المذل في ديم، فأتاه
البيهس بن ربيعة فحمله، وأمره أن ينجو بنفسه، وأسلم نفسه مكانه، فقال له
المذل : أخيرك بين أن أمدحك أو أمدح قومك ؛ فاختار مدح قومه فقال :

جزى الله فتيان العتيك، وإن نأتُ بي الدارُ عنهم، خيرَ ما كان جازياً
هم خلطوني بالنفوس وأحسنوا الصحابة لما حُمَّ ما كان آتياً
متاعهم فوضى فضا في رحالهم ولا مُحسِنون الشرَّ إلاَّ تبادياً
كان دنائيراً على قسَماتهم إذا الموتُ في الأبطال كان تحامياً

وذكرت الرواة أن المهلب بن أبي صفرة عرض جندَه بخراسان، فعرض جيش

(١) الحسى - بالفتح - السهل فيه ماء قليل، والشرائع : جمع شريعة، وهى

مكان ورود الماء (م)

بكر بن وائل، فربه المذلل فقال : هذا المذلل القيسي الذي يقول ، وأنشد الأبيات ،
 فقالوا: أيها الأمير ؛ احسبه علينا ، فانطلق مائة منهم ، فجاءوا بمائة وصيف ووصيفة ،
 فقالوا : أعطه هذا وليعذرنا .

قوله « كَأَنَّ دَنَانِيرًا عَلَى قَسَمَاتِهِمْ » نظير قول أبي العباس الأعمى :
 لَيْتَ شِعْرِي مِنْ أَيْنَ رَائِحَةِ الْمَسْكَ وَمَا مِنْ إِخَالٍ بِالْخَيْفِ إِنْ سَى ؟
 حِينَ غَابَتْ بِنُوَامِيَةَ عَنْهُ وَالْبِهَالِيلُ مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ
 خُطْبَاءَ عَلَى الْمَنَابِرِ ، فَرُسًا نَّ عَلَيْهَا ، وَقَالَ غَيْرُ خُرْسٍ
 فِي حُلُومٍ إِذَا الْحُلُومُ اسْتَفْرَزَتْ . وَوَجُوهٌ مِثْلُ الدَّنَانِيرِ مُلْسٍ .
 [بَعْضُ أَخْبَارِ أَبِي نَوَاسٍ] .

المأمون يعير
 أخاه الأمين
 بصحبة أبي
 نواس

ولما خلع المأمون أخاه محمد بن زبيدة ووجه بطاهر بن الحسين لمحاربه ، كان
 يعمل كتباً بعبوب أخيه تُقرأ على المنابر بخراسان ؛ فكان مما عابه به أن قال : إنه
 استخلص رجلاً شاعراً ماجناً كافراً ، يقال له الحسن بن هاني ، واستخلصه ليشرَبَ
 معه الخمر ، ويرتكب المآثم ، ويهتك المحارم ، وهو الذي يقول :
 أَلَا فَاسَقَنِي خَمْرًا وَقُلْ لِي هِيَ الْخَمْرُ وَلَا تَسْقِنِي سِرًّا إِذَا أَمَكَنَّ الْجَهْرُ
 وَبُحْ بِاسْمِ مَنْ تَهْوَى وَدَعْنِي عَنِ الْكُنَى فَلَا خَيْرَ فِي اللَّذَاتِ مِنْ دُونِهَا سِقْرُ
 ويذكر أهل العراق فيقول : أهل فسوق وخمر ، وماخور وفجور ؛ ويقوم
 رجل بين يديه فينشد أشعار أبي نواس في الجون ؛ فاتصل ذلك بابن زبيدة ؛
 فنهى الحسن عن الخمر ، وحسبه ابن أبي الفضل بن الربيع ؛ ثم كلمه فيه الفضل ،
 فأخرجه بعد أن أخذ عليه ألا يشرب خمرًا ، ولا يقول فيها شعرا ، فقال :

مَا مِنْ بَدِيٍّ فِي النَّاسِ وَاحِدَةٍ كَيْدِ أَمْرِ الْعَبَّاسِ مَوْلَاهَا
 نَامَ الثَّقَاتِ عَلَى مَضَاجِعِهِمْ وَسَرَى إِلَى نَفْسِي فَأَحْيَاهَا
 قَدْ كُنْتُ خَفْنُكَ ، ثُمَّ آمَنْتِي مِنْ أَنْ أَخَافُكَ ، خَوْفُكَ اللَّهُ
 فَعَفَوْتَ عَنِّي عَفْوًا مَقْتَدِرٍ وَجَبَّتْ لَهُ نَقْمٌ فَأَلْفَاهَا

ومن قوله في ترك الشراب :

أَيْهَاءَ الرَّائِحَانِ بِاللَّوْمِ لَوْ مَا
نَأْتِي بِاللَّامِ فِيهَا إِمَامٌ
فَاصْرِفَاها إِلَى سِوَايَ : فَإِنِّي
جُلُّ حَظِي مِنْهَا إِذَا هِيَ دَارَتْ
فَكَأَنِّي وَمَا أُزِينُ مِنْهَا
[كَلَّ عَنْ تَحْمِيلِ السَّلَاحِ إِلَى الْحَرِّ
بِ فَأوصى المطبق ألا يقبأ]

القمعية : فرقة من الخوارج ، يأمرون بالخروج ولا يخرجون ؛ وزعم المبرد
أنه لم يسبق إلى هذا المعنى .

وقال :

عَيْنَ الْخَلِيفَةِ بِي مَوَكَّلَةٌ
صَحَّتْ عَلَانِيَتِي لَهُ ، وَأَرَى
وَلْتَن وَعَدْتِكَ تَرَكَهَا عِدَّةٌ
سَلَبُوا قِنَاعَ الدَّنِّ عَنْ رَمَقِي
فَتَنَفَّسَتْ فِي الْبَيْتِ إِذْ مُرِجَتُ
عَقَدَ الْحِذَارُ بِطَرْفِهَا طَرْفِي
دِينَ الضَّمِيرِ لَهُ عَلَى حَرْفِي
إِنِّي عَلَيْكَ لَخَائِفٌ خُلْفِي
حَى الْحَيَاةِ مُشَارِفُ الْحَتْفِ
كَتَنَفَسَ الرَّيْحَانُ فِي الْأَنْفِ

* * *

أخذ قوله : « ولئن وعدتك تركها عدة » الحسن بن علي بن وكيع فقال :

مَتَى وَعَدْتُكَ فِي تَرْكِ الصَّبَا عِدَّةٌ
أَمَّا تَرَى اللَّيْلَ قَدَ وَلَّتْ عَسَاكِرُهُ
وَجَدَّ فِي أُرِّ الْجَوْزَاءِ يَطْلُبُنَهَا
كَصَوْبِ الْجَانِ لُجَيْنٍ فِي يَدَيِّ مَلِكٍ
فَقُمْنَا نَضَطَبِيحَ صَفْرَاءَ صَافِيَةٍ
عُرُوسُ كَرِيمَاتٍ تَحْتَالُ فِي حُلَلِ
فَاشْهَدُ عَلَى عِدَّتِي بِالزُّورِ وَالْحَكْدِيبِ
وَأَقْبَلُ الصَّبْحُ فِي جَيْشٍ لَهُ لُجْبِ
فِي الْجَوِّ رَكْضًا هِلَالٌ دَائِمُ الطَّلَبِ
أَدْنَاهُ مِنْ كُرَّةٍ صَيَفَتْ مِنَ الذَّهَبِ
كَالنَّازِ لِكَبْهَا نَادِي يَلَا لَهَبِ
صُفْرِ عَلَى رَأْسِهَا تَاجٌ مِنَ الْحَبِيبِ

وقال أبو الفضل الميكالي في اقتران الهلال بالزهرة :

أما ترى الزهرة قد لاحت لنا تحت هلال لونه يَحْكِي اللَّهَبُ
ككثرة من فضة مجلوة وافى عليها صوت لجان من ذهب
وعلى قول أبي نواس :

صَحَّتْ عَلَانِيَتِي لَهُ ، وَأَرَى دِينَ الضَّمِيرِ لَهُ عَلَى حَرْفِ

كتب أبو العباس بن المعتز إلى أبي الطيب القاسم بن محمد النخعي :

يأيها الجاني ويستجني ليس تجنيك من الظرفِ
إنك في الشوق إلينا كمن يؤمن بالله على حرفِ
محوت آثارك من ودنا غير أساطيرك في الصحفِ
فإن تحاملت لنا زورة يوماً تحاملت على ضعفِ

وحدث أبو عمر الزاهد قال : ذلك بعضُ الزهاد المرأين جبهتهُ بشوومٍ
وعصبا ، ونام ليصبح بها كأثر السجود ، فأتحرفت العصابة إلى صدغه ، فأخذ
الأثر هناك ، فقال له ابنه : ما هذا يا أبت ؟ فقال : أصبح أبوك من يعبدُ الله
على حرف !

ضرب من
الرياء

وقال أبو نواس في الباب الأول :

غَنَّنَا بِالطَّلُولِ كَيْفَ بَلِينَا وَاسْتَقْنَا نَفْطَكَ الشَّاءَ الثَّمِينَا
مِنْ سُلَافٍ كَأَمَّا كُلُّ شَيْءٍ يَتَمَنَّى مَخَيْرٌ أَنْ يَكُونَا
أَكَلِ الدَّهْرِ مَا تَجَسَّمُ مِنْهَا وَتَبَقَى لِبَابِهِ الْمَكُونَا
فَإِذَا مَا اجْتَلَيْتَهَا فِهْبَاءُ يَمْنَعُ الْكِفَّ مَا يُبِيحُ الْعِيُونَا
ثُمَّ شَجَّتْ فَاسْتَضْحَكَتْ عَنْ لَالٍ لَوْ تَجَمَّعْنَ فِي يَدِي لِاقْتِنِينَا
فِي كُتُوسٍ كَأَنَّهُنَّ نَجْمٌ دَائِرَاتٌ رُوجُهَا أَيْدِينَا
طَالَمْتُ مَعَ السُّقَاةِ عَلِينَا فَإِذَا مَا غَرَبْنَ يَفْرُبْنَ فِينَا

من خمريات
أبي نواس

لو ترى الشرب حولها من بعيد
وغزال يديرها بينان
كلما شئت عاني برضاب
ذاك عيش، لودام لي، غير أني
قلت قوماً من قرّة يصطلوناً^(١)
ناغمات يزيدها الفمز لنا
يتزك القلب للسرور قرينا
عفته مكرهاً وخفت الأميना

وأعزبت عما في الضمير وأعزبا
ليأبي أمير المؤمنين وأشربا
لدى الشرف الأعلى شعاعاً مطمئناً
يقبل في داج من الليل كوكبا
وما لم تكن فيه من البيت مغرباً
على مستدار الخلد صدغاً معقرباً
فكانت إلى قلبي ألد وأطيباً
سقام ومناي بعينيه منية

قال الحسين بن الضحاك الخليع : أنشدت أبا نواس قولي :
وشاطري اللسان مخلوق التسكرية شاب المجون بالنسك
فلما بلغت فيه :

كأنما نصب كأمه قمر
نمر نكرة منكرة ، فقلت : مالك ، فقد رعتني ؟ قال : هذا المعنى أنا
أحق به منك ؛ ولكن سترى لمن يروى ! ثم أنشد بعد أيام :
إذا عب فيها شارب القوم خلته
يقبل في داج من الليل كوكبا
قلت : هذه مطالبة^(٢) يا أبا علي ! فقال : أتظن أنه يروى لك معنى مليح
وأنا في الحياة ؟

وقال ابن الرومي فكان أحسن منهما
ومهتف كملت محاسنه حتى تجاوز منية النفس

(١) القرّة : البرد الشديد ، ويصطلون : يتدفنون بالنار (م) .

(٢) كذا ، ولعلها «مغالبة» (م) . (٩ - زهر الآداب ٢)

تَصْبُو الكؤوس إلى مَرَاثِفِهِ وَتَضِجُ في يده من الحَبِيسِ
أَبْصَرْتُهَا والكأسُ بينَ فَمِهِ منه وبين أَنَامِلِ خَمْسِ
فَكَانَهَا وَكَأَنَّ شَارِبَهَا قَرٌّ يَقْبَلُ عَارِضَ الشَّمْسِ

وقال أبو الفتح كشاجم :

وسحاب يجرُّ في الأرض ذَبِيلِي مُطْرَفِ زَرَّةٍ على الأرض زَرَا^(١)
بَرَقَهُ لَمَحَةٌ، وَلَكِنْ لَهُ رَعْدٌ بَطِيءٌ يكسو المسامِعَ وَقَرَا
كَخَلِيٍّ مَنَاقِقِ لِلَّذِي يَهْوَاهُ يَبْكِي جَهْرًا وَيَضْحَكُ سِرًّا
قَدِ مَقْتَنِي المَدَامَ فِيهَا فَتَاةٌ سَحَرْتَنِي وَلَيْسَ تُحْسِنُ سِحْرًا
فَإِذَا مَا رَأَيْتَهَا تَشْرَبُ الرَّاحَ حَ آرْتَنِي شَمْسًا تُقْبَلُ بَدْرًا

[من أخبار بشار]

وإنما احتذى أبو نواس في هذه الأشعار التي وصف فيها ترك الشراب وطاعته
لأمر الأمين مثال بشار بن برّد، وصب على قلبه ؛ وذاك أن بشاراً لما قال :
لا يُؤَيِّسُنْكَ من مَحَبَّةٍ قَوْلٌ تُغْلَظُهُ وَإِنْ جَرَّحَا
عُشْرُ النِّسَاءِ إلى مُيَاسِرَةٍ وَالصَّعْبُ يُمَكِّنُ بَعْدَ مَا جَمَعَا

بلغ ذلك المهدي فغاضه ؛ وقال : يحرّض النساء على الفجور ، ويستهل
السييل إليه ! فقال له خاله يزيد بن منصور الحميري : يا أمير المؤمنين ؛ قد فنن
النساء بشعره ، وأنى امرأة لا تصبوا إلى مثل قوله :

احتذاء
أبي نواس
على مثاله

عَجِبْتُ فَطَمَةً من نَعْتِي لَهَا هل يُجِيدُ النَمْتَ مَكْفُوفِ النِّظَرِ
بِنْتُ عَشْرِ وَثَلَاثِ قَسَمْتُ بَيْنَ غُضْنِ وَكُثِيبِ وَقَمَرِ
دُرَّةٌ بِمَحْرَبِيَّةٍ مَكْنُونَةٌ مَارَهَا التَّاجِرُ من بَيْنِ الدَّرَرِ
أَذْرَتِ الدَّمْعَ وَقَالَتْ : وَيَلْتِي من وَلُوعِ الكَفِّ رَغَابِ الخَطَرِ
أُمِّي بَدَدَ هَذَا لُعْبِي وَوِشَاحِي حَلَّةٍ حَتَّى أَنْتَثِرُ

(١) للطرف - بضم الميم وفتح الراء مخففة - رداء من أخزله أعلام (م)

فَدَعَيْتَنِي مَعَهُ يَا أُمَّتِي
أَقْبَلْتَنِي فِي خَلْوَةٍ تَضْرِبُهَا
يَا أَبِي وَاللَّهِ مَا أَحْسَنَهُ
أَيُّهَا النَّوَامُ هُبُوا وَنَحْكُمُ
فَأَمْرَهُ الْمَهْدِيُّ الْأَبْدَانِي
فَقَالَ أَشْعَارًا فِي ذَلِكَ ، مِنْهَا :

المهدي يأمر
بشاراً بترك
الغزل

يَا مَنْظَرًا حَسَنًا رَأَيْتُهُ
لَمَعْتُ إِلَى تَسْوَمِي
وَاللَّهِ رَبِّ مُحَمَّدٍ
أَمْسَكْتُ عَنْكَ ، وَرَبِّمَا
إِنَّ الْخَلِيفَةَ قَدْ أَبِي
وَيَشُوقُنِي بَيْتُ الْحَيْبِ إِذَا غَدَوْتُ ، وَأَيْنَ بَيْتُهُ
قَامَ الْخَلِيفَةُ دُونَهُ
فَصَبَّرْتُ عَنْهُ وَمَا قَلَيْتُهُ (١)
مِنْ عَنِ النَّسَاءِ فَمَا عَصَيْتُهُ
عَهْدًا ، وَلَا رَأْيًا رَأَيْتُهُ

وقال أيضاً :

وَاللَّهِ لَوْلَا رِضَا الْخَلِيفَةِ مَا
قَدَعَشْتُ بَيْنَ النَّدْمَانِ وَالرَّاحِ وَالْأُ
ثَمَّ نَهَانِي الْمَهْدِيُّ فَأَنْصَرَفْتُ
وقال :

أَفْنَيْتُ عَمْرِي وَتَقَضَّى الشَّبَابُ
فَالآنَ شَفَعْتُ إِمَامَ الْمَهْدِيِّ
لَهُوتٍ حَتَّى رَاعَنِي دَاعِيًا
لَبَيْكَ لَبَيْكَ أَهْجَرْتُ الصَّبَا
بَيْنَ الْحَمِيَا وَالْجَوَارِي الْعِدَابُ
وَرَبِّمَا طَبَّتْ لِحْبِّ وَطَابُ
صَوْتُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُجَابُ
وَنَامَ عُذَّالِي وَمَاتَ الْعِتَابُ

(١) قليته : كرهته ، ويقال «قلوته» أيضاً ؛ فالفعل يأتي واوي (م) .

أبصرت رُشدي وتركت المنى وربما ذلتُ لمن الرقاب
في كلمة طويلة يقول فيها :

يا حامد القول ، ولم يبلهُ سبقت بالسَّيل مساك السحاب^(١)
الفضلُ أولى ببناء الفتى ما جاءه من خطأ أو صواب
دع قولَ واء وانتظر فقله يُثني على اللقحة ما في الحلاب^(٢)
إذا غدا المهديُّ في جُنده وراح في آل الرسول الغضاب
بدا لك المعروف في وجهه كالظلم يجزى في الثنايا العذاب^(٣)
ومن شعر بشار في الغزل :

من شعر بشار
في الغزل

أيها الساقيان صبًا شرابي واسقياني من ريق بيضاء رُود^(٤)
إن دأى الصدى ، وإن شغاني شربة من رُضابِ ثغرِ برُود
عندها الصبرُ عن لقائي ، وعندى زفاراتُ يا كلن قلبَ الجليد
ولها مَبِيسٌ كغر الأفاحي وحديثٌ كالوَمِي وشي البرُود
نزلت في السواد من حبة القلب ونالت زيادة المستزيد
ثم قالت : نلقاك بعد ليالٍ والليالي يُباین كلَّ جديد
لا أبالي من ضنّ عنى بوصلٍ إن قضى الله منك لي يومَ جود
وقال :

تُلقي بتسيحة من حسن ما خلقت وتستفز حشأ الرائي يار عاد
كأنما صورّت من ماء لؤلؤة فكلُّ جارحة وجهٌ بمرصاد
وقال :

وهبت له على المسواك ريقاً فطاب له بطيب ثنيتك

(١) المساك - بزة السحاب - الموضع الذي يمسك فيه الماء (م)
(٢) واء ، من الوأى وهو الوعد - واللقحة ، بالكسر ، الناقة الحلوب ، والحلاب :
الوعاء الذي يحلب فيه اللبن ، يريد أن اللبن الذي يكون في الحلاب يدل على مقدار ما تحلبه
الناقة ؛ فيكون هو الذي يثنى عليها (م)
(٣) الظلم - بالفتح - الريق (م)
(٤) الرود - بالضم - الناعمة الحساء (م)

أقبله على الذكرى كأتى أقبل فيــــه فاك ومقلتيك^(١)
وقال :

لا أستطيعُ الهوى وهجرتها قلبي ضعيفٌ وقلبها حَجَرٌ
كأنَّ وجدِي بها وقد حجبت في الرأس والعين والحشأ سُكْرٌ
وأشده أبو تمام ، وكان يقول : مارأيتُ شعراً أغزل منه :

زودينا يا عبدَ قـبلِ الفراقِ بتلاق ، وكيف لي بالتلاقِ^(٢)
أنا واللهِ أَشهى سِحرَ غينيكِ وأخشى مصارعَ العشاقِ
أمتي من بني عقيل بن كعب موضع السلكِ في طلا الأعتاقِ
وقال :

لقد عشتَ أذني كلاماً سمعتهُ رَحياً ، وقلبي للليحةِ أُعشِقُ
ولو عاينوها لم يلوئوا على البكى كريماً سقاه الخمرَ بدرٌ مُحَلَّقُ
وكيف تناسي مَنْ كان حديثهُ بأذني وإن عنت قرطٌ مُعَلَّقُ
وقال :

وقد كنت في ذاك الشباب الذي مضى أزارُ ويدعوني الهوى فأزورُ
فإن فاتني إلفٌ ظلمتُ كأنما يُديرُ حياتي في يديه مُـديرُ
ومرَّ بجمَّةِ الأزدافِ مهضومة الحشأ تمورٌ بسـِحرِ عَيْنِهَا وتَدورُ
إذا نظرت صببت عليك صبايةً وكادت قلوبُ العالمين تطيرُ
خلوتُ بهـا لا يخلصُ الماءُ بيننا إلى الصُّبْحِ دوني حاجِبٌ وسُتورُ
ومن هذا أخذ على بن الجهم قوله :

لعلى بن الجهم

صليني وحبلُ الوصلِ لم يتشعب ولا تهجري أفديك بالأمِّ والأب
رعى اللهُ دَهراً ضننا بعد فرقةٍ وأذني فواداً من فوادِ مُعذَّبِ

(١) من هنا أخذ ابن زيدون وأبدع وأجاد :

يدني خيالك حين شط به النوى وهم أكاد به أقبل فاك

(٢) كذا ، وربما كان «مخلق» بالحاء معجمة : أى مضمخ بالخلوق .

عناقا وضماً والتزاماً كأنما يرى جسداً أنا جسم روح مركب
فَبِتْنَا وإنا لو تراق زجاجةٌ من الخمرِ فيما بيننا لم تسربِ
وشعره في هذا المعنى كثير .

مترن شعر بشار
ومقداره

وروى أنه قال : أنا أشعرُ الناسِ ؛ لأنَّ لي اثني عشر ألفَ قصيدة ، فلو اختير
من كل قصيدة بيتٌ لاستندر ، ومن نذرت له اثنا عشر ألف بيت فهو أشعرُ الناسِ (١) ؛
وقد نثرتُ نظمه في أضعاف الكتاب استدعاءً لنشاط القارىء وكرامة في إملاله .
وكان بشارٌ أرقَ المحدثين ديباجةً كلام ، وسمى أبا المحدثين ؛ لأنه فتقَ بهم
أكمام المعاني ، ونهجَ لهم سبيل البديع ، فاتبعوه ؛ وكان ابن الرومي يُقدمه ،
ويزعمُ أنه أشعرُ من تقدم وتأخر .

ولاؤه

وهو يتعلق في شعره بولاء عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ،
ويفتخرُ بالمصرية . قال له المهدي : فيمن تعتزى ؟ قال : أمّا اللسان فعربي ،
أما الأصل فكما قلت في شعري ! قال : وما قلت ؟ فأنشده :

وُنُبِّتُ قوماً لهم إحنةٌ يقولون من ذا وكنتُ العلمُ
ألا أيها السائلُ جاهلاً ليعرِّفني أنا إلفُ الكرمِ (٢)
نمت في المكارمِ بي عامرٌ فرُوعي وأصلي قريشُ العجمِ
وإني لأغني مقام الفتى وأضبي الفتاة فلا تعتصم

البيت الأول من هذه الأبيات ينظرُ إلى قول جميل :

إذا مارأوني طالماً من ثنيةٍ يقولون من هذا وقد عرفوني

(١) كان المسيو مرسية أخبرني وأنا في باريس أنه توجد نسخة من ديوان بشار
عند أحد أدباء تونس ، فليت من يملك تلك النسخة يتفضل بنشرها لأننا في أشد الظمأ
إلى مجموعة كاملة من شعر بشار الذي عدده القدماء إمام شعراء البديع - أقول : قد
بدأ ينشر هذه النسخة في مصر ، وقد ظهر منها الجزء الأول مطبوعاً طبعاً أنيقاً في
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (م)

(٢) حفظي «أنا أنف الكرم» ولها وجه وجهيه (م) .

وفي هذه القصيدة يقول بشار :

وبيضاء يضحكُ ماء الشبا ب في وجهها لك إذ تبتسم
دوار العذارى إذا زرتها أطفن بحوزاء مثل الصم
يرُخَنَ فَيَمْسَحَنَ أركانها كما يمسح الحجر المستلم
أصفراء ليس الفتى صخرةً ولكنه نصب هم وغم
صَبَبْتِ هَوَاكَ عَلَى قَلْبِهِ فضايق وأعلن ما قد كتم

ويقال : إنه مولى لأم الأطباء السدوسية ، ولذلك قال أبو حذيفة وأصل بن عطاء الغزال رئيس المعتزلة لما هجاه بشار : أما لهذا الأعمى الملحد المشنف المكتنى بأبي معاذ من يقتله ؟ والله لولا أن الغيلة من سجايا الغالية ، لبعثت إليه من يبعج بطنه في جوف منزله ، ولا يكون إلا سدوسيا ، أو عقيليا .

شيء من خبر
وأصل بن عطاء
المعتزلي

وكان وأصل بن عطاء أحد أعاجيب الدنيا ؛ لأنه كان ألثغ في الراء ، فأسقطها من جميع كلامه وخطبه ؛ إذ كان إمام مذهب ، وداعى نخلة ، وكان محتاجا إلى جودة البيان ، وفصاحة اللسان . قال الجاحظ : فانظر كثرة ترداد الراء في هذا الكلام وكيف أسقطها ؟ قال : الأعمى ، ولم يقل الضير ، وقال : الملحد ، ولم يقل الكافر ، وقال : المشنف ، ولم يقل المرثث ، وقال : المكتنى : بأبي معاذ ، ولم يقل بشاراً ولا ابن برد ، وقال : الغالية ، ولم يقل المغيرية ، ولا المنصورية ، وهم الذين أراد ، وقال : لبعتت ، ولم يقل لأرسلت ، وقال : يبعج ، ولم يقل يبتقر ، وقال : في جوف منزله ، ولم يقل في داره ، وأراد بذكر عقيل وسدوس ما ذكر من اعتراضه إليهم .

وزعم الجاحظ أن بشاراً كان يدين بالرجعة ، ويكفر جميع الأمة ؛ عود إلى أخبار بشار بن برد
وأشده أشعاراً صوب بها رأى إبليس في تقديم النار على الطين ، منها قوله :
الأرض مظلمة ، والنار مشرقة
والنار معبودة مذ كانت النار
وقال داود بن رزين : أتينا بشاراً ، فأذن لنا والمائدة بين يديه ، فلم يدعنا إلى الطعام ، ثم جلسنا فحضر الظهر والعصر والمغرب فلم يصل ، ودعا بطست فبال

بحضرتنا ، قلنا له : أنت أستاذنا ، وقد رأينا منك أشياء أنكروناها ، قال : ماهي ؟
 قلنا : دخلنا والطعام بين يديك فلم تدعنا ، قال : إنما أذنت لتأكلوا ، ولو لم
 نرِدْ ذلك لم نأذن لكم ، قلنا له : ودعوت بالطست ونحن حضور ، قال : أنا
 مكفوف ، وأتم مأمورون بغض الأبصار دوني ، قلنا : وحضرت الصلاة فلم تصل !
 قال : الذي يقبلها تفاريق يقبلها جملة ! هذا وهو القائل :

كيف يبكي لمحبس في طولٍ من سيفضي لِحبسٍ يومٍ طويلٍ
 إنَّ في البعثِ والحسابِ لَشُغْلًا عن وقوفٍ برسمِ دارٍ محيلٍ

وقال :

ذَكَرْتُ بِهَا عَيْشًا قَلْتُ لِصَاحِبِي : كَأَن لَمْ يَكُنْ مَا كَانَ حِينَ يَزُولُ
 وَمَا حَاجَتِي لِمُسَاعِدِ الدَّهْرِ بِالْمَنَى كَمَا بَ عَلَيْهَا لَوْلَوْ وَشُكُولُ
 بَدَا لِي أَنَّ الدَّهْرَ يَقْدَحُ فِي الصَّفَا وَأَنَّ بَقَائِي إِنْ حَيَّيْتُ قَلِيلُ
 فِعْشٌ خَائِفًا لِمَوْتٍ أَوْ غَيْرِ خَائِفٍ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ لِلْحَمَامِ دَلِيلُ
 خَلِيلِكَ مَا قَدَّمْتَ مِنْ عَمَلِ التَّقَى وَليسَ لِأَيَّامِ المُنُونِ خَلِيلُ

وكان بشارٌ حاضرَ الجواب ، سجعاً ، خطيباً ، صاحبَ منشورٍ ومزدوجٍ
 ورجزٍ ورسائلٍ مختارةٍ على كثيرٍ من الكلام ، ودخل على عقبة بن مسلم بن قتيبة ،
 فأنشده مديحاً وعنده عقبة بن رؤبة ، فأنشده أرجوزة ، ثم أقبل على بشار فقال :
 هذا طرازٌ لا تحسنه يا أبا معاذ ! فقال : والله لأنا أرجز منك ومن أيك ! ثم غدا
 على عقبة من الغد ، فأنشده أرجوزته :

يا طَلَلِ الحَيِّ بذاتِ الصَّمَدِ باللهِ خَبِرْ كيفَ كنتَ بعدى
 يقول فيها :

صَدَّتْ بِخَدِّ وَجَلَّتْ عَنْ خَدِّ ثم انشئت كالنفس المرتدِّ
 وصاحبٍ كالدَّمَلِ المُمَدِّ حملته في رُقعةٍ من جِلْدِي
 حتى اغتدى غيرَ قعيدِ الفَقْدِ وما درى ما رغبتى من زَهْدِي

بين بشار
 وعقبة بن رؤبة
 ابن العجاج

وهذا كقول الآخر :

يَرْدُونَ لَوْ خَاطَبُوا عَلَيْكَ جُلُودَهُمْ وَلَا يَدْفَعُ الْمَوْتَ النَّفُوسُ الشَّحَامُ

وفيها يقول :

الْحَرَّ يُبَلِّغُنِي وَالْعَصَا لِلْعَبْدِ وَلَيْسَ لِلْمُلْحِفِ مِثْلُ الرَّدِّ

أَسْلَمَ وَحَيَّتَ أَبَا الْمِلْدِّ مِفْتَاحَ بَابِ الْخُذِّ الْمُنْسَدِّ

وَالْبَسَ طِرَازِي غَيْرَ مُسْتَرَدِّ اللَّهُ أَيُّمُكَ فِي مَعَدِّ

وهي طويلة ، فأجزل صلته ، فلما سمع ابن زوابة ما فيها من الغريب قال :
أنا وأبي وجدتي فتحنا الغريب للناس ، وإني نخلق أن أسده عليهم ، فقال
بشار : ارحمهم رحمة الله ! قال : تستخف بي ، وأنا شاعر ابن شاعر ابن شاعر ؟
قال : إذا أنت من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا !
فضحك كل من حضر .

ودخل على المهدي وعنده خاله يزيد بن منصور الحميري ، فأنشده قصيدة ، فلما
أتمها قال له يزيد : ما صناعتك يا شيخ ؟ قال : أثقُبُ الأوثؤ ، فقال له المهدي :
أتهزأُ بخالي ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، فما يكون جوابي لمن يرى شيخاً أعمى
يُنشِدُ شعراً فيسأله عن صناعته ؟

وقال جوارى المهدي للمهدي : لو أذنت لبشار يدخل إلينا يؤانسنا ويُنشدنا
فهو محبوب البصر ، لا غيره عليك منه ، وأمره فدخل إليهن واستظرفنه ،
وقلن له : وددنا والله يا أبا معاذ أنك أبونا حتى لا نفارقك ، قال : ونحن على دين
كسرى^(١) ! فأمر المهدي ألا يدخل عليهن .

وكان المتنبي نظر إلى هذا فقال :

يَا أُخْتَ مَعْتَنِي الْفَوَارِسِ فِي الْوَعَى لِأَخُوكِ ثَمَّ أَرْقُ مِنْكَ وَأَرْحَمُ
يَرْتُو إِلَيْكَ مَعَ الْعَفَافِ وَعِنْدَهُ أَنَّ الْجُوسَ تَصِيبُ فِيمَا تَحْكُمُ

(١) كان كسرى مجوسياً يستبيح زواج البنات والأخوات (م) .

[كلمات مأثورة]

قال علي بن عبيدة الريمحاني : المودّةُ تعاطفُ القلوب ، واثتلافُ الأرواح ، وحنين النفوس إلى مثابة السرائر ، والاسترواحُ بالمستكنّات في الفراش ، ووحشة الأشخاص عند تباين اللقاء ، وظاهر السرور بكثرة التّزوار ، وعلى حسب مشاكلة الجواهر يكون اتّفاقُ الخصال .

وقال : العتابُ حدائقُ المتحابين ، وثمارُ الأوداء ، ودليلُ الظنّ ، وحركاتُ الشوق ، وراحةُ الواجد ، ولسانُ المشفق .

قال بعض الكتاب : العتابُ علامةُ الوفاء ، وخاصّةُ الجفَاء ، وسلاحُ الأَكْفَاء .

وقال علي بن عبيدة : التجنّي رسولُ القطيعة ، وداعى القلبي ، وسببُ السلو ،

وأوّلُ التجافي ، ومنزلُ التهاجر .

وقال : الصدقُ ربيعُ القلب ، وزكاةُ الخلق ، وثمرّةُ المروءة ، وشعاعُ الضمير

وعن جلالة القدر عبارته ، وإلى اعتدالِ وزنِ العقل يُنسبُ صاحبه ، وشهادتهُ

قاطعةٌ في الاختلاف ، وإليه ترجع الحكومات .

وقال : الكذبُ شعارُ الخيانة ، وتحريفُ العلم ، وخواطرُ الزور ، وتسويلُ

أضغاثِ النفس ، واعوجاجُ التركيب ، واختلافُ البنية ، وعن خمولِ الذكر

ما يكون صاحبه .

وعلى بن عبيدة كثيرُ الإغارة ، على ما كان غيره قد استثاره .

فقر في الكذب لغير واحد

بعض الفلاسفة : الكذاب والميتُ سواء ؛ لأن فضيلة الحيّ النطق ، فإذا

لم يؤثّق بكلامه فقد بطلت حياته .

الحسن بن سهل : الكذاب ليطن ؛ لأن اللصّ يسرقُ مالك ، والكذاب

يسرقُ عقلك ، ولاتأمن من كذب لك أن يكذب عليك ، ومن اغتاب غيرك عندك

فلا تَأْمَنُ أَنْ يَغْتَابَكَ عِنْدَ غَيْرِكَ .

قال إبراهيم بن العباس في هذا النحو .

إِنِّي مَتَى أَحْقِدُ بِحِقْدِكَ لَا أُضْرِبُ بِهِ سِوَاكَ
وَمَتَى أَطْعُمُكَ فِي أَخِيكَ أَطْعَمْتُ فِيكَ غَدَاً أَخَاكَ
حَتَّى أَرَى مُتَقَسِّمًا يَوْمِي لَذَا ، وَغَدَاً لَذَا
حَسْبُ الْكَاذِبِ بِعَقْلِهِ سَقَمًا وَبِقَلْبِهِ خِصَمًا

ابن المعتز : علامة الكذاب جوده باليمين لغير مستحلف ، وقال :

وَفِي الْيَمِينِ عَلَى مَا أَنْتَ فَاعِلُهُ مَادِلٌ أَنْتَ فِي الْمِيْعَادِ مُتَمِّمٌ

وقال : اجتنب مصاحبة الكذاب ، فإن اضطرت إليه فلا تصدقه ، ولا تعلمه
أنك تكذبه ، فينتقل عن وده ، ولا ينتقل عن طبعه . يعترى حديث الكذاب
من الاختلاف ما لا يعترى الجبان من الارتعاد عند الحرب . لا تصح للكذاب
رؤيا ؛ لأنه يخبر عن نفسه في اليقظة بما لم ير ، فتريه في النوم ما لا يكون ، وأنشد :
لَا يَكْذِبُ الْمَرْءُ إِلَّا مِنْ مَهَاتِهِ أَوْ عَادَةِ السُّوءِ ، أَوْ مِنْ قِلَّةِ الْأَدَبِ
وَأَهْلُ الْعَصْرِ : فَلَانَ مُنْفِيسٍ فِي عَيْبِهِ ، يَكْذِبُ لِذِيْلِهِ عَلَى جَنْبِهِ ، يَقُولُ بَهْتًا ،
وَزُورًا بَهْتًا ، قَدْ مَلَأَ قَلْبَهُ رَيْنًا ، وَقَوْلُهُ مَيِّنًا ؛ يَدِينُ بِالْكَذْبِ مَذْهَبًا ، وَيَسْتَتِيرُ
الزُّورَ مَرْكَبًا . أَقَاوِيلُ يَتَمَشَّى الزُّورُ فِي مَنَاكِبِهَا ، وَيَبْرُزُ الْبَهْتَانُ فِي مَذَاهِبِهَا .

وقال أعرابي لابنه وسمعه يكذب : يا بني ، عجبت من الكذاب المشيد
بكذبه ، وإنما يدل على عيبه ، ويتعرض للعقاب من ربه ؛ فالآثام له عادة ،
والأخبار عنه متضادة ، إن قال حقاً لم يصدق ، وإن أراد خيراً لم يوفق ؛ فهو
الجانى على نفسه بفعاله ، والدال على فضيحته بمقاله . فما صح من صدقه
نسب إلى غيره ، وما صح من كذب غيره نسب إليه ، فهو كما قال الشاعر :

حَسْبُ الْكَذُوبِ مِنَ الْمَاهِيَةِ بَعْضُ مَا يَمْحَى عَلَيْهِ
مَا إِنْ سَمِعَتْ بِكَذْبِهِ مِنْ غَيْرِهِ نَسَبَتْ إِلَيْهِ

[جزاء الشكر]

بين الحسن بن سهل والمأمون

كتب الحسن بن سهل إلى المأمون ، بعد أن زُفَّت إليه بوران وتوهم القواد أن هذا التزويج قد أنسى الحسن حاله قبل ذلك : قد تولى أمير المؤمنين من تعظيم عبده في قبول أمته شيئاً لا يتسع له الشكرُ عنه إلا بمعونة أمير المؤمنين ، أدام الله عزّه ، في إخراج توقيعه بتزيين حالي في العامة والخاصة ، بما يراه فيه صواباً إن شاء الله .

فخرج التوقيع : الحسن بن سهل زمام على ما جمع أمور الخاصة ، وكنت أسباب العامة ، وأحاط بالنفقات ، ونفذ بالولاية ، وإليه الخراج والبريد واختيار القضاة ، جزاء بمعرفته بالحال التي قرَّبته منا ، وإثابة لشكره إيانا على ما أولينا .

[من خطب النكاح]

خطبة للمأمون

قال يحيى بن أكرم : أراد المأمون أن يزوج ابنته من الرضا فقال : يا يحيى ؛ تكلم ، فأجَلَّتُهُ أن أقول : أنكحت ، قلت : يا أمير المؤمنين ، أنت الحاكم الأكبر ، والإمام الأعظم ، وأنت أولى بالكلام ، فقال : الحمد لله الذي تصاغرَت الأمورُ بمشيئته ، ولا إلهَ إلا هو إقراراً بربوبيته ، وصلى الله على محمد عند ذكره .

أما بعد ، فإنَّ الله قد جعل النكاح ديناً ، ورَضِيَهُ حُكْماً ، وأنزله وَحْيًا ؛ ليكونَ سببَ المناسبة ؛ ألا وإني قد زوجت ابنة المأمون من علي بن موسى ، وأمهرتها أَرْبَعِمِائَةَ دَرْهَمٍ ، اقتداءً بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واتهاء إلى ما دَرَجَ إليه السلفُ ، والحمد لله رب العالمين .

ما يستحب من الخطب و الخطوب إليه

قال الأصمعي : كانوا يستحبون من الخطب إلى الرجل حرمة الإطالة ؛ لتدل على الرغبة ، ومن الخطوب إليه الإيجاز ، ليدل على الإجابة .

وخطب رجل من بني أمية إلى عمر بن عبد العزيز أخته ، فأطال ؛ فقال عمر :

الحمد لله ذي الكبرياء ، وصلى الله على محمد خاتم الأنبياء ؛ أما بعد فإن
الرجبة منك دعوتك إلينا ، والرجبة منا فيك أجابت ، وقد زوّجناك على كتاب
الله : إمساك بمعروف ، أو تسريح بإحسان .

وخطب رجل إلى قوم فأتى بمن تخطب له ، فاستفتح بحمد الله وأطال ، وصلى
على النبي عليه السلام وأطال ، ثم ذكر البدء وخلق السموات والأرض ، واقتصر
ذكر القرون حتى ضجر من حضر ، والتفت إلى الخاطب ، فقال : ما اسمك
أعزك الله ؟ فقال : والله قد أنسيت اسمي من طول خطبتك ، وهي طالق إن
تزوجتها بهذه الخطبة ؛ فضحك القوم ، وعقدوا في مجلس آخر .

[الكتب والأقلام والخط]

وقال ابن المعتز : الكتاب وَالجُ الأبواب ، جرى على الحجاب ، مُفهِم
لا يفهم ، وناطق لا يتكلم ، به يشخص المشتاق ، إذا أقعده الفراق ، والقلم مجهز
لجيوش الكلام ، يخدم الإرادة ، ولا يمل الاستزادة ، ويسكت واقفاً ، وينطق
سائراً ، على أرض بياضها مظلم ، وسوادها مضيء ، وكأنه يقبل بساط سلطان
أو يفتح نور بستان .

وهذا كقوله في القاسم بن عبيد الله ، قال الصولي : أما عرض القاسم بن عبيد
الله ليخلف أباه : قال ابن المعتز :

قلم ما أراه أم فلك يجسرى بما شاء قاسمٌ ويسيرُ
خاشعٌ في يديه يلتم قرظاً سا كما قبل البساط شكورُ
ولطيف المعنى جليلٌ نحيفٌ وكبير الأفعال وهو صغيرُ
كم منايا وكم عطايا وكم حثفٍ وعيش تضم تلك السطورُ
نقشت بالذجا نهارا فما أذرى أخط فيهن أم تصويرُ
هكذا من أبوه مثل عبيد الله ينمى إلى العلاء ويصيرُ
عظمت منة الإله عليه فهناك الوزير وهو الوزيرُ

وله في القاسم
بن عبيد الله

لبعض البلغاء

وقال بعض البلغاء : صورة الخط في الأبصار سواد ، وفي البصائر بياض .

وقال أبو الطيب المتنبي :

لمتنبي

دَعَانِي إِلَيْكَ الْعِلْمُ وَالْحِلْمُ وَالْحِجْبِيُّ وَالْحَجْبِيُّ
وَمَا قُلْتُ مِنْ شِعْرٍ تَكَادُ بِيُوتُهُ إِذَا كَتَبْتَ يَبْيِضُ مِنْ نَوْرِهَا الْحَبْرُ

وقال ابن المعتز في عبيد الله بن سليمان بن وهب :

لابن المعتز

عَلِيمٌ بِأَعْقَابِ الْأُمُورِ ، كَأَنَّهُ بِمُخْتَلَسَاتِ الظَّنِّ يَسْمَعُ أَوْ يَرَى
إِذَا أَخَذَ الْقِرطَاسَ خَلَّتْ يَمِينُهُ يُفْتَحُ نَوْرًا أَوْ يُنْظَمُ جَوْهَرًا

فاخر صاحب سيف صاحب قلم ، فقال صاحب القلم : أنا أقتل بلا غرر ،
وأنت تقتل على خطر . فقال صاحب السيف : القلم خادم السيف ، إن تم مراده
وإلا فإلى السيف معاده ؛ أما سمعت قول أبي تمام :

مفاخرة بين
صاحب سيف
وصاحب قلم

السيفُ أَصْدَقُ إِنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجَدِّ وَاللَّعِبِ
بِيضُ الصَّفَائِحِ لِأَسْوَدِ الصَّحَائِفِ فِي مُتُونِهِنَّ جَلَاءُ الشُّكِّ وَالرَّيْبِ

وقال أبو الطيب :

لمتنبي

مَا زِلْتُ أَضْحِكُ إِبْنِي كُلَّمَا نَظَرْتُ إِلَى مَنْ أَحْتَضَنْتُ أَخْفَأُهَا بِدَمٍ
أَسِيرُهَا بَيْنَ أَصْنَائِمِ أَشَاهِدُهَا وَلَا أَشَاهِدُ فِيهَا عِفَّةَ الصِّمِّ
حَتَّى رَجَعْتُ وَأَقْلَامِي قَوَائِلُ لِي الْمَجْدُ لِلسَّيْفِ لَيْسَ الْمَجْدُ لِلْقَلَمِ
اكَتُبُ بِنَا أَبْدًا بَعْدَ الْكِتَابِ بِهِ فَإِنَّمَا نَحْنُ لِلأَسْيَافِ كَالْخُدَمِ

هذا مقلوب من قول علي بن العباس النوبختي ، وقد رواه أبو القاسم الزجاجي

لابن الرومي ، وإنما وهم لاتفاق الأسمين :

للنوبختي

إِن يَخْدُمِ الْقَلَمُ السَّيْفَ الَّذِي خَضَعَتْ لَهُ الرِّقَابُ وَدَانَتْ خَوْفَهُ الأُمُّ
فَالْمَوْتُ - وَالْمَوْتُ لِأَشْيَاءٍ يُغَالِبُهُ - مَا زَالَ يَتَّبَعُ مَا يَجْرِي بِهِ الْقَلَمُ
بِذَا قَضَى اللهُ لِلأَقْلَامِ مِذْبُورِيَّتَ أَنْ السَّيُوفَ لَهَا - مِذْبُورِيَّتَ - خَدَمَ

لابن الرومي

وقال ابن الرومي :

لَعَمْرُكَ مَا السِّيفُ سَيْفُ الْكَيْمِيِّ
لَهُ شَاهِدٌ إِنْ تَأَمَّلْتَهُ
أَدَاةُ الْمَنِيَّةِ فِي جَانِبِهِ
سِنَانُ الْمَنِيَّةِ فِي جَانِبِ
أَلْمِ تَرَى فِي صَدْرِهِ كَالسِّنَانِ
وقال أبو الفتح البستي :

وَإِذَا أَقْسَمَ الْأَبْطَالُ يَوْمًا بِسَيْفِهِمْ
كُنِيَ قَلَمُ الْكِتَابِ مَجْدًا وَرَفْعَةً
وقد قيل : صريرُ الأقلامِ ، أشدُّ من صليلِ الحسامِ .

لبسق

لطلحة بن
عبيد الله

قَالَ الصَّوْلِيُّ : أَنْشَدَنِي طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ :
وَإِذَا أَمَرَ عَلَى الْمَهَارِقِ كَفَّهُ
مُقَاصِرًا مُتَطَاوِلًا وَمَفْضَلًا
تَرَكَ الْعُدَاةَ رَوَاجِفًا أَحْشَاوُهَا
كَالْحِيَةِ الرَّقَشَاءِ إِلَّا أَنَّهُ
يَرْمِي بِهِ قَلَمًا يَمِجُّ لُعَابَهُ
وقال محمود بن أحمد الأصبهاني :

أَخْرَسُ يُنْبِيكَ بِإِطْرَاقِهِ
يُبْذِرِي عَلَى قِرْطَاسِهِ دَمْعَةً
كَعَاشِقٍ أَخْفَى هَوَاهُ وَقَدْ
تُبْصِرُهُ فِي كُلِّ أَحْوَالِهِ
يُرَى أَسِيرًا فِي دَوَاةٍ وَقَدْ
عَنْ كُلِّ مَا شِئْتَ مِنَ الْأَمْرِ
يُبْذِرِي بِهَا السَّرَّ وَمَا يَبْذِرِي
نَمَّتْ عَلَيْهِ عِبْرَةٌ تَجْرِي
عُرْيَانٌ يَكْسُو النَّاسَ أَوْ يُعْرِئِي
أَطْلِقُ أَقْوَامًا مِنَ الْأَشْرِ

لمحمود
الأصبهاني

(١) المَهَارِقُ : الصحائف البيضاء ، واحدها مهرق - بؤنة مكرم - والشخت : الضامر الدقيق من غير هزال (م) .

أخرق لو لم تبهره لم يكن
كالبحر إذ يجرى ، وكالليل إذ
يرشق أقواماً وما يبهرى ،
يفشى ، وكالصارم إذ يفري

لأحمد بن جرار

وقال أحمد بن جرار :

أهيفُ ممشوقٌ بتحريكه
له لسانٌ مرهفٌ حدهُ
ترى بسيطَ الفكرِ في نظمه
كأنما يسحبُ في إنره
لولاه ما قام منارُ الهدى
يحلّ عقد السرى إعلانُ
من ريقه الكرسفاريانُ
شخصاً له حدٌ وجمانُ
ذيلاً من الحكمة سحبانُ
ولا سما للملك ديوانُ

لأبي تمام

ومن أجود ما قيل في صفة القلم قول أبي تمام لمحمد بن عبد الملك الزيات :

لك القلم الأعلى الذي يشبته
له ريقة طل ولكن وقعها
لعاب الأفاعي القاتلات لعابه
له الخلوات اللاء لولا نجيتها
تصاب من الأمر الكلى والمفاصل
بأناره في الشرق والغرب وأبل
وأرى الجنى اشتارته أيد عواميل
لما اختلفت للملك تلك المحافل

وقال الأمير تميم بن المعز :

لتميم بن المعز
الفاطمي

وذى عجب من طول صبري على الذي
يقولون: ما تشكو؟ قلت: متى شكاً
وإن امرأ يشكو إلى غير نافع
عذابي أن أشكو إلى الناس أنتي
ويعني الشكوى إلى الله علمه
سأسكت صبراً واحتساباً فإنني

وقال :

يا دهرُ ما أقسك من متلون
أروخ للنكس الجهول ممهدا
في حالتك ، وما أقلك منصفاً
وعلى الليب الحر سيفاً مرهفاً؟

وإذا صفوت كدرت ، شيمة باخلٍ ،
لا أرتضيك ، وإن بكرمت ؛ لأنني
زمنٌ إذا أعطى استرد عطاءهُ
ما قام خيرك يا زمانُ بشره
وإذا وفيت نقضت أسباب الوفا
أذرى بأنك لا تدوم على الصفا
وإذا استقام بداله فتحرّفا
أولى بنا ما قل منك وما كفى

[الصدق في النصيحة]

وكان أحمد بن يوسف منصوراً عن غسان بن عباد ، وجرت بينهما هتات
بحضرة المأمون ، فقال يوماً بحضرة خاصة أصحابه : أخبروني عن غسان بن عباد ؛
فإني أريده لأمرٍ جسيم ؛ وكان قد عزم على تقليده السند مكان بشر بن داود ؛
فتكلم كل فريق بما عنده في مدحه ؛ فقال أحمد بن يوسف : هو يا أمير المؤمنين
رجلٌ محاسنه أكثر من مساويه ، لا يتطرفُ به أمرٌ إلا تقدم فيه ، ومهما
تخوف عليه فإنه لن يأتي أمراً يعتذر منه ؛ لأنه قسم أيامه بين أفعال الفضل ؛
فجعل لكل خلق نوبة ، إذا نظرت في أمره لم تدر أي حالاته أعجب ؛ أما هذاهُ
إليه عقله أم ما اكتسبه بأدبه ؟

فقال له المأمون : لقد مدحته على سوء رأيك فيه ! قال : لأنني في أمير المؤمنين

كما قال الشاعر :

كفى ثمنا لِمَا أُسديت أني نصحتك في الصديق وفي عدائي

وأنى حين تندبني لأمرٍ يكون هواك أغلب من هواي

قال الصولي : وقد روى هذا لغير أحمد ، ولعل أحمد استعاره ؛ فأعجب المأمون
ذلك منه ، وشكره غسان بن عباد له ، وتأنى كادت الحال بينهما .

وكان أحمد بن يوسف بن القاسم بن صبيح مولى عجل بن لجيم عالي الطبقة
في البلاغة ، ولم يكن في زمانه أكتب منه ، وله شعرٌ جيد مرتفع عن أشعار
الكتاب ، ووزر للمأمون بعد أحمد بن أبي خالد ، وكان أول ما ارتفع به أحمد أن
من ترجمة أحمد
ابن يوسف
ومنزله في
البلاغة

المخلوع محمد بن الرشيد لما قتل أمر طاهر بن الحسين الكتاب أن يكتبوا إلى
 المأمون ؛ فأطالوا ، قتل طاهر ؛ أريد أنحصر من هذا فوصف له أحمد بن يوسف
 وموضعه من البلاغة ، فأحضره فلما ، فكتب : أما بعد فإن كان المخلوع
 قسيم أمير المؤمنين في النسب والجمعة ، فقد فرّق بينهما حكم الكتاب في الولاية
 والخدمة ، بمفارقة عصمة الدين ، وخروجه عن الأمر الجامع للمسلمين ؛ لقول الله
 عز وجل فيما اقتبس [علينا] من نبي نوح وابنه : (إنه ليس من أهليك إنه عمل
 غير صالح) ، ولا طاعة لأحد في معصية الله ، ولا قطيعة ما كانت القطيعة في
 ذات الله ؛ وكتابي إلى أمير المؤمنين وقد أنجز الله له ما كان ينتظر من سابق
 وعده ، والحمد لله الراجح إلى أمير المؤمنين معلوم حقه ، البكائد له فيمن ختر
 عهده ، ونقض عهده ، حتى ردّ به الأئمة بعد فرقتها ، وجمع به الأمة بعد
 شتاتها ، وأضاء به أعلام الدين بعد دُرويه ؛ وقد بعث إليك بالديار وهي رأس
 المخلوع ، وبالآخرة وهي البردة والقضيب ؛ والحمد لله الآخذ لأمر المؤمنين حقه ،
 الراجح إليه تراث آباءه الراشدين .

وكان أحمد بن أبي خالد كثيراً ما يصف أحمد للمأمون ويحثه عليه ، فأمره
 المأمون بإحضاره ، فلما وقف بين يديه قال : الحمد لله يا أمير المؤمنين الذي
 استخصك فيما استخفظك من دينه ، وقلدك من خلافته ، بسوابغ نعمه ، وفضائل
 قسيه ، وعرفك من تيسير كل عسير حاولك عليه متمرد ، حتى ذل لك ما جعله
 تكملة لما خباك به من موارد أموره بنجح مصادرها ، خدماً نامياً زائدا لا ينقطع
 أولاه ، ولا ينقضي أخراه ، وأنا أسأل الله يا أمير المؤمنين من إتمام بلائه لديك ،
 ومينته عليك ، وكفايته ما ولاك واسترعاك ، وتحصين ما حاز لك ، والتمكين
 من بلاد عدوك ، ما يمنع به بيضة الإسلام ، ويعز بك أهله ، ويبيع بك
 حبي الشرك ، ويجمع لك متباين الألفة ، وينجز بك في أهل العناد والضلالة
 وعده ؛ إنه سميع الدعاء ، فعال لما يشاء .

فقال المأمون : أحسنت ، بورك عليك فاطمنا وساكتنا ! ثم قل بعد أن
 بلاه واختبره : يا عجباً لأحمد بن يوسف ! كيف استطاع أن يكتم قومه !
 وكتب إلى المأمون يستجدي لوزار علي بابيه : إن داعي نداءك ، ومناذي
 جده وراك ، جماً بياضك الوفود ، يرجون فائلك التئيد ، فمنهم من يموت بحرمته ،
 ومنهم من يندلي بسالف خدمة ، وقد أضعف بهم المقام ؛ فإن رأى أمير المؤمنين
 أن ينصهم بسببه ، ويحقق ظنهم بطولاه ، فصل .
 فوق المأمون في عرض كتابه :

الخير متبع ، وأموال الملوك مظان لطلاب الحاجات ؛ فلا كتب أسماهم ،
 وبين مرتبة كل واحد منهم ، ليصير إليه على قدر استحقاقه ؛ ولا تكدره
 معروفها بالمطل والحجاب ؛ فقد قال الشاعر :

فإنك لن ترى طرداً حُرّاً كالصاق به طرف الهوان
 ولم تجلب مودة ذي وفاء بمثل الود أو بذل اللسان

قال أحمد بن يوسف : أمرني المأمون أن أكتب في زيادة قنديل شهر
 رمضان ؛ فأعيا علي ، ولم أجد مثلاً أحتدي عليه ؛ فبت مغموماً ، فأتاني آت
 في النوم فقال : اكتب : فإن فيها إضاءة للتهجدين ، ونفياً لمكان الرّيب ،
 وأنساً للسايلة ، وتنزيهاً لبيوت الله من وحشة الظلم ، فأخبرت بذلك المأمون ،
 فاستظرفه ، وأمر أن تمضي السكتب عليه .

وأهدى إلى المأمون في يوم نوروز طبق جِزَع عليه ميل من ذهب ، فيها سمه
 منقوش ، وكتب إليه :

هذا يوم جرت فيه العادة ، بالطف العبيد المأداة ، وقد بعثتُ إلى أمير
 المؤمنين طبق جِزَع فيه ميل .

فلما قرأ المأمون الرقصة قال : أجمت هدية أحمد بن يوسف ؟ قلوا : نعم .
 قال : هي في داري أم داري فيها ؟ فلما فرغ المنديل استظرف الهدية واسترجع مَهْدِيهَا .

وأهدى إلى إبراهيم بن المهدي هدية وكتب إليه : الثقةُ بك قد سهلت
السبيلَ إليك ، فأهديتُ هديةً من لا يَحْتَشِمُ إلى من لا يَفْتَنِمُ .
وكتب إلى بني سعيد بن سلم : لولا أن الله عز وجل ختم نبوته بمحمد
صلى الله عليه وسلم ، وكتبه بالقرآن ، لنزل فيكم نبيٌّ نِقْمَةٌ ، وأنزل فيكم
قرآنَ غَدْرٍ ؛ وما عَسيت أن أقولَ في قومٍ محاسنهم مساوى الشغل ،
ومساويهم فضائحُ الأمم ، وألسنتهم معقولة بالعي ، وأيديهم معقودة بالبخل ، وم
كما قال الشاعر :

لا يكبرون وإن طالَّت حياتهمُ ولا تبيد مخازيرهم وإن بادوا
وغنى مُغْنٍ بحضرة أحمد بن يوسف ولم يكن مُحْسِنًا ، فلم يُنصِتوا له ، وتحدثوا
مع غِنائه ، فغضب المغنى ؛ فقال أحمد بن يوسف : أنت عافاك الله تحمّل الأسماع
ثقلًا ، والقلوب مَلَلًا ، والأعين قباحة ، والأنف نتانة ، ثم تقول : اسمعوا مني ،
وأنصتوا إلي ! هذا إذا كانت أفهامنا مُقفلَةً ، وآذاننا صدِثَةً ، فإما رضيت بالعفو
منا ، وإلا قت مدمومًا عنا .

ألفاظ لأهل العصر في ذم المغنين

يترنم فَيُتَبِّبُ ولا يُطْرِبُ . إذا غَنَى عَنِّي ، وإذا أدَى أدَى .
يميت الطَّرْبُ ، ويحيى الكَرْبُ . ضَرْبُهُ يُوجِبُ ضَرْبَهُ : من عجائب
غِنائه أنه يُورِدُ الشتاء في الصيف . ماروى قط في دارٍ مرتين . وحضر
جحظة مجلساً فيه على بن بسام ، ففرق القومُ المخادَّة ، فقال جحظة : فما لي لم
تعطوني مخدَّة ؟ فقال على بن بسام : غنَّ فالمخادَّة كلها إليك تصير ! وفيه يقول
ابن بسام :

يا مَنْ هَجَوْنَا هَـ فَعَنَّا أنت ، وبيتِ الله ، أهجانا
سَيِّانٍ إن غَنَى لنا جحظةً أو مرَّ مجنونٌ فزناناً

وكان خالد يُستبرد ، فبعث بعضُ الظرفاء غلامه يشتري له خمسة أرطال
 ثلج ، فاتاه بخالدٍ وقال : يا مولاي ، طلبت خمسة أرطال ، وهذا حبل !
 وتغنى بحضرة محمود ، فقال : ويحك ! دَعْنَا نَعْرِق !
 وقال بعض المحدثين في قريس المغنى :

ألا فاستنى قدحاً وافراً يُعِينُ عَلَى الْبَلْغَمِ الْمَاهِجِ
 أَكَلْنَا قَرِيصاً وَغَنَى قَرِيصٌ فَنَحْنُ عَلَى شَرَفِ الْفَالِجِ
 ولقى أبو العباس المبرد برد الخيار المغنى في يوم ثلج بالجر ، فقال : أنت
 للمبرد وأنا برد الخيار ، واليوم كما ترى ، اعبر بنا لا يهلك الناس بالفالج بسببنا
 وقال ابن عباد الصاحب في مغل يعرف بابن عذاب :
 أقول قولاً بلا احتشام ، يعقله كل من يعيه
 ابن عذاب إذا تغنى فإنتى منه في أيه

[عود إلى أحمد بن يوسف]

ومن شعر أحمد بن يوسف :
 ضَمِيرٌ وَجَدِي بِقَلْبِ صَبٍّ تَرْجَمَ دَمْعِي بِهِ فَشَاعَا
 فصار دَمْعِي لِسَانَ وَجْدِي ضَيَّعَ سِرِّي بِهِ فذَاعَا
 لولا دموعي وفرط حبي ما كان سِرِّي كذا مُضَاعَا
 وقال :

وعامل بالفجور يَأْمُرُ بِالسُّبْرِ كِهَادٍ يَخُوضُ فِي الظُّلْمِ
 أو كطبيب قد شفه سقم وهو يَدَاوِي مِنْ ذَلِكَ السَّقَمِ
 يا واعظ الناس غير متعظ تَوَبَّكَ طَهْرًا أَوْ لَا فَلَا تَلْمُ

وقال :

إذا ما التقينا والعيونُ نواظرة فالتسناحربُ وأبصارنا سلمُ

وقال في الحزن :

كثيرٌ هموم القلبِ حتى كأنما عليه سرورُ العالمين حرامٌ
إذا قيلَ ما أضناك! أسبلَ دَمْعُهُ فأخبر ما يلقى وليس كلامٌ

وقال :

كريمٌ له نفسٌ يلينُ بِلِينِهَا يردعُ عن سلطانه سننَ الكبرِ
إذا ذكَّرتُه نفسه عظمَ قدرها دعاه إلى تسكينها عظمَ القدرِ
ووقع في كتابِ رجلٍ يحثُّه على استتمام صنائعه عنده : مستمٌ الصنعة من
عدل زينها ، وأقام أودها ، صيانةً لمعروفه ، ونصرةً لرأيه ؛ فإن أول المعروف
مستخفٌ ، وآخره مستثقلٌ ، يكاد أول الصنعة يكون للهوى ، وآخرها للرأى ،
ولذلك قيل : ربُّ الصنعة أشد من ابتدائها^(١) .

وكان أبو العتاهية له صديقاً^(٢) قبل ارتفاع حاله ، فأحس منه في حين وزارته

تغيراً ، فكتب إليه :

أمنت إذا استغنيت من سورةِ الفقرِ فصرت ترى الإخوانَ بالنظرِ الشَّرِّ
أبا جعفر إنَّ الشريفَ يهينه تتأيه دونَ الأخلاءِ بالوفْرِ
فإن تهت يوماً بالذي نلتَ من غنى فإف غنائى بالتجملِ والصبرِ
ألم تر أن الفقرَ يُرجى له الغنى وأن الغنى يُخشى عليه من الفقرِ

وروى أبو بكر يموت بن المزرع عن خاله الجاحظ قال : حجب أحمد بن

يوسف أبا العتاهية ، ثم عاد ، فقيل : هو نائم ، فكتب إليه :

لئن عدتُ بعد اليوم إني لظالمٌ سأصرفُ وجهي حيثُ تبغى المكارمُ
متى يظفر الغادى إليك بحاجةٍ ونصفك محبوبٌ ونصفك نائمٌ

(١) الرب : التعهد بالإصلاح .

(٢) في المطبوعات كلها « له صديق » بالرفع ، وليس بشيء (م) .

وقال :

في عداد الموتى وفي ساكني الدنيا أبو جعفر أخي وخليتي
 ميتٌ مات وهو في ووق العيش مقيمًا في ظلِّ هيشٍ ظليلٍ
 لم يمت ميتة الوفاة ، ولكن مات عن كلِّ صالحٍ وجميلٍ
 وخاصم أحمد بن يوسف رجلا بين يدي المأمون ، وكان صغًا المأمون إليه (١)
 على أحمد ، فظن ذلك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنه يستعلي من عينيك
 ما يلقاني به ، ويستبينُ بمرسته ما يُحجته له (٢) ، وبلوغُ إرادتك أحبُّ إلى من
 بلوغُ أملي ، ولذةُ إجابتك أمتعُ عندي من لذَّةِ ظفري ؛ وقد تركتُ له ما نازعني
 فيه ، وسلَّمتُ له ما طالبنى به . فاستحسن ذلك المأمون .

ومن كلام أحمد بن يوسف : مجالبةُ البغضاء تُثيرُ الموم ، وتَجَلِبُ
 العموم ، وتؤلم القلب ، وتقدح في النشاط ، وتطوى الانبساط .

ألفاظ لأهل مصر في صفات الثقلاء

فلان ثقيلُ الطلعة ، بغيضُ التفصيل والجُملة ، باردُ السكون والحركة ؛
 قد خرج عن حدِّ الاعتدال ، وذهب من ذات اليمين إلى ذات الشمال . يحكى
 ثقل الحديث المعاد ، ويمشي في القلوب والأكباد ، ولا أدري كيف لم تحمل
 الأمانة أرض حمله ؟ وكيف احتاجت إلى الجبال بعد ما أقلتته ؟ كأن وجهه
 أيام المسائب ، وليالي النوائب ، وكأنما قر به فقدُ الجباب ، وسوء العواقب .
 وكأنما وصله عدمُ الحياة ، وموتُ الفجأة ، وكأنما هجره قوةُ المنة ، وريحُ الجنة .
 يا عجبي من جسمٍ كالخيال ، وروحٍ كالجبال . كأنه ثقلُ الدين ، على وجمع
 العين . هو ثقيلُ السكون ، بغيضُ الحركة ، كثيرُ الشوم ، قليلُ البركة . هو
 بين الخفقن والعين قذاة ، وبين الأخص والنعل حصاة . ما هو إلا غداةُ
 الفراق ، وكتابُ الطلاق ، وموتُ الحبيب ، وطلوعُ الرقيب . ما هو إلا أرباء

(١) صغاه إليه : ميلاه (م) . (٢) تجته لي : تكتمه وتخفيه (م) .

لاتدورُ في صفر ، والكابوسُ في وقتِ السَّحر ، وأثقلُ من خراجِ بلا غلَّة ،
ودواءِ بلا عِلَّة ، وأبغضُ من مثلِ غيرِ سائر ، وأجمعُ للعيوبِ من بغلةِ أبي
دلامة ، وجمارِ طيار ، وطيلسانِ ابنِ حرب ، وأيرأبي حكيمة ، وأنشد :

مشى فدعا من ثقله الحوتُ رَبَّهُ وقال : إلهي زِيدَتِ الأَرْضُ ثَمَانِيَةَ (١)
وأنشد :

تحمل منه الأرضُ أضعافَ ما يحمله الحوتُ من الأرضِ (١)
وأنشد :

مستَمِلٌ بالبُغضِ لا تَنْتَنِي إليه لَحْظًا مُقَلَّةَ الرَّامِقِ
يَظَلُّ في مَجْلِسِنَا قَاعِدًا أَثْقَلُ مِنْ وَاشٍ عَلَى عَاشِقِ
وقال الحدوني :

سَأَلْتُكَ بِاللَّهِ إِلاَّ صَدَقْتَ وَعَلِمِي بِأَنَّكَ لا تَصَدُقُ
أَتُبَغِضُ نَفْسَكَ مِنْ ثَقَلِهَا وَإِلا فَأَنْتَ إِذَا أَحْمَقُ

وكتب أبو عبد الرحمن العطوي إلى بعض إخوانه :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تُرْسِلْ وَجِئْتَ فَلِمَ أَصِلْ مَلَأْتَ بِعَذْرِ مَنْكَ سَمْعَ لَيْبِ
أَتَيْتَكَ مُشْتاقًا فَلِمَ أَرَّ حَاجِبًا وَلا صَاحِبًا إِلا بوجهِ قَطُوبِ
كَأَنِّي غَرِيمٌ مُقْتَضٍ ، أَوْ كَأَنِّي طَلُوعٌ رَقِيبٍ أَوْ نَهْوِضٌ حَيْبِ

وكان أبو عبيدة معمر بن المثنى يستثقلُ جليساُ اسمه زنباع ، فقال له رجل
يوما : ما الزنبعة في كلام العرب ؟ قال : التثاقل ، ولذلك سُمِّيَ جليساُ زنباعا .
وقد كثر الناس في الثقلاء ، وأنا أستحسن قول جحظة ، وإن كان غيره
قد تقدّمه في مثله :

(١) إشارة إلى الخرافة التي تزعم أن الأرض يحملها حوت !

يا لفظة البغي بموت الخليل
يا شربة اليارج يا أجرة الـ
يا طلعة النعش ويا منزلاً
يا نهضة المحبوب عن غضبة
يا كتاباً جاء من مخلف
يا بكرة الشكلى إلى حفرة
يا وثبة الحافظ مستنجلاً
ويا طبيباً قد أتى باكراً
يا شوكة في قدم رخصية
يا عشرة المجدوم في رحله
يا ردة الحاجب عن قسوة

يا وقفة التوديع بين الحمول
منزل يا وجه العذول الثقيل
أقفر من بعد الأيس الحول
يا نعمة قد آذنت بالرحيل
للوعد مملوءاً بعذر طويل
مستودع فيها عزيز الشكول
بصرفه القينات عند الأصيل
على أخى سقم بماء البقول
ليس إلى إخراجها من سبيل
ويا صعود السغر عند المعيل
ونكسة من بعد برء العليل

من ترجمة
جحظة البرمكى
ومن شعره

وجحظة هذا هو أبو الحسن أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن
برمك ، وقال أبو الحسن على بن محمد بن مقلبة الوزير : سألت جحظة من لقبه بهذا
اللقب ؟ فقال : ابن المعتز ، لقيني يوماً ، فقال لى : ما حيوان إن نكسوه أنا آله
للراكب البحرية ، فقلت : علق ، إذا نكس صار قلعاً ، قال : أحسنت يا جحظة ؛
فلزمنى هذا اللقب ، وكان نأتى العينين جداً ، قبيح الوجه ، ولذلك قال ابن الرومى :
نبئت جحظة يستعير جحوظه
يا رحمتى لنأدميه تحموا
من فيل شطرنج ومن سرطان
ألم العيون للذة الآذان
وكان طيب الغناء ، ممتد النفس ، حسن المسموع ؛ إلا أنه كان ثقيل اليد
فى الضرب ؛ وكان حلو النادرة ، كثير الحكاية ، صالح الشعر ؛ ولا تزال تندرله
الآيات الجيدة ، وهو القائل :

جانبت أطيب لذتى وشرابى وهجرت بعدك عامداً أصحابى

فإذا كعبتُ لسكى أتره فانظري
 إن كنت تنكر ذلتي وقد لي
 فانظر إلى بدني الذي موته
 في عُننٍ لفتلك لم تجدُ يجواب
 وتُحوليَ جسي وامتدادَ عذابي
 لستَ ناظرين بكثرِ الأثواب

وقال :

وإذا جفاني صاحبُ
 وتركتهُ مثلَ القُبُورِ
 لم أستجز ما عشتُ لقطعة
 رازورها في كحلِّ بجمته

وقال :

ضاعت على وجه الرأي في نفر
 أقلب الطرف تصعيداً ومنهدراً
 يلقون بالجد والكفران إحسانى
 فما أقابل إنساناً يأنسانى

وقال :

تقدمت إخواني الصالحون
 إذا أقبل الصبحُ ولى السرور
 فإلى صديقٍ ومالى عماد
 وإن أقبل الليل ولى الرقاد

وقال يهجو رجلاً :

لا تعذوني إن هجرتُ طعامه
 فمتى أكلتُ قتلته من بخله
 خرفاً على نفسي من الماء كولي
 ومتى قتلتُ قتلتُ بالقتول

ومن حكاياته ما حدثني خالد الكاتب قال : جاءني يوماً رسول إبراهيم
 ابن المهدي، فصرت إليه، فرأيت رجلاً أسوداً على فرش قدغاص فيها، فاستجلسني
 وقال : أنشدني من شعرك، فأنشدته :

رأت منه عيني منظريني كما رأت
 عشية حيانى بورد كأنه
 ونازعي كأساً كأن حبابها
 وراح وفعل الراح في حر كاته
 من الشمس والبدر المنير على الأرض
 خدوداً أضيقت بعضهن إلى بعض
 دموعي لما صدت عن منقلتي غمضي
 كفعل نسيم الريح بالغصن الغض

فرحف حتى صار في ثقي الفراش ، وقال : يا فقي ، شبهوا الخلود بالورد ،
وأنت شبهت الورد بالخلود ، زدني فأنشدته :

عانتُ نفسي في هواك فلم أجدها تقبلُ
وأطعتُ داعيتها إليك فلم أطع من يعذِلُ
لا والذي جعل الوجوه الحسنِ وجهك تمثِلُ
لا قلتُ إن الصبرَ عنك من التصابي أجملُ

فرحف حتى انحدر عن الفرش ثم قال لي : زدني ، فأنشدته :

عش فحبيك سريماً قاتلي والضنى إن لم تصلني وأصلي
ظفر الحب بقلب دنف فيك والشقم بجسم ناحل
فهما بين اكتاب وضنى تركاني كالمضيب الذابل
وبكى العاذل لي من رحمة فبكائي لبكاء العاذل

ففرطاً وقال : يا يلبق ؛ كم معك لتفقتنا؟ قال : ثمانمائة وخمسون ديناراً .

قال : أقسمها بيني وبين خالد ، فدفعت إلي نصفها

وأشده حظة أو غيره ولم يسم قائله :

لا يبعد الله إخواناً لنا سلفوا أفناهم حدتان الدهر والأبد
نمدهم كل يوم من بقيتنا ولا يؤوب إلينا منهم أحد

[السكاكين]

وكان أحمد بن يوسف جالساً بين يدي المأمون ، فسأل المأمون عن السكين
فناوله أحد السكين ، وقد أمسك بنصابها ، وأشار إليه بالحد ، فنظر إليه المأمون
نظراً منكراً ؛ فقال : لعل أمير المؤمنين أنكر على أخذني النصاب ؛ وإشارتي إليه
بالحد ؛ وإنما تفاءلت بذلك أن يكون له الحد على أعدائه ، فغضب المأمون من
سرعة فطنته ، ولطيف جوابه .

بين المأمون
وأحمد بن
يوسف

وقال بعضُ الكتابِ : السكينُ مسُّ الأقلامِ يشحذها إذا كَلت ، وَيَصْقُلُها إذا نَبَت ، وَيُطَلِّقُها إذا وَقفت ، وَيَلتَمِها إذا شَعِثت ، وَأَحْسَنُها ما عَرَضَ صَدْرُهُ ، وَأَرْهَفَ حَدُّهُ ، ولم يفصل على القبضة نصابه .

وقال أبو الفتح كشاجم يرثى سكيناً سرقت له :

يا قاتل الله كتاب الدواوين	ما يستحلون من أخذ السكاكين
لقد دهاني لطيف منهم ختل	في ذات حد كحد السيف مسنون
فأفقرت بعد عمران بموقعها	منها دواة فتى بالكتب مفتون
تبكى على مديّة أودي الزمان بها	كانت على جار الأقلام تعديني
كانت تقدم أقلامي وتنحّتها	نحتاً وتسخطها برياً فترضيني
وأضحك الطرس والقرطاس عن حلال	ينوب للعين من نور البساتين
فإن قشرت بها سوداء من صحنى	عادت كبعض خدود الخرد العين
جزع النصاب لطيفات شعأرها	محسّات بأصناف التحاسين
هيفاء مرهفة بيضاء مذهبة	قال الإله لها سبحانه : كوني
لكن مقطى أنسى شامتاً جديلاً	وكان في ذلة منها وفي هون
فصين حتى يضاها في صيائه	جأه لصورنيه عمن لا يدانيني
ولست عنها بسأل ماحيت ، ولا	بواجد عوضاً منها يسليني
ولو يرد فداء ما فجمت به	منها فديناه بالدينا وبالدين

ألفاظ لأهل العصر في صفات السكاكين

سكين كأنَّ القدرَ سائقها ، أو الأجل سابقها ، مرهفة الصدر ، مخططة الخضر ، يجول عليها فرند العتق ، ويموج فيها ماء الجوهر ؛ كأن النية تبرق من حدّها ، والأجل يلمع من مثنها ، ركبت في نصاب آبنوس ، كأن الحدق نفست

عليه صَبَغَهَا ، وَحَبَّ الْقُلُوبَ كَسْتَهُ لِبَاسِهَا . أَخَذَهَا حديدَهَا النَّاصِحَ بِحِفْظٍ مِنَ
الرُّومِ ، وَضَرَبَ لَهَا نَصَابِهَا الْخَالِكِ بِسَهْمٍ مِنَ الزَّيْجِ ، فَكَانَهَا لَيْلٌ مِنْ تَحْتِ نَهَارٍ ،
أَوْ مَجْرَ أَبْدَى سَنًا نَارًا ، ذَاتَ غِرَارٍ مَاضٍ ، وَذُبَابٍ قَاضٍ . سَكِينٌ ذَاتُ مَنَسَرٍ
بَازِيَةٌ ، وَجَوْهَرٌ هَوَائِيٌّ ، وَنِصَابٌ زَنْجِيٌّ ، إِنْ أَرْضِيَتْ أَوْلَتْ مَتْنًا كَالدَّهَانِ ، وَإِنْ
أَسْخِطَتْ أَتَقَّتْ بِنَابِ الْأَفْعَوَانِ . سَكِينٌ أَحْسَنُ مِنَ التَّلَاقِ ، وَأَقْطَعُ مِنَ الْفِرَاقِ ،
تَفْعَلُ فِعْلَ الْأَعْدَاءِ ، وَتَنْفَعُ نَفْعَ الْأَصْدِقَاءِ . هِيَ أَمْضَى مِنَ الْقَضَاءِ ، وَأَنْفَذُ مِنَ
الْقَدْرِ الْمُتَّاحِ ، وَأَقْطَعُ مِنْ طَبَعِ السَّيْفِ الْحُسَامِ ، وَأَلْعُ مِنَ الْبَرْقِ فِي الْغَمَامِ . جَمَعَتْ
حُسْنَ الْمَنْظَرِ ، وَكَرَمَ الْمَخْبَرِ ، وَتَمَلَّكَتْ عِنَانَ الْقَلْبِ وَالْبَصَرِ ، وَلَمْ يُخَوِّجْهَا عِتْقُ
الْجَوْهَرِ إِلَى إِمَاءِ الْحَجَرِ ^(١)

[السَّمَرُ وَالْمَنَادِمَةُ]

قال محمد بن أنس للقاسم بن صبيح : مازِلْنَا فِي سَمَرٍ نَصِلُ فِصُولَهُ بِتَشْوِيقِكَ ،
فَيَذِيبُ ذِكْرُكَ مَالَ السَّامِرِ ، وَنَعْسَةُ السَّاهِرِ . فَقَالَ الْقَاسِمُ : مِثْلُكَ ذَكَرَ صَدِيقَهُ
فَاطِرَاهُ ، وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ فَأَرْضَاهُ ، وَلَوْ كُنْتُمْ آذَنْتُمُونِي كُنْتُمْ أَحَدَكُمْ ، مَسْرُورًا بِمَا بِهِ
مُزِرَّتُمْ ، مُفِيضًا فِيمَا فِيهِ أَفْضَتُمْ .

قال بعضُ الظرفاء : شَرَطُ الْمَنَادِمَةِ قِلَّةُ الْخِلَافِ ، وَاللِّعَامِلَةُ بِالْإِنصَافِ ،
وَالسَّامِحَةُ فِي الشَّرَابِ ، وَالتَّغَافُلُ عَنْ رَدِّ الْجَوَابِ ، وَإِدْمَانُ الرِّضَا ، وَاطِّرَاحُ مَا مَضَى ،
وَإِسْقَاطُ التَّحِيَّاتِ ، وَاجْتِنَابُ اقْتِرَاحِ الْأَصْوَاتِ ، وَأَكْلُ مَا حَضَرَ ، وَإِحْضَارُ
مَا تَبَسَّرَ ، وَسُتْرُ الْعَيْبِ ، وَحِفْظُ الْغَيْبِ .

وقد أحسن أبو عبد الرحمن العطوي في قوله :

حَقُوقُ الْكَاسِ وَالنَّدَمَانُ خَمْسٌ فَأَوَّلُهَا التَّزْيِينُ بِالْوَقَارِ
وَتَانِيهَا مَسَامِحَةُ النَّدَامَى فَكَمْ حَمَّتِ السَّامِحَةُ مِنْ ذِمَارِ
وَتَالِثُهَا ، وَإِنْ كُنْتَ ابْنَ خَيْرِ الْبَيْرِيَّةِ مَحْتَدًا ، تَرَكَ الْفَخَّارِ

(١) إِمَاءٌ : مَصْدَرٌ «أَمِي السَّلَاحِ» أَي أَحَدُهُ ، وَإِضَافَتُهُ إِلَى الْحَجَرِ مِنْ إِضَافَةِ
الْمَصْدَرِ لِقَاعِلِهِ ، وَالْحَجَرُ : أَرَادَ بِهِ الْمَسْنِ (م)

وربما والنَّدَمَانِ حَقُّ سَوَى حَقِّ القَرَابَةِ والنُّجْرَارِ
 إِذَا حُدِّثَهُ فَكَسُّ الحَدِيثِ اللَّذِي حُدِّثَتْهُ تَوْبَ انْتِصَارِ
 فَاحُتُّ البَيْدُ بِمَثَلِ حَسَنِ السَّاعَاتِي وَالْأَحَادِيثِ النَّصَارِ
 وَخَامِسَةٌ يَدُلُّ بِهَا أَخُوهَا عَلَى صِكْرِ الطَّبِيعَةِ والنُّجَارِ
 حَدِيثِ الأَمْسِ نَسَاهُ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّذْبَ فِيهِ لِلْمَعَارِ
 وَمَنْ حَكَمْتَ كَأَسْكَ فِيهِ فَنَجِّمْ لَهُ يَا قَالَةَ عِنْدَ العِتَارِ
 وَقَالَ حَسَانُ بْنُ تَابِتٍ :

نَوَّلِيهَا المَلَامَةَ إِنْ أَمَّنَا إِذَا مَا كَانَ مَعْنَتْ أَوْ حِلَاءُ (١)

وشرب اليزيدي عند المأمون فلما أخذت منه الكأس أقبل يعتز عليه
 بتعليه إياه ، وأساء مخاطبته ؛ فلما أفاق من سُكْرِهِ عُرِفَ ماجري ، فليس
 أ كفانه ، ووقف بين يدي المأمون فأنشده :

بين اليزيدي
 والمأمون

أَنَا المَذْنِبُ الخَطَّاءُ والعَفْوُ وَاسِعٌ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ ذَنْبٌ لِمَا عُرِفَ العَفْوُ
 تَمَلَّتْ فَأَبْدَتْ مَنَى الكَاسِ بَعْضَ مَا كَرِهَتْ وَمَا لَيْنَ يَسْتَوِي السُّكْرُ وَالصَّخْرُ
 وَلَا سِيَا إِنْ كُنْتُ عِنْدَ خَلِيفَةٍ وَفِي مَجْلِسٍ مَا إِنْ يَجُوزُ بِهِ العَفْوُ
 فَإِنْ تَعَفُّ عَنِي أَلْفَ خَطْوِي وَاسِعًا وَإِلَّا يَكُنْ عَفْوٌ قَقْرَ الخَطْوُ
 فَقَالَ المَأْمُونُ : لَا تَتْرِبَ عَلَيْكَ ، فَالْبَيْدُ بِسَاطٍ يُطَوَى بِمَا عَلَيْهِ .

وشرب كوران المغني عند الشريف الرضي ، فافتقد رداءه ، وزعم أنه
 سُرِقَ . فقال له الشريف : وَيْحَكَ ! مَنْ تَتَّهَمُ مِنَّا ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ البَيْدَ بِسَاطٍ
 يُطَوَى بِمَا عَلَيْهِ ؟ قَالَ : انشروا هذا البساط حتى آخذ رداي واطوروا إلى يوم القيامة !

بين كوران
 والشريف
 الرضي

وكان أبو جعفر أحمد بن جدار كاتب العباس بن أحمد بن طولون ينقل أخبار
 أبي حفص عمر بن أيوب كاتب أحمد بن طولون على الشراب إلى العباس ، فصار
 إليه أبو حفص فقال : يَا أَبَا جَعْفَرِ ! إِنَّمَا مَجْلِسُ المُدَّامِ مَجْلِسُ حُرْمَةٍ ، وَدَاعِيَةُ أَنَسِ ،

بين أحمد بن
 جدار وعمر
 ابن أيوب

(١) المغث : الشر والقتال ، واللعماء : الملاحاة ، وهو قول ما يلام عليه

ومسرح لبانة ، ومدادهم ، ومزاج لهم ، ومعه سرور ، وإنما توسطته عند من
لا يشتم غيبه ، ولا يخشى عثبه ، وقد اتصل بي ما تُنبيه إلى أميرنا أبي الفضل
أعز الله أمره ، من أخبار مجالستي ، فلا تفعل ، وأنشده :

ولقد قلت للأخلاء يوماً قول ساج بالأنصح لوسمرة
إنما مجلس المدام بساطٌ للمودات بينهم وضوء
فإذا ما انتهوا إلى ما أرادوا من نعيم ولفه رفوه
وهم أخرياء ، إن كان منهم حافظٌ ، ما أتوه أن يمنعوه

فاعتذر ابن جدار وحلف ما فعل ، وقام من مجلسه .

وأنشد أبو حفص :

كم من أخ أوجست منه سجيةً فأنست بعد وداده بفراقه
لم أحمد الأيام منه خليفةً فتركته مستمعا بخلافه

عول أبو حفص في أكثر كلامه على نقل كلام أبي العباس الناشيء في
الشراب ، والأبيات التي أنشد أولاً له .

أبو القاسم صاحب : قدماً حملت أوزار الشكر ، على ظهور الخمر ،
وطوى بساط الشراب ، على مافيه من خطأ أو صواب . متابعة العقار ، تعذر في
خلع العذار ، وتغنى عن الاعتذار . متابعة الأبطال ، تبطل سورة الأبطال ،
وتدع الشيوخ كالأطفال .

كتب إسحاق بن إبراهيم الموصلى إلى بعض الجلة يستدعيه :
يوماً يوماً . لئن الحواشي ، وطىء النواحي ؛ وسماؤنا قد أقبلت ، ورعدت بالخير
وبرقت ، وأنت قطب السرور ، ونظام الأمور ؛ فلا تُفردنا فنقل ، ولا تنفرد
عنا فنذل .

وكتب بعض أهل مصر - وهو السرى الموصلى - إلى أخ له يستدعيه إلى

مؤانسته :

من إسحاق
الموصلى إلى
بعض الجلة

لسرى الموصلى

خِلَالُكَ، مَا خْتَلَّ الصَّدِيقُ، سَحَائِبُ
 وَأَنْتِ شَقِيقُ الرُّوحِ تُؤَثِّرُ وَصَلَهَا
 وَنَحْنُ خِلَالَ الْقَصْفِ وَالْعَرْفِ نَجْتَى
 وَعِنْدِي لَكَ الرِّيحَانُ زَيْنَ بَسَاطُهُ
 وَجَيْشٌ كَمَا انْجَرَّتْ ذُيُولُ غَلَائِلِ
 وَقَدْ أُطِيقَتْ فِيهِ الشَّمَائِلُ، وَانْتَتَى
 وَحَافِظَةُ مَاءِ الْحَيَاةِ لِفَتِيَةٍ
 نُسِرَ بِهَا أَخْفَى اللِّبَاسِ، وَإِنَّمَا
 عَلَى جَسَدٍ مِثْلِ الزَّبْرِ جَدٍ لَمْ تَزَلْ
 إِذَا اسْتُودِعْتَ حُرَّ اللَّجَيْنِ سَبَائِكَا
 وَفَوْقَ رِءُوسِ الْقَوْمِ غَيْمٌ مَعْلَقٌ
 بِوَارِقِهِ خَمْرُ الْكُتُوسِ وَرَعْدُهُ
 وَلَا عَاتِقَ يَبْنِي عِنَانَكَ عَنْ هَوَى
 فَبَادِرٍ؛ فَإِنَّ الْيَوْمَ صَافٍ مِنَ الْقَدَى،

وقال ابن المعتز

لابن المعتز

لَا شَيْءَ يُسَلِّي هَمِّي سِوَى قَدَحِ
 فِي غَيْمٍ نَدَى يُزْجِي سَحَائِبَهُ

وقال الحسن بن محمد الكاتب يصف طيلا :

للحسن بن محمد
الكاتب

يَاحِبِّدَا يَوْمَنَا نَلْهُو بِمَلْهِيَةٍ
 قَدْ شَدَّ هَذَا إِلَى هَذَا كَأَنَّهَمَا
 نَفْلًا نَلْطَمُ خَدَّيْهِ إِذَا ضَرَبَتْ
 فَتَسْمَعُ الصَّوْتَ مِنْهُ حِينَ تَضْرِبُهُ
 تُنْهَى بِشَيْءٍ لَهُ رَأْسَانِ فِي جَسَدِ
 مِنْ شِدَّةِ الشَّدِّ مَقْرُونَانِ فِي صَفَدِ^(١)
 بِكُلِّ طَاقَتِهَا لَطْمًا بِلَا حَرْدِ^(٢)
 كَأَنَّهُ خَارِجٌ مِنْ مَا ضَعَى أَسَدِ

(١) الصفد — بفتح الصاد والفاء جميعا — القيد والوثاق (م)

(٢) الحرد — بفتح الحاء والراء جميعا — الغضب (م)

ومن أفاضهم في الاستدعاء

نحن في مجلسٍ قد أبت راحه أن تصفو لنا أو تناولها بمنّاك ، وأقسم غناؤه
لاطاب أو تعيه أذناك ، فأما حدود نارجه فقد احمرت خجلا لإبطائك ، وعيون
ترجسه قد حدقت تأميلاً للقائك ، فبحياتي عليك إلا تعجّلت ، وما تمهلت .
نحن بغيبتك كعقد تغيبت واسطته ، وشبابٍ قد أخلقت جدته ؛ وإذ قد
غابت شمس السماء عنا ، فلا بد أن تدنو الأرض منا . أنت من ينتظم به شمل
الطرب ، وبلقائه يبلغ كل أرب . طرأ إلينا طيران السهم ، واطلع علينا
طلوع النجم . تب إلينا وثوب الغزال ، واطلع علينا طلوع الهلال ، في غرة
شوال . كن إلينا أسرع من السهم إلى مبره ، والماء إلى مقره . جشم إلينا
قدمك ، واخلع علينا كرمك ، وإن رأيت أن تحضرنا لتصل الواسطة بالعقد ،
ونحصل قرّبك في جنة الخلد ، ونسهم لنا في قرّبك الذي هو قوت النفس ،
ومادة الأوس .

ولهم في استدعاء الشراب

قد تألف لي شمل إخوانٍ كاد يفترق لعوز المشروب ، واعتدنا فضلك
المعهود ، ووردنا بحرك المورد ، وأنا ومن ساعني الدهر بزيارته من إخواني
وأولياك وقوفٍ بحيث يقف بنا اختيارك من النشاط والفتور ، ويرتضيه لنا
إيثارك من المهم والسرور ، والأمر في ذلك إليك ، والاعتماد في جمع شمل
المسرة عليك ؛ فإن رأيت أن تكلني إلى أولى الظنين بك فعلت . أطف
المتن موقعا ، وأجلها في النفوس موصعا ، ماعمر أوطان المسرة ، وطرده عوارض
المهم والفكرة ، وجمع شمل المودة والألفة . قد انتظمت في رفقة لي في سبط
التريا ، فإن لم تحفظ علينا النظام بإهداء الدماء عُدنا كبنات نعش ، والسلام .
فرايك في إرواء غلتنا بما ينقعها ، والطول على جماعتنا بما يجمعها .

ولهم في الكناية عن الشراب

قد نَشِطَ لتناول ما يستمد البِتر، ويشرح الصِّدر . قد استمطر سحابة
الأنس ، واستلدر حَلُوبَة السرور ، وقدح زَنَدَ اللهو ، فهو يَمْرِي دِمَاء العنايد ،
ويَفْصد عروق الدِّنان ، وَيَنْظِم عِقْدَ النَّدْمَان .

من الحسن
بن سهل إلى
الحسن بن
وهب

كتب الحسن بن سهل إلى الحسن بن وهب وقد اصطبغ في يوم دَجْن لم
يمطر : أما ترى تكافؤ هذا الطمع واليأس في يومنا هذا بقرب المطر وبعده ،
كأنه قول كثير :

وإني وَتَهْيَأِي بعزّة بعدما تَمَخَّلْتُ مما بيننا وتَمَخَّلْتِ
لكالمرتبجي ظلّ الغامة ، كلما تَبَوَّأُ منها للمَقِيلِ اضمحلَّتِ
وما أصبحتُ أمنيّتي إلاّ في لقائك ، فليت حجاب النأي هُتِكَ بيني وبينك !
رُفَعَتِي هذه وقد دارت زجاجات أوقمت بعقلي ولم تتَحَيَّفِه ، وبعثت نشاطا
حرّ كنى للكتاب ؛ فرأيتك في إمطاري سرورا بشار خَبْرِكَ ؛ إذ حُرِمْتَ السرور
بمطر هذا اليوم ، موقعا إن شاء الله .

من الحسن
بن وهب إلى
الحسن بن
سهل

وكتب الحسن بن وهب : وصل كتاب الأمير أيده الله وفي طاعم
ويدي عاملة ؛ ولذلك تأخر الجواب قليلا ، وقد رأيت تكافؤ إحسان هذا اليوم
وإساءته ، وما استوجب ذنبا استحق به دما ؛ لأنه إذا أشمس حكى حُسْنِكَ
وضياءك ، وإن أمطر حكى جودك وسخاءك ، وإن غام أشبه ظلك وفناءك ،
وسؤال الأمير عنى نعمة من نعم الله عز وجل أعفَى بها آثار الزمان السيء عندي ؛
وأنا كما يُحِبُّ الأمير صرف الله الحوادث عنه ، وعن حظي منه .

وذم رجل رجلا قال : دعواته ولأثم ، وأقدأحه نحاجم ، وكثوسه
نحابر ، ونوادره بوادر .

لكشاجم

وقال أبو الفتح كشاجم : كان عندي بعض المجان من البيدئين ، فسمعتي

وأنا أحمدُ اللهَ جلَّ ذِكْرُهُ في وسطِ الطعامِ لشيءٍ خطرٍ بيالي من رِئَمِ اللهِ التي لا تُحصى، فنهض وقال : أعطى اللهَ عهداً إن عاودتُ ! وما معني التحميد هنا ؟ كأنك تُقلِّنا أنا قد شبعنا . ثم مال إلى الدواة والقرطاس ، وكتب ارتجالاً :

وَحَدُّ اللهُ يَحْسُنُ كُلَّ وَقْتٍ وَلَكِنْ لَيْسَ فِي أَوْلَى الطَّعَامِ
لَأَنَّكَ تُحْسِمُ الْأَضْيَافَ فِيهِ وَتَأْمُرُهُمْ بِإِسْرَاعِ الْقِيَامِ
وَتُوذِّنُهُمْ ، وَمَا شَبِعُوا ، بِشَبَعٍ وَذَلِكَ لَيْسَ مِنْ خُلُقِ الْكِرَامِ

وكتب المريعي إلى بعض إخوانه وقد ترك النبيذ :

إِنْ كُنْتَ تُبْتَ عَنِ الصَّهْبَاءِ تَشْرِبُهَا إِسْكَافًا فَمَا تُبْتَ عَنْ بَرٍّ وَإِحْسَانِ
تُبُّ رَاشِدًا ، وَاسْقِنَا مِنْهَا ، وَإِنْ عَذَلُوا فَمَا فَعَلْتَ عَقْلًا مَا تَابَ إِخْوَانِي

وقال بعض النبيذيين ، وقد ترك الشرب :

تَحَامُونِي لِتَرْكِي شُرْبِ رَاحٍ أَقَمْتُ مَكَانَهَا الْمَاءَ الْقَرَّاحَا
وَمَا انْفَرَدُوا بِهَا دُونِي لِفَضْلِ إِذَا مَا كُنْتُ أَكْثَرَهُمْ مِرَاحَا
وَأَرْفَعُهُمْ عَلَى وَتِ وَصَنْجٍ وَأَطْرَفُهُمْ وَأَطْرَفَهُمْ مِرَاحَا
إِذَا شَقُوا الْجُيُوبَ شَقَّتْ جَيْبِي وَإِنْ صَاحُوا عَلَوْتُهُمْ صِيَاحَا

فقر للنبيذيين

ما جِئْتَ الدنيا بأظرفَ من النبيذ ، ما للعقارِ والوقارِ . إنما العيشُ مع
الطَّيِّشِ ، الراح تريق سمَّ الهمِّ . النبيذ سترٌ فانظرْ مع مَنْ تهتكه . اشرب
النبيذ ما استبشعته ، فإذا استطبته فدعه . لولا أن الخمورَ يعلم قصته لقدم وصيته .
الصاحي بين السكارى كالحي بين الموتى : يضحك من عقليهم ، ويأكل من
نقلهم . أحق ما يكون السكران إذا تعاقل . التبذل على النبيذ ظرف ،
والوقار عليه سُخْفٌ ، حدُّ السكران أن تقرَّبَ الموم ، ويظهر
السِّرَّ المكتوم .

وقال الحسن بن وهب لرجل رآه يعبس عند الشراب : ما نُصِفَتْهَا ، فَصَحَّكَ
 فِي وَجْهِكَ ، وَتَعَبَسَ فِي وَجْهِهَا .

وقال الطائي :

إِذَا ذَاقَهَا ، وَهِيَ الْحَيَاةُ ، رَأَيْتَهُ يُعَبِّسُ تَعْبِيسَ الْمُقَدِّمِ لِلِقَتْلِ

وقد أحسن الشيخ صدر الدين حيث قال :

وَأَنْ أَقْطَبَ وَجْهِي حِينَ تَدْبِيسُ لِي فَعِنْدَ بَسْطِ الْمَوَالِي يَحْفَظُ الْأَدْبُ

وترك رجل النبيذ ، فقيل له : لم تركته ، وهو رسول السرور إلى القلب ؟

قال : ولكنه رسول بأسٍ يُبْعَثُ إِلَى الْجُوفِ فَيَذْهَبُ إِلَى الرَّأْسِ .

وقيل لبعضهم : ما أصبتك بالحر ! فقال : إنها تُسْرِجُ فِي يَدِي بِنُورِهَا ، وَفِي قَلْبِي بِسُرُورِهَا

كأنَّ النَّاشِءَ نَظَرَ إِلَى هَذَا الْكَلَامِ فَقَالَ :

رَاحٌ إِذَا عَلَتِ الْأُكْفُ كَثُوسُهَا فَكَأَنَّهَا مِنْ دُونِهَا فِي الرَّاحِ^(١)

وَكَأَنَّهَا الْكَاسَاتُ مِمَّا حَوْلَهَا مِنْ نُورِهَا يَسْبِخُنَ فِي ضَحَضَاحِ^(٢)

لَوْ بُثَّ فِي غَسَقِ الظَّلامِ ضِيَاؤُهَا طَلَعَ الْمَسَاءَ بَغْرَةً الْإِصْبَاحِ

نَفَضَتْ عَلَى الْأَجْسَامِ نَاصِعَ لَوْنِهَا وَسَرَّتْ بِلَذَّتِهَا إِلَى الْأُرُوجِ

البيت الأول كقول البحتری :

يُخْفَى الزَّجَاجَةُ ضَوْؤُهَا ، فَكَأَنَّهَا فِي الْكُفِّ قَائِمَةٌ بِغَيْرِ إِيَاءِ^(٣)

وللناشيء في هذا المعنى :

وَمُدَامَةً يَخْفَى النَّهَارُ لِنُورِهَا وَتَذِلُّ أَوْ كُنَافُ الدُّجَا لَضِيائِهَا

صُبَّتْ فَأَحْدَقَ نُورُهَا بَرْجَاجِهَا فَكَأَنَّهَا جُعِلَتْ إِيَاءً إِيَاءِهَا

وَتُرَى إِذَا مُصِبَّتْ بَدَتْ فِي كَاسِهَا مِتْقَاصِرَ الْأَرْجَاءِ عَنْ أَرْجَائِهَا

وَتَكَادُ أَنْ مُزِجَتْ لِرَقَّةِ لَوْنِهَا تَمْتَّازُ عِنْدَ مِرَاجِهَا مِنْ مَائِهَا

صَفْرَاءُ تُضْحِي الشَّمْسُ ، إِنْ قَيْسَتْ بِهَا فِي ضَوْئِهَا ، كَاللَّيْلِ ، فِي أَضْوَائِهَا

(١) الراح ، هنا : الكف (م) . (٢) الضحضاح : الماء القليل (م) .

(٣) الذي في الديوان « يخفى الزجاجه لونها » (م) .

وإذا تصفحت الهوا رأيت
تزداد من گرم الطباع بقدر ما
لا شيء أعجب من تولد برثها
كدر الأديمة عند حُسن صفائها
نودي به الأيام من أجزائها
من سُقمها، ودوائها من دلتها

وقال :

إن رُمت وصف الرياح فأت بما
هي ماء ياقوت، وإن مزجت
فكانها وحبأها ذهب
فيها من الأوصاف من قُرب
في كأسها بالبارد الكذب
كلتة باللؤلؤ الرطب
ولأهل العصر: الدنيا معشوقة ريقها الراح . أخذ هذا المعنى من قول ابن
الرومي في صاعد بن مخلد :

فتى هاجر الدنيا وحرّم ريقها
ولو طمعت في عطفه ووصله
وهل ريقها إلا الرحيق المورّد
أباحته منها مر شفا لا يصرّد
الخر أشبه شيء بالدنيا ؛ لاجتماع اللذات والمرارة فيها . الخمر مصباح السرور،
ولكنها مفتاح الشرور . لكل شيء سرٌّ ، وسرُّ الراح السرور . لا يطيب المدام
الصافي ، إلا مع النديم المصافي .

ومن ألفاظهم في صفات مجالس الأُنس وآلات اللهو وذكر الخمر
تجلس راحه ياقوت، ونوره ورد، ونار نجه ذهب، ونرجسه دينار ودرهم ،
يحملها زبرجد . عندنا أترج كأنه من خلك خلق ، ومن شمائلك^(١) سرق ،
ونارنج ككرات من سفن ذهب^(٢) ، أو ندى أبار خلقت . مجلس أخذت
فيه الأوتار تتجاوب ، والأقداح تتناوب . أعلام الأُنس خاققة ، وألسن الملاهي

(١) الشمائل : السجايا والطباع ، واحدها شمال (م) .

(٢) سفن : جلد سمك خشن يسفن به الخشب حتى تذهب عنه آثار المبراة ،

شبه ما يسمى اليوم « سفرة » (م) .

ناطقة . ونحن بين بدور ، وكاسات تدور ، وبروق راح ، وشموس أقداح . قد
نشأت عمامة الند ، على بساط الورد . مجلس قد تفتحت فيه عيون النرجس ،
وقاحت مجامير الأترج ، وفتقت فأرات النارنج ، ونطقت ألسن العيدان ،
وقامت خطباء الأوتار ، وهبت رياح الأقداح ، وطلعت كواكب الندمان ،
وامتدت سماء الند . مجلس من رآه حسب الجنان قد اضطفت عيونها ، فجعلت
في قدر من الأرض ، وتمجرت فصوصها ، فنقلت إلى مجلس الأنس واللّهو .
قد فض اللّهو ختامه ، ونشر الأنس أعلامه . قد هبت للأنس ريح برقها الراح ،
وسحابها الأقداح ، وعودها الأوتار ، ورياضها الأقمار . قد فرغنا للهو والدهر
عنا في شغل .

جُلُّ هذا من قول بعض أهل العصر :

كم جوى مثله رسمٌ مثل وديم قد طلّ أنباء طلل
ولال كل الخد بها لعب البين بربات الكليل
حبذا عيش الليالي باللوى لو تجافى الدهرُ عنا وغفل
إذ فرغنا فيه للهو وقد باتت الأقدارُ عنا في شغل
وأدرنا ذهباً في لهبٍ كلما أخذ بالماء اشتغل

قد اقتعدنا غارب الأنس ، وجرينا في ميدان اللّهو . عمدنا إلى أقداح
اللّهو فأجلناها ، ولسراكب السرور فامتطيناها . قد امتطينا غوارب
السرور بالأقداح . مُدامة تورديج الورد ، وتمحكي نار إبراهيم في
اللّون والبرد ، ولست أندري أشقيق أم عقيق ، أم رحيق أم حريق . راح
كان الديوك صبّت أقداحها فيها . راح كأنما اشتقت من الرّوح والراحة .

قال ابن الرومي :

والله ما ندري لآيةٍ علّة يدعونها في الراح بانم الراح
ألريحها أم روحها تحت الحشى أم لازتياح نديمها المرتاح

راح كالنار والنور والنور ، أصفى من البلور ، ومن دمع المهجور . روح
نور لها من الكأس جسم ، كأنها شمس في غلالة سراب . شراب أكاد أقول :
هو أصفى من مودتي لك ، ومن نعم الله عندي فيك ، وأطيب من إسعاف
الزمان بلقائك . مُدَامَةٌ قد سبك الدهر تَبْرَها فصفا . كأس كأنها نورٌ ضميره
نارٌ . راح كياقوتة في دُرَّة ، أصفى من ماء السماء ، ودمع العاشقة المرهأء^(١) ،
أحسن من الدنيا المُقبلة ، والنعم المكلمة . أحسن من العافية في البدن ، وأطيب
من الحياة في السرور . أرق من نسيم الصبا ، وعهد الصبا . أرق من دمع
محبة ، وشكوى صب . أرق من دموع العشاق ، مرثها لوعة الفراق .
مزج نارُ الرّاح بنورِ الماء . راح كأنها معصورة من وجنة الشمس ، في
كأس كأنها مخروطة من فلقة البدر . كأسها ملء اليد ، ويريحها ملء البلد ،
نصب على الليل ثوب النهار ، كأنها في الكأس معنى دقيق في ذهن لطيف .
كان الرّاح من خده معصورة ، وملاحة الصورة عليها مقصورة . وهذا من
قول الطائي * كأنها من خده تُعصرُ * وقال عبد السلام بن رغبان الملقب
بديك الجن الشاعر المشهور :

معتقة من كف ظني كأنما تناولها من خده فأدارها

تمشت الصهباء في عظامهم ، وترقت إلى هامهم ، وماست في أعطافهم ،
ومالت بأطرافهم . سارت فيهم الكئوس ، ونالت منهم سورة الخندريس^(٢) .
شربت عقولهم ، وملكت قلوبهم .

وقال أبو نؤاس ، وهو أستاذ الناس في هذا الشأن :

صفة الطول بلاغة القدم فاجعل صفاتك لابنة الكرم
تصف الطول على السماع بها أفذه العيان كتابت العلم

(١) مرهأء : بيضاء . (٢) الخندريس ، والصهباء : من أسماء الخمر .

وإذا وصفت الشيء متبعا
لم تتخل من غلطٍ ومن وهمٍ
وقال :

الكأس أهواها وإن رزأت
صفراء تجدها مرّازبها
ذخرت لآدم قبل خلقته
فاعذر أخاك فإنه رجلٌ

وقال :

فتسليتُ بشربٍ عُقَارٍ
فتناساها الجديدان حتى
وافترعنا مرة الطعم بها
واحتسينا من رحيق عتيق
لم يُجفها مِبْزَلُ القوم حتى
أو كعرقِ السام تنشق منه

وقال :

وخدين لذاتٍ معلل صاحب
قال: أُبغني المصباح، قلت له: أتئدُّ
فسكبت منها في الزجاجة شربةً

وهذا كقوله :

وقحار أنمختُ عليه ليلا
فترجم والكرى في مُقلتيه
أبن لي كيف صرت إلى حريمي

(١) بلغ المعاش : مواد الرزق، واحدها بلغة ، بالضم (م) .

(٢) القلائص : جمع قلوص ، وهي الناقة الفتية ، يريد ألقى عنده عصا السفر ،

وفي الديوان « حططت عليه » وفيه « قدونين » (م) .

رَأَيْتُ الصَّبْحَ مِنْ خَلْلِ الدِّيارِ
وما صَبَحَ سِوَى ضَوْءِ العُقَّارِ
فَعَادَ اللَّيْلُ مَسْدُولَ الإِزارِ

خَبِلا، وَتُوذِنُ رُوحَهُ بِرِوَايحِ
سَكْرًا، وَأُسَلِّمَ رُوحَهُ لِلرَّاحِ

مِنْكَأ تَضَوُّعَ فِي الإِنَاءِ عَتِيقًا
كَفُّ النَّدِيمِ قِنَاعَهَا مَشْقُوقًا
فَكَأَنَّهُ سَبَّجٌ أُعِيدَ عَقِيقًا

حَوَاشِيهَا مَا مَجَّ مِنْ رِيْقَةِ العِنَبِ
تَرْبَعُ مَاءَ الدَّرِّ فِي سُبُكِ الذَّهَبِ
غَزَالٌ بِمَحْنَاءِ الزَّجَاجَةِ مَخْتَضِبٌ

لِغَاتٍ، وَلَا جِئِمٌ بِبَاشِرَةِ لَمْسٍ
فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ غَيْرُ مَا تَذَكَّرُ النَّفْسُ

عُقَّارًا كَمَثَلِ النَّارِ حَرَاءَ قَرَقَفَا
تَدَفَّقُ يَاقُوتًا وَدُرًّا مُجَوَّفَا
وَخِيَاتٍ سَنَاهَا بَارِقًا قَدْ تَكَشَّفَا

تَقَلَّتْ لَهُ : تَرَفَّقَ بِي ؛ فَإِنِّي
فَكَانَ جِوَابُهُ أَنْ قَالَ : كَلَّا
وَقَامَ إِلَى الدَّنَانِ فَسَدَّ فَأَهَا
وَقَالَ بَعْضُ المُحَدِّثِينَ :

مَا زَالَ يَشْرِبُهَا وَتُشْرِبُ عَقْلَهُ
حَتَّى أَنْتَنَى مَتَوَسِّدًا بِيَمِينِهِ
وَقَالَ الصُّنُوبِيُّ وَذَكَرَ شَرْبًا (١) :

نَازَعْتَهُمْ كَأَسَا تَخَالُ نَسِيمَهَا
شَقَّتْ قِنَاعَ الفَجْرِ لَمَّا غَادَرَتْ
صَبَغَتْ سِوَادَ دُجَاهِ حَمْرَةَ لَوْنِهَا
وَقَالَ أَبُو الشَّيْصِ :

وَكَأْسٌ كَسَا السَّاقِي لَنَا بَعْدَ هَجْعَةٍ
كَأَنَّ أَطْرَادَ المَاءِ فِي جَنَابَتِهَا
سَقَانِي بِهَا، وَاللَّيْلُ قَدْ شَابَ رَأْسُهُ،
وَقَالَ أَبُو عَدِي الكَاتِبُ :

لَيْسَ لَهَا حَدٌّ تُحِيطُ بِوَصْفِهِ
وَلَكِنَّهُ كَالْبَرْقِ أَوْ مَضَى مَاضِيًا
وَقَالَ ابْنُ المَعْتَزِ :

أَلِفَاسِقِيهَا قَدَمَشَى الصَّبْحَ فِي الدُّجَى
فَنَاولَنِي كَأَسًا أَضَاءَتْ بَنَانُهُ
وَلَمَّا أَرَيْنَاهَا المَزَاجَ تَسَعَّرَتْ

(١) الشرب - بالفتح - هم القوم يشربون .

يطوف بها ظنبي من الإنس شادين
 يقلب طرفاً فاسق اللحظ مدّنا
 عليم بأسرار المحيين حاذق
 بتسليم عينيه إذا ما تخوّفا
 فظل يتاجيني يُقلب طرفه
 بأطيب من تجوى الأمانى والطفنا

وقال :

ألا عُج على دار السرورِ فسلم
 وقل : ما حلت بالعين بعدك لذة
 وصراف من صبغ المزاج برأسها ،
 قطعت بها عمر الدجى وشربتها

وقل : أين لذاتي وأين تكلمي؟
 سواك ، وإن لم تعلق ذلك فاعلمى
 إذا مزجت ، إكليل درة منظم
 ظلامية الأحشاء نورية الدم

[من رسائل بديع الزمان الهمداني]

كتب أبو الفضل بديع الزمان إلى أبي عدنان بن محمد الضبي^(١) يعزيه عن
 بعض أقاربه :

تعمّر
 إلى أبي عدنان
 محمد الضبي

إذا ما الدهر جرّ على أناسٍ حواديثه أناخ بأخريتنا
 فقل للشامتين بنا أفيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا
 أحسن ما في الدهر عمومته بالنوائب ، وخصوصه بالرغائب ، فهو يدعو
 الجفلى^(٢) إذا ساء ، ويخصّ بالنعمة إذا شاء ، فليفكر الشامت ؛ فإن كان أفلت ، فله
 أن يشمت ، ولينظر الإنسان في الدهر وصروفه ، والموت وصروفه ، من فاتحة أمره ،
 إلى خاتمة عمره ؛ هل يجد لنفسه ، أثراً في نفسه ؟ أم لتدييره ، عوناً على تصويره ،
 أم لعمله ، تقدماً لأمله ، أم لحيله ، تأخيراً لأجله ؛ كلا ، بل هو القيد لم يكن شيئاً
 مذكوراً ؛ خلق مقهوراً ، ورزق مقهوراً ، فهو ينجياً جبراً ، ويهلك صبراً ،
 وليتأمل المرء كيف كان قبلاً ؛ فإن كان العدم أصلاً ، والوجود فضلاً ، فليعلم

(١) الذي في الرسائل (ص ٢١٢ بيروت) « إلى أبي عامر عدنان بن عامر
 الضبي » وفي العبارات قليل من الاختلاف عما هنا (م) .

(٢) الجفلى - بفتح الجيم والقاء واللام - الدعوة العامة التي لا يخص بها واحد

دون آخر ، والدعوة الخاصة يقال لها « النقرى » بفتحات أيضا (م) .

الموت عدلاً ؛ فالعاقل من رقع من جوانب الدهر ماساء بما سره ، ليذهب ما نفع
بما ضره ؛ فإن أحب الأيحين فلينظر يمنة ، هل يرى إلا محنة ، ثم ليعطف يسرة ،
هل يرى إلا حسرة ؟ ومثل الشيخ الرئيس - أطال الله بقاءه ! - من فطن لهذه
الأشرار ، وعرف هذه الديار ، فأعدّ لنعيمها صدراً لا يملؤه فرحاً ، ولبوئسها قلباً
لا يطيره ترحاً ؛ وصحب البرية برأى من يعلم أن للمتعة حداً ، وللعارية رداً ،
ولقد نعى إلى أبو قبيصة قدس الله روحه ، وبرّد ضريحه ، فعرضت على آمالي
قعوداً ، وأمانى سوداً ، وبكيت ، والسخي جوده بما يملك ، وضحكت ، وشره
الشدائد ما يضحك ، وعضضت الأصبع حتى أدميته ، وذمت الموت حتى
تمنيته ؛ والموت أطال الله بقاء الشيخ الرئيس خطب قد عظم حتى هان ، وأمر قد
خشن حتى لآن ، ونكر قد عمّ حتى عاد عرفاً ؛ والدنيا قد تنكرت حتى
صار الموت أخفّ خطوبها ، وقد خبت حتى صار أقلّ عيوبها ، ولعل هذا السهم
قد صاب آخر ما في كنفاتها ، وأنكأ ما في خزائنها ، ونحن معاشر التبع نتعلم
الأدب من أخلاقه ، والجميل من أفعاله ، فلا نحته على الجميل وهو الصبر ، ولا
نرغبه في الجزيل وهو الأجر ؛ فليتر فيهما رأيه إن شاء الله .

كتاب منه
لبعض إخوانه

وله إلى بعض إخوانه جواباً عن كتاب كتبه يهنيه بمرض أبي بكر الخوارزمي
وكانت بينهما مقارعة ، ومنازعة ، ومناقرة ، ومهاترة ؛ ولما مجالس مستظرفة قهره
البديع فيها وبهره ، وبكته حتى أشكته ، ليس هذا موضعها ، لكنني أذكر بعد
هذه الرسالة بعض مكاتبات جرت بينهما ؛ إذ كان ما لهما من الابتداء والجواب
آخذاً بوصل الحكمة وفضل الخطاب :

الحرّ أطال الله بقاءك - لا سيما إذا عرف الدهر معرفتي ، ووصف أحواله
صفتي - إذا نظر علم أن نعم الدهر ما دامت معدومة فهي أمانى ، وإن وجدت
فهي عواري ، وأن محن الأيام وإن طالت فستنفد ، وإن لم تُصب فكان قد ،
فكيف يشمت بالمحنة من لا يأمنها في نفسه ، ولا يعدّها في جنبه ، والشامت

إن أفلتَ فليس يُفوت ، وإن لم يمتَ فسيموت ؛ وما أقبَحَ الشماتة ، بمن أمن
الإماتة ، فكيف بمن يتوقعها بعد كل لحظة ، وعقب كل لفظة ، والدَّهرُ
غرثان طعمه الخيار^(١) ، وظمان شربه الأحرار ، فهل يشمت المرء بأنياب آكله ،
أم يسرُّ العاقل سلاح قاتله ؟ وهذا الفاضل شفاء الله وإن ظاهرناه بالعداوة قليلا ،
فقد باطنناه ودا جميلا ، والحرُّ عند الحمية لا يصطاد ، ولكنه عند الكرم ينقاد ،
وعند الشدائد تذهب الأحقاد ، فلا تتصور حالتى إلا بصورتها من التوجع
لعلته ، والتحرُّن لمرضته ، وقاهُ واللهُ المكروه ، ووقانى سماعَ المحذور فيه ، بمنته
وحواله ، ولطفه وطوله .

قال البديع في سياقة أخباره مع أبي بكر الخوارزمي :

أولها أنا ووطننا خرَّاسان ، فما اخترنا إلا نيسابور داراً ، وإلا جوار السادة
جوارا ، لا جرم أنا حططنا بها الرُّحل ، ومددنا عليها الطُّنب ، وقديما كنا
نسمعُ بحديث هذا الفاضل فنتشوقه ، وبخبره على الغيب فتعشقه ، ونقدّر أنا
إذا ووطننا أرضه ، ووردنا بلدَه ، يخرج لنا في العشرة عن القشرة ، وفي المودة
عن الجلدة ، فقد كانت كلمةُ العُربةِ جمعتنا ، ولُحمةُ الأدبِ نظمتنا ، وقد قال
شاعرُ القوم غير مدافع^(٢) :

أجارتنا إنا غريبان ها هنا وكلُّ غريبٍ للغريبِ نسيبُ

فأخلف ذلك الظن كلَّ الإخلاف ، واختلف ذلك التقدير كلَّ الاختلاف ،
وكان قد اتفق علينا في الطريق من العرب اتفاق ، لم يوجبهُ استحقاق ، من بزة
بزوها ، وفضة فضوها ، وذهب ذهبوا به ، ووردنا نيسابور براحة ، أنقى من

(١) غرثان : جوعان ، والطعم : المطعوم (م) .

(٢) هو امرؤ القيس بن حجر الكندي (م) .

الراحة ، وَكَسِي أَخْلَى مِنْ جَوْفِ حِمَارٍ^(١) ، وَزَى أَوْحَشَ مِنْ طَلْعَةِ الْمَعْلَمِ ، بِلِ
اطَّلَاعَةِ الرَّقِيبِ ، فَمَا حَلَلْنَا إِلَّا قَصْبَةَ جَوَارِهِ ، وَلَا وَطِئْنَا إِلَّا عَتَبَةَ دَارِهِ ؛ وَهَذَا
بَعْدَ رُقْعَةٍ قَدَّمَ مَنَاهَا ، وَأَحْوَالَ أَنْسِ نَظَمْنَاهَا -

ونسخة الرقعة : أنا بقرب الأستاذ أطل الله بقاءه كما طرب النشوان مالت
به الخمر ، ومن الارتياح للقائه كما انتفض العصفور بلبه القطر ، ومن الامتزاج بولائه
كما التقت الصهباء والبارد العذب ، ومن الابتهاج لمزاره كما اهتزت تحت البارح
الغصن الرطب ، فكيف نشاط الأستاذ سيدي لصديق طراً إليه مما بين
قصبتى العراق وخراسان ، بل عتبتى نيسابور وجرجان ؟ وكيف اهتزازه لضيف :
رث الشائل مُخْلَقُ الْأَثْوَابِ بَكَرَتْ عَلَيْهِ مُغِيرَةُ الْأَعْرَابِ
وهو - أيده الله ! - ولي إنعامه ، بإنفاذ غلامه ، إلى مستقرى ، لأفضى إليه
بما عندي - إن شاء الله -

فَمَا أَخَذْتَنَا عَيْنُهُ سَقَانَا الدُّرْدِيَّ مِنْ أَوَّلِ دَنَةِ ، وَأَجْنَانَا سُوءَ
العِشْرَةِ مِنْ بَا كُورَةِ فَتِهِ ، مِنْ طَرْفِ نَظَرِ بَشْطَرِهِ ، وَوَقِيَامِ دَفْعِ فِي صَدْرِهِ ،
وَصَدِيقِ اسْتِهَانِ بَقْدَرِهِ ، وَضَيْفِ اسْتَخْفِ بِأَمْرِهِ ؛ لَكِنَّا أَقْطَعْنَاهُ جَانِبَ
أَخْلَاقِهِ ، وَوَلَّيْنَاهُ خُطَّةَ نِفَاقِهِ ؛ فَوَاصِلْنَاهُ إِذْ جَانَبَ ، وَقَارَبْنَاهُ إِذْ جَاذَبَ ،
وَشَرَبْنَاهُ عَلَى كُدُورَتِهِ ، وَلَبَسْنَاهُ عَلَى خُشُونَتِهِ ، وَرَدَدْنَا الْأَمْرَ فِي ذَلِكَ إِلَى زِي
اسْتَفْتِهِ ، وَلِبَاسِ اسْتِرْتِهِ ، وَكَاتِبْنَاهُ نَسْتَمِدُّ وَدَادَهُ ، وَنَسْتَلِينُ قِيَادَهُ ، وَنُقِيمُ مُنَادَاهُ ،
بِمَا هَذِهِ نَسَخْتُهُ :

الأستاذ أبو بكر ، وَاللَّهُ يُطِيلُ بَقَاءَهُ ، أَرْزَى بَضِيفَهُ أَنْ وَجَدَهُ يَضْرِبُ إِلَيْهِ
آبَاطَ الْقِلَّةِ ، فِي أَطْهَارِ الْعُرْبَةِ ، فَأَعْمَلُ فِي رُتْبَتِهِ أَعْمَالَ الْمَصَارِفَةِ ، وَفِي الْاِهْتِزَازِ
إِلَيْهِ أَصْنَافِ الْمَضَايِقَةِ ، مِنْ إِيمَاءِ بِنِصْفِ الطَّرْفِ ، وَإِشَارَةِ بَشْطَرِ الْكَفِّ ،

(١) الحمار هنا يقال : هو الحيوان المعروف ، وخلص جوفه كناية عن كونه لا
يتنفع منه بشيء ، وقيل : الحمار رجل من عاد ، وجوفه : واد كان يحمله وكان ذا ماء
وشجر ، فكفر بنعم الله عليه ، فأهلكه الله وأقصر واديه (م) .

ودَفَعِ فِي صدر القيام عن التمام ، ومَضَعِ للكلام ، وتكَلَّفِ لردِّ السلام ؛ وقد
 قبلت ترتيبه صَعْرًا ، واحتملته وزرا ، واحتضنته نكراً ، وتأبَّطته شراً ، ولم آلهُ
 عُدْرًا ؛ فإن المرءَ بالمالِ وثيابِ الجمالِ ، ولستُ مع هذه الحالِ وفي الاسمالِ ، أتقرِّزُ
 من صَفِّ النعالِ ، فلو صدَّقْتُهُ العتابَ ، وناقشته الحسابَ ، لقلتُ : إنَّ بِيَّادِينَا
 ثاغية صباح ، وراغية رَوَاح ، وناسا يجرِّون المطارِفَ ، ولا يمنعون المعارفَ :
 وفيهم مقاماتٌ حَسَنانُ وجوههم وَأُنْدِيَةٌ يَنْتَابُهَا القَوْلُ والفِعْلُ

فلو طوَّحت بأبي بكر - أيده الله - إليهم مطارِحُ الغُرْبَةِ ، لوجد منزلَ
 البشرِ رحيباً ، ومحطَّ الرِّخْلِ قريبا ، ووجه المضيفِ خصبياً ؛ فرأى الأستاذُ
 أبي بكرَ أيده الله في الوقوفِ على هذا العتابِ الذي معناه وُدٌّ ، والمرُّ الذي يتلوه
 شهيدٌ ، موفقٌ إن شاء الله .

فأجاب بما نسخته : وصلتُ رُقْعَةً سيدي ورئيسي أطال الله بقاه إلى آخر
 السِّكْبَاجِ^(١) ، وعرَّفت ما تضمنه من خَشِنِ خطابهِ ، وموئِلمِ عتابهِ ، وصرفت
 ذلك منه إلى الضَّجْرَةِ التي لا يخلو منها مَنْ مسَّه عُسرٌ أو نَبأٌ به دهرٌ ؛ والحمد لله
 الذي جعلني موضعَ أنسِهِ ، ومظنَّةَ مشتكى ماني نفسه ، أما ماشكاه سيدي ورئيسي
 مِنْ مضايقتي إياه في القيامِ ، فقد وفية حقّه - أيده الله - سلاماً وقياماً ، على
 قَدْرِ ما قدرتُ عليه ، ووصلت إليه ، ولم أرفعْ عليه إلا السيدَ أبا البركاتِ [العلوي]
 أدام الله عزه ، وما كنتُ لأرفعُ أحداً على مَنْ أبوه الرسولُ ، وأُمُّه البتولُ ، وشاهداه
 التوراةَ والإنجيلَ ، وناصراه التأويلَ والتنزيلَ ، والبشيرَ به جبريلُ وميكائيلُ ؛
 فأما القومُ الذين صدر عنهم سيدي فكما وصف : حسن عشرة ، وسداد طريقة ،
 وجمال تفصيل وجملة ، ولقد جاوَزْتُهُم فأحدث المراد ، ونلت المراد :

(١) السكباج : طعام يتخذ من اللحم والخل والمرق . والمراد هنا ألوان العتاب
 الذي قدمه (م) .

فإن كنت قد فارقت نجداً وأهلهُ فما عهد نجدٍ عندنا بذيهمِ
والله يعلم نيتي للأحرار^(١) كافة ، ولسيدي من بينهم خاصة ؛ فإن أعانتى الدهرُ
على ما في نفسي بلغتُ له ما في النية ، وجاوزتُ به مسافةَ القدرِ والأمنية ، وإن
قطع على طريقِ عَزْمِي بالمعارضة ، وسوء المناقضة ، صرفتُ عِنَانِي عن طريقِ
الاختيار ، بيد الاضطرار .

فما النفسُ إلا نطفة بقرارةٍ إذا لم تُكدرْ كان صفواً غديرها^(٢)
وبعد ، فخبذا عتابُ سيدي إذا استوجبتنا عتبا ، واقترفنا ذنباً ؛ فأما أن
يسلفنا العربةَ فنحن نَصُونُهُ عز ذلك ، ونَصُونُ أنفسنا عن احتمالهِ ، واست
أسومه أن يقول : (استغفرُ لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين) ، ولكن أسأله أن
يقول : (لا تُثريبَ عليكم اليومَ يغفر الله لكم وهو أرحمُ الراحمين) .
فحين وَرَدَ الجواب وعينُ العذرِ رَمِدَةً تركناه بعُرِّهِ ، وطويناها على غرِّهِ ،
وعمدنا إلى ذِكْرِهِ فسحونا ، ومن صحيفتنا محوناه ، وصيرنا إلى اسمه فأخذناه
ونبذناه ، وتنكبنا خطته ، وتجنبنا خطته^(٣) ، فلا طرنا إليه ، ولا صيرنا به ، ومضى
على ذلك الأسبوع ، ودبت الأيام ، ودرجت الليالي ، وتناولتِ المدة ، وتصرَّم
الشهرُ ، وصيرنا لا نغيرُ الأسماعَ ذِكْرَهُ ، ولا نودعُ الصدورَ حديثه ؛ وجعل
هذا الفاضل يستزيد ، ويستعيد ، بألفاظ تقطعها الأسماع من لسانه ، وتؤديها إلى ،
وكلمات تحفظها الألسنة من فمه ، وتعيدها على ؛ فكاتبناه بما هذه نسخته :

أنا أريدُ من الأستاذ سيدي - أطال الله بقاءه - شِرعَةً وُدَّهُ وإن لم تصفُ ،
وألبسُ خلعة برِّهِ وإن لم تصفُ ، وقصاراي أن أكيه صاعاً عن مدَّة ؛ فإني وإن
كنتُ في الأدب دَعِيَّ النَّسَبِ ، ضيق المضطرب ، سيء المنقلب ، أمتُّ إلى
عشرة أهله بِنِيْقَةٍ ، وأنزع إلى خدِّمة أصحابه بطريقة ، ولكن بقي أن يكون
الخليطُ مُنْصِفاً في الوداد ، إذا زرت زاراً ، وإن عدتُ عاد ، وسيدي - أبقاه الله -

(١) في الرسائل (ص ٣٤ بيروت) « للاخوان كافة » (م) .

(٢) في الرسائل « كان صفواً معينها » (م) . (٣) في الرسائل « وتجنبنا خطته » (م) .

ناقشني في القبول أولاً^(١)، وصارمني في الإقبال آخرًا؛ فأما حديثُ الاستقبال،
وأمرُ الإنزال والأنزال^(٢)، فنطاقُ الطمعِ ضيقُ عنه، غيرُ متسعٍ لتوقه منه،
وبعد فكلفة الفضلِ بيّنة، وفروض الودِّ متعيّنة، وأرضُ العشرة لينة، وطرقها
هيّنة، فلمَ اختارَ قعودَ التّعالى مركبًا، وصعودَ التّغالي مذهبًا؛ وهلا زاد الطير عن
شجر العِشرة، وذاقَ الجُلُوعَ من ثمرها؛ فقد علمَ الله أن شوقِي إليه قد قدَّ الفؤادَ
بَرَحًا إلى برح، ونكأه قَرَحًا إلى قرح، ولكنها مرّةً مرّةً، ونفْسٌ حَرّةٌ، لم تُقدِّ إلا
بالإعظام، ولم تُتلقَ إلا بالإجلالِ والإكرام، وإذا استعفاني من معاتبته، فأعني نفسه من
كَلَفِ الفضلِ يتجشّمها، فليس إلاّ غصص الشوقِ أتجرعُها، وحُلل الصبرِ أتدرعُها، ولم
أعره من نفسي، وأنا لو أعرتُ جناحِي طائرًا لما طيرتُ إلاّ إليه، ولا وقعتُ إلاّ عليه:

أحبك يا شمسَ النهارِ وبدوهُ وإنْ لامني فيك السها والفرّاقُ

وذاك لأنّ الفضلَ عندك باهرٌ وليس لأنّ العيشَ عندك باردٌ

فلما وردت عليه الرقعة حشد تلاميذه وخدمته، وجشّم للإيجابِ قدمه^(٣)،

وظلّع علينا مع الفجر طلوعه، ونظمتنا حاشيتنا دار الأمير أبي الطيب؛ فقلنا:

الآن تُشرق الحشمة وتنور، ونُنجدُ في العشرة ونُغور، وقصدناه شاكرين

لما أتاه، وانتظرنا عادة برّه، وتوقّعنا مادةً فضله؛ فكان خلبًا شمنًا، وآلًا

ورَدْنَاهُ^(٤)، وصرفنا في تأخره وتأخرنا عنه إلى ما قاله ابن المعتز:

إنّا على البعاد والتفرُّقِ كَنَلتَقِي بالذِّكرِ إنْ لم نَلتَقِ

وأنشدنا قول ابن عسرينا^(٥):

أحبك في البتول وفي أبيها وإكني أحبّك من بعيدِ

(١) في الرسائل « ناقشني في الحساب القبول أولاً وصارمني في الإقبال ثانياً » (م).

(٢) الإنزال - بكسر الهمزة - مصدر أنزله، والأنزال - بالفتح - جمع نزل،

وهو ما يقدم للضيف (م). (٣) في الرسائل « وجشّم الإيجاب قدمه » (م).

(٤) الحلب - بزنة سكر - البرق الذي لا يعقبه مطر، والآل: السراب (م).

(٥) في الرسائل ذكر بعد هذه العبارة البيتين السابقين اللذين أولهما « أحبّك

يا شمس النهار وبدوهُ » (م).

وبقينا نلتقي خيالا ، ونقع بالذكر وصلا ، حتى جعلت عواصفه تهب ،
وعقاربه تدب .

والمجلس طويلٌ جداً .

قلت : إن كنتُ خرجتُ نطولِ هذا الكلام عن ضبط الشرط ، فلعلني
أسمح فيه لفضله ، وعدم مثله ، وهو وإن كان في باب الاتصال ، فهو بتقدير
الانفصال ، لقيام كل رسالة بذاتها ، وانفرادها بصفاتها .

وكتب إلى رئيس هرة عدنان بن محمد يصف ماجرى بينه وبين الخوارزمي :
ما ألوم هذا الفاضل على بساط شرط طواه ، وموقد حرب اجتواه ، ولكني
ألومه على مانواه ؛ ثم لم يتبع هواه ، ورامه ، ثم لم يبلغ آثامه ، وأقول : قد ضرب
فأين الإيجاع ؟ وأنذر فأين الإيقاع ؟ وهذه بوارقه ، فأين صواعقه ؟ وذلك وعيده ،
فأين عديده ؟ وتلك بنوده ، فأين جنوده ؟ وأنشد :

* هذي معاهده فأين عهوده ؟ *

وما أهول رعدَه ، لو أمطر بعده ! اللهم لا كفران ، ولعن الله الشيطان ،
فإنه أشفق لغريب أن يظهر عوارَه ، وإن طار طواره^(١) ، وإن كان قصد هذا
القصد فقد أساء إلى نفسه من حيث أحسن إلى ، وأجحف بفضله من حيث أتقى
على ، وأوهم الناس أنه هاب البحر أن يخوضه ، والأسد أن يروضه ، وشجعني
على لقائه ، بعد ما برعني^(٢) بإيمانه ، فبينا كنت أنشد :

* إن جنبي على الفراش لناب *

إذ أنشدت :

* طاب كليلي وطاب فيه شرابي *

(١) العوار - بزنة سحاب - العيب ، والطوار - بزنة سحاب أيضاً - الحوم

(٢) برعني : غلبني ، والإيماء : الإشارة .

حول الشيء .

وبينا أنا أقول :

* ما لقلبي كأنه ليس مني *

إذ قلت :

* أين من كلن موعداً لي بأني *

فلو أن هذا الفاضل قضى حقنا بالزيارة عند قدومنا أو الاستزارة ، لكان في الضرب أحسن ، وفي طريق المعاشرة أذهب . لا ، ولكنه وعد بالمباراة أولاً ، وهددنا بالمسائل ثانياً ، وأخلف بالتخلف ثالثاً ؛ فأبلغ وجدى إليه ، وأعرض شوقى عليه ، وقل له إن كنت ندمت على النضال ، فلا تندم على الإفضال ، فإن طويتنا حيث الجهاد ، قانشرنا حيث الوداد ، وإن لم تلقنا في باب المعاشرة ، فأتنا من باب المعاشرة .

وله إلى الإمام أبي الطيب سهل بن محمد : قد كان الشيخ يعذني عن هذه الحضرة عداتٍ أشم لها الأنف ، لا ذهاباً بتلك الفواضل عنها ، لكن استحالة من هذا الزمان أن يجود بها ؛ فحين أسرفت على الحضرة ماجت إلى أمواج الشرف منها ، وخلص إلى نسيم الكرم عنها ، وأتحفني على رسم الإجلال بمركوب شامخ ، ومركب ذهبٍ سابغ ، وجنيب^(١) شرف زائد؛ وسرت بحمد الله محفوفاً بأعيان الكتاب ، وعيون الرجال ، حتى شافهت بساط العز ، مستقبلاً ملك الشرق أدام الله علوه ، فغذب بضبعي عن أرض الخدمة ، إلى جوار وليّ النعمة ، حرس الله مكانه ، فاهتز اهتزازات سمة الإكرام ، وتجاوز اسم الإعظام إلى القيام ، فقبلت من يميناه مفتاح الأرزاق ، وفتاح الآفاق ، ولحقت منه بقاب العقاب^(٢) ، وخاطبني بمخاطبات نشدت بها ضالة الكرام ، وهلم جراً إلى ماتبعها من جميل الإنزال ، وسني الأجزال^(٣) .

كتاب منه
للإمام سهل
ابن محمد

(١) أصل الجنيب : الفرس تجنبه مع الذي تركبه لتركبه إذا تعب المركوب ، وفي الرسائل « وحين شرف زائد » (م) .

(٢) قاب العقاب : هو ييضة الذي يضرب به المثل في عزة المنال .

(٣) الأجزال : النعم الجزيلة ، وسنيها : شريفها ، وانظر ص ٤٨٠ هامشة ٢ .

وطرأت من الشيخ العميد على شخصٍ بسَّعه الخاتم ، ولايسعه العالم ، ويهتزُّ
عند المكارم كالغصن ، ويثبت عند الشدائد كالركن ، وسلطانٍ يحلم حلمَ السيفِ
مُعَمِّداً ، ويغضب مجرّداً ، فهو عند الكرم لَيِّنٌ كصَفْحَتِهِ ، وعند السياسة خَشِنٌ
كشَفْرَتِهِ ، وملكٌ يَأْتِي الكرم تِيَةً ، والفضلَ سَجِيَةً ، ويفعل الشرَّ كَلْفَةً
أَوْ خَطِيئَةً ، فهو ضرورٌ بآلاته ، نفوعٌ بذاته ، عطارِدٌ قَلَمُهُ ودَوَاتُهُ ، والمريخُ
سَيْفُهُ وقَنَاتُهُ ؛ عَيْبُهُ أَنْ لَا عَيْبَ فِيهِ ، فيصرف عَيْنَ الكمالِ عن معاليه .

وصادفت من الشيخ الموفق أيده الله ملكاً يُشَاهِدُ عِيَانًا ، وجبلاً قد سُمِّيَ
إِنْسَانًا ، وحسناً قد مُلِيَ ، إِحْسَانًا ، وأَسَدًا قد لُقِّبَ سُلْطَانًا ، وَبَجْرًا قد أَمْسَكَ
عِيَانًا ، وحطَّطَتْ رَحْلِي بِفَنَاءِ الأَمِيرِ الفاضل أبي جعفر أدام الله عزَّه ، فوجدت
حكماً في ماله أنْفَذَ من حكمه ، وقَسَمِي من غِنَاهُ أَوْفَرَ من قَسَمِهِ ، وَاسْمِي في
ذاتِ يَدِهِ مَقْدَمًا على اسْمِهِ ، وَبِيَدِي إلى خَزَائِنِهِ أُسْرِعَ من يَدِهِ ، وَإِنْ قَصِدْتَ أَنْ أُفْرِدَ
لِكُلِّ مَدْحًا ، وَأَعْبِرَ الجُمْلَةَ شَرْحًا ، أَطَلْتُ ، فَهَلَمْ جَرًّا إلى ما افتتحت الكتاب لأجله .
ورد للخوارزمي كتاب يتقلب فيه على جنبِ الحردِ ، ويتقلَّى على جمرِ الضجَرِ ،
ويتأوّه من سُخَارِ الحجلِ ، ويتعثَّرُ في أذْيَالِ الكَلَلِ ، ويذكر أنَّ الخِصَّةَ قد
علمت لأينا كان ^(١) الفلج ، فقلت : است البائن أعلم ، والخوارزمي أعرف ، والأخبار
المتظاهرة [أعدل ، والآثار الظاهرة] أصدق ، وحلبة السباق أحكم ، وما مضى
بيننا أشهد ، والعودُ إنْ نَشِطَ أَخْمد ، ومتى استزاد زِدْنَا ، وإنْ عادت العقرب
عُدْنَا ، وله عندي إذا ما شاء ، كلُّ ما شاء !

وهي طويلة فيها هَنَاتٌ صنَّتْ الكتابَ عنها ، وقد أعادَ البديع معنى قوله في
صدر حكايته مع الخوارزمي ، فقال في رقعة كتبها إلى سعيد الإسماعيلي ، وقد
وقفت به الضرورة على تلك الصورة من سلب العرب ماله :

كتابي ، بل رُقْمَتِي ، أطال الله بقاء الشيخ ، وقد بكرت على مُفِيرَةٍ

كتاب منه
للإسماعيلي

(١) الفلج : الظفر والغلبة على قرنه .

الأعراب، كهلهل، وربيعة بن مُكَدَّم، وعتيبة بن الحارث بن هشام، وأنا أحمد الله إلى الشيخ الفاضل، وأذم الدهر؛ فما ترك لي من فضه إلا فضها، ولا ذهب إلا ذهب به، ولا علق إلا علقه^(١)، ولا عقار إلا عقاره، ولا ضيعة إلا أضعها، ولا مال إلا مال إليه، ولا سبد إلا استبد به، ولا لبد إلا لبد فيه، ولا بزة إلا بزها^(٢)، ولا عارية إلا ارتجها، ولا ودعة إلا اتزعها، ولا خلعة إلا خلعها، وأنا داخل نيسابور ولا حلية إلا جلدة، ولا بُرد إلا القشرة، والله ولي الخلف يعجله، والفرج يسهله، وهو حسبي ونعم الوكيل.

وليس البديع بأبي عذرة هذا الخطاب، وسترى نظير هذا المعنى في

هذا الكتاب.

ومن إنشائه في مقامات أبي الفتح الإسكندري

قال: حدثني عيسى بن هشام قال: كنت في بعض بلاد بني فزارة مرتحلاً نجبية، وقائداً جنيبة، يسبحان سبحاً، وأنا أهييم بالوطن، فلا الليل يثني بي بوعيده، ولا البعد يدني بيديه، وظللت أخبط ورق النهار، بعصا التسيار، وأخوض بطن الليل، بحوافر الخيل، فينا أنا في ليلة يضلُّ بها الغطاط^(٤)، ولا يُبصر بها الوطواط، أسبح ولا سائح إلا السبع، ولا بارح إلا الضبع، إذ عن لي راكب تام الآلات، يطوى منشور القلوات، فأخذني منه ما يأخذ الأغزال من شاكي السلاح، لكنني تجلّدت فقلت: أرضك لا أم لك! فدونك شرط الحداد، وخرط القتاد، وخضم ضخم، وحمية أزدية، وأنا سلم إن شئت، وحرِبُ إن أردت، من أنت؟ قال: سلماً أصبت، قلت: خيراً أجبت، قلت: فمن أنت؟ قال: نصيح إن شاورت، فصيح إن حاورت، ودون اسمي

تعامات الفزارية
لبديع

(١) العلق - بالكسر - الشيء النفيس الذي يضمن به، وعلقه: أي أخذه (م)

(٢) بزها: سلبها وغلب عليها (م) (٣) الذي في المقامات «ولا البعد يوليوني بيده» (م)

(٤) الغطاط - بزنة سحاب - القطا، وهو مضرب المثل في الهداية.

لثام ، لا تُميطه الأعلام . قلت : فما الطئمة ؟ قال : أجوب جُيوبَ البلاد ،
 حتى أقع على جَفَنَةِ جَوَادٍ ، ولي فؤاد يَخْدُمه لسان ، وبيان يَرُوقه بَنَانٌ ،
 وقصارايَ كَرِيمٌ يَنْفُضُ إِلَى حَقِيْبَتِهِ ، وَيَخْفَى لِي جَنِيْبَتِهِ ، كَابِنِ حُرَّةٍ طَلَعَ إِلَى
 بِالْأَمْسِ ، طُلُوعِ الشَّمْسِ ^(١) ، وَغَرَبِ عَنِي بَغْرُوبِهَا ؛ لَكِنَّهُ غَابَ وَلَمْ يَغِيبْ تَذْكَارُهُ ،
 وَوَدَّعَ وَشَيَّعْتَنِي آثَارُهُ ، وَلَا يَنْبُتُكَ عَنْهَا أَقْرَبُ مِنْهَا ، وَأَوْمَأُ إِلَى مَا كَانَ يَلْبَسُهُ ،
 فَقُلْتُ : شِحَاذُ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ أَخَاذُ ، لَهُ فِي الصَّنْعَةِ نَفَازٌ ، بَلْ هُوَ فِيهَا أَسْتَاذُ ،
 وَلَا بَدَأُ أَنْ تَرُشِّحَ لَهُ وَتَسِيحَ عَلَيْهِ ، وَقُلْتُ لَهُ : يَا فَتَى ، قَدْ أَجَلَيْتَ عِبَارَتَكَ ، فَأَيْنَ
 شَعْرُكَ مِنْ كَلَامِكَ ؟ فَقَالَ : وَأَيْنَ كَلَامِي مِنْ شِعْرِي ! ثُمَّ اسْتَمَدَّ غَرِيْزَتَهُ ، وَرَفَعَ
 عَقِيْرَتَهُ ، بِصَوْتِ مَلَأِ الْوَادِي ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

وَأَرْوَعَ أَهْدَاءَ لِي اللَّيْلِ وَالْفَلَا وَخَمَسَ تَمَسُّ الْأَرْضِ لَكِنْ كَلَا وَلَا ^(٢)
 عَرَّضْتُ عَلَى نَارِ الْمَكَارِمِ عُوْدَهُ فَكَانَ مُعَمًّا فِي السَّوَابِقِ مُخْوَلَا
 وَخَادَعْتُهُ عَنْ مَالِهِ فَخَدَعْتُهُ وَسَاهَلْتُهُ فِي بَرِّهِ فَتَسَهَّلَا
 وَلَمَّا تَجَالَيْنَا وَأَحْمَدَ مَنْطِقِي بَلَانِي فِي نَظْمِ الْقَرِيْبِ بِأَبَلَا ^(٣)
 فَمَا هَزَّ إِلَّا صَارِمًا حِينِ هَزَّنِي وَلَمْ يَلْقَنِي إِلَّا إِلَى السَّبْقِ أَوْلَا
 فَلَمْ أَرَهُ إِلَّا أَغْرًا مُحَجَّبًا وَمَا تَحْتَهُ إِلَّا أَغْرًا مُحَجَّلَا

فقلت : على رسلك يا فتى ، ولك مما يصحبنى حكك . فقال : الجنيبة ،
 قلت : إن ^(٤) وما عليها . ثم قبضت بجمعي عليه ، وقلت : لا والله الذي ألهما
 لهما ، وشقها من واحدة خمسا ، لا تزايلنا أو نعلم علمك ، فحذر لثامه عن وجهه ،
 فإذا والله شيخنا أبو الفتح الإسكندري ، فما لبثت أن قلت :
 توشحت أبا الفتح بهذا السيفِ مُخْتَلَا

(١) طلوع الشمس ، هنا : منتصب على الظرفية ، وليس مفعولا مطلقاً ، ويبدل
 له ما ذكره بعده (م) (٢) كلا ولا : يريد في غاية السرعة كسرعة النطق بلفظ لا (م)
 (٣) بلاني : اخترتني (م) (٤) أن ، هنا : بمعنى نعم .

وما تصنعُ بالسيفِ إذا لم تكُ قتالا؟
[فصُغ ما أنتِ حليتِ به سيفك خلخالاً]

[من طرف الأدب]

وعلى ذكر قوله : « إن وما عليها » قال أبو عبيدة : وقد عبد الله بن الزبير
الأسدي على عبد الله بن الزبير بن العوام فقال : يا أمير المؤمنين ، إن بيني وبينك
رحما من قبل فلانة الكاهلية ؛ هي أختنا ، وقد ولدتكم ، وأنا ابنُ فلان ؛
فلانة عمتي . فقال ابنُ الزبير : هذا كما ذكرت ، وإن فكرت في هذا أصبت ،
الناسُ كلهم يرجعون إلى أب واحد ، وأم واحدة .

بين عبد الله
بن الزبير بن
العوام وشاعر

فقال : يا أمير المؤمنين ، إن نَفَقَتِي قد ذَهَبَتْ . قال : ما كنتِ ضمنتِ لأهلك
أنها تكفيك إلى أن ترجع إليهم . قال : يا أمير المؤمنين ؛ إن ناقتي قد نَقِبتِ
ودَبَرَتْ^(١) . فقال له : أنجِدْ بها يَبْرُدُ خَفْها ، وارْقِها بِسَبْتِ ، وإخْصِفْها بِهَلْبِ^(٢) ،
وسِرْ عليها البريدين . قال : يا أمير المؤمنين ، إنما جئتُك مستَحْمِلا ، ولم آتِكِ مستوصفا^(٣)
لعن اللهُ ناقةً حملتني إليك . قال ابنُ الزبير : إن وراكِها ! فخرج وهو يقول :
أرى الحاجاتِ عند أبي خَبِيبِ نَكِدْنَ ، ولا أُمِّيَّةَ في البلادِ
من الاعياصِ أو من آلِ حَرْبِ أغرَّ كغُرَّةِ الفرسِ الجوادِ
ومالي حينَ أقطعَ ذاتَ عِرْقِ إلى ابنِ الكاهلية من مَعادِ^(٤)
وقلتِ لصحبتِي أذُنوا رِكابِي أفارقُ بطنَ مَكَّةَ في سَوادِ
فبلغ شعره هذا عبد الله بن الزبير ، فقال : لو علم أن لي أمًّا أخسَّ من^(٥) عمته
الكاهلية لنسبني إليها ، وكان ابنُ الزبير يكنى أبا بكر وأبا خَبِيبِ .

(١) نَقِبت : رِق خَفِها ، ودَبَرَتْ : أصابها قرحة (م) .

(٢) السبْت : الجلد المدبوغ ، والهَلْب : الشعر ، أو شعر الخنزير خاصة (م) .

(٣) مستَحْمِلا : طالبا أن يحملني بأن تعطيني ركوبة ، ومستوصفا : أي طالبا

منك أن تصف الدواء (م) . (٤) في كل المطبوعات « من مفاد » تطبيع (م) .

(٥) في كل المطبوعات « أحسن » تطبيع (م) .

قال الصولي: أخذ المعتصم من محمد بن عبد الملك الزيات فرساً أشهب أحمر،
كان عنده مكينا، وكان به ضنينا، فقال يرثيه

فرس
ابن الزيات

قالوا: جزعت، فقلت: إن مصيبةً جلت يتيها، وضاق المذهب^(١)
قال أبو بكر: هكذا أنشدني ابن المعتز على أن (إن) بمعنى نعم، وأنشد النحويون:
قالوا: كبرت، فقلت: إن، وربما ذكر كبير شبابه فتطربا

كيف العزاه وقد مضى لسبيله * * *
دب الوشاة فباعدوه، وربما
لله يوم غدوت فيه ظاعنا
نفسى مقسمة أقام فريقيها
الآن إذ كملت أداتك كلها
وغدوت طنان اللجام كأنما
وكان سرجك، إذ علاك، غمامة
أنسك؟ لا زالت إذا منسية
أضمرت منك اليأس حين رأيتني
يا صاحبي لثمل ذا من أمره
إن تسعدا فصنعة مشكورة
عوجا فقولا: مرحبا، وتزودا
منع الرقاد جوى تضمه الحنى

عنا فودعنا الأحم الأشهب
بعد الهى وهو الحبيب الأقرب
وسئبت قرارك، أى علق أسلب؟
ومضى لطيته فريق يجنب
ودعا العيون إليك حسن معجب
في كل عضو منك صنج يضرب
وكانما عت الغمامة كوكب
نفسى، ولا ترحت بملك تنكب
وقوى حبالى من حبالك تقضب
صحب القى في دهره من يصحب
أو تحذلا فصنعة لا تذهب
نظراً وفل لمن تحب المرحب
مما كابدته وهم منصب

[المزاح]

قال الحجاج بن يوسف لابن القرية: ما زالت لحكاء تكره المزاح،
وتنهي عنه، فقال: المزاح من أدنى منزله إلى أقصاها عشرة أبواب: المزاح
أوله فرح، وآخره ترح. المزاح نقائص السفهاء، كاشعر نقائص الشعراء. والمزاح

بين الحجاج
وابن القرية

(١) تقدير الكلام « فقلت: نعم، هذه مصيبة عظمت رزيتها - إلخ » (م).

يُوغِرُ صَدْرَ الصَّدِيقِ ، وَيَنْفِرُ الرَّفِيقُ . وَالْمَزَاحُ يُبْدِي السَّرَائِرَ ؛ لِأَنَّهُ يَظْهَرُ الْمَعَايِرَ .
وَالْمَزَاحُ يُسْقِطُ الْمَرْوَةَ ، وَيُبْدِي الْخَنِي . لَمْ يَجُرَّ الْمَزَاحُ خَيْرًا ، وَكَثِيرًا مَا جَرَّ شَرًّا .
الغالب بالمزاح وآثر ، والمغلوب به تأثر . والمزاح يجلب الشتم صغيره والحرب
كبيره ، وليس بعد الحرب إلا عفو بعد قدرة .

فقال الحجاج : حسبك ، الموت خير من عفو معه قدرة .

وذكر المزاح بحضرة خالد بن صفوان فقال : يُنْشِقُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ مِثْلَ

الْحَرْدَلِ ، وَيُفْرَغُ عَلَيْهِ مِثْلَ الْمِرْجَلِ ، وَيَرْمِيهِ بِمِثْلِ الْجَنْدَلِ . ثُمَّ يَقُولُ : إِنَّمَا
كَنتُ أَمْزَحُ !

خالد

ابن صفوان
يبين مساوي
المزاح

أخذ هذا المعنى محمود بن الحسين الوراق فقال :

تَلَقَى الْفَتَى يَلْقَى أَخَاهُ وَخِدْنَهُ فِي كُنْ مَنْطِقِهِ بِمَا لَا يُغْفَرُ
وَيَقُولُ : كَنتُ مَاهِزًا وَمُلَاعِبًا هِيهَاتَ نَارُكَ فِي الْحَشَى تَنْسَعِرُ !
أَوْ مَا عَلِمْتَ وَكَانَ جَهْلَكَ غَالِبًا . أَنَّ الْمَزَاحَ هُوَ السَّبَابُ الْأَضْفَرُ

للوراق في هذا
المعنى

فقر في هذا النحو لأهل العصر وغيرهم

الْمَزَاحَةُ تَذْهَبُ بِالْمَهَابَةِ ، وَتُورِثُ الضَّعِيفَةَ . الْإِفْرَاطُ فِي الْمَزَاحِ مُجُونٌ ، وَالِاِقْتِصَادُ
فِيهِ ظَرْفٌ ، وَالتَّقْصِيرُ عَنْهُ نَدَامَةٌ . أَوْ كَدُّ أَسْبَابِ الْقَطِيعَةِ الْمِرَاءِ وَالْمَزَاحِ .

ابن المعتز - من كثر مزاحه لم يخجل من استخفاف به أو حقد عليه .

لابن العنز
لابن القرية

قال أيوب بن القريية : الناس ثلاثة : عاقل ، وأحمق ، وفاجر ؛ فالعاقل
الدين شريعته ، والحلم طبيعته ، والرأي الحسن سجيته ؛ إن سئل أجاب ، وإن
نطق أصاب ، وإن سمع العلم وعى ، وإن حدث روى . وأما الأحمق فإن تكلم
عجل ، وإن حدث وهل^(١) ، وإن استنزل عن رأيه نزل ، فإن حمل على التبيح
حمل . وأما القاجر فإن ائتمته خانك ، وإن حدثته شأنك ، وإن وثقت به لم
يرعك ، وإن استكتم لم يكتم ، وإن علم لم يعلم ، وإن حدث لم يفهم ، وإن فقه لم يفقه .

(١) وهل : غلط ونسي (م) .

[الطيرة والزجر]

في التفاؤل
لأبي حية
النميري

قال أبو حية النميري :

جَرَى يَوْمَ رُحْنَا عَامِدِينَ لِأَرْضِنَا
فَهَابَ رِجَالُهُ مِنْهُمْ فَتَعَيَّفُوا
عُقَابٌ بِأَعْقَابٍ مِنَ الدَّارِ بَعْدَمَا
وَقَالُوا : حَامَاتُ ، فَحُمَّ لِقَاؤُهَا
وَقَالَ صَحَابِي : هُذُودٌ فَوْقَ بَانَةِ ،
وَقَالُوا : دَمٌ ، دَامَتْ مَوَائِقُ بَيْنَنَا
لَعَيْنَاكَ يَوْمَ الْبَيْنِ أَسْرَعُ وَكَفَا
وَنَسِوَةَ شَحْشَاحٍ غَيُورٍ يَخْفَنَهُ
يَقْلَنُ ، وَمَا يَدْرِينِ أَنِّي سَمِعْتُهُ
أَهَذَا الَّذِي غَنَى بِسَمَاءٍ مَوْهِنًا
إِذَا مَا تَعَنَّى أَنْ مِنْ بَعْدِ زَفْرَةٍ
وَقَائِلَةٌ : يَادَهُمْ وَيَحْكُ ! إِنَّهُ
فَلَوْ أَنَّ قَوْلًا يَجْرَحُ الْجِلْدَ قَدْ بَدَا
وهذا من غريب الزجر مليح التفاؤل .

قال أبو العباس محمد بن يزيد : أنشدني أعرابي في قصيدة ذي الرمة التي
لدى الرمة مما ينسب

وَلَهْكَ
أَلَا يَا أَسْمَى يَا دَارِمَى عَلَى الْبَلَى
وَلَا زَالَ مِنْهَا بِجَرِّ عَائِكَ الْقَطْرُ
بِئْتَيْنِ لَمْ يَرَوْهَا الرِّوَاءُ فِي دِيْوَانِهِ ، وَهِيَ :
رَأَيْتُ غَرَابًا سَاقِطًا فَوْقَ قَضِيْبَةٍ
مِنَ الْقَضْبِ لَمْ يَنْبُتْ لَهَا وَرَقٌ خُضْرُ
فَقُلْتُ : غَرَابٌ لَا غَرَابَ ، وَقَضِيْبَةٌ
لِقَضْبِ النَّوَى هَذِي الْعِيَاةُ وَالزَّجْرُ

(١) لعله « على ما به من غنة » فقد وردت في الأما لي ٦٩/١ « على غنة في صوته »

وقال آخر :

دعاصرد يوماً على غضن بانه
فقلت: أتصريد وشحط وغربة؟
وصاح بذات البين منها غرابها
فهذا لعمرى نأياً واغترابها

وقد أكرت العرب من ذكر الطيرة ، والزجر ، وكانت تقتدى بذلك
وتجري على حكمه ، حتى ورى النهى في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :
لا عدوى ولا طيرة ، وقد قال الأول :

عادة الجاهلية
والنهي عنها

لعمرك ما تدرى الضوارب بالحصى
ولا زاجرات الطير ما الله صانع

وقال ضابي بن الحارث البرجمي :

وما عاجلات الطير، تدرني من الفتى
ولا خير فيمن لا يوطن نفسه
ورب أمور لا تضيرك ضيرة
وللقب من مخشائهن وجيب
نجاحاً ولا عن ريشهن نجيب^(١)
على نائبات الدهر حين تنوب
وللقب من مخشائهن وجيب

وقال الكميث بن زيد الأسدي :

ولا أنا من يزجر الطير هم
ولا السانحات البارحات عشية
أصاح غراب أم تعرض ثعلب
أمر سليم القرن أم مر أعضب

الكميث
ابن زيد

وقال شاعر قديم :

لا يمنعك من بُغاً
ولا التشاؤم بالعطأ
فلقد غدوتُ وكنت لا
فاذا الأشام كالآياً
وكذاك لاخير ولا
قد خط ذلك في الزبؤ
والخير تعقاد التمام
س ولا التيامن بالمقايم
أغدو على واق وحاتم^(٢)
من والأيامن كالأشام
شر على أحد بدائم
ر الأوليات القدام

(١) وقع في نسخة «تدرى من الفتى» و «ولا عن ريشهن نجيب» تحريف (م)

(٢) إواقى : الصرد ، والحاتم : الغراب (م) .

ولقد أحسن ابن كناسة في رثاء ولده يحيى ، أنشده أبو العباس ثعلب : لابن كناسة
 تيممت فيه الفأل حتى رُزنته ولم أدّر أن الفأل فيه يَفِيلُ
 فسَمِيته يَحْيَى لِيَحْيَا ؛ فلم يكن إلى ردِّ أمرِ الله فيه سبيلُ
 وروى المدائني قال : خرج كثير من الحجاز يريدُ مصر ، فلما قَرُبَ منها نزل
 بمنزل ، فإذا هو بغراب على شجرة بَانٍ يَنْتِفِ ريشه وَيَنْعَبُ ؛ فأسرع الرحيل ،
 ومضى لوجه ؛ فلقية رجلٌ من بني نَهْدٍ ، فقال : يا أخا الحجاز ؛ مالي أراك
 كاسِفَ اللون ؟ قال : ما علمت إلا خيراً ، قال : فهل رأيت في طريقك شيئاً
 أنكرته ؟ قال : لا والله إلا في منزلي هذا ، فإني رأيتُ غراباً يَنْتِفِ ريشه على
 بانه وَيَنْعَبُ . قال : أما إنك تطلب حاجةً لا تدركها .

بين كثير
 ورجل نهدي

فقدم مصر والناسُ منصرفون من جنازة عزة ، فقال :

رأيتُ غراباً ساقطاً فوقَ بانهٍ يُنْتِفُ أعلى ريشه ويطايرُهُ
 فقلت - ولو أني أشاء زجرتهُ بنفسى - للنهدى : هل أنت زاجره ؟
 فقال : غراب لا غراب من النوى وفي البانِ بينٌ من حبيب تجاورهُ
 فما أعيفَ النهدي ، لأدرَ دَرُّهُ ! وأزجره للطير ، لا عزَّ ناصرُهُ

ثم أتى قبر عزة فأناخ به ساعة ثم رحل ، وهو يقول :

أقولُ ونِضوى واقفٌ عند رأسها عَلَيكَ سلامُ الله والعينُ تَسْفَحُ
 فهذا فراق الحق لا أن تُزيرني بلادك فتلاء الذراعين صيدح^(١)
 وقد كنت أبكى من فراقكِ حيةً وأنتِ لعمرى اليومَ أنأى وأنزحُ

وقال جرير :

بَانَ الخليطُ برامتين فودَّعُوا أَوْ كَلَّمَا نعبوا لبين تمجزعُ
 إن السَّوامح بالضُّحَى هيَّجَنِي في دارِ زَيْنَبَ والحمامُ الوقعُ
 لجرير

لعوف الراهب

وقال عوف الراهب خلاف هذا :

غلط الذين رأيتهم بجهالةٍ يَلْحَوْنَ كُلَّهُم غراباً يَنْعَقُ

(١) فتلاء الذراعين : قوينهما ، وصيدح : فرس شديد الصوت (م) .

ما الذنبُ إلا للأباعر؛ إنها مما بُشِتَ جميعهم ويفرَّق
 إنَّ العرابَ يمينه تدنو النوى وتشتتُ الشملَ الجميع الأئنيق
 وقد تبعه في هذا المذهب أبو الشيص فقال :

لأبي الشيص

ما فرَّق الأحابَ بعد الله إلا الإبلُ
 والناس يَلْحَوْنَ غُرَا بَ البينِ لَمَّا جهلوا
 وما على ظَهْرِ غُرَا بَ البينِ تُطوى الرَّحْلُ
 ولا إذا صاح غُرَا بٌ في الديار احتملوا
 وما غرابُ البينِ إلا ناقةٌ أو جملُ
 وما أملح ما قال القائل :

زعموا بأن مطيهم عون النوى والمؤذوناتُ بفرقة الأحابِ
 ولو أنها حَتَّني لما أبغضتها ولها بهم سببٌ من الأسبابِ

وكان علي بن العباس الرومي مُفْرِطَ الطَّيْرَةِ ، شديد الغلو فيها . قال علي بن
 عبد الله بن المسيب : وكان يحتجُّ لها ، ويقول : إن النبي صلى الله عليه وسلم كان
 يُحِبُّ الفأل ، وَيَكْرَهُ الطَّيْرَةَ ؛ أفترأه كان يتفائلُ بالشئ ، ولا يتطيَّر من ضده ؟
 ويقول : إن النبي صلى الله عليه وسلم مرَّ برجل وهو يرَّحَلُ ناقةً ويقول :
 يا ملعونة ، فقال . لا يصحِّبنا ملعون ، وإن علياً رضى الله عنه كان لا يَغْزُو غَزَاةً
 والقمرُ في العقب ، ويزعم أن الطيرة موجودةٌ في الطباع قائمةٌ فيها ، وأن بعضَ
 الناس هي في طباعهم أظهر منها في بعض ، وأن الأكثرَ في الناس إذا لقي ما يكرهه
 قال : علي وجه من أصبحت اليوم ؟ .

بن الرومي
 كان شديد
 الطيرة

فدخل علينا يوم مهرجان سنة ثمان وسبعين وقد أهدى إلى عدة من جوارى
 القيان ، وكانت فيهن صبينةٌ حولاء ، وعجوزٌ في إحدى عينيها نكتة ، فتطيَّر من
 ذلك ، ولم يُظهِر لي أمره ، وأقام باقي يومه ؛ فلما كان بعد مدة يسيرة سقطت ابنة لـ

من بعض السطوح ، وجفاه القاسم بن عبيد الله ، فجعل سبب ذلك المعنيين المغنيتين ،
وكتب إلى :

أيها المُتَحِفِي بِحَوْلٍ وَعُورٍ أين كانت عنك الوجوه الحسانُ
قد لَعَمْرِي رَكِبْتَ أَمْرًا مَهِينًا ساءنى فيك أيها الخُلَصَانُ
فَتَحَكَّ المَهْرَجَانُ بِالْحَوْلِ وَالْعُورِ أرانا ما أعقب المَهْرَجَانُ
كان من ذاك فِقدُك ابْنَتَكَ الخُرْمَةَ مصبوغةً بها إلا كِفَانُ
وَتَجَافِي مَوَمَلٍ نِي جَلِيلٍ لِمَجٍّ فِيهِ الجِفَاءُ وَالهِجْرَانُ
وعزير على تفریع نخلٍ لا يُدَانِيهِ عِنْدِي الخُلَانُ
غير أنى رأيت إذكارةُ الحزمِ وإشعاره شِعَارًا يُصَانُ
لا تَهَاوَنُ بِطِيْرَةِ أَيَّهَا النِّظَارِ وأَعْلَمُ بِأَنَّهَا عُنْوَانُ
قف إذا طيرة تلقنتك وانظُرْ واستمع ثمَّ ما يقولُ الزَّمانُ
قلما غاب من أمورك عنوا ن مبین وللزَّمانِ لِسَانُ
لا تكن بالهوى تكذب بالأخبار حتى تهين مالا يُهَيَّانُ
لا يَقْدُكَ الهوى إلى نصره الأَخْبَارِ حتى يقدِّم البرهانُ
إن عُقْبِي الهوى هُوِيٌّ ، وَعُقْبِي طول تلك المَهْوَنَاتِ هَوَانُ
لا تصدق عن النبيين إلا بحديث يلوح فيه البيانُ
خبر الله أن مشامةً كما نت لقومٍ وخبر القرآنُ
أفزور الحديثِ تقبل أم ما قاله ذو الجلال والفرقانُ ؟
أترى من يرى البشيرُ بشيرا يمتري في النذير يا وَسْنَانُ
فدع الهزل والتضحك بالطيرة والنصح مُشْعَنٌ مَجَّانُ

وقد فرَّق حُذَّاقُ أهل النظر في المقال ، بين الطيرة والقال ، فقالوا : الطيرة
الفرق بين
الطيرة والقال كانت العرب ترجعُ إلى ما تمضيها ، وتجرى على تقضيها ، وكان الذي يهْمُ بهم
إذا ما رأى ما يتطير منه رجع عنه ؛ وفي ذلك ما يصرف عن الإحالة على المقادير

الجارية بيد مُمضِيها ، النازلة على حكم قاضيها ، والفأل لا يرد المرید عما يريد !
يقوى منته ، ويسر مهجته ؛ ونس هذا موضع تطويل ، في إيراد الدليل .

وفي جفاء القاسم بن عبيد الله إياه يقول معاتباً :

من ابن الرومي
للقاسم بن
عبيد الله

ألم ترى أقرضتكَ الودَّ طامعاً ولم تر قبلي مُعسراً قطَّ أقرضاً
لعمري لقد صورت أبيض مسرفاً فلم لا تُريني وجهَ نَعاك أبيضاً
فيا ويح مولاك استغاث مسرب فأشرق فاستشفى شفاء فأقرضاً^(١)
ولولا اعتقادي أنك الخير كله لأزمتُ توديعاً ، قضى الله ما قضى
وإني وإن دارت علي دوائر لأعرض عمَّن صدَّ عني وأعرضاً
وما زلت عرافاً إذا زاد نسي بنجبتٍ وعيافاً إذا الماء عرماً^(٢)
وهذا البيت كقول الآخر

وإني للماء المخالط للقدى

إذا كثرت ورأده لعيوف

وفي ابنة المسيبي يقول ابن الرومي يعزّيه :

ابن الرومي
يرث ابنة المسيبي

أخا تقى أعزّز علي بنكبة منك بها صرف القضاء المقدّر
صبت ، وما للمرء من حكم به محيداً ، وأمر الله أعلى وأقهر
وقدمت من لا يخلف الدهر مثله عليك من الأسلاف والحقّ يبهّر
تعزيت عن أثمرتك حياته ووَشك التعزّي عن ثمارك أجدر
لأن اختيال الدهر في ابن وفي ابنة يسيرٌ وكرُّ الدهر شيخيك أعسر
تعذر أن نعتاض من أمهاتنا وآبائنا ، والنسل لا يتعذر

(١) أفرض : شرب من المشرع ، والمشرع يسمى الفرضة (م) .

(٢) عرّض الماء : خبث وطحلب .

فلا تهلكن حُزناً على ابنة جنةٍ
 لعلّ الذي أعطاك ستر حياتها
 فكم من أخي حريّة قد رأيتهُ
 فلا تهم لله فيها ولايةٌ
 وأنت وإن أبصرت رشداً مرةً
 فذو النظرِ الأعلى برشدك أبصرُ

وله يعزى على
 بن يحيى في ابنته

ومن مליح تعازيه عن ابنة قوله لعلّ بن يحيى المنجم :

لا تبعدنّ كريمةً أودعتها
 إني لأرجو أن يكون صداقها
 لا تياسنّ لها فقد زوّجتها
 صهراً من الأصهار لا يخزيكا
 من جنة الفردوس ما يرضيكا
 كفووا وضمنت الصداق مليكا

[الرغبة في موت البنات]

لعبيد الله بن
 عبدالله بن طاهر

وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر :
 لكل أبي بنت يرجى بقاؤها
 فبيت يغطيها ، وبعل يصونها ،
 ثلاثة أصهار إذا ذكر الصهرُ
 وقبر يوارئها ، وخيرها القبرُ

لعقيل بن علفة

وقال عقيل بن ^(١) علفة وكان أغير العرب .

إني وإن سيق إلى المهرُ ألفٌ وعبدانٌ وذودٌ عشرُ

أحبُّ أصهارى إلى القبرُ

ومنه أخذ عبيد الله ، قال أبو العباس محمد بن يزيد المبرد : دخل علينا لابن خلف

البهراني

ابن خلف البهراني فأنشدنا :

لولا أميمة لم أجزع من العدم
 وزادني رغبة في العيش معرقى
 أحاذرُ الفقر يوماً أن يُلمّ بها
 ولم أجب في الليالي حنّيس الظلم
 أنّ اليتيمة تحفوها ذوو الرّحم
 فيهلك الستر عن لحمٍ على وضم

(١) في المطبوعات «عقيل بن علقمة» تحريف ، وعلقفة بوزن سكرة (م) .

تهوى حياتي وأهوى موتها شفقا والموت أكرم نزال على الحرم
 وكانت أميمة بنت أخته ، وكان قد تبناها ، ثم غابت غيبة ، فسألناه
 عنها ، فأنشد :

أمت أميمة مغموراً بها الرَّجَمُ لدى صعيدٍ عليه الثُّرْبُ مَرَّتْكُمْ
 يا شِقَّةَ النفس ، إنَّ النفسَ والهةُ حرّى عليك ، ودَمَعَ العينِ مُنْسَجِمُ
 قد كنت أخشى عليها أن يؤخرها عنى الحِمامِ فيبْذِي وجهها العُدْمُ
 فالآن نمت فلا همَّ يُورِّقُنِي تَهْدَا العيونُ إذا ما أودت الحرمُ
 فالآن نمت ، فلا همَّ يُورِّقُنِي بعد الهدوء ؛ ولا وَجْدَ ولا حُلْمُ
 للموت عندي أيادٍ لست أنكرها أحيا سروراً وبى مما أتى ألمُ

[عَوْدٌ إِلَى تَطِيرِ ابْنِ الرَّومِيِّ]

بين ابن الرومي عاد ذكر ابن الرومي - وكان أبو الحسن علي بن سليمان الأخفش غلام
 وأبي الحسن أبي العباس المبرد في عصر ابن الرومي شاباً مترفاً ، ومليحاً مستظرفاً ، وكان يعبت
 الأخفش به ، فيأتيه بسحر ؛ فيقرع الباب ، فيقال له : من ؟ فيقول : قولوا لأبي الحسن
 مرة بن حنظلة ، فيتطير لقوله ، ويقيم الأيام لا يخرج من داره ، وذلك كان سبب
 هجائه إياه ، فمن أول ما عاتبه به :

قولوا لنحوينا أبي حسن إن حسامى متى ضربت مَضَى
 وإن نبلى إذا هممت بأن أرمى نصلتها بجمرٍ غَضَا
 لا تحسبن الهجاء يحفل بالرفع ولا خفضٍ خافضٍ خَفَضَا
 ولا تخلّ عودتى ككباديتي سَأَسْمِطُ السَّمَّ من أبي الحَضَضَا
 أعرف في الأشقياء بى رجلا لا يتهى أو بصير لي غَرَضَا
 يبيع لي صفحة السلامة والسلم ويخفى في قلبه مَرَضَا

أضحى مغيضاً على أن غضب آل له عليه ، ونلت منه رضا
وليس تجدي عليه موعظتي إن قدر الله حينه وقضى
كأنتى بالشقى معتذرا إن القوافى أذقته المفضاً
ينشدني العهد يوم ذلك وألهم خضاب إذا له قبضاً^(١)
لا يأمن السفية بأدرتي فإنتى عارض لمن عرضا
عندي له السوط إن تلوم في الـ ير وعندى اللجام إن ركضاً^(٢)
أسمعت إنباضتي أبا حسن والصفح لاشك نصح من محضاً^(٣)
وهو معافي من السهاد فلا يحمل فيمسي فراشه قفضاً^(٤)
أقسمت بالله لا غفرت له إن واحد من عروقه نبضاً
فاعتذر إليه ، وتشفع عنده بجماعة من أهل بغداد - وكان الأخفش أكثر
الناس إخوانا - فقبل عذره ، ومدحه بقصيدته التي يقول فيها :

ذُكِرَ الأَخْفَشُ القَدِيمُ قَلْنَا : إن للأخفش الحديث فضلاً
وإذا ما حكمت - والروم قومي - في كلام مُعَرَّبٍ كنتُ عدلاً
أنا بين الخصوم فيه غريبٌ لا أرى الزور للمُحَابَاةِ أهلاً
ومتى قلت باطلا لم ألقب فيلسوفا ولم أسم هرقلاً

* * *

الأخفش القديم هو أبو الخطاب ، وكان أستاذ سيبويه ، وهو من المتقدمين
في النحو ، ويُعرف بالأخفش الكبير ، وكان في عصر سيبويه [أيضاً] أبو الحسن
سعيد بن مسعدة ، وهو الأخفش الصغير ، وهو الذي قال : كان سيبويه يعرض
مأوضِع من النحو على ، ويرى أني أعلم منه ، وكان في وقته ذلك أعلم مني .

(١) في نسخة « وللعهد خضاب أذاله فضا » (م)

(٢) تلوم : تمهل وتمكث ، وركض : أسرع (م) (٣) إنباضتي : أراد صوتي (م)

(٤) القفض التراب أو صغار الحصى ، والمراد أنه لا يتمكن من النوم (م) .

تم عاد على بن سليمان إلى أذاه ، واتصل به أن رجلا عرض عليه قصيدة من شعره فطعن عليها ، فقال قصيدته التي يقول فيها :

أعتقتُ عبديَّ في القريضِ معا عبدةَ والفحلِّ من بني عبدة
 إن أنا لم أرمِ بالإساءة مَنْ زاعغَ عن القصدِ أو ألبى سدة
 قلت لمن قال لي عرضت على الـ أخفش ما قلته فما حمدة
 قصرت بالشعر حين تعرضه على مبین العمى إذا انتقده
 أنشدته منطقي ليشهده فغاب عنه عمي وما شهده
 ما بلغت بي الخطوب رتبة مَنْ تفهمُ عنه الكلابُ والقردة
 ولا أنا المفهم البهائم والطير سليمانُ قاهرُ المرده
 فإن يقل إنني حفظت فكالد فتر جهلاً بكل ما اعتقده
 سأسمع الناسَ ذمَّهُ أبداً ما سميع اللهُ حمدَ مَنْ حمده

عبدة بن الطيب، وعلقمة بن عبدة الفحل، وكانا شاعرين مجيدين ، وقال علقمة ابن عبدة لرجل ورأى آخر يعتذرُ إليه وهو معبّس في وجهه : إذا اعتذر إليك المعتذر فتلقه بوجه مُشرق ، و بِشْر مطلق ؛ ليتبسّط المتذلل ، ويؤمن المتصل .
 ولابن الرومي في الأخفش إخماش صُنّتُ الكتابَ عنه .

من آثار تطير قالُ علي بن إبراهيم كاتب مسروق البلخي : كنت بداري جالساً فإذا حجارة
 ابن الرومي سقطت بالقرب مني ، فبادرتُ هاربا ، وأمرتُ الغلام بالصعود إلى السطح ، والنظر إلى
 كل ناحية ؛ من أين تأتينا الحجارة ، فقال : امرأةٌ من دارِ ابن الرومي الشاعر !
 قد تشوّفتُ وقالت : اتقوا الله فينا ، واستقونا جرّة من ماء ، وإلا هلكنا ، فقد
 مات مَنْ عندنا عطشا .

فتقدمتُ إلى امرأةٍ عندنا ذات عقل ومعرفة أن تصعدَ إليها وتخطبها ،
 ففعلتُ وبادرتُ بالجرّة ، وأتبعتهما شيئا من الماء كقول ؛ ثم عادت إليّ فقالت :

ذَكَرَتِ الْمَرْأَةُ أَنَّ الْبَابَ عَلَيْهَا مُتَقَلِّبٌ مِنْ ثَلَاثِ سَبَبِ طَيْرَةِ ابْنِ الرَّومِيِّ ،
وَذَلِكَ أَنَّهُ يَلْبَسُ ثِيَابَهُ كُلَّ يَوْمٍ ، وَيَتَعَوَّذُ ثُمَّ يَصِيرُ إِلَى الْبَابِ ، وَالْمِفْتَاحُ مَعَهُ ،
فِيَضَعُ عَيْنَهُ عَلَى ثَقْبٍ فِي خَشَبِ الْبَابِ ، فَتَقَعُ عَيْنُهُ عَلَى جَارٍ لَهُ كَانَ نَازِلًا بِإِزَائِهِ ،
وَكَانَ أَحَدُ بِنْتَيْ كُلِّ يَوْمٍ عَلَى بَابِهِ ، فَإِذَا نَظَرَ إِلَيْهِ رَجَعَ وَخَلَعَ ثِيَابَهُ ، وَقَالَ :
لَا يَفْتَحُ أَحَدٌ الْبَابَ .

فَعَجِبْتُ لِحَدِيثِهَا ، وَبَعَثْتُ بِخَادِمٍ كَانَ يَعْرِفُهُ ، فَأَمَرْتُهُ بِأَنْ يَجْلِسَ بِإِزَائِهِ
- وَكَانَتِ الْعَيْنُ تَمِيلُ إِلَيْهِ - وَتَقَدَّمْتُ إِلَى بَعْضِ أَعْوَانِي أَنْ يَدْعُوَ الْجَارَ الْأَحَدَبَ ؛
فَلَمَّا حَضَرَ عِنْدِي أُرْسِلْتُ وَرَاءَ غَلَامِي ؛ لِيَنْهَضَ إِلَى ابْنِ الرَّومِيِّ ، وَيَسْتَدْعِيهِ الْحُضُورَ ؛
فَأَنِي لَجَالِسٌ وَمَعِيَ الْأَحَدَبُ إِذْ وَافَى أَبُو حَذِيفَةَ الطَّرْسُومِيَّ وَمَعَهُ بَرْدَعَةُ الْمَوْسُوسُ
صَاحِبُ الْمُعْتَصِدِ ، وَدَخَلَ ابْنُ الرَّومِيِّ ، فَلَمَّا تَخَطَّى عَتَبَةَ بَابِ الصَّخْنِ عَثَرَ فَانْقَطَعَ
شَيْعُهُ نَعْلُهُ ، فَدَخَلَ مَذْعُورًا ؛ وَكَانَ إِذَا فَاجَأَ النَّازِرَ رَأَى مِنْهُ مَنظَرًا يَدُلُّ عَلَى
تَغْيِيرِ حَالٍ ؛ فَدَخَلَ وَهُوَ لَا يَرَى جَارَهُ الْمَتَطَيِّرَ مِنْهُ ، فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَبَا الْحَسَنِ ،
أَيَكُونُ شَيْءٌ فِي خُرُوجِكَ أَحْسَنَ مِنْ مَخَاطَبَتِكَ لِلخَادِمِ ، وَنَظَرِكَ إِلَيَّ وَجْهَ الْجَمِيلِ ؟
فَقَالَ : وَقَدْ لَحَقَنِي مَا رَأَيْتُ مِنَ الْعَثْرَةِ ، لِأَنِّي فَكَّرْتُ أَنْ بَهْ عَاهَةٌ ! وَهِيَ قَطْعُ
انْتِيَابِهِ ، قَالَ بَرْدَعَةُ : وَشَيْخُنَا يَتَطَيَّرُ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ وَيُفْرِطُ ، قَالَ : وَمَنْ هُوَ ؟
قُلْتُ : عَلِيُّ بْنُ الْعَبَّاسِ ، قَالَ : الشَّاعِرُ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ وَأَنْشَدَهُ :

وَمَا رَأَيْتُ الدَّهْرَ يُؤْذِنُ صَرْفَهُ بَتَفْرِيقِ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ الْحَبَائِبِ
رَجَعْتُ إِلَى نَفْسِي فَوَطَّنْتُهَا عَلَى رُكُوبِ جَمِيلِ الصَّبْرِ عِنْدَ النَّوَابِ
وَمَنْ صَحِبَ الدُّنْيَا عَلَى جَوْرِ حُكْمِهَا فَأَيَّامُهُ مَخْفُوفَةٌ بِالْمَصَائِبِ
فَخُذْ خُلْسَةً مِنْ كُلِّ يَوْمٍ تَعِيشُهُ وَكُنْ حَذِرًا مِنْ كَامِنَاتِ الْعَوَاقِبِ
وَدَعْ عَنكَ ذِكْرَ الْفَالِ وَالزَّجْرِ وَاطَّرِحْ تَطَيِّرَ جَارٍ أَوْ تَفَاوُلَ صَاحِبِ

فَبَقِيَ ابْنُ الرَّومِيِّ بَاهِتًا يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَلَمْ أَدْرِ أَنَّهُ شَغَلَ قَلْبَهُ بِحِفْظِ مَا أَنْشَدَهُ ، ثُمَّ
قَامَ أَبُو حَذِيفَةَ وَبَرْدَعَةُ مَعَهُ ، فَخَلَفَ ابْنُ الرَّومِيِّ لِأَيُّ تَطَيِّرٍ أَبَدًا مِنْ هَذَا وَلَا مِنْ

غيره ، وأوماً إلى جاره ، فقلت : وهذا الفكر أيضاً من التطير ، فأمسك ، وعجب
من جودة الشعر ومعناه ، وحسن مأتاه ، فقلت له : ليتنا كتبناه ؟ قال : اكتبه
فقد حفظته ، وأملاه عليّ .

ومن شدة حذره ، وعظيم تطيره ، قوله لأبي العباس بن ثوابه ، وقد ندبته إلى
الخروج إليه وركوب دجلة :

من ابن الرومي
إلى ابن ثوابه
في التطير

حَضَضْتُ عَلَى حَطْبِي إِنَارِي فَلَا تَدَعُ
وَمَنْ يَلْقَ مَا لَقَيْتُ فِي كُلِّ مُجْتَنِي
أَذَاقْتَنِي الْأَسْفَارُ مَا كَرِهَ الْغَنَى
وَمِنْ نَكْبَةٍ لَا قَيْتَهَا بَعْدَ نَكْبَةٍ
فَصَبْرِي عَلَى الْإِقْتَارِ أَيْسَرُ مَطْلَبًا
لَقَيْتُ مِنَ الْبَرِّ التَّبَارِيحَ بَعْدَمَا
سُقَيْتُ عَلَى رِيٍّ بِهِ أَلْفَ مَطْرَةٍ
وَلَمْ أَبْنِهَا ، بَلْ سَاقَهَا لِمَكِيدَتِي
أَبَى أَنْ يُغِيثَ الْأَرْضَ حَتَّى إِذَا زَمَتْ
سَقَى الْأَرْضَ مِنْ أَجْلِي فَأَضْحَتْ مِرَاةً
فَمِلْتُ إِلَى خَانَ مِرْتٍ بِنَاوُهُ
فَمَا زِلْتُ فِي جُوعٍ وَخَوْفٍ وَوَحْشَةٍ
يُورِقُنِي سَفْفٌ كَأَنِّي تَحْتَهُ
يَظَلُّ إِذَا مَا الطَّيْنُ أَثْقَلَ مَتْنَهُ
وَكَمْ خَانَ سَفْرِي خَانَ فَانْقَضَ فَوْقَهُمْ
وَمَا زَالَ ضَاحِي الْبَرِّ يَضْرِبُ أَهْلَهُ
فَإِنْ فَاتَهُ قَطْرٌ وَتَبَاجٌ فَإِنَّهُ

لَكَ الْخَيْرُ ، تَحْذِيرِي شُرُورَ الْمُحَاطِبِ
مِنَ الشُّوكِ يَزْهَدُ فِي الثَّمَارِ الْأَطَايِبِ
إِلَى ، وَأَغْرَانِي بِرَفْضِ الْمَطَالِبِ
رَهَبْتُ اعْتِسَافَ الْأَرْضِ ذَاتِ الْمَنَاكِبِ
عَلَى مِنَ التَّفْرِيرِ بَعْدَ التَّجَارِبِ
لَقَيْتُ مِنَ الْبَحْرِ ابْيَاضَ الذَّوَابِ
شَفِيفْتُ لِبُفْضِهَا بِحُبِّ الْمَجَادِبِ
تَلَاعَبُ دَهْرٍ جَدَّ بِي كَالْمَلَاعِبِ
بِرَحْلِي أَتَاهَا بِالْغُيُوثِ السَّوَاكِبِ
تَمَائِلَ صَاحِبِهَا تَمَائِلَ شَارِبِ
تَمِيلَ غَرِيقِ الثَّوْبِ لَهْفَانَ لَاغِبِ
وَفِي سَهْرٍ يَسْتَفْرِقُ اللَّيْلَ وَاصِبِ
مِنَ الْوَكْفِ تَحْتَ الْمُدْجَنَاتِ الْهَوَاصِبِ
تَصِيرُ نَوَاحِيهِ صَرِيرَ الْجَنَادِبِ
كَأَنَّ قَصْفَ صَقْرٍ الدَّجَنِ فَوْقَ الْأَرَانِبِ
بِسَوَطِي عَذَابِ جَامِدٍ بَعْدَ ذَائِبِ
رَهِينٍ بِسَافٍ تَارَةٍ وَبِحَاصِبِ

فَذَاكَ بَلَاءُ الْبَرِّ عِنْدِي شَاتِيَا
 أَلَا رَبُّ نَارٍ بِالْفَضَاءِ اضْطَلَّتْهَا
 فَدَعُ عَنْكَ ذِكْرَ الْبَرِّ إِنِّي رَأَيْتُهُ
 وَمَا زَالَ يَبْغِينِي الْخُتُوفَ مُوَارِبَا
 فَطَوْرًا يُغَادِينِي بِلِصِّ مُصَلَّتِ
 وَأَمَّا بَلَاءُ الْبَحْرِ عِنْدِي فَإِنَّهُ
 وَلَوْ ثَابَ عَقْلِي لَمْ أَدْعُ ذِكْرَ بَعْضِهِ
 وَلَمْ أَلَا وَلَوْ أُقِيْتُ فِيهِ وَصَخْرَةٌ
 وَلَمْ أَتَعْلَمْ قَطُّ مِنْ ذِي سِبَاحَةٍ
 وَأَيْسَرُ إِشْفَاقِي مِنَ الْمَاءِ أَنْتِي
 وَأَخْشَى الرَّدَى مِنْهُ عَلَى كُلِّ شَارِبٍ
 أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ أَبِي نُوَّاسٍ وَقَدْ رَأَى التَّمَسَّاحَ بِمِصْرَ أَخَذَ رِجْلًا :
 أَضْمَرْتُ لِلنَّيْلِ هَجْرَانًا وَمَقْلِيَّةً
 فَمَنْ رَأَى النَّيْلَ رَأَى الْعَيْنَ عَنْ كَثَبٍ
 وَمِنْ قَوْلِ لِي إِنَّمَا التَّمَسَّاحُ فِي النَّيْلِ
 فَمَا أَرَى النَّيْلَ إِلَّا فِي الْبِرَاقِيلِ (٣)

رجع

أَظْلُ إِذَا هَزَّتْهُ رِيحٌ وَلَا لَأَتْ
 كَأَنِّي أَرَى فِيهِمْ فُرْسَانَ بِهَيْمَةٍ
 فَإِنْ قَلَّتْ لِي قَدْ يُرَكَّبُ الْيَمُّ طَامِيَا
 لَهُ الشَّمْسُ أُمُوجًا طَوَالَ الْغَوَارِبِ
 يُبْلِيحُونَ نَحْوِي بِالسِّيُوفِ الْقَوَاضِبِ (٤)
 وَدِجَلَةٌ عِنْدَ الْيَمِّ بَعْضُ الْمَذَانِبِ (٥)

(٢) واقب : مستكن (م)

(٤) بليحون : يشيرون

(١) الضح - بكسر الضاد - الشمس

(٣) البراقيل : أواني الشرب

(٥) المذانب : القنوات

فلا عُذِرَ فيها لا تَرى بِهَآبَ مِثْلِهَا وفي اللُّجَّةِ الخُضْرَاءِ عُذْرٌ لَهَا تَبِ
 لِدِجَالَةٍ خَبٌ لَيْسَ لِلِيمٌ؛ إِنِّهَا تَرَأَى بِحِلْمٍ تَحْتَهُ جَهْلٌ وَآثِبٌ
 تَطَامِنُ حَتَّى تَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَتَفْضَبُ مِنْ مَزِجِ الرِّيَّاحِ اللُّوَاعِبِ
 وَلِلِيمٍ إِنْذَارٌ بَعْوَصِ مَتُونِهِ وما فيه من آذِيَةِ المِتْرَاكِيبِ (١)
 وهي طويلة، وفيها مرة كفاية تنبئ عنه وتبدل عليه، ولو مدت أطناب الاختيار
 لتتبع هذا النحو من شعره لخرجت عن غرض الكتاب.

[من مليح العيافة والزجر]

ومن مليح العيافة والزجر ما رواه الصُّولي ، قال : كان لأبي نواس إخوانٌ أبو نواس
 وبعض أصحابه لا يُفَارِقُهُمْ ، فاجتمعوا يوماً في موضع أخفوه عنه ، ووجهوا إليه برسولٍ معه ظهرٌ
 قرطاس أبيض، لم يكتبوا فيه شيئاً، فخرموه بزير (٢)، وختموه بقار ، وتقدموا إلى
 رسولهم ليرمي بالكتاب من وراء الباب ؛ فلما رآه استعلم خبرهم ، وعلم أنه من
 قِعليهم ، فتعرف موضعهم وآثارهم ، فاتاهم فأنشدهم :

وجدتُ كتابكم لما أتاني يمرُّ بسائح الطيرِ الجوّاري
 نظرت إليه مخزوماً بزيرٍ على ظهري ، ومختوماً بقارٍ
 فقلت : الزير مُلهيةٌ ولهُوٌ وخِلْتُ القارَ من دَنِّ العقارِ
 وخِلْتُ الظهْرَ أهيفَ قرطقيًا يحيل العقلَ منه باحورارٍ (٣)
 فهمتُ إليكم طرباً وشوقاً فما أخطأت دَارَكُمُ بدارِ
 فكيف ترونني وترون وجدِي أَلستُ من الفلاسفة الكبارِ ؟
 وقال الطائي :

لأبي تمام

أتضععت عبرات عينك أن دعت ورقاءُ حين تضععت الإظلام (٤)

(١) الآذى : الوج (٢) الزير : الور

(٣) القرطقي : الذي يلبس القرطق ، وهو ضرب من رقيق اللباس

(٤) في الديوان (٢٧٩) « أتحدت عبرات عينك »

لا تنسجن لها؛ فإن بكاءها ضحكٌ، وإن بكاءك استغرامٌ
هن الحمام وإن كسرت عيافةً من حائهن فإنهن حمامٌ

وروى يموت ابن المزرع قال: كان أحمد بن المدبر إذا مدحه شاعرٌ فلم يرخص شعره قال لعلامه: أمض به إلى المسجد الجامع فلا تفارقه حتى يصلي مائة ركعة، ثم خله؛ فتحاماه الشعراء، إلا الأفراد المجيدين؛ فجاءه أبو عبد الله الحسين بن عبد السلام المصري المعروف بالجل، فاستأذنه في النشيد، فقال: قد عرفت الشرط؟ قال: نعم، وأنشده:

أردنا في أبي حسن مديحاً كما بالمدح ينتجع الولاة
فقلنا: أكرم الثقلين طراً ومن كفاء دجلة والفرات
فقالوا: يقبل المدحات لكن جوائزهم عليهن الصلاة
فقلت لهم: وما تغني صلاتي عيالي إنما الشأن الزكاة
[فأما إذ أبي إلا صلاتي وعاقنتي المهموم الشاغل] [فتصبح لي الصلاة هي الصلات
فيأمر لي بكسر الصاد منها]

فضحك واستظرفه، وقال: من أين أخذت هذا؟ قال: من قول أبي تمام الطائي:

هن الحمام فإن كسرت عيافةً من حائهن فإنهن حمامٌ
فأحسن صلته.

لأبي الفضل
الميكالي في أهل
مرو

وقال الأمير أبو الفضل الميكالي لقوم من أهل مرو انخلعوا عن طاعته:
يارا كبا أضحي يخب بعنسه ليوم مرو على الطريق المهيع
أبلغ بها قوماً أثاروا فتنةً ظلت لها الأكبأد رهن تقطع
إذ أقدموا ظملاً على سلطانهم بالغذر وانخلع الذميف المفظع
وبحل عقد لوائه وإباحه لجنايه وحريمه المتمنع

ابلغهم أنى اتخذت لفعالهم
 أما اللواء وحده فمخبر
 وانخلع مخبر أن ستخلع عنهم ال
 والصدر يني أن تغادر في الوغى
 والفرقتان فشاهد معباها
 فسمموا لمقاتي وتأهبوا
 فالله ليس بغافل عن أمركم
 فألاً ، له في القوم أسوأ موقع
 عن حل عقد بينهم مستجمع
 أرواح بالقتل الأشد الأشنع
 أشلاؤهم لنسوره والأضبع
 بتفرق لجمعهم وتصدع
 بدميم بغيركم لشرب المضرع
 حتى تحل بكم عقوبة موجع

قال أبو عثمان الجاحظ : سمعت النظام ، وذكر عبد الوهاب الثقفي ، قال :
 هو أحلى من أمن بعد خوف ، وبرء بعد سقم ، ومن خضب بعد جذب ، وغنى
 بعد فقر ، ومن طاعة المحبوب ، وفرج المكروب ، ومن الوصال الدائم ،
 والشباب الناعم .

الثقفي يصف
 رجلا يرتاح
 إليه

[ابن أبي دواد يعفو عن الجاحظ]

وكان الجاحظ مائلا عن ابن أبي دواد إلى محمد بن عبد الملك الزيات ، فلما
 نكب محمد بن عبد الملك أدخل الجاحظ على ابن أبي دواد مقيدا ، فقال له أحمد :
 والله ما أعلمك إلا متناسيا للنعمة ، كفورا للصنعة ، معددا للمساوي ، وما فتني
 باستصلاحك لك ، ولكن الأيام لا تصلح منك ؛ لفساد طويتك ، ورداءة
 دخيلتك ، وسوء اختيارك ، وتغالب طباعك .

ابن أبي دواد
 والجاحظ

فقال الجاحظ : خفض عليك ، أصلحك الله ، فوالله لأن يكون لك الأمر
 على خير من أن يكون لي عليك ، ولأن أسىء وتحسن أحسن في الأخذ وثمة
 من أن أحسن نفسي ، ولأن تعفو عني على حال قدرتك على أجمل بك من
 الانتقام مني ، فعفا عنه (١) .

(١) انظر بقية هذا المجلس في إرشاد الأريب (٦ / ٩٩)

[عتبة بن أبي سفيان وأعرابي]

قال سعد مولى عتبة بن أبي سفيان : خطب عتبة الناس في الموسم سنة إحدى وأربعين ، والناس إذ ذاك حديثو عهدٍ بالفتنة ؛ فقال : قد ولينا هذا المقام الذي يُضاعفُ فيه للمحسن الأجرُ ، وللمسيء الوزرُ ؛ ونحن على سبيل قصد ، فلا تمدُّوا الأعناقَ إلى غيرنا ؛ فإنها تقطع دوتنا ؛ فربَّ ستمنَّ أمراً حثفه في أمنيته ؛ فاقبلوا منا العافية ما قبلناها منكم^(١) ؛ وأنا أسأل الله أن يُعين كلاً على كل .

فناداه أعرابيٌّ من ناحية المسجد : أيها الخليفة ، فقال : نسنتُ به ولم تُبعِد ، قال : يا أخاه ، قال : سمعتُ قفل ، فقال : والله لانَّ تحسنوا وقد أسأنا خيرٌ من أن تسيئوا وقد أحسننا ، فإن كان الإحسان منكم فما أولاًكم بإتمامه ، وإن كان منا فما أولاًكم بمكافأتنا عليه ، وأنا رجلٌ من بني عامر بن صعصعة يمتُّ بالعمومة ويختصُّ بالخوولة ، كَبُرَ عياله ، ووطئه زمانه ، [وبه فقر] وفيه أجر ، وعنده شكر .

فقال له عتبة : أستغفر الله منك ، وأستعين به عليك ، وقد أمرتُ لك بغناك ، فليت إسراعى إليك يقوم بإبطائي عنك !

[بين الجاحظ وابن الزيات]

قال الجاحظ : تشاغلنا مع الحسن بن وهب أخى سليمان بن وهب بشرب النبيذ أياماً ، فطلبني محمد بن عبد الملك لمؤانسته ، فأخبرني باتصال شغلي مع الحسن ابن وهب ، فتنكر لي ، وتلوَّن عليّ ؛ فكتبتُ إليه رقعةً نسختها : أعاذك الله من سوء الغضب ، وعصمك من سرفِ الهوى ، وصرف ما أعارك من القوة إلى حبِّ الإنصاف ، ورجح في قلبك إيثار الاناة ، فقد خفتُ — أيدك الله ! —

(١) زاد في الأمالي (٢٣٦/١) «وأياكم ولوا ؛ فإنها أتعبت من كان قبلكم ، ولن

تريح من بعدكم .»

أن أكون عندك من المنسوين إلى نزقِ السفهاء ، ومجانبة سبيل الحكماء ،
وبعدُ ، فقد قال عبد الرحمن بن حسان بن ثابت :

وإن امرأً أمسى وأصبح سالمًا من الناس إلا ما جنى لسعيدُ
وقال الآخر:

ومن دعا الناس إلى ذمِّه ذمُّوه بالحقِّ وبالباطلِ

فإن كنتُ اجترأتُ عليك — أصلحك الله! — فلم اجترئُ إلا لأنَّ دوامَ
تغافلِكَ عنى شبيهٌ بالإهمال ، الذى يُورِثُ الإغفال ، والعمو المتتابع يؤمنُ منَ
المكافأة ، ولذلك قال عيينة بن حصن بن حذيفة لعثمان رحمه الله : عمر كان خيرًا لى
منك ، أرهبني فأتقاني ، وأعطاني فأغتناني ، فإن كنت لا تهبُّ عقابي — أيدك الله! —
لخدمته فهبه لأيديك عندى ؛ فإنَّ النعمة تشفع فى النقمة ، وإلا تفعل ذلك
لذلك فعُدْ إلى حُسن العادة ، وإلا فافعلْ ذلك لحسن الأحدثة ؛ وإلا فتِ
ما أنتَ أهله من العفو دون ما أنا أهله من استحقاق العقوبة ، فسبحان من
جعلك تعفو عن المتعمد ، وتتجافى عن عقابِ المُصرِّ ، حتى إذا صرت إلى من
هفوتَه ذِكْرٍ ، وذنبه نسيان ، ومن لا يعرف الشكرَ إلا لك ، والإنعامَ إلا منك
هجمتَ عليه بالعقوبة . واعلم — أيدك الله! — أن شينَ غضبك على كزَيْنِ
صَفْحِكَ عنى ، وأن موتَ ذِكْرِي مع انقطاع سببِي منك كحياةِ ذِكْرِكَ مع اتصالِ
سببِي بك ، واعلم أن لكَ فطنة عليم ، وغفلة كزيم ، والسلام .

[من كلام على - رضى الله عنه! - فى أعجب ما فى الإنسان]

قال على بن أبى طالب رضى الله عنه : أعجَبُ ما فى الإنسان قلبُه ، وله
موادٌ من الحكمة ، وأضدادٌ من خلافها ؛ فإن سَنَحَ له الرجاء أذله الطمع ، وإن
هاجه الطمعُ أهلكه الحرص ، وإن ملكه اليأسُ قَتَله الأسف ، وإن عرض له
الغضب اشتدَّ به الغيظ ، وإن أسعد بالرضا نسي التحفظ ، وإن أتاه الخوفُ

شغلته الحذر ، وإن اتسع له الأمن استلبته الغيرة ، وإن أصابته مصيبة فضحه الجزع ، وإن استفاد مالا أطغاه الغنى ، وإن عضته فاقة بلغ به البلاء ، وإن جهد به الجوع قعد به الضعف ، وإن أفرط في الشبع كظته البطنة ، فكله تقصير مضر ، وكل إفراط له قاتل .

* * *

لعبد الرحمن
بن حسان

البيت الذي أنشده الجاحظ لعبد الرحمن بن حسان في أبيات يقول فيها :

متى ما يرى الناس الغنى وجاره
وليس الغنى والفقر من حيلة الفتى
فقير يقولوا : عاجز وجليد
ولكن أحاط قسمت وجدود

وإن امرأ يمتني ويصبح سالما
من الناس إلا ما جنى لسهيد

لمحمد بن حازم
الباهلي

والبيت الذي أنشده بعده لمحمد بن حازم الباهلي في أبيات يقول فيها :

إن كنت لا ترهب ذمى لما
فاخش سكوتي آذنا منصتا
تعلم من صفحي عن الجاهل
فيك لمسوع خنى القائل (١)

فسامع الشر شريك له
مقالة سوء إلى أهلها

ومن دعا الناس إلى ذمه
فلا تهيج ، إن كنت ذا إزبة ،

فإن ذا العقل إذا هجته
تبصر في عاجل شداته

حرب أخى التجربة الغافل
هجة ، به ذا خبل خابل

عليك غيب الضرر الآجل
وفي ابن الزيات يقول الجاحظ :

فقلل منهم شباة العدم
فأبصر كيف انتقال الزمان

فبادر بالعرف قبل الندم
[الجاحظ ورجل من البرامكة في مرضه]

للجاحظ في
ابن الزيات

قال بعض البرامكة : كنت أتقلد السند ، فاتصل بي أنى صرفت عنها ،

(١) حفظى « فاخش سكوتي إذ أنا منصت » (م)

وكنت كسبت ثلاثين ألف دينار ، فَخِفْتُ أَنْ يَنْجَأَنِي الصَّارِفُ ، وَيُسْعَى إِلَيْهِ بِالْمَالِ ، فَصُنْتُ عَشْرَةَ آلَافٍ إِهْلِيلِجَةً^(١) فِي كُلِّ إِهْلِيلِجَةٍ ثَلَاثَةُ مِثْقَالٍ ، وَجَعَلْتُهَا فِي رَحْلِي ، وَلَمْ أَبْعُدْ أَنْ جَاءَ الصَّارِفُ ؛ فَرَكِبْتُ الْبَحْرَ ، وَانْحَدَرْتُ إِلَى الْبَصْرَةِ ؛ فَخَبَّرْتُ أَنَّ بِهَا الْجَاحِظَ ، وَأَنَّهُ عَلِيلٌ ؛ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَرَاهُ قَبْلَ وِفَاتِهِ ، فَصِرْتُ إِلَيْهِ ، فَأَفْضَيْتُ إِلَى بَابِ دَارِ لَطِيفٍ ، فَفَرَعْتُهُ ، فَخَرَجْتُ إِلَى خَادِمٍ صَفْرَاءَ ، فَقَالَتْ : مَنْ أَنْتِ ؟ فَقُلْتُ : رَجُلٌ غَرِيبٌ أَحَبُّ أَنْ يَدْخُلَ إِلَى الشَّيْخِ فَيُسَّرَ بِالنَّظَرِ إِلَيْهِ ، فَأَدَّتْ مَا قُلْتُ ، وَكَانَتْ الْمَسَافَةُ قَرِيبَةً لَصَفْرِ الدَّهْلِيزِ وَالْحَجْرَةِ ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : قَوْلِي لَهُ : وَمَا تَصْنَعُ بِشَقِّ مَائِلٍ ، وَلَعَابِ سَائِلٍ ، وَلَوْنِ حَائِلٍ ؟ فَأَخْبَرْتَنِي ، فَقُلْتُ : لَا بَدَّ مِنَ الْوُصُولِ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : هَذَا رَجُلٌ قَدْ اجْتَازَ بِالْبَصْرَةِ ، فَسَمِعَ بِي وَبِعَلْتِي ، فَقَالَ : أَرَاهُ قَبْلَ مَوْتِهِ ؛ لِأَقُولُ : قَدْ رَأَيْتَ الْجَاحِظَ .

فَدَخَلْتُ فَسَلَّمْتُ فَرْدًا رَدًّا جَمِيلًا وَاسْتَدْنَانِي ، وَقَالَ : مَنْ تَكُونُ ؟ أَعَزَّكَ اللَّهُ ! فَاتَّسَبَّتُ لَهُ ، فَقَالَ : رَحِمَ اللَّهُ أَبَاكَ وَقَوْمَكَ الْأَسْخِيَاءَ الْأَجْوَادَ ، الْكِرَامَ الْأَمْجَادَ ، لَقَدْ كَانَتْ أَيَّامُهُمْ رَوْضَ الْأَزْمِنَةِ ، وَلَقَدْ انْجَبَرُ بِهِمْ خَلْقٌ ، فَسَقِيًّا لَهُمْ وَرَعِيًّا ؛ فَدَعَوْتُ لَهُ ، وَقُلْتُ : أَنَا أَسْأَلُ الشَّيْخَ أَنْ يُنْشِدَنِي شَيْئًا مِنَ الشَّعْرِ أَذْكَرُهُ بِهِ ، فَأَنْشَدَنِي :

لَنْ قُدِّمْتُ قَبْلِي رِجَالٌ فَطَلَمَا مَشَيْتُ عَلَى رِسْلِي فَكُنْتُ الْأَمْدَمَا^(١)
وَلَكِنْ هَذَا الدَّهْرَ تَأْتِي ضُرُوفُهُ فَتُبْرِمُ مَنْقُوضًا ، وَتَنْقُضُ مُبْرَمًا

ثُمَّ نَهَضْتُ ، فَلَمَّا قَارَبْتُ الدَّهْلِيزَ صَاحَ بِي فَقَالَ : يَا فَتَى ؛ أَرَأَيْتَ مَفْلُوجًا يَنْفَعُهُ الْإِهْلِيلِجُ ؟ فَقُلْتُ : لَا ، قَالَ : فَأَنَا يَنْفَعُنِي الْإِهْلِيلِجُ الَّذِي مَعَكَ ، فَأَنْقِذْ إِلَيَّ مِنْهُ ، فَقُلْتُ : السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ ، وَخَرَجْتُ مُفْرِطَ التَّعَجُّبِ مِنْ وَقُوعِهِ عَلَى خَبْرِي ، حَتَّى كَأَنَّ بَعْضَ أَحْبَابِي كَاتِبَهُ بِخَبْرِي حِينَ صُنِّعَتْ ، فَأَنْقِذْتُ إِلَيْهِ مِائَةَ إِهْلِيلِجَةٍ .

(١) الإهليلج : ثمر قريب الشكل من البلح ، والواحدة بهاء ، يريد أنه صاغ

الذهب على شكل الإهليلج (م)

المقامة الجاحظية

مقامة من إنشاء البديع تتعلق بذكر الجاحظ [

قال : حدثنا عيسى بن هشام قال : جمعتني مع رُقَّةَ وَليمةً ، وأجبتُ إليها للحديث المأثور فيها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو دُعيتُ إلى كُراع لأجبتُ ، ولو أُهدىَ اليَّ ذراع لقبلت » ، فأفضى بنا المسيرُ إلى دارٍ قد فرش بساطها ، وبسطت أنماطها ، ومدَّ سِمَاطها ، وقومٍ قد أخذوا الوقت بين آسٍ منحضود ، وورْدٍ منضود ، وودنٍ مَفْضود ، ونأى وعود ؛ فصيرنا إليهم وصاروا إلينا ، ثم عكفنا على خِوانٍ قد مُلئت حياضه ، ونورَّت رياضه ، واصطفت جفانه ، واختلفت ألوانه ؛ فمن حالِكِ يازائه ناصع ، ومن قانٍ في تلقائه فاقعٌ ، ومعنا على الطعام رَجُلٌ تُسافرُ يَدُه على الخِوان ، وتَسْفِرُ بين الألوان ، وتأخذُ وجوة الرُغفان ، وتَفَقأ عيونَ الجفان ، وترعى أرضَ الجيران^(١) ؛ يَزَحَمُ اللقمة باللقمة ، ويهزِمُ المَضغَةَ بالمضغَةِ ، وهو مع ذلك ساكتٌ لا يَنبِسُ ، ونحن في الحديث نجري معه حتى وقف بنا على ذِكْرِ الجاحظ وخطابته ، ووصف ابن المقفع وذرايبته ، ووافق أول الحديث آخرَ الخِوان ، وزُلنا عن ذلك المكان ، فقال الرجلُ : أين أتم من الحديث الذي فيه كنتم ، فأخذنا في وصف الجاحظ ولسنه ، وحسن سنه في الفصاحة وسننه فيما عرفناه ؛ فقال : يا قومُ ؛ لكل عمل رجال ، ولكل مقام مقالٌ ، ولكل دارٍ سُكَّانٌ ، ولكل زمان جاحظٌ ، ولو انتقدتم ، لبطل ما اعتقدتم ، فكلُّ كسْرته عن ناب الإنكار ، وشمُّ بأنفِ الإكبار ، وضجكتُ إليه ، لأجلب ما لديهِ ، وقلت : أفيدنا وزدنا ، فقال : إنَّ الجاحظَ في أحدِ شقَي البلاغة يَقْطِفُ ؛ وفي الآخر يَقِفُ ، والبليغُ من لم يُقصر نظمه عن نثره ، ولم يُزِرْ كلامه بشعره ، فهل ترؤون

(١) في المقامات « تجول في القصعة ، كالرخ في الرقعة » - والرخ : قطعة في لعبة

الشطرنج تسير يمينا وشمالا وخلفا وأماما من أول الرقعة إلى آخرها (م)

للجاحظ شعرا رائعا؟ قلنا: لا، قال: فهل تواتر إلى كلامه؛ فهو بعيدُ الإشارات،
قريبُ العبارات، قليل الاستعارات، منقادٌ لريان الكلام يستعمله، نفورٌ
من مُعتاصه يُهمله، فهل سمعتم له بكلمة غير مسموعة، أو لفظة غير مصنوعة؟
قلت: لا، فقال: هل تجب أن تسمع من الكلام ما يخفف عن منكبيك،
ويقيم على ما في يديك؟ قلت: إي والله، قال: فأطلق لي عن خنصرِكَ ما يعين
على شكرِكَ، فأنته ردائي، فقال:

لعمْرُ الذي ألقى إلى ثيابهُ لقد كسبت تلك الثيابُ به سجدا
وقد قمرته راحة الجود بزة فما ضربت قدحاً ولا نصبت نرداً
أعد نظراً يا من كساني ثيابهُ ولا تدع الأيام تهديني هدأ
وقل للآلى إن أسفروا أسفروا ضحى وإن طلعا في غمة طلعا وردا
صلاوا رحم العلياً وبلوا لهاها فخير الندى ما سح وابله نقدا
قال عيسى بن هشام: فارتاحت الجماعة إليه، واتثالت الصلواتُ عليه،
وقلت لما تآانسنا: من أين مطلع هذا البدر؟ فقال:

إسكندرية داري لو قرأ فيها قراري
لكن ليلى بنجد وبالبحار نهارى

[من كلام الملوك]

تظلمت رعيّة أردشير بن بابك إليه في سنة مُجدبة لعجزهم عن الخراج،
وسألته أن يخففه عنهم؛ فكتب لهم ما نسخته: من أردشير المزيّد بالبهاء، ابن
الملوك العظماء، إلى الفقهاء الذين هم حفظة البيضة، والكتّاب الذين هم ساسة
المملكة، وذوى الحرث الذين هم عمرة البلاد، أما بعد، فإننا نحمدُ الله تعالى
حمدَ الصالحين، وقد وضعنا عن رعيّتنا بفضل رأفتنا إتواتنا الموظفة عليهم سنتنا
هذه، ونحن كاتبون مع ذلك نملّهم بوصية تنفع الكل: لا تستشعروا الحقد

من كلام
أردشير
ابن بابك

لثَلَا يَغْلِبَ عَلَيْكُمُ الْعَدُوَّةُ ، وَلَا تَحْبُوا الْاِحْتِكَارَ لِثَلَا بِشْمَلِكُمُ الْقَحْطُ ، وَكُونُوا
لِلْغُرَبَاءِ مُؤْتِينَ ، لِتُؤْوُوا غَدَا فِي الْمَعَادِ ، وَتَرْوَجُوا فِي الْقَرَابَةِ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ لِلرَّحِمِ ،
وَأَثْبَتُ لِلنَّسَبِ ، وَلَا تَعْدُوا هَذِهِ الدُّنْيَا شَيْئًا فَإِنَّهَا لَا تُبْقَى عَلَى أَحَدٍ ، وَلَا تَرَفُضُوهَا
مَعَ ذَلِكَ ؛ فَإِنَّ الْآخِرَةَ لَا تُنَالُ إِلَّا بِهَا .

من كلام
بزرجمهر

وقيل لبزرجمهر: أيُّ الاكتساب أفضل؟ قال: العلم والأدب كنزاً
لا ينفدان، وسراجان لا يطفآن، وحلّتان لا تبليان؛ من نالهما نال أسباب
الرشاد وعرف طريق المعاد، وعاش ربيعاً بين العباد.

من كلام
أنوشروان

وقال أنوشروان لبزرجمهر لما ظفر به: الحمد لله الذي أظفرني بك، قال له:
فكافئه بما يجب كما أعطاك ما تحب. قال: وبم أكافئه يا فاسق؟ قال:
بالعفو عمن أظفرك به اليوم كما تحب أن يعفو عنك غداً.

ونظير هذا الكلام قد تقدم لعلّي رضى الله عنه.

وقيل لكسرى: أيُّ الملوك أفضل؟ قال: الذي إذا جاورتها وجدته عليماً،
وإذا خبرته وجدته حكيماً، وإذا أغضب كان حليماً، وإذا ظفر كان كريماً،
وإذا استمنح منح جسيماً، وإذا وعد وفى، وإن كان الوعد عظيماً، وإذا شكى
إليه وجد زحياً.

[من رسائل الميكالى]

كتاب منه
للشعالي

كتب الأمير أبو الفضل الميكالى إلى أبي منصور عبد الملك بن محمد بن
إسماعيل الشعالي: كتابي وأنا أشكو إليك شوقاً لو عالجه الأعرابي لنا صباً إلى
رمل عالج، أو كابدته الخلي لا ننتنى على كبد ذات حرق ولواعج؛ وأذم زماناً
يفرق فلا يحسن جمعاً، ويخرق فلا ينوى رقماً، ويوجع القلب بتفريق شمل
ذوى الوداد، ثم يبخل عليهم بما يشفي الصدور والأكبَاد؛ قاسى القلب فلا

يلينُ لاستعطاف ، جأر الحُكم فلا يميلُ إلى إنصاف ، وكم أستعدي على صرْفه
وأستنجِد ، وأتلفي غيظاً عليه وأنشد :

متى وعسى يثنى الزمانُ عِناهُ بعثرةِ حالٍ والزمانُ عَثورُ
فتدركُ آمالُ وتُقضَى مآربُ وتحدثُ من بعد الأمورُ أمورُ

وكلاً ، فما على الدهر عتب ، ولا له على أهله ذنب ؛ وإنما هي أقدار تجرى
كما شاء مُجرِيها ، وتنفذُ كإسْهام إلى مَرَامِها ؛ فهي تدورُ بالمكروه والمحجوب ،
على الحُكم المقدور والمكتوب ، لا على شهوات النفوس وإرادات القلوب ؛
وإذا أراد الله تعالى أذن في تقريب البعيد النازح ، وتسهيل الصَّعب الجامح ،
فيعود الأُنسُ بقاءك الإخوان كأنهم ما لم يزل معهوداً ، ويجدد للذاكرة والمؤانسة
رسوماً وعهوداً ؛ إنه الملبّي به ، والقادرُ عليه .

وله إلى أبيه : ولو ملكْتُ عِنانَ اختياري ، وأسعفتي ببعض ما أقترحه
القدرُ الجارى ، لما غبتُ عن حضرته - آنسها الله - ساعةً من دهرى ، كما أعدتُ
ساعاتِ بُعدي عنها وإخلائي لبابها من أيام عمرى ؛ ولكنى أبدأ مائلاً بها
في زمرة الخدم والعبيد ، جامعاً بها بين حاشيتي العز المديد ، والشرف العتيد ؛
لا سيما في هذا الوقت وقد أشرقت البلاد بنور طلعتة التي هي في ظلمة الدهر صباح ،
وعز مطالعتة التي فيها لصدور ذوى الشنا شجاً ولزنادِ الآمال اقتداح ، ومماودة
ظِلِّه التي أضحتِ الشمسُ من حساده ، والزمان من عدد ساكنيه وعتاده ،
إلا أن الحريص - كما علمه مولانا - يُغفل عن أعذب موارد ، وممنوع بالعوائق
عن أكرم مطالعه ومقاصده .

كتاب منه
إلى أبيه

وله يستفتح مكاتبة بعض إخوانه :

أنا وإن لم تتقدم بيني وبينه المكاتبة ، وعادة المساجلة والمفاوضة ، من فرط
حرصى على افتتاحها وتعاطيها ، واعتراض العوائق دون المراد والغرض فيها ، فإن

كتاب منه
يستفتح به
مكاتبة أخ

قلبي بوده مغمور ، وضيرى على مصافاته مقصور ، فاعتداده لفضائله التي أصبح فيها أو حدى العنان ، وزاحم فيها منكب العنان^(١) ، واستأثر فيها بالفرر والاضاح ، ما أوفى بها على غرة الصباح ، حتى تشهدت بها ضمائر القلوب ، وتهدت أنباءها السنة البعيد والقريب ، اعتداد من يجمع بالاعتداد لها بين شهادة قلبه ولسانه ، ومن ينظم في إجلال قدرها صفقة أسراره وإعلانه ، فهو يتشمّ الريح إذا هبت من ناحيته شوقاً ونزاعاً ، ويستملئ الوارد والصادر خبر سلامة انصياحاً بالود إليه وانقطاعاً .

قصر
من كلامه

شدور من كلامه في أثناء رسائل شتى : أياديه التي غمرتني سجالها ، واتسع عندي مجالها ، وأغيا شكرى عفوها وانثيالها ، تناولت فيها المنى دانية القطوف ، واجتليت أنوار العيش مأمونة الكسوف ، ليس يكاد يبرد غليل شوقى وحنينى ، أو ترجع نافرة انسى وسكونى ، أو تخلو من الاهتمام والفكرة فيه خواطرى وظنونى ، إلا بالتقاء يدنو أمده ، ويقرّب موعده ، وتعلو على الفراق يده ، فنعاود العيش طلقاً غزيراً ، ونجتى ثمر المنى غصناً نضيراً ، ونجتلى وجه الزمان مشرقاً منيراً . فوائده لها عندي أثر الغمام أو أنفع ، ومحلّ السماك أو أرفع . حالى فى مفارقة حضرته حال بنات الماء قد نضب عنها الغدير ، ونبات الأرض^(٢) أخطأها النوء المطير . لمضى على دهر الحداثة إذ غصن شبابى غض وريق ، ونقل شرابى غض وريق . كلام أحلى من ريق النحل ، وأضفى من ريق الوبل . من تسود قبل وقته وآلته ، فقد تعرض لعمته وإذالته . نظمه له :

إن من يلتمس الصد ر بلا وقت وآله

لحقيق أن يلقى كل مقت وإذاله

الشكل للكتاب ، كالحلى للكعاب . لو كان الشباب فضة لكان الشيب له خبثاً . النعمة عروس مهرها الشكر ، وثوب صوته النشر . الخضاب تذكرة الشباب . لاتقاس المهاوى بالمرآق ، ولا الأقدام بالتراقى ، ولا البحور بالسواقى .

(١) العنان بكسر العين : أصله ما تقاد به الدابة ، وفتح العين : السحاب (م) .

(٢) فى المطبوعات كلها « ونبات الأرض » (م) .

كم أبلاني من عُرفٍ جزيل لا يُنبلي الدهرُ جدّةَ ردائه ، وقضائي من دين
تأميل لا يتقضى الشكرُ حقَّ نعمائه . الشكرُ للنعمة نتاج ، والكفران لها رتاج ،
وكما زدت النعمة شكراً ، زادت طيباً ونشراً .

قطعة من شعره في تجنيس القوافي

قال في أبيه :

مبدعاً في شمائل المجدِ خيماً . ما اهتدينا لأخذه واقتباسه^(١)
فهو فظّ بالمالِ وقت نداءه . وجوادٌ بالعمو في وقتِ باسه .
وقال فيه :

إذا ما جادَ بالأموالِ ثني . ولم تُدرِكهُ في الجودِ الندامةُ
وإن هجستِ خواطرهُ بجمع . لرئبِ حوادثٍ قال الندي مه^(٢)
وقال فيه :

ولما تنازعَ صرفُ الزمان . فزِعنا إلى سيدِ نابه
إذا كثرَ الدهرُ عن نابه . كشفنا الحوادثَ عنابه
وقال فيه :

إن نابنا خطبُ فآراؤه . تغنى عن الجيشِ وتسريبه
وإن دجأ ليلٌ بدأ نوره . للركبِ نجماً فهو يسرى به
وقال بفتخر :

وكم حاسدٍ لي أنبى فأنثى . لِعضة نفسِ شجأها شجأها
ومن أينَ يسْمو لنيلِ العلاء . وما بثَّ مالاً ولا راساً جأها
ومنها قوله :

وسائلةٌ تُسائلُ عنِ تعالى . وعمّا حازَ في الدنيا جَمالي

(١) الخيم - بكسر الحاء - السجية والطبع (م).

(٢) الندي : الجود والكرم ، ومه : اسم فعل معناه اكف (م).

قلت : إلى المعالي حنّ قلبي
وللعلياء نهجّ مستقيم
إذا أسرجتُ في فخرِ سماي

وفي سُبُلِ المكارمِ ليجّ مالي
فمالي تاركاً ذا النهجِ مالي
فعالي والنّجارُ فالجمالي

وقال في نوع من هذا الجنس :

ومن يشرّ فوق الأرض يطلبُ غايةً
ومن يختلّف في العالمين نجارةً
ومن يتجرّ في المال يكسبُ ربحه

من المجد يسرى فوق جمجمة النسر
فإنّا من العلياء نجرى على نجر^(١)
فبالمال نشرى رابح الحمدي والنشر

وعلى نحو هذا الحدو يقول أبو الفتح البستي :

لأبي الفتح
البستي

أبا العباس لا تحسب بأني
ولي طبع كسلسال الجاري
إذا ما أكتب الأديوار زناداً
وقال أبو الفتح البستي أيضاً :

بسيّف الدولة اتسقت أمور
سما وحمي بنى سام وحام

رأيناها مُبدّدة النّظام

فليس كئله سام وحام

[أدب الحاجب]

بين ملك
وحاجبه

قال بعضُ الملوكِ لحاجبه : إنك عيني التي أنظرُ بها ، وجنتي التي أستنم
إليها ؛ وقد وليتُك بأبي ، فما نراك صانعاً برعيتي ؟

قال : أنظرُ إليهم بعينك ، وأحملهم على قدرِ منازلهم عندك ، وأضعهم لك
في إبطائهم عن بائك ولزومهم خدمتك مواضع استحقاقهم ، وأرّثتهم حيث
جعلهم ترتيبك ، وأحسنُ إبلاغك عنهم ، وإبلاغهم عنك .

(١) النجر : الأصل ، ومثله النجار ، بزنة الكتاب .

قال : قد وَفَيْتَ بما عليك قولاً ، إن وَفَيْتَ به فعلاً ؛ والله ولي كفايتك
ومعونتك .

وصية المهدي
للفضل
ابن الربيع

قال المهدي للفضل بن الربيع : إني قد وَلَّيْتُكَ سِتْرَ وجهي وكَشَفْتَهُ ، فلا
تجعل الستر بيني وبين خواصِّي سبباً لضعفهم بِقُبْحِ رَدِّكَ ، وعُبُوسِ وَجْهِكَ ؟
وقدم أبناء الدعوة ؛ فإنهم أوَّلَى بالتقديم ، وثَنُّ بالاولياء ، واجعل للعامة وقتاً إذا
دَخَلُوا أعْجَلْتَهُمْ ضَيْقَهُ عن التلُّبُّث ، وصَرَفْتَهُمْ عَنِ التَّمَكُّث .

للحسن بن سهل

وقال الحسن بن سهل : إذا كان الملك محتججاً عن الرعية ، ولم ينزل الوزير
نفسه منزلةً تكون وسائلُ الناس إليه أنفسهم واستحقاقهم دون الشفاعات
والحرمات ، حتى يختصَّ الفاضلُ دون المفضول ، ويرتب الناسَ على أقدارهم
وأوزانهم ومعرفتهم ، امتزج التدبير ، واختلت الأمور ، ولم يميز بين الصدور
والاعجاز ، والنواصي والأذنان ، وكان الناسُ فَوْضَى ، ووهت أسبابُ الملك ،
وانتقضت مرأى رُءُ ، وشاعت سرايره ، وإنَّ أَقْرَبَ ما أرجو به صلاحَ ما أتولاه
استماعي من المتتسمين بأنفسهم ، المتوسلين بأفهامهم ، المتوصلين بكفايتهم ،
وابتذالُ نفسى لهم ، وصبرى عليهم ، وتصفحى ما توسلوا به وانتحلوه : من العقول
والآداب ، والحماية والكفاية . فمن ثبتت له دعواه أنزلته تلك المنزلة ، ولم
أتحيفه حقاً ، ولا نقضته حظاً ، ومن قصر عما ادعى كانت منزلته منزلة
المقصرين ، ولم أخيب أهله من مقدار ما يستحقه .

لبعض البغاة

وقال بعضُ البغاة : إذا أسدك الوالى على نفسه ستر الحجاب ، وهى عمودُ
تديره ؛ واسترخت عليه حمائلُ الخزم ، وازدلفتُ إليه وفودُ الذم ، وتولى عنه
رشد الرأجي ، ونال أموره خذلُ الانتشار ، وآفة الإهمال ، وتسرع إليه العائبون
بلواذع ألسنتهم ودَّيب قوارضهم .

بين سعيد بن
عبد الملك وعبيد
الله بن سليمان

وحُجِبَ سعيد بن عبد الملك عن عبيد الله بن سليمان فكتب إليه : بررتُ
إلى بابك - أعزك الله - عند ما حدث من أمرك ، فلم يُقبضَ لقاؤك ، وعلمت أن

ثِقَّتْكَ بِمَا عِنْدِي، قَدْ مَثَلَتْ لَكَ حَالِي مِنَ السَّرُورِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ عِنْدَكَ ، وَأَرْسَلْتُكَ
مَوْضِعِي مِنَ الْاِعْتِدَادِ بِكُلِّ مَا خَصَّكَ وَوَصَلَ إِلَيْكَ ، فَوَكَلْتُ الْعُذْرَ إِلَى ذَلِكَ .
ثُمَّ إِنَّا نَأْتِيكَ مَتِيئِينَ بِطَلْعَتِكَ ، مُشْتَاقِينَ إِلَى رُؤْيَتِكَ ، فَيُحِبُّبُنَا عَنْكَ مُلَاحَظَ .
وَهُوَ كَمَا عَلِمْتَ زَنِيمَ الصَّنِيعَةِ ، لَيْثِيمَ الطَّبِيعَةِ ، يُحْجَبُ عَنْكَ الْكِرَامُ ، وَيَأْذَنُ
عَلَيْكَ لِلْإِثَامِ ، كَلِمًا نَجَمَتْ لَهُ يَدٌ بِيضَاءَ ، أَتْبَعَهَا يَدَا سُودَاءَ ؛ فَإِنْ رَأَيْتَ - أَعْرَكَ
اللَّهُ - أَنْ تَصْرِفَهُ عَنْ بَابِ مَكَارِمِكَ فَعَلْتَ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

لأبي السمط
بن أبي حفصة

وقال أبو السمط بن أبي حفصة :

فَتَى لَا يُبَالِي الْمُدَّاجُونَ بِنُورِهِ إِلَى بَابِهِ إِلَّا تُضِيءَ الْكُؤَاكِبُ
لَهُ حَاجِبٌ فِي كُلِّ خَيْرٍ يُعِينُهُ ۚ وَليْسَ لَهُ عَن طَالِبِ الْعُرْفِ حَاجِبٌ (١)

لمروان بن
أبي حفصة

أخذ البيت الأول من قول جده مروان بن أبي حفصة الأكبر :

إِلَى الْمُصْطَفَى الْمَهْدِيِّ خَاضَتْ رِكَابُنَا دُجَى اللَّيْلِ يَخْبِطُنَ السَّرِيحَ الْمُخْدَمًا (٢)
يَكُونُ لَهَا نُورُ الْإِمَامِ مُحَمَّدٍ دَلِيلًا بِهِ تَسْرِي إِذَا اللَّيْلُ أَظْلَمَا

لإدريس بن
أبي حفصة

وقال إدريس بن أبي حفصة ، وذكر إبلا :

هَـا أَمَامِكَ نُورٌ تَسْتَضِيءُ بِهِ وَمِنْ رَجَائِكَ فِي أَعْنَاقِهَا حَادِي
لَهَا أَحَادِيثٌ مِنْ ذِكْرِكَ تَشْفَلُهَا عَنِ الرُّثُوعِ وَتُلْهِمُهَا عَنِ الزَّادِ

لعمر بن
شأس الأسد

وأصله قول عمرو بن شأس الأسد :

إِذَا نَحْنُ أَدْجَلْنَا وَأَنْتَ أَمَامُنَا كُنِي لِمَطَايَانَا بِوَجْهِكَ هَادِيَا
أَلَيْسَ يَزِيدُ الْعَيْسَ خِفَةَ أَذْرُعِ، وَإِنْ كُنَّ حَسْرَى، أَنْ تَكُونَ أَمَامِيَا (٣)
وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعَصْرِ :

وَلَيْلٌ وَصَلْنَا بَيْنَ قَطْرَيْهِ بِالسَّرِيِّ وَقَدْ جَدَّ شَوْقٌ مُطْمِعٌ فِي وَصَالِكَ

(١) حفظني * له حاجب عن كل أمر يبيعه * وهو كذلك في كتب البلاغة (م)

(٢) الخدم : ذا الخدمة ، وهو سير يشد في رسخ البعير (م)

(٣) حسرى : متعبات . .

أَعَدَّنَ الطَّرِيقَ النَّهْجَ وَعَرَّ الْمَسَالِكَ (١)
وَأَسْفَرَ مِنْهَا كُلَّ أَسْوَدَ حَالِكِ
وَقَدْ نَشِبَتْ فِينَا أَكْفُ الْمَهَالِكِ
وَإِنْ كُنْتَ لِمَا تُخْطِرُنِي بِبَالِكِ

أَرَبَّتْ عَلَيْنَا مِنْ دُجَاهُ حَنَادِسِ
فَنَادَيْتُ يَا أَسْمَاءَ ، بِاسْمِكَ ، فَانْجَلْتِ
بِنَا أَنْتِ مِنْ هَادِي نَجْوَانَا بِذِكْرِهِ
مَتَحَنَّتْ إِخْلَاصِي وَأَصْفَيْتِكَ الْهُوِي
وَقَالَ الْقَطَامِيُّ :

للقطامي

دُجَى اللَّيْلِ حَتَّى انْجَابَ عَنْهُ دَيَاجِرُهُ
لَذِكْرَاكُمْ أَمْ يَسْجُرُ اللَّيْلَ سَاجِرُهُ

ذَكَرْتُمْ لَيْلًا فَنُورَ ذِكْرِكُمْ
فَوَاللَّهِ مَا أُدْرِي أَضْوَاءُ مُسْجَرُهُ
وَقَالَ الْقَيْنِيُّ :

للقينى

إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ سَيِّدٌ قَامَ صَاحِبُهُ
بِدَا كَوَكَبٌ تَأْوَى إِلَيْهِ كَوَاكِبُهُ
دُجَى اللَّيْلِ حَتَّى نَظَّمَ الْجَزْعَ ثَاقِبُهُ

وَإِنِّي مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ هُمُ هُمُ
نَجُومُ سَمَاءٍ كُلَّمَا انْقَضَ كَوَكَبُهُ
أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ
وَقَالَ الْحَطِيطَةُ :

للحطيثة

كَمَا أَضَاءَتْ نَجُومُ اللَّيْلِ لِلسَّارِي
مِنَ الْأَيَّامِ مُظْلِمَةٌ أَضَاءُوا

نَمَشَى عَلَى ضَوْءِ أَحْسَابِ أَضْآنَ لَنَا
وَقَدْ رَدَّدَهُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ فَقَالَ :
هُمُ الْقَوْمُ الَّذِينَ إِذَا أَلَمَتْ

وَكَلَامُ الْقَاسِمِ بْنِ حَنْبَلِ الْمَدَنِيِّ مِنْ هَذَا ، حَيْثُ يَقُولُ :

لَوْ أَنَّكَ تَسْتَضِيءُ بِهِمْ أَضَاءُوا
وَمَكْرَمَةٌ دَنَتْ لَهُمُ السَّمَاءُ
وَمِنْ كَرَمِ الْعَشِيرَةِ حَيْثُ شَاءُوا

مِنَ الْبَيْضِ الْوُجُوهِ بَنِي سِنَانٍ
فَلَوْ أَنَّ السَّمَاءَ دَنَتْ لِمَجْدٍ
هُمْ حَازُوا مِنَ الشَّرَفِ الْمَعْلَى
وَقَالَ بَعْضُ الْمُتَقَدِّمِينَ :

لقاسم بن حنبل
المدني

كَفَّوْا خَاطِبَ الظَّلْمَاءِ فَقَدَّ الْمَصَابِحِ
فَكَمْ تَمَّ مِنْ آسِي جِرَاحِ وَجَارِحِ

إِذَا أَشْرَقَتْ فِي جُنْحِ لَيْلٍ وَوُجُوهُهُمْ
وَإِنْ نَابَ خَطْبٌ أَوْ أَلَّتْ مُلِمَّةٌ

وَقَالَ أَبُو بَدِيلِ الْوَضَّاحِ بْنُ مُحَمَّدِ التَّمِيمِيِّ فِي الْمُسْتَعِينِ :

(١) أربت : زادت ولزمت ، والدجى : جمع دجية ، وهى الظلام ، والحنادس :

الظلمات ، واحدها حندس (م) .

وقائلة والليل قد نشر الدجى
أرى بارقاً يبدو من الجوسق الذي
أضاءت له الآفاق حتى كأنما
فضل عذارى الحى ينظم تحتها
فقلت : هو البدر الذى تعرفونه
فقطى بها ما بين سهلٍ وقرودٍ (١)
به حل ميرات النبي محمد
رأينا بنصف الليل نور ضحى غد
سلوكا من الجزع الذى لم يسرد
وإلا يكن فالنور من وجه أحمد

[حث الاشتياق]

وقال عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة في معنى قول عمرو بن شأس في حث
الاشتياق :
لعمري
أى ربيعة

خليلى ما بال المطايا كأنما
فقد أتعب الحادى سراهن ، وانحنى
وقد قطعت أعناقهن صباية
يزدن بنا قرباً فيزداد شوقنا
تراها على الأعقاب بالقوم تنكص
بهن - فما بالوا - ، تجول بقلص
فأعينها مما تكلف تشخص
إذا ازداد قرب الدار والبعد ينقص

وقال بعض الرجاز ، وذكر إبلا :

إن لها لسائفاً خدجاً (٢)
لم يدج الليلة فيمن أدجاً

يريد امرأة يحبها فيحثه ما يجده من الشوق على إجهاد مطاياها بالسوق . كما
مما أنشده
إسحاق الموصلي

أنشد إسحاق الموصلي :

صبت يحث مطايا بذكركم
لو يستطيع طوى الأيام نحوكم
يرجو النجاة من البلوى بقربكم
وليس ينسأكم إن حل أو ساراً
حتى يبيع بعمر القرب أعماراً
والقرب يلهب في أحشائه ناراً

هذا البيت يناسب أبيات ابن أبي ربيعة . يقول : كلما دنا ازداد حرصاً

على اللقاء .

(١) القرود : ما ارتفع من الأرض ، والجمع قراديد .

(٢) خدج : ممتلىء الذراعين والساقين .

إسحاق
الموصلی

وشخص إسحاق الموصلی إلى الواثق بسر من رأى ، وأهله ببغداد ، فتصيد
الواثق وهو معه إلى نواحي كبراء ، فلما قرب من بغداد قال :
طربت إلى الأصبیة الصغار وهاجت منهم قُربُ المزارِ
وكل مسافر يزاد شوقاً إذا دنت الديار من الديارِ
ولحنه وغناه الواثق ، فاستحسنة وأطربه ، فصرفه إلى بغداد على ما أحب
وكان إسحاق قال أولاً :

وكل مسافر يشفق يوماً إذا دنت الديار من الديار
فعابوا قوله « يوماً » ، وقالوا : هي لفظة قائمة في هذا الموضع ، لم تحل
بمركزها ، ولا لها هنا موقع . قال : فضعوا مكانها مثلها لا خيراً منها . فما استطاعوا
ذلك ، فغيرها إلى ما أنشدت أولاً .

وقال أبو نواس :

لأبي نواس

أما الديار فقلما لبثوا بها
وضعوا سياط الشوق فوق رقابها
وقال مخلد بن بكار الموصلی :

لمخلد بن بكار
الموصلی

أقول لنضو أنفد السير نيباً^(١)
خدي بي ابتلاك الله بالشوق والهوى
فمرت سريعاً خوفاً دعوة عاشق
فلما ومنت في السير نيت دعوة
ولم يبق منها غير عظم مجلد
وشاقك تخنن الحمام المفرد^(٢)
تشق بي المومة في كل فدفد^(٣)
فكانت لها سوطاً إلى ضحوة الغد

وكان مخلد حلو الطبع ، وهو القائل يمدح رجلاً :

بطلع النجم على صعده
مشر إن ظمت أرماحهم
فإذا واجه نحرأ أفلا
أوردوهن مجاجات الطلي

(١) النى : الشحم - والنضو ، بكسر النون وسكون الضاد ، الذى نال منه الهزال
من الإبل (م) .
(٢) خدى : فعل أمر من الوخذ ، وهو السير السريع . (٣) الفدفد : الصحراء .

تَحْمَنُ الْأَلْوَانُ مِنْهُمْ فِي الْوَعْيِ حِينَ تَسْتَنْكِرُ لِلرُّعْبِ الْحَلِيَّ
 سُخِطَ عَبْدُ اللَّهِ يَدُنِي الْأَجْلَا وَرِضَاهُ يَتَعَدَّى الْأَمَّالَا
 يُعْشِبُ الصَّدُ إِذَا سَأَلَهُ وَإِذَا حَارَبَ رَوْضًا أَمْحَلَا
 [مَلِكٌ لَوْ نُشِرَتْ آوَاهُ وَأَيَادِيهِ عَلَى اللَّيْلِ انْجَلَى]
 حَلَّ بِالْبَأْسِ ابْنُ عَمْرٍو مَنْزِلًا طَالَ حَتَّى قَصُرَتْ فِيهِ الْعَلَا
 حَطَّ رَحْلِي فِي ذَرَاهُ جُودُهُ وَتَمَشَّى فِي نَدَاهُ الْخَيْزَلَى (١)

[جَوْدَةُ الْخَطِّ]

صفة الخط
الجيد

سئل بعضُ الكتاب عن الخط: متى يستحقُّ أن يوصفَ بالجودة؟ فقال:
 إذا اعتدلت أقسامه، وطالت ألفه ولأمه، واستقامت سطورُه، وضاهى صعوده
 حُدُورُه، وتفتحت عيونه، ولم تشبه رآؤه ونونه، وأشرق قرطاسه، وأظلمت
 أنقاسه، ولم تختلف أجناسه، وأسرع إلى العيون تصوُّرُه، وإلى العقول تشمُّرُه،
 وقدرت فصوله، واندحجت وُصوله، وتناسب دقيقه وجليله، وخرج من نمط
 الوراقين، وبعُدَ عن تصنعِ المحررين (٢)، وقام لصاحبه مقام النسبة والحلية، كان
 حينئذ كما قال صاحب هذا الوصف في صفة خط:

إذا ما تجلَّلَ قِرطاسُهُ وساورَه القلمُ الأرقشُ
 تضمَّنَ مِنْ خَطِّهِ حِلَّةً كَنَقَشِ الدنانيرِ، بَلْ أَنْقَشُ
 حروف تُعيدُ لعين الكليل نشاطاً ويقرؤها الأُخفشُ

وراق يصف
عيشه

قال أبو هفان: سألت وراقاً عن حاله فقال: عيشي أضيِّق من محبِّرة،
 وجسمي أدق من منطرة، وجاهي أرق من الزجاج، ووجهي عند الناس أشدَّ
 سواداً من الخبز بالزَّاج، وحظي أخفى من شقِّ القلم، ويداي أضعف من قصبته،
 وطعامي أصر من العفص؛ وشرابي أحر من الخبز (٣)، وسوء الحال ألزم لي من
 الصَّمغ؛ فقلت له: عبَّرتَ عن بلاء بلاء!

(١) الخزلي: مشية فيها تناقل. (٢) في نسخة «المحدرين» (م).

(٣) كذا، وفي ديوان المعاني (ص ٨٢) «أسود من الخبز» وهي أحسن (م).

لإسماعيل
الحمدوني

وقال الحمدوني :

تِنْتَانِ مِنْ أَدْوَاتِ الْعِلْمِ قَدْ تَلَفْنَا
أَمَّا الدَّوَاةُ فَأَدُمِي جَرْمُهَا جَسَدِي
وَحَبَّرْتِ لِي صُحُفَ الْحَرْفِ مِجْبِرَةً
وَالْعِلْمُ يَعْلَمُ أَنِي حِينَ آخِذُهُ
عِنَانَ شَأْوِي عَمَارُتُ مِنْ هِمَمِي
وَقَلَمُ الْحِظِّ تَحْرِيفٌ مِنَ الْقَلَمِ
تَذُودُ عَنِّي سَوَامَ الْمَالِ وَالنَّعَمِ
لِعَصْمِي نَافِرٌ خِلْوٌ مِنَ الْعِصَمِ
والحمدوني في الحرفة أشعار مستظرفة ، وكان مليح الافتنان ، حلو التصرف ؛
وهو إسماعيل بن إبراهيم بن حمدويه ، وحمدويه جدّه ، وهو صاحب الزنادقة في
أيام الرشيد ، والحمدوني القائل :

مَنْ كَانَ فِي الدُّنْيَا لَهُ شَارَةٌ
نَزَمْتُهَا مِنْ كَثَبِ حَسْرَةٍ
فَنَحْنُ مِنْ نَظَارَةِ الدُّنْيَا
كَأَنَّا لَفْظٌ بِلا مَعْنَى

وقال :

قَدْ قُلْتُ إِذْ خَرَجُوا لِكِي يَسْتَمِطُّوْا:
لَوْ فِي حَزِيْرَانٍ هَمَمْتُ بِنَفْسِي بِهَا
فَكَأَنَّهَا الْعَبَّاسُ يُسْتَسْقَى بِهِ
لَا تَقْنَطُوا وَاسْتَمِطُّوْا بِثِيَابِي
غَطَى ضِيَاءَ الشَّمْسِ جَوْهُ سَحَابِ
عُمَرُ فَيُرِيهِمْ دُعَاءَ مُجَابِ (١)

[حرفة الأدب]

لبعض الشعراء

وقال آخر في المعنى الأول :

لَمَّا أُجِدَّتْ حُرُوفُ الْخَطِّ حَرَفِي
أَقْوَتُ مَنَازِلُ مَالِي حِينَ وَطَّنَهَا
عَنْ كُلِّ حِظٍّ وَجَاءَتْ حِرْفَةُ الْأَدَبِ
مُخَيِّمًا سَفَطُ الْأَقْلَامِ وَالْكَتُبِ

وقال يعقوب الخريمي :

للخريمي

مَا أَزْدَدْتُ فِي أَدْبِي حَرْفًا أُسْرُ بِهِ
كَذَلِكَ مِنْ يَدِّي حِذْقًا بَصْنَعْتَهُ
إِلَّا تَزِيدَتْ حَرْفًا تَحْتَهُ سُومُ
أَنِّي تَوَجَّهَ فِيهَا فَهَوَ مَحْرُومُ

(١) احتبس المطر بعد انتقال الرسول إلى الرفيق الأعلى ، فاستسقى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه بالعباس بن عبدالمطلب ، فسقاهم الله تعالى .

ولما قتل المقتدر أبا العباس بن المعتز ، وزعم أنه مات ختف أنفه ، قال علي بن لعل بن بسام محمد بن بسام :

لله درك من ميت بمضيعة نأهيك في العلم والآداب والحسب
ما فيه لو لا ليت فينقصه وإنما أدركته حرفة الأدب

[رزق الحمقى والعقلاء]

قال ابن الرومي :

يا ليت أهل البيت إذ حرموا عصموا من الشهوات والفتن
لكنهم حرموا وما عصموا قلوبهم مرضى من الحزن
وهم أطب على بليتهم من غيرهم بمضاضة الشجن^(١)

وقال جعفر بن محمد : إن الله وسع أرزاق الحمقى ليعتبر العقلاء ، ويعلموا أن الدنيا لا يُنال ما فيها بعقل ولا حيلة ؛ ألا إن كسب المال بالحظ ، وحفظه بالعقل .

قال إبراهيم بن سيار النظام : الذهب لئيم ؛ لأن الشكل يصير إلى شكله ، وهو عند اللئام أكثر منه عند الكرام . قال المتنبي - وأخذ هذا المعنى :

وشبه الشيء مُنجذب إليه وأشبهنا بدنياً الطغام

وكان النظام له نظرٌ بوجوه التصرف ، وكان السلطان يصله بالكثير ، وكان محظوظاً ؛ فإذا اجتمع له مالٌ حبسَ لنفسه بلغة ، وفرَّق الباقي في أبواب المعروف ؛ فمئيل له في ذلك ، فقال : من حق المال على أن أطلبه من معدنه ، وأصيب به الفرصة عند أهله ؛ ومن حقِّي عليه أن يقيني سوء نفسه ، ويصون عِرْضِي

بعض أخبار النظام وكلامه

(١) المضاضة : وجع المصيبة ، والشجن - بالتحريك - الحزن (م)

بابتدائه ، ولا يفعل ذلك إلا بأن أسمح به ؛ ألا ترى ذا الغنى ؛ ما أذومَ نصَّبه^(١) ،
وأقلَّ راحته ، وأحسنَّ من ماله حَظَّه ، وأشدَّ من الأيام حذرَه ، وأغرى الدهرَ
بثلبه ونقصه ، ثم هو بين سلطان يرعاه ، وذوى حقوق يسبُّونه ، وأكفاء ينافسونه ،
وولد يريدون فراقه ، قد بعث عليه الغنى من سلطانه العناء ، ومن أكفائه
الحسد ، ومن أعدائه البغى ، ومن ذوى الحقوقِ الذمَّ ، ومن الولدِ اللالَ ،
وذو البلغة قنَّحَ فدام له السرور ، ورفض الدنيا فسَلِمَ من المحذور ، ورضي
بالكفاف فتكَّبتَه الحقوق . :

[أفكار الوراقين]

وصف الوراق

قال الصولي أنشدني محمد بن أحمد بن إسحاق :

أذمتى البكا جفنى والمآقى	فظللتُ ذا همَّ وذا اختِراقِ
ما إن أرى فى الأرض والآفاقِ	أذنى ولا أشقى من الوراقِ
إذا أتى فى القمصِ الأخلاقِ	رأيتَه مطيرة العُشِّاقِ ^(٢)
يفرح بالأقلام والأوراق	كفرحة الجندى بالأرزاق

وقال بعض الوراقين :

إذا كنتُ بالليل لا أكتبُ	وطول النهار أنا العبُّ
فطورا يبطنى ما كَلُّ	وطورا يبطنى مشربُّ
فإن دامَ هذا على ما أرى	فبئسَ أول ما ينخرَبُ

وقيل لوراق : ما تشتهى؟ فقال : قلما مشاقا ، وحبراً برأفا ، وجلوداً رقاقا .
وكل امرئ ، فأمניתه على ما يطابقُ غريزته ، ويوافقُ نَحِيْزته^(٣) .

(١) النصب : التعب ، وزنا ومعنى (م) .

(٢) القمص : جمع قميص ، والأخلاق : جمع خلق - بالتحريك - وهو البالى (م) .

(٣) الغريزة والنحيزة : الطبيعة والسجية .

[أطيب المذات عند الشعراء]

لذات امرئ القيس
قال علي بن جبلة العكوك : قال الأصمعي : سئل امرؤ القيس : ما أطيب
لذات الدنيا ؟ قال : بيضاء رُعبوبة^(١) ، بالحسن مكبوبة ، بالشَّحْمُ مكروبة^(٢) ،
بالمِسْكِ مَشْبُوبَةٌ .

لذات الأعشى
وسئل الأعشى عن ذلك ، فقال : صَهْبَاءُ صَافِيَةٌ^(٣) ، تَمْرُجُهَا سَاقِيَةٌ ، من
صَوْبِ غَادِيَةٍ^(٤) .

لذات طرفه
وسئل طرفه عن ذلك ، فقال : مَرَكَبٌ وَطِيٌّ ، وَثَوْبٌ بَهِيٌّ ، وَمَطْعَمٌ شَهِيٌّ .
لذات أبي دلف
قال العكوك : فحَدَّثْتُ بِهَذَا أَبَا دُلْفٍ ، فقال :

أَطْيَبُ الطَّيِّبَاتِ قَتْلُ الْأَعَادِيِّ وَاخْتِيَالٌ عَلَى مُتُونِ الْجِيَادِ
وَرَسُولٌ يَأْتِي بُوْعْدَ حَبِيبٍ وَحَبِيبٌ يَأْتِي بِلَا مِيعَادِ

لذات حميد الطوسي
وحدَّثت بذلك حميدا الطوسي ، فقال :

فَلَوْلَا ثَلَاثٌ هُنَّ مِنْ لَذَّةِ الْفَتَى ، وَجَدُّكَ ، لَمْ أَخْفَلُ بِمَتَى قَامَ عَوْدِي
فَمَنْ سَبَقُ الْعَاذِلَاتِ بِشَرْبَةٍ كَمِيتٌ ، مَتَى مَا تُعَلُّ بِالْمَاءِ تَزِيدُ^(٥)
وَكَرَى إِذَا نَادَى الْمُضَافُ مُحَنَّبًا كَسِيدِ الْفَضَا ذِي السَّوْرَةِ الْمُتَوَرِّدِ^(٦)
وَتَقْصِيرُ يَوْمِ الدَّجْنِ ، وَالدَّجْنُ مُعْجِبٌ بِيَهْكَنَةٍ تَحْتَ الْخِيبَاءِ الْمَعْمَدِ^(٧)

الشعر لطرفة بن العبد .

(١) رعبوبة : حلوة ناعمة حسنة ، وفي نسخة « بالحسين مكتوبة » (م) .

(٢) مكروبة : ممتلئة (م) (٣) الصهباء : الحمر (م)

(٤) الغادية : السحابة (م) (٥) الكميت - بالتصغير - الحمر ، وتزيد :

تعلوها الرغبة (م) .

(٦) المضاف : البائس الذي أحيط به ، والمخف : أراد به الفرس الشديد .

(٧) الدجن : النعيم ، والبهكنة : الخفيفة الروح الطيبة الرائحة من النساء ، والخباء :

أراد الخيمة ، والمعمد : ذى الأعمدة (م) .

لذات يزيد
ابن عبد الله

وحدثت بذلك يزيد بن عبد الله ، فقال : ما أدري ما قالوا ، ولكني أقول :
فَأَقْبَلَ مِنَ الدَّهْرِ مَا أَتَاكَ بِهِ مِنْ قَرَّةٍ عَيْنًا بِعَيْشِهِ نَفْعَهُ
فَكَانَ أَسَدًا م .

والبيت للأضبط بن قريع ، أنشده أبو العباس ثعلب ، قال : وبلغني أن هذه
الآيات قيلت قبل الإسلام بدهرٍ طويل :

من شعر
الأضبط بن
قريع

لكل ضيقٍ من الأمورِ سعةٌ والصبحُ والنسيُّ لا فلاحَ معه^(١)
ما بانُ من سرِّه مصابك لا يملك شيئاً من أمره وزاعةٌ
أذود عن حوضيه ويدفعني يا قوم ، من عاذري من الخدعة؟
حتى إذا ما انجلت عمائتهُ أَقْبَلَ يَلْحَى وَغِيَّهُ فَجَعَسَهُ^(٢)
قد يجمعُ المالَ غيرُ آكله ويأكلُ المالَ غيرُ من جمعه
ويقطعُ الثوبَ غيرُ لابسهِ ويلبسُ الثوبَ غيرُ من قطعه
فَأَقْبَلَ مِنَ الدَّهْرِ مَا أَتَاكَ بِهِ مِنْ قَرَّةٍ عَيْنًا بِعَيْشِهِ نَفْعَهُ
وَصِلْ حَبَالَ البعيدِ إِنْ وَصَلَ الْـحَبْلَ ، وَأَقْصِ القريبِ إِنْ قَطَعَهُ
وَلَا تُعَادِ الفقيرَ علكَ أَنْ تَرُكَهُ يَوْمًا وَالدَّهْرُ قَدْ رَفَعَهُ^(٣)

هذا البيت شبيه بما روى عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كثيراً ما يستنشدني قول اليهودي :

ارفع ضعيفك لا يحربك بك ضعفه يوماً فتدركه المواقب قد نما^(٤)
يحربك ، أو يثني عليك ، وإن من أثنى عليك بما فعلت كمن جزى
فأنشده ، فيقول : إني فطن لها :

(١) في الأما لي (١٠٧/١) « لكل هم من الهموم سعة » (م)

(٢) عمائته : ضلالتة ، ويلحى : يلوم أشد اللوم (م) .

(٣) يرويه النحاة « لاتهن المقير علك أن - إلخ » (م) .

(٤) لا يحربك ضعفه : يريد أنه قد يرجع الضعف إليك وينتعض هو (م)

الأضبط بن
قريب

وكان الأضبط سيد بني سعد ، وكانوا يشتمونه ويؤذونه ، فانتقل إلى حي من العرب فوجدهم يؤذون سادتهم ، فقال : حينما أوجه ألق سعداً ! فذهبت مثلاً قال الطائي :

فلا تحسبن هنداً لها الغدرُ وحدها سجيةٌ نفسٍ ، كلُّ غانيةٍ هندٌ
[وصف الحبار والأقلام]

لبعض الكتاب
يصف بحبرة

قال بعضُ الكتاب يصف بحبرة :

ولقد مضيتُ إلى المحدثِ آنفاً وإذا ظبأه الإنسِ تكتبُ كل ما يتجاذبون الخبرَ من ملومةٍ من خالص البلورِ غيرَ لونها إن نكسوها لم تسيل ، ومليتها ومتى أمالوها لرشفِ رضابها وكأنها قلبي يضمنُ سيره يمتأحها ماضي الشبابة مذلقٌ رجلاه رأسٌ عنده لـكـنـه وكأنه والحبرُ يخبُّبُ رأسه لم لا ألاحظه بعينِ جلالةٍ

وإذا محضرتَه ظبأه رتّعُ يملئ ، وتحفظ ما يقول وتسمعُ بيضاءَ تحملها علائقُ أربع^(١) فكأنها سبجٌ يلوحُ ويلمعُ^(٢) فيما حوتهُ عاجلاً ، لا يطمعُ أداهُ فوهاً وهي لا تمنعُ أبداً ، ويكتُمُ كل ما يستودعُ يجرى بميدانِ الطرُوسِ فيسرعُ^(٣) يلقاه برد حفاة ساعة يقطعُ شيخٌ لو وصل خريده يتصنعُ وبه إلى الله الصحائفُ ترفعُ

لأبي الفتح
كشاجم

وقال أبو الفتح كشاجم :
مِحْبَرَةٌ جَادَ لِي بِهَا فَمَرُّ
جَوْهَرَةٌ خَصَنِي بِجَوْهَرَةٍ
بِيضَاءٍ وَالْحَبْرُ فِي قَرَارَاتِهَا
مِثْلَ بِيضِ الْعَيْسُونَ زَيْنَهُ

مستحسنُ الخلقِ مرّ تضى الخلقِ
ناطت له الكرماتِ في عنقي
أسودُ كالمسكِ جدٌ منفتق
مُسودٌ ما شابههُ من الخدقِ

(١) ملومة : مستديرة (م) (٢) السبج : الحرز الأسود (م)
(٣) أصل المتح نزع الماء من البئر ، والشبابة : حد كل شيء ، والمذلق : الهدد ،
أوراد القلم (م)

كأَنَّمَا جَبْرُهُمَا إِذَا نَبَّرَتْ أَقْلَامُنَا ظَلَّ عَلَى الْوَرَقِ
كَحَلِّ مَرْتَةِ الْعُيُونِ مِنْ مَقَلٍ نُجَلِّ فَأَوْفَتْ بِهِ عَلَى يَبْقَى (١)
خَرَسَاءَ لِكُنْهَآ تَكُونُ لَنَا عَوْنًا عَلَى عِلْمِ أَفْصَحِ النَّطْقِ
وقال عبد الله بن أحمد : القلم أمره ، ما لم يكتحل بإئمة الدواة (٢) .

وكتب إبراهيم بن العباس كتاباً فأراد محو حرف فلم يجد منديلاً ، فحاه بكفه ،
فقال : المال فرع ، والعلم أصل ؛ وإنما بلغنا هذه الحال ، واعتقدنا
هذه الأموال (٣) بهذا القلم والمداد ، ثم قال :

إِذَا مَا الْفِكْرُ أَضْمَرَ حُسْنَ لَفْظٍ وَأَذَاهُ الضَّمِيرُ إِلَى الْعِيَانِ
وَوَشَاءُ وَتَمَنَّهُ مُسَدِّدٌ فَصِيحٌ بِالْمَقَالِ وَبِاللُّسَانِ
رَأَيْتُ حُلَى الْبَيَانِ مَنْوَرَاتٍ تَضَاحَكُ بَيْنَهَا صُورُ الْمَعَانِي

ألفاظ لأهل العصر في أوصاف آلات الكتابة والدوي والأقلام
الدواة من أنفع الأدوات ، وهي للكتابة عتاد ، وللخاطر زناد ، غدير لا يرده
غير الأفهام ، ولا يمتح بغير أرشية الأقلام (٤) ، دواة أنيقة الصنعة ، رشيقة
الصبغة ، مسكية الجلد ، كافورية الحليمة . غدير تفيض ينابيع الحكمة من أقطاره ،
وتنشأ سحُبُ البلاغة من قراره . دواة تداوي مرض عفاتك ، وتدوي قلوب
عداتك ، على ترفع يؤذن بدوام رفعتك ، وارتفاع النوائب عن ساحتك ،
ومداد كسواد العين ، وسويداء القلب ، وجناح الغراب ، ولعاب الليل ، وأوان
دُهم الخليل . وهذا من قول ابن الرومي :

حَبْرُ أَبِي حَفْصٍ لِعَابُ اللَّيْلِ كَأَنَّهُ أَوَانُ دُهِمِ الْخَلِيلِ

- (١) مرتة العيون : استخرجته ، والمقل : جمع مقلة ، وهي العين ، والنجل :
جمع نجلاء ، وهي الواح ، واليقق - بالتحريك - الأبيض (م)
(٢) الأمره : وصف من المره - بالتحريك - وهو خلو العين من الكحل (م)
(٣) اعتقدنا هذه الأموال : تأملناها وجمعناها (م)
(٤) الأرشية : جمع رشاء ، وأصله جبل الدلو (م)

قال العاصر : مبدادٌ ناسب خافية الغراب ، واستعار لونه من شريح الشباب ،
وأقلام جمة المحاسن ، بعيدة من المطاعين ، تعاصى الكاسى ، وتمايع الغاميز
القائى . أنايب ناسبت رماح الخط في أجناسها ، وشاكت الذهب في ألوانها ،
وضاهت الحديد في لمعانها ؛ كأنها الأميال استواء ، والآجال مضاء ، بطيئة الحفى ،
قوية القوى ، لا يشظيها^(١) القَطُّ ، ولا يتشعبُ بها الخطُّ . أقلام بحرية موشية
الليط^(٢) ، راتقة التخطيط . قلم معتدل الكعوب ، طويل الأنوب ، باسق
للفروع ، روى الينبوع ، هو أولى باليد من البنان ، وأخفى للسر من اللسان .
هو الأنامل مطية ، وعلى الكتابة معونة مرضية . نعم العدة القلم : يقم أظافر
الدهر ، ويملك الأقاليم بالنهى والأمر ، إن أردتَ كان مسجوناً لا يمل الإسار ،
وإن شئتَ كان جواداً جارياً لا يعرف العثار ، لا ينبو إذا نبت الصفاح^(٣) ،
ولا يُنجم إذا أحجمت الرماح .

لأبي الفتح
كشاجم

قال أبو الفتح كشاجم ، يصف محبرة ومقلمة وأقلاماً وسكيناً :

جِئِمِي مِنَ اللّهُوَ وَآلاتِ الطَّرَبِ	وَمِنْ عَتَادِ وَثَرَاءِ وَنَشَبِ
وَمِنْ مُدَامٍ وَمَثَانٍ تَصْطَحِبِ	وَهَمِيَّةٍ طَمَاحَةٍ إِلَى الرُّثَبِ
مَجَالِسٍ مَصُونَةٍ مِنَ الرِّيبِ	مَعْمُورَةٍ مِنْ كُلِّ عِلْمٍ وَأَدَبِ
تَكَادُ مِنْ حَرِّ الحَدِيثِ تَنْتَهَبِ	شِعْرًا وَأَخْبَارًا وَنَحْوًا يَنْتَضِبِ
وَلَفِيَّةً تَجْمَعُ الْفَاطَةَ العَرَبِ	وَقِرْرًا كَالوَغْدِ فِي قَلْبِ المَحِبِ
أَوْ كَتَاتِي الرِّزْقِ مِنْ غَيْرِ طَلَبِ	أَجَلٍ ، وَحَسْبِي مِنْ دُورِي تُنْتَخَبِ
مَحَلِّيَاتٍ بُلْجَيْنٍ وَذَهَبِ	مَخْبَرَةٍ يَزْهَى بِهَا الحَبْرُ الأَلْبِ ^(٤)
مَنْقُوبَةٍ آذَانُهَا ، وَفِي الثُّقْبِ	مِثْلَ شُنُوفِ الخُرْدِ البِيضِ العَرَبِ ^(٥)

(١) لا يشظيها : لا يقطعها شظايا (م) (٢) الليط ، بالكسر : القشر .

(٣) الصفاح : السيوف (م) (٤) الحبر ، بالكسر : العالم (م) .

(٥) العرب ، بضم العين والراء : جمع عروب . وهى المرأة المتحجبة إلى زوجها .

يصن قطراً فيه للكتب عُشْبُ أَسْوَدٌ يَجْرِي بِمَعَانٍ كَالشُّهْبِ
 لَا تَنْضُبُ الْحِكْمَةُ إِلَّا إِنْ نَضَبُ نِيَطَتْ إِلَى بُسْرَى يَدَى سَبَبِ
 كَالْقُرْطِ فِي الْجِيدِ تَدَلَّى فَاضْطَرَبُ تَصْحَبُهَا ، وَالْأَخَوَاتُ تُضْطَحَبُ
 كَأَنَّهُ يُوَدِّعُ نَبِيلاً مِنْ قَصَبُ لَمْ يَغْلُهَا رِيشٌ وَلَمْ تَحْمِلْ عَقَبُ^(١)
 لَا تَضْحَكِ الْأُورَاتِي حَتَّى يَنْتَحِبُ تَرْمِي بِهَا يَمْنَى أَعْرَاضَ الْكُتُبِ
 رِمِيًّا مَتَى أَقْصِدُ بِهِ السَّمْتَ أُصِيبُ وَمُدِيَّةٌ كَالْعَضْبِ مَا مَسَّ الْقَصَبُ
 غَضْبِي عَلَى الْأَقْلَامِ مِنْ غَيْرِ سَبَبُ تَسْطُو بِهَا فِي كُلِّ حِينٍ وَتَثِبُ
 وَإِنَّمَا تَرْضِيكَ فِي ذَاكَ الْفَضْبُ فَتَلِكِ آلَاتِي ، وَآلَاتِي تُحَبُّ
 وَالظَّرْفُ فِي الْآلَاتِ مِمَّا يُسْتَحَبُّ لَا سِيَّيَا مَا كَانَ مِنْهَا لِلدَّابِّ

[عمال المأمون]

تظلم رجلٌ إلى المأمون من عامل له ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ما ترك لي
 فِضَّةً إِلَّا فِضَّهَا ، وَلَا ذَهَباً إِلَّا ذَهَبَ بِهِ ، وَلَا غَلَّةً إِلَّا غَلَّهَا ، وَلَا ضَيْعَةً إِلَّا
 أَضَاعَهَا ، وَلَا عِلْقاً^(٢) إِلَّا عَلِقَهُ ، وَلَا عَرَضاً إِلَّا عَرَضَ لَهُ ، وَلَا مَاشِيَةً إِلَّا امْتَشَاهَا^(٣) ،
 وَلَا جَلِيلاً إِلَّا أَجْلَاهُ ، وَلَا دَقِيقاً إِلَّا أَدَقَّهُ . فعجب من فصاحته وقضى حاجته .
 قال عمرو بن سعد بن سلم : كانت عليّ نوبة أنوبها في حرس المأمون ،
 فكنتُ في نوبتي ليلةً فخرج متفقداً من حَضْرٍ ، فعرفته ولم يعرفني ، فقال : من
 أنت ؟ قلت : عمرو ، عمرك الله ، ابن سعيد ، أسعدك الله ، ابن سلم ، سلمك الله .
 فقال : تَكَلُّوْنَا مِنْذُ اللَّيْلَةِ . قلت : اللهُ يَكَلُّوكُ قَبْلِي ، وهو خيرٌ حافظاً وهو
 أرحم الراحمين .

فقال المأمون :

إِنَّ أَخَاكَ الْحَقَّ مِنْ يَسْعَى مَعَكَ وَمَنْ يَضُرُّ نَفْسَهُ لِيَنْفَعَكَ
 وَمَنْ إِذَا صَرَفُ زَمَانٍ صَدَعَكَ بَدَّدَ شَمْلَ نَفْسِهِ لِيَجْمَعَكَ

(١) العقب : العصب الذي تعمل منه الأوتار (م) .

(٢) العلق ، بالكسر ، النفيس من كل شيء . (٣) امتشها : ذهب بها كلها .

[الورد والرجس]

لابن الرومي

وقال علي بن العباس الرومي :

خَجَلْتُ خُدُودَ الْوَرْدِ مِنْ تَفْضِيلِهِ خَجَلْتُ خُدُودَ الْوَرْدِ مِنْ تَفْضِيلِهِ
لَمْ يَخْجَلِ الْوَرْدُ الْمُرْدُ لَوْنُهُ لَمْ يَخْجَلِ الْوَرْدُ الْمُرْدُ لَوْنُهُ
لِلرَّجْسِ الْفَضْلُ الْمَبِينُ إِذَا بَدَأَ لِلرَّجْسِ الْفَضْلُ الْمَبِينُ إِذَا بَدَأَ
وَكَانَ ابْنُ الرَّوْمِيِّ مُتَعَصِّبًا لِلرَّجْسِ ، كَثِيرَ الذَّمِّ لِلْوَرْدِ ، وَكَتَبَ إِلَى أَبِي

الحسن ابن المسيب :

أَدْرِكُ ثِقَاتِكَ إِنَّهُمْ وَقَعُوا فِي نَرْجِسٍ مَعَهُ أُبْنَةُ الْعِنَبِ
فَهَمُّ بِحَالٍ لَوْ بَصُرْتُ بِهَا سَبَّحْتُ مَنْ عُجِبَ وَمَنْ عَجَبَ
رِيحَانُهُمْ ذَهَبٌ عَلَى دُرِّ وَشَرَابُهُمْ دُرٌّ عَلَى ذَهَبِ
فِي رَوْضَةٍ شَتْوِيَّةٍ رَضَعَتْ دَرًّا الْحَيَا حَلْبًا عَلَى حَلَبِ
وَالْيَوْمَ مَدْجُونٌ مُفْرَتُهُ فِيهِ بِمُطْلَعٍ وَمُحْتَجَبِ^(١)
ظَلَّتْ تَسَامِرُنَا وَقَدْ بَعَثَتْ ضَوْءًا يُلَاخِظُنَا بِلَا لَهَبِ
وَكَانَ كِشْرَى أَنْوَشِرَوَانَ مُسْتَهْتَرًا بِالرَّجْسِ^(٢) ، وَكَانَ يَقُولُ : هُوَ يَأْقُوتُ

لبعض المحدثين

أصفر ، بين درّ أبيض ، على زمرد أخضر . نقله بعض المحدثين فقال :

وَيَأْقُوتُهُ صَفْرَاءُ فِي رَأْسِ دُرَّةٍ مَرْكَبَةٌ فِي قَائِمٍ مِنْ زَبَرَجَدِ
كَثَلٌ بِهَيِّ الدُّرِّ عَقْدٌ نَظَامُهَا نَشِيرٌ فِرْنِدٍ قَدْ أَطَافَ بِعَسْجَدِ
كَأَنَّ بَقَايَا الطَّلِّ فِي جَنَابَاتِهَا بَقِيَّةُ دَمْعٍ فَوْقَ خَدِّ مُورِدِ

رجع ابن الرومي :

رجع
لابن الرومي

فَصَلُّ التَّضْيِيقِ أَنْ هَذَا قَائِدٌ زَهْرُ الرَّبِيعِ وَأَنَّ هَذَا طَارِدٌ
شَتَّانَ بَيْنَ اثْنَيْنِ : هَذَا مُوعِدٌ بَتَّصْرُمِ الدُّنْيَا ، وَهَذَا وَاعِدٌ

(١) مَدْجُونٌ : قَدِغَطِي سَمَاءِ الْعَيْمِ ، وَحِرْتُهُ : شَمْسُهُ ، وَمُطْلَعٌ : اسْمُ لِمَكَانِ

الطَّلُوعِ ، وَمُحْتَجَبٌ : اسْمُ لِمَكَانِ الْإِحْتِجَابِ (م) .

(٢) مُسْتَهْتَرًا : مُوَلَعًا (م) .

فإذا احتفظت به فأنتع صاحب
 ينهى النديم عن الصبيح بلخظه
 اطلب بعقلك في الملاح سميه
 والورد إن فتشت فرد في اسمه
 هذى النجوم هي التي ربيناها
 فانظر إلى الولدين ، من أدناهما
 أين الحدود من العيون نفاة

بحياته ، لو أن حياً خالد
 وعلى المدامة والسماع يساعداً^(١)
 أبداً ؛ فإنك لا محالة واحد
 ما في الملاح له سمى واحد
 بحياً السحاب كما يرَبِّي الوالد^(٢)
 شهباً بوالده فذاك الماجد
 ورياسة ، لولا القياس الفاسد

وقد ناقضه جماعة من البغداديين وغيرهم في هذا المذهب ، وذهبوا إلى تفضيل

الورد ؛ فما دانوه وما استطاعوه .

لأحمد بن يونس
 الكاتب برد على
 ابن الرومي

قال أحمد بن يونس الكاتب راداً عليه :
 يا من يشبه نرجساً بنواظر
 إن القياس لمن يصح قياسه ،
 والورد أصدق للحدود حكاية
 ملك قصير عمره مستأهل
 إن قلت إن الورد فرد في اسمه
 فالشمس تفرد باسمها والمشتري
 أو قلت إن كواكبها ربيها
 قلنا أحقهما بطبع أبيه في
 زهر النجوم تروقنا بضياها
 وكذلك الورد الأنيق تروقنا
 وخليفه إن غاب ناب بنفعه

دعج ، تنبه إن فهمك راقد
 بين العيون وبينه متباعد
 فعلام تجحد فضله يا جاحد
 تخليده ، لو أن حياً خالد
 ما في الملاح له سمى واحد
 والبدر يشرك في اسمه وعطار
 بحياً السحاب كما يرَبِّي الوالد^(١)
 جدوى هو الزاكي النجيب الراشد
 ولها منافع جمة وعوائد
 وله فضائل جمة وفوائد
 وينفحه أبداً مقيم راكد

(٢) حيا السحاب : ماؤه .

(١) في نسخة « مساعد » .

إِنْ كُنْتَ تُنْكِرُ مَا ذَكَرْنَا بَعْدَهَا وَضَحَّتْ عَلَيْهِ دَلَائِلُ وَشَوَاهِدُ
فَانظُرْ إِلَى الْمُصْفَرِّ لَوْنًا مِنْهُمَا وَاظُنْ فَمَا يَصْفَرُّ إِلَّا الْحَاسِدُ

نبت من النظم والنثر
في صفات النور والزهر

لعلي بن الجهم

قال علي بن الجهم :

لَمْ يَضْحَكِ الْوَرْدُ إِلَّا حِينَ أَعْجَبَهُ حُسْنُ الرِّيَاضِ وَصَوْتُ الطَّائِرِ الْغَرْدِ
بَدَا فَأَبَدَتْ لَنَا الدُّنْيَا مَحَاسِنَهَا وَرَاحَتِ الرِّيحُ فِي أَثْوَابِهَا الْجُدِّ
وَقَابَلَتْهُ يَدُ الْمُشْتَاقِ تُسْنِدُهُ إِلَى التَّرَائِبِ وَالْأَحْشَاءِ وَالسَّكْبِ
كَأَنَّ فِيهِ شِفَاءً مِنْ صَبَابَتِهِ أَوْ مَانِعًا جَفْنَ عَيْنِهِ مِنَ الشُّهْدِ
بَيْنَ النَّدِيمِينَ وَاللَّيْلِينَ مَضْرَعُهُ وَسَيْرُهُ مِنْ يَدِ مَوْصُولَةٍ بِيَدِ
مَا قَابَلَتْ طَلْعَةَ الرِّيحِ نَحْوَ طَلْعَتِهِ إِلَّا تَبَيَّنَتْ فِيهِ ذِلَّةُ الْحَسَدِ
قَامَتْ بِحُجَّتِهِ رِيحٌ مُعْطَرَةٌ تَشْفِي الْقُلُوبَ مِنَ الْأَوْصَابِ وَالسَّكْبِ
لَا عَذَابَ لِلَّهِ إِلَّا مِنْ يُعَذِّبُهُ بِمُسْمِعٍ بَارِدٍ أَوْ صَاحِبِ نَكْبِ (١)

وكان أردشير بن بابك يصف الورود ويقول : هو درُّ أبيض ، وياقوت أحمر ،
على كراسي زبرجد أخضر ، توسطه شذور من ذهب أصفر ، له رقة الخمر ،
ونفحات العطر (٢) أخذه محمد بن عبد الله بن طاهر فقال :

محمد بن عبد الله
بن طاهر

كَأَنَّهُنَّ يَوَاقِيتُ يُطِيفُ بِهَا زُمُرُودٌ وَسَطَهُ شَذْرٌ مِنَ الذَّهَبِ
فَأَشْرَبَ عَلَى مَنْظَرٍ مُسْتَظَرَفٍ حَسَنٍ مِنْ خَمْرٍ مَزَّةٍ كَالْجَمْرِ فِي اللَّهَبِ (٣)

وقال يزيد المهلبي : أحب المتوكل أن ينادمه الحسين بن الضحاك ، الخليع ، المتوكل
وابن الضحاك

(١) المسمع - على زنة اسم الفاعل - المعنى (م) .

(٢) مزة : لذيذة الطعم (م) .

البصرى ، وأن يرى ما بقى من ظرفه وشهوته لما كان عليه ؛ فأخضره وقد كبر
وضُف ، فسقاه حتى سكر ، وقال لخادمه شفيع : اسقيه ؛ فسقاه وحياء بوردة ،
وكانت على شفيع أثوابٌ ، فمدّ الحسين يده إلى دِرْع شفيع ، فقال المتوكل :
أنمّش غلامى بحضرتى ؟ كيف لو خلّوت به ! ما أحوجك يا حسين إلى أدب !
وكان المتوكل غمز شفيعا على العبت به ، فقال حسين : سيدى ، أريد دواة وقرطاسا ؛
فأمر له بهما ، فكتب :

وكالوردة البيضاء حيا بأحمرٍ من الوردِ يسعى فى قرأطق كالوردِ^(١)
له عبثاتٌ عنـد كل تحيةٍ بكفيه يستدعى الخلى إلى الوجدِ
تمنيتُ أن أشتى بكفيه شربةً تذكرنى ما قد نسيتُ من العهدِ
سقى الله عيشا لم أنم فيه ليلةً من الدهر إلا من حبيب على وعدِ

ثم دفع الرقعة إلى شفيع ، وقال : ادفعها إلى مولاك ؛ فلما قرأها استملحها ،
وقال : لو كان شفيع ممن تجوز هبته لو هبته لك ، ولكن بحياتى يا شفيع إلا كنت
ساقيه بقيّة يومه ! وأمر له بمال كثير حمل معه لما انصرف .

قال يزيد المهلبى : فصرتُ إلى الحسين بعد انصرافه من عند المتوكل بأيام ،
فقلت : ويحك ! أتدرى ما صنعت ؟ قال : لا أدعُ عادتى بشيء ، وقد
قلت بعدك :

لا رأى عطفة الأجنبِ من لا يصرحُ
أضفرُ الساقين أشكلُ عندي وأملحُ
لو تراه كالظبي يسنع طورا ويبرحُ
خلت غصنا على كئيب بنور يوشحُ

(١) القراطق : جمع قرطق ، وهو ضرب من اللباس .

قال الصولي : وكان الأول من أبيات الحسين من قول العباس بن الأحنف :

بيضاء في حمر الثياب كوردة بيضاء بين شقائق النعمان
تهتز في غيد الشباب إذا مشت مثل اهتزاز نواعم الأغصان

قال أبو بكر الصولي : كان عند الخصى الوزير ظبي داجن ربيب في داره ،
فعمد إلى نيلوفر فأكله ، فاستملح الغزال وأنسه ، وقال : لو عمل في أنس هذا
الغزال وفعله بالنيلوفر لاشتمل العمل على معنى مليح ! فبلغ الخبر أبا عبد الله إبراهيم
ابن محمد بن عرفة نبطويه ، فبادر لثلاثي سبق ، وعمل أبياتا أولها :

جرت ظبية غناء ترعى بروضة تنوش لدى أفنانها ورقاً خضراً^(١)

في أبيات غير طائفة ، فاستبرد ما أتى به ، قال الصولي : فقلت :

ونيلوفر يحكي لنا المسك طيبه تراه على اللذات أفضل مسعد
قد اجتن خوف الحادثات يجنة تروق كثوب الراهب المتعبد
تركب كالكاسات في ذهبية على قصب مخضرة كالزبرجد
وألبس ثوباً يفضل الأخط حسنه كما عبثت عين بخد مؤرد
غذته أهاضيب السماء بدرها تروح عليه كل يوم وتفتدي
تلبس للأنوار ثوب سمائه ففضل عنه الحسن في كل مشهد
وفي وسطه منه اصفرار يزينه كياقوتة زرقاء في رأس عسجد
أطاف به أحوى المدام شادين حكى طرف من أهوى وحسن المقلد^(٢)
كما أخذ الظمان بالقم كاسه ولم يستعين في أخذه الكاس باليد

[وصف أيام الربيع]

وقال أبو محمد الحسن بن علي بن وكيع^(٣) :

يوم أتاك بوجهه المتهلل ناهيك من يوم أغر محجل

لابن وكيع

(١) تنوش : تناول (م) .

(٢) أحوى : وصف من الحوة وهي السمرة ، والمقلد : الموضع الذي تلبس فيه القلادة ، يريد أن الظبية حكمت من الملاح عينها وجيدها (م) .

(٣) في نسخة « أبو الحسن محمد بن علي » .

خلع الغمام على اخضرار سمانه
 وكسا الرّبي حُللاً تخالف شكلها
 وتمايلت فيه قدود غصونه
 وعلا على الأشجار قطر سمانها
 يحكى قباب زمرد قد كُلت
 وأتاك نور الباقلاء كأنما
 الورد يُنجل كل نور طالع
 وحكى بياض الطلع في كافوره
 فكأنما الدنيا عروس أقبلت
 فاشرب معصرة القميص سلافة

وقال أبو الفتح البستي :

لأبي الفتح
البستي

يوم له فضل على الأيام
 فالبرق يخفق مثل قلب هام
 وكان وجه الأرض خد متيم
 فاطلب ليومك أربعاً : هنّ المنى
 وجه الحبيب ، ومنظر استشرقاً ،

وقال الأمير أبو الفضل الميكالي :

لأبي الفضل
الميكالي

ترآه من لؤلؤ ومفصل
 يرنو إليك بعين أ نحل أقبل^(١)
 وتراه منتقياً بحمرة نجبل
 وجه الخريفة في الخمار الصندلي
 في كل أنواع الملابس تجتلي
 من صنعة البردان أو قطر بل

(١) أقبل: وصف من القبل - بالتحريك - وهو إقبال سواد العين على جهة الأنف.

فكأنها بنتُ الشتاء توجَّعتُ لمصَّابه كَشْقِيقَةِ الأَوْلَادِ
فقنوهُ حُرْمَهَا خِضَابُ نَجِيعِهِ وسوادُ كُسُوتِهَا لِبَاسُ حِدَادِ

وقال :

تصوغُ لنا كَفُ الرِّبِيعِ حِدَائِقَا كعقدِ عَقِيقِ بَيْنِ سِمَطِ لَآلِي
وفيهن أنوارُ الشَّقَائِقِ قد حَكَّتْ خُدودَ عِذَارِي نُقَطتِ بِنَوَالِي

وقال :

كَأَنَّ الشَّقَائِقَ إِذْ أَبْرَزَتْ غِلَالَةَ دَادٍ وَثَوْبًا أَحْمَمَ^(١)
قِطَاعٌ مِنَ الجَمْرِ مَشْبُوبَةٌ فَأَطْرَافَهَا لَمَعَتْ مِنْ حَمَمِ

وقال في حديقة ریحان :

أَعَدَدْتُ مُحْتَفَلًا لِيَوْمِ فَرَاعِي رَوْضًا يَرُوضُ هُمُومَ قَلْبِي حُسْنُهُ
فَإِذَا بَدَتْ قُضْبَانُ رِيحَانٍ بِهِ فِيهِ لِكَأْسِ الأُنْسِ أَى مَسَاغِرِ
حَيَّتْ بِمِثْلِ سِلَاسِلِ الأَضْدَاعِ

وقال في النرجس :

أَهْلًا بِنَرْجِسِ رَوْضِ يُرْهِى بِحَسَنِ وَطِيبِ
يَرْنُو بِعَيْنِي غِزَالِ عَلَى قَضِيبِ رَطِيبِ
وَفِيهِ مَعْنَى خَفِيٌّ يَزِينُهُ لِلْقُلُوبِ
تَضْحِيْفُهُ إِنْ نَسَقَتْ الأَحْرُوفَ بِرُحْبِ حَبِيبِ

وقال :

وما ضمَّ شَمْلَ الأُنْسِ يَوْمًا كَنَرْجِسِ يَقُومُ بِعُذْرِ الأَلْهُوِ عَنِ خَالِجِ العُذْرِ^(٢)
فَأَحْدَاقُهُ أَحْدَاقُ تَبْرِ ، وَسَافَهُ كَقَامَةِ سَاقِي فِي غِلَائِلِهِ الخُضْرِ

(١) داد : مولع باللهو واللعب ، واللعب يقال له : دد ، والأحمم : الأسود (م) .
(٢) الباغي : قيم البستان . (٣) العذر : جمع عذار .

سَقَى الْفَيْثُ أَكْنَافَ اللَّوَى مِنْ مَحَلَّةٍ إِلَى الْحَقْفِ مِنْ رَمْلِ اللَّوَى الْمُتَقَاوِدِ
 وَلَا زَالَ مَخْضَرٌ مِنَ الرَّوْضِ يَانِعٌ عَلَيْهِ بِمَحْمَرٍ مِنَ النَّوْرِ جَامِدِ
 شَقَائِقُ يَحْمِلُنَ النَّدى فَكَأَنَّهُ دَمَوْعُ التَّصَابِي فِي خُدُودِ الْخِرَائِدِ
 وَمَنْ لَوْلَوْ فِي الْأَقْحُوَانِ مَنْظَمٌ وَمِنْ نُكْتِ مَصْفَرَّةٍ كَالْفَرَائِدِ
 كَانَ جَنَى الْخُوذَانِ فِي رَوْتِقِ الضَّحَى دَنَايِرُ تَسْبِيرٍ مِنْ تُوَامِ وَفَارِدِ
 إِذَا رَاوَحْتَهَا مُزْنَةٌ بَكَرَتْ لَهَا شَأْيِبٌ مُجْتَازٍ عَلَيْهَا وَقَاصِدِ
 رَبَاعٌ تَرَدَّتْ بِالرِّيَاضِ مَجُودَةٌ بِكُلِّ جَدِيدِ الْمَاءِ عَذْبِ الْمَوَارِدِ^(١)
 كَانَ يَدَ الْفَتْحِ بْنِ خَاقَانَ أَقْبَلَتْ تَلِيهَا بِتِلْكَ الْبَارِقَاتِ الرَّوَاعِدِ

[في مجلس المبرد]

قال أبو محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه : قال لى البحترى وقد اجتمعنا على خلوة عند المبرد وسلكنا مسلكا من المذاكرة : أشعرت أنى سبقت الناس كلهم إلى قولى :

شَقَائِقُ يَحْمِلُنَ النَّدى فَكَأَنَّهُ دَمَوْعُ التَّصَابِي فِي خُدُودِ الْخِرَائِدِ
 كَانَ يَدَ الْفَتْحِ بْنِ خَاقَانَ أَقْبَلَتْ تَلِيهَا بِتِلْكَ الْبَارِقَاتِ الرَّوَاعِدِ
 هكذا أنشد ، فاستحسن ذلك المبرد استحساناً أسرف فيه ، وقال : ما سمعت مثل هذه الألفاظ الرطبة ، والعبارة العذبة ، لأحدٍ تقدّمك ولا تأخر عنك . فاعتزته أريحيةً جرّبها رداء العجب ؛ فكأنه أعجبنى ما يعجب الناس من مراجعة القول ؛ فقلت : يا أبا عبادة ، لم تسبق إلى هذا ، بل سبقك سعيد بن حميد الكاتب إلى البيت الأول بقوله :

عَذْبَ الْفِرَاقِ لَنَا قُبَيْلٌ وَدَاعِنَا ثُمَّ اجْتَرَعْنَاهُ كَسْمٍ نَاقِعِ

(١) تردت بالرياض : اتخذتها رداء .

وكأنما أثرُ الدموعِ بحدِّها طَلٌّ نَسَاقَطُ فَوْقِ وَرْدٍ يَانِعِ
وشركك فيه صديقنا أبو العباس الناشء بما أنشدنيه آفا :

بَكَتَ لِلْفِرَاقِ وَقَدْ رَاعَى بَكَاهُ الْحَبِيبُ لُبْعَدِ الدِّيَارِ
كَأَنَّ الدَّمُوعَ عَلَى خَدَّهَا بَقِيَّةَ طَلٍّ عَلَى جُلْنَارِ^(١)

وما أساء على بن جريج ، بل أحسن في زيادته عليك بقوله :

لَوْ كُنْتُ يَوْمَ الْوَدَاعِ شَاهِدَنَا وَهَنْ يُطْفِئُ غَلَّةَ الْوَجْدِ
لَمْ تَرَ إِلَّا دَمُوعَ بَاكِيَةٍ تَبْفَحُ مِنْ مُقَلَّةٍ عَلَى خَدِّ
كَأَنَّ تِلْكَ الدَّمُوعَ قَطْرُ نَدَى يَقَطُرُ مِنْ نَرْجِسٍ عَلَى وَرْدِ

وسبقك أبو تمام إلى معنى البيتين معاً بقوله :

مِنْ كُلِّ زَاهِرَةٍ تَرْقُرُقُ بِالنَّدَى فَكَأَنَّهَا عَيْنٌ إِلَيْهِ تَحَدَّرُ
تَبْدُو وَيَحْجِبُهَا الْجِيمُ كَأَنَّهَا عَاذِرَاهُ تَبْدُو تَارَةً وَتَخْفَرُ^(٢)
خَلَقَ أَطْلًا مِنَ الرِّيْعِ كَأَنَّهُ خُلِقَ الْإِمَامُ وَهَدْيُهُ الْمُنْتَشِرُ
فِي الْأَرْضِ مِنْ عَدْلِ الْإِمَامِ وَجُودِهِ وَمِنَ الرِّيْعِ الْفَضُّ سَرْحٌ يَزْهَرُ^(٣)
يُنْسِي الرِّيْعَ وَمَا يَرُوضُ جُودُهُ أَبْدَأَ عَلَى مَرٍّ اللَّيَالِي يَذُكَّرُ

قال : فشق ذلك عليه ، وحل حَبْوَتَهُ ونهض ، فكان آخر عهدي بمؤانسته

وغلظ ذلك على محمد بن يزيد ، وقدح ذلك في حالي عنده .

للبحترى في
المدح

وقال البحترى يمدح المهيم بن عثمان الغنوي :

أَلَسْتُ تَرَى مَدًّا الْفِرَاتِ كَأَنَّهُ جِبَالُ شَرَّوَزِي جِبْتِنِ فِي الْبَحْرِ عَوْماً
وَمَا دَاكُ مِنْ عَادَاتِهِ غَيْرُ أَنَّهُ رَأَى شَيْمَةً مِنْ جَارِهِ فَتَعَلَّمَا

(١) الجلنار : زهر الرمان ، وهو فارسي معرب . (٢) الجيم : النبت الغزير .

(٣) السرح : كل شجر طال .

وقد نبه النوروز في غبش الدجى
 يفتحها برد الندى فكانه
 ومن شجر ردد الربيع لباسه
 أحل فأبدي للعيون بشاشة
 فما يمنع الراح التي أنت خلتها
 وما زلت خلا للندامى إذا اغتدوا
 تكرمت من قبل الكئوس عليهم
 أوائل وزد كُن بالأمس نوما
 بيت حديثا بينهن مكتما
 عليه كما نشرت بردا منمنما
 وكان قذى للعين مذ كان محرما
 وما يمنع الأوتار أن تترنما
 وراحوا بدورا يستحون أنجما
 فما استطعن أن يحدثن فيك تكرما

حيثك عنا شم ال طاف طائفها
 هبت سحيرا فناجى الغصن صاحبه
 ورق تغنى على خضر مهذلة
 تحال طائرها نشوان من طرب
 بجنة فخرت راحا ورينما
 سرا بها وتداعى الطير إعلانا
 تسمو بها وتمس الأرض أحيانا
 والغصن من هزه عطية نشوانا

ولابن المعتز في أرجوزته البستانية التي ذم فيها الصبوح صفة جامعة ، إذ قال :

أما ترى البستان كيف نوراً
 وضحك الورد إلى الشقائق
 في روضة كحلية العروس
 وياسمين في ذرى الأغصان
 والسرور مثل قصب الزبرجد
 على رياض وثرى ندى
 وفرج الخشخاش جيباً وفتق
 أو مثل أقداح من البلور
 وبعضه عريان من أثوابه
 ونشر المنثور برداً أصفراً
 واعتنق الورد اعتناق الوامق
 وخدم كهامة الطاوس
 منظم كقطع العقيان
 قد استمد الماء من ترب ندى
 وجدول كالبرد الحلى
 كأنه مصاحف بيض الورق
 تخالها تجسمت من نور
 قد خجل اليابس من أصحابه

لابن المعتز
 ذم الصبوح

تُبَصِّرُهُ عند انتشار الورد
والسوسن الأزار منشور الخلل
نور في حاشيتي بستانه
وقد بدت فيه ثمار الكنكر
وحلق البهار بين الأس
خلال شيع مثل شيب النصف
وجلنار كاحرار الورد
والأقحوان كالنشايا الغر
وقال أبو الفتح كشاجم :

وروض عن صنيع الغيث راض
إذا ما القطر أسعدته صبوحاً
يعير الريح بالنفحات ريحاً
كانّ الطلّ منتشراً عليه
كانّ غصونه سقيت رحيقاً
كانّ شقائق النعمان فيه
يدكرني بنفسه بقاء
وقال :

غيث أتانا مؤذناً بالخفض
دنا فزلماناه دوين الأرض
إلنا إلى إلف يسر يفضي
فالأرض تجلّي بالنبات الغض
من سوسن أخوى وورد غض
متصل الوابل سريع الرخص
متصلاً بطوله والعرض
ثم سما كالؤلؤ المرفض
في حلبيها المحمرّ والمبيض
مثل الحدود نقشت بالعض

لأبي الفتح
كشاجم

وأفحوان كاللجين المتحضر
مثل العيون رقت للغمض
وترجس ذاكي النسيم بض
ترنو فيغشاها الكرى فتغضي

جملة من هذا النوع لأهل العصر

قال أبو فراس الحمداني :

لأبي فراس
الحمداني

وجلنارٍ مُشرقٍ
كان في رؤوسه
على أعالي شجرة
أحمره وأصفرة
قراضة من ذهب
في خرقه معصرة

وقال :

ويوم جلافيه الربيع رياضه
كان ذبول الجلنار مطلة
بأنواع حلي فوق أثوابه الأخضر
فضول ذبول الغايات من الأزرق

وقال أبو القاسم بن هاني ، يصف زهرة رمان قطفت قبل عقدها :

لابن هاني
يصف زهرة
رمان

وبنت أيك كالشباب النضر
جنان باز أو جنان صقر
قد خفتمته لقوة بوكر^(١)
أو نبتت في تربة من جمر
لو كف عنها الدهر صرف الدهر
جاءت كمثل النهدي فوق الصدر
تفتت عن مثل اللثات الحمر

في مثل طعم الوصل بعد الهجر

ولهم في هذا المعنى

روضة رقت حواشيها ، وتأنق واشيها . روضة كالعقود المنظمة ، على البرود
المنمنة . روضة قدراضتها كف المطر ، ودبجتها أيدي الندى . أخرجت الأرض

أسرارها ، وأظهرت يدُ الغيثِ آثارها ، وأبدت الرياضُ أزهارها . الرياض كالعرانس في حليها وزخارفها ، والقيان في وشيها ومطارفها ، باسطة زرايتها وأنماطها ، ناشرة حبراتها ورياطها ، زاهية بحمراتها وصفرائها ، تأنهة ببيدائها وغدراؤها ، كأنما احتفلت لوفد ، أوهى من حبيب على وعد . روضة قد تَصَوَّعَتْ بالأرج الطيب أرجاؤها ، وتبرجت في ظلل الغمام صحراؤها ، وتنافجت بنوافج المسك أنوارها ، وتعارضت بغرائب النطق أطيارها . بستان رق نوره النضيد ، وراق عوده النضير . بستان عوده خضر ، ونوره نضير ، ويُنعه خضيل ، وماؤد خصر . بستان أرضه للبقل والريحان ، وسماؤه للنخل والرمان . بستان أنهاره مفروزة بالأزهار ، وأشجاره موقرة بالثمار . أشجاره كأن الحور أعارتها قدودها ، وكستها برودها ، وحانتها عقودها . الربيع شباب الزمان ، ومقدمة الورد والريحان . زمن الورد مر موق ، كأنه من الجنة مسروق . قد ورد كتاب الورد ، بإقباله إلى أهل الود . إذا ورد الورد ، صدر البرد . مرحباً بإشراف الزهر ، في أطراف الدهر ، وأنشد :

سقى الله ورداً صار خدّاً ربيعنا فقد كان قبل اليوم ليس له خد
 كأن عين النرجس عين ، وورقه ورق^(١) النرجس نزهة الطرف ،
 وظرف الظرف ، وغذاء الروح : شقائق كتيجان العقيق على رءوس الزوج ،
 كأنها أضداغ المسك على الوجنات الموردة . شقائق كالزوج تجارحت وسالت
 دماؤها ، وضعفت فسال دماؤها . كأن الشقيق جام من عقيق أحمر ، ملئت
 قرارته بمسك أذفر . الأرض زمردة ، والأشجار وشى ، والماء سيوف ، والطيور
 قيمان . قد غردت خطباء الأطيوار ، على منابر الأنوار والأزهار . إذا صدح الحمام ،
 صدح الحمام قلب المستهام انظر إلى طرب الأشجار لغناء الأطيوار . ليس
 للبلابل كغناء البلابل^(٢) ، وتمر بابل .

(١) العين المشبه بها : الذهب ، والورق - بكسر الراء - الفضة (م) .

(٢) البلابل الأول : الأشجان ، والثانية الطيور الغردة واحدها بلبل (م) .

ولهم فيما يتعلق هذا النحو في وصف أيام الربيع

يوم سماءه فأختية ، وأرضه طاوسية . يوم جلابيب غيومه رواق ، وأردية
نسيمه رفاق . يوم تمسك السماء ، مصفر الهواء ، معتبر الروض ، مصندل
الماء . يوم زُرُّ عليه جيب الضباب ، وانسحب فيه ذيل السحاب . يوم سماءه
كالخز الآذكن ، وأرضه كالديباج الأخضر

شادن يرعى القلوب يفدا د ولا يرعى الكلا بالنجاج
أقبلت والربيع يختال في الروض وفي المزن ذي الحيا الشجاج^(١)
ذو سماء كأذكن الخز قد غيمت وأرض كأخضر الديباج
فتجلى عن كل ما يمتنى موعد الكدخداة والهيلاج
فظلنا في نزهتين وفي حنينين بين الأرمال والأهراج
بفتاة تسرنا في الثاني وعجوز تسرنا في الزجاج
أخذت من روس قوم كرام ثارها عند أرجل الأعلاج
يوم حسن الشائل ، ممتيع الخائل ، سجع الهواء ، مؤنق الأرجاء .
يوم تبسم عنه الربيع ، وتبرج عنه الروض للربيع . يوم كأن سماءه ماتم تباكي ،
وأرضه عروس تتجلى . يوم مشهر الأوصاف ، أغر الأطراف . يوم يغني فيه
النور وينتبه ، وتسفر فيه الشمس وتفتقب ، وتعتنق العصور وتفترق ، ويوشى
القيم وينسكب . يوم غاب نحه وهوى ، وطلع سعده واعتلى ، والزمان ساقطة
جماره ، مفعمة أنهاره ، مؤنقة أشجاره ، مفرقة أطياره . نحن في غب سماء ،
قد أقلعت بعد الارتواء ، وأقشعت عند الاستغناء ، فالنبت خضيل مطور ،
والنقع ساكن محصور . يوم جوه طاروني ، وأرضه طاوسية . يوم دجنه عاكف ،
وقطره واكف . يوم من أعياد العمر ، وأعيان الدهر .

(١) الحيا : المطر ، والشجاج : كثير السيلان (م) .

[الربيع والرفاق]

ولم في تشبيه محاسن الربيع بمحاسن الإخوان والسادة :
 غَيْثٌ مَتَشَّبَهُ بِكَفِّكَ ، واعتداله مُضَاهٍ خُلِقْتَكَ ، وزَهْرُهُ مُوَازٍ لِنَشْرِكَ^(١) ،
 كأنما استعار حُلَّله من شبيبتك ، وحَلِيَّه من سَجِيَّتِكَ ، واقتبس أنواره من محاسن
 أيامك ، وأمطاره من جُودِكَ وإِنْعَامِكَ . قدم الربيع مُنْتَسِبًا إلى خَلْقِكَ ،
 مُكْتَسِبًا محاسنَه من طَبْعِكَ ، متوشحًا بأنوار لَفِظِكَ ، متوضِّحًا بآثار لسانِكَ
 ويَدِكَ . أنا في بستانٍ أذكركني وَرْدُهُ المَفْتَحُ بِخَلْقِكَ ، وَجَدْوَلُهُ السابح بِطَبْعِكَ ،
 وزَهْرُهُ الجَنِيُّ بِقَرْبِكَ . أنا في بستانٍ كأنه من شمائلك سُرِقَ ، ومن خُلُقِكَ خَلِقَ ،
 وقد قابلتني أشجارٌ تتمايل فتذكرني تَبْرِيحَ الأَحْبابِ ، إذا تداولتهم أَيْدِي
 الشرابِ ، وأنهار كأنها من يدك تَسِيلُ ، ومن راحتِكَ تَفِيضُ . أنا على حافةِ
 حَوْضٍ أزرق كصفاء مودتي لك ، وورقة قولي في عَتَبِكَ .

[الصوم في الربيع]

وقال ابن عون الكاتب :

جاءنا الصومُ في الربيع فَهَلَّا اخْتَارَ رُبْعًا من سائر الأرباع^(٢)
 وكانَ الربيعَ في الصومِ عِقْدٌ فوق نحرٍ غطاء فضلُ قِنَاعِ

[يوم الشك]

وكتب أبو الفتح كشاجم إلى بعض إخوانه يتدعيه إلى زيارته في يوم شك :
 هو يوم شكِّ يا عاي وبشره مُذْ كان يُحذِرُ
 والجوُّ حُلَّتْهُ مَسْكَةٌ ومُظَرِّفُهُ مَعْنَبَرُ
 والماءُ فُضِيَ القَيْيِسِ وطَيْلَسَانُ الأرضِ أخضرُ
 نَبَتْ يُضَعَّدُ زَهْرُهُ في الرَوْضِ قَطْرَ نَدَى تَحَدَّرُ
 ولنا فضيلاتٌ تكو ن ليومنا قوتًا مُقَدَّرُ

(١) النسر - بالفتح - الرائحة الطيبة (٢) كل فصل ربيع من السنة

ومُدَامَةٌ صَفْرَاءُ أَدُّ رَكَ عُمَرَاهَا كِسْرَى وَقَيْصَرٌ
فَانشَطْنَا لَنَا لِنَحْتُ مِنْ كَاسَاتِنَا مَا كَانَ أَكْبَرُ
أَوْ لَا فَإِنَّكَ جَاهِلٌ إِنْ قَلْتَ إِنَّكَ سَوْفَ تُعَذَّرُ
وكتب بديع الزمان إلى بعض أهل همدان :

من بديع
الزمان لبعض
أهل همدان

كتابي - أطال الله بقاءك - عن شهر رمضان ، عرفنا الله بركة مقدمه ،
وَيَمُنُّ مُخْتَمِيهِ ، وَخَصَّكَ بِتَقْصِيرِ أَيَّامِهِ ، وَإِتِّمَامِ صِيَامِهِ وَقِيَامِهِ ؛ فَهُوَ -
وَإِنْ عَظُمَتْ بَرَكَتُهُ - ثَقِيلٌ حَرَكَتُهُ ، وَإِنْ جَلَّ قَدْرُهُ بَعِيدَ قَعْرِهِ ، [وَإِنْ
عَمَّتْ رَأْفَتُهُ ، طَوِيلَ مَسَافَتِهِ ، وَإِنْ حَسُنَتْ قَرْبَتُهُ ، شَدِيدَ صَحْبَتِهِ ، وَإِنْ
كَبُرَتْ حَرَمَتُهُ كَثِيرَ حَشْمَتِهِ ، وَإِنْ سَرَّنا مُبْتَدَاهُ فَلَنْ يَسُوءَنَا مُنْتَهَاهُ] فَإِنْ حَسُنَ
وَجْهُهُ فَلَيْسَ يَقْبُحَ قَفَاهُ ، وَمَا أَحْسَنَهُ فِي الْقَدَالِ ، وَأَشْبَهَهُ إِدْبَارَهُ بِالْإِقْبَالِ ،
جَعَلَ اللَّهُ قَدُومَهُ سَبَبَ تَرْحَالِهِ ، وَبَدْرَهُ فِدَاءَ هِلَالِهِ ، وَأَمَدَّ فَلَكَ
تَحْرِيكَ ، بِتَقْضَى مُدَّتِهِ وَشِيكَ ، وَأَظْهَرَ هِلَالَهُ نَحِيْفًا ، لِيَزِفَ إِلَى اللِّذَاتِ
زَفِيْفًا ، وَعَفَا اللَّهُ عَن مَزِيحِ يَكْرِهِ ، وَمُجُونِ يُسْخِطِهِ .

عول البديع في هذا الكلام على قول أبي الفضل بن العميد في رسالة له في
مثل ذلك :

لابن العميد

أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُعَرِّفَنِي بَرَكَتَهُ ، وَيُلْقِنِي الْخَيْرَ فِي بَاقِي أَيَّامِهِ وَخَائِمَتِهِ ؛ وَأَرْغَبُ
إِلَيْهِ فِي أَنْ يَقْرَبَ عَلَيَّ الْفَلَكَ دَوْرَهُ ، وَيَقْصُرَهُ سَيْرَهُ ، وَيُخَفِّفَ حَرَكَتَهُ ،
وَيُعَجِّلَ نَهْضَتَهُ ، وَيَنْقُصَ مَسَافَةَ فَلَكَ وَدَائِرَتِهِ ، وَيَزِيلَ بَرَكَاتِ الطَّوْلِ عَن
سَاعَاتِهِ ، وَيَرُدَّ عَلَيَّ غُرَّةَ شَوَالٍ ، فَهِيَ أَسْنَى الْغُرَرِ عِنْدِي ، وَأَقْرَبُهَا لِعَيْنِي ؛
وَيُطْلِعَ بَدْرَهُ ، وَيُرِيَنِي الْأَيْدِيَّ مُتَطَلِبَةَ هِلَالِهِ بِيَشْرٍ ، وَيَسْمَعُنِي النَّعْيَ لَشَهْرِ
رَمَضَانَ ، وَيَعْرِضَ عَلَيَّ هِلَالَهُ أَخْفَى مِنَ السَّحْرِ ، وَأَظْلَمَ مِنَ الْكُفْرِ ، وَأَنْحَفَ
مِنَ مَجْنُونِ بَنِي عَامِرٍ ، وَأَهْلِيَّ مِنَ أَسِيرِ الْهَجْرِ ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ جَلَّ وَجْهُهُ مِمَّا قَلْتُ
إِنْ كَرِهَهُ ، وَأَسْتَغْفِرِيهِ مِنْ تَوْفِيقِي لِمَا يَذْمُهُ ، وَأَسْأَلُهُ صَفْحًا يُفِيضُهُ ، وَعَفْوًا
بُوسِعَهُ ، إِنَّهُ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ .

[عَوَاقِبُ الطَّيْشِ]

طاهر
ابن الحسين
يصف الأمين

قال المأمون لطاهر بن الحسين : صِفْ لِي أَخْلَاقَ الْمَخْلُوعِ . قال : كان واسعَ الصَّدْرِ ، ضَيِّقَ الْأَدَبِ ، يُبِيحُ مِنْ نَفْسِهِ مَا تَأْتَفُهُ هِمَمُ الْأَحْرَارِ ، وَلَا يُضْفِي إِلَى نَصِيحَةٍ ، وَلَا يَقْبَلُ مَشُورَةَ ، يَسْتَبِدُّ بِرَأْيِهِ ، وَيُبْصِرُ سُوءَ عَاقِبَتِهِ ؛ فَلَا يَرُدُّهُ ذَلِكَ عَمَّا يَهْمُهُ بِهِ . قال : فكيف كانت حروبُهُ ؟ قال : كان يجمعُ الكُتَّابَ بالتبذيرِ ، ويفرُّقُها بسوءِ التدبيرِ . فقال المأمون : لذلك حلَّ ما حلَّ به ؛ أَمَا وَاللَّهِ لَوْ ذَاقَ لَذَاتِ النَّصَاحِ ، وَاخْتَارَ مَشُورَاتِ الرِّجَالِ ، وَمَلَكَ نَفْسَهُ عَنْ شَهْوَاتِهَا ، لَمَا ظَفِرَ بِهِ .

[الْأَمِينُ وَالْمَأْمُونُ]

ولما عقد الرشيدُ البيعةَ لِلْأَمِينِ وهو أصغرُ من المأمون لأجل أمه زُبَيْدَةَ ، وكلامِ أخِيهَا عَيْسَى بنِ جَعْفَرٍ ، وَقَدَّمَهُ عَلَى الْمَأْمُونِ ، جعل يرى فضلَ عقله فيندم على ذلك ، فقال :

لقد بان وجهُ الرَّأْيِ لِي غَيْرَ أَنْتِي غَلِبْتُ عَلَى الْأَمْرِ الَّذِي كَانَ أَحْزَمًا
فكيف يُرَدُّ الدِّرُّ فِي الضَّرْعِ بَعْدَمَا تَوَزَّعَ حَتَّى صَارَ نَهْبًا مَقْسَمًا
أخافُ التَّوَاءِ الْأَمْرِ بَعْدَ أَسْتَوَائِهِ وَأَنْ يُنْقَضَ الْحَبْلُ الَّذِي كَانَ أُبْرِمًا

قال أسد بن يزيد بن يزيد : بعث إلى الفضل بن الربيع بعد مقتل عبد الرحمن الأنباري ، قال : فأتيتُه وهو في صَخْنِ دَارِهِ ، وَفِي يَدِهِ رُقْعَةٌ قَدْ غَضِبَ لِمَا نَظَرَ فِيهَا ، وَهُوَ يَقُولُ : يَنَامُ نَوْمَ الظَّرْبَانِ ، وَيَنْتَبَهُ أَنْتِبَاءَ الذُّئْبِ ، هِمَّتُهُ بَطْنُهُ ، وَلَذَّتْهُ فَرْجُهُ ، لَا يَفْكَرُ فِي زَوَالِ نِعْمَةٍ ، وَلَا يَتَرَوَّى فِي إِمْضَاءِ رَأْيٍ وَلَا مَكِيدَةٍ ، قَدْ شَمَّرَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ عَنْ سَاقِهِ ، وَفَوَّقَ لَهُ أَسَدٌ سَهَامِهِ ، يَرْمِيهِ عَلَى بُعْدِ الدَّارِ بِالْحَتْفِ النَّافِذِ وَالْمَوْتِ الْقَاصِدِ ، قَدْ عَيَّى لَهُ الْمَنَائِي عَلَى مُتُونِ الخَيْلِ ، وَنَاطَ لَهُ الْبَلَاءُ فِي أَسِنَّةِ الرِّمَاحِ وَشِفَارِ السِّيُوفِ ، ثُمَّ تَمَثَّلَ بِشِعْرِ الْبَعِيثِ :

يُقَارِعُ أَتْرَاكَ ابْنَ خَاقَانَ لَيْلُهُ إِلَى أَنْ يَرَى الْإِصْبَاحَ لَا يَتَلَعَّمُ
فِيصْبِحُ فِي طُولِ الطَّرَادِ وَجِسْمُهُ نَحِيلٌ ، وَأُضْحِي فِي النِّعَمِ أَصَمُّ

فستان ما بيني وبين ابن خالدٍ أُمِّيَّةٌ فِي الرِّزْقِ الَّذِي اللَّهُ يَقْسِمُ
 ثُمَّ قَالَ : يَا أَبَا الْحَارِثِ ، أَنَا وَأَنْتَ نَجْرِي إِلَى غَايَةِ إِن قَصَرْنَا عَنْهَا ذِمَّتَنَا ،
 وَإِنْ اجْتَهَدْنَا فِي بَلُوغِهَا انْقَطَعْنَا ؛ وَإِنَّمَا نَحْنُ شُعْبَةٌ مِنْ أَصْلِ ، إِن قَوِيَ قَوْمُنَا ،
 وَإِنْ ضَعُفَ ضَعُفْنَا ؛ إِن هَذَا الرَّجُلُ قَدْ أَلْقَى بِيَدِهِ إِقْدَاءَ الْأُمَّةِ الْوَكْفَاءَ : بِشَاوِرِ النَّسَاءِ ،
 وَيَعْتَمِدُ عَلَى الرُّوْيَا ، وَقَدْ أَمَكَّنَ أَهْلَ الْهَوِّ وَالْخَسَارَةِ مِنْ سَمْعِهِ ؛ فَهَمَّ يَمْنُونَهُ
 الظُّفْرَ ، وَيَعِدُّونَهُ عَوَاقِبَ الْأَيَّامِ ؛ وَالْهَلَاكُ إِلَيْهِ أَسْرَعُ مِنَ السَّيْلِ إِلَى قِيْعَانِ
 الرَّمْلِ ؛ وَقَدْ خَشِيتُ أَنْ نَهْلِكَ بِهَلَاكِهِ ، وَنَعْطِبَ بِعَطْبِهِ ، وَأَنْتَ قَارِسُ الْعَرَبِ
 وَابْنُ فَارِسِهَا ، وَقَدْ فَرِزَ إِلَيْكَ فِي لِقَاءِ طَاهِرٍ لِأَمْرَيْنِ : أَحَدُهُمَا صِدْقُ طَاعَتِكَ ،
 وَفَضْلُ نَصِيحَتِكَ ؛ وَالثَّانِي يُمْنُ نَقِيْبَتِكَ ، وَشِدَّةُ بَأْسِكَ ؛ وَقَدْ أَمَرَنِي أَنْ أُبْسِطَ يَدَكَ ،
 غَيْرَ أَنْ الْاِقْتِصَادَ رَأْسُ النِّصْحَةِ ، وَمِفْتَاحُ الْبَرَكَةِ ؛ فَبَادِرْ مَا تَرِيدُ ، وَعَجَّلِ النَّهْضَةَ ،
 فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُؤَلِّقَ اللَّهُ شَرَفَ هَذَا الْفَتْحِ ، وَيَلِمَ بِكَ شَعَثَ الْخِلَافَةِ .
 قُلْتُ لَهُ : أَنَا لَطَاعَتِكَ وَطَاعَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مُقَدِّمٌ ، وَلِمَا وَهَنَ عَدُوٌّ كَمَا مُؤَثِّرٌ ؛
 غَيْرَ أَنْ الْحَارِبَ لَا يَفْتَتِحُ أَمْرَهُ بِتَقْصِيرٍ ؛ وَإِنَّمَا مَلَكَ أَمْرَهُ الْجُنُودُ ، وَالْجُنُودُ
 لَا تَكُونُ بِأَمَالٍ ، وَقَدْ رَفَعَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الرِّغَابَ إِلَى قَوْمٍ لَمْ يُجِدُوا عَلَيْهِ ،
 وَمَتَى سُمِتَ مَنْ أَقْدَرُ بِهِ الْاِنْتِفَاعُ لَهُ الرِّغْبَا بِدُونِ مَا أَخَذَهُ غَيْرُهُ مِمَّنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ
 غِنَاءٌ وَلَا مَعُونَةٌ ، لَمْ يَنْتَظِمِ بِذَلِكَ التَّدْبِيرَ ، وَأَحْتَاجُ لِأَصْحَابِي رِزْقَ سَنَةِ قَبْضًا ،
 وَحَمَلًا إِلَى أَلْفِ فَرَسٍ لِحُلِّ مِنْ لَا أُرْتَضَى فَرَسُهُ ، وَإِلَى مَالٍ أَسْتَظْهِرُ بِهِ ، لَا أَلَامَ
 عَلَى وَضْعِهِ حَيْثُ رَأَيْتُ . فَقَالَ : شَاوِرُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؛ فَأَدْخَلَنِي عَلَيْهِ ، فَلَمْ تَدْرُ
 بَيْنِي وَبَيْنَهُ كَلِمَاتَانِ حَتَّى أَمَرَ بِحَبْسِي .

وَيُرْوَى أَنَّ الْأَمِينَ لَمَّا أُعْيِيَتْهُ مَكَائِدُ طَاهِرٍ قَالَ :

بُلِيْتُ بِأَشْجَعِ الثَّقَلَيْنِ نَفْسًا تَزُولُ الرَّاسِيَاتُ وَمَا يَزُولُ
 لَهُ مَعَ كُلِّ ذِي بَدَنِ رَقِيبٌ بِشَاهِدِهِ وَيَعْلَمُ مَا يَقُولُ
 فَلَيْسَ بِمَغْفِرٍ — لَأَمْرًا عَنَاهُ إِذَا مَا الْأَمْرُ ضَيَّعَهُ الْجَهْلُ

الأمين
 يصف طاهر
 ابن الحسين

الفضل
بن الربيع
وابنه وأبوه

وفي الفضل بن الربيع يقول بعض الشعراء :

كم من مقيم ببغدادٍ على طَمَعٍ لولا رجاء أبي العباس لم يُقِمِ
البدْرُ إن نظروا، والبحرُ إن رَغِبوا والحِصْنُ إن رهبوا، والسيفُ ذو النِّقَمِ
وقال عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع : ما مدحنا شاعرٌ بشعر أحب

إلينا من قوا، أبي نواس :

ساد الملوكَ ثلاثةٌ ما منهمُ إن حُصِّلوا إلا أعزَّ قَرِيبِ
ساد الربيعُ وسادَ فضلٌ بعدهُ وعلتْ بعباسِ الكَرِيمِ فروعُ
عباسِ عباسٍ إذا احتدم الوَتَنِى والفضلُ فضلٌ والربيعُ ربيعُ
وقيل للعتابي : أمدحت أحداً ؟ قال : لا ، وليس لي على ذلك قدرة ، فقيل له :

فقد مدحت الربيع ، فقل : ذلك ليومٍ يستحق فيه المدح ، فقلت :

ومعضلة قام الربيع إزاءها ليعمد ركن الدين لما تهدمها
بمكة والمنصور رهن كما أتى أخوا الوحي داعي ربّه فتقدّمها
غداة عداة الدين شاحذة المدى إليه وغولُ الحربِ فاغرةٌ فمّا

[بيعة المهدي]

وكان المنصور قد توفّي بمكة وهو حاجٌّ في ذي الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة، فأخذ الربيع للمهدي البيعة على الناس ، وأخذ بتجديدها عن المنصور على أنه حيّ ، وأدخل إليه قوماً فرأوه من بعيد وقد جلاه بثوب ، وأقعد إلى جنبه من يحرك يده وكأنه يوميّ بها إليهم ، فلم يشكوا في حياته ؛ فما خالف أحد ؛ فشكره المهدي لذلك ، وفي ذلك يقول أبو نواس في مدحه الفضل بن الربيع :

أبوك جلي عن مَضْرٍ يوم الرواقِ المحتضِرِ
والحرب تفرى وتذر لما رأى الأمر اقمطرَ
قام ككرما فانتصرَ كهزة العضبِ الذَّكْرِ

مأس من شيء هببر وأنت تفتاف الأثر
من ذي حُجول وغرر

وقال أيضاً :

آلَ الرِّيحِ فَضَلْتُمْ فَضْلَ الْخَمِيسِ عَلَى الْعَشِيرِ^(١)
مَنْ قَاسَ غَيْرَكُمْ بِكُمْ قَاسَ الثَّمَادِ إِلَى الْبُحُورِ
أَيْنَ الْقَلِيلِ بِنِوَالِقَلِيلٍ مِنَ الْكَثِيرِ بِنِ الْكَثِيرِ
أَيْنَ النُّجُومِ التَّالِيَا ت مِنَ الْأَهْلَةِ وَالْبَدُورِ
قَوْمٌ كَفُوا أَيَّامَ مَكَّةَ نَازِلِ الْخَطْبِ الْكَبِيرِ
وَتَدَارَكُوا نَصْرَ الْخِلَاةِ وَهِيَ شَاسِعَةُ النَّصِيرِ
لَوْلَا مَقَامُهُمْ بِهَذَا هَوَتْ الرُّوَاسِي مِنْ ثَبِيرِ

ومن قول أبي نواس : « من قاس غيركم بكم . . . » البيت ، أخذ

أبو الطيب المتنبي :

قَوَاصِدَ كَافُورٍ تَوَارِكَ غَيْرِهِ . وَمَنْ قَصَدَ الْبَحْرَ اسْتَقَلَّ السَّوَابِقِيَا
فَتَى مَا شَرِينَا فِي ظُهُورِ جُدُودِنَا إِلَى عَصْرِهِ إِلَّا نُرَجِي التَّلَاقِيَا
[وقت كلام الملوك]

وقال الفضل بن الربيع : من كلمَّ الملوك في الحاجات في غير وقت الكلام
لم يظفر بحاجته ، وضاع كلامه ، وما أشبههم في ذلك إلا بأوقات الصلوات لا تُقبل
الصلوة إلا فيها ، ومن أراد خطابَ الملوك في شيء فليترصد الوقت الذي يصلح
في مثله ذكر ما أراد ، ويسبب له شيئاً من الأحاديث يحسن ذكره بعقبه .

من كلام الفضل
ابن الربيع

وقال المأمون للفضل بن الربيع لما ظفر به : يا فضل ؛ أكان في حقي عليك ،
وحق آبائي ونعمهم عندأبيك وعندك ، أن تثلبني^(٢) وتسبني ، وتخرض علي دمي ؟
أحب أن أفل بك ما فعلته بي ؟

بين المأمون
والفضل بن
الربيع

فقال : يا أمير المؤمنين ، إن عذري يُحقدك إذا كان واضحاً جميلاً ، فكيف

(١) الخميس : الخمس ، العشير : العشر . (٢) ثلبنى : تذلصني وتعييني (م) .

إذا حَفَّتْهُ العيوب ، وَقَبَّحَتْهُ الذنوب ؛ فلا يَضِيقُ عني من عَفْوِكَ ما وسع غيري منك ،
فأنت كما قال الشاعر فيك :

صَفوحٌ عن الأجرام حتى كأنه من العفو لم يَعْرِف من الناس مُجرِما
وليس يُبالي أن يكونَ به الأذى إذا ما الأذى لم يَغشَ بالكرهِ مُسْلِما
والشعر للحسن بن رجا بن أبي الضحاك .

[بين المنصور والربيع]

وقال سعيد بن مسلم بن قتيبة : دعا المنصور بالربيع ، فقال : سئني ما تُريد ،
فقد سكتَ حتى نطقتَ ، وخففتَ حتى ثقلتَ ، وأقللتَ حتى أكثرتَ .
فقال : والله يا أمير المؤمنين ما أُرهبُ بِمُحَلِّكَ ، ولا أَسْتَصِيرُ عُمرَكَ ،
ولا أَسْتَصَغِرُ فَضْلَكَ ، ولا أَسْتَتِمُّ مالَكَ ؛ وإن يومي بفضلِكَ عَلَيَّ أحسنُ من
أَمْسِي ، وغدُكَ في تأميلي أحسنُ من يومي ؛ ولو جاز أن يَشْكُرَكَ مثلي بغير
الخدمةِ والمناصحةِ لما سَبَقَنِي لذلك أحد .

قال : صدقت ، عِلمي بهذا منك أحلَكَ هذا المحل ؛ فسئني ما شئت
قال : أسألك أن تقرَّبَ عبدك الفضل ، وتؤثره وتحميه .
قال : ياربيع إنَّ الحب ليس بمال يُوهبُ ، ولا رُتبة تُبدلُ ؛ وإنما تؤكدُه الأسباب .
قال : فاجعل لي طريقا إليه ، بالتفضل عليه
قال : صدقت ، وقد وصلته بألف ألف درهم ، ولم أصل بها أحداً غير
عمومتي ؛ لتعلم ما له عندي ، فيكون منه ما يَسْتَدِينِي به محبتي ، ثم قال :
وكيف سألت له المحبة ياربيع ؟
قال : لأنها مفتاحُ كلِّ خير ، ومِفْلاقُ كلِّ شر ، تُسْتَرِبها عندك عيوبُهُ ،
وتَصِيرُ حَسَنَاتِ ذنوبه .

قال : صدقت وأتيت بما أردت في بابه .

لأبي تمام يمدح
ابن الزيات

أخذ قوله : « خففت حتى ثقلت » أبو تمام فقال لمحمد بن عبد الملك الزيات :
على أن إفراط الحياء استمالي إليك ، ولم أعدل بعرضي معدلاً
فثقلت بالتخفيف عنك ، وبعضهم يخفف في الحاجات حتى يُثقل

[سهل بن هارون والرشيد]

ودخل سهل بن هارون على الرشيد ، وهو يُصاحكُ المأمون ، فقال : اللهم
زِدْهُ من الخيرات ، وابسُطْ له من البركات ، حتى يكونَ في كلِّ يوم من أيامه
مُرِّيياً^(١) على أمسه ، مُقَصِّراً عن غدّه .

فقال له الرشيد : يا سهْلُ ، من رَوَى من الشعر أحسنه وأرصنه ، ومن
الحديث أفصحَه وأوضَحَه ، إذا رام أن يقولَ لم يُعجزه القول .

فقال سهل بن هارون : يا أمير المؤمنين ؛ ما ظننت أن أحداً تقدّمنى إلى هذا المعنى .
قال : بل أعشى همدان حيث يقول :

رأيتك أمسٍ خيرَ بنى لوىِّ وأنتَ اليومَ خيرٌ منك أمسٍ
وأنتَ غداً تزيد الخَيْرَ ضعفاً كذاك تزيد سادة عبْدِ شمسٍ

[من شعر الفضل بن الربيع]

ومن شعر الفضل بن الربيع ما أنشده الصولى :

إني امرؤٌ من هاشمٍ بِنَاءٍ مَعْمُورِ النَّوَاحِي
أهل الهدى وذوى التَّقَى وأولى البَسَالَةِ والسَّمَاحِ
أهل المعالم والمكا رِمِ فِي الْمَسَاءِ وَفِي الصَّبَاحِ

(١) مرياً : اسم الفاعل من «أربى» إذا زاد (م) .

أهل النبوة والخلافة والكمال برغم لاجي
يتألمون من الضدود ويصبرون على الجراح

[بين ابن خاقان وأبي العيناء]

وصف دابة

حمل محمد بن عبيد الله بن خاقان أبا العيناء على دابة زعم أنها غير فاره^(١) ،
فكتب إليه : أعلم الوزير ، أعزه الله ، أن أبا علي محمدا أراد أن يبرني فعني ،
وأن ير كني فأرجاني ، أمر لي بدابة تقف للنبرة^(٢) ، وتفتربالبعرة ، كالقضب
اليابس عجفا^(٣) ؛ وكالعاشق المهجور دنفا ، قد أذكرت الرواة عذرة العذري ،
والمجنون العامري ، مساعد أعلاه لأسفله ، حباقه مقرون بسعاله ، فلو أمسك
لترجيت ، ولو أفرد لتعزيت ، ولكنه يجمعهما في الطريق المعمور ، والمجلس
المشهور ، كأنه خطيب مرشد ، أو شاعر منشد ، تضحك من قعيله النشوان ،
وتتناغي من أجه الصبيان ؛ فن صامح يصيح : داوه بالطباشير ، ومن قائل
يقول : نوله الشعر ، قد حفظ الأشعار ، وروى الأخبار ، ولحق العلماء في
الأمصار ، فلو أعين بنطق ؛ لروى بحق وصدق ، عن جابر الجعفي ، وعامر
الشعبي ؛ وإنما أتيت من كاتبه الأعور ، الذي إذا اختار لنفسه أطاب وأكثر ،
وإن اختار لغيره أخبت وأنزر ؛ فإن رأى الوزير أن يبدلني به ، ويريني منه
بمركوب يضحكني كما ضحك مني ، يمحو بحسنه وفرأهته ، ماسطره العيب
بقبحه ودمايته ؛ ولست أذكر أمر سرجه وجامه ؛ فإن الوزير أكرم من أن
يسلب ما يهديه ، أو ينقض ما يمضيه .

فوجه عبيد الله إليه برذونا من براذينه بسرجه وجامه ، ثم اجتمع مع محمد
ابن عبيد الله عند أبيه ، فقال عبيد الله : شكوت دابة محمد ، وقد أخبرني الآن أنه
يشتره منك بمائة دينار ، وما هذا ثمنه لا يشتكي .

(١) فاره : أي جيدة قادرة على السير (م)

(٢) النبرة : الصيحة (م)

(٣) العجف : الهزال (م)

قال : أبغز الله الوزير ، لو لم أكذب مستزيداً ، لم انصرف مستفيداً ، وإني وإياه لكما قالت امرأة العزيز : « الآن حصحص الحق » ، أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين . فضحك عبيدُ الله ، وقال : حجبتك الداحضة بملاحتك وظرفك أبلغ من حجة غيرك البالغة .

قطعة من رسالة أجاب بها أبو الخطاب الصابي

عن أبي العباس بن سابور إلى الحسين بن صبرة

عن رقعة وردت منه في صفة حمل أهداه

وصلت رُقتك ، ففضضتها عن خطٍ مُشرفٍ ، ولفظ مُونقٍ ، وعبارةٍ مُصيبةٍ ، ومعانٍ غريبةٍ ، واتساعٍ في البلاغة يعجزُ عنه عبدُ الحميد في كتابته ، وقس وسحبان في خطابه ؛ وتصرف بين جدِّ أمضى من القدر ، وهزلٍ أرقٍ من نسيم السحر ، وتقلب في وجوه الخطاب ، الجامع للصواب ؛ إلا أن الفعل قصرَ عن القول ، لأنك ذكرت حملاً ، جعلته بصفتك بجملاً ، فكان المعيدى الذى تسمعُ به ولا أن تراه . وحضر فرأيت كَبْشاً مُتَقَادِمَ الميлад ، من تتاج قويم عاد ، قد أفنته الدهور ، وتعاقبت عليه العصور ، فظننته أحد الزوجين اللذين جعلهما نوح في سفينته ، وحفظَ بهما جنسَ الفم لذريته ؛ صغر عن الكبر ، ولطف عن القدم ، فبانت دمامته ، وتقاشرت قامته ، وعاد ناحلاً ضئيلاً ، بالياً هزيباً ، بادي السقام ، عارى العظام ، جامعاً للمعائب ، مشتملاً على المثالب ، يعجبُ العاقلُ من حلول الحياة به ، وتأتى الحركة فيه ، لأنه عظمٌ مجلّد ، وصوفٌ مُلبّد ، لا تجد فوق عظامه سلباً ، ولا تلتقى يدك منه إلا خشباً ، لو ألقى إلى السبع لأباه ، ولو طرح للذئب لعافه وقلاه ، قد طال للكلاُ فقده ، وبعدَ بالمرعى عهدُه ، لم ير القت إلا نائماً ، ولا عرف الشعير إلا حاملاً ، وقد خيرتني بين أن أقتنيه فيكون فيه غنى

الدهر ، أو أذبحه فيكون فيه خِصْبُ الرَّحْلِ ؛ فَمِلْتُ إلى استبقائه لما تعرف من محبتي في التوفير ، ورغبتى للتشمير ، وجمعى للولد ، وادخارى لغد ، فلم أجد فيه مستمتعاً للبقاء ، ولا مدافعاً للفناء ؛ لأنه ليس بأثني فتَحْمِل ، ولا بفتي فَيَنْسُل ، ولا بصحيح فَيَرْعَى ، ولا بسليم فَيَبْقَى ؛ فلتُ إلى الثاني من رأيك ، وعوّلت على الآخر من قولك ، وقلت : أذبحه فيكون وظيفة للعيال ، وأقيمه رطباً مقام قديد الغزال ، فأنشئتني وقد أضربت النار ، وحدثت الشفار ، وشمر الجزار :

أعيذها نظراتٍ منك صادقةً . أن تحسب السَّحْمَ فيمن شحمه ورّم
وقال : ما الفائدة لك في ذبحي ؟ وأنا لم يبق مني إلا نفس خافت ، ومقلة
إنسانها باهت : لستُ بذى لحم ، فأصلح للأكل ؛ لأن الدهر قد أكل لحمي ،
ولا جلدي يصلح للدباغ ؛ لأن الأيام قد مرقت أديمي ، ولألى صوف يصلح
للغزل ؛ لأن الحوادث قد حصت وبرى ؛ فإن أردتني للوقوف فكف بغير أبق
من نارى ، ولن تفي حرارة جمرى بريح قنارى ، فلم يبق إلا أن تطلبني بذخل^(١)
أو بينى وبينك دم . فوجدته صادقاً في مقالته ، ناصحاً في مشورته ، ولم أعلم من
أى أمرية أعجب ؛ أم من ماطلته للدهر بالبقاء ، أم من صبره على الضر والأواء^(٢) ،
أم من قدرتك عليه مع إعواز مثله ، أم من تأهيلك الصديق به مع خسارة قدره
وياليت شعري إذ كنت — وإليك سوق الغنم ، وأمرك ينفذ في الضأن والمعز ،
وكل كبش سمين وحمل بطين مجلوب إليك ، مقصور عليك — تقول فيه قولاً
فلا تُرد ، وتريده فلا تُصد ، وكانت هديتك هذا الذي كأنه ناشر من القبور ،
أو قائم عند النفع في الصبور ، فما كنت مهدياً لو أنك رجل من عرض
الكتاب ، كأبي عليّ وأبي الخطاب ، ما كنت تهدي إلا كلباً أجرب ، أو
قرداً أهدب .

(٢) الأواء : الشدة (م)

(١) الدحل : الثأر (م)

[الحمدوني وشاة سعيد بن أحمد]

وقال الحمدوني في شاة سعيد بن أحمد بن خوسنداذا :

أسعيد قد أعطيتني أضحيةً مكنت زماناً عندكم ما تطعم
نضواً تعافرت الكلابُ بها وقد شدوا عليها كي تموت فيؤلموا
فاذا الملا ضحكوا بها قالت لهم: لانهزءوا بي وارحوني ترجموا
مرت على علف فقامت لم تريم عنه، وغنت والمدامع تسجم
وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي متأخر عنه ولا متقدم^(١)
وقال أيضاً :

أبا سعيد لنا في شاتك العبرُ جاءت وما إن لها بول ولا بعرُ
وكيف تبغرُ شاةً عندكم مكنتُ طعامها الأبيضان الشمس والقمرُ
لو أنها أبصرت في نومها علفاً غنت له ودموع العين تنحدر
يا مانعي لذة الدنيا بأجمعها إني ليفتنني من وجهك النظرُ
وقال أيضاً :

شاة سعيد في أمرها عبرُ لما أتنا قد مسها الضرُ
وهي تغني من سوء حالتها حسبي بما قد لقيت يا عمرُ
مرت بقطف خضر ينشرها قوم فظنت بأنها خضرُ
فأقبلت نحوها لتأكلها حتى إذا ما تبين الخبرُ
وأبدلتها الظنون من طمع بأساتفت والدمع منحدرُ
كانوا بعيداً وكنت آملهم حتى إذا ما تقربوا هجروا

قال :

لسعيد شويته سلها الضر والعجف
قد تغت وأبصرت رجلاً حاملاً علف

(١) هذا البيت من شعر دعبيل الخزاعي

بأبي من بكفه برء ما بي من الدنف
فأناها مطمعا وأتته لتعتلف
فتولى فأقبلت تتغنى من الأسف
ليته لم يكن وقف عذب القلب وانصرف

[الحمدوني وطيلسان ابن حرب]

[قال]: وإذا قد جرت بعض تضمينات الحمدوني في هذا الموضع فأنا أذكر هنا قطعة من شعره في الطيلسان ، وأنعطف في غير هذا الموضع إياها وأكر عليها؛ وكان أحمد بن حرب المهلبى من النعمين عليه ، والمحسنين إليه ، وله فيه مدائح كثيرة ، فوهب له طيلساناً أخضر لم يرضه ، قال أبو العباس الليرى : فأنشدنا فيه عشر مقطعات ، فاستحلينا مذهبها فيها ، فجعلها فوق الحسين ؛ فطارت كل مطار ، وسارت كل مسار ، فمنها :

يا ابن حرب كسوتنى طيلساناً مل من صحبة الزمان وصداً
فحسبنا نسيج العناكب قد حأ ل إلى ضعف طيلسانك مداً
طال ترداداه إلى الزفر حتى لو بعقناه وخذاه لتهدى
وقال فيه أيضاً :

يا طيلسان ابن حرب قد هممت بأن تؤدى بحسى كما أودى بك الزمن
ما فيك من ملبس يعنى ولا ثمن قد أوهنت حيلتى أركائك الوهن
فلو ترانى لدى الرفاء مرتبطاً كأنتى فى يديه الدهر مرتين
أقول حسين رانى النام الزمه كأنمى الى فى حانوته وطن
من كان يسأل عنا أين منزلنا فالأحسوانة منا منزل قمن
وقال :

قل لابن حرب طيلسا نك قوم نوح منه أحدث

أَفْنَى الْقُرُونِ وَلَمْ يَزَلْ عَمَّنْ مَضَى مِنْ قَبْلِ يُورَثُ
وَإِذَا الْعَيُوبُ لَحِظْنَهُ فَكَأَنَّهُ بِاللَّحْظِ يُحْرَثُ
يُودِي إِذَا لَمْ أَرُفُهُ فَإِذَا رَفَوْتُ فَلَيْسَ يَلْبَثُ
كَالْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ الدَّهْرُ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْمَثُ

وقال :

قُلْ لَابْنَ حَرْبٍ طَيْلَسَانَكَ قَدْ أَوْهَى قَوَايَ بِكَثْرَةِ الْغُرْمِ
مُتَبِينٌ فِيهِ لُبُصِيرِهِ آثَارُ رَفْوِ أَوَائِلِ الْأُمِّ
وَكَأَنَّهُ الْخَمْرُ الَّتِي وَصَفْتُ فِي «يَاشَقِيقَ الرُّوحِ مِنْ حَكْمِ»
فَإِذَا رَمَمْنَاهُ فَقَيْلٌ لَنَا : قَدْ صَحَّ ، قَالَ لَهُ الْبَيْلِيُّ : انْهَدِمِ
مِثْلَ السَّقِيمِ بَرًّا فَرَا جَعُهُ نُكْسٌ فَأَسْلَمَهُ إِلَى سَقَمِ
أَنْشَدْتُ حِينَ طَفَى فَأَعْجَزَنِي «وَمِنَ الْعِنَاءِ رِيَاضَةُ الْمَهْرَمِ»

« الخمر التي وُصِفَتْ » من قول أبي نواس :

يَاشَقِيقَ النَّفْسِ مِنْ حَكْمِ نِمْتُ عَنْ لَيْلِي وَلَمْ أَمْ
فَإِسْتَقْنِي الْبِكْرَ الَّتِي اعْتَجَرْتُ بِخِمَارِ الشَّيْبِ فِي الرَّحِمِ
نِمْتُ أَنْصَاتِ الشَّبَابِ لَهَا بَعْدَ أَنْ جَازَتْ مَدَى الْمَهْرَمِ
فَهِيَ لِلْيَوْمِ الَّذِي بُرِلَتْ وَهِيَ تَلُو الدَّهْرَ فِي الْقِدَمِ
عُتِقْتُ حَتَّى لَوْ اتَّصَلْتُ بِلِسَانِ نَاطِقٍ وَفَمِ
لَاخْتَبَيْتُ فِي الْقَوْمِ مَائِلَةً ثُمَّ قَصَّتْ قِصَّةَ الْأُمَمِ
فَرَعَّتْهَا بِالْمَزَاجِ يَدٌ خُلِقَتْ لِلْكَاسِ وَالْقَلَمِ

وقال الحمدوني :

طَيْلَسَانُ لَابْنَ حَرْبٍ جَاءَنِي خِلْعَةً فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرِّ
فَإِذَا مَا صِيحَتْ فِيهِ صَيْحَةٌ تَرَكْتُ كَهَشِيمِ الْمُحْتَظَرِّ

وإذا ما الريح هبت نحوهُ
 مُهطع الداعى إلى الرافى إذا
 وإذا رفاؤه حاول أن
 وقال :

أيا طيلسانى أعينيت طيى
 وياريح صيرتني أتقيك
 ومستخبر خبير الطيلسان
 وقال فيه :

طيلسان لابن حرب جاني
 أنا من خوفٍ عليه أبدأ
 يابن حرب خذه أوفابعت بما
 فلعل الله يُحييه لنا
 فهو قد أدرك نوحا ، فمسي
 أبدا يقرأ من أبصره
 وقال فيه :

يابن حرب أطلت ققرى برنوى
 فهو في الرفو آل فرعون في العر
 زرت فيه معاشرأ فازدروني
 جئت في زى سائل كي أراكم
 وقال فيه :

وهبت لنا ابن حرب طيلسانا
 يسلم صاحبي فيعيد شتى
 أجيل الطرف في طرفيه طولاً
 يزيد المرء ذا الضعة اتضاعاً
 لأن الروح يكسبه انصداً
 وعرضا ما أرى إلا رفاعاً

طيرته كالجراد المنتشر
 ما رآه قال : ذاشى نكر
 يتلافاه تعاطى فققر

أسل بجسمك أم داه حب
 وقد كنت لا أتقى أن تهبي
 فقلت له الروح من أمر ربي

قد قضى التزيق منه وطره
 سامرى ليس يألو حذره
 نشري عجلاً بصفر عشره
 إن ضربناه ببعض البقره
 عنده من علم نوح خبره
 أنذا كنا عظاماً نخره

طيلسانا قد كنت عنه غنيا
 ض على النار غدوة وعشيا
 فتغيت إذ رأوني زرياً
 وعلى الباب قد وقفت مدياً

فلست أشك أن قد كان قديماً أنوح في سفينته شراعاً
 قد غنيت إذ أبصرت منه جوانبه على بدني تداعى
 في قبل التفريق يا ضباعاً ولا يك موقف منك الوداعاً
 [المأمون والحسن بن رجاء]

دخل المأمون بعض الدواوين ، فرأى غلاماً جميلاً على أذنه قلم ، فقال : من أنت يا غلام ؟ فقال : أنا يا أمير المؤمنين الناشئ في دولتك ، المتقلب في نعمتك ، المؤمل لخدمتك ، خادمك وابن خادمك الحسن بن رجاء . فقال : أحسنت يا غلام ، وبالإحسان في البديهة تفاضلت العقول . فأمر أن يرفع عن مرتبة الديوان .
 قال أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج : قال لي أبو العباس المبرد : ما رأيت في أصحاب السلطان مثل إسماعيل والحسن ؛ كنت إذا رأيته رأيت رجلاً كأنما خلق لدروة منبر ، أو صدر مجلس ، يتكلم وكأنه يتنفس ، يشهب ويطنب ، ويعرب ويعرب ، ولا يعجب ويعجب .
 أراد القاضي إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد ، والحسن ابن رجاء بن أبي الضحاك .

[بديهة المبرد]

وكان أبو العباس يُعَدُّ في البلغاء ، وقال : لما دخلت على المتوكل اختار لي الفتح ابن خاقان وقت شربه ، وكان الشراب قد أخذ منه ، فسألني وقال : يا بصرى ، رأيت أحسن وجهاً مني ، فقلت : لا والله ولا أسمع راحة ، ثم تجاسرت فقلت :

المبرد عند
 المتوكل

جهرت بحلقة لا أتقها بشك في اليمين ولا ارتياب
 بأنك أحسن الخلفاء وجهها وأسمع راحتين ، ولا أحابي
 وأن مطيعك الأعلى محلاً ومن عاصباك يهوى في تباب^(١)

(١) التباب - بوزن سحاب - الهلاك والخسران

فقال : أحسنت وأجملت في حُسن طبعك وبديهتك ، ققلت : ما ظننتني
أبلغُ هذا الشرف ، ولا أنال هذه الرتبة ؛ فلا زال أميرُ المؤمنين يسمو بخدمة إلى
أعلى المراتب ، ويصرفهم في المذاهب .

[من أدب المبرد]

بين ابن المعتز
والمبرد

وكان ابنُ المعتز قد غضبَ على بعض وكلائه ، فصار إلى أبي العباس المبرد
يسأله أن يكلمه له ؛ فكتب إليه المبرد : أنتَ والله كما قال مسلم بن الوليد في
جدك الرشيد :

بابي وأمي أنتَ ما أندى يداً وأبرَ ميثاقاً ، وما أزرَ كما
يغدو وعدوك خائفاً ، فإذا رأى أن قد قدرت على العقاب رجاً كما
وهذا معنى كثير .

[في المدح]

لأعرابي

أنشد أحمد بن يحيى ثعلب الأعرابي :
كريم يفض الطرفَ فضلَ حياته ^(١) وَيَدْنُو وَأَطْرَافُ الرِّمَاحِ دَوَانِي
وكالسيفِ إن لا يئنته لأنَ متنه ^(٢) وَحَدَّاهُ إنْ خَاشَتْهُ خَشِينَانُ

لابن المعتز

وهذا يناسب قول ابن المعتز في بعض جهاته :

وَيَجْرَحُ أَحْشَائِي بَعَيْنٍ مَرِيضَةٍ كَالآنِ مَثْنُ السِّيفِ وَالْحَدُّ قَاطِعٌ

للأخطل

وقال الأخطل في بني مروان :

صُمُّ عَنِ الْجَهْلِ ، عَنِ قَيْلِ الْخَنَا أَنْفٌ ^(١) إِذَا أَلَمَّتْ بِهِمْ مَكْرُوهَةٌ صَبَرُوا
شَمْسُ الْعِدَاوَةِ حَتَّى يُسْتَقَادَ لَهُمْ وَأَعْظَمُ النَّاسِ أَحْلَامًا إِذَا قَدَرُوا ^(٢)

لابن هرمة

وقال إبراهيم بن علي بن هرمة يمدح أبا جعفر المنصور :

كريمٌ له وجهان : وجهٌ لدى الرضا طليقٌ ، ووجهٌ في الكريهة باسِلٌ
وليس بمُعْطَى الحقِّ حَتَّى تَغِيْرَ قَدْرُهُ وَيَغْفُو إِذَا مَا أَمَكَّنْتَهُ الْمُقَاتِلُ
له لحظاتٌ من حِفَافِ سِرِّهِ إِذَا كَرَّهَا فِيهَا عِقَابٌ وَنَائِلُ

(١) فضل حياته : منصوب على أنه مفعول لأجله (م)

(٢) شمس العداوة : يعني أنهم لا يرجعون إلى الرضا إلا بعد أن يؤخذ لهم بحقم (م)

فَأَمَّ الَّذِي أَمَّنْتَ آمِنَةً الرَّدَى وَأَمَّ الَّذِي حَاوَلَتْ بِالشَّكْلِ تَأْكُلُ
 وَقَالَ الطَّائِي فِي أَبِي سَعِيدٍ مُحَمَّدِ بْنِ يَوْسُفَ :

هُوَ السَّيْلُ إِنْ وَاجَهْتَهُ انْقَدَتْ طَوْعَهُ وَتَقْتَادُهُ مِنْ جَانِبَيْهِ فَيَتَّبِعُ
 وَكَانَ عَصَابَةَ الْجُرْجَانِيِّ ، وَاسْمُهُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، مُنْقَطِعًا إِلَى الْحَسَنِ بْنِ رَجَاءٍ
 لِعَصَابَةِ الْجُرْجَانِيِّ فِي الْحَسَنِ بْنِ رَجَاءٍ
 مُتَصِلًا بِهِ ، وَهُوَ الْقَاتِلُ فِيهِ :

وَمُحَجَّبٌ بِالنُّورِ لَيْسَ بِمَدْرَكٍ إِلَّا بِمَا تَأْتِي بِهِ الْأَنْبَاءُ
 مَلِكٌ يُحِبُّ اللَّهَ فَهُوَ بِحُبِّهِ وَيُطِيعُهُ فَتَطِيعُهُ الْأَشْيَاءُ
 يَمْشِي الْمُوَيْنَاً لِلصَّلَاةِ يُقِيمُهَا وَإِذَا مَشَى لِلْحَرْبِ فَانْحِيلَاهُ
 اللَّهُ دَرَكٌ أَيُّمَا ابْنِ عَزِيمَةٍ يَشْوَى الزَّمَانَ وَمَالَهُ إِشْوَاهُ
 ثُمَّ عَتَبَ عَلَيْهِ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ ، فَهَجَاهُ هَجَاءَ قَبِيحًا ؛ فَهَرَبَ إِلَى عُثْمَانَ ، ثُمَّ
 اعْتَذَرَ إِلَيْهِ بِقَصِيدَتِهِ الَّتِي أَوْلَاهَا :

لَا تَخْضِبْنَ عَوَالِي الْمُرَانِ إِلَّا مِنْ الْعَلْقِ النَّجِيعِ الْآنَ (١)
 وَهِيَ أَجُودُ شَعْرِ قَبِيلٍ فِي مَعْنَاهُ ، وَهِيَ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا :

أَقْرَ السَّلَامِ عَلَى الْأَمِيرِ ، وَقُلْ لَهُ : إِنْ الْمُنَادِمَةُ الرِّضَاعُ الثَّانِي
 مَا إِنْ أَتَى حَشِييَ بِأَنَّكَ سَاخِطٌ حَتَّى اسْتَخَفَّ بِمَوْضِعِي غِلْمَانِي
 وَغَدَتِ عَلَى مَطَاعِي وَمَشَارِبِي وَمَلَابِسِي مِنْ أَعْوَانِ الْأَعْوَانِ
 فَكُتِبَ إِلَيْهِ الْحَسَنُ :

أُبَلِّغُ أَبَا إِسْحَاقَ أَنَّ مَحَلَّهُ مِنْ بَيْتِ الرَّأْسِ وَالْعَيْنَانِ
 لَا تَبْعِدَنَّ بِكَ الدِّيَارُ لِزَرْغَةٍ وَكُتُبِعِدَنَّ نَوَازِغَ الشَّيْطَانِ
 فَلْيُفْرِخِ الرُّوْعَ الَّذِي رُوِّعَتْهُ إِنْ الْمَحَلُّ مَحَلُّ كُلِّ أَمَانٍ

[بَيْنَ جَمِيلٍ وَعُمَرَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ]

اجْتَمَعَ جَمِيلُ بْنُ مَعْمَرِ الْعَدْرِيِّ بِعُمَرَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ الْخَزْرَمِيِّ ، فَأَنشَدَهُ جَمِيلٌ
 قَصِيدَتَهُ الَّتِي أَوْلَاهَا :

(١) عَوَالِي الْمُرَانِ : أَطْرَافُ الرِّمَاحِ ، وَالْعَلْقُ : الدَّمُ ، وَالنَّجِيعُ : الضَّارِبُ إِلَى
 السَّوَادِ ، وَالْآنُ : الْحَارُ (م)

لَقَدْ فَرِحَ الْوَأَشُونَ أَنْ صَرَمَتْ حَبْلِي
يَقُولُونَ : مَهْلًا يَا جَمِيلُ ، وَإِنِّي
خَلِيلٌ فِيمَا عَشْتُمَا هَلْ رَأَيْتُمَا
نقله أبو العتاهية ، فقال :

يَأْمَنُ رَأَى قَبْلِي قَتِيلًا بَكِي
فَلَمَّا أْتَمَّهَا قَالَ لِعَمْرٍ : يَا أَبَا الْخَطَّابِ ، هَلْ قَلَّتْ فِي هَذَا الرَّوْيِ شَيْئًا ؟ قَالَ :
نَعَمْ ، ثُمَّ أَنْشَدَهُ :

جَرَى نَاصِحٌ بِالْوَدَّيْنِ وَبَيْنَهَا
فَمَا أَنْسَمَ الْأَشْيَاءَ لَا أَنْسَ قَوْلَهَا
فَلَمَّا تَوَاقَفْتُمَا عَرَفْتُ الَّذِي بَهَا
فَسَلَّمْتُ وَاسْتَأْنَسْتُ خَيْفَةً أَنْ يَرَى
وَأَقْبَلَ أَمْثَالَ الدَّمِيِّ يَكْتَنِفُنَهَا
فَقَالَتْ وَأَرْخَتْ جَانِبَ السُّتْرِ : إِنَّمَا
قَلَّتْ لَهَا : مَا بِي لَمْ مِنْ تَرْقُبِ
فَاسْتَخَذِي جَمِيلٌ وَصَاحُ : هَذَا وَاللَّهِ الَّذِي طَلَبْتَ الشُّعْرَاءَ فَأَخْطَأْتَهُ ، فَعَمَلُوا
بوصف الديار ، ونعت الأطلال .

ولمات عمر بن أبي ربيعة نعي لامرأة من مولدات مكة ، وكانت بالشام ،
فبكت وقالت : مَنْ لَأْ بَاطِحِ مَكَّةَ ؟ وَمَنْ يَمْدَحُ نِسَاءَهَا ، وَيَصِفُ مُحَاسِنَهُنَّ ،
وَيُبَكِّي طَاعَتَهُنَّ ؟! فَقِيلَ لَهَا : قَدْ نَشَأْتُ مِنْ وَادِ عَثْمَانَ بْنِ عَفَانَ ^(١) عَلَى طَرِيقَتِهِ ،
فَقَالَتْ : أَنْشِدُونِي لَهُ ، فَأَنْشَدُوهَا :

وَقَدْ أُرْسَلَتْ فِي السَّرَائِلِ بِأَنْ أُقِيمَ
لَعَلَّ الْعَيُونَ الرَّامِقَاتِ لَوْضَلِنَا
أَنْفَاسُ أُمَّتِنَامْ فَبَشُوا حَدِيثَنَا
وَلَا تَقْرَبْنَا فَالْتَجَنَّبُ أَجْمَلُ
تَكْذِبُ عَنَّا أَوْ تَنَامُ فَتَغْفَلُ
فَلَمَّا كَتَمْنَا السَّرَّ عَنْهُمْ تَقَوْلُوا

(١) هو المرجى ، وسيأتي بعد هذا نسبة وبعض خبره (م)

فما حفظوا العهد الذي كان بيننا ولا حين همثوا بالقطيعة أنجملوا
فتسلت وقالت : هذا أجل عيوض ، وأفضل خلف ، فالحمد لله الذي خلف
على حرمة وأمه مثل هذا .

من شعر العرجي
وقال عمرو بن أذينة : أنشدت ابن أبي عتيق للعرجي :
فما ليلةٌ عندي وإن قيل ليلةٌ ولا ليلة الأضحى ولا ليلة الفطر
بعادلة الإثنين ، عندي وبالحرى يكونُ سواء مثلها ليلة القدر
وما أنسى من الأشياء لأنس قوامها لجارتها : قومي سلى لي عن الوتر
فجاءت تقول الناس في ست عشرة ولا تعجلي عنه فإنك في أجر
فقال ابن أبي عتيق : هذه أفتة من ابن أبي شهاب ؛ أشهدكم أنها حرمة
من مالى إن أجاز أهلها ذلك .

تسب العرجي وبعض أخباره الطائف فنسب إليه ، وهو القائل :

هل في أدكارى الحبيب من حرَج أم هل لهم الفؤاد من فرَج
أم كيف أنسى مسيرنا حرما يوم حَلَلْنَا بالنَّخْلِ مِنْ أَمَج^(١)
يوم يقول الرسولُ قد أذنت فاتِ على غير رِقْبَةٍ فِدَج^(٢)
أقبلتُ أهوى إلى رحالهم أهدى إليها بريحها الأريج
وكان محمد بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم واليا على مكة - وهو
خال هشام بن عبد الملك - بلغه أن العرجي هجاه ، فضربه ضربا بمرحاً ، وأقامه
على أعين الناس ، فجعل يقول :

سيغضب لي الخليفة بعد رقى ويسأل أهل مكة عن مساقى
على عباءة برقاء ليست من البلوى تُجَاوِزُ نِصْفَ سَاقِي
وتغضب لي بأسرتها قصى ولأه الشعب والطرف العاقى

(١) أمج : قرية كثيرة النخل والزرع يسكنها قوم من قضاة (م)
(٢) رقبه - بكسر الراء - ترقب وحذر ، وليج - بوزن نصف وعد - أمر من الولوج (م)

فخلف محمد بن هشام ألا يخرجها مادامت له ولاية : فأقام في السجن سبع سنين حتى مات ، وهو القائل في سجنه :

أضاعوني وأى فتى أضاعوا	ليوم كريمة وسيدادٍ ثغرى
وخلّوني ومعترك المنايا	وقد شرّعت أسنتهم لنجري
كأنى لم أكن فيهم وسيطاً	ولم تك نسبتى فى آل عمرو
أجرّز فى الجموع كل يوم	ألا لله مظلمتى وهضرى
عسى الملك المجيب لمن دعاه	سينجيني فيعلم كيف شكرى
فأجزى بالكرامة أهل ودى	وأجزى بالضعائن أهل ضرى

جملة من الفصول القصار لابن المعتز .

البشر دالّ على السخاء كما يدلّ النور على الثمر . إذا اضطرت إلى الكذاب فلا تصدّقه ، ولا تعلّمه أنك تكذّبه ، فينتقل عن ودّه ، ولا ينتقل عن طبيعه . كما أن الشمس لا تخفى ضوءها وإن كانت تحت السحاب كذلك الصبي لا تخفى غريزة عقله وإن كان مغموراً بأخلاق الهداية . كرم الله عز وجل لا ينقض حيكته ، ولذلك لا يجعل الإجابة فى كل دعوة . كما أن جلاء السيف أهون من صنعه ، كذلك استصلاح الصديق أهون من اكتساب غيره . إذا استرجع الله مواهب الدنيا كانت مواهب الآخرة . لولا ظلة الخطايا ما أشرق نور الصواب . الحوادث الممّضة مكسبة لحظوظ جزيلة : من صواب مدّخر ، وتطهير من ذنب ، وتنبية من غفلة ، وتعريف بقدر النعمة ، ومُرُون على مقارعة الدهر .

ومثل هذا الفصل محفوظ عن ذى الرياستين ، قاله بعقب علة فأغار عليه

ابن المعتز .

وكتب إلى أحمد بن محمد جواباً عن كتاب استزاده فيه : قيّد نعمتي عندك

بما كنت استدعيتها به ، وذُبت عنها أسباب سوء الظن ، وأستدريتم ما تحب مني
بما أحب منكم .

وكتب إليه : والله لا قابِلَ إحسانك مني كفرًا ، ولا تبعَ إحسانى إليك
من ، ولك عندي يدٌ لا أقبضها عن نفعك ، وأخرى لا أبسطها إلى ظلمك ،
فتجنب ما يسيخطني ؛ فإني أصون وجهك عن ذلِّ الاعتذار .

وكان أحمد بن سعيد يؤدبه فتحمل البلاذري على قبيحة أم ابن المعتز بقوم
سألوا أن تآذن له أن يدخل إلى ابن المعتز وقتاً من النهار ، فأجابت أو كادت
تجيب ، قال ابن سعيد : فلما اتصل الخبر بي جلست في منزلي غضبان لما بلغني
عنها ، فكتب إلى ابن المعتز وله ثلاث عشرة سنة .

أصبحت يا ابن سعيد خذن مكرمة	عنها يقصر من يحفى وينتعل
سرت بلنتي حكمة قد هدبت شيمي	وأججت نار ذهني فهي تشتعل
أكون إن شئت قسا في خطا بته	أو حارثا وهو يوم الحفل مره تجل
وان أشأ فكر زيد في فرائضه	أو مثل نعمان لما ضاقت الحيل
أو الخليل عروضا أخا فطن	أو الكسائي نحويا له علل
تفلو بداهة ذهني في مراكبها	كمثل ما عرفت آباء الأول
وفي في صارم ماسله أحد	من غمده فدرى ما العيش والجذل
عباك شكر طويل لا نفاذ له	يبقى بجدته ما أطت الإبل

وقس الذي ذكر : هو قس بن ساعدة الإيادي ، وقد سمع النبي صلى الله

عليه وسلم شعره ، وعجب منه .

وحارث : هو الحارث بن حلزة اليشكري ، وصف ارتجاله يوم فخره بقصيدته

التي أنشدها بمحضرة عمرو بن هند التي أولها :

آذنتنا ببينها أسماء ربنا وئمل منه الثواء

وزيد : هو زيد بن ثابت الأنصاري ، وإليه انتهى علم القرائض . ونعمان : هو

أبو حنيفة النعمان - رضي الله عنه - بن ثابت، سبق أهل العراق في الفقه. والخليل بن أحمد القرطوبى، ويقال: الفراهيدى، مسوب إلى حى من الأزدي، اليمبرى. والكسائى: على بن حمزة الكوفى.

[من ابن العميد إلى بعض إخوانه]

وكتب أبو الفضل محمد بن العميد إلى بعض إخوانه :
 أنا أشكو إليك - جعلني الله فداك - دهر أخوونا غدورا، وزمانا خدوعا غرورا،
 لا يمنح ما يمنح إلا ريث ما ينتزع، ولا يبقى فيما يهب إلا ريث ما يرتجع، يبدو
 خيرُه لمعا ثم ينقطع، ويحلو ماؤه جُرعا ثم يمتنع. وكانت منه شيعة مألوفة،
 وسجية معروفة، أن يشفع ما يُبره بقرب انتقاض، ويهدى لما يبسطه وشك انقباض،
 وكنا نلبسه على ما شرط، وإن خان وقسط؛ وترضى على الرغم بحكمه، ونسقم
 بقصده وظلمه، ونعتد من أسباب المسرة الأيجى، محذوره مصمتا بلا انفرّاج، ولا يأتى
 مكروهه صيرفا بلا مزاج، وتعلل بما نختلسه من غفلاته، ونسرقه من ساعاته.
 وقد استحدث غير ما عرفناه سنة مبتدعة، وشريعة متبعة، وأعد لكل صالح
 من الفساد حالا، وقرن بكل خلة من المكروه خلا لا. وبيان ذلك - جعلني
 الله فداك - أنه كان يقنع من معارضته الإلغين، بتفريق ذات البين، فقد
 أثنى ممنوا فيك بجميع ما أوغره، وما أطويه من البلوى منك أكثر مما أنشره،
 وأحسبني قد ظلمت الدهر بسوء الثناء عليه، وألزمته جرما لم يكن قدره بما يحيط
 به، وقدرته ترّقى إليه، ولو أنك أعنته وظاهرته، وقصدت صرفه وآزرته،
 وبعثتني بيع الخلق وليس فيمن زاد ولكن فيمن نقص، ثم أعرضت عنى إعراض
 غير مراجع، وأطرحتنى أطراح غير مجامل؛ فهلا وجدت نفسك أهلا للجميل
 حين لم تجدنى هناك، وأنفدت من جل ما عقدت من غير جريمة، ونكشت
 ما عهدت من غير جريمة، فأجبنى عن واحدة منهما؛ ما هذا التعالى بنفسك،

والتعالى على صديقك؟ ولم نَبَذْتَنِي نَبْذَ النّوَاةِ ، ومطرحتنى طرَحَ القَدَاةِ ؟ ولم تَلْفِظْنِي من فيك ، وتمجّني من خلقك؟ وأنا الحلال الخلو ، والبارد العذب ، كيف لا تُخطرنى ببالك خَطْرَةً ، وتُصَيِّرُنِي من أشغالك مرة ؛ فترسل سلاما إن لم تتجشم مكاتبة ، وتذكري فيمن تذكُرُ إن لم تكن مخاطبة؟ وأحسب كتابي سيرد عليك فتنكره حتى تثبت ، ولا تجمع بين اسم كاتبه وتصوّر شخصه حتى تذكُر ؛ فقد صرت عندك ممن حَمَا النسيانُ صورته من صدرك ، واسمه من صحيفة حِفْظِك ، ولعلك أيضا تتعجب من طمعي فيك وقد توليت ، واستمالتى لك وقد أبيت ، ولا عجب فقد يتفجر الصخرُ بالماء الزلال ، ويبلين من هو أقى منك قبا فيعود إلى الوصال ، وآخر ما أقوله أن ودى وقف عليك ، وحبس في سبيلك . ومتى عدت إليه وجدته غضا طريا ، فجزبه في المعاودة فإنه في العود أحمد .

اجتليت هذا الكلام على اختيار الاختصار .

حلّ قوله « فقد يتفجر الصخرُ بالماء الزلال » من قول ابن الرومي :

ياشبيه البدر في الحسن وفي بُعد المنال
جد قد تنفجر الصخرة بالماء الزلال

وفي هذه الرسالة في ذكر فتح وإن لم يستبق منه المعنى :

وقد خصنا الله تعالى معاشر عبدا الأمير عضد الدولة بنعمة يعلم مراتب النعم موقعا ، ويفوت مقدار المواهب موضعها ، فباسمه أبقاه الله - فتح الفتح ، وبشعاره استنزل النجح ، ويؤمن نقيته فرج الكرب ، وبسعادة جده كشف الخطب ، وباهتزازة للدولة وحايته عاد إليها ماؤها ، وراجعها بهاؤها ، فعز الملك ونصر ، وذل العدو وقهر ، وحيت أطراف الدولة ، وحفظت أكناف الملة ، واستجدت نظام النعمة ، وسدلت ستور الصيانة دون الحرمة ؛ ولوجعل المولى - تقدس اسمه - لنعمته إذا تناهت على عبده جزاء غير الإخلاص في شكره ، وقيل ما في مقابلة الموهبة التي يستجدها عند خلقه غير

الإغراق في حَمْدِهِ ، لرأيت ألا أقتصر في قضاء حقه على بعض الملك دون بعض ،
ولجعت في صَدْرٍ ما أبذل عن هذه النعمة الأعزّين : الأهل والولد ، والأنصّرين :
الساعد والعضد ، بل العميدين : القلب والكبد ؛ بل النفس كلها ، والمُهْجَة
بأسرها .

[من بديع ما قيل في العتاب]

لسعيد بن حميد

وقال سعيد بن حميد يعاتبُ بعض إخوانه :

أقلّ عتابك فالبقاء قليلٌ والدَّهرُ يعدلُ تارةً ويميلُ
لمأبك من زمن ذمّتُ صُروفهُ إلا بكيتُ عليه حين يزولُ
ولكلّ نائبةً ألمت مُدّةٌ ولكل حالٍ أقبلتُ تمحويلُ
والتمتمون إلى الإخاء جماعةٌ إن حُصّلوا أفنّاهم التحصيلُ
ولعل أحداثَ النيةِ والرّدى يوماً ستصدعُ بيننا وتمحولُ
فلئن سبقتُ لتبكين بحسرةٍ وليكثرنَ على منك عويلُ
ولتفجعنَ بمُخلصٍ لك وامقٍ حبيلُ الوفاء بحبيلهِ موصولُ
ولئن سبقتُ ولاسبقتُ ليمضينَ من لا يشاكلهُ لدى خليلُ
وليذهبنَ بهاءُ كلِّ مروءةٍ وليفقدنَ جاهها المأهولُ
وأراك تكلفُ بالعتابِ وودنا ضافٍ عليه من الوفاء دليلُ
ودُّ بدا لذوى الإخاء جمالهُ وبدت عليه بهجةٌ وقبولُ
ولعل أيامَ الحياة قليلةٌ فعلامٌ يكثرُ عتبنا ويطولُ
وقال أيضاً :

لقد ساءنى أن ليس لي عنك مذهبٌ ولا لك عن سوء الخليفة مرغبٌ
أفكر في ودِّ تقادم بيننا وفي دونه قرّبي لمن يتقربُ
وأنت سقيمُ الودِّ رثُّ حبالهُ وخيرٌ من الودِّ السقيمِ التجنبُ

نُسيءٌ وتَأبَى أَنْ تَعْقِبَ بَعْدَهُ بِحُسْنِي، وَتَلْقَانِي كَأَنِّي مُذْنِبٌ
وَأَحْذَرُ إِنْ جَازَيْتَ بِالسُّوءِ وَالْقَلِي مَقَالَةَ أَقْوَامٍ هُمْ مِنْكَ أَنْجَبُ
أَسَاءَ اخْتِيَارًا أَوْ عَرَّتَهُ مَلَالَةٌ فَعَادَ يُسِيءُ الظَّنَّ أَوْ يَتَعَتَّبُ
فَنَجِيتُ مِنَ الْوَدِّ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا كَمَا خَابَ رَاجِي الْبَرْقِ وَالْبَرْقُ خَلْبُ

وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر:

لعبيد الله بن عبد
الله بن طاهر

إِلَى كَمْ يَكُونُ الصَّدُّ فِي كُلِّ سَاعَةٍ وَلَيْمَ لَا تَمَنَّ الْقَطِيعَةَ وَالْمَهْجَرَ؟
رَوَيْدِكَ! إِنْ الدَّهْرَ فِيهِ بَقِيَّةٌ لِتَفْرِيقِ ذَاتِ الْبَيْنِ فَانْتَظِرِ الدَّهْرَ
آخِرُ:

وَلَقَدْ عَلِمْتُ فَلَا تَكُنْ مَتَجَنِّبًا أَنْ الصَّدُودَ هُوَ الْفِرَاقُ الْأَوَّلُ
حَسَبِ الْأَحِبَّةِ أَنْ يَفْرُقَ بَيْنَهُمْ صَرَفُ الزَّمَانِ، فَالِنَا نَسْتَعْجِلُ؟
آخِرُ:

ذَرِ النَّفْسَ تَأْخُذُ وَسَمْعَهَا قَبْلَ بَيْنِهَا فَفَتَرَقَ جَارَانِ دَارِهَا الْعَمْرُ
وَيَقْرَبُ مِنَ الْمَعْنَى قَوْلَ الْمُتَنَبِّيِّ أَيْضًا:

للمتنبي

زَوْدِ دِينًا مِنْ حُسْنِ وَجْهِكَ مَا دَا مَ فَحُسْنُ الْوَجْهِ حَالٌ يَحْمُولُ
وَصَلِينًا نَصْلِكَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْمَقَامَ فِيهَا قَلِيلُ

[من كلام الأعراب]

وقف أعرابي يسأل، فعبيت به فتى، فقال: ممن أنت؟ فقال: من بني عامر
ابن صعصعة، فقال: من أيهم؟ فقال: إن كنت أردت عاطفة القرابة فليكفك
هذا المقدار من المعرفة، فليس مقامى بمقام مجادلة ولا مفاخرة، وأنا أقول:
فإن لم أكن من هاماتهم فليست من أعجازهم. فقال الفتى: ما رويت عن فضيلتك إلا النقص
في حسبك. فامتعض الأعرابي لذلك؛ فجعل الفتى يعتذر، ويخاطب الهزل والدعابة باعتذاره،

وأطال الكلام ، فقال له الأعرابي : يا هذا ، إنك منذ اليوم آذيتني بمزحك ،
وقطعتني عن مسألتى بكلامك واعتذارك ، وإنك لتكشف عن جهلك بكلامك
ما كان السكوت يستتره من أمرك ، وَيُحْك ! إنَّ الجاهل إن مزحَ أشخطَ ،
وإن اعتذر أفرط ، وإن حدثَ أسقط ، وإن قدرَ تسلطَ ، وإن عزم على أمرٍ
تورطَ ، وإن جلس مجلس الوقار تبسَّطَ ؛ أعودُ منك ومن حالِ اضطررتني إلى
احتمالِ مثلك !

وقال إسحاق الموصلي : قال أعرابي لرجل كان يعتمدُه بالعطية : أسأل الذي
رحمني بك أن يرحمك بي .

وسأل أعرابي رجلا ، فأعطاه ، فقال : الحمد لله الذي ساقني إلى الرزق
وساقك إلى الأجر :

[المقامة البلخيَّة]

ومن انشاء البديع من مقامات الإسكندري :

قال : حدثنا عيسى بن هشام قال : أفضت بي إلى بَلْخِ تجارة البزِّ ، فوردتها
وأنا بفرّوة الشباب^(١) وبأل الفراغ ، وحلية الثروة ، لا يهمني إلا زهة فكر
أستقيدها^(٢) وشريدة من الكلام أصيدها ؛ فما استأذن عليّ سمي مسافة مُمقامي ،
أفصح من كلامي . ولما حنى التفرقُ بنا قوسه أو كاد ، دخل إلى شابٍّ في زى
مِلء العين ، وحلية تشوك الأخدعين^(٣) ، وطرفٍ قد شرب بماء الرافدين^(٤) ،
ولقيني من البرِّ في السناء ، بما زِدته من الشكر والثناء ؛ ثم قال : أظعننا تريد ؟ قلت :

(١) الفرّوة : الشعر ، وفي إحدى روايات المقامات « وأنا بعذرة الشباب »

والعذرة : الناصية ، وهي الحصلة من الشعر في مقدم الرأس

(٢) في إحدى روايات المقامات « مهرة فكرة أستقيدها »

(٣) الأخدعان : عرقان في صفحة العنق

(٤) الرافدان : دجلة والفرات . والكلام هنا كناية عن وفرة الشباب

إبي والله ، فقال : أخصب الله رائدك ، ولا أضلّ قائدك ، فمتى عزمت ؟ قلت :
غداً غد ، فقال :

صباحُ الله لا صُبْحُ انْطِلاقٍ وطَيْرُ الوَصلِ لا طَيْرُ الفِراقِ
قال : أين تريد ؟ قلت : الوطن ، قال : بُلغْتَ الوطن ، وقصيتَ الوَطْرَ ،
فمتى العود ؟ قلت : القابل ، قال : طَوَّيْتَ الرِّيطَ^(١) ، وثذيتَ الخيط ، فأين أنت
من الكرم ؟ قلت : بحيث أردت ، قال : إذا رجعت الله من هذه الطريق ،
فاستصحب لي عدواً في بُرْدَةِ صديق ، من نِجَارِ الصُّفْرِ ، يدعو إلى الكفر ،
ويرقص على الظفر ، كدّارة العين ، يحطُّ ثِقَلُ الدِّينِ ، وينافقُ بوجْهين !
فعلت أنه يلتمس ديناراً ، قلت : لك ذلك نقداً ، ومثله وعداً ، فأنشأ يقول :

رَأَيْكَ مِمَّا خَطَبْتُ أَعْلَى لا زلت للمكرّمات أهلاً
صَلَبْتَ عَوْداً وَقُتَّ جُوداً وطِبتَ فرعاً وطِبتَ أصلاً
لا أستطيع العطاء حملاً ولا أطيق السؤال تتلاً
قَصُرْتُ عَنْ مُنْتَهَاكَ ظَنّاً وطلتُ عما ظننتُ فعلاً
يارحمة الله والمعالى لا لقي الدهرُ منك مثكلاً^(٢)

قال عيسى بن هشام : فنلتُهُ الدينار ، وقلت : من أين نبتَ هذا الفضل ؟
قال : نمتني قريش ، ومهد لي الشرفُ في بطحاءها . فقال بعض من حضر :
ألست أبا الفتح السكندري ؟ ألم أرك بالعراق ، تطوف بالأسواق ، مُكَدِّياً
بالأوراق^(٣) ؟ فأنشأ يقول :

(١) الريط : جمع ريطة ، وهي الملاءة - وهذه العبارة كناية ، يدعو له
بأن يطوى أيام البعد عن أهله (م)

(٢) في إحدى روايات المقامات « يارحمة الدهر والمعالى » والرجمة - بضم
الراء وسكون الجيم - ما يبني تحت النخلة الكريمة لتعتمد عليه إذا ثقل حملها أو
ضعف احتمالها (م)

(٣) كدى الرجل تكدياً : أى سأل

إِنَّ اللَّهَ عَيْدًا أَخَذُوا الْعُمَرَ خَلِيطًا
فَهُمْ يُمَسُّونَ أَعْرًا بِأَبْيَضُحُونَ نَبِيطًا^(١)
[من البديع إلى الميكالي]

وله إلى أبي نصر الميكالي يشكو إليه خليفته بهرارة :

كتابي أطال الله بقاء الشيخ الجليل ، والماء إذا طال مُكثته ، ظهر خُبثه ، وإذا
سكن مَتْنُهُ ، تحرك نَتْنُهُ ، كذلك الضيفُ يَسْمُجُ لقاءه ، إذا طال ثَوَاؤُهُ ، ويثقل
ظِلُّهُ ، إذا انتهى حَمَلُهُ ، وقد حَلَبْتُ أشطر خمسة أشهر بهرارة وإن لم تكن دار
مثلي لولا مقامه ، وما كانت تسعني لولا ذِمَامُهُ ، ولي في بَيْتِي قيسٌ مثلُ صدق ،
وإن صَدْرًا مَصْدَرًا عَشِقُ :

وَأَدَّ نَيْتِي جَنِي إِذَا مَا سَبَيْتَنِي بِقَوْلِ يُحِلُّ الْعُصْمَ سَهْلَ الْأَبَاطِحِ
تَجَافَيْتَ عَنِّي حَيْثُ لَا لِي حِيَلَةٌ وَخَلَقْتَ مَا خَلَقْتَ بَيْنَ الْجَوَائِحِ

نعم . فنصتني نِعَمُ الشيخ الجليل ، فلما عَلِقَ الجناح ، وَقَلِقَ البَرَّاح ، طرت
مطارَ الرِّيح ، بل مطارَ الرُّوح . وتركتني بين قوم ينقض مسهم الطهارة ،
وتوهن أكَفَّهُم الحجارة . وحدثت عن هذا الخليفة ، بل الجيفة ، أنه قال :
قضيت لفلان خمسين حاجةً منذ ورد هذا البلد ، وليس يَقْنَع ، فما أصنع ؟ فقلت :
يا أحق ، إن استطعت أن تراني محتاجاً ، فاستطع أن أراك محتاجاً إليك . أف
لقولك ولفعلك ، ولدهر أخوج إلى مثلك ! وأنا أسأل الشيخ الجليل أن يبيِّن
وجهي بكتاب يُسَوِّد وجهه ، ويعرفه قَدْرُهُ ، ويلا رعباً صدره ، إلى أن تبين
على صفحات جَنِبِهِ ، آثارُ ذنبه .

وله إليه يعاتبه :

قد عرف الشيخ الجليل اتساعاً بعبوديته ، ولو عرفت وراء العبودية مكاناً
لبلغته معه ، وأراني كلما قدمت صُحْبَةً ، رجعت رُتْبَةً ، وكلما طالت خِدْمَةٌ ، قصرت

(١) النبط : جماعة من العجم يسكنون سوادا لعراق (م).

حِشْمَةٌ ، ولست ممن يذهب عليه أن للسلطان أن يرفع عبداً حبشياً ، ويضع قُرَشِيَّاً ،
ولكن أحب أن أقف من مكاني على رُتْبَةٍ كوكبها لا يغور ، ومنزلة لو لبها
لا يدور ؛ فإذا عرفت ، قَدْرِي وخطه ، لم أخطه ، ثم إن رأيت محلي وحدّه ، لم
أتعدّه ، إن قدّمني يوماً عليها علمت أن عناية قدمتي ، وإن أخرنى عنها علمت
أن جنابة آخرتي . رفع عليّ اليوم فلانٌ ولست أنكر سنّه وفضله ، ولا أجد
بيته وأصله ، ولكن لم تجر العادة بتقدمه ، لاني الأيام الخالية ، ولا في هذه الأيام
العالية ؛ وشديدٌ على الإنسان ما لم يُعوّد ؛ فإن كان حاسدٌ قد همّ ، أو كاشح قد نمّ ،
أو خطبٌ قد ألمّ ، أو أمرٌ قد وقع وتمّ ، فالشيخُ الجليلُ أولى من يعرفه ويعرفنيهِ ،
وإلا فما الرأي الذي أوجب اصطناعي ، ثم ضياعي ، والسبب الذي اقتضى تبيني
بعد ابتياعي ؟

[بين المأمون وإبراهيم بن المهدي]

ولما رضى المأمون عن إبراهيم بن المهدي أمر به فأدخل عليه ، فلما وقف بين
يديه قال : وَلِيُّ النَّارِ مُحْكَمٌ فِي الْقِصَاصِ ، وَمَنْ تَنَاوَلَهُ الْاِغْتِرَارَ بِمَا مَدَّ لَهُ مِنْ أَسْبَابِ
الرَّجَاءِ ، أَمِنَ عَادِيَةَ الدَّهْرِ مِنْ نَفْسِهِ ، وَقَدْ جَعَلَكَ اللهُ تَعَالَى فَوْقَ كُلِّ ذِي ذَنْبٍ ،
كَمَا جَعَلَ كُلَّ ذِي ذَنْبٍ دُونَكَ ، فَإِنْ أَخَذْتَ بِحَقِّكَ ، وَإِنْ عَفَوْتَ بِفَضْلِكَ .
ثم قال :

ذَنبِي إِلَيْكَ عَظِيمٌ وَأَنْتَ أَعْظَمُ مِنْهُ
فَخُذْ بِحَقِّكَ ، أَوْ لَا فَاصْفَحْ بِفَضْلِكَ عَنْهُ
إِنْ لَمْ أَكُنْ فِي فَعَالِيٍّ مِنْ الْكِرَامِ فَكُنْهُ

فقال لي : إني شاورتُ أبا إسحاق والعباس في قَتْلِكَ ، فأشارا به ، قال : فما
قلتَ لهما يا أمير المؤمنين ؟ قال : قلتَ لهما : بدأناه بإحسان ، ونحن نستأمره فيه ، فإن
غيرَ فالله يغير ما به ، قال : أما أن يكونا قد نصحا في عظيم ما جرّت عليه السياسة

قد فعلا وبلغا ما يبلغك، وهو الرأيُ السديد ، ولكنك أبيت ألا تستجلب النصر إلا من حيث عودك الله . ثم استعبراً بكياً ، فقال له المأمون : ما يبكيك؟ قال : جَدَّلاً ! إذ كان ذنبي إلى من هذه صفته في الإنعام ، ثم قال : إنه وإن كان قد بلغ جرمي استحلال دمي ، فعلم أمير المؤمنين وفضله بلغاني عفوه ، ولي بعدها شفاعة الإقرار بالذنب ، وحق الأبوة بعد الأب . فقال : يا إبراهيم ، لقد حُببَ إلى العفو حتى خفتُ ألا أوجر عليه ، أما لو علم الناسُ مالنا في العفو من اللذة لتقربوا إلينا بالجنايات ، لا تثریبَ عليك ، يفر الله لك ، ولو لم يكن في حق نسبك ما يبلغ الصفح عن جرمك لبلغك ما أملت حسن تنصلك ولطف توصلك ثم أمر برد ضياعه وأمواله ، فقال :

رددت مالي ولم تبخل علي به وقبل ردك مالي قد حقت دمي
وقام علمك بي فاحتج عندك لي مقام شاهد عدل غير منهم
فلوبذلت دمي أبقى رضاك به والمال حتى أسل النعل من قدمي
ما كان ذاك سوى عارية سلفت لو لم تهبها لكنت اليوم لم تلم
أخذ معنى قول المأمون : « لقد حُببَ إلى العفو حتى خفتُ ألا أوجر عليه »
أبو تمام الطائي فقال :

لو يعلم العافون كم لك في الندى من لذة وقرية لم تخمد
فكان أبو تمام في هذا كما قال أبو العباس المعتز في القاسم بن عبيد الله :
إذا ما مدحناه استعنا بفعله فنأخذ معنى قولنا من فعاله
وكان تصويب إبراهيم لرأي أبي إسحاق المعتصم والعباس بن المأمون أطف في طلب الرضا ودفع المكروه واستمالتهما إلى العاطفة عليه من الإزراء عليهما في رأيهما ، وكان إبراهيم يقول : والله ما عفا عني لرحم ولا لحنة ؛ ولكن قامت له سوق في العفو كره أن يفسدها [بي] .

وكان المأمون شاور في قتل إبراهيم أحمد بن أبي خالد الأحول ، فقال :

إن قتلته فلك نظير؛ وإن عفوت عنه فلا نظير لك؛ فأختار لك العفو .

[بين المأمون وإسحاق بن العباس]

وقال المأمون لإسحاق بن العباس : لا تحسبني أغفلت أمر ابن المهدي وتأيدك له ، وإيقادك لِناره .

قال : والله يا أمير المؤمنين لأجرام قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم من جرمي إليك ؛ ولرحمى أمس بك من أرحامهم ؛ وقد قال لهم كما قال يوسف ؛ على نبينا وعليه الصلاة والسلام لإخوته : « لا تشرب عليكم اليوم يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وهو أرحم الراحمين » . وأنت يا أمير المؤمنين أحق وارث لهذه الأمة في الطَّوْلِ ، وممثل لخلال العفو والفضل .

قال : هيهات ! تلك أجرام جاهلية عفا عنها الإسلام ، وجرمك جرم في إسلامك ، وفي دار خلافتك .

قال : يا أمير المؤمنين ؛ فوالله للمسلم أحق بإقالة العشرة وغفران الذنب من الكافر . وهذا كتاب الله بيني وبينك إذ يقول : « وسارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ، الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْبَكَاطِيمِ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ » . والناسُ يا أمير المؤمنين نسبة دخل فيها المسلم والكافر ، والشريف والمشروف .

قال : صدقت ، وريت بك زنادي ، ولا برحت أرى من أهلك أمثالك .

[رجل يستعطف بعض الملوك]

وقال رجل لبعض الملوك وقد وقف بين يديه : أسألك بالذي أنت بين يديه غداً أذل مني بين يديك اليوم ، وهو على عقابك أقدر منك على عقابي ، إلا ما نظرت في أمري نظراً من برئي أحب إليه من سُقْمِي ، وبراءتي أحب إليه من بليتي .

[بين معاوية وروح بن زباع]

وأراد معاوية عقوبة روح بن زباع فقال : يا أمير المؤمنين : أنشدك الله تعالى

ألا تضع مني خسيه أنت رفعتها، أو تنفض مني مريرة^(١) أنت أبرمتها، أو تشمت بي عدواً أنت كبتته، وحاسداً بك وقمته^(٢)؛ وأسألك بالله إلا أربي^(٣) حيلك على خطي وصفحك على جهلي.

فقال معاوية رضي الله عنه : إذا الله ثنى عقد شيء تيسراً :

أشار إلى هذا أبو الطيب المتنبي إذ قال :

أزل حسداً الحساد عني بكبتهم فأنت الذي صيرتهم لي حسداً
إذا شد زندي حُسن رأيك في يدي ضربت بسيف يقطع الهام مُفعداً

[عنو الملوك]

وعتب المأمون على بعض خاصته ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن قديم الجريمة للمأمون وبعض خاصته

وحدث التوبة يمحوان ما بينهما من الإساءة . قال : صدقت ، وعفا عنه .
وكان في ملوك فارس ملك عظيم المملكة ، شديد النعمة ، فقرب له صاحب المطبخ طعامه ، فنقطت نقطة من الطعام على المائدة ، فزوى له الملك وجهه ، وعلم صاحب المطبخ أنه قاتله ، فعمد إلى الصَّحفة فكفأها على المائدة ثم ولى ، فقال له الملك : ما حملك على ما فعلت ، وقد علمت أن سقوط النقطة أخطأت بها يدك ولم تجربها تعمدك ، فما عندك في الثانية ؟ قال : استحييت للملك أن يُوجب قتلي ، ويبيع دم مثلي ، في سني وحرمتي ، وقديم اختصاصي وخدمتي ، في نقطة أخطأت بها يدي ، فأردت أن يعظم ذنبي ليحسن بالملك قتلي .

قال : لئن كان اعتذارك يُنجيك من القتل ، فليس يُنجيك من التأديب ؛ اجلدوه مائة جلدة ، واخلعوا عليه خلع الرضا .

وخرج بهرام جور متصيداً فعن له حمار وحش ، فأتبعه حتى صرعه ، وقد انقطع عن أصحابه ، فنزل عن فرسه يريد ذبحه ، وبصر براع فقال : أمسك على فرسي ، وتشاغل بذبح الحمار ، وحانت منه التفاتة ، فنظر إلى الراعي يقطع جوهراً عذار فرسه ، فحوّل بهرام جور وجهه وقال : تأمل العيب عيب ، وعقوبة

(١) أصل المريرة الجبل للحكم القتل (م)

(٢) وقته : قهرته وأذلتته (م) (٣) أربي : زاد (م)

من لا يستطيع الدفاع عن نفسه سَفَه ، والنفوس من أفعال الملوك ، وسُرْعَة العقوبة من أفعال العامة .

ثم قال : يا غلام ، ما بال شرياً بك يضطرب لعلك آذاك تكسيرنا أرضك بحوافر خيلنا ، فقال : نعم ، وقد عزمتُ على أن أتقلع مائة فرسخ ، فقال بهرام : لا تُرَع ؛ فهذا الموضع وما فيه لك ، وكان الراعي خبيثاً ، فقال : إن الملوك إذ قالت قولاً آتت على قولها ، فرجع بهرام إلى عسكره وقال : اتبعني لأوثق لك من هذه الأرض ، فاتبعه ، فلما بصر به الوزير قال : أيها الملك السعيد ، إني لأرى جوهر عذار فرسك مُقلعاً ، فتبسم وقال : أخذه من لا يردّه ، وراه من لا ينمّ به ، قمن أخذه صاحبنا ولا نطالبه به .

نقل ابن الرومي قول بهرام : « تأمل العيب عيبٌ » كما اتفق موزوناً فقال :

تأمل العيب عيبٌ	ما في الذي قلت ريبٌ
وكل خيرٍ وشرٍ	دون العواقب غيبٌ
ورب جلباب هم	فيه من الصنع جيبٌ
لا تحفرت سنيباً	كم قاد خيراً سيب (١)

أخذ البيت الأخير من قول الطائي :

رُبّ قليل غداً كثيراً
كَمْ مطرٍ بدؤه مطيرٌ

وقوله :

لا تزيلن صغيرَ همك وانظرن
كم بذى الأثل دوحه من قضيب

وقد أعاد ابن الرومي قوله :

وكل خيرٍ وشرٍ
دون العواقب غيبٌ

(١) سيب : تصغير سيب ، والسيب - بالفتح - العطاء .

في قصيدته التي مدح بها أحمد بن محمد بن ثوابة حين ساوره ، وقال : لو أتى لييد
لتعجب منه ، فاستجزله وقال :

وَمَا دَعَانِي لِلْمَثُوبَةِ سَيِّدٌ يَرَى الْمَدْحَ عَارًا قَبْلَ بَدْلِ الْمَثَاوِبِ
تَنَازَعَنِي رَغْبٌ وَرَهْبٌ كِلَاهُمَا قَوِيٌّ ، وَأُعْيَانِي طُلُوعُ الْمَعَايِبِ
فَقَدَّمْتُ رِجْلًا رَغْبَةً فِي رَغِيْبَةٍ وَأَخَّرْتُ رِجْلًا رَهْبَةً لِلْمَعَاطِبِ
أَخَافُ عَلَى نَفْسِي وَأَرْجُو مَفَازَهَا وَأَسْتَارُ غَيْبَ اللَّهِ دُونَ الْعَوَاقِبِ
أَلَا مَنْ يُرِينِي غَايَتِي قَبْلَ مَذْهَبِي وَمِنْ أَيْنَ وَالْغَايَاتُ بَعْدَ الْمَذَاهِبِ

[من اعتذارات البديع]

نسخة رقعة كتبها بديع الزمان إلى أبي علي إسماعيل يعتذر إليه :
سوء الأدب من سكر النَّدْب، وسكر الغضب من الكبائر التي تنالها المغفرة ،
وتسبها المَعْدِرَة ، وقد جرى بحضرة الشيخ ما جرى ، وقد أفنيت يدي عضاً ،
وأسناني رَضًا ، وإن لم أوف ما جرى فالعذر أمدّ خطا ، فإن كان بساطاً يطوى ،
وحديثاً لا يروى ، فأولى من عذر الإلاعب ، وأحرى من غفر الصاحب ؛ وإن
كان ميتاً يُنشر ، وسبباً يُذكر ، فليكن العقاب ما كان ، إن لم يكن الهجران ،
على أني قد أخذت قسطنطين من العقاب ، واستفدت من ردّ الجواب ، ما كفى وأوجع
اللقا ؛ فكان من موجب أدب الخدمة ، إبقاء الحشمة لولى النعمة ، باحتمال الشتم ،
والإغضاء عن الخصم ، لكنني أخذت بي ثلاثة أحوال لا يسلم صاحبها : اللعب
وسكره ، والخصم وهجره ، والإدلال والثقة ، وهنّ اللواتي حملني على ماء الوجه
فهرقتة ، وحجاب الحشمة فخرقتة ، وقد منعتني الآن قرط الحياء من وشك
اللقاء ، وعهدى بوجهي وهو أصفق من العدم الذي حملني على جهله ، وأوقع
من الدهر الذي أحوجنى إلى أهله ؛ لكن النعم إذا توالّت على وجه رقت
قشرته ، والأنت بشرته ؛ وأنا منتظر من الجواب ما يرش جناحي إلى خدمته ،
فإن رأى أن يكتب فعل ، إن شاء الله .

وله رقعة إلى أبي علي بن مشكويه أولها :

وياعزَّ إن وَاشٍ وَشَى بِي عِنْدَكُمْ فَلَا تُتْمَلِيهِ أَنْ تَقُولِي لَهُ : مَهْلًا
كَمَا لَوْ وَشَى وَاشٍ بَعِزَّةً عِنْدَنَا لَقَلْنَا : تَرَ حَزَّحَ لِقَرِيبًا وَلَا أَهْلًا

بلغني أطل الله بقاء الشيخ أن قيضة كلب^(١) وافته بأحاديث لم يُعبرها
ألقى نورَه ، ولا الصدقُ ظهورَه ، وأنه — أدام الله عزَه — أذن لها على مجال
أذنه ، وفسح لها فناء ظنّه ، ومعاذ الله أن أقولها ، وأستجيز معقولها ؛ بل قد كان بيني
وبين الشيخ عتابٌ لا ينزل كنفه ولا يجدف ، وحديث لا يتعدى النفسَ وضميرها ،
ولا يعرف الشفة وسميرها ، وعزبده كعزبده أهل الفضل ، لا تتجاوز الدلال
والإدلال ، ووحشة لا يكشفها عتابٌ لحظة ، كعتاب جحظة ، فسبحان من ربي
هذا الأمر حتى صار أمراً ، وتأبط شراً ، وأوجب عذراً ، وأوحش حرّاً .
وسبحان من جعلني في حيزِ العدو أشيم بآرقتَه ، وأتخوف صاعقته ، وأنا المساء
إليه ، والمجنئ عليه ، ولكن من بُلي من الأعداء بمثل ما بُليت ، ورُمي من الحسد
بما رُميت ، ووقف من التوحد والوحدة حيث وقفت ، واجتمع عليه من المكاره
ما وصفت ، اعتذر مظلوماً ، وضحك مشتوماً ، ولو علم الشيخُ عددَ أولاد الجدِّ ،
وأبناء العدد ، بهذا البلد ، ممن ليس له همٌّ إلا في سعاية أو شكاية أو حكاية أو
فكاية ، لظنَّ بعشرة غريب إذا بدر ، وبعيد إذا حضر ، ولصان مجلسه عن
لا يصونه عما رقى إليه ، وهبني قد قلت ما حكى ، أليس الشائمُ من أسمع ، والجاني
من أبلغ ؟ فقد بلغ من كيد هؤلاء القوم أنهم حين صادفوا من الأستاذ نفساً
لا تستفز ، وجبالاً يهز ، وشوا إلى خدمه بما أرثوا نارهم^(٢) ، وورد على ما قالوه فما
لبثت أن قلت :

فإن تكُ حربٌ بين قومي وقومها فإني لها في كلِّ نائبة سلمٌ

(١) القيضة ، بالكسر : قطعة صغيرة من العظم ، والكلام على التشبيه (م)

(٢) أرثوا نارهم : أجبوها وأشعلوها (م)

وليعلم الأستاذ أن في كبد الأعداء منى جحرة ، وأن في أولاد الزنا عندنا كثرة ،
 وقصارهم نارٌ يشبونها ، وعقرب يدبونها ، ومكيدة يطلبونها ، ولولا أن العذر
 إقرار بما قيل ، وأكره أن أستعمل ، لبسطت في الاعتذار شاذروانا ، ودخلت في
 الاستقالة ميدانا ، لكنه أمر لم أضع أوله ، فلم أتدارك آخره .

وقد أبي الشيخ أبو محمد — أيده الله — إلا أن يوصل هذا النثر القاتر
 بنظم مثله فيها كه يلعن بعضه بعضا :

مولاي إن عدت ولم ترض لي	أن أشرب البارد لم أشرب
أمتط خدي وانتعل ناظري	وصد بكفى حمة العقرب
تالله ما أنطق عن كاذب	فيك ، ولا أبرق عن خلب
فالصفو بعد الكذب المفترى	كالصحو عقب المطر الصيب ^(١)
إن أجتن الغلظة من سيدي	فالشوك عند الثمر الطيب
أو يفسد الزور على ناقد	فالخر قد يعصب بالثيب

ولعل الشيخ أبا محمد — أيده الله — يقوم من الاعتذار بما قعد عنه القلم
 واللسان ؛ فنعم رائد الفضل هو ، والسلام .

فقر من كلام سهل بن هرون للمأمون

كان المأمون استبثقل سهل بن هرون ، فدخل عليه يوماً ، والناس على
 مراتبهم ، فتكلم المأمون بكلام ذهب فيه كل مذهب ؛ فلما فرغ من كلامه
 أقبل سهل بن هرون على الجمع فقال : مالكم تسمعون ولا تعون ، وتشاهدون
 ولا تفقهون ، وتفهمون ولا تتعجبون ، وتعجبون ولا تنصفون ؟ والله إنه ليقول
 ويفعل في اليوم القصير ما فعل بنو مرهان في الدهر الطويل ، عربكم كعجمكم ،
 وعجمكم كعبيدكم ، ولكن كيف يعرف الدواء من لا يشعر بالداء ؟ فرجع
 المأمون فيه إلى الرأي الأول .

(١) في الرسائل (١٦٠ بيروت) « فالصفو بعد الكدر المفترى »

[من ترجمة سهل بن هرون ، وأخباره]
 وكان أبو عمرو سهل بن هرون من أهل ميسان^(١) نزل البصرة فنسب إليها ،
 وهو القائل :

يا أهل ميسان السلام عليكم الطييون الفرعُ والجذمُ
 أما الوجوهُ ففضةٌ مزجت ذهباً وأيدٍ سحّةٌ هضم^(٢)
 أتريدُ كلباً أن أناسها قد قلّ من كلب بي العلمُ
 أجعلت بيتاً فوق راية فرعُ النجوم كأنه نجمُ
 كبيتِ شعرٍ وسط مجهله بفنائه الجعلانُ والبهنمُ
 وكان سهل شعوبياً ، والشعوية : فرقةٌ تتعصب على العرب وتنقصها ، وكان
 أبو عبيدة يرمي بذلك .

وسهل ظريفٌ عالمٌ حسنُ البيان ، وله كتبٌ ظريفةٌ صنّفها معارضاً للأوائل
 في كتبهم بما لا يستصوبه منهم ، حتى قيل له « بزرجهر الإسلام » وقال يمدح رجلاً :
 عدوٌّ تلادِ المالِ فيما ينوبه منوعٌ إذا ما منعه كان أخزماً
 مذلل نفساً قد أبت غير أن ترى مكاره ما تأتي من العيش مغمماً
 وهذا نظير قوله في كتاب « ثعلّة وُعفرة » الذي عارض به كلية ودمنة : اجعلوا
 أداء ما يجبُ عليكم من الحقوق مقدماً قبل الذي تجودون به من تفضلكم ؛ فإن
 تقديمَ النافلة مع الإبطاء عن الفريضة مظاهر على وهن العقيدة ، وتقصير
 الروية ، ومُضِرٌّ بالتدبير ، مغلٌّ بالاختيار ، وليس في نفع محمدته عوّض من
 فساد الروعة ولزوم النقيصة . وكتابه هذا مملوء حكماً وعلماً . وسهل القائلُ :
 تقسّني ههنا قد كسفاً بالي وقد تركا قلبي محسلةً بآبالِ
 ها أذرياً دمعِي ، ولم تذر عَبرتي رهينةً خدر ذات سيمطٍ وخلخالِ
 ولا قهوة لم يبقَ منها على المدي سوى أن تحاكي النور في رأس ذيالِ
 تحلل منها جرمها وتماسكت لها نفسٌ معدوم على الزمن الخالي

(١) ميسان - بفتح فسكون - بين واسط والبصرة (م)

(٢) هضم : جمع هضوم ، واليد الهضوم : التي تجود بما لديها (م)

ولكنا أبكى بعين سخينة على حدث تبكى له عين أمثالي
فراق خليل لا يقوم به الأسي وخلة حرّ لا يقوم لها مالي
فوا حسرتي حتى متى القلب موجع لفقّد خليل أو تعذر إفضال
وما الفضل إلا أن تجود بنائل وإلا لقاء الخلّ ذي الخلق العالی
وهو القائل :

إذا امرؤ ضاق عنى لم يَضِقْ خُلُقِي من أن يرانى غنياً عنه باليأسِ
لا أطلبُ المالَ كي أُغْنِي بفضلته ما كان مَطْلَبُهُ فقراً إلى الناسِ
وأشدُّ له الجاحظُ يهجو رجلاً :

من كان يَعْمُرُ ما شادت أوائله فأنت تعمّر ما شادوا وما سمكوا
ما كان في الحق أن تحوى فعالهم وأنت تحوى من الميراث ما تركوا

وقال محمد بن زياد الزيادي : وجدت^(١) على سهل بن هرون في بعض الأمر،
فهجوته ، فكتب إلى : أما بعد فالسلام على عهدك وداع ذى صنّ بك ، في غير
مقلية لك^(٢) ، ولا سلوة عنك ، بل استسلام للبلوى في أمرك ، وإقرار بالمعجزة
في استعطافك ، إلى أوان فينتك^(٣) ، أو يجعل الله لنا دوة من رجعتك ، والسلام .
وكتب في أسفل الكتاب :

إن تغف عن عبدك المسىء فني عفوك مأوى للفضل والمّن
أتيت ما أستحق من خطيأ فجد بما تستحق من حسن

[من عظات الحسن البصرى]

وقال الحسن البصرى رحمه الله في يوم [فطر] وقد رأى الناس وهياتهم :
إن الله تبارك وتعالى جعل رمضان مضياراً خلقه ، يستبقون فيه بطاعته إلى
مرضاته ، فسبق قوم ففازوا ، وتخلف آخرون فخابوا ، فالعجب من الضاحك اللاعب

(١) وجدت عليه : حقدت أو غضبت (م) (٢) القلية : الكراهية (م)

(٣) فينتك : رجوعك (م)

في اليوم الذي يفوز فيه المحسنون ، وَيَخْسِرُ فِيهِ الْمَبْطُولُونَ ، أما والله لو كشف
الغطاء لشغل محسن بإحسانه ومُسيء بإساءته .

ونظر إلى قوم منصرفين من صلاة الفِطْرِ يتدافعون ويتضاحكون ، فقال :
الله المستعان ! إن كان هؤلاء قد تقرر عندهم أن صومهم قد تُقبَلُ فما هذا محلُّ
الشَّاكرين ، وإن علموا أنه لم يتقبل فما هذا محلُّ الخائبيين .

وكان الحسن من الخطباء النَّسَّاكِ الفقهاء الأجواد ، ويقال : إنه لم يكن تابعيًّا
أفضل منه .

هذا قول أهل العراق جميعاً ، وأهل الحجاز يقدمون سعيد بن المسيب
عليه ، وكان سعيدٌ أجسَنَ من الحسن ورَعَا ، وأشهدَ النَّاسَ حَدَرًا ، وأقلهم
كلاماً . وكان الحسن لا بدع أن يتكلم بما هَجَسَ في نفسه ، وجأشَ في صدره .
وعلى ذكر الحسن شهرَ رمضان نقول :

ألفاظ لأهل العصر ، في التهنئة بإقبال شهر رمضان .

مع ما يتصل بها من الأدعية

ساق اللهُ تعالى إليك سعادة إهلاله ، وعرفك بركة كماله . قسم اللهُ لك من
فضله ، ووفَّقك لقرضه ونفله . لقاك اللهُ ما ترجوه ، وورقك إلى ما تحبه فيما
تتلوه . جعل اللهُ ما أظلك من هذا الصوم مقروناً بأفضل القبول ، مؤذناً
بدرِكِ البُغْيَةِ ونُجْحِ المأمول ، ولا أخلاك من برِّ مرفوع ، ودعاء مسموع . قابل
الله تعالى بالقبول صيامك ، وبِعظيمِ المَثُوبَةِ تهجُّدك وقيامك . عرفك اللهُ من
بركاته ما يُرِي على عدد الصائمين والقائمين ، ووفَّقك اللهُ تعالى لتحصيل أجرِ
التهجِّدين . أسأل اللهُ تعالى أن يضاعفه بمنه لك ، ويجعله وسيلة بقبوله إلى مرضاته
عنك . أعاد اللهُ إلى مولاي أمثاله ، وتقبَّل في أعماله ، وأصلح في الدين والدنيا
أحواله ، وبلغه منها آماله . أسعده اللهُ بهذا الشهر ، ووفاه فيه أجر المَثُوبَةِ
والأجر ، ووفرَ حظَّهُ من كل ما يرتفع من دُعاء الدَّاعِينَ ، وينزل من ثواب العاملين ،

بل مساعيه وزكاها ، ورفع درجاته وأعلاها ، وبلغه من الآمال مُنتهاها ،
لَقِرَ بِأَبْعَدِهَا وَأَقْصَاهَا .

وقال الحسن : من أخلاق المؤمن قوة في دين ، وحزم في نين ، وحِرص أخلاق المؤمن
العلم ، وقناعة في فقر ، ورحمة للمجهود ، وإعطاء في حق ، وبر في استقامة ،
يقه في يقين ، وكسب في حلال .

وقال محمد بن سليمان لأبي السماك : بلغني عنك شيء ، قال : لأباليه ، قال :
؟ قال : لأنه إن كان حقاً غفرته ، وإن كان باطلاً كذبتة .
صفة
الأخ الصادق

وقال محمد بن صَبِيح المعروف بابن السماك : خيرُ الإخوان أقلهم مصانعة في
صبيحة ، وخيرُ الأعمال أحلاها عاقبة ، وخيرُ الثناء ما كان على أفواه الأخيار ،
شرف السلطان ما لم يخالطه البطر ، وأغنى الأغنياء من لم يكن للحِرص أسيرا ،
خيرُ الإخوان من لم يخاصم ، وخيرُ الأخلاق أعونها على الورع ، وإنما يختبر وُدُّ
يجال عند الفاقة والحاجة .

ووصف بعضُ البلغاء رجلا فقال : إنه بسيط الكف ، رَحْبُ الصَّدْرِ ،
رَطَا الأَ كْناف ، سَهْلُ الخلق ، كريم الطباع ، غَيْبٌ مُعِيثٌ ، وَبَحْرٌ زَخُورٌ ،
نَحْوَكُ السن ، بشير الوجه ، بادي القبول ، غير عبوس ، يستقبلك بطلاقة ،
يحبيك ببشر ، ويستدبرك بكرم غيب ، وجميل سر ، تبهجك طلاقته ،
يرضيك بِشْرُهُ ، ضَحَّاكٌ على مائدته ، عَبْدٌ لَضِيْفَانِهِ ، غير ملاحظ لأكيله ،
طِينٌ من العقل ، تخييص من الجهل ، راجح الجلم ، ثاقب الرأى ، طيب الخلق ،
يصن الضريبة ، مِعْطَاءٌ غير سائل ، كاسٍ من كل مَكْرُمة ، عارٍ من كل
لامة ، إن سُئِلَ بِذَلِّ ، وإن قال فَعَلَّ .

قال أبو الفتح كشاجم :

مزاجك للمثني من العود والصبا من الریح والصافي الرقيق من الخمر
فلو كنت ورذاً كنت ورذاً مضاعفاً ولو كنت طيباً كنت من عنبر الشحر

ولو كنت لحناً كنت تأليف معبدي . ولو كنت عوداً ما افتقرت إلى زمري

وقال أعرابي :

الأحَبُّذا البُرْدُ الذي تَلْبَسِينَهُ	وياحبذا من باعك البُرْدَ من تَجْرِ (١)
فلو كنت ماءً كنت ماء غمامة	ولو كنت دراً كنت من دُرِّةٍ بِكْرٍ
ولو كنت لهواً كنت تعليل ساعة	ولو كنت نوماً كنت إغفاءة الفجر
ولو كنت ليلاً كنت قمرآء جنببت	نحوس ليالي الشهر أوليلة القدر

(١) التجر - بالفتح - اسم جمع ، واحده تاجر ، ومثله شرب وسفر

تم - بحمد الله تعالى ومعاونته - تحقيق الجزء الثاني من « زهر الآداب ،
وثمر الألباب » لأبي إسحاق الحصري . ويليه - إن شاء واهب التوفيق
والسداد ، ورازق القدرة والعون - الجزء الثالث مفتحاً بـ « نبذ من ألقاظ بلغاء
العصر تجرى في المدح مجرى الأمثال ؛ لحسن استعاراتها ، وبراعة تشبيهاتها » .
نسأله - سبحانه - أن يعين على إكماله بمنّه وفضله ، آمين .

فهرس الجزء الثانى من كتاب

« زهر الآداب ، وعر الألباب »

لأبى إسحاق الحصرى

الموضوع	ص	الموضوع	ص
للتيمى يمدح الفضل بن سهل		ألفاظ لأهل العصر فى وصف الطعام ،	٣٤١
لإبراهيم بن العباس فيه	—	ومقدماته ، وموائد ، وآلاته	
لابن الرومى يمدح إبراهيم بن المدبر	٣٥٤	من شعر ابن الرومى فى وصف طعام	٣٤٢
لابن الرومى يمدح ابن طاهر	—	مقامة لبديع الزمان فى وصف الطعام	٣٤٣
من ترجمة الفضل بن سهل		لعلى ابن يحيى النجم	٣٤٥
مختارات من كلام الفضل بن سهل	٣٥٥	لابن الرومى يصف اللوزينج	—
من محمد بن على إلى محمد بن يحيى	—	نهم ابن الرومى وحبه للسحك	٣٤٧
جواب محمد يحيى بن خاله	—	من الناجم إلى ابن الرومى	٣٤٨
رجل يريد أن ينصح المهدي	٣٥٦	لابن الرومى يصف العنب الرازق	—
توقيعات للفضل بن سهل	—	ألفاظ لأهل العصر فى وصف	٣٤٩
بعض أوصاف الخيل	٣٥٧	الفواكه والثمار	
ابن القرية يصف فرسا	—	بعض ماجاء فى وصف الليل	٣٥٠
لعبد الله بن طاهر	—	لأعرابى يصف ليل لقاء	—
رجل يريد شراء فرس	—	لأعرابى يصف وفاء الصحبة	—
لمحمد بن الحسن بن الحرون	—	لجرير يصف يوم صيد	—
آيات لتأبط شراً	٣٥٨	لإبراهيم بن العباس يصف قصر الليل	٣٥١
لعقبة بن سنان يصف خيلاً أهداها	—	للأصبهاني يصف يوم لمو	—
عمرو بن العاص إلى معاوية بن أبى سفيان	—	لابن المعتز يصف ليل سرور	—
للناعبة الجعدى	٣٥٩	بين الرشيد وعبد الملك بن صالح	—
لبعض العرب	—	لأبى تمام	٣٥٢
لأعرابى	—	للحائى	—
لأعرابى آخر	—	لأهل العصر	—
لأعرابى يصف خيل بنى يربوع	٣٦٠	سميد بن هريم وصلته بالفضل بن سهل	٣٥٣

الموضوع	س	الموضوع	س
من عرف قدر النعمة استدامها	٢٧٥	لأبي تمام يصف فرساً	
بين سليمان بن عبد الملك وحاجبه	—	للبحري يصف فرساً	٢٧٦
بين يونس بن المختار وحاجب المأمون	—	لإسحاق بن خلف يصف فرس	٢٧٧
بين رجل والمعلّى بن أيوب	—	أبي دلف	
بين المنصور والحارث بن حسان	—	لأبي الفتح كشاجم	—
بين المأمون وعبد الله بن طاهر	٢٧٨	لابن المعتز	—
لأبي نواس في هذا المعنى	—	لأبي الفتح	٢٧٩
للناتئء يعارض أبا نواس	—	لابن المعتز	—
لابن الرومي	—	لأعرابي مولد	—
ألفاظ لأهل العصر في العجز عن الشكر	٢٧٧	لابن المعتز أيضاً	—
لأبي الفتح البستي	٢٧٨	لعلي بن محمد الإيادي	٢٨٠
بين أبي العتاهية وعمر بن العلاء	—	لأبي العباس النائئء	—
من أخبار أبي العتاهية	٢٨٠	لأبي منصور الثعالبي	٢٨١
ولوعه بعتبة	—	لابن هاني يصف خيل المعتز	—
المهدي يضرب أبا العتاهية مائة سوط	٢٨١	وله يصف فرساً لجعفر بن علي بن حمدون	—
من شعر أبي العتاهية في عتبة	٢٨١	وله يصف فرس إبراهيم بن جعفر	٢٨٢
بين المهدي وأبي العتاهية		ابن علي	
الرشيد يحبس أبا العتاهية لترك الشعر	٢٨٢	لعلي بن محمد الإيادي يصف فرس	٢٨٣
بشار يمدح عمر بن العلاء	٢٨٤	جعفر بن القائم	
لأبي سعيد الخزومي في معنى بشار	٢٨٥	لأبي الطيب المتنبي	٢٨٤
لأبي الطيب المتنبي	—	مقامة لبديع الزمان فيها وصف فرس	٢٨٥
لابن هاني	٢٨٦	قولهم في الوعد ومثله إنجازه	٢٨٦
رجع إلى عمر بن العلاء	٢٨٧	بين أبي القاسم للمسعودي وعيسى	—
بينه وبين أبي العتاهية	—	ابن موسى	
لمعتبي في أبي العتاهية الحمداني	٢٨٩	بين منصور بن زياد ويحيى بن خالد	—
لأبي العتاهية في الزهد	—	بين المهدي وابن داب	—
لأبي نواس	—	لابن قابوس يمدح يحيى بن خالد	٢٨٨
ألفاظ لأهل العصر في الشكر بدلالة	٢٨٨	لأبي الطيب المتنبي	—
الحال		لأبي علي البصير في الفضل بن يحيى	—
		لابن الرومي	—

ص	الموضوع
٤٠٢	من ابن العميد لمن تزوجت أمه
٤٠٣	ألفاظ لأهل مصر في التهانى بالبنات
٤٠٤	بعض ما يمدح به النساء
—	لابن الرومي
—	للمتني
—	رجل يمدح زبيدة أم الأمين
—	لكثير عرة
٤٠٥	عزة تفضل الأحوص على كثير
٤٠٦	من الأمانى
—	لأبي صخر الهذلي
—	لمسلم بن الوليد
—	لآخر
٤٠٨	بعض أخبار كثير عرة
—	حمقه
—	كان رافضيا
—	بين كثير وعبد الملك بن مروان
٤٠٩	لقيس بن الملوح
—	من جيد شعر كثير
٤١١	قول العرب في الطول أو القصر
—	لشاعر قديم ، وأنشده أحمد بن عبيد الله
٤١٢	لابن الرومي
—	لعنرة العيسى
٤١٣	لأبي نواس
—	عود إلى أخبار كثيرة - عزة
—	كثير عند عبد العزيز بن مروان
—	وهو مريض
—	نقد سلام الجمحي لشعر كثير

ص	الموضوع
٣٨٤	لأبي الفضل الميكالي
٣٨٥	لأبي الفتح البستي
٣٩٠	بين نصيب والفرزدق
٣٩١	لسحيم عبد بن الحساس
—	للمتني
—	بين أبي تمام وابن الزيات
٣٩٢	لابن الزيات يمدح الحسن بن سهل
—	لأبي تمام يمدح ابن أبي دواد
٣٩٥	من أخبار ابن أبي دواد
—	غلوه في التعصب لإياد
—	علمه ، وعداوته لابن الزيات
—	أصله
٣٩٦	غضبه على أبي تمام ، ثم وضاة عنه
٣٩٧	بين ابن أبي دواد والحاجب أبي منصور
—	من براعة خالد بن عبد الله القسري
٣٩٨	اعتذار أبي تمام للمعتصم عن سابق مدحه للأفشين
٣٩٩	المنافقون في عهد النبي صلى الله عليه وسلم
—	عبد الله بن أبي سرح
—	المختار بن أبي عبيد الخارجي
—	بين أمية بن خالد بن أسيد وعبد الله بن الأهم
٤٠٠	فصل في غرائب التكاثر
—	من حمدون ابن نهران لعامل عزل
—	عن عمله
—	من ابن مكرم نصراني أسلم
—	بعض ما يحسن تركه وإن كان حلالا
٤٠١	ما يقال لمن تزوجت أمه

الموضوع	ص	الموضوع	ص
من شعره	٤٢٥	فصول قصار	٤١٤
من شعر الفتح بن خاقان	٤٢٦	من كلام قابوس بن وشمكير	—
كتاب منه إلى عبيد الله بن يحيى	—	للثعالبي يصف شمس المعالي قابوساً	٤١٥
مما بيعت على الرحيل	٤٢٧	للميكالي مدح قابوساً	٤١٦
من الوصايا لمن اعتزم السفر	—	من رسائل بديع الزمان إلى قابوس	٤١٧
قفر في مدح السفر	٤٢٧	من أخبار البرامكة	٤١٩
في ذم السفر والغربة	—	ثمامة بن أشرس يصف جعفر بن يحيى	٤٢٠
بين المهدي وأبي عبيد الله	٤٢٨	سهل بن هرون يصف يحيى وابنه جعفرأ	—
بين المأمون والفضل بن الربيع	—	توقيع لجعفر بن يحيى	—
بين المنصور وأبي مسلم الخراساني	—	بين جعفر بن يحيى ومروان بن	٤٢١
جملة في الأوصاف من شعر كشاجم	٤٤١	أبي حفصة	—
الصابي يهدى اسطرلاباً لعضد الدولة	٤٤٤	من قصيدة لزهير بن أبي سلمى	٤٢٢
ويبعث معه بشعر	—	تعليق على هذه القصيدة لقدماء بن جعفر	—
من أوصاف النساء	٤٤٥	لمحمد بن مناذر في البرامكة	٤٢٣
لابن الرومي	—	مثلاً من التجنيس لأبي الفضل الميكالي	—
لبعض الشعراء يصف العلم	—	لأبي الفتح البستي في هذا المذهب	٤٢٦
قلب المعنى ليس بسرقة	—	قفر في ذكر العلم والعلماء	٤٢٨
لشاعر يصف نساء بالعبالة	—	استعارات فقهية تليق بهذا المكان	٤٣٠
من المعاني ما لا ينقلب	٤٤٨	بين أبي تمام وابن أبي دواد	—
بعض ما أخذ على أبي نواس	—	بين طاهر بن عبد الله وابن أبي تمام	—
قطعة من شعر أهل العصر في ذكر	٤٤٩	ولاية طاهر بن عبد الله بن طاهر	٤٣١
النجوم	—	خراسان وسببها	—
لأبي الفتح البستي	—	بين ابن ثوابة وابن الرومي	٤٣١
لابن درست	٤٥١	بين المعتصم وأبي تمام	—
لمسكويه	—	لأبي الفضل الميكالي	—
للخوارزمي	—	لأبي الفتح كشاجم	٤٣٣
للصولي	—	لبديع الزمان الهمذاني	—
لابن المعتز	٤٥٢	أبو علي البصير، وشيء من أدبه	٤٣٥
الأصمعي وبعض الأعراب	٤١٨	بينه وبين بعض الطالبين	—
		بينه وبين بعض الرؤساء	—

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٤٥٠	لابن المعتز	٤٥١	قصر من كلام الأعراب في ضروب مختلفة
—	وله في القاسم بن عبيد الله	٤٦٠	لامرأة من العرب ترثى ابنها
٤٨٠	لبعض البلغاء	٤٦١	لأعرابي يمدح رجلاً
—	للمتنبى	٤٦١	بعض أخبار أبي نواس
—	لابن المعتز	٤٦٥	للحسن بن وكيع ، وقد أخذه من أبي نواس
—	مفاخرة بين صاحب سيف وصاحب قلم	٤٦٦	ضرب من الرياء
—	للمتنبى	٤٦٠	من خمريات أبي نواس
—	للتوبختي	٤٦٠	من أخبار بشار بن برد
٤٨١	لابن الرومي	—	احتذاء أبي نواس على مثال بشار
—	للبسقي	٤٢٥	المهدي يأمر بشاراً بترك الغزل
—	لطلحة بن عبيد الله	٤٧	من شعر بشار في الغزل
—	لمحمود الأصهباني	٤٧٧	لعلی بن الجهم، وأخذه من بشار
٤٨٢	لأحمد بن جدار	٤٧١	منزلة شعر بشار ومقداره
—	لأبي تمام	—	ولاء بشار
—	لتميم بن المعز الفاطمي	٤٧٢	من أخبار أبي حذيفة وأصل بن عطاء
٤٨٣	الصدق في النصيحة.	—	عود إلى أخبار بشار
—	بين أحمد بن يوسف وغسان بن عباد	٤٧٦	كلمات مأثورة
—	من ترجمة أحمد بن يوسف العجلي	—	فقر في مساوي الكذب لغير واحد
٤٨٦	ألفاظ لأهل العصر في ذم المغنين	٤٧٨	جزاء الشكر
٤٥٢	عود إلى أحمد بن يوسف العجلي	—	بين الحسن بن سهل والمأمون
٤٨٦	ألفاظ لأهل العصر، في صفات الثقلاء	—	من خطب النكاح :
٤٩١	من ترجمة جحظة البرمكي ومن شعره	—	خطبة للمأمون
٤٩٢	السكاكين	—	ما يستحب من الحاطب والخطوب إليه
—	بين أحمد بن يوسف والمأمون	٤٧٩	الكتب والأقلام والخط
٢٦٤	لأبي الفتح كشاجم يصف مكيناً سرق منه		

الموضوع	ص	الموضوع	ص
• ١٠ • مما كتبه في سياقة أخباره مع أبي بكر الخوارزمي		٤٦٤ ألفاظ لأهل العصر في صفات السكاكين	
• ١٥ • كتاب منه لرئيس هراة		٤٦٥ السمر والمنامة	
• ١٦ • كتاب منه للامام سهل بن محمد		— بين محمد بن أنس والقاسم بن صبيح	
• ١٧ • كتاب منه لثاسماعيلي		— شرط المنامة	
• ١٨ • القامة الفزارية للبديع		٤٦٦ بين اليزيدي والمأمون	
• ٢٠ • بين شاعر وعبدالله بن الزبير		— بين كوران المغني والشريف الرضي	
• ٢١ • فرس ابن الزيات		— بين أحمد بن جدار وعمر بن أيوب	
— المزاح		٤٦٧ من إسحاق الموصلي إلى بعض الجلة	
— بين الحجاج وابن القرية		— من السري الموصلي إلى أخيه يستدعيه	
• ٢٢ • خالد بن صفوان يذكر مساوي المزاح		٤٦٨ لابن المعتز	
— للوراق في مساوي المزاح		— للحسن بن محمد الكاتب	
— قفر في هذا النحو لأهل العصر		٤٦٩ من ألفاظ أهل العصر ، في الاستدعاء	
• ٢٣ • الطيرة والزجر		— ولهم في استدعاء الشراب	
— لأبي حية النخيري في التفاؤل		• • • ولهم في الكناية عن الشراب	
— مما ينسب لدى الرمة		— من الحسن بن سهل إلى الحسن بن وهب	
• ٢٤ • عادة الجاهلية والنهي عنها		— من الحسن بن وهب إلى الحسن بن سهل	
— للكثير بن زيد الأسدي		— لكشاجم	
— لشاعر قديم		• ٥٠١ قفر للنبيذيين	
• ٢٥ • لابن كناسة		• ٥٠٢ من ألفاظ أهل العصر . في صفات مجالس الأنس	
— بين كثير عزة ورجل نهدي		• ٥٠٥ من شعر أبي نواس : وهو أستاذ هذا الشأن	
— لجرير		• ٥٠٨ من رسائل بديع الزمان الهمداني	
— لعوف الراهب		— تعزية منه إلى أبي عامر عدنان بن عامر الضبي .	
• ٢٦ • لأبي الشيص		• ٥٠٩ منه لبعض إخوانه جوابا عن كتاب	
— ابن الرومي كان شديد الطيرة ، وبعض أخباره في ذلك			
• ٢٧ • الفرق بين الطيرة والقال			
• ٢٨ • من ابن الرومي للقاسم بن عبيدالله			
— ابن الرومي يرثي ابنة المسيبي			
• ٢٩ • وله يعزى على بن يحيى في ابنته			

الموضوع	ص	الموضوع	ص
كتاب منه للشعالي	٥١١	الرجبة في موت البنات	٥٣٩
كتاب منه إلى أبيه	٥٤٦	لعبد الله بن عبد الله بن طاهر	—
كتاب منه يستفتح به مكاتبة أخ	—	لعقيل بن علفة	—
قمر من كلامه في أثناء رسائل شتى	٥٤٧	لابن خلف البهراني	—
قطعة من شعره في تجنبس القوافي	٥٤٩	عود إلى تطير ابن الرومي	٥٣٠
لأبي الفتح البستي	٥١٥	بينه وبين أبي الحسن الأخفش	—
أدب الحاجب	—	من آثار تطير ابن الرومي	٥٣٢
بين مالك وحاجبه	—	من ابن الرومي إلى ابن ثوابة في التطير	٥٣٤
وصية المهدي للفضل بن الربيع	٥٥٠	من مليح العيافة والزجر	٥٣٦
للحسن بن سهل	—	أبو نواس وبعض أصحابه	—
لبعض البلغاء	—	لأبي تمام	—
بين سعيد بن عبد الملك وعبيد الله	—	أحمد بن المدبر والجل الشاعر المصري	٥٣٧
بن سليمان	—	لأبي الفضل الميكالي في أهل مرو	—
لأبي السمط بن أبي حفصة	٥٥١	عبد الوهاب الثقفي يصف رجلا	٥٣٨
لمروان بن أبي حفصة	—	يرتاح إليه	—
لإدريس بن أبي حفصة	—	ابن أبي دواد والجاحظ	—
لعمر بن شاس الأسدي	—	بين الجاحظ وابن الزيات	٥٣٩
للقطامي في ضياء الوجوه والأحساب	٥٥٢	من كلام علي رضي الله عنه في أعجب	٥٤٠
للقيني	—	ما في الإنسان	—
للحطيثة	—	لعبد الرحمن بن حسان	٥٤١
للقاسم بن حنبل المدني	—	لمحمد بن حازم الباهلي	—
للموضح التيمي	٥٥٣	للجاحظ في ابن الزيات	—
حث الاشتياق	—	الجاحظ ورجل من البرامكة	—
لعمر بن أبي ربيعة	—	القامة الجاحظية للبديع	٥٤٣
مما أنشده إسحاق الموصلي	—	من كلام الملوك:	٥٤٤
لإسحاق الموصلي	٥٥٤	من كلام أزدشير بن بابك	—
لأبي نواس	—	من كلام بزرجهر	٥٤٥
لمخلد بن بكار الموصلي	—	من كلام أنو شروان	—
جودة الخط	٥٥٥	من رسائل الميكالي:	—
صفة الخط الجيد لبعض الكتاب	—	كتاب منه للشعالي	—

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٥٢١	وراق يصف عيشه	٥٦٨	لابن الرومي
٥٥٦	لإسماعيل الحمدوني	—	لبعض المحدثين
—	حرفة الأدب	—	عود لابن الرومي
—	لبعض الشعراء	٥٦٦	أحمد بن يونس الكاتب يرد على
—	للخريمي	ابن اروي	
٥٥٧	لعل بن محمد بن بسام	٥٦٧	نبد من النظم والنثر في صفات النور
—	رزق الحق والعقلاء	والزهر	
—	لابن الرومي	—	لعل بن الجهم
—	لجعفر بن محمد	—	لمحمد بن عبد الله بن طاهر
—	للنظام	—	المتوكل وابن الضحاك
—	بعض أخبار النظام وكلامه	٥٦٩	ظبي يأكل نيلوفرأ
٥٥٨	أفكار الوراقين	—	وصف أيام الربيع :
٥٥٩	أطيب اللذات عند الشعراء	—	لابن وكيع
—	امرى القيس	٥٧٠	لأبي الفتح البستي
—	الأعشى	—	لأبي الفضل الميكالي
—	طرفة	٥٧٢	للبحثري
—	أبي دلف	—	في مجلس المبرد
—	حميد الطوسي والشعر لطرفة	٥٧٣	للبحثري في المدح
٥٦٠	يزيد بن عبيد الله	٥٧٤	لابن المعتز يندم الصبوح
—	من شعر الأصبط بن قريع	٥٧٥	لأبي الفتح كشاجم
٥٦١	من أخبار الأصبط بن قريع	٥٧٦	جملة من هذا النوع لأهل العصر
—	وصف الحبار والأقلام :	—	لأبي فراس الحمداني
—	لبعض الكتاب يصف محبرة	—	لابن هاني يصف زهرة رمان
—	لأبي الفتح كشاجم	٥٧٧	قطع ثرية لهم في هذا المعنى
٥٦٢	ألفاظ لأهل العصر ، في أوصاف	٥٧٨	ولهم أيضاً في وصف الربيع
آلات الكتابة والدوى		٥٧٩	الربيع والرفاق
٥٦٣	أبو الفتح كشاجم يصف آلات	—	الصوم في الربيع
الكتابة		—	يوم الشك
٥٦٤	عمال المأمون	٥٨٠	من بديع الزمان الحمداني لبعض
٥٦٥	وصف الورد والترجس :	أهل همدان	

الموضوع	ص	الموضوع	ص
لأبي تمام	٥٩٦	لابن العميد	٥٤٦
لعصابة الجرجاني في الحسن بن رجاء	—	عواقب الطيش	٥٨١
بين جميل بن معمر وعمر بن أبي ربيعة	—	طاهر بن الحسين يصف الأمين	—
من شعر العرجي	٥٩٨	الأمين والمأمون	—
نسب العرجي، وبعض أخباره	—	الأمين يصف طاهر بن الحسين	٥٨٢
جمعه من الفصول القصار	٥٩٩	الفضل بن الربيع وابنه وأبوه	٥٨٣
لابن المعتز	—	بيعة المهدي	—
من ابن العميد إلى بعض إخوانه	٦٠١	وقت كلام الملوك	٥٨٤
من بديع ما قيل في العتاب:	٦٠٣	من كلام الفضل بن الربيع	—
لسعيد بن حميد	—	بين المأمون والفضل بن الربيع	—
لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر	٦٠٤	بين المنصور والربيع	٥٨٥
من كلام الأعراب	—	لأبي تمام مدح ابن الزيات	٥٨٦
المقامة البلخية لبديع الزمان	٦٠٥	سهل بن هارون والرشد	—
كتاب من بديع الزمان لأبي نصر	٦٠٦	من شعر الفضل بن الربيع	—
الميكالي يشكو إليه خليفته بهراة	—	بين ابن خاقان وأبي العيلاء	٥٨٧
من البديع للميكالي يعاتبه	٦٠٧	وصف دابة	—
بين المأمون وإبراهيم بن المهدي	٦٠٨	قطعة من رسالة من إنشاء	٥٨٨
بين المأمون وإسحاق بن العباس	٦١٠	أبي الخطاب الصابي	—
رجل يستعطف بعض الملوك	—	المحدوني وشاة سعيد بن أحمد	٥٩٠
بين معاوية وروح بن زنباع	—	المحدوني وطيلسان ابن حرب	٥٩١
عفو الملوك:	٦١١	المأمون والحسن بن رجاء	٥٩٤
المأمون وبعض خاصته	—	بديهة المبرد	—
بعض ملوك فارس وطباخه	—	المبرد عند المتوكل	—
بهرام جور وراع	—	أدب أبي العباس المبرد	٥٩٥
من شعر ابن الرومي	٦١٢	بين المبرد وابن المعتز	—
من اعتذارات بديع الزمان	٦١٣	في المدح:	—
قمر من كلام سهل بن هارون	٦١٥	لأعرابي	—
للمأمون	—	لابن المعتز	—
		للأخطل	—
		لابن هرمة	—

الموضوع	ص	الموضوع	ص
أخلاق المؤمن	٦١٩	من ترجمة سهل بن هارون	٦١٦
خير الإخوان	—	وأخباره	
وصف رجل	—	من عظات الحسن البصرى	٦١٧
لأبى الفتح كشاجم	—	ألفاظ لأهل العصر في التهئة بإقبال	٦١٨
لأعرابي	٦٢٠	شهر رمضان	

تمت فهرس الجزء الثانى من زهر الآداب للمصرى ، والحمد لله أولاً وآخراً
وصلاته وسلامه على سيدنا محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه